

أنجيل جثالث بالنبا

تاريخ الفكر الأندلسي

تأله عن الإسبانية

حسان مؤنس

أستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

مكتبة الثقافة الدينية

المنشور
مكتبة الثقافة الدينية
المركز الرئيسي، ٥٢٦ شارع بورسعيد، القاهرة

تليفون: ٩٢٦٢٧٧ - ٩٢٦٢٤٠

الإهداء

إلى ذكرى صديقي آنخل جُنثَالْتِ بِالنِّتْيَا ، مؤلف هذا الكتاب .
آية تقدير من المدرسة الأندلسية للمصرية إلى مدرسة المستشرقين الإسبان
ذات التقاليد الجليلة الباقية .

(المترجم)

الأصل الإسباني لهذا الكتاب :

ÁNGEL GONZÁLEZ PALENCIA

Historia de la Literatura Árabe-Española

(Colección Labor no. 164-165) 2ª edición. Madrid 1945.

وقد لاحظنا أن المؤلف أسقط من هذه الطبعة — بدافع الإيجاز — فقرات
لها قيمتها كانت في الطبعة الأولى التي صدرت سنة ١٩٢٨ ، فأثبتنا في هذه الترجمة
بعضها وأشرنا إلى ذلك في مواضعه .

مقدمة

هذا كتاب حفزنى على نقله إلى العربية أكثر من حافز : فقد أقدمت على ذلك من إعزاز محقق للأندلس وتاريخه وحضارته ، وعن إجلال صادق مؤلفه ، وعن رغبة فى أن أقدم للقارىء العربى صورة عامة شاملة للفكر الأندلسى وفروجه فى كل ميدان ، وعن إحساس بأن هذا الكتاب لم يلق نصيبه من التقدير والإنصاف ، وأخيراً عن شعور بأن الأيام — واللوت العاجل — قد شغلت صاحبه عن أن يخرج به فى الصورة التى ارتسمت فى ذهنه ، وأن يبدأ صديقة معاونة ينبغى أن تمتد فتكمل ما فات ، وتضع الكتاب فى المكان الذى ينبغى له من مراجع الفكر الأندلسى ، بل العربى عامة ، بل الإنسانى إطلاقاً .

ذلك أن آنجل جنثالث بالنثيا صنف هذا الكتاب ليضيفه إلى ما حمله يمينه من آثار كفاحه العلمى ، يوم تقدم لامتحانات أستاذية كرسى اللغة العربية بجامعة مدريد ، عقب تنازل شيخ المستشرقين الإسماعيليين خيليان ريبيرا عن ذلك الكرسى مختاراً لينقطع إلى أبحاثه ودراساته عام ١٩٢٧ . وقد حشد بالنثيا بين دفتيه مادة لو فصلت بعض الشيء لملأت مجلدات ، ولكنه ألزم نفسه من الإيجاز ما جاوز المألوف ، وجمع فى ثوب ثلاثمائة صفحة أهم ما كان الناس يعرفونه فى أيامه عن الفكر الأندلسى ، وأم ما ألّفه — بالعربية أو بغيرها — غير المسلمين من أهل الأندلس ما بين نصارى ويهود ، وأضاف إلى ذلك خلاصة طيبة جداً لكل الدراسات التى تعرضت لآثار الفكر الأندلسى فى الفكر الأوروبى . وإن من يعرف الأمانة البالغة التى اتصف بها جنثالث بالنثيا ليتصور الجهد الذى احتمله حتى يضم ذلك كله فى غير حيز !

وإن تبلغ ثلاثمائة صفحة (من قطع صغير) من ميدان رحب خصص كيدان .

الفكر الأندلسي؟ أين هي من الشعر الأندلسي وحده؟ أين هي من الفلسفة أو من التصوف؟ أين هي من الطب والفلك والرياضة والنبات وما إلى هذه من فروع الفكر؟ وأين تبلغ وهي لا تكفي لدراسة علم واحد من أعلام الفكر الأندلسي كابن حزم أو ابن قزمان أو المعتد أو ابن عربي أو ابن حيان؟ كم للشعر وكما للنثر؟ كم للفقه وكما للتفسير؟ كم للتاريخ وكما للجغرافية؟ كم للفلسفة وكما للتصوف؟ كم للطب وكما للنبات؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي تبدو وكأنها معضلات أمام من يتعرض لمثل هذا التأليف.

ولكن الله أعانه، واستطاع أن يجمع بين الإيجاز والشمول على نحو قلما يجد الإنسان له مثيلاً، وجاء الكتاب فريداً في بابيه، فلما نظن أن لدينا كتاباً يقاربه في تاريخ الفكر الإسلامي للشرق مثلاً، بل ما نظن أن أحداً أقدم على مثل هذه المحاربة.

بيد أن الإيجاز الشديد لم يلبث أن أضرب بالكتاب، فإن الإشارات القصيرة لا تقنع، والاكتفاء بالضرورة عن الأهم، وبالأهم عن المهم، كل ذلك انتهى بأن جعل الكتاب خلاصة جافة عسيرة على القارئ، عسيرة على الباحث. ثم إن عدم ذكر المراجع، وإيراد النصوص دون إشارة — ولو تقريبية — إلى أصلها، والاكتفاء بالمحادثات عن العبارات، وافتراس المعرفة السابقة عند القارئ، كل ذلك وقف بالكثيرين عن الاستمالة بالكتاب — على عظيم قدره — وصرفهم عن ذكره بين مراجعهم، رغم اعتمادهم عليه.

لهذا كله رأيت ألا أقصر في نقل الكتاب على الترجمة سطراً بسطراً — فالكتاب كالروحة الطاوية، كلما فتحها تبدت رسومها وزادت تفصيلها وحسناً — ولا بد إذن من تفصيل وبيان. ولكن كيف؟ إن المؤلف نفسه لم يذكر مرجعاً ولم يشر إلى أصل إلا إشارة المابر للمعجل، فهو يقول: قال ابن حزم كذا؛ أو قال ابن عربي كيت، دون أن يذكر أين، والفتوحات للكية وحدها في نيف وأثنى

صفحة . . أويقول إن « الخزرجي » ألف كتاباً في الحديث : أى خزرجي ، وم
في الأندلس الوف والوف ؟ وما إلى ذلك مما ألزمه به ظرف خاص ، هو نشر
الكتاب في سلسلة من كتب المعارف العامة ذات الحجم الواحد الصغير ، الذي
يحتله ويقنع به القارىء المطالع أو ملتبس الفائدة اليسيرة .

كان لا بد من منهج خاص للقيام بهذه الترجمة ، منهج يتلخص في ألا نقل
فقرة إلا والأصول التي أخذ للمؤلف عنها بين يدي ، فإذا كان هذا الأصل إسبانياً
أو فرنسياً أو إنجليزياً لم أطمئن حتى أجد بين يدي أصوله العربية بدورها ، ثم
أطالع هذا كله حتى أعرف على وجه التحديد ما أراد المؤلف قوله في عبارته
للموجزة ، فإذا كان قد استغنى عن أشياء على اعتبار أن القارىء الإسباني يعرفها ،
أو ضرب صفحاً عن أخرى لأن هذا القارىء الإسباني لا يحتاج إليها ، أو استعرد
عن أشياء نائلة لأن الحيز لا يسمح ، فإننى لم أربأساً في إيراد أطراف من هذا كله
بين أقواس مربعة ، وفاء لمقتضى الكلام أو زيادة في الإيضاح والبيان .

ومن هنا لم يكن الأمر ترجمة فقط ، بل هو ترجمة وتفسير . وقد رأيت ذلك
حقاً للقارىء العربي عندي ، إذ أن ميدان الأندلسيات ميدان بكر ، وخاصة في
فروع الفلسفة والتصوف والطب والملك والرياضيات ، والقارىء لن يفيد كثيراً
من كتاب بالغ الإيجاز ، وهو لن يقنع بإشارات عابرات ، إذا نعت طالب
الاطلاع المجرد ، لم تنفع من طلب شيئاً وراء ذلك .

وقد وجدت بعض المشقة في ترجمة عنوان الكتاب وهو Historia de la
Literatura Árabe Española ، لأن لفظ Literatura يعنى عندنا الأدب
بمعناه المحدد الآن ، ولكن الكتاب لا يقتصر على الأدب بل يتناول التاريخ
والرحلات والفلسفة والتصوف والطب والنبات والملك والرياضيات ، أى نواحي
التفكير كلها . وقد افترح بعضهم أن أقول : الأداب العربية ، ولكنى رأيت
الأداب لا تشمل العلوم ، واستقر رأي آخر الأمر على أن أجمله « تاريخ الفكر

الأندلسي » ، وبدلي أن تلك هي أقرب لفظة عربية تعبر عن لغوى الكتاب

ولقد تكلفت هذا العناء المحيِّب ، رغبةً مني في أن أسد فراغاً ظاهراً في مكتبة العربية ، وعنايةً بكتاب أعتقد أنه من أحسن وأنفع ما صنف المستشرقون ؛ فهو يمتاز — علاوة على الشمول — باعتدال في الرأي وإنصاف في الحكم ويُبتعد عن الهوى والعصبية يجعلك تتصور في بعض الفقرات أنك تقرأ لكتاب عربي منصف ، وإنصافه لا يقوم على الألفاظ بل على عرض الحقائق ، لا يقوم على الحساس ، بل على الجهد والسل والصدق والتحقيق ، وهي صفات امتياز بها هذا العلامة الإسباني الذي عاش عمره كله قارئاً كاتباً باحثاً محققاً ، وامتت حياته بسيد السنين وهو على قمة مجد علمي لا تحققه جماعة كاملة من الباحثين . . . ولقد اقيمت وعرفته ، وكانت بيننا مودة لم تنسأ في أجلاها الأيام ، و « أجاز » لي نقل هذا الكتاب وروايته عنه ، على مذهب أجدادنا في تقاليدهم الحليّة في العلم وتحمّله والدرس ونقله .

وقد كنت أردت أن أضيف ما يقتضيه المقام من التعليقات في الهوامش ، ولكنني وجدتها زادت واتسعت حتى أصبحت تمحل الأصل بزياداته معاً ، ففضلت أن أجمعها في كتاب قائم بذاته يكون كالقيل على هذا الكتاب ، ولم أر بأساً في إفرادها ، لأنها مستقلة عن الكتاب تماماً . وإن أراد الاكتفاء بما هنا فهو حسبه ، ومن طلب ما وراء ذلك فليُنظر في « الصلة » ، أعاننا الله على إخراجها في الغريب .

وحقيق لي — قبل أن أفرغ من كلمة التقديم هذه — أن أتقدم بالشكر إلى كل من تفضل بمعاونتي في إنجاز هذا العمل .

أشكر أستاذي المرحوم أحمد أمين ، فهو الذي رحب بفكرة نقل الكتاب
وجهه ضمن مختارات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وأشكر أصدقائي
وزملائي : الدكتور عبد الحليم محمود ، وعبد العزيز الإهواني ، ومحمد عبد الحادي
أبي ريدة ، ومحمود الخضيرى ، والأستاذ مصطفى عبد المجيد صالح ، والأنستين
سيلفيا لامفوس وسرثيديس جنثالتماس ، والدكتور خايمة أوليفر آسين .

وأشكر الصديق الكريم الأستاذ إميليو غرسية غومس على ما تفضل به
من تقديم الكتاب إلى غير العرب من القراء .
والحمد لله أولا وآخراً .

عصين مؤنس

الطبعة ، مايو ١٩٥٥

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

ف ١ :

لا تكاد توجد آثار لأى لون من الحياة الفكرية فى الأندلس خلال السنوات الأولى التى أعقبت الفتح الإسلامى لإسبانيا على يد طارق وموسى ؛ بل إن الشعب الإسبانى الذى دخل فى طاعة المسلمين — نتيجة لهذا الفتح — لم يخلف لنا آثاراً تدل على حياته الفكرية طوال عصر الولاة^(١) (٧١٠ — ٧٥٥ م) . ذلك أن الظروف التى أحاطت به لم تكن مواتية لشؤون الدرس والفكر ، فقد شغل القاتمون بما وقع بين بعضهم وبعض من غاصصات وحروب ، وثارَتِ العداوات بين قبيلة وقبيلة ، وبين البربر والعرب ، وبين القيسية واليمينية ، وبين الشامية والمدنية . ثم إن القاتمين — جميعاً — كانوا من المحاربين ؛ وهذا وحده يكفى لتعليل انصرافهم عن الآداب وشؤون الفكر .

ولم يكن أهل البلاد — الذين دخلوا فى الإسلام ، وارتبطوا مع القاتمين بروابط المصاهرة — فى حاجة أول الأمر إلى شيء ذى بال من الثقافة الإسلامية ؛ لأن الدخول فى الإسلام لم يكن يتطلب منهم إلا النطق بالشهادتين (وحرى بنا ألا ننسى — فى تعليل نشاط المصاهرة بين القاتمين وأهل البلاد — أن المسلمين دخلوا إسبانيا جيوشاً منظمة ، ولم يدخلوها دخول البرابرة أفواجاً وقبائل بنسائها وأطفالها ، ومن ثم لم يكن لهم بد من اتخاذ النساء من أهل البلاد ، ومن ثم أصبح التزاوج من الجانبين أسراً لا مفر منه) . ولا بد أن أولئك الإسبان — الذين دخلوا الإسلام — لم ينضموا على فراقهم دينهم الأول وانتقالهم إلى العقيدة الجديدة ، فقد تحسنت ظروف حياتهم من الناحيتين القانونية والاجتماعية :

إذ انتقلوا من الرق إلى الحرية ، ولما كان السلم الحر يكاد يكون معقياً من الضرائب والجبايات في العرف الإسلامي ، فقد كان هذا وحده عاملاً على سرعة تحول أهل الجزيرة إلى الإسلام .

وقد كان القرآن في الأندلس — كما كان في غيره من البلاد الإسلامية — المصدر الوحيد للتشريع ، ولم تمس الحاجة إلى اللجوء إلى الاستعانة بسنن الرسول إلا بعد أن احتك أهل الإسلام بنظم الشعوب المفتوحة في المشرق والمغرب ، ووجدوا أنفسهم — نتيجة لهذا الاحتكاك — أمام مشاكل تشريعية وقانونية شديدة التعقيد . ونشأت عن تلك الاستعانة بالسنة في حل هذه المشاكل المذاهب الفقهية المختلفة .

وقد دخل عبد الرحمن بن معاوية (٧٥٥/١٣٨ — ٧٨٨/١٧٢) الأندلس في لحظة أشرف أمر الإسلام فيها على الانتشار والضياع ، وكان هو نفسه من القلائل الذين أفلحوا من أيدي المباسيين الذين انتزعوا الخلافة من الأمويين وتقبهوا بالقتل ، قسده — وهو الناجي بنفسه من الخوف — أن يستنقذ الإسلام من الزوال من الأندلس : فقد اشتدت حروب العرب ومفازاتهم بين بعضهم وبعض ، ونجى نزاع الرؤساء على الولاية حتى حازها منهم أربعة وعشرون والياً في خمس وأربعين سنة . وبدخول عبد الرحمن [وقيام دولته الأموية] أتيحت للإسبان الظروف المواتية للاتصال بالثقافة الإسلامية للشرقية اتصالاً منتظماً . وليس إلى الشك سبيل في أن أهل البلاد قد اهتموا بتعلم اللغة العربية ، لغة الدولة والدين في الإسلام ، ولا بد كذلك أن نفراً منهم ذهب إلى مكة حاجاً وعرف — عن طريق الحج — المراكز للشرقية ؛ ولكن أولئك الوافدين من الأندلسيين لا يمكن أن يكونوا قد أخذوا كثيراً من زياراتهم لهذه المراكز ، لأن الحركة الأدبية كانت إذ ذاك في أوائل أمرها فيها .

وكان الأمير عبد الرحمن يقول الشعر بين الحين والحين ، ولدينا كذلك أسماء

شعراء عاشوا في بلاطه ، منهم أبو الخثي [عاصم بن زيد بن حنظلة التميمي] ، الذي
بكى في أبيات مؤثرة بصره الذي أسر بإطفاء نوره أمير أموى عقاباً للشاعر [على
ميله لأخي الأمير] . ويذكر لنا اللورخون — من بين الثورات والمؤامرات
الكثيرة التي تجرد عبد الرحمن للقضاء عليها بيد حازمة — أخبار فتنة قام بها بربر
الأندلس يقودهم مصلح صيبان يسمى شقيا ، جمع بين الخمس الديني والشمعة
وزعم أنه ينتسب إلى علي وفاطمة ، فكأنه ردد في جوانب إسبانيا صدى الخلاف
الكبير الذي صدع الإسلام من أول الأمر صدعاً عميقاً ، وهو الخلاف حول
الخلافة ، فقد تحزب نفر كبير من المسلمين لأبناء فاطمة بنت الرسول ، فنشأت
عن ذلك طائفة الشيعة السياسية الدينية .

وكان من الطبيعي أن يكون تصادم هذه الآراء السياسية والدينية مجدياً على
الثقافة ، وأن يكون باعثاً للمسلمين على تعرف الإسلام الذي يدينون به وتعمقه .
ومن هنا لم تلبث المذاهب الفقهية أن ظهرت بين المسلمين [واتبع كل واحد منها
نفر منهم] . وقد كان أهل الأندلس أول الأمر أوزاعية ثم تحولوا إلى مذهب
مالك ، وقد حمله إليهم شبطون [بن عبد الله] ^(١) ، أو الفازي بن قيس — الذي
يؤكد ابن القوطية أنه أدخل « الموطأ » إلى الأندلس في عهد عبد الرحمن
الداخل ^(٢) — أو على يد نفر من الفقهاء ، وهو الأقرب إلى الاحتمال . وقد
جرى الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢/٧٨٨ — ١٨٠/٧٩٦) على اختيار
قضاته وأصحاب الوظائف الدينية في دولته من بين فقهاء المالكيين ، فكانت
النتيجة أن انتشر هذا المذهب وثبتت قدمه في الأندلس . وسنرى في سياق هذا
التاريخ الأثر الحاسم الذي كانت لمذهب مالك على تطور الثقافة في الأندلس ،
بسبب اتساع مدى انتشاره المستمر ، وما اتصف به من عداء لكل تجديد ، مما
أثار الفتن والتفلاقل : وما « فتنة النصارى » في قرطبة ، و « وقعة الحفرة » في
طليطلة ، و « هتيج الربض » ^(٣) المروع الذي اضطرب الحكم بن هشام الأول المعروف

بالربضى (٧٩٦/١٨٠ - ٨٢١/٢٠٦) إلى القضاء عليه بإغراقه فى الدماء ، ما هذه كلها إلا نتائج لتشدد فقهاء المالكية وعنادهم : فلم يكن الحكم هذا زنديقا ولا خارجا على الدين ، ولكن الفقهاء سخطوا عليه إذ لم يعجبهم خلقه - وكان يغلب عليه الاستهتار والخفة - ولم يرضهم منه إقباله على الصيد والنبذ ، وأنكروا منه أنه لم يطلق يدهم فى الأمور كما كانوا يشتهون . وكان الحكم شاعرا ، وكذلك كان غريب [بن عبد الله]^(٥) رأس نوار طليطلة يقول الشعر . ورغم ذلك كله فإن أثر الحكم فى تطور الثقافة العربية الأندلسية لا يعدل أثر خلفيته عبد الرحمن الثانى الأوسط (٨٥٢/٢٣٨ - ٨٢١/٢٠٦) .

كان عبد الرحمن الأوسط محبا للشعر ، وكان ضعيف الشخصية : ترك عنانه بيد الفقيه يحيى بن يحيى ، وطروب أحب نسائه - أى نساء عبد الرحمن - إليه ، وزرياب للفنى . وكان زرياب رجلا فذا ، فكان إقباله على بلاط عبد الرحمن الأوسط لئذنا بتحول هذا البلاط [من خشونته] إلى ترف قصور الحكام وأصحاب السلطان فى المشرق . ذلك أن زريابا لم يستهو أفئدة أهل قرطبة بصوته وجمال أغانيه فحسب ، بل بأدابه الاجتماعية ، وملابسه ، وطريقته فى إرسال شعره ، وولائه البديعة التى كان يتفنن فى تزيينها ، فأخذ الناس عنه ذلك كله ، وأصبح ذوقه مقياس الذوق لأهل قرطبة ، وأصبحت ملابسه النموذج الذى يحتذيه القرطبيون فى إعداد ملابسهم^(٦) . ومن ذلك الحين اجتهد حكام الأندلس فى أن يكون قصورهم مجد أدبى يحاكي ما كان لقصور خلفاء المشرق ، فاهتموا برعاية الآداب والعلوم والفنون ، حتى تصل قرطبة إلى مستوى يضاهي ما وصلت إليه دمشق وبغداد . ومن هنا تألق فى بلاط عبد الرحمن الأوسط شعراء مثل يحيى بن الحكم بن النزال ، الفنى وصفه ابن حيان بأنه « حكيم الأندلس وشاعرها وعرافها » ، والنزى كان عبد الرحمن يندبه ليسفر بينه وبين غيره من الملوك^(٧) ، فكان يقوم بهذه السفارات وينشئ الأشعار متغزلا فيمن يلقى

من النساء ، بل لقد أنشد النزال أهل بندا بضة أبيات من شعره وزعم أنها لأبي نواس فلم يشك الناس في أنها للحسن بن هاني^(٨) . [ومن شعراء بلاط عبد الرحمن الأوسط علم بن علقمة ، الذي أنشأ أرجوزة طويلة نظم فيها تاريخ افتتاح المسلمين للأندلس^(٩) ، وحسنة التميمية بنت الشاعر أبي الحسين^(١٠) (*)] . ونيف كذلك فقهاء كبار ذوو علم واسع ، مثل عبد الملك بن حبيب وابن الماجشون ، وأصبغ بن الفرّج ، ومحمد بن مزّين — وكلهم مالكيون^(١١) .

وفي ذلك الحين كان عنصر المستعربين على وشك أن يتلاشى ويختفي في العنصر العربي ، وهذا هو أقل ما نخرج به من عبارات التعجب والاستنكار التي سجلها « آلبرو القرطبي » في كتاباته ، وهي عبارات معروفة دائمة ، صور لنا فيها شبان النصراني من أهل بلده متضلعين في لغة العرب وشعرهم ، مفضلين ذلك على المنزّل اليسير من العلم والأدب الذي كان قد بقي إلى أيامهم من العصر الزاهر للآداب اللاتينية في إسبانيا ، كما تتجلى في كتابات إيزودور الإشبيلي ، ولم يبق في أذهان الناس من هذه الآداب اللاتينية بعد أيام يولوجيوس وآلبرو القرطبيين إلا معالم قليلة غير واضحة ، هي التي تسمى بآداب المستعربين . وقد ضاع أدب المستعربين هذا كله على وجه التقريب ، ولم يبق لنا منه إلا نماذج قليلة جداً ، كتلك الأبيات التي نظمها الأسقف بنجفسي^(١٢) ليقدّم بها كتاباً من تأليفه إلى الأسقف عبد الملك ، ومثل « تقويم الأسقف ريكيموندو » .

وعبرت بالإمارة الأموية ، بعد ذلك ، أيام عصية : ذلك أن الأمير محمد ابن عبد الرحمن (٨٥٢/٢٣٨ — ٨٨٦/٢٧٣) — وكان أنانياً بجيلاً^(١٣) — استعان بالفقهاء ، واستطاع أن يرهّب الثأرين من رعاياه من النصراني ويخضعهم لسلطانه . أما المسلمون من الإسبان فقد كان من بينهم نفر من الشيوخ والرؤساء لم يذعنوا بالطاعة لسلطان أمير قرطبة : من أمثال بني قسي سادة أرغون ، وهبـد الرحمن بن مروان الجليلي المنزلي في ماردة وبطليوس ، وعمر بن حفصون الذي

(*) أسقط للؤلم الفقرة الواردة بين الماصرين من الطبعة الثانية من كتابه .

تولى قيادة المستعربين في جنوب الأندلس من معقله حصن مُيَشْتَرُ في ناحية رُنْدَة ، وأولئك كلهم كانوا خارجين على سلطان إمارة قرطبة . فلجأ الأمير محمد إلى شيوخ قبائل العرب ورؤسائهم يستعين بهم على محاربة أولئك الخارجين على سلطانه ، وكان من الطبيعي أن يحاول أولئك العرب استغلال هذه الفرصة ، فسكنوا لأنفسهم في نواحيهم ، وانتزواهم الآخرون بها ، وأنشأوا فيها سلطاناتاً منهاضاً لسلطان الأمير . واشتد النزاع بين هذه الطوائف من عرب الأندلس وبين الإمارة القرطبية ، وطال هذا النزاع واشتد أمره حتى كاد يقضى على إمارة قرطبة ، خاصة في أيام الأمير عبد الله (٢٧٥/٨٨٨ - ٣٠٠/٩١٢) .

وشاع بين الناس الليل إلى الشعر الجليل ، وشاركهم فيه الأمراء أنفسهم [مثل الأمير عبد الله]^(١٤) ، وظهر شعراء بلاط كثيرون لم يفوزوا من إعجاب جمهور الناس بنصيب كبير ، مثل القلقاط [محمد بن يحيى] وعبيدس [بن محمود]^(١٥) ، وابن عبد ربه^(١٦) ، وغيرهم . وظهر كذلك رجال يمثلون القروسية العربية بأكل معانيها ، مثل سميد بن جودي^(١٧) اللقدام الذي قاد جماعات العرب في صراخها مع عمر بن حفصون ، وكان ينشد الأشعار متغنياً بحمده لليثوس منه ليجبان جارية الأمير عبد الله ومغنيته .

ولقد بلغ من غرام أهل الأندلس بالشعر في ذلك الحين أن ظهر بينهم فن شعري جديد أقبل الناس عليه فيما بعد إقبالاً عظيماً ، هو فن الزجل والموشحة الذي ابتكره مقدم بن معافى القبرى الضرير الذي توفي قبل سنة ٩١٢/٣٠٠ ، ويصاغ على نظام جديد للقوافي والأوزان ونسق جديد كذلك للأبيات . وكلا الموشحة والزجل يختلفان اختلافاً ظاهراً عن نظام القصيدة العربية ، فهما يستعملان اللغة الدارجة ويزجان العربية في بعض الأحيان بعبارات من اللهجات الرومانسية .

أما في بقية صنوف الأداب فقد مضى الناس على ما قرره السلف من مناهج : ففي دراسة الفقه مضى الناس على الأسلوب التقليدى ولم يشذ عن ذلك إلا المحاولة

الجريئة التي قام بها يقي بن مخلد عندما أراد أن يلحق الناس أصول مذاهب قهية أخرى غير المالكية ، كالذهب الشافعي مثلاً . وقد كادت جرائمه تلك أن تكلفه حياته ، ولولا أن تدخل الأمير محمد بنفسه في الأمر — استجابة لشكوى تقدم بها الفقهاء إليه في أمر يقي — لما نجا هذا الأخير من هلاك محقق ، فقد أقر الأمير يقيًا على التدريس كما يريد ، وأتاح الفرصة بذلك للذهب الشافعي لينتشر في الأندلس ويظل مذكوراً فيه حتى سقوط الخلافة^(١٨) .

* * *

يبدأ أن عبد الرحمن الناصر (٩١٢/٣٠٠ — ٩٦١/٣٥٠) وفق إلى إنقاذ الحضارة الإسلامية الأندلسية الزاهرة عما كان يتهدها من الأخطار الخارجية والخلافات الداخلية . فقد كان ذا سياسة حازمة مكنته من أن يخضع جماعات العرب لسلطانه ، وأعادته على القضاء على قوة عمر بن حفصون (الذي كان قد فقد الكثير من جاهه بسبب ارتداده عن الإسلام واعتناقه النصرانية) ، وهاجم الناصر ممالك النصارى في الشمال ، وتدخل بحمارة قائمة في المصنوعات التي كانت قائمة بين الليونيين والتشتاليين والنبريين ، واجتهد في إضعافهم وتمكين سلطانه عليهم من هذا السيل ، وناجز الفاطميين الذين سادوا للغرب وصقلية ، واستطاع أن يضع حداً لمطامع الشيعة في إنشاء دولة عالمية وإخضاع الناس جميعاً للهدى أو الإمام المستقر . وكان أساس القوة التي أقام عبد الرحمن عليها سلطانه تلافية ناحية النفس التي كانت تضمف كيان جيوش الدولة الأموية الأندلسية : وهي تكوينها من قبائل منفصل بعضها عن بعض ، تحضر المواقع بأعلامها وألويتها ، فأنشأ طائفة جديدة متميزة مخلصه لشخصه وحده ، وأضاف إلى عداد الجيش جماعات من « الموالى » الجدد كونها من عناصر ذات أصول نصرانية ، وهم المسمون « بالصقالبة » الذين كان معظمهم يجلب من بلاد أوربا الوسطى ومن بلاد النصارى في شمال إسبانيا . وقد وصف أهمية هذه الطائفة « بَرْتِوُ بِييس » في كتابه عن

« ملوك الطوائف » بقوله : « ولما كانوا يربون منذ نعومة أظفارهم في قصر الخلافة ، وتبذل العناية في تأهيلهم بعلم طيب ، فقد انفتح أمامهم الطريق وأصبحوا يكوّنون صفوة الموظفين الإداريين ، وتولوا القيادات العسكرية . وكان عددهم وثروتهم في ازدياد ، وأصبحوا يكوّنون طائفة متميزة في كيان المجتمع الإسلامي الأندلسي »^(١٩) . أضفى عبد الرحمن الناصر على الأندلس النظام والرخاء في الداخل ، وهياً له الاحترام والتقدير في الخارج ، وزاد في موارد الثروة بتشجيع الزراعة والتجارة والصناعة والفنون والعلوم حتى بلغت كلها أوجها على أيامه ، واهتم بتجهيل قرطبة حتى أصبحت تضاهي بغداد بهاء وجمالاً .

وطبعي أن يصاحب هذا التحليق السامق بعناصر الحضارة المادية تطور في نواحي العلم والأدب ، فظهر في عصره شعراء كابن عبد ربه ، وابن هاني ، والزيدي ، ومؤرخون من طبقة الرازي ، وابن القوطية ، وصاحب « أخبار مجموعة » ، وألخشي . ولم يعدم نوع التأليف الموسوعي — المحجب إلى نفوس المسلمين والذي يعرف عادة « بالأدب » — ناساً يمثلونه في الأندلس ويبرزون فيه ، كابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ، وهو أشبه بموسوعة أدبية ، تاريخية ، فلسفية . وظهرت البوادر الأولى لفلسفة علي بن مسرة (٨٨٣/٢٧٠ — ٩٣١/٣١٩) الذي أذاع بين مسلمي إسبانيا مبادئ المشيئة بأبناذقليس (وهو مذهب أفلاطوني يقول بوجود مادة روحية) على الرغم من معارضة الفقهاء التي لم يكن منها مفر ، ولكن هذه البذرة الأفلاطونية قدر لها أن تثمر مع الزمن وتظهر آثارها في تفكير ابن جبيرول وابن عربي .

كذلك أقبل ضر من الأندلسيين على دراسة الرياضيات والفلك ، ولكن هذه الدراسات كانت تجري في دوائر ضيقة وفي معزل وستر عن الناس ، لأن الفقهاء وجمهرة المسلمين كانوا يحرمون تماطيلها . أقبل أولئك الفخر على هذين التدين دون نور ، وكان أول من عنى بهما أحمد بن نصر ومسلمة بن القاسم ، فكانا

بذلك واضى البذرة التى ستزهر إزهاراً وارقاً فى عهد الحكم المستنصر . كذلك خطت دراسة الطب خطوة حاسمة فى الأندلس بعد ما تُرجم كتاب « ديوستوريديس » الذى كان الإمبراطور البيزنطى قد أهداه إلى الخليفة . هذا وقد كانت دراسة الطب محل عناية الناس فى الأندلس قبل ذلك بزمان ، إذ أن يونس الحرائى كان قد وفد على الأندلس من المشرق حاملاً ذلك العلم الجليل فى عهد الأمير محمد .

وطبيعى أن لا تكون عناية الأندلسيين بالعلوم الدينية قد قلت عن عنايتهم بغيرها من فروع المعرفة : كانت دراسة الحديث موضع العناية البالغة ، فظهر محدثون فقهاء متحققون بالحديث من أمثال محمد بن واضح ، وابن القوطية ، وقاسم بن أصبغ ، وابن أيمن — وغيرهم كثير — أقبلوا على المسانيد المتواترة كسندى البخارى ومسلم ، وأكثروا من التأليف فى شرحها . وبرع فى القراءات والفسر مسكى بن أبى طالب . وأما الفقه المالكي فقد برع فيه عدد لا يحصى ، نذكر منهم قاسم بن أصبغ وابن أبى زمنين . وظهر فى الفقه الشافعى نفر كبير من تلاميذ بقى بن مخلد نذكر منهم أبا أمية الجبارى ؛ بل كان الأمير عهد الله ابن الناصر نفسه قد بلغ من ميله إلى الفقهاء أن تأمر على أبيه مع نفر منهم بما سار به إلى حتفه مع اثنين من أعلامهم^(٢٠) . وكان الخليفة يرعى بنيانته منذ بن سعيد البلوطى الظاهرى للذهب الذى مهد طريق الظاهرية لابن حزم ، وكان تسامح عبد الرحمن من السمة بحيث كان يحضر مجالسه الخاصة الطيب اليهودى الذائع الصيت حسداى بن شبروط . وكان من نتائج هذه الرعاية التى أضناها الناصر على حسداى أن بدأت الدراسات التلمودية فى إسبانيا ، ولم تلبث هذه البلاد أن أصبحت مركز الدراسات العبرية ؛ وكان من نتائج عناية حسداى بهذه الدراسات العبرية أن تحسن حال إخوانه فى الدين ، مما أتاح لليهود — فيما بعد — أن يقوموا بنصيب كبير فى الثقافة الأندلسية .

وكانت مكتبة القصر التي عني بها الناصر دليلاً واضحاً على الدرجة العالية التي بلغت بها الثقافة الأندلسية في عصره ؛ وقد تكونت منها ومن مكتبة الأميرين محمد والحكم مجموعة الكتب العظيمة التي كانت موضع فخر الحكم المستنصر .

وكان الحكم الثاني (المستنصر ٣٥٠/٩٦١ - ٣٦٦/٩٧٦) أكثر الخلفاء الأندلسيين تسامحاً وحرية فكر . قال دوزي : لم يحكم إسبانيا يوماً من الأيام حاكم على هذه الدرجة من العلم ، نعم إن كل من جاءوا قبله من أمراء الأندلس وخلفائها كانوا رجالاً ذوي علم وولع بجمع الكتب ، ولكن أحداً منهم لم يطلب الكتب القيمة والنادرة بهذه الحمة : فكان له في القاهرة وبغداد ودمشق والإسكندرية عمال مكلفون باستنساخ كل الكتب القيمة قديمة كانت أو حديثة ، وكان قصره مافلاً بالكتب وأهلها حتى بدا وكأنه مصنع لا يرى فيه إلا نساخون ومجلدون ومزخرفون يحلون الكتب بالمنمنات والرسوم الجميلة . وكان فهرست مكتبته يقع في أربع وأربعين كراسة في كل منها عشرون ورقة — على قول ، وخمسون على قول آخر — « ليس بها إلا أسماء الدواوين لا غير ، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة جلبت إليها بضائمه من كل قطر » . وقد قدر بعض المؤرخين عدد مجلداتها بما يربو على أربع مائة ألف كتاب ، قرأها الحكم كلها ، وعلق على معظمها ، وكان يكتب في أول كل مجلد أو في آخرها « نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتي من بعد ذلك بفرائب لا تكاد توجد إلا عنده لعنايته بهذا الشأن » (٣١) .

وكان الحكم أعلم الناس بتاريخ الأدب ، وكانت إشارات وتعليقاته حجة يرجع إليها علماء الأندلس ، بل كانت أخبار الكتب المؤلفة في فارس والشام كثيراً ما تنقل بملء قبل أن يخرجها أصحابها . وقد انتهى إلى علمه مرة أن عالماً من علماء العراق — هو أبو الفرج الأصفهاني — معنى بجمع أخبار وأشعار لشعراء العرب ومنهم ، « فأرسل إليه بألف دينار من الذهب العين فيعثر إليه بنسخة منه قبل

أن يخرجوه في العراق] وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه مختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك^(٢٣) ، وقد بحث الأصفهاني مع نسخة كتابه بقصيدة يمدح بها الخليفة وأردفها بمؤلف له في نسب بني أمية ، فكافأه الحكم بمنحة أخرى . وعلى الجملة فقد كان كرم الحكم على علماء الأندلسيين لا يعرف حدوداً ، وكان لم كذا أثر ملحوظ في بلاطه ، إذ كان يقدمهم على كل من عداهم ويشلهم برعايته ، وشمل بفضل هذا الفلاسفة أيضاً^(٢٤) .

وأطلق الحكم للرياضيين والفلكيين الحرية في إذاعة علومهم في الناس ، ومن هنا ظهرت إلى الوجود مدرسة مسلة الجريطي في مدريد ؛ ومسلة هذا هو الذي أدخل رسائل إخوان الصفاء في الأندلس . ولقيت دراسة الطب عناية عظيمة بفضل أبي القاسم الزهراوي . وكذلك نهضت دراسة النبات على يد سليمان بن جليل . وكان الخليفة يحضر مجالس ابن صلاح القرطبي [أحد بن عبد الوهاب ابن يونس] للوقوف بآرائه للمتزلية المتعرفة ، بسبب ما كانت تنهب إليه من تحكيم العقل في مسائل الشرع والعقيدة . كذلك كان الحكم يظلل بمجاوبته فترا من الشافعيين تحولوا إلى مذهب الاعتزال ، وكان يحتفظ في مكتبته بنسخة من « كتاب الأم » لشافعي ، وعليه وفد الأديب العالم المشرق النابغة أبو علي القالي ، وكان رجلاً فذاً ذا أثر ملحوظ فيمن عاصره أو جاء بعده من أهل الأندلس

وإلى جانب شخصية للنصور بن أبي عامر تلاشت شخصية الضميف للتطامن هشام بن الحكم — الملقب بالمؤيد — الذي خلف أباه على عرش الأندلس (٩٧٦/٣٦٦ — ١٠٠٥/٣٩٦) . وقد اقتضت سياسة المنصور ورغبته في تأييد مركزه أن يضيف إلى من كان يؤازره من عناصر جيش الخلافة من المولدين والصقالبة عنصراً جديداً عظيم الخطر شديد التأيد له ، فكانون جيشاً من البربر الذين جلبهم من إفريقية وجمع أزمة قيادتهم بيده وحده ، وتمكن بفضل هذا الجيش الجديد من أن يوقف كل تقدم للتصاري جنوبي نهر دُويره ، وتمكن

من الاستيلاء على ليون وشتت ياقب و برشلونة . واستبد بالأمر وحده ، ونهر
الأندلسيين على الطاعة لحكومة استبدادية عسكرية ، فكانت النتيجة أن
اضطربت نيران الفتنة التي قصمت ظهر الأندلس بعيد وقته وبعد أن تراخت
يده الحديدية . وكان من نتائج استبداده كذلك أن تعثرت الحضارة الأندلسية
في سيرها على أيامه . ولقد كان المنصور أول أمره شغوفاً بالفلسفة ، فأنكر منه
الفقهاء ذلك ، واستطاعوا أن يثيروا عليه غضب العامة ، فرأى — وهو السياسي
الكيس الهمد للطامع — أن يضحي بشغفه في سبيل غايته ، وأمر بإحراق كل
ما كان في مكتبة القصر من كتب الفلسفة والفلك وغيرها من العلوم التي
لا يرضى عنها الفقهاء^(٢٤) ، حتى يستعيد حب الناس له . وهكذا أعاد إلى الفقهاء
ما كان لهم من قوة وسلطان ، فكان ذلك خطوة إلى الوراء (ومن نتائجه أن
اضطر المهندس النابه الذكر عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد — لللقب بـ « إقليدس
الأندلس » أو الإقليدسي — إلى أن يهجر وطنه) ، ولكن الفقهاء رغم ذلك لم
يستطيعوا اعتراض طريق الحركة العلمية التي عظم نشاطها على عصر ملوك الطوائف .
وكان الشعر الغنائي هو اللون الأدبي الذي غلب على غيره في بلاط المنصور .
وقد بلغ من غلبته أن أنشئ ديوان خاص للشعراء ، جُعلوا فيه طبقات ، وقدرت
جوائزهم على قدر مراتبهم ، فكانوا ينالون أجزل الصلات على ما ينشئون من
شعر غاليه المديح . وكان أبرز شخصيات هذه الدائرة الأدبية التي أحاط بالمنصور بها
نفسه صاعد البندادي ، والرمادي ، والوزير أبو المنيرة بن حزم . وكان بينهم
كذلك شعراء يتحدثون عن تشاؤم وسوء ظن بالدنيا ، مثل ابن أبي زمنين .
بل ظهر شعراء من بين الصقالبة ، وهم طبقة اجتماعية سيكون لها في تاريخ الأندلس
بعد سقوط الخلافة شأن عظيم . وإذا استثنينا بضعة فقهاء مالسكيين من طبقة ابن
الحذا [محمد بن يحيى بن أحمد] وبضعة مؤرخين من طراز ابن القزويني ، الذي
كان أول من وضع معاجم الرجال بالأندلس ، فإن عصر المنصور لا يمتاز بأي

شخصية من الطراز الأول في ميدان العلوم والفنون .

كانت ثورة قرطبة على أولاد المنصور والفتنة الكبرى التي أعقبتها قاضيتين على الخلافة . وقد تطاحت على دقة الأمور خلال هذه الفتنة للبيعة طوائف شتى كان كل منها بحسب أنه قادر على قطع دابر الفتنة وإعادة الدولة وتسيير الأمور ، فقامت عقب سقوط الخلافة حكومة في قرطبة أشبه بحكومات البلديات (عام ٤٣١/١٠٣١) ؛ وانتهى تطاحن الطوائف إلى تمزجها خلال أدوار الفتنة الأهلية في طوائف ثلاث متعادية فيما بينها : البربر وقد استولوا على الجزء الجنوبي من الأندلس ، والصقالبة وقد انحازوا إلى شرقه واستبدوا به ، والأندلسيين وقد أقاموا دولهم فيما بقي للمسلمين من الجزيرة .

ولم يلبث بعض هذه الدويلات الناجمة أن صارت إلى جيرانها واختفت دون أن تخلف أى أثر يذكر في التاريخ الأدبي ، بينما استطاع بعضها الآخر البقاء في الميدان ، وقامت بينها منافسة حامية في ميادين العلوم والآداب . ونشأ عن هذا التنافس أن نهضت الآداب نهضة بلغت بها أقصى درجات ازدهارها في تاريخ الأندلس الإسلامى . وقد كان هذا الازدهار نتيجة لعوامل أخرى كثيرة ، أهمها أن عصرى الإمارة والخلافة كانا بمثابة فترة إعداد طويلة تجمعت خلالها مواد وافرة غزيرة في كل فرع من فروع الدراسات واختمرت اختصاراً طويلاً ، وثانيها أن علماء قرطبة غادروها أثناء الفتنة وانتشروا في شتى نواحي الأندلس ، وكذلك تفرقت في كل ناحية مجموعات الكتب التي كانت مخزنة في مكتبات قرطبة ، وثالثها تلك الحرية التي أباحها ملوك الطوائف في شتى نواحي الحياة الاجتماعية بما فيها الناحية الدينية . وليس معنى هذا أن الفقهاء انصرفوا عما كانوا يتمسكون به من سلطان ، واسكنهم لم يحفلوا للأسر كثيراً في ذلك العصر المضطرب ؛ ولم يكن يحظر لهم بيال أن المقادير ستتيح لهم من جديد فرصة الأخذ بالتأثر في ظلال الرابطين ، فينزلون بنحوصهم أشد الانتقام .

ففي قرطبة — حيث صارت مقاليد الحكم إلى الوزير الشاعر أبي الحزم بن جهور — ظهر ابن حزم صاحب التواليف الكثيرة في كل فن ، وهو من أفذاذ الأعلام الممدودين في تاريخ الأندلس . وإن التأمل في مؤلفاته وما تحويه من مادة غزيرة ليرى بوضوح أن ذلك الإنتاج الحافل لا يمكن أن يصدر إلا عن حضارة بانفت من التقدم مباناً عقلياً . فذلك التحليل النفسى الدقيق الذى يتجلى في كتابه « طوق الحمامة » ، وهذه للملاحظات الشخصية النافذة على الرجال وأخلاقهم التى يبيدها في كتاب « الغصائل » ، ذلك كله يتحدث من بيئة ذات حضارة عالية . فأما تاريخ الأديان الذى ألفه باسم « الفصل فى اللل والنحل » فقد سبق به أوروبا النصرانية ببضعة قرون — كما يقول بحق أسبناذى ميغيل آسين بلاثيوس — لأن التاريخ للأديان لم يعرف فى الغرب إلا فى منتصف القرن التاسع عشر . أما مذهبه الفقهى « الظاهرى » الذى يقوم على التفسير الحرفى للقرآن ، فلم يجد عند فقهاء عصره قبولاً ، بل تعقبوه فى عنف وضيقوا عليه الخلق ، ولكن ابن حزم كان قد بحث فيه من الحيوية ما يمكن له من البقاء دهنراً طويلاً ، رغم إنكار الفقهاء له . وكانت لابن حزم مساجلات ومجادلات حامية اضطرت إلى خوضها مع الفقهاء دفاعاً عن آرائه ، ونخص بالذكر مجالس الجدل التى دارت بينه وبين أبى الوليد الباجى الفقيه الأشعرى المعروف ، فقد ظل صداها يتردد فى جوانب العالم الإسلامى دهنراً طويلاً ؛ وهى تدل على مواهب ابن حزم ولسانه الحاد اللازم .

وأخمل ابن زيدون — ذلك الترييد الموله فى ولادة — ذكر الكثيرين من معاصريه ممن كانوا أقل شأنًا منه كالحيدى ؛ وظهر مؤرخون مثل ابن حيان المحقق ذى الأسلوب القوى الجليل . ولم يتعجب الأندلس بمد هذين من أربى عليهما فى ميدانيهما . كذلك دام للمالكية جاهها فى الأندلس بفضل فقهاء من طبقة ابن الطَّلَّاع .

ولم يتح للأدب أن يصل إلى مستوى رفيع في غرناطة ، لأن أصحاب الأمر فيها كانوا من طوائف الدبر ؛ ومع ذلك فقد ظهر في سماءها من أعلام الأدب والعلم غرباء عن الأندلس — مثل المغامر المشرق أبي الفتوح الجرجاني ، وكان شاعراً فيلسوفاً فلسكياً — ورجال من جنس ولقة آخرين — مثل اليهودي صمويل بن النفدلة ، الذي ارتقى بالدراسات العبرية في الأندلس إلى أوج بعيد — وأندلسيون مثل الفقيه أبي إسحاق الإلييري الذي دفع أهل زمانه إلى خلع نير يوسف بن صمويل بن النفدلة . أما الشعراء والكتاب ذوو المواهب العالية من أهل غرناطة فقد اضطروا إلى اللجوء إلى بلاط المرية .

وعاش في المرية في أول عصر الطوائف الوزير أحمد بن عباس ، وكان رجلاً فذاً معنياً بالعلم وأهله ، وكانت له مكتبة تضم أربعائة ألف مجلد . وقد أدركت المرية أوجها الأدبي في عصر أميرها المتعمم بن صمادح (١٠٥١ / ٥٤٦ — ١٠٨٧ / ١٠٩١) ، الذي كان راعياً صادقاً للأدب والفنون والعلوم ، فالتف حوله شعراء مثل ابن شرف البرنجي ، وابن أخت غانم ، وابن الحداد الوادي آشي والسبسر الإلييري . وكان أولاد المتعمم هذا — وهم أبو جعفر ، وعز الدولة ، ورفيع الدولة ، وأم السكرام — شعراء كلهم . كذلك عاش في بلاطه علماء مثل أبي عبيد البكري الأديب ، وكان من طلائع الجغرافيين المسلمين .

وكان الحال في إشبيلية شبيهاً بما كان عليه في « المرية » إذ طغى الشعر فيها على ما عداها من أضرب الأدب في ظل بني عباد . ولقد كان المتضد والمعتد من أعلام الشعراء ، ومن ثم لا نستغرب أن يكون بلاطهما مدرسة تخرج فيها أهل الآداب . وقد وصلت الحمريات وشعر التسيب والغزل أعلى درجات الكمال في ذلك البلاط المصقول ، حيث عجز شعراء مجيدون — من طبقة علي بن حصن ، وابن حديس الصقلي ، وأبي بكر بن زيدون ، وأبي بكر بن اللبابة ، وغيرهم كثيرون — عن إدراك ما وصل إليه ابن عمار وزير المعتد اللبابة الذكر المذكور

الحظ ، من تخليق بيد في سماء الشعر . وقصروا كذلك في ملاحقة « اعتماد » نفسها — زوج المتمد وجارية رميك التاجر الإشبيلي قبله — فضلا عن مجارة الملك الشاعر المتمد فيما أبدعه من رائع القصيد . والحق أن المتمد وفق — في أيام سعوده ومجده — إلى درجة من التجويد مكنت له من أن يصل بشعره — في أبواب النزل ، ووصف مجالس السرور ، ووصف الحرب والنصر — إلى آفاق استندرت إعجاب البدو أنفسهم . فلما تنكرت له الأيام ، وعانى أوصاب السجن والهوان ، أخذت نفسه الفنانة تجود بدرر من الشعر لا زالت تثير في أفسنا — إلى اليوم — الإجلال لهذا الملك الفارس الشهم الكريم .

أما بنو الأفطس ، أصحاب بطليوس ، فقد استطاعوا هم الآخرون أن يرتفعوا بالثقافة في قعرهم إلى أوج رفيع ؛ وتمكن المظفر بن الأفطس أن يجمع من مكتبته الخاصة مواد موسوعته « المظفرية » الدائمة الصيت . وقد ضم ديوان المظفر هذا ابن عبد البر أعلم أهل غرب الأندلس في زمانه بالحديث ، وكان إلى ذلك شاعراً قادراً على نهج القدماء . وفي بلاط بنى الأفطس عاش عبد المجيد بن عبدون الشاعر ، ومن مآثره تلك القصيدة التي رثى فيها بنى الأفطس لما أصابهم على أيدي المرابطين ، وهي قصيدة رصينة الصياغة إلا أنها فائرة الروح مدرسية النهج .

وأما في طليطلة ، حيث نشر بنو ذى النون سلطانهم ، فقد طغى التأليف العلمى على ما عداه . ففي هذا البلد عاش الزرقالى ، أبرع من أنجب الأندلس من علماء الفلك ، ووضع نظرياته العلمية . وكان أبو عثمان سعيد بن محمد بن البفونش فيلسوفاً ورياضياً . أما ابن وافد (Eben Quefet) عند مترجميه إلى العبرية واللاتينية) فكان من أوسع أطباء أهل زمانه علماً بالطب . وقد مارس هذا الفن كذلك محمد النيسى ، وكان يلقنه لطلبته بطريقة عملية تجريبية (إكلينيكية) . وكان من نابغى شعراء هذه المملكة « ابن أرفع رأسه » وعاش في طليطلة كذلك نحويون مجيدون كأبى الوليد الوقشى ، وأصحاب وثائق وشروط متمكنون من

تحرير المقود ، كابر منيث . وأطلعت طليطة إلى جانب هؤلاء مؤرخين نابيين ،
مثل صاعد الطليطلى والحجاري .

وكان الحال في سرقسطة شبيهاً بذلك : إذ كان المقتدر والمؤمن — من
بنى هود — من أنصار العلوم ومن التجردين لرعايتها في تمحس ، وخاصة الفلسفة
والرياضيات والفلك . وقد ألف « المؤمن » كتاباً في هذا العلم الأخير علق عليه
موسى بن ميمون . وعلى سرقسطة وفد فلاسفة كابر جييرول وابن باجة ؛ ولقيت
رسائل إخوان الصفاء إقبالا عظيماً من أهلها ، وكان الكرماني قد حملها من
المشرق ؛ وفي رجوع سرقسطة عاش أبو بكر الطرطوشي صاحب الكتاب
اللطيف المسمى « سراج المالك » .

وساد الشعراء في بلنسية ورسية على من هدام من أهل العلم والأدب ؛
فكان منهم عبد الجليل بن وهبون للرسي صاحب القصيدة المعروفة عن وقعة
الزلاقة ، وأبو عيسى بن ليثون الأديب صاحب بلدة مريطر ، والرقشي الذي صور
الدمار الذي أتره السيد « التميمي طور » ببلنسية ، وابن خفاجة صاحب المخرات
الطائرة الصيت والمبدع في شعر الغزل ووصف مجالس الأنس والسرور . ولم يخل
هذا الإقليم كذلك من رجال متضلعين في فنون أدبية أخرى ، مثل أبي الحسن
على بن إسماعيل المعروف بابن سيده صاحب « المختص » للعروف .

بيد أن انتشار عقد الأندلس وتفرق أمره في دول الطوائف ، كان في ذاته
سبب ضياع أمره . لأن هذه الدويلات الصغيرة كانت على حال من الضعف
لم تستطع معها أن تثبت لمجبات النصاري الذين انتهجوا خطة تختلف عما كان
عليه المسلمون إذ ذاك ، واتجهوا إلى توحيد قوام أمام المسلمين الذين لم يتوقف

المقصودات بينهم أندا ؛ بل لقد أصبح ألفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة (٤٧٨ / ١٠٨٥) في مركز مكّن له من أن يعين بعض ملوك الطوائف على بعض ، ويتدخل في شؤون مملكة بلنسية ، وعظمت قوته واشتد خطره على المسلمين حتى خافه المتمد ودخل في ولائه وزوجه إحدى بقاته^(٢٥) . وكان الفقهاء يمتدّون أن سبب اضمحلال البلاد إنما هو انصراف أسراء الطوائف عن الدين وحدوده ، فأثّلوا — لهذا — أن تصلح الحال إذا استعانوا بالمرايطين . وعارض الأسراء في الاستعانة بهم ما استطاعوا للمعارضة ، إذ أنهم توجسوا شرا من مزاحمتهم لهم على السلطان في الأندلس ، ولسكن الغالب أن جمهور الناس ألحوا في استخدام المرايطين ، وتوجه بالفعل وقد مؤلف من قضاء بطليوس وغرناطة وقرطبة ووزير إشبيلية أبي بكر بن زيدون إلى إفريقية وقابلوا يوسف بن تاشفين واستصرخوه لنجدة الأندلس ، فأجابهم إلى ما طلبوا .

وعبر يوسف إلى إسبانيا ثلاث مرّات ، وأخذت تنمقد حوله وهو منصرف إلى الحرب في الأندلس شباك تدبيرين في وقت واحد : الأول دبره ملوك الطوائف للإيقاع به وأذاه ؛ وعقد أطراف الثاني الفقهاء ورموا من ورائه إلى إسلام الأندلس جملةً إلى يوسف بن تاشفين . واجتهد الفقهاء في ذلك ، وسعوا بأسراء الطوائف ، وتكلموا مع الأمير في خلعهم ؛ وانتهى الأمر باقتناعه برأيهم ، وعقد النية على استئزال أسراء الطوائف الأندلسيين عن عروشهم ، إذ تبين عجزهم عن مقاومة النصارى . ووجد أن جمهوراً كبيراً من الناس يؤيده في هذا العمل ، فاستصدر من الفقهاء فتوى بدم صلاحية ملوك الطوائف للحكم وضرورة عزلهم ، ولم يلبث الأندلس جميعه أن دخل في دولة المرايطين .

كان إيجاب دوزى بملوك الطوائف لا يكاد يعرف حداً ، بل بلغ به الإيجاب
 بينى عباد أصحاب ، إشييلية مبلغ الوله الشديد ، ومن ثم صور استيلاء الرابطين على
 ممالك الطوائف تصويراً حالاً السواد : فجعل هؤلاء الأفاقة متبررين أغاروا
 على البلاد وقضوا على الأزهار الحضارى العكرى الذى تمتعت به فى عصر الطوائف .
 وقد استند دوزى إلى عبارة قصد بها عهد الواحد المراكشى المؤرخ على بن يوسف
 وحده ، ولكن دوزى عثمها فجعلها تشمل الرابطين أجمعين ، وهذه العبارة هى :
 « واختلت حال أمير المسلمين [على بن يوسف بن تاشفين] رحمه الله بعد
 الحسمائة اختلافاً شديداً ، فظهرت فى بلاده مناكر كثيرة : وذلك لاستيلاء أكابر
 الرابطين على البلاد ، ودعواهم الاستبداد ، وانتهوا فى ذلك إلى التصريح ، فصار
 كل منهم يصرح أنه خير من أمير المسلمين وأحق بالبلاد منه . واستولى النساء
 على الأحوال ، وأسندت إليهن الأمور ، وصارت كل امرأة من أكابر لمثونة
 ومثوفة مشتملة على كل مفسد وشريد ، وقاطع سبيل ، وصاحب خمر وماخور ،
 وأمير المسلمين — فى ذلك كله — يتزايد تنافله ، ويقوى ضعفه ؛ وقنع باسم امرأة
 المسلمين وبما يرفع إليه من الخراج ، وعكف على العبادة والتبذل ، (فكان يقوم
 الليل ، ويصوم النهار مشتهراً عنه ذلك ، وأهل أمور الرعية غاية الإهمال) :
 فاختل عليه — لذلك — كثير من بلاد الأندلس ، وكادت تعود إلى حالها
 الأولى ، لا سيما بعد أن قامت دولة الموحدين بالسوس » (٣١) .

وقد كانت مبالغات دوزى السبب الذى دفع استاذ المستعربين الإسباني
 « فرانشيسكو قديره » إلى أن يرد عليه ويستخرج — بدقته للمهودة — العدد
 الضخم من العلماء ، وأهل الآداب ، الذين تألق نورهم فى هذه الفترة ، ويثبت بهذا
 خطأ وصف هذه الفترة بأنها فترة متبربرة (٣٢) .

وإليك نص ما يقوله دوزى عن الشر (فى هذه الفترة) : « وإن أشد

ما يصدنا في ذلك الشعر ما يسوده من روح الاستسلام الديني ، مع ما كان عليه الشعر الأندلسي من القوة والحياة قبل ذلك حين كان دنيوياً خالصاً يتحدث عن متاع الدنيا كله ، ولم تكن لتخالطه أفكار أخروية ، وكان الشعراء يتفننون بالخر والألوان اللهو دون أن يحفلوا للدين وأهله . فكان شعرهم حياً لا يعجب إلا بالنشاط والحركة ، وكان الشاعر غزوراً بموهبته ، مدركاً لخطورة شأنه ، فكان يتعرض لأخطاء الأسراء بالنقد دون خوف . وكان يستثير حرارة كل تلك الخصال التي كان العرب يرون فيها نبلاً وجمالاً . وكان الحال على العكس من ذلك في حكم على المرابطي : ففي ظل هذا الرجل التافه حلت النساء والفقهاء محل كبار الناس وأشرفهم . وكان الشعر صورة صادقة للعصر ، فانتقل من القوة وخلو البال والخفة واللهو إلى الجبن والجفاف والحزن والتدين . وكانت هذه الأزمان من السوء بحيث أخذت العيون ترتفع عن الأرض إلى السماء . كان أهل هذا الزمان يماسون ويستسلمون ، في حين كان أهل العصر الذي سبقه يغالبون المقادير ؛ وانخفضت — لهذا — الصور الشعرية الجميلة . فإذا تصدى الشعراء للصور القديمة يحاولون تقليدها لم يلبثوا أن يتخطوا في السخف والابتذال ، ولم تعد نسمع غير مدائح عقيمة لصاحب الأمر الذي كان معتبراً رمزاً للألوهية ولروح التقى المتصنع المبالغ فيه ، وصاحب هذا — جنباً إلى جنب — فساد شامل للماديات وانقلاب كامل لمنظما الاجتماعي » (٢٨) .

ونقبن مبالغة دوزي [في تشويه صورة العصر المرابطي] إذا عرفنا أن من أبناء هذا العصر ابن قزمان أجزأ شعراء الأندلس ، وحينما نرى أن ابن قزمان لم يتفرد وحده بتلك الجرأة ، بل كان له تلاميذ وأتباع عديدون . ونستطيع أن نمارض كلام دوزي بكلام أستاذي خُليان ريبيرا في مقاله عن ابن قزمان ؛ قال : « استقرت في عقول الناس [عن العصر المرابطي] صورة خيالية (أي غير

واقعية (لشعب متعصب ، عدو للفلسفة ، منصرف إلى اضطهاد الناس ؛ وذلك نتيجة لما تعود الناس أن يقرأوه من أوصاف لتاريخ هذا العصر وأحوال الدين فيه ، كتبها قهواء . ولكن هذا الشعر (أى شعر ابن قزمان) يحمل إلينا نسجاً جديداً ، فهو غريب في روحه يحمل إلينا نفحات من أجواء المجتمع العليا والدنيا . ونحن ننظر فيه بأوضح الإشارات عن هذا المجتمع الذي كان ، مدركاً لنفسه ، فخوراً بثقافته الأدبية المهذبة ، رغم تفرق أسرته وضياع وحدته . ولقد توافق على ذلك الزمان الأوج للثقافة الأدبية وأعلى درجات الانتماء للسياسي والاجتماعي . وإن تأمل أحوال الأندلس — إذ ذاك — لبوحى إلينا بكثير من الخواطر : إذ أنه من الصعب أن نجد فترة من التاريخ الإسباني تألق فيها مثل هذا العدد من عباقرة عظماء من هذا الطراز : مفكرين وشعراء وأهل أدب ورجال علم . ويصعب جداً — كذلك — أن نجد فترة تضارع هذه في التفكك السياسي ، وفي الأهمية الاجتماعية . فهذا الشعب ، الذي بلغ هذا اللبغ من الثقافة ، قد ترك قياده السياسي والدفاع عن أرضه إلى جموع من الأفارقة هم الرابطلون .

« في ذلك للمصر وصل الإسبان من أهل الجنوب »^(٢٩) (أى الأندلسيين) إلى أعلى درجات الإزهار الأدبي ، بل كان لم أدب شعبي يجري على أساليب أوروبية : كانوا يلبسون أزياء أوروبية ، ويحفلون بأعياد غير إسلامية — « كعيد يناير » و « عيد القديس يوحنا » — ويسيرون أعمال زراعتهم وغيرها مما تنس إليه حاجاتهم بمقتضى التقويم الأوروبي . ثم إنهم كانوا — كما رأينا — يتحدثون لغة أوروبية ، ويديرون أغانيهم حول مواضيع أوروبية ، ولما كانوا هم الشعب الأوروبي الوحيد الذي أزهرت عنده الفنون بشق صنوفها ، والآداب والفلسفة وغيرها إزهاراً عظيماً ، فقد أصبحوا — بهذا — المثل الذي يُحتذى ، وسوق نمرات الفكر للتصود . وحينما نهضت أوروبا نهضتها الفلسفية والفنية والعلمية والأدبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، كان الأندلسيون من أكبر شعوب

أوروبا أثرًا في الفلسفة والفلك والطب والقصاص وشعر الملاحم وما إلى ذلك . ولم
تزل الآثار المميقة التي خلفتها هذه النهضة إلا حينما ترددت في جوانب أوروبا
هتات النهضة الإغريقية» (٣٠) .

والتحليل (الملى) يؤيد ريبيرا فيما يذهب إليه . نعم إن الرفع أن شعراء
هذا العصر لم ينفقوا على غيرهم ، ولكن الواقع كذلك أن فنونا أدبية كبرى
وصلت إلى أرفع درجات تطورها خلاله . ونستطيع أن نذكر من نبغ في النقد
الأدبي أبا الفتح بن خاقان وأبا الحسن بن بتمام ، الأذين درسا شعر عصرهما وشعر
القرن الذى سبقه ، دون أن يعرضا لفتيل الشعرى الشعبى الدارج الذى يمثل ديوان
ابن قزمان وجميع الرجالين الآخرين الذين لا يحصيهم العدد . وظهرت في ميدان
التاريخ مؤلفات ابن بشكوال والضبي ، ومؤلفات أخرى كثيرة في توارخ النواحي .
ويمكننا أن نذكر من بين كُتّاب التراجم الكثيرين ابن خير . وأما الجغرافية فقد
اكتسبت نبروتها بما انضاف إليها من مؤلفات أبى حامد القراطلى والإدريسى .
وفي ميدان الفلسفة بدأ ابن باجة دراسات أرسططاليس . وبرع في الرياضيات ابن
مسعود وابن سهل الضرير وجبر بن أفلح الإشبلى . وفي ميدان الطب نبغ أبو الصلت
الدانى وابن باجة ومعاونه سفيان الأندلسى . وفي ذلك الوقت بدأ نجم ابن زهر —
أبى سروان وأبى العلا — يظهر . أما في عالم الفقه فقد ظهر ابن أبى الخصال
والقاضى عياض بن موسى . وظهر في دراسات الحديث الرشاطلى ، وفي النحو ابن
البازش وفي علوم الدين أبو بكر بن العربى تلميذ النزالى القذائع الصيت .

* * *

وكانت الأسباب السياسية والاجتماعية التي أدت إلى النزوة للوحدة شبيهة
بتلك التي سببت ذهاب دول الطوائف ، وقد قلنا في موضع آخر إن « الأندلسيين
حينما وجدوا أنفسهم حيال حكومة ضعيفة قاسدة وقوة حرية تضعفمت
وانكسرت شوكتها ، وحينما رأوا كساد تجارتهم وصناعاتهم وأحسوا أنهم فريسة

النلاء وغزوات النصارى ، أخذوا يلعنون هؤلاء المرابطين الذين كانوا قد رجوا الخلاص على أيديهم ، وبلغ بهم الأمر أن سألو سيف الدولة — آخر بني هود وحليف الإمبراطور القونسل السادس — في سنة ١١٣٥/٥٣٠ أن يتفق مع ملك قشتالة على أن يعينهم على التخلص من المرابطين ، لقاء جزية ثقيلة يؤدونها له .^(٣١)

وحوالى منتصف القرن الثاني عشر ، كان الموحدون قد أصبحوا سادة الجزء كبير من سراكش ، يقودهم محمد بن تومرت الذى تسمى بالمهدى — أى « المسيح » الذى وعد النبى محمد بظهوره^(٣٢) . وفى ذلك الحين كانت نيران الثورة على المرابطين تتأجج فى نواحي الأندلس جميعها ، وكان يقودها ابن قسى المرتضى تعينه طائفة من المتصوفة يسمون « المريرين » ، كان قد أنشأها أبو العباس بن العريف فى التيرية ، فاستنجد ابن قسى بعبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين وحصل على معاونته . ولم يلبث الموحدون أن احتلوا ما بقى فى أيدي المسلمين من الأندلس . ولم يتوقف تقدم الآداب فى أثناء ذلك كله ، بل بلغ من كثرة الشعراء الذين هنا وأما يوسف يعقوب النصور بقصائد من الشعر الفصيح أو الزجل الدارج أن أسر بالآل ينشدوه إلا اليتيم الأولين من قصائدهم . ومن ظهر فى هذا العصر أبو جعفر ابن سعيد صاحب النسيب المعروف فى حفصة الركونية ، وعبد الرحمن الشهبلى ، وأبو الحسين محمد بن جبير ، وأبو البقاء الرندى ، وابن الأبار ، وكلهم شعراء لهم مقامهم فى الشعر الأندلسى . وقام عقيل بن عطية ، وأبو العباس أحمد الشريشى بشرح مقامات الحريرى . ونبغ فى التاريخ ابن الأبار ، وفى الجغرافيا ابن جبير ، وفى الفلك البطروجى (Alpetragius)^(٣٣) ، وفى الطب بنوزهر . وبرع ابن البيطار [ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد] فى النبات ، وابن قرقل [أبو إسحاق إبراهيم] وابن الأقلش [أحمد بن محمد بن عيسى بن وكيل التجبى الزاهد] — وغيرهما كثيرون — فى علوم الشرع ، وأبو على الشلوبى وابن السيد البطليوسى فى

النحو . وكانت الفلسفة أوفر نواحي الثقافة الإسلامية حفظاً من العناية في عصر الموحدين^(٢١) . وقد غلب على هذه الفلسفة طابعان : الأول أرسطى يمثل ابن باجه وأبو بكر ابن طفيل وأبو الوليد بن رشد خاصة ، وهذا الأخير هو صاحب الفضل فيما عرفته معاهد الدرس في أوروبا النصرانية من كتابات أرسطو ، وكان — أى ابن رشد — رجلاً متديناً صرف همه إلى التوفيق بين الدين والفلسفة ؛ والثانى أفلاطونى حديث يمثله يحيى الدين بن عربى المتصوف « الحائر الجوال » الذى ترك آثاراً فى داخل العالم الإسلامى (نلاحظها عند ابن سبعين مثلاً) وخارجه (نلاحظها عند دانقى ورايموندو لوليو) . ولسكى نستوفى الكلام عن ارتفاع شأن العلوم فى الأندلس فى القرن الثانى عشر الميلادى لا بد لنا من الإلمام بذكر يحيى (يهودا) بن ليفى الذى انتفع بالفلسفة فى تفهم العقيدة الموسوية وشرح أصولها ، وموسى بن ميمون الذى اجتهد فى أن يؤدى للدين اليهودى مثل ما أداه ابن رشد للإسلام فيما يختص بعلاقتهما بالفلسفة . ولنذكر كذلك أن مؤلفات مفكرى المسلمين كانت تترجم إلى اللاتينية إذ ذاك فى طليطلة ، وكان هذا هو الطريق الذى انتقلت عن سبيله علوم اليونان وثروتها الفكرية إلى مدارس الغرب . وقد استمر هذا التأثير الإسلامى حياً فعلاً حتى عصر ألقونسو الماشر ، الذى يدين للثقافة الإسلامية بالشئ الكثير .

ومن منتصف القرن الثانى عشر الميلادى انكشفت دولة الإسلام فى الجزيرة واقصررت على مملكة غرناطة ، وكان استغلاب النصارى للجانب الأكبر من الأندلس الإسلامى قد دفع علماءه — بصورة عامة — إلى الهجرة إلى مراكش وبلاد المشرق ، حيث استقروا ومضوا ينشرون علومهم ، وطار صيتهم . وهكذا رد الأندلس إلى المشرق ما أسلف إليه فى الأعصر الحالية .

ظل مستوى الثقافة رفيعاً فى مملكة غرناطة حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، فماش فى بلادها شعراء من طراز ابن سعيد المغربى ، وأثير الدين أبى

حيان ، ولسان الدين بن الخطيب يسترجعون ذكريات الأزمن الزاهرة الخوالى
ويعيدون إلى نفوسنا ذكراها . ونبلغ فيها مؤرخون كابن الخطيب وابن خلدون ،
ورحالةون كالعبدري [رزين بن معاوية] وابن رُشيد [أبى عبد الله محمد بن عمر] ،
ورياضيون كابن البناء [أبى السباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي] الذى لازال
كتابه « التلخيص فى أعمال الحساب » متدارساً فى جامعة فاس إلى اليوم ،
أو كارقوطى [أبى بكر محمد بن أحمد] الذى قيس ألقونسو الحكيم من معارفه
الشيء الكثير . وظهر فيها نحويون مثل أنير الدين أبى حيان ، الذى هجر إلى
للشرق وأقام فيه بقية حياته ينشر علومه : فقد كان إلى جانب نبوغه فى النحو
متحققاً بطائفة كبيرة من علوم الإسلام . وتجلى فى غرناطة كذلك علماء فى الشرع
مثل محمد بن أحمد بن حرب وأبى بكر محمد بن عاصم ، الذى لازال كتابه
« التحفة » متدارساً متداولاً فى فاس إلى اليوم كذلك . وظهر فيها محدثون مثل
ابن سيد الناس وعمر بن نور الدين الأنصارى الذى انتقل إلى القاهرة وصار
أستاذاً بها . هؤلاء جميعاً كانوا أعلاماً على قوة الحيوية التى كانت تتوفى فى كيان
الثقافة الأندلسية الإسلامية ، فقد استطاعت هذه الآداب البقاء رغم قلة ما كانت
تستطيع دويلة غرناطة الصغيرة أن تهيبه لها ولأصحابها من ظروف ملائمة للاندعاش ،
بسبب ما كانت فيه من كفاح دائم مع النصارى .

وبعد سقوط غرناطة ، يتجلى لنا شقاء اللوريسكيين الاجتماعى فيما خلقوه لنا
من أدب قليل فقير ، لا يحمل من العربية إلا أحرف جهائها : إذ أنهم جهلوا العربية ،
ولم يعودوا يعرفون غير الإسبانية ، فسكتبوا بها ما عنّ لهم تدوينه ، وسجلوه
بحروف عربية ؛ وهذا ما يعرف بالأدب الغمبىدى أى المستعجى . ومعظم ما لدينا
من هذا الأدب مؤلفات دينية ، وكتب خرافات ، وكتب فى الشرع ؛ ولم يخل هذا
الأدب من شعر مثل « فصيدة يوسف » و « تاريخ نسب الرسول » ، ولكن
أم عناصره كانت الأساطير والقصص ، مترجمة أو مقتبسة من أصول عربية .

وكان هذا من غير شك هو السبيل الذي انتقلت به إلى إسبانيا النصرانية ثروة
تصصية شرقيه كبرى ، نرى أوضح نماذجها في قصص ألف ليلة .

وقد بلغ من صدق الأدب الإسباني العربي الباهر أن تأثيره لم يقف عند
الحدود السياسية لدولة الإسلام في الأندلس ، ولهذا لم يقتصر على المسلمين وحدهم ، بل
كان له أثر بعيد عند المستعربين واليهود . فلم تسكد أسس الدراسات التلمودية
تستقر في الأندلس — بفضل ذلك الجهد الوافر الذي بذله حسداى بن شبروط
(٣٣٤ / ٩٤٥ — ٣٦٠ / ٩٧٠) — حتى أخذ الشعر العبري الحديث يظهر
إلى الوجود ويفصح عن نفسه مقلداً لنماذج من الشعر العربي ، وحتى نجد أوائل كتب
الدحو العبري الرئيسية تظهر مكتوبة بالعربية (كما نجد في مؤلفات أبي زكريا
حيوج) ، ونجد كذلك ابن جبيرول ، أول فيلسوف يهودى ، يؤلف كتابه المسمى
« بنوع الحياة » بالعربية ويقتبس مادته عن أصل عربى ، بل إننا نجد أنه كان
يقلد شعراء العرب فيما نظم من الشعر . ويُلَفَّه العرب كذلك كتب بجميا بن فاقوذا
رسائله في الأخلاق والتصوف المسماة « الهداية إلى فرائض القلوب » . وبها ألف
أبو عمر يوسف بن صديق ، وكتب يهودا هاليثى كتابه المسمى « الخزرى » ،
واستعملها إبراهيم بن داود الطلملى ، وإبراهيم بن عنبر^(٣٥) ، وموسى بن ميون ؛
بل إن الأفكار التي تدور حولها كتابات هؤلاء كلها عربية . وظل اليهود —
بعد زوال سلطان العرب عن البلاد بزمان طويل — يتقارسون الكتب العربية ،
ويترجمونها إلى العبرية في همة يتجلى فيها إعزازهم العميق لها ، فاستطاعوا بذلك
الجهد أن يحفظوا لنا في أحيان كثيرة بقرجات عبرية للكثير مما ضاعت أصوله
من آثار الأندلسيين . بل إن أسراً يهودية — كبنى طيبون الوثنيين (نسبة إلى
لونل Lunel ، بلدة بجنوى فرنسا) — كرست جهودها كلها لذلك العمل
الحمود ، ألا وهو إذاعة الكتب العربية بين الناس .

وكان للأدب العربي الأندلسي في النصراني نفس الأثر الذي كان له في اليهود ، إذ كان أولئك النصراني خيرانا للمسلمين الأندلسيين ربطتهم بهم الأسباب المتصلة زمانا بعد زمان ، ولم تقتصر علاقاتهما على الحرب بل قامت بينهما صلات سلمية أيضاً . وعن طريق هذه العلاقات عرف نصارى الشمال ما كان للمسلمين في الجنوب من نظم سياسية وإدارية ودينية وتجارية ، وتنبهوا إلى قدرها ، وكان من الطبيعي أن يميلوا إلى النسيج على منوالها . وعند ما كتب للنصارى التوفيق في حربهم الطويلة مع المسلمين — التي يسميها كتابهم بحرب الاسترداد La Reconquista — وتمكنوا من احتلال طليطلة عام ١٠٨٥/٤٧٨ وتقرير مصير الجزيرة بذلك ، أخذ ملوك قشتالة يعملون على رفع مستوى الثقافة بين شعبهم ، بنقل كنوز الثقافة الإسلامية إلى لغاتهم ؛ ومن ثم ظهرت في طليطلة « مدرسة المترجمين » المشهورة ، التي نقلت العلوم الإغريقية وما أضافه العرب إليها من شروح وتعليقات إلى المدارس الأوروبية . وقد كان دافع النصراني إلى تدارس كتب العرب في بعض الأحيان هو الدفاع عن النصرانية ، أي الرغبة في تعرف آراء خصومهم من المسلمين لكي يستطيعوا مجادلتها وإظهار فضل عقيدتهم عليها . ومن هذا الطريق من النصراني — الذين اهتموا بدراسة لغة العرب وعلومهم — راييموندو مارنين ، ورايموندو لوليو ، والقديس بيدرو بشكوال ، وغيرهم كثيرون من المتصدين لزيادة عن المسيحية من كتاب الإسبان . وفي أحيان أخرى ، نجد أثر العرب عند كتاب النصراني أعمق وأوسع مدى : فنجد في كتاباتهم طابع الفكر العربي وروحه ، دون أن نستطيع أن نتعرف أسلوبهم في المحاكاة على نحو واضح ملموس . ومن هذا الطراز دانتي البجيري الذي انتفع استفاداً عظيماً بالأساطير الإسلامية المتعلقة بقيام الساعة وأوصاف الدار الأخرى في إنشاء الكوميديا الإلهية الخالدة .

وبلغ الاهتمام بدراسة علوم العرب — من فلك ورياضيات وطب — أوجه

في إسبانيا النصرانية في عهد ألفونسو العاشر ، فترجوا « القرآن » و « النملود » و « القَبالة » ، وتداولت أيديهم كتباً عربية في الحكم والألغاز نقل أصحابها فيها حشداً من آراء فلاسفة العرب ومفكرهم ، (كما نجد في كتابي بونيوم وبوريدات) . ونقلت عن العربية كتب في الألعاب — كالشطرنج — واستعمات الموسيقى الأندلسية في صياغة الأغاني الإسبانية المعروفة بالكَنَفِيجات ، وذاعت بينهم ترجمات لكتب عربية مشرقية في الحكمة (مثل كليلة ودمنة) ، والقصص (مثل السندباد) عرفها الناس عن طريق صورها العربية ، وأنشئت مدرسة للدراسات العليا في سرسية ثم أخرى في إشبيلية ، واجتمع في هاتين المدرستين أعلام العلماء من المسلمين والنصارى واليهود ؛ وكان يشرف على هذا العمل الضخم ذلك الملك الذي استحق من التاريخ لقب « السائيو » ، أى العالم .

وانتشرت الأساطير والقصص الشرقية على مجل : فتجد إلى جانب « ألف

ليلة وليلة » و « السندباد » كتاب « سلوك رجال الدين » *Disciplina Clericalis* لبيدرو ألفونسو Pedro Alfonso ، وصوراً مختلفة لقصة بوذا (نجد نموذجاً منها في برلام و بوسافات) ، وكلها انتشرت وذاعت في أوروبا عن طريق ترجماتها العربية . وإن أسماء مثل خَوَان مَانُوِيل ، و (رايغوندو) لوليو ، وتورميديا ، للشهد بأجل بيان على ما ساهم به العرب في تكوين القصص الإسباني . ويكاد يكون من الحق أن مجموعة حكايات ألف ليلة وليلة العربية قد أخذت سبيلها إلى الغرب عن طريق إسبانيا ، بدليل ما كان متداولاً منها بين مسلمي الأندلس ، وما أخذه نصاراهم عنهم منها . وكانت هناك كذلك قصص عربية فياضة بالحياة كقصة « حى بن يقظان » لابن طفيل ، التي تعتبر نموذجاً للقصة الفلسفية ، وكانفصول الأولى من كتاب « الكريتيكون » لباتازار جرائان .

ومن الثابت أن المسلمين الأندلسيين تداولوا قصصاً ذا طابع غنائى ضاع كله ، فكانت لم أغنيات وأساطير لها أثر ملحوظ في نشأة شعر اللام الإسباني

والفرنسي ، بدليل ما نجد من شواهد على وجود ذلك القصص الأندلسي في بعض كتب التاريخ العربية ككتاب « افتتاح الأندلس » لابن القوطية . وقد كشف ريبيرا هذا القصص وانتهى إلى هذه الحقائق كلها ، وأذاعها .

وكذلك صيغت كل الأشعار الغنائية — التي نجدها في اللغات الرومانية في العصور الوسطى — في أوزان وبمحور مشتقة من أوزان فن شعري ابتكره الأندلسي مُقَدِّم القَبْرِ في القرن المائث لليلادي ، وهو فن الزجل والموشحة الذي انتقل مع الموسيقى الأندلسية ذات الأصل الشرقي إلى فرنسا وإنجلترا وألمانيا ، وطال بقاؤه في إسبانيا بعد انقضاء عصور المسلمين حتى لتجد نماذج منه في مطالع القرن السابع عشر (٣٦) .

الفصل الثانى

المختصر

الشعر فى الجاهلية — الخصائص العامة للشعر الأندلسى

ظهرت خلال الفترة التى انقضت بين صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٣٨ وإعداد هذه الطبعة الثانية ، دراسات قيمة مشرقة عن الشعر الأندلسى . فقد نشر غرسية غومس — حين كان أستاذاً بجامعة غرناطة — كتابه المسمى « قصائد عربية أندلسية Poemas Árábigo-Andaluces » (*) فأعطانا صورة نشوق النفس عن نواحي الجمال الأدبى التى يضمها هذا الشعر . ثم أخرج للناس عام ١٩٤٠ كتيبته المسمى « قصائد الأندلس Qasidas de Andalucía » ترجم فيه إلى شعر إسبانى رصين أطرافاً من أشعار ابن زيدون وابن عمار والمعتد بن عباد صاحب إشبيلية . ثم نشر أبحاثاً متفرقة عن نواح مختلفة من الأدب الأندلسى من بينها ترجمته الهديمة « رسالة » الشقندى فى فضل الأندلس بعنوان :

Elogio del Islam Espanol por el Secundi

وفى عام ١٩٤٠ أخرج الطبعة الثانية من كتابه « قصائد عربية أندلسية » منقحة معدلة . وبعد ذلك بعامين ، أى فى ١٩٤٢ ، نشر « كتاب رايات للميزين وشارات الميزين » لابن سعيد للفريق مع ترجمة إسبانية كاملة وتعليقات ضافية بعنوان :

El Libro de las Banderas de los Campeones

وهذا الكتاب مجموع من أشعار أهل الأندلس ، استعمله غرسية غومس كأساس

(*) نقلنا هذا الكتاب إلى العربية ونشرناه بعنوان « الشعر الأندلسى » —

لكتابته « القصائد » ، ثم نشر نصه كاملاً بعد ذلك . وعندما انتخب عضواً في « المجمع الملكي الإسباني للتاريخ » في سنة ١٩٤٣ ، ألقى في حفل استقبله بحثاً ضافياً عن ابن زمرك ، آخر شاعر فحل أطلعه الأندلس .

ومن الكتب الجليلة التي ظهرت في هذا الميدان مؤلف هنري پيرس أستاذ جامعة الجزائر المعروف : « الشعر الأندلسي القصص في القرن الحادي عشر ، خصائصه العامة وقيمه التاريخية » :

Henri Pérès: La Poesie Andalouse en Arabe Classique au XI Siècle. Ses Aspects Gènéraux et sa Valeur Documentaire (Paris, 1937)

درس فيه حشداً عظيماً من أشعار الأندلسيين وبربها بحسب موضوعاتها ، وجعلها في متناول الباحثين .

وقد رأيت أن أعيد كتابة هذا الباب الثاني من كتابي حتى أضمنه نتائج هذه الدراسات الجديدة ، فحذفت معظم ما كنت أوردته في الطبعة الأولى من النصوص ، واستبدلت بها أخرى أوردتها بترجمة غرسية غومس . وإني لأتهز هذه الفرصة لأعرب لصديقي وزميلتي العزيز عن أصدق شكرى على ما تفضل به من الإذن لي في الاقتباس من كتبه ، وإن القراء ليشكروني في إزجاء هذا الشكر .

ف ٢ — الشعر في الجاهلية :

أخذ الشعراء في الأندلس الإسلامى قصائد العرب الجاهليين نماذج ينظمون على منوالها ، كما حدث في غير الأندلس من بلاد الإسلام . وقد كانت محاكاة هذا الشعر الجاهلي ميسورة ، أما الإتيان بأحسن منه في بابها فقد كان عسيراً .

وكانت قصائد الجاهليين تُنقل أول الأمر عن طريق الرواية الشفهية ، وكان أول من دونها حماد الراوية في القرن المجري الثاني ، إذ دون سبعاً من غرر الشعر الجاهلي سميت « الملقات » ، وأصحابها هم : امرؤ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ،

والنابغة الذبياني ، وأعشى قيس ، ولييد بن أبي ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة ابن العبد . ويجمع قتاد الأدب جميعاً على هذه المملقات السبع ، ويحمل بعضهم مملقتي الحارث بن حلزة وعنترة مكان مملقتي النابغة والأعشى .

وقد وضع بعض كتاب الصور المتأخرة حكاية جعلوها أصلاً للفظ « مملقة » — ومن هؤلاء السيوطي (١٤٤٥ / ٨٤٩ — ١٥٠٥ / ٩١١) — ذهبوا فيها إلى أن معنى اللفظ : « القصائد المملقة » ، وقالوا إن تنافس الشعراء في إنشاد قصائدهم في سوق عكاظ هو الأصل في ظهور هذه المملقات ، فكان الناس إذا أقرؤا فضل قصيدة علقوها في عكاظ أو في الكعبة . وليس لدينا عن منافسات الشعراء هذه إلا فكرة غير واضحة ، وذهبوا كذلك إلى أن هذه القصائد إنما ظهرت في مكة (لا في عكاظ) . وزعموا أنه كان على الشعراء — قبل الإسلام — أن يعرضوا ثمار قرائنهم على رجال قريش ليقتضوا قضاءهم فيها ، فكان أولئك القضاة إذا أجبتههم قصيدة أذنوا لصاحبها في أن يملقها في الكعبة تشريفاً له ، كما كان الإغريق يتوجون رأس الشاعر السابق بإكليل من الفار^(١) ، وتضيف هذه الأسطورة أن لبيدا — حينما اعتنق الإسلام — نزع مملقته من الكعبة ومزقها إرباً .

أما أبو زيد محمد بن علي الكرخي النحوي فقد اختار طائفة من عيون القصائد وجعلها سبع طبقات ، أولها المملقات ، وسمى رابعتها « المذهبات » . ثم اختلطت هاتان الطبقتان إحداهما بالأخرى ، ومن هنا قد قرر بصورة قاطعة أن « هذه المملقات كانت مدونة بحروف من ذهب على قطعة من فاخر النسيج علفت على أشتار السكبة » .

وقال محمد بن أبي الخطاب القرشي في كتابه المسمى « بجمهرة أشعار العرب » في سياق كلامه عن أصحاب المملقات : « والقول عندنا ما قال أبو عبيدة : اسرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولييد وعمرو وطرفة . وقال الفضل : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب « السموط » ، فن قال إن السبع لتبرم فقد

خالف ما أجمع عليه أهل العلم والعرفة (*) ، فأسقط الفضل من أصحاب المملقات عنزة والحارث بن حازم وأثبت الأعشى والناظية .

وكانت المملقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : مذهبة فلان ، إذا كانت أجود شعره ؛ ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل بل « كان الملك إذا استجيدت قصيدة يقول : « علقوا لنا هذه » ، لتكون في خزائنه » (٢) .

بيد أن عدم ورود هذه الأخبار عند أوائل المؤرخين والشرائح (كالأزرق صاحب « تاريخ مكة » وابن هشام صاحب « سيرة النبي » ، وقد سجل لنا فيها كل ما كان في الكعبة تسجيلًا دقيقًا) ، وورودها أول مرة في إشارة لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبي جعفر من أهل مصر ، المتوفى في منتصف القرن الرابع الهجري (٣) ، يذهب فيها إلى أن تلك الأخبار حكايات موضوعة لا أساس لها من الصحة ، ثم ظهورها بعد ذلك في عصور متأخرة كعصرى ابن خلدون (٧٢٢/١٣٣٢ — ٨٠٩/١٤٠٦) والسيوطي (٨٤٩/١٤٤٥ — ٩١١/١٥٠٥) — كل أولئك حجج دامنة نحدونا إلى رفضها . هذا وقد أثبت بوكوك Pococke

ورايشكه Reiske ، ودي ماسي Sylvestre de Sacy بطلانها بدهان ظاهر الوجاهة : هو ندرة استعمال الكتابة بين العرب حتى على عهد الرسول . وإذا كان القرآن نفسه لم يدون إلا على قطع من الجلد وبمضب النخل والججارة للنساء ، فإنه لمن المستبعد أن تكون القصائد الوثنية قد دونت على نسيج فاخر بحروف من ذهب .

والحقيقة أن لفظ « معلقة » يعنى معلقة فسلًا ، ولكنه يعنى كذلك « عقداً » .

(*) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : كتاب « جهرة أشعار العرب » ، ص ٣٤

— ٣٥ : الطبعة الأولى ، بولاق ١٣٠٨ هـ .

(٢) حلال الدين السيوطي : « كتاب اللزهر في علوم النبوة وأنواعها » ، القاهرة

١٢٨٣ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٣) انظر عنه « معجم الأدباء » لياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٧٤ — ٢٣٠ ، طبعة مريد رفاعي .

وقد استعمله الزمخشري بهذا المعنى عنواناً لمجموع من مختاراته الشعرية ، ويؤيد ذلك أن حماداً الراوية جمع مختاراً من القصائد وجعله في كتاب سماه « الأسماط » أى « المقود » ، مما يجعلنا قطعاً بأن المعنى الحقيقي للفظ الملققات هو المقود .

تصور قصائد الجاهليين حياة عصرهم بخيرها وشرها ، وذلك أمر طبيعي . ولقد أخذ الشعراء بتصويب فيما وقع بين قبائلهم من خصومات وحروب لا آخر لها ، تدور كلها حول التباد عن شرف القبيلة والاتصاف لها إذا مس اسمها ما يشين ، أو قتل من أفرادها أحد . وقد برز الشاعر عنزة في الحروب التي ثارت بين قبيلتي هبس وذبيان . أما امرؤ القيس الكندي فقد جَوَّب في آفاق جزيرة العرب كلها طالها أهدامه بثار أبيه القتل ، وبلغ به الأمر أن قصد القسطنطينية راجياً الحصول على العون من إمبراطورها ، فمات في عودته منها عند أظرة . وحلف الشنفرى ليقتل مائة رجل من هبس ثاراً لصهره . وقضى عمرو بن هند ملك الحيرة أن يدفن طرفه وخاله المتكس حين عتاباً لما حل ما قالا فيه . وسفك عمرو بن كلثوم دم هذا الملك في سورة غضب لأن أم ابن هند أهانت أمه .

ولى مقابلة هذه الخصلة الرعناء ، نجد العربي يمتاز بكرم ذهب مضرب الأمثال عند أهل الغرب . وقد جبل العربي على ذلك الندى بسبب ما يسود الصحراء من مخاوف . ومن مآثر ذلك الكرم العربي التي نضربها مثلاً ما ينسب إلى « ترار الفققيسي » الذي يروى له أبو تمام في « الجملة » أحياناً يقول فيها :

آليتُ لا أخفى إذا الليلُ جَنَى	سنا النارِ من سارٍ ولا مقتورٍ
فيا موقدى نارى ارضاهما لعلها	تضى لسارٍ آخرَ الليلِ مُقْتَرٍ
وماذا علينا أن يواجة نارنا	كريمُ الحيتا شاحبُ المتحسرِ
إذا قال : « من أتم ؟ » ليعرف أهلها	دَقَمْتُ له باسمي ولم أنفكر
فبتنا بخير من كرامة ضيفنا	وبتنا نهْيَ طُعمه غيرِ ميسرٍ ^(٢)

ومنها ما يروى عن حاتم طي ، الذي طلق زوجه لأنها كانت دأمة الخوف

من أن يحرقه الخراب عليهما . ويقول ابن قتيبة في كتاب « الشعر والشعراء » :
 أنه « حدث -- بعد وفاة حاتم -- أن رجلاً يعرف بأبي خيبري مربي حاتم ،
 فنزل به ومات يناديه : يا أبا عدى . أقر أضيافك ! فلما كان في السحر وثب أبو
 خيبري يصيح : وارا حلتاه ! فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ فقال : خرج حاتم
 والله بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر إليه ؛ فنظروا إلى راحلته فإذا هي لا تنبث ،
 فقالوا : قد والله قراك ! فنحروها وظلوا يأكلون من لحما ، ثم أردفوه وانطلقوا .
 فبينما هم كذلك في مسيرهم طلع عليهم عدو بن حاتم ومعه جمل أسود قد قرنه
 ببعيره ، فقال : إن حاتمًا جاء في المنام فذكر لي شئك إياه وأنه قراك وأصحابك
 راحلتك ، وقد قال في ذلك أبيانا ورددها على حتى حفظتها :

أبا خيبري وأنت امرؤ حشود الشيرة لوامها
 فإذا أردت إلى رمة بداوية صخب هامها
 تبني أذاها وإعسارها وحولك عوف وأنعامها
 وأسرني بدفع جل مكانها إليك ، فخذ « ، فأخذه (*) .

وكان امرؤ القيس قبل توجهه إلى القسطنطينية قد استودع السموأل عادية :
 خمسة دروع فاخرة من الزرد ؛ فلما مات امرؤ القيس أقبل أعداؤه يطلبون إلى
 السموأل أن يسلمهم الدروع ، وهددوه بأن يقتلوا ابنه إذا هو لم يسلمها ، فأبى أن
 يفعل رغم إلحاح أسرائته ، مفضلاً فقد ابنه على أن يخون الأمانة .

وكان القنفي بالشجاعة من أحب المواضع إلى الشعراء والعرب عامة ، وإليك
 مثال من شعر عنقرة :

وحليل غانيرة تركتُ مُجْدَلًا تمكُّو فريصته كشدق الأعم

(*) أخذ المؤلف كلامه هنا عن :

René Basset : La Poésie Arabe Anté-islamique (Paris, 1890) p. 23 sqq.

وانظر : « كتاب الشعر والشعراء » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . طبعة دى خويه ،

لايدن ١٩٠٤ ، ص ١٢٩ -- ١٣٠ .

سبقت يداى له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلور القندم
 هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
 [إذ لا أزال على رحالة ساجح نهدي تعاوره السكاة مكم
 طوراً يجرّد النطاس وتارة يأوى إلى حصدي القيسى عمرهم]^(٣)

ويقول غرسية غومس : « إن القصيدة الجاهلية كانت تتألف من ثلاثة أقسام : مدخل غزلي يسمى « النسيب » ، ووصف رحلة الشاعر خلال الصحراء ، ويسمى « الرحيل » ، ثم مدح الشخص الذي تقال فيه القصيدة ، ويسمى « المديح » .

وكان وصف الأسفار المخوفة بالخطاطر من المواضيع الطروقة الشائعة في قصائد الجاهليين ؛ وكذلك وصف العواصف ، والخيل ، والجمال ، والغزلان ، وبعض أنواع السلاح ، وما إلى ذلك .

ولم يحل الله الشعر في طبع محمد (صلم) ، وإن كان قد وُهب بلاغة فياضة وأسلوباً أدبياً رائعاً . وفي القرآن آيات تغض من قدر الشعر والشعراء ، كقوله (تعالى) : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » ؛ ولكن محمداً أجاز قول الشعر واستمع إليه ، لأنه رأى فيه وسيلة لتقويم اللسان وتعلم البيان . وجعل شعراء المسلمين يدفعون بشعرهم ما عسى أن يوجهه شعراء خصوم الإسلام إليه من النقد والهجاء . ويقول ابن قتيبة — موجزاً — إنه بعد أن جاء الإسلام تغير الروح والعادات والحضارة والدين ، واختلقت عما كان الحال عليه في الجاهلية ؛ ومع هذا فقد احتفظ الشعر بنفس قواعده ، وظل خاضعاً لقواعد لا يمكنه التكسك منها ... فكان على الشاعر الذي ينظم قصيدة — اتباعاً للقواعد القديمة — أن يبدأ بذكر المنازل التي ظمن عنها أهلها ، ثم يتحسر ، ويرجو أصحابه الوقوف معه ، بينما يمضي هو مع ذكريات من رحلوا عن هذه الديار إلى منازل أخرى ومياه أخرى ، ثم يدخل بعد ذلك في قسم النسيب من قصيدته : فشكو آلام الهوى . وهكذا

يستلقت الاهتمام نحو شخصه ، ثم يصف رحلاته المجهدة القياضة بالتعب في ربوع الصحراء ، ثم يتحدث عن تحول دابته من طول السرى ، ويمتدحها ، ويطنب في وصفها . ثم يحتم بمدح الأمير أو الحاكم القى ينشده قصيدته ، حتى يفوز منه بما يسمح به جوده ^(١) .

واستمر ذلك التقليد للطلق على رغم سخرية نفر من نقاد الأدب منه — ومن أولئك خلف الأحمر — مضوا يأخذون على شعراء بغداد والبصرة ودمشق انصرافهم إلى ذكر محاسن الجبال بينما لم تقب عن أبصارهم مآذن الدائن التي كانوا ولدوا فيها ، أو تغنيهم بذكر الآبار وحيوت النساء وبين أيديهم الأنهار ومجارى المياه ، أو سكوتهم عن محاسن الرياض الخضراء يزينها الورد والزرجس والآس ، لجرد أن العرب لم يعرفوا هذه الأشياء . وهذا هو الذى جعل ابن بسام يقول في شأن الأندلسيين : « ... وقد تجت الأسماع « يادار مية بالعلياء فالسند » ، وملت الطباع « غلوة أطلال بيرة تهدي » ، وتحت « قفا نبتك » في يد المتاملين ، ورجعت على ابن حنبل بلائمة المتكلمين ؛ فأما « أمن أم أوفى » فعل آثار من ذهب الفنا . أما أن أن يقم صداها ، ويسام مداها ؟ وكمن نكتة أغفلتها الخطباء ، ورب متروك غادرته الشعراء ، والإحسان غير محصور ، وليس الفضل على زمن بمقصود ، وعزير على الفضل أن ينكر ، تقدم به الزمان أو تأخر ، ولحق الله قولم : الفضل المتقدم ! فكم دفن من إحسان ، وأخل من فلان . ولو اقتصر المتأخرون على كتب للتقدمين لضاع علم كثير ، وذهب أدب عزيز ^(٢) .

ثم إن الشعر العربى — كما يقول ريبيرا — أصبح « وسيلة قوية من وسائل تمثيل الشعوب في كيان الأمة العربية ، ومصدراً من مصادر قوتها : استعمله العرب أشد عزائم الجنود في ميادين القتال ، وفي بث الحمية في قلوب الجماهير بذكر الوقائع الحربية في أشعار كان القصاص يرددونها في الطرقات والميادين والشوارع . وكان ذلك يثير إعجاب الجمهور » ^(٣) .

ف ٣ - الشعر العربي بعد الإسلام :

على الرغم من التغيير الكامل الذى شمل حياة العرب بعد الإسلام . ظل الشعر العربى خاصاً لقيود لم تتغير ، وفى ذلك يقول غرسية غومس : « وأبعد فقد الشعر علة وجوده الأولى عندما انتقل القلب النابض الإسلام من جزيرة العرب إلى دمشق القريبة من الصحراء ، وبعد أن غادر الشعر العربى هذه الأخيرة إلى بغداد ليستمر وتهدأ روحه فيها ، إذ طغت عليه العناصر الأسوية . وتأكد ذلك عندما انتقلت الخلافة من أيدي الأمويين - ذؤابة الشرف البدوى القديم ، الذين كان حب البداوة يعمر قلوبهم - إلى العباسيين الذين لبسوا ثياب المستبدين من عواهل الشرق القديم . هنالك احتبس فى الخلق ذلك الصوت الجهور العميق الذى كان يصدر عن قلب الطبيعة النابض ، وحُرم الشاعر من اللذة التى كان يمجدها فى وصف الجبل وشيائه ، وتصوير شجيرات الخزامى والبحار والعرار النابتة بين كتيبان الرمال ، أو فى تصوير الوقائع الدامية التى كانت تثور بين البدو بعضهم وبعض ، ولم يعد يستطيع الحديث فى حرية وانطلاق عما كان يعانى فى صحرائه من مشاق وجوع . ولم يعد الشاعر كذلك لسان القبيلة السيامى ، المتحدث بمخاخرها ، للهاجم لخصومها ، للنادى بطلب ثأرها ، وإنما أصبح مداحاً مأجوراً أو هاجماً مثيراً لامداوات والأحقاد . ولم تعد حبيبته تلك البدوية الحرة الباردة الجمال ، على الرغم مما كان يشوب حسناتها من سذاجة وبداوة ، لأنها حُببت عن الناس والنور خلف جدران الحرم اتمزف على عودها فى عزلة عن الحياة ، وعاشت فى جو متقل مظلم .

ثم إن الشاعر لم يعد يعيش فى جو الصحراء لرحب الطلق تحت أشعة الشمس الصاحية ، وإنما أصبح يقتل فى أزقة المدن بين المكتبات والقصور ومجالس الأنس والأدب واللهو ، حيث يلتبس إعجاب فتية مترفين أقسدم نعيم الحضارة . وكان بعضهم ينشد الناس شعره على هيئة شاذة تيمث على العجب ، كهذا الشاعر الموصلى

الذى حدثنا الشافعى أنه « دخل على بعض الولاة وقد طين وجهه بطين أحمر ولبس لباداً أحمر وعمامة حمراء وأمسك عكازاً أحمر ولبس فى رجله خفين أحمرين » (*) . وكان لابد للشعر من أن يتطور فى الظروف الجديدة ، وناثرت الخوصوة بين القدامى والمحدثين . وفيما بين أواخر القرن الثامن وأوائل العاشر طرقت شعراء من طبقة بشار بن برد وأبى القتية وأبى نواس وابن المعتز ونفر كثير غيرهم موضوعات جديدة « ما سمت قط بخاطر جاهلى ولا مخضرم ولا إسلامى » (٢) . وجاء بعدهم جيل جديد — كابن بكر بن أحمد الصنوبرى وأبى عبد الله بن الحسين بن أحمد بن الحجاج — أبدعوا وأغروا فى اختيار الموضوعات ، فحدثوا فى شعرهم عن أزهار الرياض والبساتين وبرك الماء والأسماك والتلج والفراميات المسورة أو للبتلة ومجالس الشراب والجوارى الفلاميات . وأغرب بعضهم فى اختيار الموضوعات حتى قال بعضهم المرائى فى التقطع (٣) . وانصرفت هم الشعراء إلى البحث عن كل غريب مسرف فى القرابة ، وطلب كل ما هو متصنع ظاهر الابتكار ، كقول أحد الخالدين :

ومدامة صفراء فى قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء

فالراح شمس والحياب كواكب والكف قلب والإناء سماء (٤)

وكان الشعراء يتنافسون فى أن يحشدوا فى أشعارهم أكبر قدر من المعانى . وعلى الرغم من أن هذا التطور مس روح الشعر بصفة خاصة دون ظاهره —

(*) « كتاب الديارات » للشافعى ، ص ٨٦ ب .

(٢) « الصدة » لابن رشتى ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٣) الإشارة هنا إلى ما فعله ابن علاف للتوفى ٣١٨/٩٣٠ ، وقد ذكر ذلك العميرى فى « حياة الحيوان » ، ج ٢ ، ص ٣٢١ . انظر إشارة آدم ميتر إلى ذلك وتعليقه عليه . انظر الترجمة العربية لكتاب « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع » ، ترجمة الدكتور عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٤٠ ، ج ١ ، ص ٤٢١ — ٤٢٢ .

(٤) « بنية الدهر » لقتالى ، ج ١ ، ص ٥١٩ . والخالدين هما أبو بكر محمد وأبو عثمان سميد ، ابنا هاشم . انظر « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع » ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

فبقيت الأبحر والأوزان القديمة على حالها لم تمس ، وبقيت القوالب العامة الممقدة دون تغيير — إلا أن هذا التطور أسفر عن ظهور التجربات الخالصة ومقطعات النسيب القصيرة أو قصائد التأملات وشعر الحكمة ، وأخذت القصيدة تتحول إلى قطعة وصفية .

يبد أن المحدثين لم يوفقوا إلى إدراك الشعر الكامل الذي سموا إليه . إذ أن للقديم سلطاناً عظيماً على نفوس العرب خاصة ، ومن ثم كان للتراث الشعري القديم قيمة كبرى في تاريخ الآداب العربية ، والقصيدة (*) منها بصورة خاصة ، ذلك أنه « ديوان العرب » الذي تتبين به الأصول القديمة وتُعرف الأنساب ، بل أوصاف الطرق والجالات النابذة ، وما كان لها من خصائص جغرافية وما كان ينبت فيها من نبات . وكان الناس جميعاً يحفظون هذا الشعر القديم ، وكان النحويون ينظرون إليه في إجلال عميق بالغ ، وينسجون حوله الحكايات ويمارضون قصائده وأبياته في مهارة ظاهرة .

وفي أثناء القرن العاشر الميلادي ظهرت حركة قصدت إلى إحياء الشعر القديم وتجديده نستطيع أن نسميها « حركة القديم المحدث » Neoclásica (ترجمتها أبو تمام والبحراني والمري) . أما الذي وصل بهذه الحركة إلى أوجها فهو أعظم شاعر أطلعت عليه العربية بعد الإسلام ، وهو أبو الطيب المتنبي (٢٩٣/٩٠٥ — ٣٥٥/٩٦٥) . كانت تعمر نفس المتنبي روح متوثبة تفيض حمية ، وربما حامت حول صدق إيمانه الشكوك . وكان فخوراً بنفسه عظيم الاعتداد بها ، ولهذا كان من المسير عليه أن يقسم نفسه على ما فرضته الظروف عليه من التكسب بالشعر ، وتنقلت به صروف الأيام من ممدوح لممدوح ، إذ لم يقدّر له الاستغناء عنهم جملة . ومن هنا كان المتنبي جوارب آفاق لا يكل ، عارفاً بنون الشعر كلها قديماً وجديداً ،

(*) المراد بالفصيح هنا الشعر الذي ينبغ في اللغة الفصحى ، تمييزاً له من الشعر الفارج الذي ينبغ في اللهجات الخارجة للستمة ، كالزجل .

ومن ثم أتيح لشعره أن يكون مجامعا لمذاهب الشعر العربي جميعاً ، وأتيح له أن يملك نواصيا كلها في توفيق نادر وملسكة طليعة . وقد تناول المتنبي ألوان التجديد والإغراب التي أسرف المحدثون فيها واستعملها عن قدرة وتمكن ، فمما بها إلى الأوج الذي كان لها فيما سبق . وشعره يحمل بكهربية عبقرية ، حافل بالعواطف والأحاسيس التي يشوب بعضها الإيهام ، غفى بما يثير النفس ويحرك المواطن ، كل ذلك في قالب جميل موزن مما جعل شعره سيفاً من سيوف الحق لا أداة من أدوات العبث . ولم يعرف العرب قط الشعر القصصى أو شعر الللاحم ، ولكن المتنبي في تنفيه بوقائع سيف الدولة مع الروم — وهي صليبيات سبقت زمانها بوقت طويل — استطاع أن يعمّل شعره رنيناً ووقفاً قريبين من رنين الللاحم وأوقاعها ، وإن كنا لا ننظر فيه بتلك القوة الطبيعية الجماعية (الشعبية) التي نجدناها في ملاحنا القديمة . وسرقة شعر المتنبي هذه الحكمة العميقة التي ضمنها شعره ، وذلك القالب الغنائى الفلسفى الذى صاغ ألياته فيه ، وهذا لا يمنعنا من القول بأن صياغة شعره الرائعة قد تضم أفكاراً عادية شائعة . بيد أن ولع المتنبي بالشعر القديم فاق ولعه بأى شئ آخر ، وقد صدر هذا الشعر عن أحماق نفسه العربية . ومن ثم كان قديراً على تصوير النفس العربية وعالمها فى أحسن صورة تصورتها العروبة ، ومن هنا أيضاً لم تكن « بدوية » المتنبي رجعة إلى القديم وإنما كانت صدى للوعى النفسى العربى الخالد .

فلما استقامت قواعد القصيدة القديمة من جديد ، وحرص الشعراء على أن يقولوا شعرهم فى حدودها ، انحصر الشعر العربى بين أسوار عالية أضاعت أفاقه ضيقاً شديداً ، وإن ضم هذا الأفق أطرافاً كثيرة مما استحدثه المحدثون ، ودرج الشعر بعد ذلك بين هذه القيود ، وانحدر فى طريق الضمحلل طويل ، وغدا متشابهاً معاداً متعباً مجهداً .

ف ٤ - الخصائص العامة للشعر الأندلسي :

يقول غرسيه غومس : « وقد نبغ الشعر الأندلسي من بحر الشعر المشرق ، وتاريخه بصور لنا التطورات التي ألمنا بذكرها . فقد كان اشعراء الأندلس ولم بدراسة الشعر الجاهلي ، ولكنهم كانوا يرون فيه شيئاً أرباباً قديماً ، فلم يكن له في نفوسهم أثر فعال ، وكذلك « المحدثون » لم يكن لهم عند شعراء الأندلس أثر بعيد ، فيما خلا بدوات نفعها بين الحين والحين ، وبلاعتها في الناحية الجمالية التي ظهرت مع الشعر القديم المحدث . وعلة ذلك أنه في الوقت الذي ظهر فيه شعر جديد بهذا الاسم في الأندلس ، كان الشعر القديم المحدث في أوجه في المشرق .

ولا بد أن نفيه من أول الأمر إلى أن الشعر الأندلسي عامة — فيما خلا بضع شواذ — فقير جداً من الناحية الذهنية التفكيرية . ومن دلائل ذلك أن الناحية التي تأثروا بها من المتنبى كانت ناحية البراعة لا ناحية التفكير . وعاشوا أعمارهم كلها مكبلين بقيود القوالب الشكلية الجامدة ، ومن ثم لم يستطيعوا أن يدخلوا على الشعر من التغيير إلا أشياء تمس المعاني ، مثلهم في ذلك مثل أتباعهم من المشارقة ، فحاولوا أن يعطوا هذه المعاني صوراً جديدة عن طريق تقطيرها في أنابيب بلاغية ، وأوفوا في ذلك حتى استخرجوا منها تلك الزخارف الشعرية الأرابيسكية(*) التي تشبه أن تكون « قصور حراء » لفظية . فإذا كانت القصائد الأندلسية المنسقة المترفة المقلدة للثقل على هذه الدرجة من البعد عن الترتيب الذهني ، بل من الإحساس الإنساني في أحيان كثيرة ، فن الطبيعي أن تنقصها تلك المرونة السائقة التي نجدها في الشعر القديم . ولم يكن هذا الشعر الأندلسي مقرباً بالأخيلة

(*) أرابيسك Arabesque كلمة فرنسية نجدناها في اللغات الأوروبية كلها ، ومساها عربون الروح . ولكنها لا تشمل إلا في مواضع الفن ، ويراد بها الزخرفة الهندسية المتشابهة التي نراها في الزخارف الإسلامية ، وقد رأيت أن أستخدمها في صورتها الأوروبية احتفاظاً بمعناها الخاص قياساً على قولنا : « مورسكي » .

لخشب ، بل كان مثقلاً بها فحُلَّ منها فوق ما يطيق . بل بلغ من حشد المعاني فيه أن استعصى معظه على الحفظ والبقاء ، وكاد يسر على الفهم الكامل . وكما يحدث لشجرة مثقلة بالثمار إذ تسقط عنها الثمرات واحدة فواحدة ، فكذلك وقع للشعر الأندلسي : لم يبق لنا منه إلا ما اقتطفه مصنفو كتب المختارات من تشبيهاه ومعانيه . وإذا نحن استثنينا بضعة دواوين وقصائد مشهورة وصلت إلينا كاملة ، فإن ما لدينا من الشعر الأندلسي قد وصل إلينا مقطّماً مبسّراً ، بل مطحوناً يتأق هشهبه الدقيق بريق المس .

ف • — موضوعات الشعر الأندلسي :

يقول غرسية غومس — في مقاله الذي أشرنا إليه في هذا الباب — إن الشعر الأندلسي طرق فنون الشعر كافة : من الزهد إلى المجاء ، ونظم شعراء الأندلس قصائد الحاسة ، والنسيب ، والمدح ، والرثاء ، والوصف بصفة خاصة . وذهب إلى أن هذا الشعر كان — بصفة عامة — فقيراً من الناحيتين الفكرية والعاطفية ، تغلب عليه قلة الصدق .

فأما فيما يتصل بما فيه من نسيب ، فإننا نظفر فيه بأبيات تتحدث عن « الحب العذري » ، وهو ضرب من الهوى اشتهرت به طائفة من القبائل البدوية ومنها « بنو عذرة » ، ووضع فيه ابن داود الظاهري (المتوفى ٢٩٧ / ٩٠٩) « كتاب الزهرة » الذي يعتبره ماسنيون « أول محاولة لوضع منهج شعري للحب الأفلاطوني » ، ونجد نماذج أخرى من هذا النظر إلى الحب فيما كتبه ابن فرج الجياني وابن حزم القرطبي وصفوان بن إدريس الرسي . وهناك — إلى جانب ذلك — قصائد أخرى يعرض الشعراء فيها مشاهد مفصلة من الحب الحسي ، يصنفون فيها ما يقع بينهم وبين الحبوب وصفاً مطولاً مثلثاً ، وهم يرسلون هذه الأبيات على العادة بعد سهر عرييد مسرف في الاستمتاع ، ويلجأون إليها في

أوصاف ليالى الأنس التى يقضونها مع عشاقهم على ضفاف الأنهار ، متماسكين وإياهم كما يحيط السوار بالمعصم ، ويتحدثون فيها عن مجالس السرور في مواضع اللهو — « كحور مؤمل » في غرناطة — تغنيهم البلابل وتسطع عليهم النجوم .

« ولقد كان التباين الظاهر بين الردف الثقيل والمصر النحيل أكبر مواضع جمال الجسد الأنثوى عند شعراء الأندلس ... وكان الوضع الخاص للمرأة في المجتمع الإسلامى سبباً في قلة فهم الناس للجانب النفسى من حياتها وخصائصها . فلم يعد المحبون منهم يستشعرون من جمالها إلا الحسى للموس ، أى الصورة البدنية ، فاندفعوا في الإعجاب بها اندفاعاً عنيفاً لا يرد ، ولم يجدوا ما يبررون به هذا الاستمرار في الكلام في هذه الأوصاف المملة إلا بتنميقها وإرسالها في أساليب موقفة متنوعة مزينة بالزهور مرصعة بالدرر والياقوت ، وأضفوا على الجسد الجليل ثوباً بديعاً نسجوه من كل ما عثروا عليه في الرياض » ؛ ويضم هذا الشعر كذلك أبياتاً كثيرة تتحدث عن الليل إلى الغلمان وحسب المذكر .

وكانت الخمريات أكثر فنون الشعر ذيوماً بين شعراء الأندلس . وكانت عادة الشرب أن يجتمعوا على الكؤوس في البيوت أو الرياض أو على ضفاف الأنهار ، كالوادی الكبير وإثرة . ولم تكن مجالسهم مجرد اجتماعات للشراب ، وإنما اجتماعات أدبية شعرية كذلك . و « كان المجلس ينقضى بين تقارض الشعر وارتجاله ، يتخلل ذلك — بين الحين والحين — شذو جارية مغنية يصاحبها عزف العود والطنبور والقيثارة ، وتوزع أحاسيس الشمار بين زهر الأحلام وشطحات السكر ومشاعر الهوى » .

وكان ولع شعراء الأندلس بالوصف عظيماً ، وهم يبذلون لنا في أوصافهم وكأنهم يتأملون ما حولهم في قنور وبطء وإسهاب ، كل ذلك في أسلوب رخو بالغ الليونة . ومن أمثلة ذلك وصف أبى الحسن على بن حصن لفرخ حمام في بطء وانتاد يذكرنا بصبر نقاشي للتمنات :

وما حاجني إلا ابن ورفاء هائف على فتن بين الجزيرة والنهر
مستق طوق لا زوردي كل كل موشى الطلى أحوى القوادم والظهر
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ وصاغ من العقيان طوقاً على النثر
حديد شبي النثار داج كأنه شبي قلم من فضة مدّ في حجر
نوسد من فرع الأراك أريكة ومال على طي الجفاح مع النحر
ولما رأى دمي سرافك أرابه بكائي فاستولى على النمن النضر
وحث جناحيه وصنق طائراً وطار بقلبي حيث طار ، ولا أدري (*)

وقول أبي جعفر بن عثمان المصنف في سفرجة :

ومصفرة تمثال في ثوب نرجس وتعبق عن مسك زكي التنفس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه ولون محبة حلة السقم مكثي
فصفرتها من صفرتي مستعارة وأنفاسها في الطيب أنفاس مؤني
فلما استتمت في القضيبي شبابها وحاكت لها الأنواء أبراد سندس
مددت يدي بالطف أبنى اقتطافها لأجلها ربحانتي وسط مجلسي
وكان لها ثوب من الزغب أخضر يرف على جسم من التبر أملس
فلما تعرت في يدي من لباسها ولم تبس إلا في غلالة نرجس
ذكرت بها من لا أبوح بذكره فأذبلها في الكف حر تنفسي (**)

يبد أن هذا التباطؤ المزاجي في التعبير لم يحل دون شعرائهم وبين أن يعيشوا
في تراكيهم التشبيهية حيوية وسرعة غير عاديّتين ، فنجدهم ينتقلون بأذهانهم
انتقالات سريعة يجمعون فيها بين المتباعدات ، فيشبهون شيئاً صغيراً بشيء كبير
(الإبرة الدقيقة بالشهاب أو الكشقيان مخوذة من غير ديشة) ، أو يعكسون العكس

(*) ابن سعيد : « الرايات » ، ص ١١ .

() ابن الأثير : « الملحة » ، ص ١٤٤ .

فيشبهون شيئاً كبيراً بشيء صغير (كتشبيه مجاديف القارب بأهداب العين ، أو أوطاب الساقية بالجلغون) ... ولم يتأدر أولئك الشعراء شيئاً دون أن يشبهوه بشيء ، ففي عالم النبات مثلاً لم يقف الشعراء عند دائرة الزهور العليا ، بل وضعوا النيلوف ، والخرشف جنباً إلى جنب ، ولم يروا بأساً في أن يقتزن الباذنجان بالترمس . وهكذا كانت كل الأشياء عتدهم سواء ، يستعملونها في تكوين صور نهائية . جبال تذكرنا بالخزاف المشابكة التي تنقش في الرمر أو الرخام أو الجص على السواء ؛ كل شيء يصلح أن يكون مادة للفن في أيديهم . ويجمع شعرهم أصداء الصعراء البعيدة — جنباً إلى جنب — مع ما كان يحيط بالشعراء في البيئة الأندلسية الزاهرة ، كالسواقي وشجر البرتقال .

ولم يظهر الأندلسيون براعة ذات بال في الشعر السياسي أو الحماسي ، ولم يوقفوا كثيراً في شعر الحكمة والتهديب ، أما شعرهم الديني فتلقصه حرارة العاطفة ، وهم ينتقلون فيه من الوعظ المبذل إلى وجد الصوفية ، أو الثيوصوفية ، دون تدرج أو تمهيد .

ومضى الأندلسيون في المدائح على نهج من تقدمهم من الشعراء ، فأصرفوا وبالغوا . وخلت أشعارهم في هذا الباب مما يربطها بشخص المقولة فيه ، بحيث يستطيع أن توجه إلى أي إنسان إذا استبدلنا اسمه باسم المدوح ، ونظم الأندلسيون كذلك الأهاجي — المنيعة في الغالب — والمرائي التي تتفاوت في الروح وصدق الإحساس فتجدها تارة قاترة متكلفة كما نرى في رائية ابن عسدون في رثاء بنى الأفلحس ، وتارة صادقة مؤثرة ، كما في نونية أبي البقاء الرندي في بكاء الأندلس وما أصاب بلادها على أيدي النصاري ، وأصدق ما لدينا من هذا الضرب ما قاله المتمد في منفاء يبكي نفسه وما أصابه من زوال ملك ونفى .

وقد قال البارون فون شالك : « إن أشعار الأندلسيين تمتاز — بصفة عامة

بجزالة الألفاظ ، وجمال رنينها ، وإبداع الأخيصة ، وبعدها مداهما . وبدلاً من أن يجعلوا الألفاظ مرآكب للأفكار ، وبدلاً من أن يدعوا القلوب تعبر عن أحاسيسها في فيض طبيعي ، نجدهم يمدقون علينا طوقاً من الألفاظ الرنيقة والأخيصة البراقة . وكأنما لم يقنعوا بتحريك عواطفنا وطلبوا إعشاء أبصارنا . وإن أشعارهم لأشبه بأمام ناريرة تومض ثم تتلاشى في الظلام ، فتبهر العقول لحظة بوهيها ، ولكنها لا تترك في النفس أثراً دائماً ؛ وذلك بسبب ما تحويه هذه الأشعار من الألوان الخفيفة وصور التشبيهات يتوالى بعضها في إثر بعض دون هواة . وقد كان ترى كثير من الشعراء على التفوق ، ورغبتهم في الإتيان بأحسن مما أتى به من سبقهم أو نالهم من مشاهير الشعراء ، سبباً في إسراف الكثير من أشعارهم في ذلك التكلف إسرافاً أدى إلى ضياع قيمتها ، إذ أصبحت مجرد إيماء عابر لا يترك في النفس أثراً . أما نحن فنزن شعرهم بميزان يخالف ما اتخذوه ، ومن ثم فإن تقديرنا لأشعارهم يزداد بقدر ما يقل تكلفهم في القوس وراء اللامع البعيدة ، وبقدر ما يطامنون من طموحهم إلى الإتيان بما لم يسبقوا إليه ، لأنهم في هذه الحالة يعبرون عن مشاعر صادقة في عبارات غير متكلفة .

« أما المواضع التي تدور حولها أشعارهم فن أنواع مختلفة : فهم يتغنون بمباهج الحب الوصول ، ويصفون آلام الهوى الخائب ، ويصورون بالطف الألوان هناك لقاء رقيق ، ويكون في لهجة مشبوبة آلام القراق . وقد حرك مشاعرهم جمال الطبيعة الأندلسية ، ففضوا يمتدحون ظاهاتها وأنهارها وحقولها الخصيبة . ودفنهم ذلك الجلال إلى تأمل ضياء الشمس البهيج وصفاء الليالي الساجية تنيرها النجوم . وكانوا — إذا أشرقت نفوسهم بنور الإلهام — تداعت إلى أذهانهم من جديد ذكريات للوطن الأولى التي أقبل منها قومهم ، حيث كان أسلافهم يضرّبون في الفيافي والقفار تحت شمس لافحة ، فكانت تصدر عن نفوسهم — بين الحين والحين — نغمة فياضة بصنية جنسية غريبة . كانت تنبعث من

أفواههم غيفة كأنها أعاصير صحراء . وكان لهم — إلى جانب ذلك — شعر ديني زهدى عامر بالتقى العميق والشوق إلى الله . وكانوا تارة يدعون ملوكهم وشعوبهم إلى الجهاد في سبيل الله بمباركات تتوفز حمية ، وتارة أخرى يرثون أولئك الذين استشهدوا ، ويتحسرون على اللدان التي استغلها العدو ، والمساجد التي حولها النصرى إلى كنائس ، ويهكون بالدمع السخين مصير أسرام التعماء الذين يعانون آلام الأسرى في بلاد النصرى العاتية ، ويتشوقون — على غير أمل — إلى ضفاف « شذيل » الزاهرة . وكان أولئك الشعراء يتغنون بما كان لأسرائهم من أريحية وجاء ، ويطنبون في وصف بهاء قصورهم ورواء حدائق تلك القصور . وكانوا يصحبون أولئك الأسراء إلى سبادين القتال ، ويصفون طعان الأسنة ، والحراية الخفضية بالدماء ، والليل التي تسبق الريح في عدوها . ويتولرد في أشعارهم كذلك ذكر السكؤوس المترعة بالخر تدور على الشمار ، والنزهات الليلية في زوارق تنهذى على صفحات الماء على ضوء المشاعل ، ويصفون في هذه الأشعار تعاقب فصول السنة ، فصلاً بعد فصل ، وما يطرأ على الطبيعة أثناء ذلك من تطور . ويذكرون نوافير الماء ذات الخريز المذب ، وغصون الشجر يصلحها النسيم فيميل بعضها على بعض ، وقطرات الندى المتألقة على الأزهار ، وأشعة القمر المنمكة على الأمواج . ويصورون — في شعر رقيق — جمال البحر ، والقبة الزرقاء ، والنجوم ، والورود ، والزرجس ، وزهر الرمان . وأبدع أولئك الشعراء قصائد صوروا فيها الطرف التي كانت تضي على قصور السادة حوا من الترف المصقول : كتأثيل البرونز ، والعنبر ، وأواني الزهر الفاخرة ، والحمامات ، ونافورات الماء المرصية ، والأسود التي تلمج الماء من أفواهها .

« أما شعرهم في الحكمة والفلسفة فيدور كله حول زوال هذه الحياة الدنيا ، وقصر أجلها ، وتقلب أحوالها ؛ ويتحدث عن القضاء الذي لا مفر لإنسان منه ، وقلة غناء خيرات هذه الدنيا ؛ ويتغنى بذكر الفضائل الخلقية والعلوم ويقدرها

حق قدرها . وكان شعراؤهم يستحبون الإلمام في أبياتهم بذكر لحظات العيش
الهنئية : فيصفون لقاء الحبيب في الليل ، أو ساعة راحية في محبة شاديات حسناوات .
وربما صوروا جارية تقطف نمرًا من فتن ، أو غلامًا جيلًا يسقى الشرب ، وما
أشبه ذلك . كما اكتروا في التفتي بأوصاف مدائن إسبانيا وكورها ، وما فيها من
مساجد وقناطر ومقايات وريف نضر ، وغير ذلك من منشآت باهرة . ثم نجد
هذا الشعر — آخر الأسر — مرتبطاً في الغالب أشد الارتباط بحياة الشاعر نفسه :
فهو صادر عن وحي إحساس اللحظة التي قيل فيها ، وهو إنما كان يرسل ارتجالاً
على المؤلف من صور الشعر السامي القديم ^(٧) .

ونحب الآن أن نضع بين يدي القارئ بعض نماذج الإنتاج الشعري
للأندلسيين ، ذاكرين المتقدمين من الشعراء مرتبين على حسب عصورهم . وينبغي
أن ننبه إلى أنه من غير اليسور أن نلم بذكر الشعراء الأندلسيين جميعاً ، لأنهم
لا يحصون كثرة . هذا ، والكثير من أولئك الشعراء أدركوا شهرة طائفة لمجرد
أنهم أسهموا في بعض كبار الحوادث التاريخية ، لا لأنهم شعراء مبرزون . بينما
ظل كثيرون آخرون لا يكاد يعرف من شعرهم شيء ، على الرغم من امتيازهم
وتجويدهم . وإلى أن يدرس هذا الفن من الأدب الأندلسي دراسة تحليلية شاملة ،
أن يكون من اليسور وضع مؤلف شامل عنه ؛ ومن ثم فإن الصفحات التالية
ليست إلا مختارات من بين الشائع للمعروف من هذا الشعر .

وإننا نرجو القارئ أن يقدر — وهو يقرأ نصوص الأشعار العربية
مترجمة إلى الإسبانية — أنها أشعار منقولة تفقدها الترجمة جانباً عظيماً من بهائها
وفيمتها ، شأنها في ذلك شأن كل شعر ينقل من لغة إلى لغة ؛ بل ينبغي أن يذكر
أن لهذا الشعر في أصوله العربية قواعد للتعارف عليها بين أهله ، وهي قواعد
تجمل الغالب اللفظي الذي يصاغ فيه الشعر أول خصائص هذا النوع من القريض ،

ومن ثم فإننا نجد بعض المنظومات — التي اعتبرها نقاد الأدب العربي ومؤرخوه ممتازة في وقتها — جامدة وخالية من الجلال .

وقد فضلنا — في بعض الأحيان — أن نورد الترجمة الإسبانية التي قال بها خوان دي فاليرا لكتاب البارون دي شاك « شعر عرب إسبانيا وصقلية وقهم » *Poesía y Arte de los Árabes de España y Sicilia* ، لأن هذه الترجمة — على قلة دقتها — أجل بكثير من ترجمة الشعر نثراً ؛ وهي — على كل حال — تحمل إلى القارئ الفكرة الأساسية . وقد أتينا — في أحيان أخرى — بالأبيات مترجمة بأقلام دوزي أو بونس بويجيس أو ريبيرا أو غيرهم ، أوقفنا بالترجمة بأنفسنا .

يتبين الإنسان في تطور الشعر الأندلسي اتجاهين أساسيين :

(١) فصيح و (ب) شعبي دارج^(٨) .

(١) الشعر الفصيح

١ - عصر الإمارة

عبد الرحمن الداخل — أبو المنصور — ابن حبيب — الحكم الرضي —
 زريب وابكاراه — يحيى الفزال ونمام بن علقمة — الأمير عبد الله —
 سميد بن جودي — شعراء البلاط .

ف ٦ — طوائف شعراء عصر الإمارة :

لا نجد بين أيدينا مجموعاً شاملاً لشعر هذا العصر ، على الرغم من أن شيئاً من ذلك قد وجد بالفعل . فقد وصل إلينا عنوان مؤلف للأفستين (للتوفى سنة ٩١٩/٣٠٧) — عتيق الأمير المنذر — هو : « طبقات كتاب الأندلس »^(٩) . ومن المؤكد أن هذا الكتاب كان يضم شعراً . ووصلت إلينا كذلك أسماء شعراء

— مثل قرلمان^(١٠) ، وغريب بن عبد الله^(١١) — يطلب الناس في مدح شعرم
وما يمتاز به من طابع قروى وكان الأمراء أنفسهم يقولون الشعر، ومن أمثلة ذلك
أن عبد الرحمن الداخل (٧٥٥/١٣٨ — ٧٨٨/١٧٢) — مؤسس الدولة الأموية
الأندلسية — رأى نخلة في حديقة قصر « الرصافة » — ولا بد أنها كانت أول
نخلة زرعت في أوروبا — فهيجت شجته ، فقال :

يا نخل ، أنت غريبة منى في الغرب ، نائية عن الأصل
فابكى ، وهل تبكى مكبسة عجماء لم تطيع على خبلى ؟
لو أنها تبكى ، إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل
لكسها ذهلت ، وأذملنى بغضى بنى العباس عن أهلى^(١٢)
وقال عبد الرحمن — ردًا على قرشى استقل العطاء الذى منحه إياه — أبياتاً
أشار فيها إلى الصعاب التى أقيها فى حياته :

أشتان من قام ذا امتماض منضى الشفرتين نصلا
فجأ قهراً ، وشقى بحرأ مسامياً لجة وتغلا
دبر ملكاً ، وشاد عزاً ومنبرأ للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى ومصر الصبر حين أخل
ثم دعا أهله إليه حيث اتأوا ، أن : هم أهلا
فجاء هذا طريد جوع شريد روع يخاف قتلا
فقال أمنا ، وقال شهما وقال مالا ، وقال أهلا
الم يكن حق ذا على ذا أعظم من منم ومولى^(١٣) ؟

وعاش — فى أيام الأمير عبد الرحمن هذا — أبو الحشى : عاصم بن زيد
القمي الشاعر ؛ وكان منضوياً إلى الأمير سليمان — أكبر أبناء عبد الرحمن —
فقد عليه بعض أختاب هشام — ثانى أولاد عبد الرحمن — « فدمح سليمان
ابن عبد الرحمن بشعر ، وثوِّم عليه فيه أنه عرطس بهشام أخيه — وكانت بينهما

مباعدة — فسلم عينيه ؛ فقال في العسى شعراً حسناً ، ثم قصد به عبد الرحمن بن معاوية ، فأنشده إياه ، فرق له واستعبر ، ودعا بألفي دينار فأعطاه ، وخاضع له دية الميدين . وهو الشعر الذي أوله :

خضعت أم بناتي للمدى أن قضى الله قضاءً فضى
ورأت أعمى ضرباً إنما مشيه في الأرض لس بالعا
فانسكأت ، ثم قالت قوله — وهى حرى — بلغت منى المدى
فقوادى قريح من قولها : « ما من الأدواء داء كالمدى »^(١١)

وقال الحكم الربضي^(١٥) ، بعد أن أخذ نوبة أهل ربض قرطبة :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقا وقدما لأنت الشعب مذكنت يا فما
فمائل ثورى : هل بها الآن ثفرة أبادرها مستنقى العزم دارعا
وشافه على الأرض القضاء جاجا كأخاف شربان الهيد لوامعا
تنبئك أنى لم أكن عن قراهم يوان ، وإنى كنت بالسيف قارعا^(١٦)
فإنى إذا حادوا جزاعا عن الردى فلم أك ذا حديد عن الموت جازعا
حيث ذمارى وانتهكت ذمارم ومن لا يحامى ظل خزبان ضارعا
ولما تساقينا سجال حروبنا سقيتهم مما من الموت ناقعا
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم فوافوا منايا قدّرت ومصارعا
فهاك بلادى إننى قد تركتها مهاداً ولم أترك عليها منازعا

ف ٧ — زرياب وابتكاره :

يحتل عبد الرحمن الأوسط (٨٢١/٢٠٦ - ٨٥٢/٢٣٨) في تاريخ الشعر الأندلسى مكاناً يفوق مكانة أسلافه . ولا يرجع السبب في ذلك بحال إلى المقطعات التى نظمها في جاريته طروب ، أو ردّاً على أبيات أخرى قالها الشاعر عبد الملك ابن الشمر ممدحاً الأمير وشاكراً له عطايه^(١٧) ، بل لأنه اجتذب إلى الأندلس

زرباباً الثقي (والزرباب طائر أسود غرد) الذي أدخل إلى الأندلس الموسيقى والغناء العربيين الشرقيين ، وهما فنان نهج عرب المشرق فيهما على أصول قديمة . كان زرباب تلميذاً لإسحاق الموصلي في بغداد . ثم وقعت بينهما مجافاة ، لأن زرباباً أبدى من اللهارة في حضرة الرشيد ما فاق به أستاذه ، « فسقط في يد إسحاق ، وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره » ، فرأى زرباب الامتناع من الخروج عن العراق . فخرج إلى الغرب ناجياً بنفسه من غضب أستاذه ، وعرض خدماته على الحكم الرضي ، فدعاه إلى القدوم عليه في قرطبة ، فسار زرباب حتى بلغ الجزيرة الخضراء ، وهناك بلّنه موت الحكم ؛ فلما ولي عبد الرحمن بن الحكم أدخله في خدمته .

فرض له عبد الرحمن عطاء قدره مائتا دينار في الشهر ، وقرر له ثلاثة آلاف دينار في كل من العيدين ، وفرض له كذلك مائتي مئة من الشمير ، ومثلها من القمح ، هذا إلى حدائق وقصور وهدية إياها تقدر قيمتها بأربعين ألف دينار ؛ فأقبل زرباب وأصبح موسيقى الأمير .

كان زرباب يدعي « أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة إلى صوت واحد ، فكان يهب من نومه سريعاً فيدعو بجاريته غزلان وهنيدة ، فتأخذان هوديهما ويأخذ هو هوده فيطارحهما ليكنه ، ثم يكتب الشعر ، ثم يعود هجلاً إلى مضجعه » (١٨) . وقد أضاف إلى المود وترًا خامساً — وكان إلى أيامه أربعة أوتار لحسب تقابل الطبائع البشرية الأربع — عُرف بالوتر الأوسط الدموي الأحمر ، ووضعه تحت المثلث وفوق اللثني . « وذلك أن « الزير » صبغ أصفر اللون وجُمِل في المود بمنزلة الصفراء من الجسد ؛ وصنع الوتر الثاني بده أحمر وهو من المود بمكان الدم من الجسد ، وهو في الفاظ صنف الزير ، ولذلك سمي « مثنى » ؛ وصنع الوتر الرابع أسود ، وجعل من المود مكان السوداء من الجسد وسمى « الهم » وهو أعلى أوتار المود ، وهو صنف المثلث الذي عطل من الصبغ وترك أبيض

القون ، وهو من العود بمنزلة البلم من الجسد وجعل ضعف المثني في النفاذ ولذلك سمي « الثالث » ؛ وقام الخامس المزيّد مقام النَّفس من الجسد^(٢١) ، (كذا الأصل) .

« وهو الذي اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النسر — معتاضاً بها من مرفف الخشب — فأبدع في ذلك ، لهاب قشر الريشة ، وقمانه وخفته على الأصابع ، وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إياه »^(٢٠) .

وكان زرياب شاعراً مجيداً ، ومتضلماً في فنون مختلفة « كالنجرام ، وقسمة الأقاليم السبعة ، وتصنيف بلادها وسكانها » والطبيعة ، والسياسة ، والتنجيم . وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها . وكان سلوكه معتبراً نموذجاً يحتذى به الناس . وكان الناس يتبعونه فيما يتخذ من ثياب وما يعمل من زينة (تصنيف السمر والملابس والمطور والمآكل وأسلوب ترتيب المائدة ، وما إلى ذلك)^(٢١) .

وقد أدخل زرياب إلى الأندلس صنع الألحان على طريقة أهل الموصل ، فغلبت على طريقة أهل الحجاز التي كان الناس يحرون عليها في الأندلس قبل ذلك^(٢٢) ، وكان يمثلها في بلاط عبد الرحمن ثلاث من المنقيات هن : « فضل » و « علم » و « قلم »^(٢٣) .

وقد اجتهد زرياب في تكوين مدرسته للموسيقية ، مستميتاً في ذلك بأبنائه وبناته^(٢٤) وجاريته « متعة » ، وانتهى الأمر بأن أصبحت الطريقة الأندلسية التقليدية ، على رغم ما كان زرياب يلقى من سخريّة يميّج الغزال وتمريض ابن عبد ربه به . وكان من تلاميذ زرياب جارية تسمى « معاييح » ، أوى مولاهما أن يدعها تنقّي للشاعر أبي عمر بن عبد ربه ، فصنع هذه الأبيات وحثّ بها إليه :

يا من يضمن بصوت الطائر الفرد ما كنت أحسب هذا الضن من أحد
لو أن أسمع أهل الأرض قاطبة أصفت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد

وكان رجال الدين لا ينظرون إلى الموسيقى بعين الرضا ، وكان الفقهاء يعتبرون الاشتغال بها أسراً محطاً لا يليق إلا بالموالى والإماء وذوى السمعة السيئة . ولم يكونوا يقبلون شهادة المغنى أو المغنية أو الناذبة ، ولم يسمحوا بأن تباع كتب الموسيقى والأناشيد علناً ، بل كان القضاء المتشددون يأمرهم بكسر آلات الموسيقى التى توجد مع الفنانين فى الطرقات . ولكن سوق الفن الموسيقى تنفتحت فى الأندلس — على رغم ذلك كله — وذاع أمره بين الناس ذيوماً واسماً . وكانت فرق الموسيقيين والمغنين أسراً شائناً فى قصور الخلفاء فى عهد بنى أمية . وفى حكم النصور ، وعصرى المرابطيين والموحدين . وكان أولئك الخلفاء والأمراء يشتررون الجوارى ذوات الصوت الحسن بمبالغ لا تصدق . وكان الموسيقيون يشربون الخمر فى طول الأندلس وعمرهه ، تدلنا على ذلك تلك الثروة الضخمة من الخمريات التى خلفها شعراء الأندلس ، والأخبار الكثيرة المتواردة فى الخمر ومجالس الشراب فى كتب التاريخ والأدب .

ونبغ من أهل البلاد موسيقيون وضعوا الحاناً مبتكرة على الطريقة الشرقية ، نذكر منهم عبد الوهاب بن الحسين بن جعفر الحاجب — وكان شاعراً حسناً يقيم فى بيته ومع أهله حفلات موسيقية — وأباً جعفر الوقشى ، الوزير الطليطلى الذى يبدو أنه اخترع عوداً يمزف من تلقاء نفسه بلا ضرب (٢٥) .

ف ٨ — يحيى النزال ونماص بن علفمة :

وفى نفس العصر الذى عاش فيه زرياب عاش يحيى بن الحكم البكرى (٧٧٠/١٥٤ — ٨٦٤/٢٥٠) ، وكان رجلاً من طراز آخر غير طراز زرياب . وكان أصله من جيان ، وكانوا يلقبونه بالنزال لجماله . وكان رجلاً حكماً أرسله عبد الرحمن الأوسط فى سفارة إلى بلاط ملك النرمانيين ، فاستمال قلوب الناس هناك بظرفه ، وأعجبت به الملكة « تود » ونساء حاشيتها خاصة ، فكانت —

أى اللسكة — لا تصبر عنه يوماً حتى توجه فيه . وقد ألهمته هذه السفارة وغيرها إلى بلاطات أخرى نصرانية أشماراً لطيفة جميلة . وقد نفاه عبد الرحمن الأرسط من الأندلس بسبب هجائه للقدح لزياب ، فذهب إلى العراق بُعيد وفاة أبي نواس شاعر الخمر ولذا ذات العيش في بلاط هارون الرشيد . « وجلس يوماً مع جماعة منهم فأزروا بأهل الأندلس واستهجنوا أشعارهم ، فتركهم حتى وقموا في ذكر أبي نواس ، فقال لهم : من يحفظ منكم قوله :

ولما رأيت الشرب أكذت سماؤهم تأبطت زقى واحتبست عياني
فلما أتيت الحان ناديت ربه قباب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين إلا تعلقة حل وجل مني ومن نظرائي
قلت : أذقيها ! فلما أذاقها طرحت إليه ريطتي وردائي
وقلت : أعزني بذلة استتر بها بذلت له فيها طلاق نسائي
فوالله ما برت يميني ولا وفيت له غير أني ضامن بوفائي
فأبت إلى صبي — ولم أك آتيا — فكل يفتدي وحق فداي
فأججوا بالشمر وذهبوا في مدحهم له ؛ فلما أفرطوا قال لهم : « خفضوا عليكم فإنه لي ! » فأنكروا ذلك ، فأنشدم قصيدته التي أولها :

تداركت في شرب النبيذ خطائي وفارقت فيه شيمتي وحياتي
فلما أتم السورة بالإنشاد خجلوا واقترفوا عنه « (٢٦) .

وقد نظم النزال أرجوزة في « فتح الأندلس » قال فيها ابن حيان إنها « كانت جميلة طويلة ، عرض فيها أسباب الفتح والوقائع التي جرت بين المسلمين والنصارى . وأطال الحديث عن أسراء هذا الصقع في أسلوب جميل فيه عبق ، وكانت شائعة متداولة بين أيدي الناس . وقد ضاعت هذه الأرجوزة » (٢٧) .

وقد نظم تمام بن عاصر بن علقمة (٨٠١/١٨٤ — ٨٩٦/٢٨٣) « الأرجوزة للشهورة في ذكر فتح الأندلس ، وتسمية ولايتها والخلفاء فيها ، ووصف حروبها

من وقت دخول طارق بن زياد مفتتحها إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم .
وكان عالماً أديباً ، ذكر ذلك ابن حيان ^(٢٨) . أى أنه فعل ما فعله يحيى
الغزال قبله .

وعاشت في عصرى الحكم الرضى وعبد الرحمن الأوسط (القرن التاسع
الميلادى) حسنة التسمية ، وكانت قيمة استصفيت أملاك أيها فتقدمت بشكواها
إلى الأمير الحكم بن هشام ، فأمر عامل « البيرة » برد أملاك أيها إليها . ومات
الحكم بعد ذلك بقليل ، فانتزع العامل الفرصة ولم يرد إليها أموالها ؛ فزال تلح
على عبد الرحمن الأوسط حتى أجاب مطلبها .

ف ٩ — الأمير عبد الله — سعيد بن جودي — شعراء البلاط :

من المعروف أن النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى فى التاريخ السياسى
للأندلس يتميز بوهن سلطان الأمراء (محمد والنذر وعبد الله) ، وبازدياد نشاط
حركة القومية الإسبانية (عمر بن حفصون وبنو قسى) من ناحية ، ومن ناحية
أخرى بزيادة قوة جماعات العرب للمستقرة فى النواحي ، وتمكن هؤلاء جميعاً من
تحويل الأندلس الإسلامى إلى مجموعة كبيرة من النواحي المستقلة باتعمل عن سلطان
أمير قرطبة .

وكان الأمير عبد الله يقول فى النزل أبياتاً من طبقة عالية ، مثل قوله :

ويحى على شادن كحيل فى مثله يخلع المذار
كأنما وجنتاه ورد خالطه السور والبحار
قضيب بان إذا ثنى يدير طرفاً به احورار
فصفرو ودى عليه وقف ما اطرد الليل والنهار ^(٢٩)

يبد أن أحسن شعراء هذه الفترة هو من غير شك سعيد بن جودي ^(٣٠) ،
النموذج الصادق للفارس العربى . وكان يمثل المصيبة العربية فى بعض أدوار

صراها مع عمر بن حفصون . وقد حفظ لنا الرواة من شعره أبياتاً قالها في صدد
وقفي شاد والمدينة ، وصف فيها سوء حاله في أسر عمر بن حفصون ؛ وأبياتاً
أخرى ذات عاطفة مشبوبة ، قالها بعد أن فك أمره في سنة ٢٧٧/٨٩٠ يتغزل
في « جيجان » مفضية عبد الله الذي أصبح بعد ذلك بقليل أميراً على الأندلس .
ولقد . بن سعيد بن جودي ابن حزم في التفتي المهورى المذرى الميثوس منه ، ومن
ذلك تلك الأبيات التي بلغت أعلى درجات الرقة :

سمى أبى أن يكون الروح في بدنى فاعتاض قلبي منه لوعة الحزن
أعطيت جيجان روى عن تذكرها هذا ولم أرها يوماً ولم ترني
كأننى واسمها والدمع منكسب من مقلتي راحب صلى على ون^(٣١)

ونجده في أبيات أخرى طوباً للحياة مستغراً في لذاذات العيش :

لا شيء أملح من ساقى على عنق ومن مناقلة كاساً على طبق
ومن مواصلة من بعد معتبة ومن مراسلة الأحباب بالحدق
جريت جرى جموح في الصبي طلقاً وما خرجت لعرف الدهر عن طلقى
ولا انشيت لهاى الموت يوم وغى كما انشيت وحبل الحب في عنقى^(٣٢)

وفي هذا العصر كذلك عاش شعراء لا يرى فيهم غرسية غومس إلا « أنظامين
لا يمتازون ببراعة » : مثل بكر الكنانى ، وعباس بن ناصح ، وغر ييب بن عبد
الله ، وقرئان ، وعبيد بن محمود ، وابن سمرة ، والقلطاط ، وأبى الخثعى ،
وابن كلثوم ، وحسانة التميمية ، وعباس بن فراس ، تنجلي لنا في بعض شعرهم
القيمة السياسية للشعر ، كالذى نعرفه في الشعر الجاهلى ؛ وبعضهم الآخر شعراء
بلاط لا يلقى شعرهم من جمهور الناس إقبالاً ولا ذيوماً بينهم^(٣٣) .

٢ - عصر الخلافة

ابن عبد ربه - منذر بن سعيد البلوطي - ابن هانئ - الزبيدي -
 شعراء التصور - صاعد البندادي - الرمادي - الوزير أبو المنيرة -
 ابن أبي زمنين - ابن الهندي - الفرضي - حبيب الصقلي -
 الشعراء - ابن حزم القرطبي .

ف ١٠ :

قال غرسية غومس في أسلوبه الشعري الجميل ، متحدثاً عن الأدب الأندلسي في هذا العصر :

« لم يصل الشعر الأندلسي إلى أوجهه الكامل وسمته الجاهلي إلا في القرن العاشر الميلادي الذي يفتن بقيام الخلافة الأموية الأندلسية عام ٩٢٩/٣١٧ . فلقد انتصرت السياسة الأموية الحكيمة على الأزمان كلها : فلم يوفق القديس يوليجيوس إلى استئارة أهل الدين من المستعربين ، ولم يلهب حماسهم النسر الأندلسي الذي اعتصم بوكنته في بُبَشْتُرُ (يشير إلى عمر بن حفصون) . لقد اختلطت بالتربة الأندلسية القديمة العناصر الجديدة التي حملها العرب معهم من فارس وبيزنطة . وقد شجع عملية للزج هذه ، وعمل على تقويتها ، عامل على أكبر جانب من الأهمية وقف محايداً بمبدأ عن التيارات للتضاربة كلها : ذلك هو البيت الأموي . نعم إنه كان عربياً صرفاً — ومن ثم لم يكن إسبانياً — ولكن خصومته العنيفة مع العباسيين المشاركة خففت من عصبية العربية ، وجعلته لا يميل إلى العرب وحفزه على التقرب من غيرهم . ولقد كانت قرطبة بلداً نصف عربي ، يتحدث أهل العربية وعجوبة أهل الأندلس ، ويختلط فيه رنين الأجراس بأذان المؤذن . وكان بعض شعراء الأندلس يفيثون إلى ظلال البَيْع المستعربية الصغيرة ليصيبوا شيئاً من النيذ ، فجددوا بذلك ما عرفه شعراء البدو من شرب

النبذ في دبور الصحراء للتأبدة في القفر . وتجلى اختلاط الأجناس بعضها ببعض ،
وتجاور الديانات بعضها لبعض ، عن جوسممع جليل إنسانى شفاف : نفس الجو
الحضارى الذى نعرفه في بغداد أيام ألف ليلة ، خالصاً من كل ما يرتبط بالشرق
في أذهاننا أبداً من جلالة يشوبها الغموض . لقد قبس طابع الغرب من نسائم
سيرامورينا الرقيقة الريفية . كانت قرطبة تقبل كل شئ . وتمثله وتحوله إلى شئ .
آخر بعد تصفيته : فلقد كانت الرايات وملابس الحداد سوداء في بغداد ، فأصبحت
بيضا في الأندلس . وفي تلك الأعصر كانت الممالك النصرانية في الشمال تعيش
في جو قروى فقير ، أما ملوك إسبانيا الحقيقيون فكانوا سادة قرطبة : عبد الرحمن ،
والحكم ، والنصور . وبين أيدينا مصاديق ذلك لأئمة للعيان . فهذه أفواس المسجد
الجامع ساحبة في شبه ظل يروع النفس ، وتلك خرائب مدينة الزهراء الرائعة
تمحلت اليوم إلى ملاعب لمصارعة الثيران ، وتضم الكنائس الجامعة والمتاحف
قطعا من بديع النسيج وصناديق الساج تتحدث كلها عن تلك الأعجاز التى لا ينهوى
ضياؤها ، ويتحدث عنها كذلك — بأجلى بيان — الشعر الكثير الذى أثر
عن أزمانها .

ولقد عرف الأندلس على أيام الناصر (٩١٢/٣٠٠ — ٩٦١/٣٥٠) دواوين
الثنى وغيره من أئمة القريض العربى المصيح الجدد ، وعلى قصور ذلك الخليفة
العظيم وابنه الحكم المستنصر العالم الجماع للكتب (٩٦١/٣٥٠ — ٩٧٦/٣٦٦)
والوزير الخطير العظيم السلطان للنصور بن أبى عامر (توفى عام ١٠٠٢/٣٩٣) وقد
سفرء الثقافة للشرقية : من أبى على القالى (دخل الأندلس عام ٩٤١/٣٣٠) ،
إلى مساعد البندادى (وفد عام ٩٩٠/٣٨٠) . وعلى هذه القصور الزاهرة وفدت
كذلك سفارات نصرانية من الغرب ، ومن بيزنطة البعيدة ، حاملة معها أطباقا
بديعة من السيفساء وكتب ديوسقوريد التى وضعت في الأندلس بذور نهضة
العلوم الطبيعية التى بلغت أوجها في القرن الثالث عشر الميلادى . كان حشداً

جامعاً من الثقافة الجديدة يعتمل ويختمر في قرطبة . وفي ظلال جيوش الخلفاء للظفرة وأستها المشرقة التي لا تغلب كان الكتاب ينشئون ، والملاء يحاضرون إلى حوار عمد المسجد الجامع ؛ وانصرف الأغنياء إلى التنافس في جمع الكتب ، وغنى القيان ، ونظم الشعراء ، وعكف الملاء على تصنيف طلائع مجموعات النظم والنثر .

وإذا نحن استثنينا من استأخر من شعراء عصر الإمارة وعاش ردحاً من عصر الخلافة ، ونقرأ من الوشاحين ، وجدنا في طليعة شعراء هذا العصر ابن عبدربه (توفي عام ٩٣٩/٣٢٨) صاحب «العقد الفريد» الذي بهر العيون بمدائحه ، وابن هاني* الإليبري (توفي عام ٩٧٢/٣٦٢) الذي لم يلبث أن غادر الأندلس ولحق بملوك المغرب والذي شبه المعري شعره «برحى تطحن قروناً» (*) والزيدي (المتوفى عام ٩٨٩/٣٧٩) ، وابن أبي زمين (توفي ١٠٠٧/٣٩٨) ، وأولئك الشعراء الذين ذكّرهم ابن حزم في «رسائله» ، وللصحنى (توفي عام ٩٨٢/٣٧٢) الذي جرده المنصور من طارفه وتليده وحبه ، وابن فرج الجبالي (توفي عام ٩٧٦/٣٦٦) صاحب «كتاب الحقائق» الذي ضامه به «كتاب الزهرة» لابن داود الأصفهاني ، والشاعر الرقيق «الأمير الطليق» (توفي عام ١٠٠٩/٤٠٠) الذي أودع الحبس لقله أباه ، وكان يفار منه ، وابن شخيص ، والرمادي ، (توفي ١٠٢٢/٤١٣) ، وابن إدريس الجزري (توفي ١٠٠٣/٣٩٤) ، وابن دراج القسطلي (توفي ١٠٣٠/٤٢١) ، وكان شاعراً محمداً عسير الفهم مثل جُجُجُرة الشاعر الإسباني ، وابن برد (توفي ١٠٥٣/٤٤٥) ؛ وغيرهم كثيرون . ولا بد أن نذكر من بين الكثيرين الذين ظهروا بعد ذلك بقليل في أيام عبد الرحمن الخامس المستظهر بالله — الذي لم يطل حكمه (توفي ١٠٢٤/٤١٥) — فقد أحاطت به حالة من أهل الأدب ، وكان هو نفسه أدبياً .

(*) ابن خلكان : «وفيات الأعيان» ، رقم ٦٤٠ — ترجمة ابن هاني* .

وقد نظم الأندلسيون في كل فن وباب : من الزهديات والتاريخيات إلى النوريات التي أكثر الناس منها على عصر المنصور^(٣٤).

ولابن فرج الجياني (توفي ٩٧٦/٣٦٦) صاحب «كتاب الخدائق» أبيات جميلة تعتبر نموذجاً للفرز العذري عند شعراء العرب ، وقد ترجمها غرسية غومس وجعل عنايتها : « غفة » ، وهي التالية :

وطائفة الوصال عفت عنها وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت دياجي الليل سافرة القناع
فملكت النهى جمعات شوق لأجري في السناف على طباعي
وبت بهامبيت السقب يظا فيمنه الكمام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثل سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات فأخذ الرياض من الراعي^(٣٥)
وأروع ما وصل إليه الشعراء في الوصف وصل إليه أبو جعفر المصنف (توفي ٩٨٢/٣٧٢) — وزير الحكم المنصور وهشام المؤيد — في تلك القطعة التي قالها في وصف سمرجة (ص ٤٥) (٣٦).

ف ١١ — ابن عبد ربه — سعيد بن منذر الباطلي :

ومن المذكورين النابيين من شعراء هذا العصر أبو هريرة أحمد بن محمد بن عبد ربه (٨٦٠/٢٤٠ — ٩٣٩/٣٢٨) مولى بني أمية — وكان شاعر بلاط صرف — وستحدث عنه فيما بعد (ف ٥٤) . ولم يكن ذا شاعرية ممتازة سواء في قصائده الطوال التي تحدث فيها عن الحلات السنوية التي قام بها الناصر أو في مقطعاته التي قالها في مدح بني أمية ، مثل قوله :

بالتنذر بن محمد شرفت بلاد الأندلس
فالطير فيها ساكن والوحش فيها قد أس^(٣٧)

و بعض أشعار ابن عبد ربه الغزلية تنبئ عن ذوق وحساسية تفوق ما يبدو في مدائحه . وقد جمع أشعاره في ديوان سماه « الممحصات » أتبع فيه كل قطعة غزلية بأخرى ، في الحكمة أو الزهد ، حتى يدفع شعر الزهد أوزار الأفكار الدنيوية . ومن نسيبه قوله :

ما إن رأيت ولا سمعت بمنله درأ يعود من الحياء عقيقاً
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقاً^(٣٧)
ومن أحسن ما قال عبد الملك بن جهور — وزير عبد الرحمن الناصر —
تلك الأبيات التي قالها في الترجمس :

قد بشنا إليك بالترجمس الـ ض حكي لون عاشق مغمود
فيه ربح الحبيب عند التلاقي واصفرار الحب عند الصدود^(٣٨)

ف ١٢ — ابن هاني — الزبيدي :

عاش محمد بن هاني* الإشبيلي (يكنى أبا القاسم وأبا محمد ، توفي ٩٧٢/٣٦٢) حياة استهتار ، وكان « متبها بمذهب الفلاسفة . ولما اشتهر عنه ذلك قم عليه أهل إشبيلية ، وساءت المقاتلة في حق الملك بسببه واتهم بمذهبه أيضاً ، فأشار الملك عليه بالهجرة عن البلد مدة ينسى فيها خبره ، فأنفصل عنها وعمره يومئذ سبعة وعشرون عاماً ... وخرج إلى المغرب ، ولقي جوهرأ القائد مولى المنصور فامتدحه ، ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابني علي — وكانا بالمسيلة وهي مدينة الزاب ، وكانا واليها — فبالغا في إكرامه والإحسان إليه . فنتى خبره إلى الحزأبي تميم محمد بن المنصور العبيدي . ثم توجه المزأ إلى الديار المصرية فشيحه ابن هاني* ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والحقاق به ، ولكنه لقي حتفه عند « برقة » على صورة غامضة في سنة ٩٧٢ : فن قاتل إنه لما وصل إلى برقة أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياماً في مجلس الأنس ، فيقال إنهم عر بدوا عليه فقتلوه . وقيل :

خرج من تلك الدار وهو سكران فقام في الطريق وأصبح ميتاً ، ولم يعرف سبب موته . وقيل إنه وجد في ساقية من سواني برقة مخنوقاً بتكة سراويله ، وكان ذلك بكرة يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة ٣٦٢ هـ^(٩٠) .

ويرجع ابن الخطيب الرواية الأولى . ويرى ابن خلكان أن القصيدة الدونية التي قالها ابن هاني في المزمع القاطمى تمد من « فرر الدائح ونخب الشعر » ، ويقول ابن خلكان إنه لولا غلوه في اللدح وإفراطه النفضي إلى الكفر لكان ديوانه من أحسن الدواوين . « وليس في الفاربية من هو في طبقة — لا من متقدميهم ولا من متأخريهم — بل هو أشعرم على الإطلاق ، وهو عندم كالقنفي عند المشاركة ؛ وكانا متعاصرين » . أما المعري فقد شبه شعره الرائع الفخم « برحى تطحن قروناً » ، كما قال غرسية غومس . وقصيدته في وصف النجوم مشهورة^(٩١) .

وعلى الضد من استهتار ابن هاني* بنجد الزبيدي (أبا بكر محمد بن الحسن بن عبد الله ٩١٨/٣٠٦ — ٩٨٩/٣٧٩) رجلاً جاداً . كان مؤدباً للخليفة هشام المؤيد في صباه ، فكان الذي علمه الحساب والعربية ونفعه نفعاً كبيراً ، وألف في النحو والتاريخ كتباً لها قدرها (ف ٦٠ و ٦١) ، وكان شاعراً يميل في شعره إلى الحكمة والزهد : فيذكر الخوف من الله ، وخلود الروح ، وثواب الآخرة وعقابها ، كقوله :

أبا مسلم إن التقى بجمانه وميقوله لا بالمراكب وللبس
وليس ثياب المرء تنفي قلامه إذا كان مقصوراً على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجى

— أبا مسلم — طول القمود على الكرسي^(٩٢)

وله كذلك نسيب يصور آلام بعد الحبيب على نحو لطيف رقيق .

ف ١٣ — شعراء المنصور :

كان للمنصور يرعى أهل الأدب . ولقد أغرم زماناً بالفلسفة ، ثم وجد أن الفقهاء يحدون في هذا ما يثيرون به مشاعر الناس عليه ، فأمر بإخراج كتب الفلسفة والفلك من بين غيرها من الكتب من مكتبة القصر وأحرقها بيده أمام نفر من العلماء الموقرين كالأصيلي وابن ذكوان والزيدي ، ليظهر للناس غيرته على الدين^(١٣) . وقد كان لهذا العمل وقع طيب في قلوب الناس ، غير أننا لا نشك في أن للمنصور فضل ذلك وهو راغم ، لأن ميله إلى الأدباء — والشعراء خاصة — كان عظيماً طول حياته .

وقد قال رييرا : « إن المنصور أنشأ بين دواوين الدولة ديواناً خاصاً سمي «ديوان الندماء» مهمته ترتيب الشعراء طبقات وبذل العطاء لهم على أقدارهم في الشعر ، وكان على رأس هذا الديوان واحد من كبار فذة الأدب^(١٤) . ولقد صاحب المنصور في بعض غزواته أربعون شاعراً من كل طبقة ليقولوا الشعر في غزواته » .

ومن الطبيعي ألا يخلو رجل من طراز المنصور من أعداء ينفسون عليه طماحه البعيد وتوفيته في درك غاياته ، ومن ثم كثرت الأشعار في جهاته للقدح . ومن أشهد في جهاته الوزير المصحفي الذي أوقع به^(١٥) ، وإبراهيم بن إدريس الحسني الشاعر . بيد أن المدائح التي قيلت في هذا القائد العظيم ووزير هشام المؤيد الخطير تربو بكثير على ما قيل فيه من هجاء . ومن أكثر في مدحه ابن دراج القسطلی (من قسطة في الجوف في البرتغال الحالية ٩٥٨/٣٤٧ — ١٠٣٠/٤٢٢) ، وكان كاتباً للحكم المستنصر والمنصور — وله مدائح ورسائل طيبة ، كذلك التي قالها في صبيح البشكنسية — ثم خدم بعد ذلك عبد الرحمن بن أبي عامر العروف بشيخول ، ومحمد بن عبد الجبار المهدي ، وسليمان المستعين ، وعلى بن حمود الحسن ، والمرتضى ، وكلهم خلفاء ؛ ثم توجه بعد ذلك إلى بلنسية وسرقسطة حيث تكونت حوله حلقة من الشعراء وأهل الأدب . وأبياته تنم عن ملكة ذهنية فقيرة ،

وتكلف زائد ، وتعقيد يشبه تعقيد جنجرة الشاعر الإسباني . وإيغال أولئك المحدثين وإسرافهم في تقليد القدماء يفسر لنا إقبال الناس على الموشحات الشعبية ، التي يمد ظهورها رد فعل لهذا الشعر القديم الجدد » (٤٦) .

ف ١٤ — صاعر البغدادي :

كان صاعد البغدادي المتوفى سنة ١٠٣٦/٤١٧ أحد كبار شعراء بلاط المنصور . أقبل إلى قرطبة حوالي سنة ٩٩٠/٣٨٠ ميلادية واستطاع أن يحظى بمطف المنصور بسبب تضلعه في علوم اللغة والتاريخ ، وبسبب ذكائه وطلاوة حديثه وطيب معاشرته وبديع جوابه وحضوره وبراعته في الارتجال . وقد أكل ابن بسام هذا الوصف بقوله إنه كان « ممتعاً محسناً للسؤال ، حاذقاً في استخراج الأموال » (٤٧) .

وقد أدخل صاعد إلى الأندلس طريقة جديدة في درس الشعر الجاهلي تخلص « في أن يقرأ الطالب القصيدة ، ثم يسأله الأستاذ عن معاني الألفاظ ، فيقوم بالشرح معتمداً على قائمة من المعاني يكون قد استخرجها من المعجم العربية » (٤٨) .

وكان أبو علي مدعياً ذابراً بالغة في هذا الباب ، وكان لا يتحرج من شيء في هذا السبيل ، حتى لقد زعم أنه قرأ جميع الكتب المعروفة . ونحكي المراجع عن جرأته في ذلك الصدد أن قرأ من خصوم صاعد « سألوا المنصور في تجليد كراريس بياض تزال جديتها حتى تومم القدم ، وترجم عليه « كتاب النكت » تأليف أبي الثور الصنماني ، فقرأى إليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال : « إى والله ! قرأته بالبلد الثلاثى على الشيخ أبي فلان . . » ، فأخذ المنصور من يده خوفاً من أن يفتحه وقال : « إن كنت قد قرأته كما تزعم فلأمّ يحتوى ؟ » فقال : « وأبيك بعد عهدي به ولا أحفظ الآن منه شيئاً ، ولكنه يحتوى على لنة منشورة لا يشوبها شعر ولا خبر » فقال له المنصور : « أبعد الله مثلك ، فإني

رأيت أ كذب منك ا « ، وأمر بإخراجه » (٤٩) .

وتصدي صاعد لتأليف كتاب يفوق « الأمالى » لأبي على القالى ، وزعم المنصور أنه يعلى « على كتاب دولته كتاباً أرفع منه وأجل لا يورد فيه خبراً مما أورده أبو على ، فأذن له المنصور في ذلك . وجلس بجامع مدينة الزاهرة يعلى كتابه المترجم « بالفصوص » ، فلما أكمله تتبعه أدياء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم « ، فأمر المنصور بأن يقذف كتاب الفصوص في النهر ، فقال بعض الشعراء :

قد غاص في الماء كتاب الفصوص وهكذا كل ثقل ينوص . .
فأجابه صاعد :

عاد إلى معدنه ، إنما توجد في قعر البحار الفصوص (٥٠)
ونظر صاعد إلى وردة بيد المنصور في غير وقتها لم يستم فتح ورقها فقال سر تبجلا :

أنتك أبا عاصر وردة يذكر المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فنطت بأكامها رأسها (٥١)
وتقدم صاعد إلى المنصور يوماً بأيل في قيده وكتب معه بأبيات متوسطة الجودة جاء في بعضها :

مولاي ، مؤنس غربي ، متخطف من ظفر أياي ، مُنَمَّع مَعْقِل
عبد جَذَبَتْ بضمه ورفعت من مقداره أهدى إليك بأيل
سميته غَرْسِيَّةً وبشئته في حبله لِيُتَاح فيه تفاؤلي
[فلئن قبلت فلك أنفس مِنَّة أسدى بها ذو منحة وتطول
صحبتك غادية السرور وجللت أرجاء ربك بالسحاب المَخْضِل]
فقضى الله في سابق علمه أن غرسية بن شانجه (صاحب نبره) من ملوك الروم — وكان أمنع من النجم — أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد

بالأيل وسماه غرسية متفائلاً ، فزاد حب المنصور لصاعد بسبب هذا التوافق الغريب . ولم يكن صاعد ليدع فرصة تفلت إلا أظهر للمنصور شكره ، ومن ذلك أنه بحث إلى المنصور غلاماً له أسود يسمى كافور ، وقد ألبسه قيصاً كالمرقعة حاكه من خرق الأكيلس والصرر التى كان يقبض فيها صلات المنصور ؛ فلما مثل بين يدى المنصور عجب من فعل صاعد بغلامه وسأله فى ذلك فقال : « يا مولانا ، هنا لك الفائدة . اعلم يا مولاي أنك وهبت لى اليوم ملء جلد كافور مالاً » فتهلل وقال : « لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معانى الشكر » ، وأمره بمال واسع وكسوة ، وكبا كافوراً أحسن كسوة^(٥٢) .

ف ١٥ — الرمادى :

وأهم من صاعد — من الناحية الأدبية — يوسف بن هارون الرمادى . والرمادى ليس نسبة إلى بلد يسمى رمادة — كما يحسب البعض — وإنما هو الصورة العربية لسكنته بالإسبانية الدارجة وهى « أبو جنيس » ، والجنيس cenisa فى الإسبانية هو الرماد ، وترجمة « الرمادى » بالإسبانية على هذا El Ceniciento . وقد اتهم الرمادى بالاشتراك فى مؤامرة اشترك فى تديرها على المنصور جماعة من أهل الأدب — ربما كان دافعهم إلى ذلك الحسد له — فحكم للمنصور عليه بأن يقاطعه الناس ولا يباده الكلام منهم أحد . فضى المسكين بهم بين الجموع الذين كانت تزخر بهم طرقات قرطبة « وكأنه ميت » . ثم عفا عنه المنصور بعد ذلك ، لأننا نجد بين الشراء الذين رافقوه فى حملته على برشلونة فى سنة ٩٨٦/٣٧٦ (انظر قرة ٥٠) .

ويحكى ابن حزم عن الرمادى قصة حب رومانتيكى رائمة الجمال ، فيقول إن الشاعر كان مجتازاً عند « باب المطارين » فى قرطبة — وهذا الموضع كان يجتمع النساء — فرأى جارية مليحة « أخذت بمجامع قلبى ، وتخلل حبها جميع أعضائى » . فحبها حتى عبرت عن طريق الجامع ، وجعل يتبعها وهى ناعضة نحو

القطرة ، فجازها إلى الموضع المروف بالربض ، فلما صار بين رياض بنى مروان — رحمه الله — المبنية على قبورهم في مقبرة الربض خلف النهر ، نظروته منفرداً عن الناس لا م مع غيره ، فأنصرفت إليه فقالت له : « مالك عشي ورائي ؟ » فأخبرها بمظلم بليته بها ، فقالت له : « دع عنك هذا ولا تطلب فضيحتي ، فلا مطمع لك في البنة ولا إلى ما ترغبه سبيل » ، فقال : « إني أقنع بالنظر » ، فقالت : « ذلك مباح لك » ، فقال لها : « ياسيدتي ، أحرّة أم مملوكة ؟ » فقالت : « مملوكة » ، فقال لها : « ما اسمك ؟ » ، قالت : « خلوة » ، فقال لها : « ولين أنت ؟ » ، فقالت : « عليك والله بما في السماء السابعة أقرب إليك مما سألت عنه ، فدع الحال » ، فقال لها : « ياسيدتي ، وأين أراك بعد هذا ؟ » ، فقالت : « حيث رأيته اليوم ، في مثل تلك الساعة من كل جمعة » ، ثم قالت له : « إما تنهض أنت وإما أنهض أنا » ، فقال لها : « أنهض في حفظ الله » ، فنهضت نحو القطرة . ولم يمكنه اتباعها ، لأنها كانت تتلفت نحوه لتري أيسارها أم لا . فلما تجاوزت باب القطرة أتى يقفوها ، فلم يقع لها على مسألة . قال أبو عمر ، وهو يوسف بن هارون : « فوالله لقد لازمت باب المطارين والربض من ذلك الوقت إلى الآن فما وقعت لها على خبر ، ولا أدري آسماء لعنستها أم أرض بلمتها . . إن في قلبي منها لأحر من الجرا » . وهي « خلوة » التي يتفرل بها في أشعاره ، ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سبيلها إلى سرقسطة في قصة طويلة (٥٣) .

ف — ١٦ الوزير أبو المنيرة بن حزم :

وكانت المنصور جارية جميلة مغنية تسمى « أنس القلوب » ، وكان ذا غرام بها ، غير أنها كانت مولة بالوزير أبي المنيرة بن حزم . فحدث ذات مرة أن كان المنصور في رياض الزاهرة وفي صحبته أبو المنيرة ، فعنت الجارية :

قَدِمَ اللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ وَبَدَأَ الْبَدْرُ مِثْلَ نَصْفِ سَوَارِ

فكانَ النهارَ صفحةً خد وكانَ الظلامَ خطَّ عذارِ
 وكانَ الكؤوسَ جامدُ ماء وكانَ اللدائمَ ذائبُ نارِ
 نظرى قد جنى على ذنوباً كيف بما جنته عيني اعتذارِ
 يا تقوى ، تعجبوا من غزال جائر في محبتي ، وهو جارِ
 ليت لو كان لي إليه سبيل فأقضى من حبه أوطارِ
 قال أبو القيرة بن حزم : فلما أكلت الفناء أحسست بالمعنى فقلت :

كيف ، كيف الوصول للأقار بين سمر القنى وبيض الشفار ؟
 لو علمنا بأن حبك حق لطلبنا الحياة منك بشارِ
 وإذا ما الكرام هموا بشيء خاطروا بالنفوس في الأخطارِ

قال : فبعد ذلك بادر المنصور لحسامه ، وغلف في كلامه وقال لها : « قولى واصدق ، إلى من تشهدين بهذا الشوق والحنين ؟ » فقالت الجارية : « إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى ، والله ما كانت إلا نظرة ولدت في القلب فكرة ، فتكلم الحب من لساني ، وجرح الشوق بكلماتي ، والنفوس مضمون لديك عند القدرة » . ثم بكت فكان دمعها در تناثر من عقد ، أو طل تساقط من ورد ؛ وأنشدت :

أذنبتُ ذنباً عظيماً فكيف منه اعتذارى ؟
 والله قدر هذا ولم يكن باختيارى
 والنفوس أحسن شيء يكون عند اقتدار

فلم يلبث المنصور أن عفا عنها وعنه ، ووجهه الجارية (٥٤) .

وقد نقش على قبر المنصور في « مدينة سالم » هذان البيتان :

آثارة تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالبيان تراه
 فأنه لا يأتي الزمان بمثله أبداً ، ولا يحصى الثغور سواء (٥٥)

وهذان البيتان يتناقضان مناقضة ظاهرة تلك العبارة التي ترونها في « مدونة

برغش *Chronicon Burgense* ونصها : « في سنة ١٠٠٢ توفي المنصور ، وألحد في جهنم » .

ف ١٧ — ابن أبي زمنين — ابن المندى — حبيب الصقلي :

ونذكر ممن ظهر في عصر المنصور كذلك ، أو خلال الفترة التي تلتها إلى سقوط الخلافة ، أبا عبد الله محمد بن أبي زمنين (٩٣٥/٣٢٤ — ١٠٠٧/٣٩٨ أو ١٠٠٨ م) الذي نبغ في دراسة الفقه وألف « مدوته » المشهورة ، وشهرته بتصانيفه في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين أكبر . وقد أجمع الناس على الإحباب بشعره الذي يغلب عليه طابع الدين وشيء من التشاؤم ؛ وإليك نموذجاً من هذا الشعر صاغه في قالب أسئلة ، وهو طراز شائع معروف :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسنات
أين الأحبة والجيران ؟ ما فعلوا ؟ أين الذين هم كانوا لنا سكناً ؟
سقام الدهر كاساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهناً^(٥٦)

وظهر في ذلك العصر أيضاً شاعر آخر هو أحمد بن سعيد الممداني ، ويعرف بابن المندى (٩٣٢/٣٢٠ — ١٠٠٨/٣٩٩) وكان متسكناً من أساليب تحرير الوثائق ، وقد ألف فيها كتاباً عرف « بالديوان » « شحنه بالأخبار والحكم والأمثال والنوادر والشر والفوائد والحجج ، فأتى « الديوان » كبيراً ، واخترع في علم الوثائق فنوناً وأفانطاً وفصولاً وعقداً مجيبة » ، (« صلة » ابن بشكوال ، رقم ١٩) وقد طبقت شهرته آفاق الأندلس بهذا الكتاب .

وكان أبو الوليد (ويكنى أيضاً أبا محمد) عبد الله بن محمد بن نصر الأزدي القرطبي المعروف بابن القرضي (٩٦٢/٣٥١ — ١٠١٣/٤٠٤) المؤرخ (انظر فقرة ٨٤) يقول شعراً لطيفاً يستلهم فيه عاطفته الدينية الغالبة عليه ، كهذه الأبيات :

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفُ على وِشَلِّ ما به أُنْت عارفُ

يخاف دُوبًا لم ينسبُ عنك غيبها ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الفنَى يُرجى سواك ويُتقى وما لك في فصل القضاء مُخالف
فيا سيدى ، لا تُخزنى في صحيفتى إذا نُشرت يومَ الحسابِ الصحائف
وكن مؤنسَى في ظلمة القبر عندما يصدُ ذوو القربى ويحفو المؤلف
لئن ضاق عنى عنوك الواسع الذى أَرَجَى لإسرائى فإنى لتألف^(٥٧)

وحق « الصقالة » كانوا يقولون الشعر ، وهم طائفة لعبت في ميدان السياسة أدواراً خطيرة في فترات معينة ، نبغ من بينهم شعراء مثل حبيب الصقلي ؛ وكان من صقالة هشام اللؤيد ، وكان أدبياً ذكياً حذراً ، ألف كتاباً في فضائل الصقالة جمع فيه الكثير من شعرهم ؛ وقد ضاع هذا الكتاب^(٥٨) .

ف ١٨ — شعراء المروانيين :

كان أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن الناصر (٩٦٣/٣٥٢ — ١٠٠٩/٤٠٠) من أظهر شعراء عصر الخلافة ، وكان حفيداً لعبد الرحمن الناصر ، ولقب « بالشريف الطليق » . « وكان فيما قيل يهوى جارية رباها أبوه معه وذكراها ، ثم إنه استأثر بها ؛ فاشتدت غيرة مروان لذلك وانتضى سيفاً وانتهاز فرصة في بعض خلوات أبيه معها قتلته . وعُثر على القصة فسجن وهو ابن ست عشرة سنة ، ومكث في السجن ست عشرة سنة ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة ، وهذا نادر الاتفاق . ومات قريباً من سنة ٤٠٠ »^(٥٩) . وعرف في سجنه ابن مسعود ، وكان شاعراً كذلك . وقد جمع غرسة غومس « ديوان » شعره ، وأجل ما فيه فائِئته التى تنقسم أربعة أقسام : النسيب ، والحجرية ، والوصف ، والفخر . ووصفه الماصفة فيها بديع رائع ، ومنها :

وغمام هطل شؤبويه نادم الروض ، فتنى وسقى
فكان الأرض منه مطبق وكان النصب جان أطبقا

خلع البرق على أرجائه ثوباً وثني منه لما برقا
وكان المارض الجون به آدم خلّى عليه بقلّا

وبرع « الشريف الطليق » كذلك في مقطعات النسيب الرقيق ، وكان
طلیمة شعراء الأندلس في الزهریات التي بلغ شعراء الأندلس فيها إلى شأو بعيد على
يد ابن خفاجة^(٩٠) .

وكان سليمان السعیمین — الخليفة الأموي الذي ولي الخلافة مرتين (من
ربيع الأول سنة ٤٠٠ . إلى شوال سنة ٤٠٠ ، ومن شوال سنة ٤٠٣ إلى
الحرم سنة ٤٠٧) وتوفي عام ١٠١٦/٤٠٧ — يقول شعراً حسناً عارض في بعضه
أبياتاً لمارون الرشيد في موضوع « الأنسات الثلاث » ، وقد كان لهذا الموضوع
صدى بعيد في الموسيقى الأندلسية (ف ١٧٤)^(٩١) .

وكان عبد الرحمن الخامس المستظهر (توفي عام ١٠٠٩/٤٠٠) — الذي لم
يمكث على العرش إلا بضعة أسابيع — يرتجل أشعاراً حسناً ، وقد ربطه بابن
حزم صداقة صمیمة^(٩٢) .

بل كان الشعر في الأندلس يجري على ألسن النساء ، فبرع فيه منهن نفر
تذكر منهن عائشة بنت أحمد ، التي عشقت أحد أبناء النصور وتولت به ، وسریم
بنت أبي يعقوب الفيصولي ، وكانت زاهدة ورعة واسعة العلم بالأدب ، وحفصة
وأم الملاء الحجاريّتين ، وغيرهن كثيرات^(٩٣) .

ومن أظهر شعراء هذا العصر وكتابه أبو عاصم بن شهيد (٩٩٢/٣٨٢ —
١٠٣٥/٤٢٧) ، وقد أوجز غرسية غومس الكلام عنه بقوله : « إن ابن شهيد
الشاعر الناقد ليمثل في نظرنا رجل الفكر العرف . لقد كان من بيت عريق فلم
يصبح الأدب في يده خدمة بل سيادة . وتراءى لنا في شعره بين الفينة والفينة
لمحات ذات وقع حديث . وأما عن جانبه النقدي فقد خلف لنا « رسالة » صور
فيها رحلة شاعر إلى الجنة ، سابقاً بذلك للعرى ودانقي إلى ذلك الموضوع . وتعرض

للأذى من ملوك الطوائف ، وألم به بعد ذلك داء عضال عانى مرارته في صبر
المتصوف ورضاه ، ووورى القرباب في مقبرة « الخير » في حدائق قرطبة ، فرقد
رقدة الأبد تحت الزهور »^(٦٤) .

ومن بديع شعره قطعته الباننة الجمال المساة « بعد ليلة أنس » ، ومنها هذه
الآيات :

ولما تمدد من سكره ونام ونامت عيون العسس
دنوت إليه على قربه دنو رفیق إذا ما التمس
أدب إليه ديب الكرى وأسمو إليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلى وأرشف منه سواد القمس
فبت به ليلتي ناعماً إلى أن تبسم ثمر الفلّس^(٦٥)

و يفتاء اللذان يصف فيهما « العاصفة » :

وقد فترت ظهراً دجى كل زهرة إلى كل ضرع للغمامة حافل
ومرت جيوش اللزن رهوا كأنها عساكر زنج مذهبات للناصل^(٦٦)

ف ١٩ - أبو محمد علي بن حزم القرطبي ، جانبہ الشعرى :

وربما كان أهم شعراء الأندلس الذين عاشوا في فترة انهيار الخلافة ابن حزم
القرطبي ، للكثرة في كل ناحية من نواحي الفكر والآداب (انظر ف ٦٩) .
ونجد أكبر مجموعة من شعره في « كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف » ،
وهو دراسة نفسية للحب (انظر فقرة ٦٦) التي كتبه حوالى سنة ١٠٢٠/٤١١ .
وقد اعتبر غرسية غومس حياته « رمزاً على أحوال الأندلس على أيامه . كان
شاباً أنيقاً ينتسب إلى بيت رفيع من موالى بني أمية ، دخل ميدان السياسة
وهو بعد في مطالع الشباب ، ثم عانى أوصاب النفي واشترك في المؤامرات
والتدبيرات فيما بعد ، ثم أصبح آخر الأمر مفكراً غضب اللسان ، وجواب آفاق

ينازل العلماء والفقهاء ، ويتحدى بجدله العنيف آراء وعقائد متأصلة في الفقه والفلسفة والدين ، حتى لقد سمي نفسه في أحد كتبه « رجلاً جديلاً » بل جديلاً جوالاً ، حتى ليصدق عليه قوله :

لم تستقرّ به دار ولا وطن ولا تدقّ منه قط مضجعه
كأنما صيغ من رهو السحاب فما تزال ريح إلى الآفاق تدفه^(٧٧)

ونجد أكبر مجموعة من شعره مضمنة في تضاعيف كتابه المسمى « طوق الحمامة » (ف ٧٤) وقد ألّفه سنة ٤١٠ / ١٠٢٠ ، ومقامه في الأندلس مقام كتاب « الحياة الجديدة Vita Nova » لـهانتى فى إيطاليا ، وهو طائفة زهر أريمة من الأقاصيص ومقطعات الشعر والتحليل النفسى الخلقى للعب .

ويبدو أن ابن حزم قال الشعر وهو بعد صبي ، وكان قد درس البلاغة في شبابه على أستاذة عديدين . وكانت له قريحة طيبة تعينه على الارتجال دون تكلف ، وبين أيدينا نموذج من ارتجاله وهو قصيدة رثاء قائما في صديق له وإفاء الأجل^(٧٨) . وكان ابن حزم يأخذ على الكثيرين من معاصريه الصنعة التى كانوا ينظمون بها شعرهم ، وقد سخر من المموج الغزار التى يذرفونها « على ديار الحبيبة أو خيامها التى خلفتها » ، ويرى أن الكلام الذى أكثر الشعراء منه في وصف بهجة الوصل لا يطابق الواقع إلا في قليل . ولم يسرف ابن حزم في استعمال المجازات والتشبيهات وأضرّب البلاغة كما كان غيره يفعل ، ولم يقع في المبالغات العاطفية أو فقايع الألفاظ إلا قليلا ، وشعره لهذا كله طيبى واضح ، يصف أحوال النفس على فطرتها . وهو يصف ما شهدته وأحسن به إحساساً عميقاً في أسلوب جزل لطيف وشعره ينم تارة عن عاطفة حارة مشبوبة كقوله :

وددت بأن القلب شقّ عذبة وأدخلت فيه ، ثم أطبق في صدرى
فأصبحت فيه لا تحلّين غيره إلى مقتضى يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ما حييت ، فإن أمت سكنت شفاف القلب فى ظلم القبر^(٧٩)

وتارة أخرى يماق عند قم التجريد الذهني . وهو أمر غير مألوف في الشعر الأندلسي ، كقوله :

أين عالم الأملك أنت أم إنسي أين لي ، فقد أزرى بتمييزي العي
أرى هيئة إنسية ، غير أنه إذا عمل التفكير فالجرم علوي
تبارك من سوى مذاهب خلقه على أنك النور الأنيق الطيبي
ولا شك عهدي أنك الروح ساقه إلينا مثال في النفوس اتصالي
عدينا دليلا في حدوثك شاهدا نقيس عليه ، غير أنك مرئي
ولولا وقوع العين في الكون لم نقل سوى أنك العقل الرفيع الحقيق^(٧٠)
وقد ختم غرسية فومس كلامه عن ابن حزم بقوله : « ولقد كان إسبانيا
خالصا ، وهذا قوله يدل عليه :

ويا جواهر الصين : سحقاً ! فقد غنيت بياقوتة الأندلس^(٧١) »

[ولما كان شعر ابن حزم يرد في سياق كتابه عن الحب ، فإن لهجته وموضوعاته تطابق للواد المختلفة التي عالجها في ذلك الكتاب ، من بدء الحب وتطوره حتى نخود ناره وتلاشيه . وهو يتحدث عن سلطان الهوى واستبداده وغرائبه وشكوكه وآلامه ونصاياه ، ويتحدث عما يمرض للمحبين من الغدر وعدم الثقة والسوء والخداع ، ويتغنى بجمال المرأة — والمحبوبة خاصة — وبمحاولة العتاب ، ويصف سوء الماثل للمقرب للمحبين ، ويتحدث عما يكون بين العاشقين من خصام وصلح وتواعد على اللقاء ، وما يروونه من أحلام ، وما يطرأ عليهم من السوء : أي أنه يمرض لكل الحالات العاطفية المتباينة التي يمر بها أهل الهوى]^{(٧٢)(*)} .

وإليك نماذج من شعره في ذلك الكتاب نقلها عن « الطوق » كما نشره
بقروف :

(*) من أول القوس إلى نهاية الكلام عن ابن حزم وورد في الطبعة الأولى من الكتاب الذي ترجمه ، وقد أسقطه المؤلف من الطبعة الثانية ؛ ولكن رأيت إثباته لما فيه من فائدة .

طاف الخليل على مستهتر كلفٍ لو لا ارتقابُ مزار الطيف لم ينم
لا تعجبوا إذ سرى والليل مستكر فنورد مرهب في الأرض للظلم^(٧٣)

• • •

يبكى لميت مات وهو مكرم ولأحى أولى بالدموع الذوارف
فيا عجبا من آسف لأمرئٍ نوى وما هو للمقتول ظلماً بأسف^(٧٤)

ف ٢٠ — نمطان الشعر الأندلسي في عصر الطوائف :

قال غرسية غومس في تحليل الإنتاج الأدبي لهذا العصر وبيان خصائصه :
« كانت قرطبة الأموية — ملتقى أجناس الشرق والغرب وموضع امتزاج بعضها
ببعض — مركز توازن قلق . وعند ما انهار صرح خلافتها انقثر عقد بلادها
وتفرقت أيدي سبها ، وقام على أنقاضها رؤساء طوائف العرب الصغار ، وأمراء
الجماعات البربرية ، وفتيان صقالبة القصور » ، وزالت مع ذلك التفرق القوة الموجهة
للسياسة الأندلسية العامة ، واختفى ما هو أخطر من ذلك وهو للثل الإسباني
الأعلى . وإذا نحن نظرنا إلى التاريخ الأندلسي وما توارره من أحداث ، رأينا أنه
بينما عمل بنو أمية على تحويل الأندلس إلى قطر غربي ووقفوا في ذلك ، اجتهد
ملوك الطوائف في رد قرطبة الغربية إلى المشرق ثانية ، فتحولت عواصمه إلى
مضادات صغيرة كثيرة . ولننصف إلى ذلك أن الظروف العامة كانت قد تغيرت
تغيراً حاسماً حول الأندلس الإسلامي : فقد استيقظت إسبانيا النصرانية ومدت
يدها إلى أوروبا : كان ذلك عصر « السيد القمبيطور » . ثم إن أهل الغرب —
فيما يلي الزقاق — نظموا أمورهم في محراثهم وأقاموا لأنفسهم دولة . وبين تاري
النصارى في الشمال والبربر في الجنوب وقف ملوك الطوائف وقد وهن أرمم
وأضعفهم الترف والبذخ ، لا يكاد سلطان أحد منهم يتخطى حدود بلاده ،
فكانت دويلاتهم أشبه بجمهوريات إيطالية في ثياب شرقية : وسادت ذلك العصر

كله روح من البذخ للسرف وللإجرام السافر، من المطامع والنزوات، ومن الخفاجر والسموم. من هنا كان هذا الزمان عصراً عظيماً للشعر والشعراء، وتنافس ملوك الطوائف في اجتذاب الشعراء إلى نواحيهم، « ولم تزل الشعراء تتهاذى بينهم تهادى النواصم بين الرياض، وتفتك في أموالهم فتكة البراض، حتى إن أحد شعرائهم بلغ به مارآه من منافستهم في أمداحه أن حلف ألا يمدح أحداً منهم بقصيدة إلا بمائة دينار ». . كما قال الشقندي « (٧٥) ».

« وكان لكل أمير من أسراء الطوائف ميزة اختص بها دون جيرانه : فامتاز المتوكل صاحب بطليوس بالعلم والتزير، وامتاز ابن ذى النون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزبن صاحب السهلة أنداده في الموسيقى، واختص المقنن ابن هود صاحب سرقسطة بالعلوم، وبذ ابن طاهر صاحب مرسية أقرانه بالنثر الجميل المسجوع. أما الشعر فكان أسراً مشتركاً بينهم جميعاً يلقى منهم كل رعاية، ولكن عناية بنى هباد أصحاب إشبيلية الجيلة به كانت أعظم وأشمل. وفي أثناء ذلك كله كانت قرطبة النبيلة تحتضر، وكان البربر أصحاب السلطان في جنوبي الأندلس قد عقدوا الخناصر مع اليهود ووفود العناصر الشرقية على الأندلس، وانصرف ثمر من أهل الأدب إلى تأليف مجموعات جيد الكلام من نظم ونثر، كالذي فعله أبو الوليد الجبيري (توفي حوالي ٤٤٠/١٠٤٨ م) من تأليف كتابه « البديع في وثى الربيع »، ومضى الناس في نظم الموشحات. ولكن أكثر ما انصرفت إليه للسكات هو قرض شعر حديث على طريقة القدماء، ولدينا من تمارقرائهم آلاف من الأبيات؛ لقد أصبح أهل الأندلس كلهم شعراء! حتى قال القزويني إن أى فلاح يحرث بأثوار في شلب يرتجل ما شئت من الأشعار فيما شئت من الموضوعات. ومضى الشعراء يطعمون الأندلس طولاً وعرضاً، ينتجعون قصور الأسراء حيث يظفرون بالمأوى والصلات، ويحضرون مجالس أصحاب الأسر، وتدرج أسماؤهم في سجلات الدواوين، وتخلع عليهم وظائف التدريس.

ولقد كان الواحد منهم يرتجل القطوعة القصيرة فيبلغ بها الوزارة . ولما اشتد عليهم الطلب وتوالى عليهم إلحاح الأمراء رفعوا أسعار أشعارهم ، حتى حلف واحد منهم لا يمدح أميراً بأقل من مائة دينار . وأدرك اليأس نفراً منهم فأنصرفوا عن الشعر وعادوا إلى أريافهم وإلى ما كانوا يزاولونه قبل احترافهم الشعر من أعمال . وكان كبار القوم — من ملوك ووزراء وأصحاب وظائف كبرى وسفراء — لا يتراسلون إلا شعراً ، فكانوا يتهادون بطاقات صغيرة تحمل عبارات الدعوات والاعتذارات والأهاجي ، أو يرقونها بهداياهم ، أو يسجلون فيها لحات من حياتهم ، كلها منظومة شعراً يشبهون أنفسهم فيه بالنجوم والزهور ؛ أصبحت حياتهم كلها شعراً صرفاً ! ومعظم هذا الشعر متكلف زائف ، ولكنه يضم بين الحين والحين لحات تصور أخلد المواطف الإنسانية» (٧٦) .

٣ — عصر الطوائف

- (أ) قرطبة : الوزير ابن جهور — ابن زيهدون وولادة .
- (ب) لإشبيلية : المعتضد — المعتضد بن عباد — المعتضد واعتاد — شعراء بلاط المعتضد — ابن حديس الصقل — همر المعتضد في أيام سمعه وأيام إدار حظه — شمرة الملك الشاعر .
- (ج) قرطبة : أبو الفتوح البرجاني — أبو إسحاق الإلبيري .
- (د) المرية : الوزير ابن عباس — المعتصم بن سباح وشعراء بلاطه — آل المعتصم .
- (هـ) بلنسية ومهسية : ابن وهبون — ابن ليون الوادي آثي — الرقعي .
- (و) بطليوس : الخطير بن الأنطس — ابن عبدون وشارح شعره ابن برون .
- (ز) سرقطة : ابن باجة .

(١) قرطبة

ف ٢١ - أبو الوليد أحمد بن زيدون :

استولى الوزير أبو الحزم بن جمهور على أعنة الحكم في قاعدة خلفاء بني أمية
بسد زوال ملكهم . وقد أنشد الأبيات التالية في خراب « قصور الأمويين التي
تقوضت أبينتها ، وعوضت من أنيسها بالوحش أفنتها » :

قلت يوماً لدار قوم تقانوا أين سكانك العزاز علينا ؟

فأجابت : هنا أقاموا قليلاً ثم ساروا ؛ ولست أهلك أبناً^(٢٧)

أم شراء قرطبة [في ذلك العصر] أبو الوليد أحمد بن زيدون المخزومي
(١٠٠٣/٣٩٤ - ١٠٧٠/٤٦٣) . تمتع ابن زيدون بمكانة عالية في المجتمع
القرطبي بفضل ما أنفق في تعليمه من عناية ، وما وهبه الله من ملكة طيبة . وقد
تجلت شاعريته وسنه تقارب المشرين ، وذلك أنه عندما توفي القاضي الفقيه ابن
ذكوان ألقى ابن زيدون على قبره سرثية بليغة . وفي خلال فترة الاضطراب
السياسي الذي سبق سقوط الخلافة ، يبدو أن ابن زيدون أخذ جانب أبي الحزم
ابن جمهور .

ثم لم تلبث العلاقات أن اتصلت بين ابن زيدون وولادة ، وكانت سليمة بيت
ملك إذ أنها بنت الخليفة الأموي محمد بن عبيد الله بن الناصر لدين الله الملقب
بالمستكني بالله ، فلما مات أبوها نزلت عن الحريم وخرجت إلى مجامع
الأدباء والعلماء .

ويذكر ابن بسام أن ولادة « كانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها
حضوراً شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ونخب ، وحلاوة مورد ومصدر .
وكان مجلسها بقرطبة منتدلي لأحرار للمصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يشو
أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهاك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة

عشرتها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرة متابها . تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أتواب . على أنها — سمح الله لها ، وتعهد زلها — أطرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول فيها السبيل ، بقلة مبالاتها ، وبجاهرتها بلذاتها . كتبت — زعموا — على أحد عاتق ثوبها :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشى مشيتي وأتبه نبيها

وكتبت على الآخر :

وأمكن عاشقي من محن خدي وأعلى قبلي من يشتهيها
هكذا وجدت هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من عهدتنا نأفله ، وإلى الأدب من غلط النقل إن كان وقع فيه ^(٧٨) .

غير أن للقري يقول — بعد أن يروى هذه الفقرة — إنها « كانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف » ^(٧٩) ، وهذا الكلام يناقض ما نعرفه في بعض ما بقي من شعر ولادة من غش وقلة توقر .

ثم توثقت العلاقات بينها وبين ابن زيدون ، فكتبت إليه ذات مرة بحبيبة إياه إلى اللقاء بعد طول إلحاحه :

ترقب ، إذا جنَّ الظلام ، زيارتي فإني رأيت الليل أكرم السر
وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح وباليد لم يطلع ، وبالنجم لم يسر ^(٨٠)
وقلد ابن زيدون أبا الطيب في أسلوبه ، فقال في بعض شعره في ولادة :
تِهْ أَحْتَمِلْ ، واستَطِّلْ أصبر ، وعِزَّ أَهْنْ

وَوَلَّ أَفِيلْ ، وقل اسمع ، ومر أطم ^(٨١)

يبد أن السر لم يلبث أن ذاع أمره ، وأحس الحبيبان أن هواهما في خطر . ثم إن ابن زيدون « ترك غصناً شمرأ بجباله وجنح لنصن لم يشر » ، كما يقول ابن بسام (مشيراً إلى تعلق ابن زيدون بجارية سوداء لولادة) ، فبدأ قلب ولادة يتحول عن ابن زيدون . وقيت هي في ذلك الحين أبا عامر بن عبدوس ،

وكان كلفاً بها يطمع في أن يظفر بوجدها ، غير أنه كان رجلاً جاهلاً لا ذكاء فيه ولا علم عنده ، وكان إلى جانب ذلك مغترّاً بنفسه يحاول جهده أن يعطى جهله بماله المريض ، وقد استطاع بفضل هذا المال أن يصبح من وزراء أبي الحزم بن جهور — المستبد بأمر قرطبة في ذلك الحين — واجتذب ولادة ناحيته ، فثارت حفيظة ابن زيدون ، وجعل دأبه السخر من أبي عامر بن عبدوس ، وكتب إليه خطاباً على لسان ولادة أفرغ فيه تبحره الواسع في الأدب وتمكنه من اللغة ، فاشتهر أمر هذه الرسالة في قرطبة وتناقلها الناس من ذلك الحين واعتبروها غرة من أروع غرر الأدب العربي ، بدأها بقوله : « أما بعد ، أيها اللصاب بعقله ، للورط بجعله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العائر في ذيل اختارده ، الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على الشراب ، التهاوت تهاوت الفراش في الشهاب ، فإن العُجب أ كذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب ^(٨٢) . وإنك راسلتني مستهدياً من صلتى ما صَفَرْت منه أيدي أمثالك ، متصدياً من خُلَّتِي لما قُرِعَتْ دونه أنوف أشكالك ، مرسلًا خليلتك مرتادة ، مستملاً عشيقتك قوادة ، كاذباً نفسك أمك ستغزل عنها إلى ، وتَخْلُف بعدها على »

ولست بأول ذى همة دعت له ليس بالنازل ... »

وقد أغش ابن زيدون في هجاء ابن عبدوس في هذه الرسالة ، إلى درجة نفرت ولادة من شاعرنا وجعلتها تبده من المحبة بغضاً شديداً . ولم يزل ابن عبدوس يدبر له ويثير عليه خصومه ، حتى جعلهم يدبرون له تهمة تبديد أموال كان قد أوثمن عليها ، فزج به في السجن ، وجعل يرسل رسائل الاستعطاف من محبسه إلى أبي الحزم بن جهور وابنه أبي الوليد — وكان هذا الأخير صديقاً للشاعر — فلم يسعنه واحد منهما ، فنضى يكتب إلى أصحابه دون جدوى ؛ ولم ينس مع ذلك ولادة فلما تقاعس الناس كلهم عن إسعافه تبين « أن المأجز من لا يستبد ، والمرء يهجز لا الحالة . ولم أستجز أن أكون ثالث الأذليين : العير والوند ، وذ كرت

أن الفرار من الظلم والحرب مما لا يطلق من سنن المسلمين» (٨٣)، ومن ثم قرر الحرب، ودر حيلة أقلت بها من المحبس، وربما كان أبو الوليد بن جهور قد أعانه على ذلك.

قضى ابن زيدون بعد هجرته فترة من الزمن شريداً في أحواز قرطبة، مؤملاً أن يستطيع رؤية ولادة، ثم أرسل إليها «بنونته» المشهورة بتشوق فيها إليها ويدعوها إلى اللحاق به. وقد قال فيها غرسية غومس: «إنها أجل قصيدة حب نظمها الأندلسيون للسلون، وغرة من أبدع غرر الأدب العربي كله، عارضها ناس كثيرون ولا زالوا يعارضونها إلى اليوم».

واليك أبياتاً منها:

يَنتَمِ وبِناً ، فـما ابتلت جوانحنا	شوقاً إليكم ، ولا جفت مآقينا
نكاد — حين تناجيكم ضيائنا —	يقضى علينا الأمل ، لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا ، فتدت	سوداً وكانت — بكم — بيضاً ليالينا
إذ جانب الميش طلق من تألقنا	ومورد الدهر صافٍ من تصافينا
وإذ همصنا غصون الأُفْس دانية	قطـوفها ، فنجينا منه ما شينا
ليسق عهدكم ، عهد السرور ، فـما	كتم لأرواحنا إلا رياحيننا
من مبلغ اللبسينا بانتزاحهم	حزناً مع الدهر لا يبلى ويبالينا
أن الزمان — الذي مازال يضعكنا	أنساً بقربكم — قد عاد يبيكيننا
غِيظَ المدى من تساقينا الهوى فدموا	بأن نقص ، فقال الدهر : آمينا
فأنحل ما كان معقوداً بأنفسنا	وانبت ما كان موصولاً بأيدينا
وقد نكون وما يُخشى تفرقنا	قال يوم نحن وما يُرجى تلاقينا
يا ساري البرق غادِ القصر فائق به	من كان صرف الهوى والود يستقينا
ويا نسيم الصبـبا بلغ تحييتنا	من لوعلى البعد حي كان يحيينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يفسـيرنا	إن طالما غـير النأي المحيينا

والله ما طابت أهـواؤنا بدلا منكم ، ولا انصرفت عنكم أمانينا
 ياروضةً طللًا أجنّت لواحظنا ورداً جناه الصبا غصّاً ونسريفا
 وباحيةً تملّينا بزهرتها متى ضروباً ولذاتٍ أفانينا
 لسنا نسبك ، إجلالاً وتكرمةً قدرك المعلنى عن ذلك يغنيا
 إذ انفردت فاشورك في صفة فحبك الوصف إبضاحاً وتبيننا
 كأننا لم نيت والوصـل ثالـثا والسعد قد غصّ من أجنان واشينا
 سيران في خاطر الظلـاء يكتـمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
 ياجنة الخـلد أبدلنا بلسـها والكـوثر المذب زقوماً وغسلينا
 إنا قرأنا الأسمى يوم النوى سورا مكتوبة وأخذنا الصـبـر تلقينا
 ولم تجبه ولادة إلى ما طلب ، فضى « يستضى بنور عيها في الليل البهيم » ،
 كما يقول ابن خاقان^(٨٤) . ثم شفع له أبو الوليد بن جهور عند أبيه حتى عفا عنه ،
 فعاد إلى قرطبة ونفى يقرض المداخ في أبي الحزم بن جهور وآله ، تحدث في
 بعضها بما فعله أبو الحزم من تحريره الخمر في قرطبة وأمره بكسر أوانها ، وهذا ما
 توفي أبو الحزم في سنة ١٠٤٣/٤٣٥ قال فيه طائفة من الرائي^(٨٥) ، ورثي كذلك
 زوج أبي الحزم التي توفيت بعده بقليل^(٨٦) .

أما ولادة فليس لدينا من أخبارها ما يدل على أنه كانت لما بعد ذلك صلة
 بابن زيدون ، ويبدو أنها انزوت عن الناس مقتصرة على صلتها بابن عبدوس ،
 حتى أدركتها المنية في سن عالية^(٨٧) .

وقد دخل ابن زيدون بعد ذلك في خدمة أبي الوليد بن جهور ، الذي خلف
 أباه في حكومة قرطبة : فاصطنع ابن زيدون « وأوسع راتبه وجله كرامة لم تقمسه ،
 فيما زعموا » . ثم بثه رسولا له إلى إدريس أمير مالقة ، « فأطال التواء هنالك ،
 واقترب من إدريس ، وخف على نفسه ، وأحضره بجالس أنسه ، فقتب عليه ابن
 جهور وصرفه عن ذلك التصرف قبل قوله ، ثم عاد إلى جيل رآه فيه ، وصرفه

في السفارة بينه وبين رؤساء الأندلس » ، فذهب إلى بلنسية و بطليوس ، واستقر به المطاف آخر الأمر في إشبيلية ، حيث وجد الليدان فسيحاً لمطامحه ، إذ أحسن المعتضد بن عباد لقاءه أملاً في الانتفاع به . وقد قال فيه ابن زيدون قصيدة من روائع شعره ، وبلغ من إقبال المعتضد على ابن زيدون أن أقامه وزيراً له . وكان للمعتضد مجتهداً في القضاء على جيرانه البربر ، حتى استولى على بلادهم واحدة بعد الأخرى ، وسمت همته إلى توحيد بلاد المسلمين في الأندلس تحت رايته ، وتشبه بأمرأء المشرق في تقدير الشعر وإعلاء شأن أهله . وقد أشاد ابن زيدون بالأعمال الحربية التي قام بها المعتضد ، خلال فترة اجتهاده في توسيع رقعة مملكة إشبيلية . وعند ما توفي المعتضد ، استطاع ابن زيدون أن يحتل من ابنه المعتد نفس المكانة التي كانت له عند أبيه ، وصار من خواصه وصحابته ، يجالس في خلواته ، ويسفر له في مهم رسائله على حال من التوسعة . وكان ذهابه إلى ابن عباد سنة ٤٤١ . وقد بلغ تلك المكانة على رغم سمايات الحاسدين له من الحاشية (وخاصة ابن مرتين وابن عمار الذين هملا على إبعاده) . وكان المعتد قد انتقل إلى قرطبة بعد استيلائه عليها ، فاصطحب ابن زيدون معه ، فعاد إلى بلده وأهله وعلت مكانته عند ابن عباد ، فزاد حسد الحاسدين له . وحدث بعد ذلك أن وقعت فتنة بإشبيلية ، بسبب رجل يهودي بطش به مسلم ، فثار له أهل ملته وتفاقم الأمر ، فاجلجعت المعتد بإرسال نفر من كبار رجال دولته إلى إشبيلية لثلافي الفتنة ، وأنفذ معهم ابن زيدون ، فخرج « على بقية وعك كان متألماً منه » ثم أتبعه المعتد بابنه ، « فتمحدث الناس بقبو مكان الأديب ابن زيدون عند السلطان » . واستقر بابن زيدون وجهه « إلى أن قضى نحبه » ، وهلك ببلار هجرته إشبيلية صدر رجب سنة ٦٣ « (١٥ رجب ٤٦٣ / ١٧ - ١٨ أبريل ١٠٧٠ م) ^(٨٨) .

ويصع ابن بسام ، ومن جاء بعده ، آثار ابن زيدون في أربعة أبواب ، هي : المدائح ، والرسائل ، والمراني ، والفزل أو النسيب . وهذه الأضراب الأربعة من

الفصائد معروفة متواترة عند القدماء ، وبالإضافة إلى هذه نظم ابن زيدون بعض شعره في بحر الرجز ، وخلف تخميسين ؛ والتخميس لون من الشعر يتكون من فقرات كل منها خمسة مصاريع ، الأربعة الأولى منها على قافية واحدة ، والخامس على قافية أخرى يلتزمها الشاعر في المصراع الخامس من كل فقرة في قصيدته كلها . وقد استعمل ابن زيدون هذه الضروب الشعرية في غزلياته التي صاغها في شبابه ، وفي مدح معدوحيه وراثتهم حين صار شاعر بلاط^(٨٩) .

ويلقب ابن زيدون بتيبولوس^(٩٠) الأندلس ، لما بين حياته وما جرى عليه من الحوادث وما عبر بذلك الشاعر اللاتيني من تشابه . بيد أننا لا نستطيع أن نقارن بين هذين الرجلين ، فقد عاشا في عالمين مختلفين ؛ ثم إن نهور ابن زيدون وعنفه لا يمكن أن يقارنا بمحلاوة تيبولوس ورقته . وربما كان ابن زيدون قد استوحى منه من المتنبي الشاعر العربي الطائر الصيت ، فقد كان يقلده في أساليبه وأخيلاته تقليداً ، وهو لهذا « شاعر من طبقة الفحول القدماء وطابعهم ، وكان شعره لهذا جديراً بأن يتخذ مثلاً يحتذى من جاء بعده من الشعراء » ، كما يقول أوجست كور ، وقد ذهب إلى هذا الرأي كذلك أبو علي بن رشيح القيرواني ومحمد بن صاره الشنفريني وأحمد المقرئ .

وقد أوضحت حياة ابن زيدون وقصته مع ولادة إلى كاتب مسرحي محدث فكرة قصة مسرحية في ستة فصول طبعت في القاهرة في سنة ١٣٤٧/١٩٢٨^(٩١) .

(ب) إشبيلية

ف ٢٢ — المعتصم بن عباد :

تمكن القاضي أبو القاسم محمد بن عباد (المتوفى سنة ٤٣٤/١٠٤٢) من القبض على نواصي الحكم في إشبيلية قبيل انتشار عقد خلافة بني أمية ، وخلفه

ابنه عباد الذي تلقب بالمتضد (١٠١٢/٤٠٣ - ١٠٦٩/٤٦٢) . وقد كان ذا مزاج متناقض غريب ، يجمع بين الدهاء والقسوة ، والإحساس المترف ، والعلم الواسع ، والذوق الرفيع النفاذ . وكانت له — إلى ذلك — ذاكرة واعية ، وقريحة شاعرية طيبة ، جعلت معاصريه يضعونه في صفوف اللبرزين من الشعراء . وأحاط للمتضد نفسه بهالة من الشراء ، جعلت همها مديحه ، وأفرغ عليهم الأموال فبدا في حياة خلافة من العظيمة . وقد سلك في الاستبداد طريق سيميه المتضد العباسي في بغداد ، وحتى في مجالات اللهو والعبث والشراب ، التي كان هو وشراؤه يسرفون فيها في التنازع ، كان يحرص على أن يبدو رئيساً مهيباً . وكان هو وجلساؤه يرتجلون في خلواتهم خمريات هي الغاية في رقة الذوق وجمال الأسلوب . وربما أودع شعره من المعاني ما يمس العقيدة ، كقوله :

اشرب على وجه الصباح وانظر إلى نور الأفاح
واعلم بأنك جاهل إن لم تقل بالإصطباح^(٩٢)

وكان المتضد لا يكمل من العمل ، لا يعادل تفانيه فيه إلا تراميه على ملذاته . وكان إذا أبغض إنساناً لم ينقع غلة حقه شيء ، وقد بلغ من القسوة حدا جعله يتخذ جاحم أعدائه الذين أذاقهم الخنوف أصصا يزرع فيها الزهر ، ويزين بها حديقته ويتلذذ بتأملها كما يتلذذ البخيل بالنظر إلى ماله ؛ ومع ذلك كله فقد كان يحسب نفسه خيراً للوك ويقول :

لهذي السعادة قد قامت على قدم وقد جلست لما في مجلس الكرم
فإن أردت إلمى بالورى حسناً فمَلَكْنِي زمامَ العرب والعجم
فإنني لا عدلتُ الدهرَ عن حسنٍ ولا عدلتُ بهم عن أكرم الشيم
أفارعُ الدهرَ عنهم كل ذي طالب وأطرد الدهرَ عنهم كل ما عرم^(٩٣)

وكان موقفاً في حروبه ، فتمكن من القضاء على بعض إمارات الطوائف الصغيرة في جنوب الأندلس ، وضم أراضيها إلى إشبيلية فأنست رقعتها . وأوحت

إليه فتوحه بعض شعره ، ومن ذلك ما قاله بعد أن حاز رندة وحصنها :

لقد حُصِّتِ يا رنده قصرت للكنة عقده
أفادتلك أرماح وأسيف لما حده
وأجساد أشداء بهم تنهى الشده
غدت يروني مولى لهم ، وأرامُ عده
سأفنى مدة الأعدا إن طالت بي للده
وتبلى بي ضلالتهم ليزداد المدى جده
فكم من عدة قُتلت ت منهم بمداه عده
نظمت رؤوسهم عقداً خلَّت لَه السده^(٩٤)

وقد حفل بلاط بني عباد بمحمد كبير من الشعراء ، جمع الكثير من شعرهم وأودع مجموعات المأثورات الأدبية التي ظهرت فيما بعد ، ومن أولئك أبو الوليد بن حبيب (توفي ١٠٤٨/٤٤٠) وزير للمتضبد ، وأبو بكر بن القوطية نديم المتن ، وعلى بن حصن الذي أبدع في وصف « فرخ الحمام » بقوله :

وما حاجني إلا ابن ورقاء هائف على فنن بين الجزيرة والنهر
مُسْتَبَقُ طوقٍ لا زوردي كَلْسَكِلٍ موثى أطلَى أحوى القوادم والظهر
أدار على الياقوت أجناناً لؤلؤي وصاغ من المقيان طوقاً على الثغر
حديثُ شبا للنقار داجر كأنه شبا قلم من فضة مدّ في حبر
نومس من فرع الأراك أريكة ونام على طيِّ الجناح مع النحر
ولما رأى دمي حُرّاً أراه بكأى فاستولى على النمنن النضر
وحث جناحيه ، وصفق طائراً وطار بقلبي ، حيث طار ، ولا أدري^(٩٥)

ف ٢٣ — المعتمد :

يبد أن المعتمد (١٠٤٠/٤٣٢ — ١٠٩٥/٤٨٩) — ابن المعتضد وخليفته على عرش إشبيلية — يحتل في الأدب الأندلسي مكاناً أعظم وأهم من مكان أبيه

وهو من شعراء العربية الذين أجمع الناس على الإعجاب بهم في العالم الإسلامي كله^(٩٦). وقال غرسية غومس عن شاعريته :

« إذا كان لابد من تصوير المحنة العامة التي شملت الشعر خلال ذلك العصر في صورة شخص واحد من أهله ، فليس أوفق لذلك من للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية (١٠٦٨/٤٦١ - ١٠٩١/٤٨٤) . كان أبوه المعتضد (١٠٤٢/٤٣٤ - ١٠٦٩/٤٦٢) صاحب الأفاعيل الشنيعة ، وأبناءؤه جميعاً - وخاصة « الرافعي » الرقيق صاحب رندة - كلهم شعراء . ولكنه بزم جميعاً وفاق كل معاصريه في ذلك الضمار ، لأنه كان يمثل الشعر من ثلاثة وجوه : أولاً أنه كان ينظم شعراً يثير الإعجاب ، وثانيها أن حياته نفسها كانت شعراً حياً ، وثالثها أنه كان راعى شعراء الأندلس أجمعين بل شعراء العرب الإسلامي كله ، فإلى بلاطه لجأ شعراء صقلية وإفريقية عندما غزا النورمان بلادهم ، واستولوا على بعضها وتهددوا الباقي » .

ف ٢٤ - المعتمد وابن عمار :

بدأ المعتمد حياته السياسية عاملاً لأبيه على ولبة ، ثم قاد جيش إشبيلية الذي حاصر شلب عام ١٠٥٢/٤٤٤ . وهنا بدأت مواهبه الشاعرية تتجلى ، فقد لقي هناك أبا بكر بن عمار ، وكان شاباً عربى الأرومة فقير للنبت درس الأدب في شلب وقربة ، ثم مضى يذرع نواحي الأندلس في ملابس مسفكرة بعض الشيء ، وجعل يقول للدائح فيمن يمنحه العطاء ، ولم يقصر هذه اللدائح على الأمراء والرؤساء على ما جرت به عادة كبار الشعراء إذ ذاك . ثم لم يلبث أن دخل على للعتيد ، ولما كان كلاهما من عشاق اللسرات والمناشرات والشعر الجليل ، فقد توطدت بينهما أسباب اللودة . وقد اندفع للمعتمد في حبه ابن عمار اندفاعاً شديداً صادقاً ، في حين أن ود ابن عمار للمعتمد لم يخل من الشكوك والريب أبداً . ولم يكن كصاحبه الأمير يؤمن بدوام الرخاء والمغناء ، وإنما كان رجلاً ذاق مرارة

الخلية التي يخلفها في النفس الكفاح الدائم في سبيل العيش ، وكسب ابن عمار من حياته المجهدة كذلك شيئاً من الخبرة بطبائع البشر ، ومن ثم كانت المواجهات السوداء تطوف بنفسه ، وتلقى في روعه أنه قاعد ود العمدة يوماً من الأيام^(٩٧) .
وقد أبدع ابن عمار في قصيدة مدح بها للعمدة ، معروفة ذائعة في الأدب العربي يقول فيها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى	والنجم قد صرف العنان عن الشرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره	لما استرد الليل منا العبرا
والروض كالحسناء كساه زهره	وشياً ، وقلده نداء الجوهرا
أو كالسلام زها بورده رياضه	خجلاً وتاه بأحسين مَعْدراً
روض كأن التهر فيه معم	صاف أطل على رداء أخضرا
وتهزه ربح الصبا فتحاله	سيف ابن عباد يبده عسكراً ^(٩٨)
عباد الخضر نائل كفه	والجو قد لبس الرداء الأفعرا
يختار - إذ يهب الخريدة - كأعبا	والطرف أجرد والحسام مجورها
ملك إذا ازدحم للوك بمورده	- ونحله - لا يردون حق يصدرا

الح . . .

قضى ابن عمار في إشبيلية أول الأمر زمناً رخياً ، واشتغل للعمدة به عن أمور الدولة ؛ فأنكر المتضد ذلك وأراد أن يصرف ابنه عنه ففناه من إشبيلية ، فتوجه إلى سرقسطة حيث أقام حتى مات المتضد وصار الأمر للعمدة ، فالتقدمه وخبره في ولاية بتولاها ، فاختار شلب ، فأجابه العمدة إلى ما طلب والألم يعلأ نفسه لفرقه ، ألم حرك شاعريته فقال بضعة أبيات ذكر بها أيام الشباب السعيدة في ذلك البلد مع صاحبه :

الاحى أوطانى « شلب » أبا بكر وسلهن : هل عهد الوصال كما أدرى ؟
وسلم على « قصر الشراحيب » عن فتى له أبداً شوق إلى ذلك القصر

منازل آساد ويبيض نواعم فناهيك من غيل ، وناهيك من خدر
فكم ليلة قد بث أنم جنحها بمخضبة الأرداف مجدبة الخصر
ويضي وسمير فاعلات بمهجتي فعال الصفاح البيض والأسل الشمر
وليل بسد النهر لموا قطعتة بذات سوار مثل منمطف البدر
نفت بردها عن غصن بان منم نصير كما انشق الكمام عن الزهر^(٩٩)

دخل ابن عمار شلب دخول الأسراء في موكب حافل ، ولكنه لم ينكر
فضلاً لأحد من أحسنوا إليه في أيامه الخوالي . ثم جملة للمعتمد وزيراً له وأعاده إلى
جانبه . وقد أخذ شاعر شلب بنصيب وافر في الدفاع عن إشبيلية وزياد النصاري
عنها ، وكانوا لا ينفكون ينمشون حدودها ويغاورون أراضيها . وترى له في ذلك
قصة مشهورة — ذات طابع أسطوري خالص — تذكر كيف استطاع ابن عمار
صرف الأذفونش (ألفونسو السادس) عن أراضي إشبيلية « بألف حيلة وأيسر
تدبير » ، كما يقول عبد الواحد المراكشي^(١٠٠) : « فقد صنع سفرة شطرنج في غابة
الإقنان ، فبلغ خبرها الأذفونش فلما خرج لقائه سأله عنها فقال : « آتيك بها على
أن ألب معك عليها فإن غلبتني فهي لك وإن غلبتك فلي حكى » . وغلب
الأذفونش فطلب إليه ابن عمار أن يرجع فلم يسمه إلا الارتداد^(١٠١) . وأعان ابن
عمار المعتمد على ما كان بسيله من توسيع رقعة إشبيلية ، وخاصة في الاستيلاء على
مرسية وانزاعها من يد صاحبها ابن طاهر . وقد حاول ابن عمار في الوصول إلى ذلك
بالانفاق مع كُند برشلونة رامن بيرنجوير الثاني الملقب برأس الأسطب *Capeza de*
estopa ، على أن يعينه على ابن طاهر لقاء مبلغ من المال ، وتركه الرشيد بن
المعتمد رهينة عند رامن حتى يُدفع المال . ثم كتب إلى المعتمد بذلك فأبغماً عليه
رده ؛ وقلق الرشيد حين طال بقاءه بيد أمير برشلونة ، ووجد ابن عمار نفسه في
مركز حرج ، فأدركه الغضب على أميره وبث إليه بالآيات التالية من
« جَيَّان » :

أَصْدَقُ ظَنِّي أَمْ أَصْبَحَ إِلَى صَحْبِي وَأَنْقَضَى غَزِيرِي أَمْ أَعُوجَ مَعَ الرِّكْبِ
 إِذَا انْقَدْتُ فِي رَأْيِي مَشَيْتُ مَعَ الْهَوَى وَإِنْ أَنْتَقَبْتُهُ نَسَكَمْتُ عَلَى عَقْبِي
 وَإِنِّي لَتُثْنِيئِي إِلَيْكَ مَوْدَةٌ يَنْفِرُهَا مَا قَدْ تَعَرَّضَ مِنْ ذَنْبِي
 فَاغْرِبِ الْأَيَّامَ فَيَا قَضَتْ بِهِ تَرِيحِي بَعْدِي عَنْكَ آتَسَ مِنْ قُرْبِي
 أَخَافُكَ لِلْحَقِّ الَّذِي لَكَ فِي دَمِي وَأَرْجُوكَ لِلْحُبِّ الَّذِي لَكَ فِي قَلْبِي
 وَكَمْ قَدْ فَرَّتْ يَمْنَاكَ بِي مِنْ ضَرِيرَةٍ وَلَا غُرُوبًا أَنْ يَفْلُلَ مِنْ غُرْبِي
 وَأَعْلَمُ أَنَّ الْغُفْرَانَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَخْفَافَ مِنْ عَثْرِي
 وَلِي حَسَنَاتٌ لَوْ أُمْتُتُ بِبَعْضِهَا إِلَى الدَّهْرِ لَمْ يَرْتَعْ لَنَائِبَةُ سِرْبِي ^(١٠٢)

وصفح المتمدد عما بدر من ابن عمار وكتب إليه :

تَقَدَّمَ إِلَى مَا اعْتَدَتْ عِنْدِي مِنَ الرَّحْبِ وَرِدَّ تَلَقَّكَ الْعَتَى حِجَابًا مِنَ الْعَتَبِ
 مَقَى تَلَقَّى تَلَقَّى الَّذِي قَدْ بَلَوْتَهُ صَفْوَحًا عَنِ الْجَانِي رَمُوقًا عَلَى الصَّحْبِ
 سَأُولِيكَ مِنِّي مَا عَهَدْتَ مِنَ الرِّضَا وَأَصْفَحَ عَمَّا كَانَ ، إِنْ كَانَ مِنْ ذَنْبِ
 فَا أَشْمَرَ الرَّحْمَنُ قَلْبِي قَسْوَةً وَلَا صَارَ نَسِيَانُ الْأَذْمَةِ مِنْ شَيْعِي
 تَكَلَّفْتَهُ أَبْنَى بِهِ لَكَ سَلْوَةً وَكَيْفَ يَمَانِي الشَّرُّ مَشْرُوكَ الْقَبِ ^(١٠٣)

ثم تمكن ابن عمار من الاستيلاء على مرسية بمعاونة ابن رشيق صاحب حصن بَلَش (Velez الحالية) ، فلما كان المعجب الشديد بنفسه وأخذ حياة الأسراء ، وجلس للناس وعلى رأسه « الطويلة » ، وهي قلنسوة المتمدد وغيره من الأسراء في المناسبات الخافتة ، وحاكى المتمدد في التمييز وكتب : « ينفذ هذا إن شاء الله » في أسفل قرطاسه ، وتحنن في كلتا يديه ^(١٠٤) فبدأت الشكوك تساور نفس المتمدد ، وفوجئ بالأسر فتغيرت نفسه وخشى أن يكون صديقه القديم مشتغلا بالتدبير عليه . ولا يمكننا القطع بأن ابن عمار كان يفكر في الوئوب بالمتمدد ، فقد كان مخلصاً لأميته وإن لم يتحمس له ويندفع نحوه كما كانت حال المتمدد معه ، وكان صادقاً حين قال :

[لك للتل الأعلى وما أنا حارث] ولا أنا ممن غيرته الحوادث
ولا شاركته الشمس في وإيه ليتأى بحظي منك ثاب وثالث
فديتك ما للبشر لم يتسر برقه ولا نفعت تلك السجيا الدماث
أظن الذي بيني وبينك أذهبت حلاته عنى الرجال الأخابث
تسكرت ، لا أنى لفضلك ناكسر لدى ، ولا أنى لهدك ناكث
[ولكن ظنون ساعدتها سخام كما ساعدت صوت اللثاني الثالث] (١٠٥)
أبعد انقضا خمس وعشرين حبة تجافت لنا عنها الخلوب الكوارث
حلت يداً بي هكذا وتركنتى نهاباً وللأيام أيد هواث
وهل أنا إلا عبد طاعتك التي إذا مت عنها قام بعدى وارث
أعد نظراً ، لا توهم الراى إنه قديماً كبا هاف وأدرك راث (١٠٦)
ستذكرنى إن بان حبل وأصبحت تبين بكفك الحبال الرثاث
وتطلبنى إن غاب للراى حاضر وقد غلب عنى الخواطر باعث
أعوذ بهد نطته بك أن ترى تحمل عراه العاقبات اللوافث (١٠٧)

والصحيح أن ابتعاد ابن عمار الطويل عن إشبيلية أتاح الفرصة لأولئك
« الرجال الأخابث » لإفساد نفس للمتد عليه ، وكان من بينهم الوزير أبو بكر
ابن زيدون ، ابن أبى الوليد بن زيدون شاعر قرطبة الأنف الذكر . وزاد الحال
سوءاً أن ابن عمار لم ينفذ ما أمره به المتد من إطلاق سراح ابن طاهر ، مما
أسرع بإشاعر شلب إلى حقه . ذلك أن ابن طاهر احتال للهروب من محبسه ،
وعاونه في ذلك ابن عبد العزيز صاحب بلنسية ، ففك القصب ابن عمار ونظم
قصيدة يحض فيها أهل بلنسية على التوب بابن عبد العزيز ، قال فيها : (١٠٨)

[حَبْرٌ بلنسية ، وكانت جنة ، أن قد تدلّت في سواء النار
غدرت وقياً بالهود وقلبا عثر الوقى سعى إلى القدار]
جازوا بنى عبد العزيز فإنهم جرّوا إليكم أسوأ الأقدار

ثوروا بهم متأولين وقتلوا ملكا يقوم على العدو بنار
 هيهات تطمع في النجاة لطالب ساع إذا ونت الكواكب سارى
 جرارٍ أذبال القنى ظنوا به قد زاركم في الجحفل الحرار^(١٠٩)
 وعلم المتعمد بالأمر ، واطلع على قصيدة ابن عمار ، فنضب عليه غضباً شديداً
 لأن ابن عبد العزيز كان صديقاً له ، وعارض شعر ابن عمار بأبيات يسخر فيها
 منه ، قال :

كيف التفتت بالغديمة من يدي رجل الحقيقة من بنى عمار ؟
 إلى أن يقول :

الأكثرين مسوداً وملسكا ومتوجاً في سالف الأعصار
 والموثرين على العيال بزادهم والضاربين لهماضة الجبار
 الناهضين من اليهود إلى الملا والمنهضين الفار بعد الفار^(١١٠)
 وحركت سخرية المتعمد دوايح الغضب في نفس ابن عمار ، وأفلت زمامه
 من يده ، فكتب قصيدة بالغة العنف ذم فيها للمتعمد وآله وزوجه الرميكية^(١١١) ،
 وحصلت في يد المتعمد نسخة منها بخط ابن عمار ، فلما علم هذا الأخير بذلك هلمت
 نفسه ، وفر من مرسية ولجأ إلى الأذقوش فأساء استقباله وازور عنه ، فأنصرف
 عنه إلى سرقسطة ومضى يمين صاحبها في أموره ؛ ثم حاول الاستيلاء على
 « شقورة » فوقع في أسر صاحبها في أثناء المحاولة ، وعرض أسرهُ أن يسلمه لمن
 يدفع فيه أكبر مبلغ ، فبذل للمتعمد أقصى ما كان الرجل يطلبه وحصل ابنُ عمار
 في يده . وقد حاول ابن عمار أن يظهر بصفتح المتعمد ، وجرى بينهما ما أحجى
 في نفس الشاعر ذبالة من الأمل ، ولكن الأمل لم يلبث أن خبا بسبب سعايات
 ابن زيدون ؛ وانتهى أمر ابن عمار بأن مات قتيلاً بيد المتعمد^(١١٢) .

ف ٢٥ — اعتماد :

وهناك شخصية أخرى تجلت في بلاط المعتمد وكان لها أثر بعيد في إنتاجه الشعري ، تلك هي اعتماد الرميكية التي كانت تجارية تاجر من مياسير إشبيلية يسمى « رميك » . وقد صادفها المعتمد في إحدى زياراته مع صاحبه ابن عمار وأعجب بها إذ أجازت على البديهة شطر بيت عجز عن إتمامه ابن عمار نفسه ، فاشترها من صاحبها وتزوجها .

كان حديث اعتماد يفيض عنوبة وطلاوة وكانت طلعها مسعدة ، حاضرة الجواب بارعة الردود ، وكانت فيها رقة طبيعية غالبية ومرح لطيف ، تشوبه سذاجة الطقولة ، ولكنها كانت تسرف في دلالها ونزواتها إلى حد يضيق عنه صبر المعتمد . ومن نزواتها للسرف ما تحكيه الكتب من أنها طلبت إلى المعتمد أن يرهبها الثلج فزرع لها أشجار اللوز على جبل قرطبة ، حتى إذا نور زهره بدت الأشجار وكأنها محملة بالثلج الأبيض ، ومنها تمنيتها أن تسير في العطين برجليها كما رأت الناس يفعلون ، فأمر المعتمد بأن يذرها في رحبة القصر الكافور والطيوب وأن تعجن بماء الورد ، حتى صارت كالطين وخاضت فيهمج جواربها^(١١٣) .

وقد أبغضها القهاء ورموها بأنها « ورطت للمعتمد فيا ورطته من الخلعة والاستهتار والجمهرة ، حتى كتب عليه أهل إشبيلية بذلك وبتمطيل صلوات الجمع عقوداً ، ورفضوها إلى أمير المسلمين »^(١١٤) . ولم تكن هي لتأق بالآ إلى أولئك الرجال الذين بذلوا قصارهم في إزالة ملك بني عباد ، ومضى المعتمد على حاله معها فلم يقصر في شيء يجلب إلى نفسها السرور . وقد بلغ من إعزازها إيائها أن صنع أبياناً يبدأ كل منها بحرف من حروف اسمها وهي :

أغاثية الشخص عن ناظري وحاضرة في صميم القواد
عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشؤون وقدر السهاد
تمسكت مني صمب اللرام وصادفت مني سهل القياد

مرادى أعيالك في كل حين فياليت أنى أعطى مرادى
أقيى على العهد في بيننا ولا تستحيل لطلول البعاد
دست اسمك الخلو في طيه وألفت [منه] حروف «اعتماد»^(١١٥)
وقال المعتد فيها كذلك شعراً كثيراً مختار منه هذه الأبيات :

كثبتُ ، وعندى من فراقك ما عندى وشوقى كمن قد بان عن جنة الخلد
وما خُطت الأقلام إلا وأدنى تخط سطور الشوق في صفحة الخلد
ولولا طلاب المجد زرتك طيه عبيداً ، كما زار الندى ورق الورد^(١١٦)

ف ٢٦ — شعراء بهو المعتد — ابن محمد بن الصقلي :

ليس من الغريب — وأمير الدولة ووزيرها شاعران — أن يظفر الشعراء
بمخطوة كبيرة في بلاطها . ولقد قال ابن خاقان إن المعتد « ملك قع العدا ، وجمع
الباس والندا ، وطلع على الدنيا بدر هدى ، لم يتبطل يوماً كفه ولا بنانه ، آونة
يراعه وآونة سنامه ، وكانت أيامه مواسم ، وثقور به مواسم ، ولياليه كلها درراً ،
ولأزمان أحبالاً وغرراً ، لم يغفلها من سمات عوارف ، ولم يُضجِها من ظل إيناس
وارف ، ولا عطلها من مآثرة بقى أثرها باديها ، ولقى ممضيه منها إلى الفضل هاديها ،
وكانت حضرته مطمحاً لهم ، ومسرّاً لأمال الأمم ، وموقفاً لكل كمي ، ومقذاً
لدى أنف حمي ، لم تخل من وفد ، ولم يصح جوها من انسجام رعد ، فاجتمع تحت
لوائه من جماهير السكاة ، ومشاهير الحماة ، أعداد يغص بهم القضاة ، وأنجاد
يزهى بهم النفوذ والقضاء . وطلع في سمائه كل نجم متقد ، وكل ذى فهم منتقد ،
فأصبحت حضرته ميداناً لرهان الأذهان ، وغاية لرمى هدف البيان ، ومضاراً
لإحراز خصل في كل معنى وفصل »^(١١٧) .

وإلى هذا كله كان المعتد فتاة دقيقاً للشعر لا يميز إلا الجيد منه ، وكان الجيد
يظفر منه بكرم واسع .

وقد ألقى الشاعر عبد الجليل بن وهبون بين يديه اليتيم التالين :

غاض الوفاء فما تلقاه في رجل ولا يمر بمخلوق على بال
قد صار عندهم عتقاء مُعْرِبة أو مثل ما حدّثوا عن ألف متقال

فقال للمتمد : « عتقاء مغربة وألف متقال يا عبد الجليل عندك سواء ؟ »
فقال : « نعم » فقال : « قد أمرنا لك بألف دينار ، وبألف دينار أخرى
تفتقها » (١١٨) .

وقد حفل بلاط للمتمد بشعراء شاركوا فيما عبر به من مصروف ، ومن أولئك
ابن زيدون حاسد ابن عمار وعدوه ، والحصري للبح في الطلب في غير جياء ، حتى
لقد لقي المتمد في طنجة وهو في طريقه إلى النقي فلم يستح من مطالبته بالعتاء (١١٩) ،
وابن الأمانة الداني (١٢٠) الذي يعتبر مثلاً في الوفاء وإخلاص الود ، وقد أقام إلى
جانب المتمد يؤنس في محبسه . وفي هذا البلاط كذلك نجد « الجارية العبادية » (١٢١)
التي أهداه إياها مجاهد صاحب دانية ، وكان لها في نفس المتمد مكان عظيم ،
والرازي بن المتمد نفسه ، وكان شاعراً جيداً (١٢٢) ، وبشينة ابنة المتمد من
اعتماد ، وقد بيعت سبيّة في وثاقها عندما استولى للرابطون على إشبيلية ، فاشترها
تاجر إشبيلي واستخلصها من بين الأسرى ، فكتب إلى أبيها أياتاً بارعة تستأذنه
في الزواج من ابن مقلدها (١٢٣) .

وكان عبد الجبار بن حديس الصقلي أحد شعراء بلاط المتمد ، وأصله من
سرقوسة بصقلية ، بارح بلده عندما استولى عليها النورمان في سنة ١٠٧٨/٤٧٠ ،
وأقبل إلى الأندلس وألم ببعض نواحيها ، ثم استقر في إشبيلية ؛ فلم تلبث براعته
في ارتجال الشعر أن ظهرت ، وحظي من المتمد بمكان جميل (١٢٤) . ولما كان
ذاعهد بالحروب وقراع الأستنة ، فقد صاحب المتمد إلى ميادين حروبه . وعندما
أمر المتمد ونفى إلى أغمات رافقه ابن حديس إليها ، واجتهد في التخفيف عنه

بقصائد جميلة ، ثم انصرف إلى إفريقية وعاش رديحاً من الزمن في المهديّة ، ثم انتقل إلى تونس وظل فيها إلى آخر أيامه .

و « ديوان » ابن حديس مشهور مقداول ، وقد نشر « أماري » منه جزءاً وأشعاره تعرض جوانب من حياته : شبابه ومغامراته في إفريقية ، والحنين إلى وطنه الأول ، ومدائح قائما فيمن اتصل بهم من الأمراء وذوى الشأن . وأما فيما يتصل بالأندلس ، فإننا نجد في شعر ابن حديس إشارات أدبية وحربية ، وهو يذكر إقباله على المتمد وسجن هذا الأخير . وأحسن أشعاره تلك التي يذكر فيها وطنه . ولابن بسام فيه رأى جميل (١٢٥) .

ف ٢٧ — شعر المتمد في سعادته :

يبد أن المتمد لم يزل طول حياته أبرز الشخصيات الأدبية في عصره ، وأشعاره تنقسم بطبيعة الحال إلى قسمين : ما قاله أيام ملكه وإقبال الدهر ، وما قاله في منفاه حين اجتمعت عليه الموم وعيست له الأيام .

ومن لطيف شعره ما قاله وهو بعد أمير ، وقد أرسله أبوه المتمد على رأس جيش رعى به مائة ، فانهزم المتمد من جراء إهماله فغضب أبوه غضباً شديداً ، وخاف سورة أبيه فكذب إليه أبياتاً لم تلبث أن ذهبت بنفضه وأعادت إليه صفوه :
لم أوث من زمني شيئاً ألد به فلست أعرف ما كلس ولا وتر
ولا تملكني دل ولا خفر ولا سبا خلدي غنج ولا حور
رضاك راحة نفسي ، لا نجعت به فهو القصاد الذي للدهر أدخر
وهو اللدام التي أسلوبها ، فإذا عذمتها وقدت في قلبي الفكر
أجل ، ولي راحة أخرى كلّفت بها : نظم السكلى في القنا والممام تنقتر (١٢٦)

وعند ما فتح قرطبة قال متحدثاً عنها كما لو كانت غانية جميلة ذات صلف :
من الملوك بشأو الأصيلد البطل هيهات جاءكم « مهزبة » الدول

خطبتُ قرطبةُ الحسنة إذ منعتُ من جاء بخطبها بالبيض والأسل
وكم غدتُ عاملاً ، حتى عرضتُ لها فأصبحتُ في سرى الخلى والخلل
عرس للوك ، لنا في قصرها عرس كل اللوك به في مأنم الوجل
فراقبوا عن قريب — لا أبالكُم — هجوم ليث بدرع الباس مشتمل (*)

ف ٢٨ — المرابطون في إشبيلية :

ويعصور لنا للمتمد الحياة الرخية التي كان ينعم بها في إشبيلية في شعر كثير ،
منه قوله :

ولقد شربتُ الراح يسلم نورها والليل قد مدَّ الظلام رداء
حتى تبدَّى البدر في جوزائه ملكاً تنهى بهجةً وبهاء
وتناهضتُ زهرُ النجوم يحفه لألاؤها فاستكمل الللاء
لما أراد نزلها في قربه جبل للظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كاللواكب حوله رفعت ثراها عليه لواء
وحكته في الأرض بين مواكب وكواعب جمعت سناً وسقاء
إن نشرتُ تلك الدروع حناصراً ملأت لنا هذى السكؤوس خياء
وإذا تقفت هذه في مزهر لم نأل تلك على التريك غناء (*)

(*) « الفلاند » ، ص ١٢ .

كان من المؤلف عند شعراء العرب الحديث عن المدن كما لو كانت زوايا من البصر ،
وقد اختلف هذا إلى الأناشيد الشعبية الإسبانية ، ومن هذا ما نراه في القصة الشعرية التي تدور
حول شخصية أسطورية اسم صاحبها ابن حمار أيضاً ، ونراها نقراً :

« وحنا ، تحدث الملك الدون خوان — استمعوا جيداً إلى ما قال :

إن أردت يا غرناطة تزوجك ،

وأعطيك صداقاً قرطبة وإشبيلية ١ » .

[فالت] :

« إنني متروجة أيها الملك الدون خوان — متروجة ولست بأرارة ، إن العرب الذي

يجوزني يعنى حبا عظيماً » . [المؤلف]

(٢٠) « فتح » ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ .

وقد كان المعتضد متخوفاً من ناحية المرابطين ، لا تزال الموم تساوره بسبب
نجمهم الصاعد وقوتهم للزيادة في إفريقية ، وأراد القدر أن تصدق هذه الخواص .
في عهد ابنه المعتد ، فقد اشتد ضغط النصارى على إشبيلية ، ووجد الرجل نفسه
مضطراً إلى الاستنجاد بالمرابطين بعد تردد طويل ، ونصحه ابنه الرشيد بالعدول
عن ذلك وخوفه من المرابطين ، فأجابه قائلاً : « أى بنى ، والله لا يسمع عنى أبداً
أنى أعدت الأندلس دار كفر ، ولا تركتها للنصارى فتقوم على اللعنة على منابر
الإسلام مثلما قامت على غيرى . حرز الجلال — والله — عندى خير من رعى
الخلاير » (١٢٧) .

ثم اضطر بعد ذلك إلى الاستنجاد بالشليطين (أفونسو السادس) عند ما
اشتد بلاؤه بالمرابطين ، فأقبل أفونسو إلى إشبيلية بعد قوات الأوان .
وقد وقف القتها إلى جانب المرابطين وتألّبوا على أمراء الأندلس ، ومضوا
يكثرّون فيهم ويتهمونهم بالروق عن الدين ، وانقلب المرابطون من معينين للملك
الطوائف إلى غزاة لبلادهم ، واستولوا على معاقلم واحداً بعد واحد ، وسقطت
إشبيلية في أيديهم في سنة ١٠٩١/٤٨٤ بعد صراع عنيف مع المعتد وأبنائه . يقول
ابن اللبانة : « فلما وصل (المعتد) إلى « باب الصباغين » وجد ابنه « مالكا »
مقتولاً ، فاسترحم له ودخل القصر . وزاد الأمر بعد ذلك ، ودخل البلد من كل
جهانه فطلب الأمان له ولبن ممة ، فأمن جميع من له ، وأعدت له سراكب واجتاز
إلى طنجة » (١٢٨) .

وصار للمعتد وأبنائه أسرى في أيدي المرابطين ، فخلعهم إلى طنجة . وقد
ودعهم أهل إشبيلية وداعاً مؤثراً بلسان ابن اللبانة حيث قال :

حموا حريمهم حتى إذا غلبوا سيقوا على نسق في حبل مقتاد
وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا فوثق دُهم لتلك الخليل أنداد
وعيث في كل طوق من دروعهم فصيح منهن أغلال لأجباد

نسبت إلا غداة النهر كونهم في المنشآت كأموات بألحاد
والناس فدملاً والمبرين واعتبروا من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حطّ القناع فلم تُستر مخدرة ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة وصارخ من مفداة ومن قاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها كأنها إبل يحدوبها الحسادى
كم سل في الماء من دمع وكم حلت تلك القطائع من قطعاً كباد
من لى بكم يا بنى ماء السماء إذا ماء السماء أبى سقيا حشا الصادى (١٢٩)

ولما بلغ المتعمد طنبجة في طريقه إلى منفاه ؛ لقيه المصرى الشاعر ، « فخرى
معه على سوء عاداته من قبح الكدية وإفراط الإلخاف » ، وسأله جائزة ؛ فأبت
أريحيته إلا أن يمث له بكل ما كان معه : ست وثلاثين مثقالا ، « فطبع عليها
وكتب منها بقطعة شعر يمتد عن قلبها » (١٣٠) .

ف ٢٩ - شعر المتعمد في منفاه :

وفي ظلال الأسر وآلامه ، قال المتعمد في منفاه في أغنيات أصدق أشعاره
عاطفة ، وأبلغها في النفس أرقاً . بعثت معانيها في نفسه الآلام التي عاناها خلال
السنوات الأخيرة من عمره ، قال في الأغلال التي كان ينوء بها :

تعطف في ساق تعطف أرقم يساورها عضاً بأنياب ضينم
إلبك ، فلو كانت فيودك أشمرت تضرّم منها كل كف ومعمم
مخافة من كان الرجال بسبيه ومن سيفه في جنة وجهه (١٣١)
وكانت ذكريات الأيام السعيدة الخالية تطوف بذهنه فيقول :

كدت حاف التدى ورب السباح وحيب النفوس والأرواح
إذ يمينى للبذل يوم المطايا ولقبض الأرواح يوم الكفاح
وشمالى لقبس كل عناف يقم الخيل في مجال الرماح

وأنا اليوم رهن أمر وقر مستباح الحى مهبط الجناح
لا أجيب الصريح إن حضر النا س ، ولا المعتفين يوم السماح
عاد بشرى الندى عهدت عبوساً شغلتنى الأشجان عن أفراحى
فالتماحى إلى العيون كربه ولقد كانت زهرة اللامح (*)
ويقول غرسية غومس في هذا الصدد : « وكان ألم المعتد على الحقيقة ألاماً
نفسياً روحياً ، مبسطة التباين بين حياته الماضية وحياته فى النفى ، وأساسه
الاختلاف الواضح بين الحضارة التى كانت يعيش فى ظلها والبربرية التى وجد
نفسه بين أنيابها فى مفاه ، ذلك الاختلاف البعيد بين قصور إسبيلية وبين
أكواخ المغرب وما فيها من مرارة :

بكى « المبارك » فى إثر ابن صباد بكى على إثر غزلان وآساد
بكت « ثرياه » ، لاغت كواكبها بمنى نوى الثريا الرائع القادى
بكى « الوحيد » ، بكى « الزامى » وقبته والنهر « والتاج » كل ذلك باء (١٣٢)
وكان يرى فى قطرات دمه خضرة أشجار زيتون « الشرف » ، وبياض
المنازل على شواطئ النهر عند طرقاته ، كما يرى السحرة الأشياء فى كرة البلور .
والقد كان يستثير شجونه أن يجد يده خلواً عما تجود به — وهو الجواد صاحب
الندى — وأن يجد سيفه عاطلاً مهملاً ، ورماحه يرين عليها الخمول والصدأ :

تبدلت من عز ظل البنود بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدى سناناً ذليلاً وعضباً رقيقاً صقيلاً الحديد
فقد صار ذلك وذا أدما بعض بساقى عض الأسود (١٣٣)
أو :

كذا يهلك السيف فى جفنه إذا مز كنى طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم اعتقله ولم تروى من مجرى يمى (١٣٤)

وكانت تتمثل في ذهنه مآسى حياته كلها : لقد وقعت إحدى بناته بين بران
الأسر وبيعت رقيقة ، واشترأها تاجر وزوجها من ابنه ، ونزع واحد من بقى له
من البنين إلى الثروة وانقضى المناوشة المربطين ، وشكت زوجه وبناته — اللاتى
كن يسرن بأرجلهن في العنبر والكافور — مرارة الفقر والمهانة ، واضطرون إلى
الغزل بأيديهن ليكسبن عيشهن :

فيا مضى كنت بالأعياد مسروراً فساءك العيد في أغصان مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائئة ينزلن للناس ما يملكن قطعيراً
برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيوات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
كان كل شيء حوله يستدعى أحزانه وشجونه ، فضى يغنى بالرياح
والطهور خاصة ، وجعل يقول الشعر مخاطباً سرباً من القضا خلقت بأجنحتها عالياً
في الفضاء :

بكيت إلى سرب القضا إذ صعدن بي سوارح ، لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك — والله الميّد — حسادةً ولكن حنيئاً : إن شكلى لها شكل
فأسرح ، لا شمل صديق ولا الحشا وجيع ، ولا عيناى يُبكيهما نُكل
هنيئاً لها أن لم يُفرّقَ جميعها ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
وأن لم تبت — مثلى — تطير قلوبها إذا هنز باب السجن أو صلصل القفل
لنفسى إلى لقيا الحمام تشوّف سوى يحب العيش في ساقه حجل
ألا عصم الله القضا في فراخها فإن فراخى خابها الماء والغفل (١٣٥)

وينشد على لسان قرية قدت إلها :

بكت أن رأت إلفين ضمهما وكرّ مساء ، وقد أخنى على إلهها الدهر
وناحت ، فباحث ، واستراحت ، بسرّها وما عطقت حرقاً يسوح به سر
فالى لا أبكى ؟ أم القلب صخرة ؟ وكم صخرة في الأرض يجرى بها نهر

بكت واحداً لم يُشجها غير فقدمه وأبكى لآلاف ، عديدٌ هم كثر
 بُنيَ صنفٌ — سيرٌ أو خليل موافق يمزق ذا قعر ، ويُغريق ذا بحر
 ونجمان زين للزمان احتواهما بقرطبة الفكداء أو رندة القمبر
 عذرت إذا أن ضن جفنى بقطرة وأن لؤمت نفسى فصاحبها الصبر
 قتل للنجوم الزهر تبكيهما معي لملهما فلتحزن الأنجم الزهر^(١٣٦)
 أو يصف زوجاً من الغربان وقفا على حائط : شأن من ترميه الأيام في
 ضيق المحابس ، لا يزال يقرى بذكر الطيور ، ولسان حاله يردد الأنشودة
 الإسبانية القديمة :

« أُنكَلِيها راي نبال ،

لَقاه الله شر الجزاء »^(١٣٧) .

وإن للمعتد ليدكرنا — وهو يرسف في كبوله ، وينوء تحت قمل همومه —
 بشخصيات الملوك للزونة في اللآسى القديمة .

وكان يقرى أثناء هذه المحنة برؤية نفر من الشعراء كان عرفان الجليل يدفعهم
 إلى زيارته في منفاه ، ومن أولئك أبو محمد الجعاري — الذي تلقى من نفحات
 المعتد ذات مرة مالا جزيلاً افتتح به دكاناً وعاش من مكاسبه منه عيشاً رغداً —
 أقبل إلى المعتد بواسيه ويحتف عنه ، فأسر المعتد إليه ذات مرة أنه حفر قبره
 بيده إذ استصرخ للراطلين .

وكان يسعد إذا زاره أخلص أصدقائه ابن البانة الداني الشاعر ، فأنعى إليه
 ذات مرة أن عبد الجبار بن المعتد يحاول إقامة ملك بني عباد من جديد ، وأنه
 استولى على أركش (حصن مجاور لإشبيلية) والجزيرة الخضراء واستقل بهما ،
 فانهشت الآمال في نفس الأمير الأسير ، ولا زالت تهدهد خياله حتى وافته المنية
 في سنة ١٠٩١/٤٨٤ . هذا ولم يوفق عبد الجبار فيما كان ساعياً فيه ، وتلاشى
 أمره بعد قليل^(١٣٨) .

وقد نظم المتمد أياتاً أوصى بأن تكتب على قبره ، شبه نفسه فيها « بجبل
يتهاذى فوق أعواد » — ناظراً في ذلك إلى معنى ضمنه للتبني أحد أياته — وقد
ترجمها غرسية فومس إلى شعر إسباني :

قبرَ الغريب ، سقاك الريح النغدى	حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
بالحم ، بالم ، بالنعمى إذا اتصلت	بالخشب إن أجذبوا ، بالرى الصادى
بالطاعن ، الضارب ، الرامى إذا اقتتلوا	بالموت أحر ، بالضرغامه العادى
بالدهر فى نيم ، بالبحر فى نيم	بالهدر فى ظلم ، بالصدر فى النادى
نم ، هو الحق ، حابى به قدر	من السماء ، فواقنى ليمصاد
ولم أكن قبل ذلك النعش أعلنه	أن الجبال تهادى فوق أعواد
كذاك ، فارقى بما استودعت من كرم	رواك كل قطوب البرق رقاد
يبكى أخاه الذى غيبت وأبله	تحت الصفيح بدمع رافع غادى
حقى يحودك دمع الطل منهراً	من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد
ولا تزال صلاة الله دائمة	على دفينك ، لانعمى بتعداد ^(١٣٩)

ف ٣٠ — شجرة الملك الشاعر :

وورى للمتمد فى لحده فى أغمت ، وظل قبره دهرأ طويلاً مزاراً للكثيرين
الذين كانوا يقصدونه للترحم عليه فى إجلال ، ومن زاره ووقف على قبره أبو بحر
عبد الصمد شاعره ، ولسان الدين بن الخطيب^(١٤٠) (انظر ف ٤٥) ويقول ابن
الأبار الفضاى : « ورزق من الناس حبا ورحمة ، فهم ييكونه إلى اليوم »^(١٤١) .
« وفى الواقع أصبح الناس — على مر الأيام — يعودون بالذاكرة إلى
المتمد ، فيرون فيه أعظم من ملك الأندلس » ، كما يقول دوزى . ومن كلام هذا
المستشرق الهولندى فى حق المتمد : « إن أخبار كرمه ومجده ، وروح الفروسية
التي مازجت نفسه ، حبيته إلى قلوب المتقين من أهل الأجيال التي جاءت بعده .

وكانت محنته العظيمة تثير شجون ذوى الحس المرهف من الناس ، أما غامتهم فكانوا مولعين بأخبار مناصراته وفروسيته ، حتى بدو العرب كانوا يذكرونه بإعجاب عظيم ، وكانوا بطبعهم أنقد لكلامه وأعرف بما فيه من بديع اللغة من الحضرة .

« وذكر أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الباني — المعروف بابن اللبانة — أن رجلاً من أهل إشبيلية كان يحفظ هذا الشعر (شعر المعتمد) في ذلك الأمد ، ثم خرج منها لثبة منه إلى أقصى حى في العرب ، فأوى إلى خيمة من خيامهم ، ولأذ بذمة راع من رعاهم . فلما توسط القمر في بعض الليالى ، وجمع السامر ، تذكر الدولة الصادية وروثها ، فطلق ينشد القصيدة بأحسن صوت وأشجاء ، فلما أكملها حتى رفع رواق الخيمة التى أوى إليها رجل عن وجهه وسيم ضخم ، تدل سباً فضله على أنه سيد أهله فقال : « يا حضرى ، حياك الله . لمن هذا الكلام الذى اعذوب مورده ، وافضول منبته ، ونحات بقلادة الخلاوة يكره ، وهذر يشقى الجزالة بكره ؟ » فقال : « هو ملك من ملوك الأندلس يعرف بابن هباد » ، فقال العربى : « أظن هذا الملك لم يكن له من الملك إلا حظ يسير ، ونصيب حقير . فكل هذا الشعر لا يقوله من شغل بشىء دونه » ، فمرقه الرجل بعظم رياسته ، ووصف له بعض جلالته . فتمجج العربى من ذلك ثم قال : « ومن الملك ، إن كنت تعلم ؟ » فقال الرجل : « هو فى الصميم من علم ، والنزابة من يعرب » . فصرخ العربى صرخة أيقظ الحى بها من همته ، ثم قال : « علموا ، علموا ! » فتبادر القوم إليه يتثالون عليه ، فقال : « معشر قومى ، اسمعوا ما سمعته ، وعوا ما وعيته ، فإنه لغمر طلبكم ، وشرف تلاصق بكم . يا حضرى ، أنشد كلمة ابن عفا » ، فأنشدهم القصيدة . وعرفهم العربى بما عرفه الرجل به من نسب المعتمد ، فحاضرتهم السراء ، وداخلتهم العزة ، وركبوا من طربهم متون الخليل ، وجعلوا يتلاعبون عليها باقى الليل ، فلما رسل الليل نسيه ، وشق الصباح أوكاد أديمه ، عمد زعيم القوم إلى عشرين من الإبل فدفعها إلى الرجل ، وفعل

الجميع مثلاً فعل ، فما كان رأد الضحى إلا وعنده هنيئة من الإيل . ثم خلطوه بأنفسهم ، وجعلوه مقر سرورهم وتأنسهم»^(١٤٣).

وقد ختم دوزي كلامه عن المتمدن بن عباد بقوله : « هذا ، ولم يكن المتمدن قط حاكماً عظيماً بحال ، فقد تولى مقاليد شعب أفسد طبعه الترف ، فلم يصرف شيئاً من العناية إلى أمور رعيته . وتراعى على ملذات نفسه ، ومن ثم كان عبء الحكم عليه ثقيلاً . ثم إنه كان ميالاً إلى الراحة بطبعه ، وكانت تشغله تلك الأشياء التي تشغل الفنانين وتتألف منها مسراتهم وشقاوتهم ، فكان ذلك مما حال بينه وبين القيام بأعباء الحكم على وجهه للطلاب . ولكن أحداً من الناس لم تضم نفسه هذا القدر من الحساسية ، أو هذا الفيض الشعري الدافق الذي ضمته نفس المتمدن ؛ ثم إن القدر أراد له أن يكون آخر أمير أندلس الأصل ، يحمل في جلال علم ثقافة فكرية وقومية ، قدر لها أن تنطوى ويذهب أمرها تحت ظل المرابطين الذين فصحوا البلاد»^(١٤٣) (انظر المقدمة ص ٢٢ — ٢٤ (*)) .

(ج) غرناطة

ف ٣١ — أبو الفتح الجرجاني ، وأبو إسحاق الإلييري :

لم يتقدم الأدب العربي تقدماً محسوساً في غرناطة التي سيطرت عليها الطوائف البربرية ، وأهم شخصية تستلفت الاهتمام فيها هو اليهودي ابن النخدة ، الذي كان يؤلف بالمعربة واجتهد في النهوض بالدراسات التلمودية . وفي ذلك العصر أقبل إلى غرناطة أبو الفتح الجرجاني ، وهو مغامر مشرق نزل الأندلس في سنة ١٠١٥/٤٠٦ . وكان فيلسوفاً فلكياً يقول الشر بين الحين والحين . أقام الجرجاني حيناً عند مجاهد الصقلي صاحب دانية ، ثم قصد سرقسطة حيث أقام في كنف المنذر بن هود ردحاً من الزمن ؛ واستقر به النوى آخر الأمر في غرناطة ،

(*) يقصد مقدمة الطبعة الأولى

حيث ألقى دزوساً عن الشعر القديم وكتاب « الحاسة » خاصة . وقد اتهم في مؤامرة دبرت على باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، قبض عليه وحجسه ثم قتله سنة ٤٢١/١٠٣٠ وأسر بدفته إلى جانب أحمد بن عباس^(١١٤) .

وقد خلف إسماعيل (صمويل)^(١١٥) بن النضلة في الوزارة ابنه زيري بن حبوس ابنه يوسف ، ولم تكن له كياسة أبيه في مصانعة المسلمين ، فاستنار سخطهم عليه . وكان للتكلم بلسانهم في هذه المنصومة أبو إسحاق الإلبيري الفقيه العربي ، وكان منيفاً لأنه لم يدرك في بلاط غرناطة المركز الذي كان يرى نفسه أهلاً له ، وزاد في حقه أن يوسف بن النضلة أمر بنفيه من غرناطة ، فانصرف إلى النسك والزهادة ، ونظم في معتكفه قصيدة يهجو يوسف بن النضلة ، ويؤلب المسلمين وباديس بن حبوس على اليهود ، قال فيها :

ولا ترفع الضمط من رحله فقد كنزوا كل خلق ثمين
وفرق عرام وخذ مالم فأنت أحق بما يجمعون
ولا تحسبن قتلهم غلرة بل النسل في تركهم يبدون
قد نكثوا عهدنا عسدم فكيف تلام على النا كئين ؟
وكيف تكون لنا حمة ونحن خول وهم ظاهرون ؟^(١١٦)

فالتهمت مواطن الناس سخطاً على اليهود ، وتواثبوا بهم ، فتهبوا ديارهم وقتلوا من ظفروا به منهم . وكان ابن النضلة ممن لقي مصرعه في هذه المذبحة (٤٥٩/١٠٦٦) .

وقد حفظ لنا المقرئ أشعاراً أخرى لأبي إسحاق الإلبيري ، تتجلى فيها حكمته وعاطفته الدينية ، وترجم له دوزي (إلى الفرنسية) مقتطفات كثيرة من شعره نورد منها :

وذى غنى أوعته همته أن التنى عنه غير منفصل
يمر أذبال هجبه بطرا واختال للكبرياء في الخلل

بزته أيدي الخطوب بزته فاعتاض به الجديد بالسمل
 فلا تشق بالنسي فأفته « فقر وصرف الزمان ذو دول
 كفى بنيل الكفاف عنه غنى فكن به الدهر غير محتفل^(١١٧)
 وقد زاره وهو على فراش الموت أحد وزراء غرناطة ، قرأ ضيق مسكنه
 فقال له : « لو اتخذت غير هذا للسكن لكان أولى بك » فقال ، وهو آخر
 شعره :

قالوا : ألا تستعيد بيتاً تعجب من حسنه البيوت ؟
 قلت : ما ذلکم صواباً عش كثير لمن يموت
 لولا شتاء وفتح قبط وخوف لص وحفظ قوت
 ونسوة يبتغين سترًا بنيتُ بنيان عكבות^(١١٨)

أما بقية دول البربر التي قامت في ذلك الحين — في مالقة والجزيرة الخضراء
 وفرمونة واستجة والمدور ورندة وأركش ومورور وشريش — فلم تنفق للأدب
 فيها سوق ، ثم انتهى بها الأمر إلى الدخول في حوزة أصحاب إشبيلية .

(د) المرية

ف ٣٢ — الوزير أحمد بن عباس :

استقل بالمرية أول انتشار الجماعة خيران الصقلي ، ثم خلفه على إمارتها زهير ،
 وكان صقلياً أيضاً . وقد تولى الوزارة له أحمد بن عباس وكان محاصماً لابن النغدة —
 وزير بني زيري أصحاب غرناطة — لا تسكن الملاوة بينهما . « وقد بذ الناس
 في وقته في أربعة أشياء : للال ، والبخل ، والحب ، والكتابة^(١١٩) . وكان
 « جماعاً للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد ، وأما الدفاتر المحرومة فلم يوقف على
 عددها لكثرتها^(١٢٠) . ولكن غروره وصل به إلى حد الجنون ، وهو القاتل :
 لي نفس لا ترتضى الدهر عمراً وجميع الأنام طراً عبيداً

لو ترقّت فوق السّماك عحلا لم تزل تبغى هناك صغوداً
أنا من تطون شيدت مجدى فى مكانى ما بين قومي وليداً
وقال أيضاً :

عيون الحوادث عنى نيام وهضمى على الدهر شيء حرام
وذاع هذا البيت فى الناس واستذكروه ، حتى قلب بعض الأدباء مصراعه
الأخير فقال :

سيوقظها قدر لا ينام^(١٥١)

وقد تحققت أمنية هذا الشاعر ، إذ وقع ابن عباس أسيراً بيد خصمه اللدود
باديس بن حبوس صاحب غرناطة قتلته بيده فى ٢٧ ذى القعدة ٤٢٧/١٠٣٥^(١٥٢) .

ف ٣٣ — المتصم بن صمادح صاحب المرية وشعراء بهلوله :

أما فى المرية — حيث استبد بالأمر المتصم بن معن بن صمادح وآله ، وهم
فرع من التّجيبين أصحاب سرقطة — فقد علا أمر الآداب والعلوم فى هذه
الدولة ، فى عهد محمد بن معن الملقب بالمتصم (٤٤٣/١٠٥١ — ٤٨٤/١٠٩١) ،
على الرغم من أن حدودها قد انكشفت فى أيامه حتى صارت أضحوكة فى أفواه أهل
الأدب . وكان المتصم نفسه مسالماً لين الجانب محباً إلى القلوب ، راعياً للآداب
والعلوم موقراً للدين وأهله ، باراً بوزرائه صفوحاً عن المفوات عادلاً فى أحكامه ،
وقد أحاط نفسه بهالة من الشعراء أضفوا على دولته رونقاً جليلاً^(١٥٣) .

ومن أولئك الشعراء أبو الفضل جعفر بن أبى عبد الله محمد بن شرف
البرجى^(١٥٤) « الحسكيم الفيلسوف » (٤٤٤/١٠٥٢ — ٥٣٤/١١٣٩) ، وكان
رجلاً واسع العلم استطاع أن يصل فى بلاط المرية إلى مكان مرموق . وكان قد
قصد أول أمره قصر محمد بن معن بن صمادح فى زى تظهر عليه البداوة ، وألقى
بين يديه قصيدة مطالها :

مطل الليلُ بوعد الفلق وتشكى النجم طسول الأرق
ضربت ريح العبا مسك الدجى فاستفاد الروض طيب العيق
وألاح الفجر خذاً خجلاً جال من رشع الندى في عرق
جاوز الليل إلى آجمه فتساقطن سقوط الورق^(١٥٥)
فاسترعى انتباه المعتم وأهل المجلس فأقبلوا عليه ، وكان ذلك أول
صعود أسره .

وقد حسده بقية الشعراء لانفراده بالمكان الأحظي من نفس المعتم ، وكان
من بين أولئك الحاسدين أبو عبد الله محمد بن معمر المالكي المعروف بابن أخت
غانم^(١٥٦) — وغانم خاله النسوب إليه هو الإمام العالم أبو محمد غانم الخزومي ،
النفوي المشهور — وكان عارفاً بالكثير من كتب النحر والفقه والشريعة
والطب ، وكان يقول الشعر في يسر ، وكانت له حافظة نادرة ؛ ففاظنه أن يبالغ
البرجي هذه المسكاة في ذلك الوسط الرفيع ، وهو البسيط الأصل واللبت^(١٥٧) .
وقد جرت بين الشاعرين لهذا نقائض فياضة بالسخر البارع اللاذع .

وتتواتر في كتب الأدب قصة عن المعتم بن مباح ، تدل على عظيم تقديره
للشعر وأهله ؛ فقد وفد عليه البرجي مرة يشكو عاملاً ناقشه في قرية يحترق فيها ،
وأنشده الرائية التي مطلعها :

قامت نجر ذبول العصب والحرير ضيفة الخمر والميثاق والنظر
إلى أن بلغ قوله :

لم يبق للجور في أيامهم أثر إلا الذي في عيون الغيد من حور
فقال له المعتم : « كم في القرية التي تحترق فيها ؟ » ، فقال : « فيها نحو
خسين بيتاً » ، فقال له : « أنا أسوغك جميعها لهذا البيت الواحد » ؛ ثم وقع له
بها وعزل عنها نظر كل وال^(١٥٨) .

وقد ألف ابن شرف مجموعين من الأمثال والحكم ، أحدهما شعراً والآخر

نثراً^(١٥٩) ، وقد حوياً بين ذفتيهما ما يشهد بسعة الاطلاع . ومن روائع . كنهه :
 « لتكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك ، فإن الحى برجليه — وهما
 فتجان — أقوى من الميت على أقدام الحلة ، وهى ثمان .
 « رب سامح بالعطاء على باخل بالقبول^(١٦٠) .

ومن اتصل بالمتصم من شعراء ذلك العصر ابن الحداد الوادى آتى المتوفى
 عام ١٠٨٧/٤٨٠ ، وقد علت رتبته عنده حتى أسند إليه الوزارة وأحفاه . وقد
 هوى ابن الحداد صبية نصرانية كنى عن اسمها بنورية — أو نورية — وقال فيها
 شعراً ينم عن عاطفة مشبوبة . وكانت تنقابه بين الحين والحين حالات من اليأس
 والتشاؤم ، فيتحدث عن الزهد واعتزال الدنيا وأهلها ، ومن ذلك قوله وقد تغير
 قلب المتصم عليه واضطر إلى اللحاق بثر بنى هود :

لُزمت قناعتى وقعدت عنهم فلست أرى الوزير ولا الأميرا
 وكنت سمير أشعارى سفاهاً فعدت لفلسفياى سميراً^(١٦١)
 أو قوله :

سامح أخاك إذا أتاك بزة فخلص شئ قلما يتمكن
 فى كل شئ آفة موجودة إن السراج — على سناه — يدخن^(١٦٢)
 وقد غضب عليه المتصم وأقصاه لأنه — أى الشاعر — رماه بالبخل . ولم
 يكن المتصم بالبخل ، إنما كان الكرم شيعته الحسنى^(١٦٣) ، كما تشهد بذلك
 قصائد شعرائه من أمثال عمر بن عبد الشهيد وأبى جعفر بن القراز والنملى وابن
 بليطة وغيرهم^(١٦٤) .

ولجأ إلى المتصم كذلك نفر من شعراء غرناطة ، لم يطبقوا العيش فى ظل
 أمرائها من البربر الذين لم يزدانوا بعلم يوطى لأهل الأدب أكنافهم . ومن أولئك
 ابن أخت غانم — الذى ألمنا بذكره — وأبو القاسم خلف بن فرج الإليبرى
 المعروف بالسيسر ، وكان « باتسة عصره وأعجوبة دهره » — كما يقول ابن بسام

وله أشعار لحا فيها أمراء عصره وأقذع في هجوم ، كقوله :

ناد السلوك وقل لم : ماذا النني أحدثتم ؟
أسلمتم الإسلام في أسر الدا وقعدتم !
وجب القيام عليكم إذ بالنصاري قتم
لا تنكروا شق العصا فصا النني شققتم

وقد ألف كتاباً سماه « شفاء الأمراض في انتهاك الأعراض » ، تناول فيه ما كان يدعيه أهل عصره من خصال لم تكن فيهم ، ووضعهم موضعهم الصحيح (١٦٥) .

وفي بلاط بني صمادح هؤلاء عاش أبو عبيد البكري الجغرافي للحروف ، وسيرد الكلام عنه مع الجغرافيين (ف ٩٥) ؛ وكان شاعراً فذاً روى له شعر كثير وخمرات تتحدث عن ميل إلى لقاذات العيش :

خليل ، إني قد طربت إلى الكاس وقتت إلى ثم البفسج والآس
فقوموا بنا نلهو ونستمع الفنا ونسرق هذا اليوم سرّاً من الناس
فليس علينا في التملل سبـاعـة

— وإن وقتت في عقب شعبان — من باس (١٦٦)

ف ٣٤ — آل المتصم :

وكان بنو المتصم شعراء مبرزين ، ومنهم أبو جعفر النني خاطب محبوبته بأبيات تفيض رقة وعذوبة :

كتبتُ وقلبي ذواشقيق ووحشة ولو أنه يستطيع مرّاً يَسْلَمُ
جملتُ سواد العين فيه سواده وأبيضه طرساً وأقبلتُ أَلْتَمُ
فخُيِّلَ لي أني أُقْبِلُ مَوْضِعاً يصاغه ذاك البنان للمسلم (١٦٧)

وكانت أم الكرام بنت المتعم تقول الشر كذلك ، وكان بها هوى فنى من
أهل دانية يسمى تمار ، وقد قالت فيه :

يا معشر الناس ألا فاعجبوا بما جنته لوعة الحب
لولا لم ينزل بدر الدجى من أفعه العلوى للرب
حسبى بمن أهواه لو أنه فارقتى تأبسه قلبى ^(١٦٨)

وعندما انقلب ملوك الطوائف على يوسف بن تاشفين ، ومضوا يدبرون عليه ،
كان المتعم من أكثرهم سعيًا فى ذلك التدبير . فلما استولى يوسف على غرناطة
واستنزل صاحبها الأمير عبد الله ، ملك الطوائف للمتعم وسعى فى كسب ود أمير
المسلمين ، وكان يكيد له بالأسس ، فاجل بإرسال ابنه عبيد الله يهتبه بمحصل
غرناطة فى يده ، فقبض يوسف على عبيد الله وحبسه ؛ فقال الفنى يشكو عناءه
وضيق الحبس :

أبعد السنى والمالى خمول وبعد ركوب اللذاكى كُبول
ومن بعد ما كنت حراً عزيزاً أنا اليوم عبد أسير ذليل
حلت رسولاً بغرناطة فخل بها بى خطب جليل
وتفقت إذ جتها مرسلان وقد كان يكرم قبلى الرسول
فقدت للرية أكرم بها فما للوصول إليها سبيل ^(١٦٩)

وجدد المتعم فى خلاص ابنه ، فلم يستقم به يوسف بن تاشفين إلا وهو
— أى المتعم — على فراش الموت . وقد طال مرضه ، وحاصر المرابطون قصبة
الرية — والرجل فى فراش للرض — فقال : « لا إله إلا الله ، نفس علينا كل
شئ حتى الموت » ^(١٧٠) . وقد أدركته اللنية قبل سقوط الرية فى يد المرابطين
بأنهر قلائل ، وإلى جانبه الشاعر ابن عباد .

وبعد سقوط الرية توجه أبناء المتعم إلى الغرب ، فأما عبيد الله فقد لجأ إلى
أحد المرابطين وعاش فى كنفه « لأدومة كانت بينهما ، إلى أن انقضت مدته بين

آس وكاس» (١٧١) . ولجأ « عز الدولة » إلى بجاية ، حيث قضى بقية عمره في أمن ورضى بما قسمه له القدر . ويذكر الشاعر الإشبيلي ابن اللبابة أنه اجتمع مع عز الدولة هذا في بجاية وقال : « فإني رأيت منه خير من يجتمع به ، كأنه لم يخلقه الله إلا لذلك والرئاسة وإحياء الفضائل ، ونظرت إلى همته تم من تحت خوله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت صداه ، مع حفظه لفتون الأدب والتواريخ ، وحسن استماعه وإسماعه ، ورقة طباعه ولطافة ذهنه » .

وكان يقول الشعر ، مفرجاً عن نفسه شاكياً خول أمره :
 لك الحمد ، بعد الملك أصبح خاملاً بأرض اغتراب لا أمر ولا أهل
 وقد أصدأت فيها الجذاذة منهل كما نسيت ركض الجياد بها وجل
 فلا مسمى يعنى لفضة شاعر وكفى لا تمتد يوماً إلى بذل (١٧٢)
 وأشعر بنى صمداح جيماً « رفيع الدولة » كما يقول نقاد العرب (١٧٣) ، ومن مأثور شعره هذه الأبيات التالية التي وجه بها إلى صديق :

أبا العلاء كؤوس الراح مترعة ولنداحي سرور في تعاطيها
 وللنصون ثمن فوقها طرباً وللحائم مسجع في أعاليها
 فاشرب على التهر من صهباء صافية كأنما عصرت من خد ساقيا (١٧٤)
 وقد قضى رفيع الدولة بقية أيامه في اللرب ، مثله في ذلك مثل أخويه ، مهترضاً لكثير من المهانة (١٧٥) .

ولم ابن أخ شاعر أيضاً ، هو « رشيد الدولة » بن عبيد الله ، ومن طريف نظمه قوله :

صبراً على نائبات الدهر إن له يوماً كما فلك الإصباح بالظلم
 إن كنت تعلم أن الله مقتدر فثق به تلق روح الله من أم
 وقلصا صبر الإنسان محسباً إلا وأصبح في فضاضة النعم (١٧٦)
 وقد دخل في دمار الموحدين ، وأصبح من شرائم الأجورين . ويقول

درزى : « وإنه لمن عبث الأقدار أن نجد ذلك الأمير المتحضر من صلب ملك كان يرعى جيشاً من الشعراء ويمنحهم الأرزاق ، ينتهى به الأمر إلى أن يهبط به للقنادير إلى مستوى الشعراء الأجورين الذين يعيشون على أرزاق يقتارلونها من سادتهم » (١٧٣) .

(هـ) بلنسية ومرسية

ف ٣٥ — ابن وهبون — ابن ليون — الرقسي :

ونذكر من أهل شرق الأندلس أبا محمد عبد الجليل بن وهبون الرقسي ، الذى تفتى بذكر وقعة الزلاقة (سنة ٤٧٩/١٠٨٦) ؛ وكان صاحباً لابن عمار ، فلما توفى قال فيه مرثية طيبة . كان ابن وهبون من فطاحل الشعر وأهل الأدب ، وقد مات قتيلًا على يد بعض جند النصارى وهو فى طريقه من لورقة إلى مرسية (١٧٨) . ونذكر كذلك أبا عيسى بن ليون ، وكان صاحباً لقلقى سجنوتو ومريطر ، فلما أحس اقتراب السيد القسيطور من بلاده وتوقع بلاءه ، ترك بلاده لابن رزين صاحب « السهبة » (١٧٩) . ونذكر أيضاً محمد بن علقمة (١٠٣٦/٤٢٨ — ١١١٥/٥٠٩) من أهل بلنسية ، وكان شاعراً وناثراً من طبقة عالية ، وهو صاحب كتاب « البيان الواضح عن الملم القادح » الذى قص فيه أخبار بلده بلنسية فى أيامه ، ووصف ما حاق بها من البلاء على يد السيد القسيطور (١٨٠) .

وبينا كان « السيد » محاصراً لسرقطة (سنة ٤٨٧/١٠٩٤) ، قام الفقيه هشام بن أحمد الكنانى للقب بالوقشي — نسبة إلى البلد الذى ولد فيه وهو وقش Huecas من أعمال طليطلة — على أسوار البلد وألقى مرثية مؤثرة بكى فيها مصاب بلنسية أثناء هذا الحصار المروع . ولم نجد أصل هذه المرثية ، ولكننا وجدنا صوراً لها مكتوبة بحروف لاتينية فيما وجدنا من نسخ « تاريخ إسبانيا العام » (١٨١) .

وقد كان لهذه القصيدة وقع شديد على قلوب البائسين ، فصاروا يرددون قول صاحبها :

« إذا أنا مضيت يميناً هلكت بقاء الفيضان ، وإذا ذهبت يساراً اكفنى السبع ،
وإذا مضيت أمامي غرقت في البحر ، فإذا التفت خلفي أحرقتني النار » (١٨٢) .

وإزاء هذا البلاء المتواتر ، ألح أهل فلسفة على الوقفي في أن يكلم لهم القاضي أحمد بن جعاف — رئيس البلد إذ ذاك — في الاتصال بالقمبيطور ونسليم البلد له على شروط ؛ ففعل ، وأسلم البلد ، وأقيم الوقفي قاضياً له (١٨٣) .

هذا ، وقد ضاع الأصل العربي لهذه المثنوية ولم يبق لنا إلا نصها مكتوباً بحروف لاتينية في « تاريخ إسبانيا العام » ، — كما قلنا — وقد درسها خليان ريبيرا وحاول أن يقرأها قراءة عربية ، وأثبت أن نصها الذي بين أيدينا إنما هو تحوير لها في اللهجة الأندلسية الدارجة في القرن الخامس عشر الميلادي .

(و) بطليوس

ف ٣٦ — المظفر بن الأفطس :

بين أيدينا من المعلومات عن إمارة بطليوس أقل مما بين أيدينا عن أي إمارة أخرى من إمارات الطوائف في ذلك العصر . كان أول من استبد بأسرها مولى فارسي الأصل يسمى سابور (توفي في ١٠ شوال ٤١٣ / ٨ نوفمبر ١٠٢٢) ، وكان رجلاً أميناً قام بأسر دولته ابن مسلمة (١٠٢٢ / ٤١٣ — ١٠٤٥ / ٤٣٧) مؤسس أسرة بني الأفطس (ومنه بنو القرد) ، وأصلهم من برابر مكناسة . وأكبر أمراء هذه الدولة المظفر محمد بن عبد الله بن الأفطس (١٠٤٥ / ٤٣٧ — ١٠٦٣ / ٤٤٥) والمتوكل أبو محمد عمر بن محمد بن الأفطس (١٠٦٧ / ٤٦٠ — ١٠٩٥ / ٤٨٨) ، وفي عهدهما بلغت الإمارة أوجها ؛ والأول أخو مسلمة ، والثاني ابن أخيه .

وقد ألف المظفر « الكتاب للمظفرى » ، نسبة إلى اسمه . ويقول القزى :
 « كان للمظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق
 والتأليف المائق ، المترجم « بالتذكرة » والمشتهر اسمه أيضا « بالكتاب للمظفرى » ،
 فى خمسين مجلداً يشتمل على فنون وعلوم من مغازٍ وسيرٍ ، ومثل وخبر ، وجميع
 ما يختص به علم الأدب . أبقاه الله للناس خالداً . وتوفى المظفر سنة ١٠٦٧/٤٦٠
 وكان يحضر العلماء للذاكرة فيفيد ويستفيد ، رحمه الله . وإلى المظفر أهدى عمر
 ابن عبد البر (٩٧٨/٣٦٨ — ١٠٧٠/٤٦٣) مجموع مختاراته الفريد المسى « زينة
 المجالس » فى مجلدات ثلاثة » (١٨١) .

أما عمر المتوكل بن الأفطس — الذى كان أول من عمل على الاستبجاد
 بالمرابطين — فهو الذى أهدى إليه ابن عبدون قصيدته المشهورة (١٨٢) .

ف ٣٧ — ابن عبيدويه :

هاش أبو محمد عبد الجهد بن عبدون فى بلاط المتوكل بن الأفطس فى بطليوس
 وكان من أكبر شخصيات هذه الدولة ، وأصله من « ياروة » ثم قدم على
 المتوكل ، وحظى عنده وصار له صاحباً ورفيقاً ، وأقامه كاتباً له فى سنة ١٠٨٠/٤٧٣
 وتمسكى الثرائب عن كثرة حنظلة ، حتى قال فى شأنه أبو مروان عبد الملك بن
 زهر : « هذا أديب الأندلس وإمامها وسيدها فى علم الآداب . هذا أبو محمد
 عبد الجهد بن عبدون : أيسر محفوظاته كتاب الأغاني ، وما حفظه فى ذكاء خاطره
 وجودة قريحته » (١٨٣) . وكانت محفوظاته بعض أدوائه ، فقد كان ذا فهم دقيق
 ومزاج مرهف ، ومواهب ممتازة ركبها الله فى طبعه .

وعند ما طويت صفحة الدولة الأفطسية فى ١٠٩٤/٤٨٧ بركة للمتوكل ، قال
 ابن عبدون درة شعره « القصيدة العبدونية » التى أذاعت صيته فى العالم الإسلامى
 كله على نحو لم يسمع به قبل ذلك . ويقول عبد الواحد المراكشى فى وصفها ،

إنها « قصيدته الغراء ، لا بل عقيلته المنيرة ، التي أزرت على الشعر ، وزادت على
السحر ، وفعلت في الأبواب فعل الخمر ، فجلت عن أن تُسأى ، وأنت من أن
تُضامى ، قل لها النظير ، وكثر إليها المشير ، وتساوى في تفضيلها وتقديمها باقل
وجريء ... » (١٨٧) .

وقد ترجمها إلى الفرنسية فانيان ، وعنه نقل بونس بويجيس مقتطفات منها
إلى الإسبانية ، ومطلعها :

الدهر ينجع بعد اللين بالآثر فإ البكاء على الأشباح والصور ؟
وإليك أبياتاً منها :

ما ليلالي أقال الله عزتنا من الليالي وخاتمتها يد النير
في كل حين لها في كل جارحة منا جراح وإن زافت عن النظر
هوت بـ « دارا » وفلت غرب قاتله وكان عضباً على الأملاك ذا أثر
واسترجعت من « بنى ساسان » ما وهبت ولم تدع لبني يونان من أثر
وألحقت أختها طسياً وعاد على عاد وجرم منها ناقص للدر (١٨٨)
ثم مضى يذكر الدول والأسر ، والرجال الذين عدت عليهم صروف الدهر ،
حتى وصل إلى بنى الأفطس — ومن أجلهم نظم قصيدته تلك يندب ما جرته
عليهم يد الخلدنان (١٨٩) .

وتتم أبيات هذه القصيدة عن علم واسع وإطلاع متبحر ، (ولم يسبقه إلى
مثلها من نوعها إلا ابن زيدون في قصيدته إلى ابن عبلوس) . وقد كانت غزارة
مادتها دافعة بالكثيرين إلى وضع المؤلفات في شرحها والتعليق عليها ، وأكبر هذه
الشروح وأدومها « شرح ابن بدرون » . وقد درس دوزي هذا الشرح ونشره ،
ويرى هذا المستشرق الكبير أن الدائخ الطنائة التي أسبغها على هذه « القصيدة »
علماء فطاحل — من أمثال ابن خاقان وابن الخطيب — مبالغ فيها كل المبالغة ،
ولا تتفق مع حقيقتها . وقال : « إننا نجد في هذه للرثية — إلى جانب بعض

أبياتها ذات المعاني المتكررة الموقفة — نجد براعة عظيمة ، وإن التبحر في العلم لمتجلى فيها على نحو يفيض فيضاً ؛ ذلك أن ابن عبدون لم يقنع بأن يحمل قصيدته مجرد صرخة محزون يعبر عن لوعته الصادقة المبيقة ، في أبيات ذات جرس جميل ، وإنما مضى يعرض كبار الرجال الذين أخفى عليهم الدهر ، وعظام الدول التي عصفت بها يد الحداث ، ويقدم لنا ثبثاً منطلوماً بمصائب الدهر — من أيام دارا ملك القرس إلى بني الأفطس أصحاب بطليوس — في أسلوب صحيح يخالطه تألق بين الحين والحين . وهو يجهد القارئ ويبعث إلى نفسه الملل بما يلجأ إليه من اللعب بالألفاظ وما يستعمله من الأخيصة المسيرة التصور . إننا لا نجد أخسناً أمام قصيدة تثير كوامن المشاعر ، وإنما حيال عرض موفق لدم واسع مثقل بالزخارف والزينة ^(١٩٠) . وهذه تلك أن ابن عبدون لم يألم ألماً صادقاً لما حل بيني الأفطس ، ومصداق ذلك أنه دخل بعد ذلك في خدمة الأمير اللعوني سير بن أبي بكر ، وعاش في ظلال المرابطين إلى آخر حياته ، (توفي سنة ٥٢٩/١١٣٤) . واليهون شاسع بين هذا الحزن النائر المصطنع ، وبين المواطن الصادقة المؤثرة التي تتجلى في قصائد المعتمد بن عباد الأخيرة .

وقد خلف لنا ابن عبدون أشعاراً وآثاراً أخرى ، كالرسالة التي كتبها عن لسان سير بن أبي بكر بن تاشفين إلى علي بن يوسف بن تاشفين « يخبر فيها بفتح مدينة شتقرين » ^(١٩١) ، ورسائله التي وجه بها إلى أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال « يخطب مودته ويستدعي من إخوانه جدته » ^(١٩٢) ، وغيرهما كثير . وقد وصف دورى شعره في هذه الآثار بأنه : « زهور لينة رفيقة ينبعث منها عطر جميل . . . وأشعار متناسقة فياضة بالتوفيق والجمال » ^(١٩٣) .

ومن كتب المتوكل بن الأفطس — وليوسف بن تاشفين من بعده كذلك — أبو بكر عبد العزيز بن القبطورية ، وقد روى له صاحب القلائد تلك الأبيات

الحسان التي بعث بها إلى الوزير أبي الحسن بن سراج :

يا سيدي ، وأبي : هديّ وجلالا ورسول ودي إن طلبتُ رسولا
عرجَ قرطبةٍ إذا بُلّغتها بأبي الحسين ، وناده نعيلا
فإذا سمعتَ بنظرة من وجهه فاهد السلام لكفه تقييلا
واذكر له شوقي وشكري مجلا ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدي إليه كأنما جرت على زهر الرياض ذيولا^(١٩٤)
ومنهم كذلك أخوه أبو الحسن بن سعيد بن القبطونة ، وقد أنشد له
صاحب « القلائد » :

ذكرت سليبي وحرّ الوغى كجسي ساعة فارقتها
وأبصرتُ بين القنا قدها وقد ملن نحوي ، فماقتها^(١٩٥)
وفي بلاط بني الأنطس كذلك عاش أبو محمد عبد الله بن سارة (توفي
١١٢٣/٥١٧) ، وله مقطعات بديعة في موضوعات صغيرة — كالباذنجان
والسفرجل والنارنج — ومن ذلك قوله في هذا الأخير :

أرى شجر النارنج أبدى لنا جنى كقطر دموع ضرجتها اللواعج
كرات عقيق في غصون زبرجد بكف نسيم الريح منها صواعج
نقبلها طورا وطورا نشمها فمن خدود بيتنا ونوافج^(١٩٦)
ومنهم كذلك أبو عبد الله بن البّين ؛ قال صاحب الذخيرة : اجتمع مع ابن
سارة ، فقال له ابن سارة : أجز :

هذي البسيطة كاعب أبرادها حلل الريح وحليها الأزهار
قال ابن البّين :

وكان هذا الجو فيها عاشق قد شفه التمثيب والإضرار
فإذا شكا فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدموعه الأمطار
فمن أجل ذلة ذا وعزة هذه تبيكي السماء ويسم التوار^(١٩٧)

ولتقم كلامنا عن شعراء غريب الأندلس بذكر عبد الرحمن بن مقلان
الأشبوني ، صاحب المديح الفاتح في إدريس بن يحيى بن علي بن حمود صاحب
مائدة القدي يقول فيه :

قد بدا لي وضحُ الصبح المبين فاسقنيها قبل تكبير الأذنين
نثر المزجُ على مفرقها درراً عامت ، فحادت كالبرين
مع فتيان كرام نجيب يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خدرشا ورّدة الوردُ به والياسمين
وجلت آياته عامدةً سبيح الشعر على عاج الجبين
فأنثى غصناً على دعمس نقا وبدا ليل على صبح ميين^(١٩٨)

(ز) سرقسطة

ف ٣٨ — ابن باجة :

لدينا من أخبار بني هود في سرقسطة طائفة طيبة عن الملوم في دولتهم
(انظر ف ١٣٣) ، أما أخبار الشعر والشعراء في بلاطهم قليلة ، باستثناء رجل
مثل اليهودي أبي الفضل حسداى وزير المؤمنين بن هود ، وكان له اهتمام كبير بالعلوم
والطب والشعر والموسيقى . وسندع — إلى حين — ابن جبيرول (Avicbrón)
وكان شاعراً فيلسوفاً يهودياً ، لجأ فترة من الوقت إلى بلاط سرقسطة ، ونجتمزى
هنا بذكر يحيى الجزار ، وأبي بكر محمد بن باجة النجيب المعروف بابن الصائغ ،
وهو فيلسوف ممتاز (انظر ف ١٠٦) وموسيقى جليل ومؤلف موشحات وأثار
شعرية أخرى . وما يؤثر عنه أن الموت عدا على صاحب له فقصى ليلة كاملة عند
قبره ، وكان يعلم — لمرفته بالفلك — أن القمر سيعسف تلك الليلة ، فنظم بضمة
أبيات ، وقبل أن يحين موعد استتار القمر بلحظات أنشدها بلحن محزن يفيض
شجواً^(١٩٩) .

ولما حضرته الوفاة كان ينشد :
 أقول لنفسي حين قابلها الردى
 فراغت فراراً منه يُسرى إلى يُمْنى :
 قرى ، تحملى بعض الذى تكرهينه
 قد طالما اعتدت الفرار إلى الأمانى^(٢٠٠)

٤ — عصر المرابطين

ابن خفاجة الشقري — ابن الزقاق — أبو الصلت أمية الهافى

ف ٣٩ :

يعتبر عصر سيادة المرابطين على الأندلس عصر تأخر وانكماش للثقافة الأندلسية ، فقد كان يوسف بن تاشفين — أول أمراء هذه الدولة — لا يكاد يفقه العربية . أما خلفاؤه « فلم تلبث الثقافة الأندلسية أن غلبتهم على أسرم ، فأصبحوا أقرب إلى الأندلسيين منهم إلى الأفاقة » كما يقول غرسيه غومس ؛ وتولى الكتابة عنهم فخر من أهل الأدب الأندلسيين ، من أمثال ابن جبدون ، وبنى القبطونية ، وابن أبى الخصال (المتوفى عام ١١٤٥/٥٤٠) ، والصيرفى (المتوفى عام ١١٧٤/٥٧٠) .

ومن أعلام من ظهر في ذلك العصر ابن خفاجة وابن أخيه ابن الزقاق . أما ابن خفاجة الشقري (١٠٥٨/٤٥٠ — ١١٣٨/٥٣٣) فقد وصفه ابن سعيد بقوله : « شاعر الأندلس في وصف الأزهار والأنهار وما أشبه »^(٢٠١) . وقد لقبه الناس بالجلتان ، لكثرة ما وصف الرياض ، وإليك نموذجاً من شعره :

فنه نهر سال في بطحاء أشعى وروداً من لى الحساء
 متعطف مثل السوار كأنه والزهر يكفنه بجر سماء
 قد رقى حتى ظن قرصاً مفرغاً من فضة في بردة خضراء

وغدت تحف به النصوص كأنها هُدُب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة صفراء تخضب أيدي الندماء^(٢٠٢)
ومن المشهور المتداول قوله يتنزل :

غزالية الأخطا ربيعة الطلّ مُداميسة الألى حباية الثغر
ترنح في موشية ذهبية كما اشتبهت زهر النجوم على البدر
وقد خامت ليلاً علينا يد المسوى رداء عناق مرزقه يد الفجر^(٢٠٣)

ويقول غرسية غومس في « روضيات » ابن خفاجة : « إنها سائفة بديعة ،
تصدر عن طبع فني للمح ، فتبدو وكأنها مشاهد خيالية ، أو مجالس أنس خرية ؛
ويمكن القول بأنه سبق بها شعراءنا في وصف الطبيعة على النحو الذي نعرفه .
وقد كان أثر طريقة ابن خفاجة عظيماً بعيداً ، حتى لنلس آثار هذا « الأسلوب
الحنفاجي » إلى نهاية عصر غرناطة » .

وأما ابن الزقاق ، فالسر في براعته يرجع إلى تلك الألوان الرقيقة التي يلجأ
إليها ليعبر من صور التشبيهات التي ملأها الناس لكثرة تواردها ، « فتلطف لذلك
في أن يأتي به [أى بالمعنى] في منزع يصير خَلِقه في الأسماع جديداً ، وكليله في
الأفكار جديداً ، فأغرب أحسن إغراب ، وأغرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل
إغراب » — كما يقول الشقندي^(٢٠٤) .

ويعتبر كلا الشاعرين — ابن خفاجة وابن الزقاق — الندوة العليا للشعر
القديم المجدد ، مثلهما في ذلك مثل جُنُبَرَه في الأدب الإسباني ، وليس بعدهما
إلا تقليد أو انحدار^(٢٠٥) .

أما ابن الزقاق (١٠٩٦/٤٩٠ — ١١٣٥/٥٣٠) — ابن أخت ابن
خفاجة — فله خريات بديعة ، كقوله :

أديرها على الروض للندي وحكم الصبح في الظلماء ماضى
وكأس الراح تنظر عن حباب ينوب لنا عن المحدث للراض

وما غربت نجوم الأفق لكن نقلن من السماء إلى الرياض^(٢٠٦)
 وإلى جانب^٩ نهر غدير من الشعراء المحدثين — من أمثال ابن بيقى القرطبي
 (توفى ١١٤٥/٥٤٠) صاحب الغزل الرقيق^(٢٠٧) ، والأعشى التعليلي^(٢٠٨) (توفى
 ١١٢٦/٥٢٠) وقد عاش في إشبيلية وعلا أسره فيها — ظهر نفر من الزجالين
 والرشاحين وأصحاب الشعر الذى لا احتشام ولا غفة فيه ، كنزهون بنت التلاعى
 تلميذة الخزومي^(٢٠٩) التى كانت تعارض أبا بكر بن سعيد الوزير الغرناطى معارضات
 تهم من ذكاء ، والكنتدى^(٢١٠) الذى أكثر من التغنى بجمال الوادى الكبير
 نهر إشبيلية ، وغيره كثيرون ممن سبقوا ابن قزمان إلى أفكاره ومعانيه ؛ وسفدرسا
 فيما بعد عند إلماينا بأزجاله .

ويمتاز هذا العصر بظاهرة أدبية أخرى جديرة بالذكر ، وهى هجرة الكثيرين
 من أهل العلم والأدب من الأندلسيين إلى المشرق ، حاملين معهم علومهم وثقافتهم ؛
 ومن أمثلة ذلك أبو الوليد الطرطوشى (ف ٥٦) ، وأبو الصلت أمية الدانى
 (١٠٦٧/٤٦٠ — ١١٦٥/٥٦١)^(٢١١) الذى خرج إلى المشرق وتجلت مواهبه
 الأدبية فى الإسكندرية ومصر وتونس ، ومن أمثلة شعره قوله فى بحيرة طيب :
 ومحرورة الأحشاء لم تدر ما النوى ولم تدر ما يلقى الحب من الوجد
 إذا ما بدا برق اللدام رأيتها تثير غماماً فى السدى من الندى
 ولم أر نارا كلبا شب جمرها وأبت الندامى منه فى جنة الخلد^(٢١٢)
 ولأبى الصلت مجموع من مختارات شعر الأندلسيين ضامى به « بتيمة الدهر »
 للشماهى ، وله « الرسالة للصرية » ومؤلفات أخرى كثيرة فى الطب والفلك
 والموسيقى والمهندسة والنطق (ف ١٠٤) .

يبد أن الاهتمام الأكبر اتجه فى هذا العصر إلى مجموعات مختارات النظم
 والنثر ، كما نرى فى « ذخيرة » ابن بسام (ف ٩٠) و « قلائد المقيان » لابن
 خاقان (ف ٩١) .

٥ - عصر الموحدين

أبو جعفر بن سعيد وخمسة الركونية — حمدة بنت زياد للأدب —
 ابن زهر — ابن صفر — ابن سهل — سفوان بن إدريس — أبو البقاء
 الرندي — ابن الأبر — أبو الحجاج الياسي — علي بن سعيد الغري

ف ٤٠ :

اضمححل سلطان المسلمين في شبه الجزيرة اضمحلالاً وانحاً خلال عصر الموحدين ، وخفت في أثناءه قوة الأثر الذي كان للشرق على الأندلس ، وتلاشت السياسة التقليدية التي عرفها الأندلس الإسلامي طوال تاريخه قبل ذلك ، وهي سياسة التسامح بين المسلمين والنصارى ، وبدأ المستعمرون يتطلعون إلى الوثوب بالمسلمين^(٢١٣) ، وزادت أزمتهم حدة مع الزمن ، وعندما توالى انتصارات النصارى على مسلمي الأندلس واستولوا منهم على المعاقل واحداً بعد واحد ، أصبح معتمد الأندلسيين على الأمداد الغربية ، وكانت نتيجة ذلك أن أهل الغرب نظروا إلى الأندلسيين نظرة الاستهغار والاستصاف ، وانبرى الأندلسيون ينتصفون لأنفسهم ، ورسالة أبي الوليد الشافعي^(٢١٤) إن هي إلا مظهر لهذا النزاع عند الأندلسيين .

وقد مضى الأندلسيون خلال هذا العصر في دراسة الفلسفة والعلوم قديماً ، وأنشأوا في ميدان الفن عمائر جليلة ذات خطر ، كالمنارة الرائعة التي عرفت فيما بعد بالغيرالدا (La Giralda) في إشبيلية ، وكذلك استمر الاهتمام بالشعر والحاسة له ، وكان خلفاء الموحدين إذا ألموا بالأندلس جلسوا للشراء يستمعون لأمداحهم وكانت كثيرة جداً ، حتى لقد حكى صاحب «كتاب روح الشعر ودوح الشجر» وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب القهرى ، أن أمير المؤمنين يعقوب النصور لما قفل من غزوة الأراك (= الأرك) للشهورة ، وكانت يوم الأربعاء ٩ شعبان سنة ١١٩٤/٥٩١ ، ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنتونه ، فلم يتمكن

لكثرتهم أن ينشد كل إنسان قصيدته ، بل كل يختص منها بالإشاد اليقين
والثلاثة المختارة ، فدخل أحد الشعراء فأنشده :

ما أنت في أمراء الناس كلهم إلا كصاحب هذا الدين في الرسل
أحييت بالسيف دين الماشي كما أحياء جندك عبد الزمن بن علي
فأسرله بالني دينار ، ولم يصل أحداً غيره لكثرة الشعراء ، وأخذاً بالمثل :
« منعُ الجميع أرضي الجميع » . قال : « وانهت رقاع القوائد وغيرها إلى أن
حالت بينه وبين من كان أمامه لكثرتها » (٣١٦) .

ومن ظهر أمره من شعراء هذا العصر وعلا نجمه في بلاط الموحدين أبو جعفر
أحمد بن عبد الملك بن سعيد النسي (المتوفى سنة ٥٥٩/١١٦٣) وهو من
تلاميذ ابن خفاجة . وكان يمتاز بخلق سمع جميل وذهن دقيق ، وكان يؤثر الدهشة
والراحة على متاصب الاضطلاع بشؤون الدولة ، وكان مولماً بمحفصة بنت الحاج .
الشاعرة القرناطية النائمة الصيت الملقبة بالركوبية ، وهي نسبة أبيها ، وكانت تحمل
في عصر الموحدين مكانة ولادة في قرطبة بنى جهور . وكان ولمه بها سبب موته .
استمتع أبو جعفر وخضعة بهواهما زمناً ، وأفصح كل منهما عن مشاعره في
شعر كثير . وبعض أبيات خضعة تم عن روح تهكم فكاهة لطيف . من ذلك أن
أبا جعفر قال الأبيات التالية بعد أن تم بليقة مع صاحبة في خيمة بمحور مؤمل :
رحى الله ليلاً لم يرح بمنم عشية وارانا بحور مؤمل .
وقد خفقت من نحو نجد أريجة إذا فطمت هبت بريا القرفل
وغرد قري على النوح وانثى قضيب من الریحان من فوق جدول
يرى الروض مسروراً بما قد بدا له : عناق وضم وارشاف مُمَبِّل (٣١٧)
فأجابته خضعة بأبيات تدعوه فيها إلى ترك التحليق مع الخيال والمهبوط .
إلى الحقيقة الواقعة :

لعرك ماسر الرياض بوصلنا ولكنه أبدى لنا القل والحسد

ولا صفق النهر ارتياحاً قربنا ولا صدح القمرى إلا لما وجد
فلا تحسن الظن الذى أنت أهله فاهو فى كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كما تكون لنا رصد^(٢١٨)
وينسب إلى الركونية هذان البيتان :

أغار عليك من عمى رقيبى ومنك ومن زمالك والمكان
ولو أنى خبأتك فى هيمونى إلى يوم القيامة ما كفانى^(٢١٩)

ويشء القدر أن يتعلق بخفصة كذلك ابن الخليفة عبد المؤمن يسمى « أبو سعيد » وكان والياً على غرناطة ، وكان أبو جعفر لا يوفقه ويجاهر بالزراية به^(٢٢٠) . ثم خرج من غرناطة ، واشترك فى تدمير على الموحدىن أحكه ضر من أصحاب محمد ابن مرادائش المنتزى على الموحدىن فى بلنسية ، وكان الإسبان يسمونه بـ « الرئى لوبو » أى « الملك لب » . وقد انكشف أمر هذه المؤامرة وأبو جعفر فى مائة بهم ركوب البحر إلى بلنسية ، فقبض عليه وأودع السجن ثم قتل سنة ٥٥٩/١١٦٣ وقد زاره فى محبسه قبل قتله صديق له ، فدمعت عيناه حين رآه مكبولا فقال له : « أعلى تبكى بعدما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها ، فأكلت صدور الدجاج ، وشربت فى الزجاج ، ولبست الديباج ، وتمتت بالسرائى والأزواج ، واستعملت من الشمع السراج الوهاج ، وركبت كل حلاج ؟ وما أنا فى يد الحجاج ، منتظراً محنة الحلاج ، قادم على غافر لا يحتاج ، إلى إغذار ولا احجاج » . قال ابن عمه الذى سمع هذه القالة : « أفلا يؤسف على من يتعلق بمثل هذا الكلام ويفقد^(٢٢١) » وعند ما بلغ خفصة^(٢٢٢) خبر صاحبها لبست الحداد وحزنت عليه حزناً شديداً ، وجعلت تنحى على نفسها باللائمة أن كانت سبب هلاك هذا للسكين .

ويطلب أن حمدة بنت زياد المؤدب عاشت فى ذلك العصر ، وكانت تلميذة للبراق ولقيت شهرة عظيمة فى المشرق خاصة ، ومن أبياتها التى طارت كل مطار فى الأندلس قولها :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا وليس لم عسدى وعندك من تار
 وشنوا على أسماعنا كل غارة وقلتُ سحاني عند ذلك وأنصاري
 غزوتهم من ناظريك وأدعى ومن نغسى بالسيف والسيل والنار^(٢٢٢)
 وتنسب هذه الأبيات في بعض الأحيان لأختها زينب .

ف ٤١ - أبو بكر محمد بن زهر (١١١٣/٥٠٧ - ١١٩٩/٥٩٦) :

من سلاطة دوحة بنى زهر التي أنجبت نفراً من مشاهير الأطباء . برع أبو بكر
 في نظم الموشحات ، وله كذلك شعر جيد ، كآبياته التي يصف فيها فصل الخمر
 في الرؤوس ، ومنها هذه الأبيات التي أوصى أن تكتب على قبره :

تأملُ بمقك يا واقفاً ولاحظ مكاناً وقفاً إليه
 ترابُ الضريح على وجنتي كأنى لم أمش يوماً عليه
 أداوى الأنام حذار للنون وما أنا قد صرت رهناً لديه^(٢٢٣)

وكان ابن جبير الرحالة شاعراً محسناً يقول للقطعات الجميلة بين الحين والحين ،
 وشعره ذو معان فلسفية كقوله :

الناس مثل غروبٍ حشوها صبر وفروق أفواها شيء من العسل
 تفر فائقها حتى إذا كشفت له تبين ما تمويه من دخل^(٢٢٤)

وتحمل كتب الأدب بذكر ثمر غفير من شعراء هذا العصر نذكر منهم
 ميمون بن الخطابة^(٢٢٥) ، ويحيى بن مجبّر (توفي ١١٩١/٥٨٧) الذي يبيحترى
 الأندلس^(٢٢٦) ، وأبا أحمد بن حنون^(٢٢٧) ، وعبد البر بن فرسان^(٢٢٨) ، ويحيى بن
 غانية الليبوري^(٢٢٩) ، وابن الرقاء^(٢٣٠) الذي أبدع في وصف نافورة ، ومحمد بن صفّر^(٢٣١)
 الذي تغنى بجمال وادي الترية وصور للد في مدخل « الوادي الكبير » بقوله :

حيث الجزيرة والخليجُ يحفها يشكو إليها ، كي تجيب جواره
 شق النسيم عليه جيب قيصة فانساب من شطيه يطلب تاره

فتضاحكت وُرق الحمام بدوحه هنزا ، فضم من الحياء إزاره
ومن استلهم « الوادي الكبير » طرفاً من شعره إبراهيم بن سهل المتوفى سنة
١٢٥١/٦٤٩ وكان يهودياً فاسلم ، وأدرك شهرة عظيمة لأنه « اجتمع فيه دُلان :
ذل العشق وذل اليهودية » ، قال ابن سهل :

وكأنما الأنشام فوق جنانه أعلامُ خز فوق مُمرِ رماح
لا غرو أن قامت عليه أسطراً لما رآته مُدَرَّما لكفاح
وإذا تتابع موجُّه لبقاعها مالت إليه ، وظل جلف صياح^(٢٣٣)
ووصف الرصافي (المتوفى ١١٧٧/٥٧٢) النهر في أبيات راقية :

ومهدل الشطين تحسب أنه مُتَسَيِّل من درة لصفائه
قامت عليه مع المجبرة سرحة صدت لقيتها صفيحة مائه
وتراه أزرق في غلالة سندس كالدارع استلقى لظل لوائه^(٢٣٤)
أما أبو بحر صفوان بن إدريس (١١٦٥/٥٦١ — ١٢٠٢/٥٩٨) صاحب
« زاد للسافر » ، فقد كان شاعراً محسناً يهوى مقطعات نسيبه إلى من يتنزل
فيه ، كقوله :

يا حسنه ، والحسنُ بعض صفاته والسر مقصود على حركاته
بدر لو أن البدر قيل له : اقترح أملاً ، لقال : أكون من حالاته
وإذا هلالُ الأفق قابل شخصته أبصرته كالشكل في مرآته
والنحال ينقطع في صحيفة خده ما خط فيها الصدغ من نوناته
صاحبته ، والليل يُدنى تحته نارين من نفسى ومن وجناته
وضمته ضمَّ البخیل لماله أحنو عليه من جميع جهاته
أوثقتَه في ساعدى لأنه ظلي أخاف عليه من قلاته
وأبى غفاني أن أقبل ثمره والقلب مطوى على جمراته
فأعجب للتهب الجوانح غلة يشكو الظما ، وللاء في لهواته^(٢٣٥)

ف ٤٢ — أبو البقاء الرندي :

وإلى جانب من ذكرنا كان هناك شعراء تروى لهم الأبيات في كتب الأدب ،
ولكن طبقاتهم في الشعر لم تكن عالية ، ومن هؤلاء محمد بن عبد الرحمن النساني
(١١٧٢/٥٦٨ — ١٢٢٢/٦١٩) الذي قال شعراً كثيراً في أنساب العرب أورده
ابن الخطيب في « الإحاطة »^(٣٣٦) ، وأبو القاسم إبراهيم بن فرقد (الذي عاش
في النصف الثاني من القرن الثاني عشر) وهو من موزور ، وله شعر كثير وصف
به قرطبة ومسجدها الجامع وإشبيلية وموزور ، وله كذلك قصائد يبيكي فيها مصير
الأندلس^(٣٣٧) ، وأبو الربيع بن سالم^(٣٣٨) (١١٦٩/٥٦٥ — ١٢٣٦/٦٣٤) وكان
تلميذاً لابن زهر ، وقد ضاع معظم شعره ، وقد اشتهر أمره ببلاغته ومعرفة بالحديث .
وأولى أولئك جميعاً بالذكر أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ، وقد ظهر
أمره وبقي ذكره بقصيدة يتدب فيها ما أقطعه من الأندلس فرناندو الثالث وجاءته
الأول (Jaime I) ، وإليك أطرافاً منها :

لشكل شيء إذا ما تم قصان	فلا يُفرَّط بطيب العيش إنسان
هي الأمور — كما شاهدتها — دول	من سرَّه زمن ساءت أزمان
وهذه الدار لا تُبقي على أحد	ولا يدوم على حال لها شان
أين للوك ذوو التيجان من يَمَن ؟	وأين منهم أكاليل وتيجان ؟
وأين ما شاده شدَّاد في إرم ؟	وأين ما ساسه في القرس ساسان ؟
[دعى الجزيرة أمر لا عزاء له	هوى له أحد وانهدَّ شعلان]
أصابها التين في الإسلام فامتحن	حق خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية : ما شأن مرسية	وأين شاطبة ، أم أين جيان ؟
وأين قرطبة ، دار العلوم ، فكم	من عالم قد سما فيها له شان ؟
وأين حص ، وما تحويه من نزع	ونهرها العذب فياض وملآن ؟
[بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم	واليوم هم في بلاد الكفر عبدان]

[فلو ترام حيارى لا دليل لم عليهم من ثياب القبل ألوان]
 [ولو رأيت بكام عند ييهم لملك الأمر واستهوتك أحزان]
 [يارُبْ أتر وطفل حيل بينهما كما تشرق أرواح وأبدان]
 وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
 يقودها الملحج للكره مكرهه والعين باكية والقلب حيران
 مثل هذا يذوب للقلب من كد إن كان في القلب إسلام وإيمان^(٢٣٩)
 وقد وردت هذه القصيدة كذلك في «أزهار الرياض» للقرى (القاهرة
 ١٩٣٩) ج ١، ص ٤٧ — ٤٩؛ وجاء اسم الرندي هناك : أبو الطيب صالح
 ابن شريف.

وقد طار ذكر هذه القصيدة وتداولها الناس ، وبلغ من إعجابهم بها أن
 أضافوا إليها بعد قرات من ضياع مدن أندلسية أخرى استغلبها النصارى بعد
 ذلك مثل بسطة وخرناطة. ويقول للقرى في شأن هذه الزيادات : «ومن له أدنى
 ذوق علم أن ما زيد فيها من الأبيات ليست تقاربها في البلاغة ؛ وغالب ظنى
 أن تلك الزيادة لما أخذت خرناطة وجميع بلاد الأندلس ، إذ كان أهلها يستهضون
 هم الملوك بالشرق والغرب ، فكان بعضهم لما أعجبتهم قصيدة صالح بن شريف زاد
 فيها تلك الزيادات»^(٢٤٠).

وقد ترجم خوان فاليرا هذه القصيدة إلى شعر إسباني في نفس البحر الشعري
 الذى صاغ فيه شاعر إسباني هو خورخيه مانريك Jorge Manrique قصيدة
 مشابهة لما في الروح — في رأى فاليرا — وقد صاغها في قالب النقرات coplas ،
 بيد أن للدق يستبين أن قصيدة الرندي لا تشبه قصيدة مانريك إلا في ترجمة
 فاليرا الشعرية البديعة بحسب^(٢٤١) ، أما الأصل العربى فبيد عن ذلك. وعلى من
 يريد أن يدرس هذا الموضوع أن يفعل ذلك والأصل العربى بين يديه .

ف ٤٣ - ابن الأثير :

يقول غرسية غومس : « وكان من الدلائل الواضحة على انتمحلال الأندلس مغادرة الكثيرين من أعلامه إياه إلى غير رجعة . فلم يعد الأندلسيون يخرجون إلى المشرق لطلب العلم ثم يعودون محملين بذخائر علومه ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، وإنما أصبحوا يبرحون الأندلس بزاد خاقل من المعارف الأندلسية وينشرونها في أقطار نائية . وهذا ما وقع لرجال كآبي الحسين بن جبير (وقد عاد إلى الأندلس) والصابوني والششتري ، وعبي الدين بن عربي ، وهو أم هؤلاء جميعاً . وقد لجأ إلى بلاط الحفصيين في تونس نفر من علماء الأندلس وشعرائه مثل حازم القرطاجني (١٢١١/٦٠٨ - ١٢٨٥/٦٨٤) صاحب « القصيدة المقصورة » (التي قام على شرحها الشريف الفرناطلي ١٢٩٧/٦٩٧ - ١٣٥٩/٧٦١) وهي مرثية مشبوبة الماطقة للأندلس تتضمن ذكريات كثيرة عما كان للناس في نواحي مرسية وقرطاجنة من مسرة ومقاع . ومن أولئك اللاجئين إلى تونس أبو الحجاج التبياسي (١١٧٧/٥٧٣ - ١٢٥٥/٦٥٣) وكان لغويًا مؤرخًا شاعرًا ذا إلمام نادر بما قالته العرب من شعر في الجاهلية والإسلام حتى يقال إنه كان يحفظ « حماسة » الطائي و « ديوان » اللخمي وكل ما قاله الستة للقدماء من شعراء الجاهلية ، وغير ذلك كثير . وقد وضع كتاباً سماه « الحماسة » ضمنه الكثير من الحكايات والأشعار وأخبار الشعراء وما إلى ذلك ، وأورد ابن خلكان أطرافاً منه .

وأم أولئك جميعاً أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الأثير القضاعي ، فقد وصل إلينا من شعره أبيات جميلة رقيقة في النسيب ، وقصيدة ذاتة الصيت ألقاها بين يدي أبي زكريا بن أبي حفص ، وكان قد قصد في سفارة أرسلها الأمير « زيان ابن أبي الحلات » للوحدى صاحب بلنسية في ذلك الحين ، وكان صاحب برشلونة قد ألح عليها بالحصار ، قال فيها :

أدرك بحيلك ، خيل الله ، أندلسا إن السيل إلى منجياتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التفتت فلم يزل منك عز النصر ملتصا
وحاش مما تمنيه حشاشتها فطالما ذقت البلوى صباح مسا
يا الجزيرة أنحي أهلها جزرا للحادثات وأمسى جدها نصا
في كل شارقة إلام باقصة يعود مأتعا عند الصدى عرسا
تقاسم الروم ، لاناك مقاسمهم إلا عائلها المحبوبة الإنسا
وفي بلنسية منها قرطبة ما ينسف النفس أو ما ينفذ النفسا
مدائن حلها الإفرانك مبقسا جذلان وارتمل الإيمان مبيتسا
وصيرتها الموادي المائت بها يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فن دساكر كانت دونها حرما ومن كئاس كانت قبلها كنسا
باللساجد عادت للصدى يما وللنداء فدا أثنائها جرسا^(٢١٢)

وله أبيات رفيقة قالها في حديقة ياسمين :

حديقة ياسمين لا تهم بنورها الحلق إذا جفن النمام بكى تبسم ثمرها اليق
كأطراف الأله ما ل في أثنائها الشفق^(٢١٣)

ومن بديع شعره الأبيات التالية في « الساقية » :

لله دولا ب يدور كأنه فلك ، ولكن ما ارتقاء كوكب
نصبته فوق النهر أيدي قدّرت ترويح الأرواح ساعة يُنصب
فكأنه - وهو الطليق - مقيد وكأنه - وهو الحيس - مسيب
للأاء فيه تصمد وتمحدر كالزن تستقى البحار وتسكب
هامت به الأحداق لما نادمت منه الحديقة ساقيا لا يشرب^(٢١٤)
ولأبي الحسن علي بن سعد الخير أبيات في هذا المعنى^(٢١٥) .

ف ٤٤ — علي بن سعيد المغربي^(٢٦٦) :

وآخر من ظهر من أعلام الشعر خلال هذا العصر هو علي بن سعيد المغربي (١٢١٣/٦١٠ — ١٢٧٤/٦٧٣) الذي سنبذل عنه كثر في ما بعد، وتناول الآن جانبه كالم من كبار مصنفى مجموعات النظم والنثر، وبين أيدينا الآن كتابه الشقيق « رايات للبرزين وغايات المميزين » (نشره إميليو غرسية غومس مع ترجمة إسبانية في مدريد عام ١٩٤٢) وهو مجموع من مختار الشعر انتقاء من كتابه « للغرب » وأهداه إلى أبي الفتح جمال الدين موسى بن يُمُور (٥٩٩ / ١٢٠٣ — ١٢٦٥ / ٦٦٣) من كبار رجال الدولة المصرية على عهد الملك الصالح وتوران شاه ويبرس . والكتاب ينقسم قسمين : واحد عن شعراء الأندلس والثاني عن شعراء إفريقيا . والقسم الأول يتناول الكلام عن شعراء وسط الأندلس وغربه وشرقه ثم يلم بأخبار شعراء جزيرة يابسة ، وإنما اقتصر على هذه الجزيرة دون بقية الجزائر الشرقية (البليار) لأنه لم يجد شعراء ذوي قدر إلا بها . والقسم الثاني مرتب كذلك على أقسام أربعة : مراکش والمغرب الأوسط وتونس وصقلية .

والكتاب يتناول الكلام عن مائة وأربعين شاعراً أورد للؤلف لم أربع عشرة وثلاثمائة مقطوعة من الشعر، والشعراء مرتبون بحسب المدن (إشبيلية، قرطبة، غرناطة، طليطلة، دانية، طرطوشة، تطيلة، إلخ)؛ وشعراء كل بلد مقسمون طبقات بحسب مراتبهم (الملوك، والوزراء، والسادة، والعقهاء، والشعراء، إلخ) ومرتبون ترتيباً زمنياً بحسب القرون التي ظهوروا فيها، ويتناول الكلام الفترة الواقعة بين زوال خلافة قرطبة والقرن الثالث عشر الميلادي .

وقد أورد ابن سعيد في هذا المجموع نحو ثلاثين نموذجاً من شعره، وهو يحدثنا عن ولعه بالتفنن في وصف الريح والنمن كقوله :

الريح أقود ما تكون فليها تبدى خفايا الرُدف والأعكان

وتنيل الأغصان بعد إيلائها حق تقبل أوجه الغدران
ولذلك الشاق يتخذونها رسلا إلى الأحباب والإخوان^(٢٤٧)
ويقول متحدثاً عن نفسه : وما لم يسبق للملك إليه قوله :
وانظر إلى سفع الخليج كطائر لقي الصبا من موجه بمنح
وقوله :

والشمس من ألم الفراق مريضة مدت لتوديع البحيرة راحا^(٢٤٨)
وقد طار اسم ابن سعيد في القرن الماضي (في إسبانيا) بأبيات ترجمها له
خوان فاليرا في شعر إسباني جميل يتحدث فيها عن وطنه وحبّه له يقول فيها :
هذه مصر ، فأين للرب ؟ مذ نأى عني دموعي تسكب
فارتفع النفسُ جهلاً إنما يُعرف الشيء إذا ما يذهب
أين حصن ؟ أين أياي بها ؟ بعدها لم ألق شيئاً يوجب
كم تنفّس لي بها من لغة حيث لنهر غرير مطرب
وحام الأيك تشدو حولنا وللثاني في ذراها تصخب
أى عيش قد قطعناه بها ذكره من كل نسي أطيب
ولكم بالمرج لي من لغة بعدها ما العيش عندي يعذب
والنواصير التي تذكرها بالنوى عن مهجتي لا يُسلب
ولكم في شنبوس من منى قد قضيناها ولا من يعتب
وغناء كل ذى قر له سامع غصبا ولا من ينصب
بلدة طابت ورب غافر ليقى ما زلت فيها أذنب
أين حسن النيل من نهر بها كل ثبات لديه تطرب
كم به من زورق قد حله قر ساق وعود يُقرّب
... ..

وإلى مائة يهفو هوى قلب صَبَّ بالنوى لا يُقلب

ابن أبراج بها قد طللاً حث كاسى في فواها كوكب
جاءت الريح بها ثم اثنت أراها حذرت من ترقب
... ..

هذه حال وأما حالى في ذرى مصر فسكر متعب
[أسمع أذنى عمالاً ليتها لم تصدق ويحما من يكذب]
[وكذا الشيء إذا غاب انتهوا فيه وصفاً كي يميل الغيب]
ها أنا فيها فريد مهمل وكلاى ولسانى مغرب
وأرى الأحاسظ تنبو عندما أكتب الطرس ، أفيه عقرب (٢٤٩)

٦ - مملكة غرناطة

ابن الخطيب - ابن زمر

ف ٤٥ - ابن الخطيب (كشافه) :

كان الشعر الأندلسى خلال العصر النرناطى (١٢٦٦/٦٦٥ - ١٤٩٢/٨٩٨) يلفظ آخر أفضاه ، مثله في ذلك مثل غيره من فروع الثقافة الإسلامية في الأندلس : كانت كلها تعيش على أصداء الماضى . ولقد قسم غرسية فومس - في بحثه عن ابن زمر - العصر النرناطى من الناحية الثقافية إلى ثلاث فترات : فترة غلب فيها التأثير النصرانى ، وكان ذلك على أول أيام دولة بنى نصر ، إذ كان أولئك الأخيرون أفصلاً (أنباعاً) مرصاء للملك قشتالة ، والفترة الثانية - خلال القرن الرابع عشر الميلادى - فترة بين بين ، اختلطت فيها للوثرات المسيحية بالوثرات الشرقية الإفريقية . أما الفترة الثالثة - خلال القرن الخامس عشر - فقد غلب فيها الطابع الإفريقى للشرقى على مملكة غرناطة وثقافتها بصورة واضحة جداً . وذكر فومس كذلك أنه خلال الفترة الثانية ، كانت عناصر الحضارتين : المسيحية الغربية والشرقية الإفريقية ، تتفاعل هذا التفاعل الذى سيتولد عنه فيما بعد كيان سياسى ثقافى خاص (٢٥٠) . ولقد عبر ابن خلدون عن ذلك بأجلى بيان في مقدمته ، وذلك حيث

قال : « وكأني بالشرق قد نزل به مثل ما نزل بالغرب ، لكن على نسبه ومقدار
عمراته ، وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالتحول والانتقاض ، فيأدر بالإجابة ،
والله وارث الأرض ومن عليها . وإذا تبدلت الأحوال جملة ، فكأنما تبدل
الخلق من أصله ، وتحول العالم بأسره ، وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم
محدث » (٢٥١) .

وتبتدى لنا في عالم الشعر خلال هذا العصر شخصيتان تكادان تكونان
فريدتين في بابهما : الأولى شخصية ابن الخطيب (٧١٣/١٣١٣ - ٧٧٦/١٣٧٤)
أكبر مؤرخي ذلك العصر وأعظم شعرائه . ونذكر من شعره قصيدته المصممة التي
وجه بها إلى أبي عنان سلطان بن مرين — وكان قصده موفداً من قبل سلطانه
محمد الثاني بالله لاستنصاره على منالبة للتصاري — ومطلعها :

خليفة الله ، سامع القدر علاك ، ملاح في الدجى قر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في الثابت بدر دجى لنا ، وفي التحل كفك للطم
والناس طراً بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا (٢٥٢)
وله قصيدة أخرى نما فيها نحو القمصاء وجه بها إلى السلطان أبي سالم سلطان
مراكش ، يسأله فيها أن يجير محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر المخلوع عن
هرش غرناطة مطلعها :

سلا ، هل ليها من مخبئة ذكر وهل أعشب الوادي وتم به الزهر
وهل باكر الوشمي داراً على القوي هفت آيها إلا التوهم والذكر
بلادى التي عاطيت مشموله الموى بأكلها ، واليش فينان مخضر
وجوى القوي ربي جناحى وكرهها أناذا مالى جناح ولا وكر
ويقول فيها :

أقول لأظمانى وقد غلما الشرى وأنسها الحادى وأوحشها الزجر

رويدك ، بعد العسر يسراً بشري يا إنجاز وعد الله ، قد ذهب العسر
ويقول فيها :

قصداك يا خير للوك على النوى لتتصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الأيام عن غلوائها وقد راينا منها التسف والكبر^(٢٥٣)
وله آيات جيدة أوحاها إليه وقوفه بقبر المعتمد بن عباد قال فيها :

قد زرت قبرك عن طوع بأعانت رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى للوك يداً وما سراج الليالي للدهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه إلى حياتي لجادت فيه آياتي
أناف قبرك في هضب يميزه ففتحني حقيبات التحيات
كرمت حيا وميتاً واشتهرت علي فأنت سلطان أحياء ، وأموات
مارؤى مثلك في ماض ، ومعتدى ألا يرى الدهر في حال ولا آت^(٢٥٤)
ونظم حديثنا من ابن الخطيب الشاعر بهذه الأبيات الفياضة بصدق العاطفة
وجلال الإيمان ، التي قلما في محبة « يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواته بالشعر
يبكي نفسه » :

بمدنا وإن جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة كبحر الصلاة تلاء القنوت
وكنا عظاماً ، فصرنا عظاماً وكنا قنوت ، فها نحن قنوت
وكنا شمس سماء الملى غروب ، فناحت علينا البيوت
قل للمدى : ذهب ابن الخطيب ب وفات ، ومن لا يفوت ؟
فن كان يفرح منكم له قل : يفرح اليوم من لا يموت^(٢٥٥)

ف ٤٦ - ابن زمر :

أما الشخصية الثانية ، وآخر علم من أعلام الشر الأندلسي فأبو عبد الله
محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الشَّرَحي المعروف بابن زمر

أو ابن زُمرْكَ (١٣٣٣/٧٣٤ — ١٣٩٣/٧٩٦) تلميذ ابن الخطيب وخلفه في الوزارة ، الذي لم يتردد في تنبئه بالأذى ، ولم يحجم عن الإفادة من موته الحزن . ولدينا الآن معلومات وافية عن أشعاره : قصائده ووصفياته ومرتبجلاته وموشحاته بفضل البحث الذي كتبه عنه غرسية غومس ، وقد أشرنا إليه . ولدينا كذلك فكرة دقيقة عن طبعه باللغة وتعلُّقه زمامها . ويتردد في بعض شعره صدى للحب العذري . وأكثر شعره دلالة على شخصه وفنه تلك الأبيات التي قالها في قنديل مضاء :

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجوى ذهاباً بأذيال الظلام قد التفتا
يلوح سناناً حين لا تنفج الصبا ويبدى سواراً حين تنفى له المظنا
قطعت به ليلاً يطارحنى الجوى فأونة يسدو وأونة يخفى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه وإن قلت لا يخبو الضياء به كفا
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله يا أصبلح ، أشبهت مهجتي وقد شفعا من لوعة الحب ما شفعا^(٢٥٦)
وكان ابن زمرْكَ معنياً — إلى جانب للدائح التي كان يقولها في السلاطين —
بقرض القطعات الوصفية ، وخاصة في صفة « الحمراء » وقصورها وبساتينها
والخفلات التي كانت تقام في قصورها ، وقد جدد بذلك ذكرى أيام ابن خفاجة
ودل على أنه تلميذ غير المباشر . وإليك مثالا من ذلك ما قاله في صفة حدائق
« قصر شَيْبِل » وقد خرج الأمير محمد الخامس (الذي بالله) للزخمة فيها :

يا قصرَ شَيْبِلِ وربُّكَ آهْلٌ والروض منك على الجمال قد اتهمرُ
لله بمركِّ والصُّبَا قد سرَّجَت منه دروعاً تحت أعلام الشجر
والآسُ حَف عذاره من حوله عن كل من يهوى العذار قد اعتذر
قَبْلُ بَشَر الزهر كَفَّ خليفته يغنيك صوبُ الجود منه عن الطر
وافرش خدود الورد تحت ناله واجمل بها لون للضاعف عن خفر

وانظم غناء الطير فيه مدائحاً وانثر من الزهر الدوام والدرر^(٢٥٧)
ولابن زمر قصائد أخرى يصف فيها «قصور الحراء» في مجموعها . وشعره فيها
يبدو وكأنه «أناشيد راقصة متدفقة» ، ترقص على وقعها الزهور والنجوم ، وتفيض بالأخيلة
والتشبيهات المتشابكة . وإن من يعرف هذه القصود ليجد في ذلك الشعر تصويراً
بديعاً رائعاً لها^(٢٥٨) . ويقول غومس في موضع آخر : « وقد نُقِشت بعض
آيات ابن زمر على جدر الحراء ، وهي تكون جزءاً لا ينفصل من زخارف
قصور بني نصر » . وإليك نموذجاً منها آياتاً كان بعضها منقوشاً على جدر
« بهو الأخوين » في الحراء ، وهي من قصيدته المعروفة التي قالها في وصف دار
الملك التي ابتناها السلطان محمد الثاني بالله ومظلمها :

سل الأفق الزهر السكواكب حالياً فإني قد أودعته شرح حالياً
وحملت مثل النسيم أمانة قطعت بها عمر الزمان أمانياً
ويقول فيها :

وقد مبدأك الجليل فإنه يفوق على حكم السمود للبانيا
فكم فيه للأبصار من مقننه تجيد به نفس الحليم الأمانيا
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به ولم تلك في أفق السماء جواريا
ولو مثلت في سابقه لسابت إلى خدمة ترضيك منها الجواريا
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة جللتها بحليتها من الوشي تنسي السابري الإيمانيا
وكم من قسي في ذراه ترفعت على عمد بالنور باتت سواليا
فتمسبها الأفلاك دارت قسيها كظل عمود الصبح إذ بات باديها
سوارى قد جاءت بكل غريبة فطارت بها الأمثال تجري سواريا
به للرمر المجلو قد شف نوره فيجلو من الظلاء ما كان داجيا
إذا ما أضاءت بالشعاع تخالما على عظم الأجرام منها لآليا

به البحر دفاع العباب تخاله إذا ما انبرى وفد النسيم مباريا (٢٥٩)

... الخ

وعاش في ذلك العصر ابن الجعاج النهرى ، وقد سبق ابن الخطيب بحمل
إذ توفي سنة ١٣٦٢/٧٦٤ . وقد ولد في وادي آش وسكن في غرناطة وفيها عاش ،
وكان كاتباً ذا أسلوب فكه . وما يقال في شأنه إنه كان عذب الحديث وطبقة
عالية في الشعر .

(ب) الاتجاه الشعبي الدارج

نظرة ريبيرا الجديدة — الزجل واللوعة — مبتكرها مقدم
ابن مقل النهرى — تطور هذين الفنين وضوح صناعتهما —
أوائل الزجالين — ابن قزمان وديوانه — مدرسة ابن قزمان .

ف ٤٧ — نظرية ريبيرا الجديدة :

أصبح من الواضح — نتيجة للأبحاث التي قام بها الأستاذ خليان ريبيرا ،
أن أهل الأندلس الإسلامى كانوا يستعملون العربية الفصيحة كلغة رسمية يتعاملها
الناس في المدارس ويكتبون بها الوثائق وما إليها ؛ أما في شؤونهم اليومية
وأحاديثهم فيما بين بعضهم وبعض فكانوا يستعملون لهجة من اللاتينية الدارجة
أو العجمية el romance^(٣٠) . وليس ذلك بغير ، لأننا إذا ذكرنا أن
عدد العرب الغلص الذين دخلوا الجزيرة كان قليلاً جداً ، تبين أننا لا نستطيع
اعتبار الأندلسيين المسلمين ساميين أو مشاكلة ، ابتداء من جيلهم الثالث
أو الرابع من بعد الفتح ؛ ولتضاف إلى ذلك أن شعوب أوروبا كانت تستعمل
في ذلك الحين اللاتينية كلغة ، وأن نامها كانوا يتحدثون إلى جانبها لهجات
عجمية romance مختلفة مشتقة من اللاتينية .

وكان هذا المزيج في اللغة هو الأصل في نشوء طراز شعري مختلط ،

تمتزوج فيه مؤثرات غربية وشرقية . وقد ازدرى أهل الأدب التصحيح والمعنيون بأسره هذا الطراز الجديد ، بينما مضى الناس جميعاً يتناقلون مقطعاته سرا فيما بينهم ، وذاع أمره داخل البيوت وفي أوساط العوام ، وما زال أمره يعظم والإقبال عليه يشتد حتى أصبح في يوم من الأيام لونا من الأدب . وقد أخذ هذا الطراز الجديد من الأدب الشعبي صورتين : إحداها « الزجل » ، والثانية « الموشحة » .

أما الزجل فشعر يصاغ في فقرات تسمى أبياتا . وتبدأ مقطوعته بيت يعرف « بالمركز » أو « السط » ، تليه أغصان ذات قافية واحدة ووزن واحد ، يتكون النص منها من ثلاثة مصاريع أو أكثر ، ثم يعقبها بيت في نفس وزن المركز وقافيته ، وهكذا .

وأما الموشحة فنظم تكون فيه القوافي اثنتين اثنتين كما هو الحال في الوشاح ، وهو القند يكون من سلكين من اللآلئ كل منهما لون . فالتسمية هنا تشير إلى طريقة تأليف القوافي ، وهي تشبه الزجل فيما عدا ذلك . أى أن الموشحة تتألف من فقرات تسمى الأبيات ، كل فقرة منها تتكون من عدد معين من أشطار البيوت في قافية واحدة ، وتتعب كل فقرة خرجة في بحر أشطار النص ولكن في قافية أخرى ؛ ويلتزم الوشاح قافية هذه الخرجة في كل خرجات موشحته ، أما الأغصان فقد يكون كل منها على قافية ولكن من بحر واحد .

والزجل والموشحة في واقع الأمر فن شعري واحد ، ولكن الزجل يطلق على السوق الدارج منها ؛ إذ لا بد أن يكون في اللغة البارجة ، فقد كان يُتغنّى به في الطرقات . أما الموشحة فلا تكون إلا في العربي التصحيح ، واسمها كذلك عربي كما هو واضح ؛ وربما استطعنا أن نقول إن لفظ الموشحة يطلق على المذهب من الزجل الذي تشمل فيه الفصحى أو ينظم في أسلوب أرفع من أسلوب الأزجال (٣١) .

وإليك نموذجاً من أزجال ابن قزمان^(١٧٣) (*) :

يا مليم الدنيا قول على أش انت يا ابن ملول (*)
أى أنا عندك وجيه يمتجج من وفيه ثم فاحلى ما تتيه
ترجع أنسك وصول^(١) +

سُرَّ بَعْدَ جِيْدِهِ سَرَفٌ
لَمْ يَرَا مِثْلُ نَصَفِ
وَلَسَ أَتْ إِلَّا طَرَفٌ

والذى قلنا فضول^(١٧٤)

(*) زجل رقم ٩٩ طبعة جونزبرج . وقد اكتفى المؤلف بالبين الأولين ، ولكن رأيت أن أورد النص الكامل له لكي أعلل الفارى . فكرة من زجل كامل من أزجال ابن قزمان . وسأورد الفروح هنا الخامس ؛ وقد استنت في ذلك بصديق الدكتور عبد العزيز الإهماني . وقد أوردت الفقرة الأولى على الحياة التي وردت بها في الديوان ، حتى يأخذ الفارى فكرة من طريقة كتابة الأزجال ، وأوردت الباقي كل شطر في سطر للإيضاح .
(*) الزجل من بحر يمزوه الرمل : فاعلات فاعل ، ورسمه :

— — — — —

والفقرة الثانية من « المركز » نقرأ هكذا : مَلَّ شَلَّتْ بِأَبْنِ مَلُول .
(+) على أش : علام ، لماذا ؟ . ملول : ضيق الصدر . أى أنا : إني . وجيه : ذو مقام . يمتجج : ينفر . من : الأغلب أن صحتها : منه . وإذا كانت صحتها من وفيه فيكون للعين : ينفر منه وفيه (١) . ثم فاحلى : اصطلاح يستعمله ابن قزمان كثيراً ومعناه : وفى أشد حالات تيهك . أنسك : رجلك ، سديك .

معنى البيت :

يا مليم الدنيا ، قتل

لماذا أنت متغير لا تثبت على حال

إني عندك ذو مكانة طيبة

كيف ينفر (الإنسان) من وقيته ؟

(نه ما شئت) فنتنما يصل تيهك أقصاه . .

سترجع وصولاً لحبيبك .

[و « أنسك » في الأصل « النك » ، ولكن الوزن ينكسر هكذا ، ثم إن اللحن لا ينهم ؟ وقد اقترح الدكتور الإهماني إضافة هذه التون] .

(□) مر جدد : اصطلاح أندلسي يستعمله ابن قزمان كثيراً ، ومعناه : حسنا . . =

إش لو أن يَدَا نراك
إذ نَجِي وَتَجَاكَ
كان يَخْلِينِ كذاك
هَذِهِ شَيْئًا قَبُولُ (*)

الوفا لَسْ لِيَحْدُ
غير أمين عبد الصمد
للمديح تدخل بَعْدُ
تُرَى ما أُلْعِ ذَا الدُّخُولِ (**)

= أو بالعامة : خلاص . . أو : طيب يا سيدي . والماء المفردة للضمومة متناها « هو » .
وَأَنْتَ : أَنْتَ .

معنى البيت :

حسنا . . إن إسرائفه (في الحلال) جيد

(إذ) لم يعرف الناس مثله متصفا

(وعلى أى حال) فليست أنت إلا طرفا (في ذلك الحب) ، وكل ما قلنا فضول ولنور .

(*) إش لو أن : وما عليك لو . . . وبالعامية : فيها إيه يسى لو . . . هنا : أيضا
كان يخلين : لأنك إذ تدعى . . .

معنى البيت :

وماذا عليك لو أنك سمعت لى بروك

فأجىء إليك وقت جَناك

لأن تركك لى هكنا

هذا شيء قاتل . . .

(*) لَسْ ، تنطق بعد الواو : لَسُو : ليس . لحد : لأحد . أمين عبد الصمد :
لا يلهم إذا كان المراد هنا اسم للمدح كاملا ، أو رجلا يريد أن يصفه بأنه أمين قومه آل
عبد الصمد .

معنى البيت :

الوفاء لا يوصف به أحد

غير أمين عبد الصمد

وتدخل بعد ذلك للمديح

وما أحسن هذا الدخول .

يا لِبَابَ كُلِّ لِبَابٍ

الْقِيَّ رَجُلِكَ فِي الرَّكَّابِ

فَأَنْتَ فَأَصْحَابُكَ شَبَابٍ

فَأَنْتَ . فَاذْهَبْ هَيُولُ (*)

نَمْ مِ يَتَنَ خَطَطُ

الْقَضَا فِي وَالْأَثْمِ قَطُ

وَالْتَنَا فِيهِمْ أَشْطُ

إِنَّمَا اخْتَرْتُ الْفُصُولُ (*)

== لحسب . للمنى :

والذى أعلمه من فضائله أعل ما عنده

شرف أجداد ومحمد

ويكنيه أسمه الكريم ، وما أدراك ما الأصل

إذ لا فروع دون أصول .

(*) الذى رَجُلِكَ فى الرَكَابِ : تقدم ، ادخل الِيدان . فَأَنْتَ : إذْ أَمَك . فَأَصْحَابُكَ :

فى أَصْحَابِكَ ، من بين أَفْرَانِكَ . الذُّوْكُ : الدولة . هَيُولُ : هائل ، عظيم .

للمنى :

يا لِبَابَ كُلِّ لِبَابٍ

تقدم وادخل الِيدان .

إذْ أَنْكَ من بين أَصْحَابِكَ شاب قوى

وَأَنْتَ فى الدولة ذو عمل عظيم

(*) يَتَنَ : بيت . خَطَطُ : خطط ، جمع خطة ، وهى للنصب الكبير . الْقَضَا فى :

خطة القضاء متداولة بين أفراد هذا البيت . وَالْأَثْمِ قَطُ : لا يوجد فيه أَمُّ البَتَّة ، ويرى الدكتور

الإموانى أن الأثم هنا تحريف للاسم ، والمضى على هذا الاعتبار : إن خطة القضاء والاسم —

أى الشهرة — فى هذا البيت وحده . أَشْطُ : أطول . الْفُصُولُ : بعض الأشياء .

للمنى :

تم لأنهم بيت تولى أفرادها الخطط والولايات الكبيرة

ففيهم خطة القضاء ، ولهم وحدهم الشهرة

والثناء عليهم يطول

ولكننى اكتفيت منه ببعضه .

فَأَيْسَى الْقَلْبِ رَحِيمٌ
فَاتَّقِ غَيْظَ الْحَلِيمِ
وَإِذَا أُنْزِلَ كَرِيمٌ
وَإِذَا كُفِّنَ حَمُولٌ^(*)

وإلى هنا الجلال
منظرٌ لَسْ لَ مِنْزِلِ
أَجْ بِحَالِ دَارَةِ هِلَالِ
أَوْ يَحَالِ وَجْجِ دَشُولِ^(*)

لَا نَمُوتُ حَتَّى نَرَاكَ
قَالِبِلْدٍ قَانِي كَذَاكَ
وَتَرَى غَايَةَ مُنَاكَ
وَلَا يُلْحَقُكَ خَمُولٌ^(*)

لَوْلا مَمَّا فَالطَّرِيقُ
كُنْ يَجِي أَكْثَرُ رَقِيقُ

(*) معنى هنا البيت واضح .

(*) (ولى هنا : وبالإضافة إلى هنا . لس : ليس . أج ، وج : وجه . دشول :

مبارة إسبانية de sol أى : شمس .
اللى :

وبالإضافة إلى هنا الجلال

منظره ليس له مثال

له وجه كأنه دائرة الهلال

أو كأنه وجه الشمس .

(†) معنى هنا البيت واضح .

إنما هذا الدقيق

وقمت فيه القول (*)

كف نرى خبز يبيع

أسود أسود مثل نج

في إدين تطيح

ودقيق خمس وفول (**)

وسما مثل النحاس

ونفاق في كل راس

لس يبي ماع نمان

وبلا عرض وطول (†)

(*) فالطريق : في الطريق ، في طريق ، في حيان . كن : كان ، أى كان هذا الشعر .

أكثر رقيق : أكثر رقة . الدقيق : المراد به دقيق القمح . وقمت : تامت .

المن :

ولولا أن المسوم في طريق ومن حول

لجاء زجل هذا أكثر رقة

ولكن حاجتي إلى الدقيق

شغلت عقل وحالت بينه وبين الإجابة .

(*) كف : كيف . خبز : خبزة : رقيق . ببيع : paniza : رقيق صغير من

الخبز . نج : pez : فار . إدين : أيد . تطيح أو تطيح : لم أستلم معرفة معنى هذا اللفظ .

المن :

كيف يتاح لي أن أحصل على رقيق صغير من الخبز

ولو كان أسود مثل القار

في أيدي تطيح

ودقيق خمس وفول ؟

(†) يريد ابن ترمان هنا أن يصف الخفاف رقة الطر وسوء الأحوال ، وكان =

وترى عاذ ذا العسل
وقيام صخب الجبل
كل شيء كان يُحتمل.
لو سلم هذا السؤل^(*)

وصحو، والليل نهار
وشما ضيف صار
حق في مرسى غبار
إنما فيه السؤل^(*)

== الأندلسيون يذهبون السماء الصافية التي لا سحب فيها بالنحاس .

الحق :

والسحاب صافية كأنها لبة من النحاس
وقد فاضت الرءوس والقلوب بالفتاق والحلاف
وفي مثل هذه الأحوال يستحق النحاس
وهذا المركب لا نهاية له .

(*) عاد : أيضاً . صاحب الجبل ، صاحب الجبل . لابد أن ابن قزمان يشيرنا إلى عدو
كان يحاصر قرطبة ويقطع السبل إليها ، ولنا نعرف إلى من يشير بالضبط . وقد يكون المراد
بصاحب الجبل : أهل الجبل ، أى قطاع الطرق . السؤل : السبل ، أو الطرق .

الحق :

ثم إنك ترى أيضاً هذا العسل
بالإضافة إلى قيام صاحب الجبل
وكان كل شيء يحتمل
إلا انقطاع هذه الطرق .

(*) عتا : مطر . حق : حقا . مرسى غبار : يتلب على القطن أن هذا اسم موضع
قد يكون هو مقام المدوح .

الحق :

والجو صحو لا مطر فيه ، والليل كأنه نهار
والمطر قد أصبح ضيقا
حقا إنه في مرسى غبار
فهناك تجد السؤل .

دعوا الله المحيب
والفرج من قريب
المسوا ذاب يطيب
والشتا على النزول^(*)

أر ما شئت لسن ترذ
حط قط إشيما تبيذ
الله الله كذ كذ
لس نريد منس مطول^(*)

ويمكننا أن نقارن هذا الزجل برجل إسباني صريف من نفس الوزن والنوع
للشاعر الإسباني ألفاريدو فيليبا ساندينو Alvarez de Vilasandino :

(*) من : مه . الموى : الهواء . ذاب : الآن . على النزول : على وشك المساول .

الملى :

إتنا ندعو الله المحيب

والفرج مه قريب

أن يطيب الهواء الآن

ويأخذ المطر في المطول .

(١) : أر : هات . إشيما : أى شيء . ما . كذ : فى سرعه . مطول : مطل .

الملى :

هات ما شئت فليست أرفض شيئا

ضم فقط أى شيء مجده

الله الله . أسرع . أسرع !

فليست أريد مطلا .

AA, ddda	Vivo ledó con razón amigos; toda sazón.	{ مركز أو بسيط
d	Vivo ledó e sin pesar,	{ أغصان
d	pues amor me fizo amar	
d	a la que podré llamar	
■	mas bella de cuantas son.	خرجة
e	Vivo ledó e vivré	{ أغصان
e	pues que de amor alcancé	
e	que serviré a la que sé	
a	que me dara galardón.	خرجة

وترجمته :

إننى بأوفاق أحيا حياة مرحة
كل أيام حياتى ، وأنا بحق فى ذلك .

إننى أعيش مرحاً دون هموم
لأن الحب أتاح لى أن أعشق
تلك التى يمكننا أن نقول إنها
أجل النساء جميعاً .

إننى أعيش مرحاً وسأعيش [هكذا]
لأننى من طريق الحب وصلت
إلى من أعرف أنها بمنعمتى لها
ستجازينى خير الجزاء .

ووزن أبيات هذا الزجل إذن : ١١ ، ب ب ب ا ، (١١) ، ح ح ح ا

(١١) . . الخ . ولكن هذا الوزن هو أبسط أوزان الأزجال ، فنها ما تكون
الخرجة فيه مكونة من شطر بيت أقصر فى الوزن من أشطار النصن ، وهذه
الأشطار بدورها تكون على نفس وزن للركز القصير . وهناك أزجال تكون

المرجة فيها مكونة من بيت ذى شطرين ، وأزجال أخرى تكون الأغصان فيها على أوزان مُصَفَّرَة متبادلة ، وثالثة تكون فيها الأغصان أربعة أربعة بدلا من ثلاثة ثلاثة ، ورابعة تكون المرجة فيها ثلاثة أشطار ، وخامسة وردت من غير مركز .. الخ . وهذه الصور كلها ذات أهمية خاصة عند مقارنة الأزجال بأوزان الشعر الأوربي .

ف ٤٩ — مقدم بن معافى القبرى ، صبكر المومنة (٢١٢) :

كان أول من استعمل هذا الفن الشعرى مقدم بن معافى القبرى الضرير الذى عاش بين سنتي ٨٤٠/٢٢٥ و ٩١٢/٢٩٩ ، وفى ذلك يقول ابن بسام تحت عنوان « فصل فى ذكر الأديب أبى بكر عبادة بن ماء السماء وإتيان جملة من شعره مع ما يتعلق بذكره » ، قال : « قال أبو الحسن : وكان أبو بكر فى ذلك العصر [الدولة العمارية والمجودية] شيخ الصناعة وإمام الجماعة ، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا ، فقالت له غرائب : مرحباً وأهلاً . . وكانت صنعة النوشيع التى نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة هذا مغلها ومرساها ومغادها ، [وقوم ميلها وسنادها] ، فكانت لما تُسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه ، واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسنه . وهى أوزان كثير استعمال أهل الأندلس لما فى النزل والنسب ، تُشق على سمائها مصنوعات الجيوب ، بل القلوب . . وأول من صنع أوزان هذه اللوشحات بأقننا واخترع طريقتها — فبا بلغنى — مقدم بن معافى القبرى الضرير ، وكان يصنعها على أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأعاريض المملة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامى أو العجى فيسميه المركز ، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن ابن عبد ربه صاحب « كتاب العقد » كان أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادى ، فكان أول من أكثر فيها من التضمين فى المراكز .

بصن كل مركز: وقف عليه في المركز خاصة ، فاستمر [على] ذلك شعراء عصره كككرم بن سعيد وابنى ابن الحسن . ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضييق ، وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها ، كما اعتمد الرمادى مواضع الوقف في المركز . وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض كتابنا هذا ، إذا أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب » (٣٦١) .

ويؤيد ابن خلدون كلام ابن بسام بقوله : « وأما أهل الأندلس ، فلما كثر الشعر في قعرهم وتهذبت مناحيه وفنونه ، وراح التثنيق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنًا منه سموه بالموشح ، ينظمونه أسماطًا وأسماطًا وأغصانًا وأغصانًا ، يكثرُونَ منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتًا واحدًا ، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليًا فيما بعد إلى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهى عندهم إلى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب ، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد . وتجاروا في ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس جملة : الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقه . وكان المتهرع لما يجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبرى من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد . ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان أول من برع في هذا الشأن ابن عبادة القرزاز ، شاعر المتصم بن صمداح صاحب المرية » (٣٦٢) .

ولم يبق لنا من نظم مقدم القبرى شيء ، ولكن يغلب على الظن أن موشحاته وأزجاله كانت من أبسط طراز ، أى على ذلك الترار الذى سبق بيانه . ولم نوفق — إلى الآن — إلى تعرف المصدر الذى استوحاه مقدم عندما ابتكر فن التوشيح ، فيذهب البعض إلى أن أصل الموشح أندلسى محلى ، ويذهب البعض الآخر إلى أنه جليقي ، ويذهب نفر ثالث إلى أن أصله البعيد رومانى románica : بل قال

بعضهم إن الموشحات أتت الأندلس من بغداد وأن أصلها يلتبس في الرباعيات العربية الفارسية . وأخيراً حاول ميلياس فيليكروسا Millas Villicrosa أن يجد علاقة ما بين الموشحة والزجل من ناحية والقن الشعرى العبرى المعروف بالزيمون Pizmon والتسيبحات اللاتينية التي يرددوها جمهور المصلين عقب كل قرة من فقرات الترتيل الدينى *responsorio latino* ، وهى فى الغالب آيات من الكتاب المقدس ^(١٦٦) .

وقد حلت الموشحات محل القصائد الفصيحة فى كثير ، وقد ذكرنا قول ابن خلدون أنهم كانوا « ينسبون فيها ويمدحون كما يفعل فى القصائد » ، وأنهم « تجاروا فى ذلك إلى النفاية ، واستظرفه الناس جلة : الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقه » .

وقد أشار منذذ بيسدال إلى أن الطابع العربى الرومانسى للزجل دليل على امتزاج الثقافتين ، وقال : « . . . والزجل عربى بلفته ، وإن كانت هذه اللغة سوقية حوشية كثيرة الأخطاء ، عربى بالتزامه قافية واحدة تراعى فى أبيات الزجل الواحد كلها ، وعربى كذلك بهذين للوضوعين الذين يدور حولهما الكلام فى كل مقطوعة : وما الحب أو وصف مفارقة عشقية وقت للشاعر ، والتمدح فى شخصية يرحى نداها . ولكنه — على رغم ذلك — لا يبدو عربياً فى نظمه على طريقة الفقرات (= الأبيات ، والبيت قفل وأغصان) ، وهى طريقة غربية تنافى ما جرت عليه القصيدة العربية من الأبيات ذات البحر الواحد والقافية الواحدة ؛ وكذلك لا يبدو عربياً فى استعماله « الخرجة » فى نهاية كل قرة ، وفى بعض الموضوعات التى يعطرها مثل الألبادا *la albada* — أى المَجَرَّيات وهى مقطعات شعرية عرفها اللاتين باسم ألباتا *albata* يقال فى افتراق الأحبة عند طلوع الفجر ، وهو موضوع سيقفل بعد ذلك إلى الشعر الأوربى — وفى خلوّه من الموضوعات التى تميز الشعر العربى من غيره ، كوصف الرحلات فى القفار المهجورة ،

وصفة حياة البداوة والتنقل والتحدث عن المواقع التي غادرتها القبيلة إلى غيرها ، والكلام عن الجبال وما إلى ذلك . ومن المحقق — أخيراً — أن الزجل إسباني ، لأنه يتحدث عن أعياد ومواسم لا توجد إلا في التقويم اللاتيني ، ولاستعماله ألفاظاً وعبارات من عجمة الأندلس مختلطة بلغته العربية الدارجة . هذا والأزجال — إلى جانب إعمالها للموضوعات الأدبية العربية — تبدو لنا حافلة بصور الحياة اليومية لمسلمي الأندلس ، وفيها ذكر كثير من عادات المستعربين وتقاليدهم^(٢٦٧).

ف ٥٠ — أوائل الزجاليين :

إذا ذكرنا الطابع الشعبي الدارج لهذا الفن الشعري ، لم نستغرب من أصحاب مجموعات النظم والفن — وهم متصربون للفصحى وآدابها — أن يأنفوا من أن يوردوا في كتبهم نماذج منه . ولكن خُليان ريبيرا تمكن بفضل أبحاثه من العثور على ثروة حافلة من الأزجال وأصحابها .

فن أوائل الذين نظموا الأزجال سعيد بن هذريه (توفي سنة ٨٣٤١/ ٩٥٣ م) ابن عم صاحب « القمد »^(٢٦٨) ، وكان معنياً بكتابات الإغريق وعلوم الأوائل والفلسفة ، وكان صعب المشرة يتكلم لهجة دارجة خشنة ؛ واجتهد في تجويد الأزجال أبو يوسف هارون الرمادي شاعر المنصور ، وكان يسمى أبا جنيس (= El Ceniciento) وهي الأصل الدارج الإسباني الذي أخذ عنه لفظ الرمادي^(٢٦٩) ، وكان يرمي بالزندقة لكثرة اتصاله بالنصارى (توفي سنة ٨٤١٢ / ١٠٢٢ م) ، (ف ١٥) ، وكان « أول من أكثر من التضمين في المراكز ، يضن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة ، فاستمر على ذلك شعراء عصره » كما يقول ابن بسام ؛ وعيادة بن ماء السماء (توفي سنة ٨٤١٥ / ١٠٢٥ م أو ٨٤١٨ / ١٠٢٨ م) . الذي يقول ابن بسام إنه أحدث التضفير ، وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضنها ، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز^(٢٧٠).

وكان أبو عثمان بن سعيد المعروف بالبلينة (أي الخوت = ballena) يمنع

أزجالاً يقلد بها « المواليا » ، وهو طراز من الشعر الشعبي عند المشاركة . ونظم ابن هاني* (انظر ف ١٢) قصائد ذات قوافٍ مضفرة من طراز يختلف عن طراز الزجل والموشحة .

وأقبل على الموشحة شعراء كثيرون ممن أجادوا نظم الشعر الفصيح على طريقة القدماء ، منهم أبو بكر بن اللبابة الثاني الذي رثى الرشيد بن المعتمد بموشحة ، وأبو بكر محمد بن أرفع رأسه شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة إذ كانت له موشحات ذاعت على ألسن أهل الأندلس ، وأبو عبد الله محمد بن عبادة القزاز* (٢) الذي تفتى بمحامد بنى صمادح أصحاب المرية في موشحات كثيرة (٢٧١) .

ومنهم كذلك الأعمى التطيلي — أبو جعفر بن هريرة المتوفى سنة ٥٣٤ هـ ١١٤٠ م — وكان أديباً فذاً غلب أبا بكر بن بقي وأبا بكر الأيبس (٢٧٢) ونفراً آخر من الوشاحين في مساجلة في التوشيح ، وذلك عندما قال موشحته :

ضاحكٌ عن جنانٍ سافرٌ عن بلد

ضاقَ عنه الزمانُ وحواه صدى

فخرق كل منهم موشحته (٢٧٣) . وأبو القاسم الحضرمي الذي كان يأخذ بيد التطيلي حتى لقب « بصحا الأعمى » ، وكان شاعراً وأديباً بارعاً ؛ وابن بقي ، وكان ماجناً مستهتراً وشاعراً من طبقة عالية ، وكانت في شعره عنوبة أذاعت ذكره ، وقد رمى المرابطين بالجهالة لأنه عاش في عصرهم قديراً (٢٧٤) .

وقد نظم أبو بكر بن زهر الطيب أزجالاً وموشحات بلغت من الكمال مبلغاً جعل الناس يروونها كنماذج لمذيق الفنين (٢٧٥) .

بيد أننا لا نجد بين أيدينا من هذه الأزجال والموشحات إلا أطرافاً قليلة وردت متناثرة في الكتب ، فيما خلا « ديوان ابن قزمان » الذي وصلنا كاملاً على وجه التقريب ، وهو لهذا يعطينا أكل فكرة عما كان عليه فن الزجل .

(٢) مكثنا ورد الاسم في « أزهار الرياض » للقرني (طبعة القاهرة، ج ٢ ، ص ٢٥٧) .

ف ٥١ — ابن قزمان وديوانه (٢٧٦) :

ينسب أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان الأصغر إلى بيت بني قزمان ، وكان من بيوت قرطبة العريقة . ولد في قرطبة بعد سنة ٤٦٠/١٠٦٨ وتوفي سنة ٥٥٤/١١٦٠ ، وينبئ الأغلط بينه وبين عمه وشيبه في الاسم وزبر المتوكل صاحب بطليوس ، وكان شاعراً أيضاً ، وقد توفي سنة ٥٠٧/١١١٤ كما بين الأندلسي بروفسال ، وقد مدح ابن رشد الحفيد في آخر حياته .

وقد قال ابن قزمان في مقدمة ديوانه إنه وُجد في الأندلس ضربان من الزجل جنباً إلى جنب : أولهما شعبي خالص جاف غليظ يستعمل الزجالون فيه اللغة الدارجة ومحبة أهل الأندلس el romance ، وكان يوافق أذواق العوام ؛ وثانيهما مصقول مهذب erudita مصطنع متكلف يستعمل الناس فيه حركات الإعراب التي لا تجري بها ألسنتهم في دارج الحديث . ولم يبق من النوع الأول شيء (٢٧٧) ، لأن مصنفى كتب الأدب ازدروه وضربوا عنه صفحاً ؛ وأما الثاني فلدينا منه أطراف ، ولكنها تخلص من الجاذبية وسهولة الطبع التي يمتاز بها النوع الأول .

ويقول ريبيرا — ونحن نتابعه هنا فيما نقول عن الزجل — إن ابن قزمان درس أزجال جميع من تقدموه ، ثم شق لنفسه طريقاً جمع بين الفريقين الذين ذكرناهما ، وعرف كيف يحتفظ بأحسن خصائصهما ، فرأى أنه من فساد الذوق والتكلف أن نستعمل حركات الإعراب في شعر يراد أن يُتغنى به جماعة في جمهور من الناس ، ومن ثم فلا مفر من استعمال لغة الكلام الدارجة حتى يقرب من أفهام الناس كافة . وهو يريد « بلغة الكلام » اللهجة العامية الدارجة التي تشوبها كلمات وعبارات من محبة أهل الأندلس ، على أن يكون ذلك في أسلوب متخير رشيق . وهو يرى أن الزجال ينبئ عليه أن يختار من الموضوعات أحفلها بالمشاهدة

وأخفها ، وينبني أن يكون ما يختاره جذاباً رقيقاً فياضاً بالحوية بما يشير اهتمام الجمهور ، وينبني ألا تكون الموضوعات معقدة أو بلاغية مكلفة ، وإنما سهلة مما تجرى به السنة عابري السيل وما يستعمله الناس في حلقات الموسيقى الشعبية الصاخبة ومجالات اللهو والتسلية ، بل ينبني أن تكون الموضوعات « حارة محرقة ، حادة منضجة ، من ألفاظ العامة ولغات الدأاسة » كما يقول ابن صفاء الملك^(٢٧٨) .
أما قالب الأغاني وتركيبها فتستعمل له كل محور الشعر القصيح القائم على أسس العروض ، ولا بد أن تصاغ القطعة على نحو سلس غير متكلف حتى تفيء سهلة طبيعية صادرة دون عمل ولا جهد^(٢٧٩) .

سار ابن قزمان في هذا الاتجاه الوسط الذي اتجهه قبله أستاذه أخطل ابن نمارة ، « ولكن أزجال ابن قزمان حفلت بذكر الرذائل الملازمة لروح العوام ، وملت من أي تحفظ أو احتشام ، ومن ثم فإننا نجد فيها غشاً غجبلاً وألفاظاً مبتذلة مما كانت تجرى به السنة أهل الأحياء للتطرفة من قرطبة »^(٢٨٠) .

يضم ديوان ابن قزمان تسعة وأربعين ومائة زجل ، كل زجل منها يتكون — عدا الخرجة — من أبيات متساوية في عدد الأغصان ، وهو يلتزم هذا النظام في كل زجل . « وكل من الأغصان يتكون من أربعة أشطار إلى اثني عشر شطراً ، ففيها رباعيات وخماسيات وستاسيات وسباعيات وثمانيات وتساعيات وعشریات وآحاد عشریات » . وأبسط أزجاله — وهي الرباعية — تبدأ بالقفل أو الخرجة ، وهي شطر من بيت ذي قافية تلتزم في كل خرجات الزجل بعد ذلك ، ونحن نرمز إليها هكذا : ١١ ، ثم يلي ذلك ثلاثة أغصان على قافية واحدة نرمز لها بالحروف : ب ب ب ، ثم تحتم بيت على قافية الخرجة الأولى « ١ »^(٢٨١) ، (انظر ص ١٤٤) .

وعلى رغم هذا القالب القنى المبكر ، القنى يبدو من الأزجال بوضوح أنه قائم على أسس مقرر موضوع أو مصقول *cortésano* ، إلا أن الطابع الشعبي لها يدل على أنها إنما نظمت ليتغنى بها للنشيدون في الأسواق ، أو للتسولون الجائلون في الطرقات ، أو أصحاب المجون أو « النسوان والسكرى والسكران » ، كما يقول ابن سناء الملك . ولا تصاغ الأزجال ليتغنى بها الإنسان مفرداً ، وإنما ينشدها الناس جماعة في الطرقات بصوت جهور وسط جمهور يتجمع أفرادهم حول المنشد ، ثم ينشدون « الخرجة » جماعة عتب كل فقرة يلقيها للنشد وحده ، تصاحب ذلك كله آلات الموسيقى كالعود والناي والطنبور والدف والصاجات ، وربما تخللها الرقص . ولم يكن من الممكن والحالة هذه أن تصاغ هذه الأغاني في قوالب الشعر الفصيح فحسب ، « والواقع أن لغتها ليست لغة الشعر المروقة التي كان المؤدِّبون يلقنونها للدارسين ، بل الدارجة التي كانت جارية على الألسن في قرطبة ، بما فيها من دعابات سوقية وعبارات مبتذلة وألفاظ مواخير وعبارات الطلاب التي يستعملونها في مباحلهم وألفاظ الصبيان إذ يلعبون في الطريق ، وفيها الكثير من العبارات الاصطلاحية التي يتعارف عليها أهل كل حرفة ، ولا تخلو كذلك من ذلك القفو الفارغ القنى تحفل به أحاديث البيوت »^(٢٨٢) . ومن هنا كثر استعمال المجمية الأندلسية في الأزجال ، فنجد فيها ألفاظاً مثل : يناير ، مايو ، بريته *verbena* (نبات تُنقى أوراقه وأزهاره وتشرب) ؛ بل نجد عبارات مجمية كاملة مثل : *toto ben* توتوبن ، و *creo* (= أعتمد) ، وغشل دشول *mejilla de sol* (= خد كأنه الشمس) ؛ بل هناك أشطار نصفها عربي ونصفها عجمي ، مثل الفقرة الثانية من الزجل رقم ١٠ من الديوان :

يَا مُطَرَّ بْنَ شَلْبَاطُ تَنْ حَزِينُ تَنْ يَبَاطُ تَرَا الْيَوْمَ وَشَطَاطُ
لَمْ تَنْقُ فِيهِ غَيْرَ لَقَيْتَهُ (*)

أما أوزان هذه الأغاني ، فعلى الرغم من أنها مشتقة من تقاعيل العروض الشعرى التقليدية ، إلا أنها لا تتلزم قواعد النحر ، إذ أن ألقاظها من الخارج الذى لا يعرف حركات الإعراب . بل إن اللفظ بقوافى الأجزاء لا يخضع لأشراط التقية المروفة فى الشعر القصيح ، هذا على الرغم من أن ابن قزمان كان يستعمل الحروف الجامدة consonants دائماً بطريقة أكمل مما نجده فى الأشعار الأوروبية القديمة .

ويتعزى ابن قزمان أن تكون الطرحة مما استلقت انتباه السامعين ويجذب أسماع الجمهور حتى يصنفوا إلى الزجل ، ومن أمثلة ذلك :
أَيَّامَا مَلَّاحُ ، شَرْطُهُ الْخِلَاحُ حَرَامُ الَّذِى يَعْمَلُ صِنَاعَةً (*)

(*) مطر : madre : أم . بن : vami : مالى . شلباط : salvado : أحمدي (؟) .
تَنْ : tu'n : حيناً ، ومعنى تَنْ .. تَنْ على هذا يكون : حيناً .. وحيناً آخر . يباط :
قرأها ريبيرا بِشَاطُو penato أى متألم ، ويقترح الدكتور الإيموان أن تقرأ : بِشَاطُ ، ومعنى
لفظة مغربية معناها البقي غير معروف ، ولكن يفهم من مثل مغربي أوردته الأستاذ محمد بن
شبيب أن معناها القدة ، والتل هو : بيت بن شعللى وشعللى ، وترجه ابن شبيب هكذا :
Je suis tombé entre chenaty et yanty : coupant l'entement mal.
Cf : Mohammed Ben Cheneb : Proverbes arabes de l'Algérie et de
Maghreb (Paris, 1907), no. 2841 Sp. 123.

اللى :

يَا أُمَامَا تَمَالَى أَمَدِي

أَنَا حِينَا حَزِينُ وَحِينَا مَتَّالِمُ

تَرَى الْيَوْمَ وَطُولَهُ

لَمْ تَنْقُ فِيهِ غَيْرَ لَقَيْتَهُ .

وهذه من قراصة كولان وبروفتسال ، ومعنى أسح من قراصة ريبيرا التى تأبه فيها نيكول
وأثبتها للؤلؤ مع الترجمة الشعرية الإسبانية المختلة التى قام بها ريبيرا .

Cf : Ribera, Dis. y. Op. I, p. 35.

(*) خربة الزجل رقم ٢٢ فى الديوان ، وقد نقله فى مديح وجل يسمى أبا جعفر ويحبه
بالوزير ويحكى إليه من مجزء من دفع كراء داره .

أَيَّامَا : أَيْلَمُ ، وإيراد الكلمات فى حالة النصب على هذه الصورة كان أمراً عادياً فى لهجة =

وقوله في خرجة زجل آخر :

نطلى ثيابي وننطق مالى قالشراب البالى (*)

ومن الأزجال ما يقصد منه إلى طلب اللال أو الطعام أو الإحسان ، ومنها السياسي ، وأزجال للديح ؛ بل منها ما يدور حول موضوعات حزينة .

ويسمى ابن قزمان الجزء الأول من كل زجل : « التزل » ، وهو مطلع الزجل الذى يحوى أول موضوعاته ، « ولا بد أن يكون فى أمر عام أو تقليدى ، وينبئ أن يصاغ فى قالب سهل خفيف فكاهي ، ويفلب أن يكون موضوعا جنسيا أو غمريا أو سخريا من المجتمع ، لا هو بجراح ولا مشير ، وإنما متبذل لا تحفظ فيه » . ثم إننا نجد ابن قزمان يعالج الموضوعات الغرامية بطريقة لا نكاد نجد فيها أى طابع عربي صرف : فلا ذكر للجمل ولا للتجوال فى القفار ، ولا أثر للحياة البدوية الطائفة ، ولا نجد يذكر الديار التى هجرها أهلها^(٧٨٣) ، أو يشير إلى موضوع من موضوعات تاريخ العرب . بل إننا لا نجد يذكر الإسلام إلا فى مواضع قليلة ، ويكون ذلك عادة عند ذكره للفقهاء والأتقياء ، وهو يقال منهم فى غير حياء ويركبهم بألوان السخرية ؛ فإذا ذكر شهر رمضان والصيام سخر من الصائمين وأطرى القطارين والقبليين على الحر والواط . وهو لا يذكر الدين إلا فى ثلاثة مواضع أو أربعة فى بعض أزجال للديح من ديوانه ، ويلاحظ القارئ

= سلى الأندلس . الملامة : الله والسرور . مناعة : عمل .

ومنى الخرجة :

ما أطلع منه الأيام . . إن شرط اكتتال الله والسرور هو التطل ، وحرام منها أن يسئل الإنسان عملا ما .

Cf : A. R. Nykl : El Cancionero de Aben Cuzman. pp. 58 - 60, 378 - 379.

(*) خرجة الزجل رقم ٧٧ فى الديوان ، وهو مرقوم خطأ تحت رقم ٧٠ . وقد قاله

فى مديح وزير لم يذكر اسمه ، ينسب على الظن أنه ابن حمدان .

Cf : A. R. Nykl, op. cit. pp. 372 - 378.

قالشراب : فى الشراب . البالى : الحق .

بوضوح أن ذلك التوقيع للدين صدر عن ابن قزمان وهو في معرض السخط على نصارى الشمال .

أما القسم الثاني من الزجل وهو المسمى « بالمديح » فيتغنى فيه ابن قزمان بفضائل من يهدى إليه الزجل ، ثم يحتم بطلب معروف أو رقد . وفي ديوان ابن قزمان زجل نقله الأستاذ ريبيرا إلى الإسبانية كاملا ، نجد فيه موضوع الشعر المسمى في الشعر الأوروبي بالأليادا أو المقطعات الفجرية ، وقد سبق به ابن قزمان أقدم ما في أيدينا من الشعر البروفنسى من هذا النوع بخمسين سنة ، ونحن نجد فيه ذكر الرقيب ولقاء الحبيبين في ظلام الليل وخوفهما من طلوع الفجر وصراع الموى في قلبيهما قبل التراق ؛ ولا بد أن هذا الموضوع كان قد قدم به المهد واضمحل في الأندلس ، لأن ابن قزمان يسخر منه (٢٨١) .

[ولم يورد المؤلف نص هذا الزجل الذي يشير إليه ، وهو الزجل رقم ١٤١ من الديوان ، وقد رأيت أن آتي بيئتين منه هنا ؛ قال ابن قزمان :

تَشْرَبُ المَلِيحَ وتَسْقِي لَا رَقِيبَ عَلَيْنَا وَلَا حَاكِمَ
بِقِنَا فِي رَضَى ، كُبُلٌ وَعَنْقُ
أَي تَمُورَ ، أَوْشٌ تَرِيدُ تَقْلُقُ
وَقَرَّ النَرَامَةَ لِمَنْ يَشُقُّ .

من صبر لشدتي واليني

قل ما عليه أنا عازم

فلا يفلح (*) .

(*) المليح : الملية . وهذه الأشطار الثلاثة هي خرجة ذلك الزجل ، وقد جعلتها في سطر واحد كما وردت في الديوان ؛ أما بقية الزجل فقد جعلت كل سطر في سطر .

(*) عَنْقُ : عنق . أَي تَمُورَ : أين تمر : أين تلعب . أَوْشٌ : أو لماذا . تَرِيدُ تَقْلُقُ : تعلق . وَقَرَّ النَرَامَةَ : دع فرصة النرام ، وبتحج الأموات قرامتها : وقَرَّ النَرَامَةَ ، أَي تعلق المبه على الماشق . وَالْيَنَى : رأى ليلى ورقتي . قُلْ مَا عَلَيَّ أَمَا عَازِمٌ : ما أقل ما أستطيع =

الصَّبَا يُشَاكِلُ مَا يَشْمَلُ
دَاعُ دَاعٍ يَحْيَى وَيَدَّلُ
قَدْ تَرَأَيْتَ وَلَمْ تَرَ أَقْطَ أَجَلُ

مَنْ صَدْرُ لِفَظٍ يَشْتَبِي
يَنْبَهَرُ عَلَيْهِ نَهْدًا قَائِمٌ
وَيَتَوَقَّعُ (٢٨٥) (٢٨٥)

ف ٥٢ — صدر من ابن قزمان :

إن مجرد ذكر معاصريه ومن أتوا بعده ممن انصرف إلى نظم الأزجال أسر

حزم رأي عليه . فلا يخلع : ولا يخلع مع ذلك .
المعنى :

لقد بقنا في رضى ، ما بين اعتناق وتقبل
أين تريد أن تذهب ؟ . أو ماذا يخلقك . . ؟
دع تكاليف الترام لساخنةك .
إن من يصبر لذي يقين بعد ذلك كم أنا رفيق
وما أقل ما أستطيع أن أحزم أمرى على شيء . .
ولهذا لا يخلع لي شيء . .

(*) الصبا يشاكل ما يشمل : ما يملكه يخلق مع صباه . داع داع : دعه دعه . يدلل :
يدلل . قد تراءيت : قد ظهرت . مَنْ صَدْرُ : تكة للعطرة السابغة : لم ترقط أجل من صدر
يعمى نفسه . ويتوقع : يجرأ ، ينظر إلى الجراءة .
المعنى :

إن ما يملكه [مجزى] يخلق مع صباه . .
فدعه دعه يمشى ويدلل . .
ما أنت قد ظهرت ، ولم ترقط أجل منك . .
لقدما أختفى خمة لصدور . .
إن عليه نهذا قائما ينبهر منه الإنسان . .
ويتوقع . .

يطول ، ونكتفى هنا بذكر أبي عبد الله بن الحاج المعروف بمَدَقْلَيْس ^(٢٨٦) ، الذي كان يعنى بالأسلوب أكثر مما كان يعنى به ابن قزمان ، وأبى للموكل ، والميثم ابن أحمد بن أبى غالب الإشبيلي الذي كان « يملئ على أحد الطلبة شعراً وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلاً ، كل ذلك ارتجالاً » ^(٢٨٧) ، وأم الكرام بنت المعتصم ابن حماد صاحب للرية ، وكانت تبعث إلى محبوبها الأعمى ببطائق منظومة أزجالاً ^(٢٨٨) ، وإبراهيم بن سهل اليهودي ، وابن للرغزي النصراني ، والزاهد المتصوف أحمد بن وكيل ، وأبى الحسن الششتري الوادي آشي ، وعبي الدين بن عربي الرسي ، والفيلسوف الشاعر للموسيقى أبي الصلت بن أمية الداني ، وابن زُهر الطيب ، وابن هاجة ، ونزهون بنت القلاعي الترناطية ، قال صاحب « المغرب » في حقها : « من أهل المائة الخامسة ، ذكرها الجعاري في السهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة ، وحفظ الشعر والعرفة بضرب الأمثال ، مع جمال فائق وحسن رائق ، وكان الزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ورسالتها » ، وكانت تلميذة لأبى بكر الخزوعي الشاعر الضريع ، وكان صاحب سفر لاذع وصديقاً لابن قزمان .

وقد انصرف الناس إلى صناعة الزجل في كافة نواحي الأندلس ، ففي أرجون (سرقسطة) ظهر أبو بكر أحمد بن مالك بن سيد اللغني الشابي ^(٢٨٩) ، وفي بلنسية ابن حريق ^(٢٩٠) وابن محمد الشاطبي ^(٢٩١) تابع ابن مردائش ، وفي صرسية أبو عبد الله محمد بن ناجية اللورقي ^(٢٩٢) ، وفي قرطبة محمد بن خيرة ^(٢٩٣) كاتب للرابطين . وكثر الزجالون في إشبيلية خاصة ، حيث ظهر شعراء برعوا في نظم الزجل البديع للبشكر ، من أمثال أبى الحسن علي بن جُحْدَر ^(٢٩٤) ، وأبى بكر الصابوني ^(٢٩٥) ، وأحمد بن جَنُون ^(٢٩٦) ، وابن أبى حبيب الجزري ^(٢٩٧) الذي صلبه الموحدون لزندقته ، وأبى بكر بن صادم ^(٢٩٨) الذي رمى بالزندقة هو أيضاً وأودى ثم مات محترقاً في حريق شب في بيته ، وأحمد القريني المعروف

بالسكساد^(٣٩٩) ، وعبد التفار بن دशलون^(٣٠٠) ، وغيرهم كثيرون يصدق فيهم قول الشقندي : « وأما ما فيها (أى فى الأندلس) من الشعراء والوشاحين والزجالين فما لو قسموا على بر المدوة ضاق بهم ، والكل يغالون من خير رؤسائهم ورفدهم »^(٣٠١) .

وحق فى مملكة غرناطة أغرم الناس بهذا الفن الشعرى ، وأقبل عليه من أهل العلم والمعرفة نفر مثل النحوى أبى حيان بن حيان ، وابن عبد العظيم الوادى آشى ، وابن زمرك الذى اشتهر « بصبحياته » albaradas^(٣٠٢) ، وذى الوزارتين ابن الخطيب الشاعر النائر للمروف ؛ بل إن ابن خلدون يذكر أنه عندما زار غرناطة وجد « الزجل » الفن الشعرى السائد هناك^(٣٠٣) . وكان الموريسكيون ينظمونه أيضاً .

وفى خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين توجه من أهل الأندلس نفر من الفقهاء والمتصوفين والأطباء وأهل الأدب إلى المشرق ، وكان لهم أثر عظيم هناك . وعن طريق بعض هؤلاء انتقل الزجل إلى المشرق ، وكان أول من علم أهله صناعته أبو مروان بن زهر ، الذى مارس الطب فى بغداد ، وأبو على الشلوينى النحوى ، وابن وكيل الزاهد الذى عرف بابن الأفلحشى ، ومحمى الدين بن عربى ، وعبد المنعم بن عمر — وكان كحالا وفيلسوفاً وأصله من جيان ، وأصبح فيما بعد شاعر صلاح الدين الأيوبي — وابن سعيد الفرناطى ، الذى اجتمع فى المشرق بشعراء أندلسيين هاجروا من بلادهم وانصرفوا إلى صناعة الزجل فى مهاجرهم ، ومن أولئك أبو الحجاج يوسف بن عقبة^(٣٠٤) .

وسرى فيما بعد (ف ١٦٦) أثر الزجل فى الأشطر الأوروبية .

الفصل الثالث

الأدب

- ف ٥٣ : الأدب كفن من فنون الفكر البشري في الأندلس .
- ف ٥٤ : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، وكتابه « العقد الفريد » .
- ف ٥٥ : أبو علي الفأل — ابن الجسور .
- ف ٥٦ : أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي ، وكتابه « سراج الملوك » .
- ف ٥٧ : أبو عبد الله بن أبي الحवाल النافق — أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري — المنقري بن الأنطس — أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة بن اللوامي .
- ف ٥٨ : أبو الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي المالقي .
- ف ٥٩ : الملقبون لقامات الحريري والملقون عليها .

ف ٥٣ — « الأدب » كفن من فنون الفكر العربي في الأندلس :

يطلق لفظ « أدب » — عند العرب — على المعارف التي من شأنها أن ترفع من مستوى الثقافة الفحنية ، وتؤدي إلى تحسين سلوك الناس في اجتماعهم بعضهم إلى بعض . وهم يحملون للكان الأول بين هذه المعارف لفقه اللغة العربية والشعر وشروحه وتاريخ العرب وأيامهم ، ثم تلي ذلك العلوم الدينية ، وهي التي تقابل العلوم الدينية (القرآن والحديث والفقه) . ويدخلون في مفهوم الأدب — في بعض الأحيان — لطائف الفهن والألعاب وفنون التسلية ، وينظمون في سلوكه — في أحيان أخرى — المعارف التجريبية ، تنشياً مع ما ذهب إليه أرسططاليس في تصنيفه للعلوم .

ثم تطور مفهوم الأدب مع مضي الزمن ، فصار يطلق على الكتب التي تجمع المفردات والأشتات ، وتعرض من المعارف أطرافاً من كل فن ، وتكثر فيها الحكايات التاريخية والأحاديث والنوادر والبراعات الفحنية ، مما يشبه في أدبنا الإسباني كتاب « غابة المطالمة المتنوعة » *Silva de varia leccion* لبيرو ميشتا *Pero Mexia* ، أو يقرب من الكتب التي كانت توضع لتعليم الأمراء ، وما إلى ذلك .

ف ٥٤ — ابن عبد ربّه وكتاب « العقد الفريد » :

وأقدم مؤلف أندلسي يُذكر في هذا الباب هو شاعر البلاط أبو عمر أحمد ابن محمد بن عبد ربّه (٢٤٦ — ٥٣٢٨ هـ / ٨٦٠ — ١١٤٠ م) القدي الملبأ بذكره آتفاً (قرة ١١) ، وكان من موالى بنى أمية ومدح شراً من أمراء هذا البيت آخرهم عبد الرحمن الناصر . وكتابه الجامع في هذا الفن هو « العقد » الذي يعرف عادة باسم « العقد الفريد » ؛ وهو يضم خمسة وعشرين كتاباً ينقسم كل منها قسمين ، وقد جعل عنوان كل باب من أبواب كتابه اسم جوهرية مما تنظم منه المقود .

يبدأ ابن عبدربه بكتابه « التزوة » في السلطان — ويريد به السياسة — فيتحدث فيه عن السلطان وعلاقته برعيته ، وعن الحكومة وما إلى ذلك ؛ ثم يعقب ذلك الكتاب الثانى ويسميه كتاب « الفريضة » في الحرب ومدار أسرها ؛ ثم يلى ذلك كتاب « الزرجنة » عن الأجواد والأصفاد ، ويسهب في الحديث عن الكرم « والترغيب في حسن الثناء واصطناع المروف ، والعطية قبل السؤال واستنباز المواعيد » وما إلى ذلك ، ثم يفيض في الكلام عن أجواد العرب في الجاهلية والإسلام ؛ وينقل من ذلك إلى كتاب « الجانة » فيتكلم عن الوفود — ويريد بها السفارات — ويلم بذكر المشهور من سفارات العرب ؛ ويستدرج إلى كتاب « المرجانة » في مخاطبة الملوك ؛ ثم ينقل إلى كتاب « الياقوتة » في العلم والأدب ، لأنهما « القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا وفرق ما بين الإنسان والحيوان وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمة » ، وبعد أن يطالب في الكلام في فضائل العلم ينتقل إلى الحديث عن فنونه وشرائطه ، ويتخلل ذلك طائفة من أخبار العلماء وطبقاتهم وما يروى عنهم من حكايات تدل على ذكاء وبراعة ، ويتكلم عن طائفة من حديد الصفات كالحلم ودفع السيئة بالحسنة والسؤدد ، ويعقب ذلك بالكلام عن القال والطيرة وما ينبئ للصدقة والود من واجبات ؛ وفي كتاب « الجوهرة » يتحدث عن الأمثال والحكم ؛ ويختص المواعظ والزهد بكتاب « الزمردة » ؛ ويفرد جانباً كبيراً من كتاب « الينية » للكلام عن الشموية — وهم أهل التسوية ؛ ويتحدث في جزء كبير من كتاب « الياقوتة » الذى مر ذكره عن تأديب الصغير ، ويستطرد من ذلك إلى الكلام — في نفس الباب — عن طائفة من الخصال الحميدة ، وعن أساليب الكناية والتعريض والتلطف في قول ما لا يمكن المواجهة به ، ويمكس طائفة من النوادر ، ويتكلم عن اللغة وهيوبها وفضائلها وغرائب النحو ونوادر الكلام ، وعن فضائل المال وأوجه إنفاقه ، وعن الشيب والشيخوخة ؛ ويبدأ

كتاب «الجوهرة» بالحديث عن أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يسرد طائفة من أحاديثه والأثور من حكم بعض العلماء ، وعما يضرب به المثل من أحوال الرجال والنساء والحيوان مع مجموعة من الأمثال مرتبة حسب موضوعاتها ، ثم يتكلم عن القرآن والعبادات والصلوات ؛ ويفرد الخطب بابا خاصا يورد فيه طائفة كبيرة منها في شق المناسبات ؛ ويتحدث في كتاب «العدة» عن النوادر والقبور والخطب التي تلقى عليها ورسائل التهزية والرائي ؛ ويختص كتاب «البنية» بالكلام عن النسب وفضائل العرب ؛ وفي كتاب «المسجدة» يتحدث عن كلام الأعراب وعما قالوه من جيد الكلام ويروي بعض ملحمهم ونوادرهم في المناسبات المختلفة ؛ ويختص الأجوبة بكتاب «المنجبة» فيعرض منها فيه مختارات لطيفة ؛ وفي كتاب «الواسطة» يروي طائفة من الخطب ؛ أما كتاب «المنجبة الثانية» فيفرده لتوقيعات والنصول والصدور وأخبار الكتبة ، ويدور كله عن الكتاب وما ينبغي لم وما يجوز في الكتابة وما لا يجوز ، مع بعض ما قيل في القلم من الأمثال وأوصاف الخبرة والخبر والكتب والرسائل وما إلى ذلك ؛ ويختص كتاب «المسجدة الثانية» بالخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ، ويبرز أخبار الخلفاء الراشدين والأمويين في الشرق والأندلس إلى أيام عبد الرحمن الناصر ؛ وفي «البنية الثانية» يتحدث عن أخبار زياد والحجاج والطالبين والبرامكة ، ويورد في خلال ذلك أطرافا من تاريخ العرب وأيامهم في الجاهلية ؛ ويتحدث في كتاب «الجوهرة الثانية» عن الملقات و«فضائل الشمر ومقاطعه ونخارجه» وأعارضه وعمل القوافي وما يتصل بذلك ؛ ويعقد كتابا خاصا تحت عنوان «الياقوتة الثانية» لغناء واختلاف الناس فيه ويتحدث عن الأصوات والمنعني ؛ وفي ذلك كتاب «الرجانة الثانية» عن النساء وصفاتهن المختلفة والطلاق ومكر النساء وغدرهن وما إلى ذلك ؛ وفي ذلك كتاب «الجنة الثانية» في التنبئين والمرورين والبغلاء والظفيليين ؛ وفي كتاب «الزبرجدة الثانية» يتحدث عن طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان ، وفيه يتحدث عن

الدور والملابس ، وعن علاقة الإنسان بالحيوانات وعن الجغرافية والطب والتأتم ؛
ويعقد بعد ذلك كتابا خاصا تحت عنوان « القريدة الثانية » للكلام عن الطعام
والشراب ، وما ينفع الصحة مما يؤكل ، وعن النبيذ وما تخمر من الشراب ؛
ثم يحتم الكتاب بكتاب « الأولوة الثانية » عن الفكاهات واللح ، مع طائفة من
الحكايات والنوادر والأناز والأحاجي .

ذلك هو بعض ما يرضه هذا الكتاب من مقتوعات ومفردات ، وقيمه
وفائده في إطلاعا على أحوال الحضارة الإسلامية في عصره أعظم من أن تقدر ،
لأنه يعرض علينا ما كان ينبغي أن يحيط به للتخضر للعالم في ذلك العصر من
معارف . أما قيمته بالنسبة لتاريخ الأندلس فتتجلى في أنه أول كتاب من نوعه
كتب في الأندلس ووصل إلى أيدينا ، وفيه أقدم عرض لتاريخ بني أمية
الأندلسيين . ويعتبر هذا الكتاب — فيما يتصل بتاريخ الفكر الأندلسي —
« أكبر مظهر للبهمة الأندلس الفكرية للشرق ، وهو يعين لنا ذروة هذه
البهمة . ولا زال هذا الكتاب متداولاً بين أيدي للشارقة يستخدمونه ويفيدون
منه ، ولا يستغنى الإنسان في استخدامه عن الفهارس الأخيرة التي وضعها محمد
الشافعي على طبعته التي أصدرها في كلكتا بين سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٧ »^(١) .

ف ٥٥ — أبو علي القالي — ابن الجصور :

أبو علي القالي (٢٨٨ — ٩٠١/٣٥٦ — ٩٦٧) من وفدوا من أهل الأدب
للشارقة على الأندلس ونال فيها حظوة عظيمة في عصرى عبد الرحمن الناصر وابنه
الحكم المستنصر . ومولده أبي علي بمنّا زجرّد — على مقربة من بندا — من
ديار بكر ، وإنما قيل « القالي » لأنه سافر إلى بندا مع أهل قالي قلى ، وهي من
أعمال ديار بكر^(٢) .

وقد آقن علوم اللغة والشعر والنحو على طريقة البصريين ، ثم وفد على

الأندلس في سنة ٩٤١/٣٣٠ ، وهناك قعد لتدريس الحديث واللغة العربية وآدابها .
وقد عني باللغة عناية تفوق ما صرفه إلى غيرها ، ثم عهد إليه عبد الرحمن الناصر
في تأديب ولده وولي عهده الحكم ، ولدينا أسماء بعض ما ألف من الكتب في
النحو ، ولا شك أن تلميذه أبا بكر الزبيدي أفاد من هذه الكتب فائدة كبيرة
وتأثر بها .

وبين أيدينا الآن جزء من كتابه للسمى « كتاب العالم » وهو في الحديث ،
ثم « كتاب الأمالي » (وقد طبع في بولاق سنة ١٣٢٤ هـ) (*) التي أملاها على
تلاميذه من الأندلسيين ، وهو كتاب متفرقات يعرض طائفة من الأحاديث التي
نشير إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وفصولا متفرقة في العرب ولغتهم وشعرهم
وأمثالهم ، وأخباراً تاريخية تتصل ببعض شعرائهم في عصر الخلافة ، وقطعا من
النظم والنثر أخذها عن شيوخه .. الخ .

وقد أهدى الكتاب إلى عبد الرحمن الناصر وقال في إهدائه : « . . فإني
لما رأيت العلم أنفس بضاعة ، أيقنت أن طلبه أحسن تجارة ، فاغتربت للرواية ،
ولزمت العلماء للدراية ، ثم أعملت نفسي في جمعه ، وشملت نفسي بحفظه ، حتى
حويت خطيئته وأحرزت رفيقته ، ورويت جليله وعرفت دقيقه ، وعقلت شاردته
ورويت نادرته ، وعلمت غامضه ووعيت واضحته ، ثم صنته بالكتمان عن لا يعرف
مقداره ، ونزتهته عن الإذاعة عند من يجهل مكانه ، وجعلت غرضي أن أودعه
من يستحقه ، وأبديه لمن يعلم فضله ، وأجلبه إلى من يعرف محله ، وأنشره عند
من يشرفه ، وأقصد به من ينظله .. » (*) .

وقد أشرنا فيما سلف (قرة ١٤) إلى ما تصدى له صاعد البغدادي من
تأليف كتاب « أمالي » يضاهي به أمالي القالي .

أما ابن الجصور (أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب ٣١٨ أو ٣١٩

(*) وأحسن طبعاته وآخرها طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٦ .

(*) أبو علي القالي : الأمالي ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ ، ص ١ .

— ٤٠٠/٨ ٩٣١ أو ٩٣٢ — ١٠١٠ م) فكان أول أساتذة ابن حزم في الحديث والتاريخ، وكان ابن الجصور تلميذاً لقاسم بن أصبغ الذي برع في الوثائق والأحكام، كما كان «خيراً فاضلاً أديباً شاعراً»، وقد كتب كتاباً عنوانه «الدَّيْلُ الْمُدَيِّلُ» يغلب أن مادته كانت شعراً وأدباً، وقد ضاع.

ف ٥٦ — أبو بكر الطرطوشي وكتابه «سراج الملوک» :

هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي الملقب «بأبي أبي رندقة»؛ ولد سنة ١٠٥٩/٤٥١، وأصله من طرطوشة، وكان قد حسب القاضي أبا الوليد الهاجي بسر قسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه هذا الأخير، [وقرأ القرائض والحساب بوطنه] وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم في إشبيلية^(٣). وكان الطرطوشي زاهداً متورعاً يغلب عليه الخوف من الله، وكان يعيش هشة صلاح وتقوى متقللاً من الدنيا، قولاً لحق، وكان يقول: «إذا عرض لك أمران — أمر دنيا وآخرى — فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى»^(٤). وقد خرج من الأندلس سنة ١٠٨٣/٤٧٦ إلى الشرق، ودخل بغداد والبصرة ودمشق ثم استقر في مصر، وقضى بقية حياته فيها وتوفي في الإسكندرية^(٥) سنة ١١٢٦/٥٢٠، أو ١١٣٠/٥٢٥ على قول آخر. وقد ترجم له «شاك» إلى الألمانية شعراً، ونقل عنه قاليرا — شعراً أيضاً — هذا البيت :

أقلب طرفي في السماء تردداً لعل أرى النجم الذي أنت تنظر
[وبقية القطعة كما يلي :

وأستعرض الركبان من كل وجهة	لعل بمن قد شم عرقك أظنر
وأستقبل الأرياح عند هبوبها	لعل نسيم الريح عنك تحبّر
وأمشي ومالي في الطريق مأرب	عسى نعمة باسم الحبيب ستذكر
وألح من ألقاه من غير حاجة	عسى لحمة من حسن وجهك تسفر ^(٦)

وتحدثنا الكتب عن مؤلفات الطرطوشى ضاع معظمها ، بعضها فى علوم القرآن وبعضها فى الأخلاق أو فى مسائل الجدل^(٧) . ولكن شهرته فى العالم الإسلامى ترجع إلى كتاب «سراج الملوك» الذى ألقه للمأمون البطائنى الوزير الفاطمى (طبع فى بولاق ١٢٨٩ هـ)^(*) ، وموضوع الكتاب واجبات للملوك والفضائل والخلال التى ينبغى أن يتحلوا بها ، ويتحدث عن خصالم فى السلم والحرب فيقول :

« نجمت محاسن ما انطوى عليه سيرم — خاصة من ملوك الطوائف وحكام الدول — فوجدت ذلك فى ست من الأمم وهم : العرب والفرس والروم والمهند والسند هند . فأما ملوك الصين وحكامهم فلم يصل إلى أرض العرب من سياستهم شيء كثير لبعد الشقة وطول المسافة ؛ وأما من عدا هؤلاء من الأمم فلم يكونوا أهل حكمة بارعة ، وقرائع نافذة ، وأذهان ثاقبة ؛ وإنما صدر عنهم الشيء اليسير من الحكمة ، فنظمت ما أقيت فى كتبهم من الحكمة البالغة ، والسير المستحسنة ، والكلمة اللطيفة ، والفريفة للألفة ، والتوقيع الجميل ، والأثر النبيل ، إلى ما رويته وجمعت من سير الأنبياء عليهم السلام ، وآثار الأولياء ، وبراعة العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونواجر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن العزيز الذى هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات ، ومغاص الجواهر المكنونات : إن اختصر فطمعة دالة وإشارة خفية ، وإن أطل فالفاظ بارعة وآيات مسجزة . هو الهادى من الضلالة ، والهاوى لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة » .

وهو يقص فى ثنايا الباب الحادى والستين من كتابه — « فى ذكر الحروب وتديرها وحيلها وأحكامها »^(٨) — خبر وقعة وادى « لكه » ويذكر كيف

(*) طبع بعد ذلك مراراً ولكنه لم ينشر نقرة علمية إلى الآن . ونحن نرجع هنا إلى طبعة المكتبة العربية بالقاهرة (القاهرة ١٩٢٥) .
(*) ص ٣٢٦ وما يليها .

قُتل فيها قديق واحتُزَّ رأسه وُبِعث به إلى موسى ، وكيف أرسله هذا الأخير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك (*) . وفيه كذلك حكايات ذات أهمية عن نظام جيش المنصور وقيادته وعن القضاء في أيامه ، وفيه أخبار عن وقوف الفقهاء في وجه السلطان وحَدِّم من سلطانه ، وإشارات إلى رُذَير الأول ملك أرجون وموقعة «السكراز» (**) وأسباب انهزام السعديين بن هود فيها ، وغير ذلك .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإسبانية الأستاذ «الاركن» أستاذ العربية في برشلونة ؛ وإليك نموذجاً من كلامه عن أساليب الأندلسيين في الحرب (٨) :

صفة ترتيب الجيش عند اللقاء :

« فأما صفة اللقاء ، وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا ، وهو أرجى تدبير فعمله في لقاء عدونا ، أن تقدم الرجلة بالهرق الكاملة ، والرماح الطوال والزاريق للسفينة النافذة ، فيصنّوا صفوفهم ، ويركزوا مراكزم ، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض ، وصدورهم شارعة إلى عدوم ، وهم جاثمون في الأرض . وكل رجل منهم قد أتم الأرض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون الذين تمرق سهامهم من الدروع ، والخيول خلف الرماة . فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتزعزع الرجلة عن هياتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه ، فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجلة بالزاريق ، وصدور الرماح تلتصق ، فأنخذلوا يمينه ويسره ، فتخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجلة فينال منهم ما شاء الله . ولقد حدثني من حضر مثل هذه الوقعة في بلوى طرطوشة قال : صافقت الروم على هذا الترتيب فعملوا علينا ، فبينما رجل منا كان في آخر الصف قدام على قدميه فجعل عليه علاج من العدو فأصاب غرته فقتل . »

(*) س ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(**) تسمى في النص موقعة وشقة ، انظر السراج ، س ٣٣٠ - ٣٣١ .

ف ٥٧ — ابن أبي الخصال ، ابن عبد البر ، ابن الوائلي ، ابن الموازين :

يُمَيَّر أبو عبد الله بن أبي الخصال النافق (٤٦٥ — ١٠٧٢/٥٤٠ — ١١٤٥) مقلداً لأبي علي القتالي والحصري القيرواني صاحب « زهر الآداب ». وهو من قرغليط ، قرية على مقربة من شقورة في كورة جيتان . وكان يلقب برئيس كتاب الأندلس^(٩) ، واشتهر أمره لقضائه الكثيرة واشتغل كاتباً لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، وكان صديقاً لابن جلدون وابن بسام . وكانت له شهرة في النحو والبلاغة والتاريخ والشعر ، وكان كما يقول المرأشقي : « آخر الكتاب وأحد من اتقى إليه علم الآداب ، وله مع ذلك في علم القرآن والحديث والأثر وما يتعلق بهذه العلوم الباع الأرحب واليد الطولى »^(١٠) ، وقد ضاع كتابه للسي « بسراج الأدب » ولم يبق لنا من آثاره التي تعرفنا به إلا بعض ما ألف شعراً ونثراً في حياة الرسول والصحابة ، وخاصة قصيدة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن المؤلفات الجديرة بالذكر في موضوع الأدب كتاب « واجب الأدب »^(١١) لموسى بن محمد سعيد العنسي اليحصبي ، والد الأديب للزورخ الشاعر علي بن سعيد صاحب « المغرب » وغيره (ف ٧٨) ، وكتاب « اللآلئ » للبكري وقد ألفه في شرح « الأمالي » ، وكذلك ألف أبو محمد بن السيد البطليوسي كتاب « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب »^(١٢) .

وقد ألف الفقيه ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الرحمن النخعي) (ف ١٢٠) كتاباً لابن الأنطس صاحب بطليوس عنوانه « بهجة المجالس وأنس المجالس » مما يجري في اللذات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات ؛ وهو مجموع من الحكم والحكايات ، يتكلم فيه عن الحياء والتواضع والعادات الحسنة والسيئة ، وعن مكارم الأخلاق والسؤدد والإمارة ، وفي حد الحلم وذم السفه . وفيه حكايات عن الولد والوالد ، والأقارب واللوالى ، والصديق والعنود ، و « جامع متخير في الإخوان » وما ينبني عليهم بعضهم لبعض ، وعن الوعظ ، وعن الثقلاء والطغليين ، وعن

ثم الناس ومساوئه ، وآداب الصعبة ^(١٣) .

وكان المظفر بن الأفلح (٤٣٦—٤٥٣/١٠٤٥—١٠٦٢) صاحب بطليوس نفسه أديباً ذا شهرة طائفة ، وكان واسع المعارف في شتى العلوم ، وكان يتخذ من الكتاب أسدقاء له ، وكان جاعاً للكتب يقتنى في قصره خزانة عامرة . وقد صنف « الكتاب للفقرى » ، وفيه تاريخ على السنين وفنون وآداب كثيرة ، كما قال ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس ، وقال عنه المقرئ : « يشتمل على فنون وعلوم من منازير وسير ومثل وخبر ، وجميع ما يختص به علم الأدب » ^(١٤) .

وفي خلال القرن الثاني عشر لليلادي برع في هذا النوع من التأليف ابن اللوامع ، وهو أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة ، من أهل قرطبة (توفي سنة ٥٧٠/١١٦٨) ، وكان تلميذا لابن العربي وابن أبي انطصال ، ودخل في خدمة اللوحدين سنتين ، ووضع كتاباً من طراز الكتب التي نتحدث عنها في هذا الفصل هو « ربحان الألباب وريمان الشباب » ، لدينا منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجميع الملكي للتاريخ بمطريد ، جعله في سبع « مراتب » في أبواب متنوعة ؛ فالمرتبة الأولى مرتبة تدرج النمو والارتقاء إلى مراقي السمو والاعتلاء ؛ والثانية مرتبة لمع من قانون العريضة ونهذ من الألفاظ القوية ؛ والمرتبة الثالثة مرتبة الإيهام بالمعاريض والكلام المحتمل التعريض ؛ والرابعة مرتبة القصاحة في البلاغة ، وجامع في لوازم إنشاء الصناعة ؛ والخامسة مرتبة نظام القريض والتزام ميزان العروض ؛ والسادسة مرتبة انضاب شجرة النصب ومنتهاه من ولد آدم ونوح إلى جنم العرب ؛ والسابعة مرتبة اختيار الأشعار والأخبار وما يتعلق بها من مآثور الحديث والآثار .. الخ ^(١٥) . وأطول أقسام الكتاب آخرها ، ويروى للوامع في تاريخ بني أمية وبني العباس ، ويذكر أخبار فتح الأندلس ، ويلم بذكر من ولي الأندلس من المسلمين وأنسابهم إلى سنة ٥٥٩ / ١١٦١ ^(١٦) .

ونجد في « شرح قصيدة ابن عبدون » لأبي محمد عبد المجيد بن بدرون

(ف ٣٧) مواد كثيرة تدخل في باب هذا الضرب للموسوعى من التأليف (الأدب) ، وكذلك نجد في كتاب « ملك النحل » لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن يحيى الحكيم النخعى الفراءى ، وقد فرغ من تأليفه سنة ٧٩٢/١٣٩٠ ميلادية ، وهو يتناول الكلام في نشأة العلوم والفنون وتطورها ويتحدث عن الظاهرين في كل علم وفن ، وتتخلل الكتاب كله الحكم والأمثال .

ف ٥٨ - يوسف بن الشيخ البلى الثاني (٥٢٦-٦٠٣/١١٣٢-١٢٠٧) :

كان « موفور الحظ من علم اللغة والأدب ، متقدما فيهما مشاركا في الفقه والأصول ، من العلماء العاملين ، مؤيدا على الطاعات »^(*) . وله رحلات إلى المشرق جمع فيها ملاحظات طريفة كوصفه لمقبرة الإسكندرية ، وهو أكمل وأدق ما لدينا عن هذا الأثر الجليل^(١٧) . وقد وضع لابنه « كتاب ألف باء » ليطله ويؤدبه (طبع في القاهرة ١٢٨٧ هـ) ، وهو أشبه بموسوعة جامعة لفنون الثقافة العامة ، وقد كتبه في أسلوب بليغ والنظم فيه السجع بين الحين والحين ، ورتب مواده على حروف للحجم .

تناول ابن الشيخ في كتابه موضوعات في الحساب والطبيعة والنبات والحيوان ، وتكلم عن الإنسان (صفة أعضائه وملامح وجهه وفضائله ورذائله) ، وتحدث في علم الاجتماع والشريعة والأديان وللذاهب وقه اللغة ونحارج الحروف والنحو ومعاجم اللغة وعلم الصرف والشعر والحكايات والأساطير . والكتاب عبارة عن موسوعة مختصرة تجمع أطراف ثقافة أوساط الناس في عصره وتجعلها في متناول قارئه .

(*) ابن الأثير : تذكرة ، رقم ٢٠٨٩ .

ف ٥٩ — القانون للامات الحررى والقانون عليها :

تعتبر مقامات أبى على محمد قاسم بن الحررى (عاش من ١٠٥٤/٤٤٦
أو ١٠٥٥ إلى ١١٢٢/٥١٥) من أوسع كتب الأدب العربى ذيوها فى العالم
الإسلامى . وكان الحررى من أهل البصرة ، وهو من أسرة عربية ذات فضل
فى ناحية قريبة من قرية « مَشَّان البصرة » ، وقد درس فى البصرة ثم تولى البريد
فيها . وبدأ يكتب « مقاماته » سنة ١١٠٢/٤٩٥ على الأغلب ، وأرسلها على لسان
شخصية تخيلها لشيخ جليل ، وجعل الكتاب خمسين فصلاسمى كل واحد منها
« مقامة » ، إشارة إلى اجتماعات العلماء والأدباء فى قصور اللوك والحكام .
وكانت هذه المجالس تسمى للامات ، وكانت الأحاديث فيها تدور حول النحو
والأدب ، وكان المجتمعون فيها يتنافسون فى إظهار مآلبيهم من براعة وعلم .
وهذه الشخصية التى تجرى على لسانها « للامات » هى شخصية أبى زيد
السروجى ، يذهب السيوطى إلى أنه كان شيخا جليلا ، ويقدمه لنا الحررى مرة
شعاذا شريدا ، ومرة أخرى أديبا أو واعظا ، ومرة ثالثة صطوكا ذاهلة وبديهة
حاضرة ، وهو ينتقل من قوم لقوم ، ومن جماعة لجماعة ، ويلقى فى كل مكان يحل
به من الكلام ما يشهد بطله الواسع باللغة ويذكر على ظرفه وتوقد ذهنه ومجونه .
يبد أن « للامات » لا يجمع بينها إلا رابطة واحدة هى صدورها كلها عن
شخصية أبى زيد السروجى (٥) .

وإنه لما استلقت القلم ويدعو إلى النهضة ، ذلك الشبه العظيم بين هذا الآخر
الأدبى وذلك الطراز اللروف فى أدبنا الإسباني باسم « قصص المصاليك
la novela picaresca » ، وهو موضوع جدير بالدراسة . وقد ذاعت مقامات
الحررى ذيوها عظيما فى حياة مؤلفها ، حتى ليقال إنه راجع سبعمائة نسخة منها
وأجازها ، هذا على الرغم مما رماه به بعض خصومه من أن الكتاب ليس له

(٥) حاجى خليفة : كشف الظنون (استنبول ١٣١١) ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ .

وإنما لرجل مغربي وزعمه الحريري لنفسه . ولم يقتصر ذبوع المقامات على أوساط المسلمين ، بل أقبل عليها النصارى واليهود وترجمها نفر منهم إلى لغاتهم .

وقد وصلت مقامات الحريري إلى الأندلس ، وكان لها بين أديبائه سدى بعيد ، ومضى نفر من الأندلسيين ينسجون على منوالها ؛ فوجد الفقيه ابن القصير (أبا جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي المتوفى سنة ٥٧٥/١١٨٠) ينشئ « مقامات » بين ما كتب من رسائل أدبية وخطب مواعظ . وكذلك ألف أبو طاهر محمد بن يوسف السرقسطي الإشتروني (نسبة إلى إشترقونة Esterque) مجموعة « مقامات »^(١٨) لازالت مخطوطة في مكتبة برلين ، وكذلك وضع أبو طالب عقيل بن عطية القضاي للراشي^(١٩) شرحا على مقامات الحريري . وقد توفي عقيل سنة ٦٠٨/١٢١١ ، وهو صرا كشي المولد طرطوشي الفار ، وكان تلميذا لابن بشكوال وتولى قضاء غرناطة ، وكان شاعرا مجيدا احتفظ لسا ابن الخطيب في « الإحاطة » بأطراف من شعره ، وقد اشتهر بمعارضته لابن عبد البر . وكان أكبر شراح « مقامات » الحريري في العالم الإسلامي أنداسيا من شريش ، هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي (المتوفى سنة ٦١٨/١٢٢٢) ، وكان رجلا واسع العلم يمد من بين شيوخه الكثيرين أبا عبد الله محمد بن زرقون القاضي وأبا منصور بن جبير ، وكان بارعا في علوم اللغة والعروض ، وقد جمع كتاب « النوادر » لأبي علي التتالي (ف ٥٥) وشرح كتاب « الإيضاح » للفارسي وكتاب « الجمل » للزجاجي . وذكر ابن الأبار أنه لقي الشريشي في بلنسية ، وقرأ عليه جزءا من شرحه على المقامات وأجاز له للشريشي رواية بقيتها ؛ « وقد قيل إن له ثلاثة شروح [لمقامات الحريري] ، ولم يترك في كتاب من شروحه فائدة إلا استخرجها ولا خريطة إلا استدرجها ، فصار شرحا يقنى عن كل شرح تقدمه ولا يحتاج إلى سواء في لفظ من ألفاظها ، وقد أخذ من شرح القنجديه شيئا

كثيراً ، كما ذكره فيه (*) . وبما يدلنا على أهمية شرح الشريشي أن الناشرين المحدثين يجعلونه على هوامش طباعتهم للقامات . وقد ذكر سلفمتر دى ساسي أنه استعمل في شرحه لقامات الحريري كثيراً من الشعر الذي أورده الشريشي في شروحه ، وتأكد أن الشريشي كان حريصاً على الدقة فيما أورده من نصوص ، وأنه استعمل شروحا أخرى ضاعت اليوم . هذا والشريشي لا يكتفي بما يضع على اللقامات من الشروح الأدبية بل يضيف من علمه الواسع طائفة عظيمة من الموضوعات ذات الأهمية البالغة (٢٠) .

(*) حلي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ٤٩٧ — ٤٩٨ .

المفصل الرابع

النحو ومعاجم اللغة

- ٦٠ — زوائد التحوين الأندلسيين ، الزيدى ، أبو طى العلوين ، ابن مالك ،
أبو حيان .
٦١ — معاجم اللغة .

ف ٦٠ - أوائل النحويين المؤنر لسيبى ، الزبيرى ، أبو على الشافعى ،

ابن مالك ، أبو عباد :

كان الناس أول الأمر يدرسون اللغة فى الأندلس عن طريق قراءة النصوص الأدبية والكتب ، دون استعمال كتب خاصة فى النحو ؛ ثم عرفوا بعد ذلك كتبه . وأول ما ذاع بينهم منها كتب الكسائى (المتوفى سنة ١٨٨/٨٠٤) وسيبويه ، ثم ظهر من بينهم من ألف فى هذا الباب كتباً مثل جردى بن عثمان النحوى العيسى المورورى (المتوفى سنة ١٩٨/٨١٣) . وكان أول من أدخل الأندلس كتاب الكسائى ، ثم وضع بعد ذلك كتباً فى النحو مثل « منية المجترة »^(١) . ومن أوائل من ألف فى النحو فى الأندلس أبو على القالى (ف ٥٥) الذى ألف رسالة عن « المقصور والمبدود » ، ورسالة أخرى عن الأفعال عنوانها « فعلت وأفعلت » ، وكذلك كتاب « البارع فى اللغة » وقد سبقت الإشارة إليه ، وهو موسوعة لغوية رتب فصولها على أحرف المجاء وكان يقع فى خمسة آلاف ورقة^(٢) . وهناك أيضاً « كتاب الأفعال فى اللغة » لأبى بكر بن القوطية (نشره جردى سنة ١٨٩٤) ، وقد شرحه وعلق عليه ابن طريف مولى بنى عبيد المتوفى سنة ١٠٠٩/٣٩٩^(٣) .

وكانت أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم « تفسير الحوفى لكتاب الكسائى »^(٤) ، وكتابان لابن سيدة للرعى الضرير (أبى الحسن على بن إسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨/١٠٦٥) : أولهما « كتاب العالم والمعلم » ، والثانى « شرح » له لكتاب الأخفش^(٥) ؛ (ويطلب أن الأخفش هو على بن فضل الذى توفى فى بغداد حوالى سنة ٣١٤/٩٢٧) .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أهمية كتب النحو التى ألحقها أبو محمد بن الحسن الزبيدى الإشبلى (ف ١٢) مؤدب الخليفة هشام للزيد فى صباه ، ونضيف

الآن أن الزبيدي كان — كما يقول خليان ريبيرا — « يحاول بدراساته أن يفتي كتب الأدب مما يتطرق إليها من الألفاظ العامة ، ويرشد الأندلسيين إلى ما ينبغي من العربي الصحيح »^(٧) . وقد قام أبو الحجاج يوسف بن عيسى (توفي سنة ١٠٨٣/٤٧٥) بشرح ما في كتاب سيبويه من الشعر وقد نَحَوَهُ . وكان الأعلام البطليوسي يسي بالنحوى ، وقد وضع شرحا « لجل » الزجاجي وكتاب « الحماسة » ، وألف عدداً من الكتب الجيدة في النحو^(٨) .

ويطلب أصحاب كتب التراجم في الكلام عن غزارة علم أبي الوليد هشام بن أحمد الكفائي الوثقى الطليطلي (٤٠٧—٤٨٨/١٠١٧—١٠٩٥) في النحو وإطلاعه على المعاجم وتحقيقه بطائفة من العلوم الأخرى ، وأصله من وَثَقَ^(٩) . ويقولون إن أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري للعروف بابن الباذش النرناطلي (٤٩١—٥٤٠/١٠٩٧—١١٤٥) كان يمد نفسه واحداً من أعلام النحو الثلاثة في عصره^(١٠) . ويُعتبر أبو الحسن علي بن محمد الحضرمي للعروف بابن خروف الإشبيلي^(١١) لتوفي سنة ١٢١٢/٦٠٢ صاحب الشروح للعروفة على سيبويه . والزجاجي وعيسى بن سليمان بن عبد الملك الرعيني الرندي (ويكنى أبا محمد ، توفي سنة ١٢١٩/٦١٥ ، وكان مائت الفار)^(١٢) ، وأبو الحسن بن عصفور الإشبيلي^(١٣) (لتوفي سنة ١٢٦٤/٦٦٢) أعلام النحو في عصرهم ، إلى جانب أبي علي عمر الأزدى الشلويني (نسبة إلى حصن شلوينية على ساحل غرناطة ، ٥٦١—٦٤٤/١١٦٦—١٢٤٧) . والشلويني من أهل إشبيلية ، وقد أخذ النحو والبلاغة عن أبي إسحاق ابن ملكون ، واشتغل سنوات طويلة بتدريس اللغة العربية ، ووضع شرحا « للجزولية » التي ألهاها أبو موسى بن عيسى الجزولي ، وكتاباً آخر يسمى « التوطئة » ؛ وقد أدرك بكتاييه هذين شهرة واسعة ومكانة ممتازة بين اللغنيين بالشروح للنحوية^(١٤) .

وأوسع علماء العرب شهرة في النحو هو ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله ، ٦٠٠—٦٧٢/١٢٠٨—١٢٧٤) ، ولا زالت تواليقه في النحو

تتدارس إلى اليوم . وُلد ابن مالك في جَيَّان ودرس في الأندلس ، ثم خرج إلى المشرق واشتغل بتدريس النحو في حلب وحماه ودمشق حتى آخر أيامه ، ومن بين مؤلفاته الكبيرة « الكافية الشافية » ، وهي كتاب منظوم في النحو يقع في ثلاثة آلاف بيت من بحر الرجز ، و « الألفية » وهي مختصر الكافية^(١٤) ، وتقع في ألف بيت ، وقد نشرها سيلفستردى سامي مع شرح وتعليق فرنسيين في سنة ١٨٣٣ ، ونقلها إلى الفرنسية بعد ذلك پنتو Pinto في سنة ١٨٨٧ ، وجوجويه Goguyer في سنة ١٨٨٨ ، ووضع علماء المسلمين فيها بعد شروحا كثيرة على ألفية ابن مالك . وقد قدم ابن مالك بها خدمة جليلة لدارسي النحو العربي على الرغم من قدح خصومه في عمله ، فقد نسق قواعده وبسط معلوماته ، وإن كان يؤخذ عليه غموض وعدم وضوح في بعض اللواضع مما لا ينبغي أن يقع في مؤلف تعليمي^(١٥) .

ويشتهر ابن السيد البطليوسي^(١٦) (أبو محمد عبد الله بن محمد ، ٤٤٤ — ٥٢١ / ١٠٥٢ — ١١٢٧) وعبد العزيز بن الطراوة^(١٧) وأبو القاسم السبيلي^(١٨) (توفي سنة ١١٨٧/٥٨٣) من أصحاب الكتب القائمة في النحو مثل « الروض الألف » لهذا الأخير . وعندما استولى النصارى على غرناطة غادرها فر من كان بها من علماء النحو واستقروا في مراکش ، فأصبحت بفضلهم مركزاً من مراكز دراسته ، أما أنير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن النفزي الأتري للغرناطي (٦٥٤ — ٧٤٥ / ١٢٥٧ — ١٣٤٤) فقد توجه إلى المشرق حاملاً إلى أهله ثروة حافلة من النحو والمصرف ، فرد بذلك إليهم — مزيداً — ما أسبقوه للأندلس من العلم في هذه الناحية في القرون السابقة .

درس أبو حيان في غرناطة ومالقة ، وكان يلقب « بشيخ النحاة »^(١٩) « لعله النزيل في هذا الباب . وكان إلى جانب ذلك واسع المعرفة بفروع أخرى من العلوم الإسلامية ، كالتفسير والحديث والشروط والقرويع وتراجم الناس وطبقاتهم » وغير

ذلك^(٢٠) . وقد يارح أبو حيان الأندلس في سنة ١٢٧٨/١٢٨٠ ، وطاف بنواحي الغرب ومصر ووصل إلى الحبشة ثم حج إلى بيت الله الحرام ، وتوجه بعد ذلك إلى الشام ؛ وانتهى به للطاف آخر الأمر في القاهرة .

وقد أتقن اللغات الفارسية والتركية والحبشية . وأبدى في القاهرة نشاطا عظيما وخلف شيخه محمد بن النحاس في أستاذية النحو ، وكان شيخ المحدثين بالمدرسة للنصورية في القاهرة ، وكان يقرأ القرآن في السجد . وكان متبن الخلق ، حسن العشرة ، ذكيا صاحب أفكار مبتكرة وفكاهة مستهجة . وكان إلى جانب ذلك كله يقول الشعر ، وبعض أشعاره ينم عن نشاؤم ، كقوله ناظما معنى حكمة لعل ابن أبي طالب :

إذا وُضِعَ الإحسان في الخُبِّ لم يُقَدَّ سوى كُفْرِهِ ، والحري مجزى به شكرا
كغوث سقى أفضى فجاءت بسما وصاحب أصدافا فأنتمت الأثر^{(٢١) (٢٢)} .

وكان يعيش عيشة تقشف ويقول : « يكفي الفقير في مصر أربعة أفلس : يشتري له بائنة بفلسين ، وبفلس زيبيا ، وبفلس كوز ماء ، ويشترى ثاني يوم ليونا يأكل به الخبز » ؛ وكان يعيب على مشقري الكتب ويقول : « الله يرزقك حنلا تعيش به ! أنا أي كُتُب أردته استعرت من خزائن الأوقاف ، وإذا أردت من أحد أن يعيرني حرام لم أجِد ذلك » . وأنشد نفسه :

[إن الدرام والنساء كلاهما لا تأمن عليهما إنسانا

ينزعن ذا اللب للتين من التقي فخرى إساءة فعله إحسانا]^(٢٣)

ولم يبق لنا من كتب أبي حيان إلا كتابان — على الرغم من أن من ترجموا له يقولون إنه وضع حسين مؤلفا — الأول في التفسير وهو مخطوط بمكتبة لايدن ،

(٢٠) الفري : قبح ، ١٥ ، ص ٨٦٠ — ٨٦١ . ولم أجِد في الأصل لأبي حيان غير حديث البين ، وإن كان يائليا مضطربا في ترجمة آيات أخرى لم أجدها في الأصل .

والثاني في النحو عنوانه « فضل النحو » ، مخطوط في مكتبة برلين . وقد ألف أبو حيان كذلك في نحو الفارسية والتركية^(٣٣) .

ف ٦١ - معاجم اللغة :

وكان من تصنيف المعاجم يتطور في الأندلس جنباً إلى جنب مع دراسات النحو . وكانت طلائع مؤلفات الأندلسيين في هذا الباب مختصرات لمعاجم شرقية ، ومثال ذلك كتاب « نوار الذهب » الذي وضعه أبو علي القالي (ف ٥٥) ، فهو أشبه بشرح لما ورد في « الكامل » لأبي العباس البرد من الغريب ؛ وكذلك وضع الزبيدي (ف ١٢ و ٦٠) مختصراً « لكتاب العين » للخليل بن أحمد ، وقد ذاع هذا المختصر وأصبح معتد الناس في الدراسة في الأندلس ، ولا توجد مخطوطاته الآن إلا في مكتبات الأندلس^(٣٤) . و « مختصر كتاب العين » محبوب بحسب مخارج الحروف ، وهو يبدأ بالحروف الحلقية وأولها « العين » ، وينتهي بالشفوية واللقطة (أنصاف حروف الله)^(٣٥) .

ومن المعاجم الجليلة التي ألّفها الأندلسيون في اللغة « كتاب العالم » ، الذي وضعه محمد بن أبان بن سيد الحمصي (المتوفى سنة ٩٩٣/٣٥٤) ؛ وقد قال في شأنه ابن حزم إنه « نحو مائة سفر على الأجناس » ، في غاية الإعجاب ، بدأ بالقلك وختم بالذرة^(٣٦) .

وقد نهج مؤلف مشرق هو سميد الرباعي (المتوفى سنة ١٠٢٦/٤١٦) نهج القالي وابن أبان في تأليفه « كتاب اللآلئ » .

ويقول ابن حزم إن أحسن تأليف وضع في علوم اللغة ، وأوفرها مادة وأجملها نصوصاً ، هو كتاب معاصره أبي غالب تمام بن غالب الملقب بابن التّيتاني^(٣٧) ، وكان أدبياً ذا أنفة واعتزاز بما أدرك من شهرة ، حتى لقد أغف من أن يزيد في ترجمة كتابه المذكور عبارة : « مما ألّفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد » صاحب

دانية ، وكان هذا الأخير قد وجه إليه ألف دينار أندلسية ، « فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في ذلك باباً البتة وقال : والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استعجزت الكذب ، لأنني لم أجمعه له بل لكل طالب » (٢٨) .

وقد ألف أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحجارى (المتوفى سنة ٤٨٩/١٠٩٦) كتاباً عن المماجم ، وتحدث فيه عنها في إسهاب . ويكاد أبو الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده أن يكون أكبر أصحاب المماجم الأندلسيين ، وكان رجلاً ضريراً من أهل مرسية . وقد درس على أبيه — وكان ضريراً أيضاً — وعلى صاعد البغدادي وأبي عمر الطلمنكي ، ثم دخل في خدمة مجاهد صاحب دانية . وقد وضع مؤلفات كثيرة بقي لنا منها شرح لديوان المتنبي وممجان : الأول هو « المختصر في اللغة » وقد رتب ألفاظه بحسب الموضوعات المتقاربة ، والثاني هو « الحكم والمحيط الأعظم » في اللغة ، وهو معجم أبجدي يبدأ بالعين ، وقد سار في وضعه على نهج يقلوب نهج الخليل في كتاب العين (٢٩) .

التفصيل الخامس

التاريخ

(١) كتب التاريخ العام

١ — عصر الخلافة

- ف ٦٢ — عبد الملك بن حبيب .
- ف ٦٣ — آل الرافضى .
- ف ٦٤ — الأخبار المجموعة .
- ف ٦٥ ، (١) — « تاريخ افتتاح الأندلس » ، لأبى بكر بن الفوطية .
- ف ٦٥ ، (ب) — عرب بن سعد .

٢ — عصر الطوائف

- ف ٦٦ — أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان .
- ف ٦٧ — محمد بن مزين ، ابن مسلمة ، ابن أبى القبايس .
- ف ٦٨ — ابن حزم القرطبي .
- ف ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ — آثار ابن حزم فى الفلسفة والفقه وعلوم الدين والتاريخ .
- ف ٧٣ — كتاب التيسر .
- ف ٧٤ — آثار ابن حزم الأدبية : « طوق الحمامة » .
- ف ٧٥ — مدرسة ابن حزم .
- ف ٧٦ — أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد الطليطل .
- ف ٧٧ — تواريخ الدول .

٣ — عصر المرابطين والموحدين

- ف ٧٨ — ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد بن على بن إبراهيم أبو مروان الباجي .
- ف ٧٩ — يونس سعيد .
- ف ٨٠ — عبد الواحد للراكمي .

٤ — مملكة غرناطة

- ف ٨١ — ابن الخطيب .
- ف ٨٢ — عبد الرحمن بن خلدون .

(ب) التراجم وفهارس الكتب

- ف ٨٣ — ابن عبد البر والمحقق .
- ف ٨٤ — ابن القرضى ، الجبارى .
- ف ٨٥ — ابن بشكوال ومصادره .
- ف ٨٦ — ابن الأثير .
- ف ٨٧ — ابن خير .
- ف ٨٨ — معجم التراجم الخاصة : القاضى عياض ، ابن دحية .

(ج) تاريخ الأدب

- ف ٨٩ — ملاتح للوفقات فى تاريخ الأدب .
- ف ٩٠ — ابن بىام .
- ف ٩١ — ابن خالكان .
- ف ٩٢ — الفتندى .
- ف ٩٣ — ابن الخطيب ، والقرى .

(د) قوائم النواحي

- ف ٩٤ — أهم نماذج للوفقات فى هذا الباب .

(١) كتب التاريخ العام

١ - عصر الخلافة

عبد الملك بن حبيب — آل الرازي — الأخبار —
 المجموعة — « تاريخ افتتاح الأندلس » لأبي بكر
 ابن القوطية — عريب بن سعد — ابن شهيد

لدينا في ميدان التأليف الأندلسية في مادة التاريخ كتب متأثرة بعناصر
 مشرقية ، ويفيض هذا الصنف بأساطير لانهاية لما تدور حول فتح المسلمين
 للأندلس (ومثلها مؤلفات ابن حبيب والرازي) ، ومؤلفات أخرى تنقل إلينا
 الروايات الأندلسية المحلية على صورة أدق وأحكم ، بعضها يأخذ جانب بنى أمية
 (كما نرى في الأخبار المجموعة) ، وبعضها الآخر نلمح فيه الليل إلى أسرة غيطشة
 (كأبن القوطية) ، وإلى جانب ذلك نجد في هذا العصر كتباً في التاريخ العام
 أخذ بعضها عن الطبري (كما نرى عند عريب بن سعد) ، وبعضها الآخر جديد
 مبتكر فيما يبدو (كما نجد عند ابن شهيد) .

* * *

ف ٦٢ — عبد الملك بن عبيد :

أقدم مؤرخي الأندلس الإسلامي هو عبد الملك بن حبيب (٧٩٦/١٧٩ —
 ٢٣٨ / ٨٥٣ أو ٨٥٤ م) ، الذي يقال إنه ينسب إلى قبيلة سليم بن منصور ،
 وقد وُلد في حصن واط (ربما كانت هذه البلدة هي Huetor Vega) ، وعاش
 في البيرة وقرطبة صدر شبابه وفيهما درس ، ثم رحل إلى للشرق وتردد على
 حلقات الدرس هناك ، وخاصة في المدينة حيث درس الفقه على مذهب مالك بن
 أنس وأصبح من كبار أنصاره ، وسيصبح فيما بعد من أكبر العاملين على تحويل
 أهل الأندلس إلى للسلكية بعد أن كانوا أوزاعية (ف ١٢٤) .

كان عبد الملك بحراً من العلم بالشعر والأنساب والتاريخ والفقه والمعاجم والطب ، وقد أدرك في الأندلس شهرة واسعة وأقبحه الناس « بعالم الأندلس »^(١) وجعلوه صفواً لـسحنون بن سعيد إمام المالكيين في المغرب وعلمه . ثم جلس للتدريس في مسجد قرطبة ، وكان يقسم طلبته مجموعات لا يُسمعون إلا كتبه وموطأ مالك . وكان يجلس للإقراء في ملابس غالية بعضها من « الصيدي » وهو حرير ينسج في اليمن ، وكان يرى ذلك توقيراً وإجلالاً للعلم الذي يقرئه ، وأوقف أملاكه كلها على مسجد قرطبة قبل وفاته .

ولعبد الملك بن حبيب كتب كثيرة يرد ذكرها في تراجمه ، بعضها في الأنساب والفتاوى والطب والأخلاق والشريعة ، وألف « الواضحة » التي تعتبر أحسن شرح على موطأ مالك ، وقد ضاع معظم كتبه ولم يبق منها إلا الكتاب المسمى « بالتاريخ » ، ولا زال مخطوطاً في المكتبة البودلية في أكسفورد ، وعنوانه كما يرد في هذه المخطوطة هو : « كتاب في ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجبال والجنة والنار ، وخلق آدم وحواء وما كان من شأنهما مع إبليس ، وعدة الأنبياء نبياً نبياً إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، وعدة الكتب للنزلة وعدة الخلقاء إلى حين استفتاح الأندلس ، وما وجد فيها من الذهب والفضة والجواهر والياقوت والزمرد والأمتعة وما أخرج منها ، وعدة ملوكها ومن وليها ومن يليها وذكر شيء من الحدائق وما يعلم منها في بعض البلدان ، وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة . تأليف الفقيه عبد الملك بن حبيب رضي الله عنه وفيه ذكر القضاء — قضاء قرطبة — لابن حارث »^(*) .

ونجد في الورقة الأولى من هذا المخطوط بياناً بمحتوياته ، ومنها يتبين أنه يبدأ بالكلام على « أولية خلق الدنيا » ، ويتحدث فيه عن أول ما بدأ الله به

خلقه من السموات والبحار والجبال والجنة والنار وآدم وحواء ، ثم يحكى قصة ما جرى بينهما وبين إبليس ، ثم يقص سير الأنبياء حتى يصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتكلم عن الكتب المنزلة ، ثم يذكر سير الخلفاء حتى فتح الأندلس ، ثم يحدثنا عما يوجد بالأندلس من الذهب والفضة واللآلئ والياقوت والزمرد وما إلى ذلك من الخيرات وعيون الثروة ، ثم يتحدث عما يستخرج منها ، ثم يقص سير من حكمها من الملوك ومن غزاها من الفاتحين ، ثم يحدثنا بما يتواتر على ألسنة الناس من الأخبار والأساطير عن كل ناحية من نواحيها . ويتحدث عما قدر الله في علمه لهذه الدنيا من العمر ، وما سر منه وما بقى حتى قيام الساعة . وفي آخر الكتاب فصول عن الفقه والأخلاق والآداب وملائمة من الأشعار ؛ ويختم الكتاب بالكلام عن قضية الأندلس^(٢) .

ويبدو أن ابن حبيب نفسه لم يكتب الكتاب ، أو لم يكتب إلا جزءاً منه على أى حال ، لأن سلسلة أمراء الأندلس المسلمين فيه تصل إلى الأمير عبد الله أى إلى سنة ٢٧٤ / ٨٨٨ . وقد توفى ابن حبيب قبل ذلك بنحو ثلاثين سنة ، والظاهر أن الذى كتب الكتاب في صورته الحالية هو ابن أبى الرقاع — وكان تلميذاً لعبد الملك يقيد سماعه — ثم أكمله وأضاف إليه أشياء من عنده .

وعلى الرغم من قدم هذا الكتاب ، فإن قيمته التاريخية ضئيلة ، وروايته لأخبار افتتاح الأندلس تعانى عليها الأساطير ، حتى لتبدو وكأنها قصة من قصص ألف ليلة ؛ فيذكر لنا ما رآه طارق في نومه من الرؤى ، وحملته على بلاد تميميد ، ويطيل في وصف حصار المسلمين لمواقع يصرها الجن ويقومون بالهطاع عنها . ويذكر الشياطين الذين حبسهم سليمان في قنم النحاس ، ويطيل الحديث عن الكنوز التى كانت في قصر طليطلة ، ويطنب في ذكر مائدة سليمان ، وأساطير أخرى كثيرة يدرجها في حديثه على أنها تاريخ . وقد درس دوزى هذه الروايات ، وتبين أن ابن حبيب أخذها عن شيوخه من المصريين ؛ وابن حبيب نفسه يؤكد ذلك في أكثر من موضع من كتابه .

وقد كان الأندلسيون الذين يفدون على الشرق للدراسة في ذلك الحين يأخذون بأقوال أسابنتهم للشارقة ويبتخسون قدر ما يسمعون من أهل بلدهم أنفسهم ، لأن أولئك الشيوخ المشارقة كانوا ينظرون إلى أهل بلد الأندلس باحتقار عظيم ويرون أنهم جهلاء أجلاف . بيد أن أولئك المشارقة — الذين أحاطوا بأحاديث الرسول وما روى عنه — كانوا لا يكادون يعلمون شيئاً عن افتتاح الأندلس ، وكانوا يحرصون مع ذلك على أن يظهرُوا أمام طلبتهم بأنهم يعرفون كل شيء ، ولهذا فقد كانوا يقصون على أولئك الطلبة — إذا سألوهم عن أمر الأندلس — أفاصيصٌ مصرية . وكان أولئك الشيوخ يحسبون أن الأندلس تجمع الأعاجيب ، ويتحدثون عنه على أنه بلد وُجد في بحر الظلمات ، تسكنه الجن وتقوم فيه القلاع السحورة والأصنام التي تتحرك من تلقاء نفسها ، وتعيش فيه الشياطين في قمام حبسها فيها سليمان عليه السلام ^(٢) .

ونحن نجد هذه الأساطير فيما يقصه ابن عبد الحكم للمصري (المعرف سنة ٨٥٧/٨٧١) من الروايات عن « فتح مصر والأندلس » ^(١) .

ف ٦٣ — آل الرازي ^(٥) :

أنجب بيت الرازي ثلاثة مؤرخين : أولهم محمد بن موسى الرازي ، وهو رجل مشرق وفد إلى الأندلس سنة ٨٤٩/٨٦٤ وسكن قرطبة ، واتجر أول أمره في الحلي والعقاقير وأشياء أخرى ، ثم اتصل بالأمير محمد ونال عنده حظوة ، فأدخله في خدمته وندبه للوساطة والصلح بين العرب وللواديين بناحية غرناطة في خصومة نشبت بينهم ، وتوفي عقب عودته من هذه المهمة سنة ٨٧٣/٨٨٦ ^(٦) . وقد اشتغل بالتأليف في تاريخ الأندلس ، بيد أنه لم يبق لدينا مما ألقه إلا قطع متناثرة من « كتاب الرايات » نجدها في ثنأيا الكتب . وكان كتاب الرايات يدور حول دخول موسى الأندلس ، ومن كان معه من بطون قريش وغيرها من قبائل العرب ، وكانت لكل منها راية تلتف حولها .

وأُم من محمد بن موسى الرازي ابنُه أحمد بن محمد (المتوفى سنة ٣٢٤/٩٣٦)، وكان مولده في ذى الحجة ٢٧٤ / ٨٨٨ . وكان أديباً وخطيباً مفوهاً وشاعراً ، وكان يلقب « بالتاريخي » لكثرة اشتغاله بكتابة التاريخ ، فقد كتب كتاباً في « أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم » ، وثانياً « في أنساب مشاهير أهل الأندلس » ، في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها^(٧) — وقد اعتمد ابن الأبار على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً ، وثالثاً عن كبار الموالى الأندلسيين ، ورابعاً « في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها » على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها ؛ وقد ضاعت هذه الكتب كلها . ولم يصل إلينا من مؤلفاته التاريخية إلا قطعة في صفة الأندلس مترجمة إلى الإسبانية تحت عنوان *Crónica del Moro Rasis* ، وقد نشر جزءاً منها جايانجوس سنة ١٨٤٠^(٨) ، وأكمل نشرها رامون مندز بيدال في « فهرس للدونات في المكتبة الملكية في مدريد *Catálogo de Crónicas de la Real Biblioteca* »^(٩) .

وهذه القطعة الإسبانية من تاريخ الرازي المروقة « بالكرونيكا » (= التاريخ) تتألف من ثلاثة أقسام : الأول « صفة الأندلس » ، ونصه الإسباني الذي بين أيدينا ترجمة رجل نجمل اسمه عن ترجمة برتغالية قام بها عن العربية قس يسى « خيل بيريز Jil Perez » بأمر الملك ديونيس (١٢٧٩ — ١٣٢٥ م) فأتىها بمساعدة نفر من الغاربه يسى أحدم « المعلم محمد Maese Mohamad » ؛ ولما كان خيل بيريز لا يعرف العربية والمعلم محمد المغربي لا يعرف البرتغالية معرفة تامة ، ولما كان المترجم الإسباني الذي قام بالنقل من البرتغالية إلى الإسبانية قد تصرف في الترجمة وغير وبدل في بعض المواضع ، فإن النص الذي بين أيدينا الآن يبدو في كثير من مواضعه غامضاً وغير مفهوم ، بسبب تعريف المترجمين وتصرفهم أو بسبب عيوب في النسخ التي عثرنا عليها . ويرى دوزي وجايانجوس

أن القسم الثاني من هذا الكتاب وعنوانه « تاريخ إسبانيا منذ وصول إشبان بن يافث إليها إلى دون رودريجو (الملك لدرى) » إنما هو من وضع خيل يريذ نفسه ، وصنفه من مواد استقها من الروايات المتداولة في أيامه ومن كتب عربية نُقل إليه ما فيها . أما القسم الثالث — ويتناول تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى عصر الحكم السنصر — فهو أشبه بأن يكون ترجمة لمختصر لكتاب الرازى . وقد رجع المؤلف في تصنيفها إلى « اللدونة » المستعربة Crónica Mozárabe أو الصلة الإسبانية Continuatío Hispana^(١٠) .

والكتاب على صورته الراهنة التى بين أيدينا قليل القيمة ، فهو مجرد واحد من الملخصات التاريخية التى كانت ذائعة في القرن الثالث عشر الميلادى . وليس معنى هذا أن ضياع كتب الرازى هذه لا يعتبر خسارة كبرى ، إذ الواقع أننا فقدنا كثيراً جداً بسبب اختفائها ، لأنها كانت تضم كثيراً من الأخبار نجعلها الآن ، وكان الوقوف عليها يفيدنا فائدة كبرى ، هذا على الرغم من أن كتب الرازى كلها تأخذ وجهة نظر أسراء الأندلس وخلفائه ، كما هو الحال في معظم كتب أصحاب التواريخ في تلك العصور . وقد كانت كتب الرازى ذات أثر عظيم في كتاب التاريخ الإشباني المعروف باسم « التاريخ العربى La Crónica Sarracina » الذى كتبه يذرو ديل كرات^(١١) Pedro del Corral .

وضاع كذلك كتابا « تاريخ الأندلس » و « حجاب خلفاء الأندلس » الذى كتبه ثالث المؤرخين من هذا البيت : عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازى ، والغالب أنه كان يصل بتاريخ الأندلس إلى عصر هشام المؤيد^(١٢) .

ف ٦٤ — الأخبار المجموعة :

أو « مجموعة روايات » ، (نشرها وترجمها أ . لافوينتى ألكانتارا E. Lafuente Acántara في سنة ١٨٦٧) ، ويرى الأستاذ ريبيرا أنها « مجموعة مذكرات وقررات تاريخية سجلها صاحبها شيئاً فشيئاً ، دون أن يقصد

إلى ربط الحوادث ربطاً منهجياً أو يرتبها على حسب السنين ؛ وقد استنتج هذا مما يسود الكتاب من قلة ربط وانعدام نظام .

وتدور الفقرات التاريخية التي يتألف منها هذا الكتاب حول وقائع التاريخ الأندلسي ، من الفتح الإسلامي إلى خلافة عبد الرحمن الناصر . وأهم فقراته وأوفرها مادة تلك التي تتعلق بدخول طارق بن زياد الأندلس ، وفتوح قرطبة واردة ودخول بلنج بن بشر الأندلس ، والقتل والحروب التي ثارت بين العرب عقب ذلك ، ثم ولاية يوسف الفهري والصمّيل بن حاتم للأندلس ، وانتصارات عبد الرحمن الداخل . ولا يهتم هذا الكتاب بالأساطير الخيالية والخرافات التي ترد في غيره من الكتب ، من أمثال رؤى طارق بن زياد قبل فتحه الأندلس ، أو حكاية البيت الذي وجد فيه لقريق تابوتا لا يحوى إلا الرق الذي آذنه بزوال ملكه ، وما إلى ذلك^(١٢) .

ويرى ريبيرا أن هذه الفقرات « ليست من تسجيل شخص واحد ، بل كتبها ناس مختلفون ثقافة وفكراً وذوقاً وطبقة » : لأننا نجد الرواية حيناً مطوّلة مفككة حافلة بالتفاصيل (ومثال ذلك الفقرات التي كتبها أولئك الذين بدأوا تسجيل هذه « الأخبار ») ، ونجدها حيناً آخر مركزة موجزة مقتضبة . وتبدو بعض الفقرات وكأنما كتبها بعض من يميلون إلى أخبار الحروب وشؤون السياسة دون غيرها ويعتبرون ما عداها تافهاً عديم القيمة ، وبعض الفقرات الأخرى تتم على أن من كتبها واحد ممن يميلون إلى شؤون الدين والفقه والأخلاق ، لا يكاد يستلقت انتباهه غيرها . يبدو أن هناك رابطاً عاماً يجمع الفقرات كلها وينظمها في سلك واحد : هو اتجاه عصبي وطبقة معينتين ، كأنما كتبها رجال أسرة واحدة ذات حسب ومعتقد^(١٣) .

وقد تناول الأستاذ ريبيرا مادة « الأخبار المجموعة » بالتحليل ، بما عرف عنه من النفاذ في معالجة الكتب والنصوص التاريخية ؛ وقد أثبت ذلك الأستاذ

النابه أن واحداً من أوائل الذين ساهموا في كتابة « الأخبار » كان قرطيباً من أهل الحرب والسياسة ، وهو الذي كتب فقرات الكتاب من أوله إلى ما يتعلق بإمارة هشام الرضى بن عبيد الرحمن الداخل (قبل سنة ٢٧٤/٨٨٨) ، وغلب على ظن ريبيرا أن هذا الكاتب لابد أن يكون من أشرف العرب ، بل من قریش ، ومن البيت الأموى نفسه . أما الجزء الذى يلى ذلك فيبدو وكأن كاتبه فقيه من أهل الأدب ، وهو قرشى أيضاً وصل رواية الحوادث وتخلها بأراء من عنده ، ولم يصرف بالاً إلى وقائع الحرب والسياسة ولم يعن بما قام به الأسراء والخلفاء من أعمال عظيمة ، بل اهتم بميولم الأدبية وفضائلهم وعنايتهم بالفقهاء وأهل الأدب .

وقد أدى هذا التحليل الدقيق لمادة « الأخبار » الأستاذ ريبيرا إلى القول بأنها كتبت في عصر عبد الرحمن الناصر (٢٩٩-٣٤٩/٩١٢-٩٦١) ، وهو العصر الذى تفنن عنده روايات الكتاب . أما لافوينقى ألكانثرا ، فقد أخذ بما ذهب إليه دوزى من أن الكتاب قد كتب في القرن الحادى عشر الميلادى ، اعتماداً على عبارة وردت في الكتاب تدل على أنها كتبت في فترة كانت أحوال المسلمين في الأندلس تسير خلالها في طريق سىء ، وهذه العبارة هى قول صاحب الأخبار : « وليت الله كان أبقاء حتى يفعل ، فإن مصيرهم إلى بوار إلا أن يرحمهم الله »^(١٤) . وقد ظن دوزى أن ذلك إشارة إلى ما دم للمسلمين في الأندلس من القتنة خلال القرن اخلامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)^(١٥) . أما ريبيرا فيرى أن كاتبها قصد بها ما كان يجرى عليه عبد الرحمن الناصر ، من إضعاف سلطان رؤساء العرب وإحلال موالى الأندلسيين محلهم في الوظائف الكبرى وقيادات الجيوش في أنحاء الدولة^(١٦) ، وذلك ما جعل صاحب هذا الجزء من الأخبار يقول تعليقاً على سياسة الناصر : « . . . واتصل ملك عبد الرحمن خسين سنة ، في عز منيع وسلطان قاهر وافتتاح للبلدان شرقاً وغرباً ، مع غزو العدو والتلبه له وانتصاف بلاده وهدم حصونه

والاستبلاغ فيه ، لا يلتقى ذلاً ولا يرى في شيء من أموره نقصاً . وتناهى ذلك
 السمد حتى فتح الله له ما وراء البحر من المدن الجلييلة والمعاقل النبعة ، كسبتة وطنجة
 وغيرها ، ودان له أهلها فاستعمل عليها القواد وحصنها بالرجال وأمدم بالجيوش
 الكثيفة في الأساطيل ، حتى وطئت بلاد البربر واستذلت ملوكها ، فصاروا
 بين متقبح (منقبح ؟) محصور ومذعن منيب وشارد هارب . ومالت إليه الأهواء
 وسمت نحوه المم ، فضافره على حربته وتجرده في نصره من كان مستقبصراً في قتاله
 من شيعة أعدائه ، فنكص على مولاته واستهلك في مرضاته ؛ واستحكم من أمره
 ما لو اتصل عزمه فيه وتأيد الله عليه لقلب على المشرق فضلاً عن المغرب . ولكنه
 — عفا الله عنه — مال إلى الله واستولى عليه العُجب ، فولى للهوى لا للقناء ،
 واستهدم بغير الكفاة ، وأغاط الأحرار بإقامة الأندال ، « كنجدة الحيري » وأصحابه
 الأوغاد : قتلده عسكره وفوض إليه جليل أموره ، وألجأ أكابر الأجناد ووجوه
 القواد والوزراء ، من العرب وغيرهم ، إلى الخضوع له والوقوف عند أمره ونهيه —
 وحالٌ نجمدة حالٌ مثله في غيه واستخفافه وركاكة عقله . فهو أياً أهل الحفاظ من رجاله
 ووجوه أجناده على ما كان من انهزامهم في الغزوة التي غزاها عام ستة وعشرين
 وثلاثمائة — وسماها غزاة النُدرة ، لاحتضائه فيها وعظيم شهدائها — فوزم فيها
 أفتيح هزيمة واتبعهم العدو إما بأسرورهم ويقتلونهم في كل محلة ، فلم يكذب ينجو
 منهم إلا قوم جمعوا أصحابهم على ألويتهم وتخلصوا إلى بلدانهم ، فلم تكن له بعدها
 غزوة بنفسه ، وخلا بلداته ومبانيه فبلغ في ذلك مبلغاً لم يبلغه أحد ممن تقدمه
 أو تأخر بعده ، وأخبره في ذلك أشهر من أن توصف . واجتمع في دولته من
 علية الرجال وسروات الكتاب خدمة لم يخدم للملك مثلم ، في فضل آدابهم
 واتساع أفهامهم ، مع اللوة الطاهرة والسيرة الجلييلة ، كوسى بن جدير الحاجب ،
 وعبد الحميد بن بسيل ، وعبد الملك بن جهور ، وإسماعيل بن بدر ، وابن أبي عيسى
 القاضي ، ومنذر بن سعيد كان واحد عصره في العلم والأدب وحسن الخطاب ،

وكان عيسى بن فطيس كاتبه أبلغ الناس إذا كتب ، إلى كثير منهم لا يتسع التأليف لذكركم ووصف محاسنهم ، غفا الله عنا وعنهم ورحمنا وإياهم^(١٧) .
وأكبر للآخذ على « الأخبار المجموعة » أن كتابها صرفوا عنايتهم كلها إلى أخبار عرب الأندلس وخدم ، دون غيرهم من طبقات الناس في البلد ، بل جل اهتمامهم موجه إلى القرشيين منهم والبيت الأموي خاصة ، مهملين بقية طبقات أهل الأندلس الإسلامي وأجناسهم الأخرى إلا يكاد يكون تاماً ، فلا نجد عنهم في الكتاب إلا إشارات عابرة^(١٨) .

ف ٦٥ ، (١) — « تاريخ افتتاح الأندلس » ، مؤلفي بكر بن القوطية :

ويكمل هذا النقص الذي يشوب « الأخبار المجموعة » كتاب « تاريخ افتتاح الأندلس » لأبي بكر بن القوطية للتوفى سنة ٣٦٧ / ٩٧٧ ، وهو كتاب عظيم القيمة . وأبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز — المعروف بابن القوطية — من حفدة سارة القوطية حفيدة غبطة ، التي قصدت الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك في دمشق لتشكو إليه ظلامه أصابها ، فأكرمها وزوجها أحد مواليه .

ولد ابن القوطية في قرطبة ودرس في إشبيلية ، « وكان عالماً بالنحو حافظاً للغة متقدماً فيها على أهل عصره لا يشق غباره ولا يلحق شأوه » ، كما يقول ابن القرضي^(*) . وكان شاعراً سلس القريض بحكم النظم ، « أما في علوم الدين فلم يكن بالضابط لرواية في الحديث والفقه ، ولا كانت له أصول يرجع فيها ؛ وكان ما يُسمع عليه من ذلك إنما يُحمل على اللحن لا على القنط ، وكثيراً ما كان يُقرأ عليه ما لا رواية له فيه على جهة التصحيح »^(**) . وكان رجلاً متديناً وشيخاً

(*) ابن القرضي : تاريخ علماء الأندلس ، رقم ١٣١٦ .

(**) ابن القرضي : نفس المصدر ، وقد جئت بنسب ابن القرضي هنا لأن المؤلف أورد

معناه محرراً .

جليلا ، « طال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة . روى عنه جماعة من الشيوخ والسهول ، ممن ولى القضاء وقُدِّم إلى الشورى وتصرف في الخطط من أبناء الملوك وغيرهم » .

وأهم ما بقي لنا من مؤلفاته هو « تاريخ افتتاح الأندلس » ، (نشره جايانجوس وترجمه ريبييرا في سنة ١٩٢٦) ^(١٩) ، ويتناول الكلام فيه تاريخ الأندلس من لدن فتحه إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد ، أى إلى سنة ٩١٢/٢٩٩ . ويغلب على ظن ريبييرا — الذى ترجم الكتاب إلى الإسبانية — أن الكتاب ليس من إنشاء ابن القوطية نفسه ، وإنما هو أقرب إلى أن يكون سماعاً دونه عنه بعض من كان يحضر دروسه من اللومين بالأخبار . وهو مجموعة من الأخبار القصار يبدو فيها ميل صاحبها وهواه ، يمارض بعضها بعضاً فى بعض الأحيان ، وهى ترد فى الكتاب على هيئة أخبار منفصل بعضها عن بعض . والرواية لا ترد فى الكتاب على لسان ابن القوطية بل على لسان أحد سامعيه ، فهو يقول مثلاً : « قال لى ابن القوطية » . وتتخلل الروايات أساطير شعبية ذات روح شامري ، تقوم على أساس من التاريخ ولا يؤلف بين بعضها وبعض رابط أو يجمعها تناسق . ويؤيد ريبييرا رأيه هذا بأن ابن القرضى — صاحب التراجم المعروف وتلميذ ابن القوطية — لا يذكر هذا الكتاب فى « تاريخ علماء الأندلس » ، ونزاعى له أن الكتاب على صورته الحالية إنما هو مجموعة أخبار رواها ابن القوطية وسجلها واحد من تلاميذه وجعلها كتاباً ، هو « التاريخ » الذى بين أيدينا الآن ^(٢٠) .

بيد أن مادة الكتاب تتفق وروح ابن القوطية ونفسيته . فقد كان الرجل فقيها مالكيًا لين المريكة لا يميل بطبعه وأصله إلى التعمص لفرق دون فريق ، وهو بسبب ولائه لبني أمية (إذ كان جده مولى لعمر بن عبد العزيز) يتفق مع « الأخبار المجموعة » فى الكلام عن موسى ولذريق وبني أمية ، ولكن انتسابه

إلى سارة القوطية جعله يُدخل في رواياته عنصراً قومياً أندلسياً ، وهي ظاهرة على جانب كبير من الأهمية ، إذا ذكرنا أن الأمر يتعلق ببild كانت تعيش فيه أجناس مختلفة ذات أديان متباينة ، وقد أهمل هذه الناحية غيرُ ابن القوطية من أصحاب التواريخ . ومن أمثلة رواياته ذات الطابع القوي أخبار أرطباس مع الصميل بن حاتم وميمون المابد^(٢١) ، وهي أخبار تظهر العربَ في صورة الجهلاء الأجلاف ، وتصور أرطباس القوطي في صورة الرجل ذى الواهب العظيمة والخلق الحمود اللطيف . وفي الكتاب كذلك فقرات قصيرة ذات طابع قصصى عن فترة القروسية في تاريخ الأندلس الإسلامى ، أيام كان العرب يعيشون فيها نزوحاً من نواحي الجزيرة عيش الأمراء الإقطاعيين قبل قيام الدولة الأموية وفي خلال سنها الأولى ، تلك الأيام التى عاش فيها تمام بن علقمة وبنو قسّ . وفي الكتاب كذلك أخبار قصصية عن الشاعر غريب المتعصب لقومه مستعربى طليطلة ، وعن وقائع مروان الجَلْق بناحية بطليوس ، وأعمال «إزراق» بناحية وادى الحجارة ، وأخبار عمر ابن حفصون .

وليس في الكتاب شئ عن خصوم بنى أمية والناهضين للعرب من أهل البلاد ، وهو يهمل شؤون اليهود والنصارى إجمالاً تالماً ، ولرأته عنى بها لا كعملت بها صورة المجتمع في الأندلس الإسلامى .

وإليك نموذجاً من مادة هذا الكتاب وأسلوبه في الرواية :

« ومن أخبار أرطباس ، أن عبد الرحمن بن معاوية أمر يقبض ضياعه التى كانت بيده ، وأوجب ذلك أنه نظر إلى قبته يوماً فى بعض غزواته معه وحولها من الهدايا غير قليل ، إذ كانت الهدايا تتلقاه فى كل محلة من ضياعه ، فنفس ذلك عليه فقبضت منه . وصار عند بنى أخيه حتى ساءت حاله ، فقصد قرطبة وأتى إلى الحاجب ابن بُنْت فقال له : « استأذن لى على الأمير أبقاه الله ، فإنتى آيتته لأنودع منه » ، فدخل الحاجب فاستأذن له ، فأدخله عبد الرحمن بن معاوية إلى نفسه ،

فَنظَرَ إِلَيْهِ فِي هَيْئَةٍ رَثَمَةٍ فَقَالَ لَهُ : « يَا أَرْطَبَاسُ ، مَا بَلَغَ بِكَ هَاهُنَا ؟ » فَقَالَ لَهُ :
 « أَنْتَ بَأَعْتَنَى سَاهُنَا : حَلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ضِيَاعِي وَخَالَقَتْ عَهْدَ أَجْدَادِكَ فِي
 بِلَا ذَنْبٍ يَرْجُبُ ذَلِكَ عَلَيَّ » ، قَالَ لَهُ : « وَمَا هَذَا التَّوَدُّعُ الَّذِي تَرِيدُ أَنْ تَتَوَدَّعَ
 مِنِّي ؟ أَخُذْتُكَ تَرِيدُ التَّوَجُّعَ إِلَى رُومَةٍ » ، قَالَ : « لَا ، وَلَكِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ
 التَّوَجُّعَ إِلَى الشَّامِ » ، قَالَ لَهُ : « وَمَنْ يَتْرَكُنِي أَرْجِعُ إِلَيْهَا وَبِالسَّيْفِ أَخْرَجْتَ ضَهْنًا ؟ » ،
 قَالَ لَهُ أَرْطَبَاسُ : « فَهَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ تَرِيدُ أَنْ تَوَطِّدَ لَوْلَاكَ بَعْدُكَ أَمْ تَأْخُذُ
 مِنْهُ مَا تَأْخُذُكَ ؟ » (*) ، قَالَ : « لَا وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ إِلَّا أَنْ أَوَطِّدَ لِنَفْسِي وَلَوْلَايَ » ،
 قَالَ لَهُ أَرْطَبَاسُ : « فَتَغَيَّرَ هَذَا أَعْمَلُ فِيهِ » . ثُمَّ عَرَفَتْهُ بِأَشْيَاءَ كَانَ النَّاسُ يَنْكَرُونَهَا
 عَلَيْهِ وَبَيَّنَّهَا لَهُ ، فَسَرَّ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَشَكَرَهُ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ لَهُ
 بِعَشْرِينَ ضَيْعَةً مِنْ ضِيَاعِهِ صُرِفَتْ إِلَيْهِ ، وَكَسَاهُ وَوَصَلَهُ وَوَلَّاهُ الْقِتَاسَةَ فَكَانَ أَوَّلَ
 قَوْمٍ بِالْأَنْدَلُسِ .

« وَحَكَى الشَّيْخُ ابْنُ تَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مَنْ أَحْدَرَكُهُ مِنَ الشُّيُوخِ ، أَنَّ أَرْطَبَاسَ
 كَانَ مِنْ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ ، وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ عَشْرَةٌ مِنَ الشَّامِيِّينَ فِيهِمْ
 أَبُو عَثْمَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُلْدٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَيُوسُفُ بْنُ بَجْتٍ وَالْعَمِيلُ بْنُ حَاتِمٍ ،
 فَسَلَمُوا وَجَلَسُوا عَلَى الْكَرَاسِيِّ الْحَمِيظَةِ بِكَرْسِيهِ . فَلَمَّا أَخَذُوا مَقَاعِدَهُمْ وَحَمِيَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا ، دَخَلَ مَيْمُونُ الْعَابِدِ — جَدُّ بَنِي حَزْمِ الْبُؤَايَيْنِ ، وَهُوَ أَحَدُ مَوَالِي
 الشَّامِيِّينَ — فَلَمَّا رَأَى أَرْطَبَاسَ دَاخِلًا قَامَ إِلَيْهِ وَالتَزَمَهُ وَجَمَلَ يَقُودُهُ إِلَى كَرْسِيهِ
 الَّذِي قَامَ مِنْهُ ، وَكَانَ مَصْمُودًا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَأَبَى الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنَ الْجُلُوسِ
 عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : « لَا يَجِلُّ لِي هَذَا » ؛ فَجَلَسَ فِي الْأَرْضِ وَجَلَسَ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 « مَا جَاءَ بِمِثْلِكَ إِلَى مِثْلِي ؟ » فَقَالَ لَهُ مَيْمُونُ : « قَدِمْنَا إِلَى هَذَا الْبِلَادِ وَغَلْنَا أَنَّ
 ثَوَانًا لَا يَطُولُ فِيهِ وَلَمْ نَسْتَعِدْ لِلْمَقَامِ ، فَخَدَثَ مِنَ الْاضْطِرَابِ عَلَى مَوَالِينَا بِالْمَشْرِقِ
 مَا نَتَوَقَّعُ مَعَهُ أَنَا لَا نَعُودُ إِلَى مَوْضِعِنَا بِهِ . وَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَأُرِيدُ أَنْ تَعْطِيَنِي
 ضَيْعَةً مِنْ ضِيَاعِكَ ، أَعْتَمِرُهَا يَدِي ، وَأُؤَدِّي إِلَيْكَ الْحَقَّ مِنْهَا وَأَخَذَ الْحَقَّ » ،

(*) كُنَّا فِي الْأَمَلِ لِلطَّبُوعِ .

فقال له أرتلباس : « لا والله ، ما أرضى أن أعطيك ضيعةً مناصفةً » ، ودعا بوكيل له فقال له : « ادفع إليه الجسر الذي على وادي شتوش وما فيه من البقر والغنم والمبيد ، وادفع إليه القلعة بيجيان وهي المعروفة بقرية حزم ملكها [١٠٠] » (*) ، فشكروا . وعاد أرتلباس إلى مقعده فقال له الصميل : « يا أرتلباس ، ما يعجزك عن سلطان أبيك إلا نقاد الطيبة [من نفسك] . أدخل عليك — وأنا سيد العرب بالأندلس — ويدخل أصحابي هؤلاء معي — وهم سادات الموالى بالأندلس — فلا تزيدنا من الكرامة على القعود على العيدان ، ويدخل هذا السؤال فتصير من إكرامه إلى حيث صرت ؟ » ، فقال له أرتلباس : « يا أبا جوشن ، أهل دياتك يخبروننا أن أديهم لم يخذك ، ولو أخذك لم تُفكر على بر من بردت . (وكان الصميل أمياً لا يقرأ ولا يكتب) إنكم إذا أكرمتم أولياء الله فإنما تكرمونه عز وجل . وقد روينا عن المسيح صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أكرم الله من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه » ، فكأنما أقمه حجراً . فقال له القوم : « دع هذا وانظر فيما قصدنا له . حاجتنا وساجة الرجل الذي قصدك وأكرمه واحدة » ، فقال : « أتم ملوك وليس يرضيكم إلا الكثير » ، فوهبهم مائة ضيعة صار منها لكل واحد منهم عشر ضياع ، منها طرش لأبي عثمان ، والفنتين لعبد الله بن خالد ، وعقدة الزيتون بالدور للصميل بن حاتم » (٢٢) .

ف ٦٥ ، (ب) — عريب بن سعد (توفي سنة ٣٦٩/٩٨٠) :

كان عريب قرطيبيا من أصل نصراني ، وقد أسلم أباه واستعربوا . وتلقى تعليمًا طيبيا ، ودخل في خدمة الدولة واتخذ الحكم المستنصر كاتباً . وقد كتب مختصراً « لتاريخ الطبري » اختصر فيه تاريخ الطبري فيما يتصل بأخبار المشرق من سنة ٢٨٩ إلى ٣١٩/٩٠٢ إلى ٩٣٢ ، وأضاف إليه أخبار المغرب والأندلس . وكان عريب — إلى جانب اشتغاله بالتاريخ — طيبيا ، وفي مكتبة الإسكندرية

(*) يلى بالأصل .

كتاب مخطوط من تأليفه عنوانه « كتاب خلق الجنين وتدبير الحبال والمولود » وقد وضع كذلك تقويمًا شبيها بتقويم « ربيع بن زيد » (ف ١٤١) الذي نشره دوزي في لندن سنة ١٨٥٣ (٢٣) .

أما أبو عاصم بن شهيد (المتوفى سنة ٣٩٢/١٠٠٢) فكان تلميذًا لقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة ، وكان خطيبًا وشاعرًا وصديقًا للنصور بن أبي عاصم . وقد كتب تاريخًا كبيرًا كان يقع في أكثر من مائة جزء ، جعله على طريقة الحوليات ، روى فيه الحوادث سنةً سنةً من عام أربعين للهجرة — أى من وفاة علي بن أبي طالب — إلى أيامه (٢٤) .



٢ — عصر الطوائف

ابن حيان — ابن مزين — ابن أبي النيان —
ابن حزم القرطبي : حياته ، مؤلفاته الفلسفية والفقهية
والدينية ، مؤلفاته التاريخية : تحليل كتاب « الفصل »
مؤلفاته الأدبية : « طوق الحمامة » . مدرسة ابن حزم
— صاعد الطليطلي — تواريخ الدول .

تطورت الثقافة الإسلامية في الأندلس وانتشرت العلوم بين أهلها ، فأقبلوا على وضع التأليف القيمة الواسعة في كل فن . فكتبوا في تاريخ الأندلس (مثل ابن حيان والحيمدي وغيرهما) ، بل كتبوا في تاريخ الأديان ، سابقين في ذلك أوروبا بقرون كثيرة (مثل ابن حزم) ، وتناولوا التاريخ العام (كما نرى عند صاعد الطليطلي) ، ولم يقصروا كذلك في تصنيف الكتب في تواريخ الدول التي قامت قبيل سقوط خلافة قرطبة الأموية وبعده (كاللؤلؤ العاصرية والعبادية والزيرية) ؛ ومن أسف أن معظم هذه المؤلفات قد ضاع .



ف ٦٦ — أبو مروان عبيد بن خلف بن حسين بن عبيد^(٢٥) :

وأعظم مؤرخي هذا العصر هو حيان بن خلف بن حيان (٣٧٧ — ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ — ١٠٧٠ م) . وهو قرطبي ، وكان أبو خلف من كتّاب المنصور بن أبي عامر ، وقد درس على أبيه وعلى أحمد بن عبد العزيز بن الحباب النحوي وصاعد البندادي الأديب وعمر بن نبيل الحداث ، وتفقّه وأتقن الآداب على أيديهم ثم انتظم في سلك وظائف الدولة ، وشغل وظيفة صاحب الشرطة — أو صاحب المدينة — في قرطبة زمنا .

وكان يُنسب لابن حيان كتاب يسمى « رسالة التابعين » ، حتى أثبت الأب ملشور أنطونيا أنها رسالة استخلصها مؤرخ مشرق — هو أبو عبد الله الذهبي — من كتاب لابن حيان البُسقي^(٢٦) . أما كتب ابن حيان التي صحت نسبتها إليه فقد ضاع معظمها ، ومن هذه الكتب « الآثار العاصرية » ، و « تاريخ قهواء قرطبة » — وقد اعتمد في تصنيفه على كتاب لأبي عمر بن غنيف في نفس الموضوع^(٢٧) — ثم كتابا « اللتين » ، و « المقتبس » ؛ ولم يبق لنا من هذه الكتب كلها إلا أجزاء من هذين الأخيرين .

كان « للمقتبس » يقع في عشرة أجزاء ، تتناول تاريخ الأندلس من لدن افتتاحها على يد طارق إلى زمن المؤلف . ولا نجد اليوم بين أيدينا إلا ثلاثة أجزاء منه : جزء عن عصر الأمير عبد الله ، وقد نشره الأب ملشور أنطونيا سنة ١٩٢٨ ، وجزء عن خلافة الحكم المستنصر يقوم بنشره الآن الأستاذ غرسية غومس ، وجزء عن عصر عبد الرحمن الأوسط يمدّه النشر الأستاذ ليفي بروفسال^(*) . والقطعة التي نشرت بالفعل — وهي الخاصة بعصر الأمير عبد الله — تربية أهمية نشاط هذا الأمير في تطور تاريخ الأندلس : فلو لا سياسة الثبات

(*) عدلت عبارة المؤلف هنا حتى تستقيم مع ما وصلنا إلى العثور عليه ونعبره من مقتبس ابن حيان ، وأحيل القارئ على « رسالة » كتابنا هذا ، الفصل الخامس بحيان بن خلف .

والصلابة التي انتهجها هذا الأمير للقضاء على حركة اللولدين التي كان يقودها عمر ابن حفصون ، ولولا صموده لجماعات من عرب الأندلس تحصنوا في معقلهم في الكُور ، واجتهدوا في الاستقلال بنواحيهم عن سلطان الإمارة الأموية ، لما كان من الممكن لحفيده وخليفته عبد الرحمن الناصر الارتقاء بالخلافة الأموية الأندلسية إلى للشأ الرفيع الذي بلغت على أيامه .

ويبدأ هذا الجزء من التقييس برواية أخبار عتاك الأمير اللندر والبيعة لأخيه عهد الله من بعده ؛ ثم يقد فصلا عن « استعان بهم الأمير عبد الله على رفيع أعماله من رجال دولته : حجابيه ووزرائه وقواده وكتابه وقضائه وقضاء عصره » ؛ ثم يتكلم عن « الخالفين على الأمير عهد الله ، الخارجين على الجماعة ، المضربين النار الفتنة » ؛ ثم ينتقل إلى الكلام على شخص الأمير ، فيتحدث عن فضائله ؛ ثم يتحدث تحت عنوان : « باب الدم » عن نقائصه ، فيأخذ عليه « هوان الدماء عليه وإسراعه إلى سفكها ، حتى من ولديه وإخوته ومن خلفهم من صحابته ورعيته ، أخذوا لا كثرهم بالظلة » ، ويميب عليه « شدة بخله » ؛ ثم يلم بذكر شعراء بلاطه ؛ ويمضي بعد ذلك في رواية الحوادث التي وقعت بين سنتي ٢٧٥ و ٢٩٨ هـ بتفصيل شامل ، ملتزما في ذلك تحديد التواريخ في دقة عظيمة . وهو يهتم اهتماما شديدا بأخبار ثورة عمر بن حفصون ، والفتن التي أثارها العرب في لبللة وإشبيلية ، ووقائعهم مع عمر بن حفصون ومع جند الأمير عبد الله . ويذكر مقتل القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية على يد الطرف بن الأمير عبد الله غدرًا ، ثم يذكر كيف قتل عبد الله ابنه هذا عقابًا له على هذه التهمة بمجرد عودته إلى قرطبة ، ويطيل الحديث عن سميد بن جودي وما إلى ذلك . وتتخلل روايته قطع من الشعر ، كلها لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الذي كان شاعر البلاط آنذاك (٢٨) .

أما الكتاب الكبير الثاني لابن حيان ، وهو « اللتين » ، فكان يقع في

ستين مجلدة ، ولم تُبق الأيام منه إلا على فقرات رواها بعض من أتى بعده من الكتاب ، كابن بسلام وابن الخطيب . وهذه القطع تظهر لنا بوضوح أهمية هذا الكتاب الذي ضاع^(٣٩) .

ويذكر ابن حيان في تضاعيف كتاباته أسماء الكتب التي استقى منها معلوماته والمؤلفين الذين اعتمد عليهم : فهو يذكر الرازي ، وابن القوطية ، ومعاوية بن هشام الشَّيْبَانِيّ — وهو صاحب كتاب « تاريخ بني أمية في الأندلس » وأبا بكر بن عبادة بن ماء السماء ، الذي ألف « تاريخ شعراء الأندلس » ، وابن عبد ربه ، وأبا الوليد بن الفرضي ، وصاعداً البغدادي ، وسكّن بن إبراهيم الكاتب ، وأبا عمر بن عبد البر ، وآخرين كثيرين . وقد استقى من مؤلفات ابن حيان كل من أتى بعده من المؤرخين .

وقد ذكر حاجي خليفة في « كشف الظنون » أن أبا عبد الله محمد بن فتوح الأزدي الحميدي (٤١٩ — ١٠٢٩/٤٨٧ — ١٠٩٥) وضع مختصراً للمقتبس^(٤٠) ، ولكن هذا وهم منه ، لأن كتاب الحميدي إنما هو معجم أبجدي لملء الأندلس قدّم له بموجز في تاريخ الجزيرة (وقد ترجم جلال نبوس الجزء الخاص بمصر خلافة من ذلك الموجز) . وقد كتب الحميدي هذا المعجم في بغداد بعيداً عن المراجع اللازمة ، فجاء مجموعاً قليل القيمة من تراجم الرجال يشوبه غلط كثير في تحديد التواريخ^(٤١) .

وقد قال عن ابن حيان أحد أصحاب التراجم :

« حيان بن خلف بن حسين بن حيان أبو مروان القرطبي مولى بني أمية ، شيخ الأدب ومؤرخ الأندلس ؛ روى عنه أبو علي النسائي ووصفه بالصدق . وكان أبو مروان فصيحاً بليغاً ، له كتاب « المقتبس » في تاريخ الأندلس ، في عشرة مجلدات ، وكتاب « المتين » في تاريخ الأندلس أيضاً ، ستون مجلداً . رآه بعضهم في النوم فسأله عن التاريخ الذي عمله فقال : لقد ندمت عليه ، إلا أن

الله تعالى أقالني وغفر لي بلفظه . وكان لا يعتمد كذبا فيما يكتبه في تاريخه من القصص والأخبار . توفي سنة تسع وستين وأربعمائة (*) .

وقد أيد المحدثون هذه الشهادة الطيبة ، فقال دوزي : « إن كتاب العرب يتدحون في كتب ابن حيان صدق الرواية بقدر ما يعجبون بجمال أسلوبه وجزالة لفته ورنين عباراته . وأنا أؤيدهم في ذلك كل التأيد ، ولا أتردد في القول بأن كتبه — لوبيقت — لألفت على تاريخ الأندلس الفاض ضياء باهرأ وصورته لنا أحسن تصوير ، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغا يجعلنا نستغنى بها عن غيرها من الكتب التي تتناول تاريخ هذه المصور . إن ابن حيان سيال الأسلوب ، ولكنه مع ذلك لا يتعثر في الإطناب والقفقة اللفظية ، كما فعل غيره من أصحاب الروايات المسهبة التي لا تنتهي . إنه ليسوق التاريخ مساق من يبدى رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن أسباب الأشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء ، كما سيفعل من بعده مؤرخون نقادون كابن سعيد وابن خلدون . ويمتاز ابن حيان إلى ذلك بأسلوب صاف ناصع ، لا يهبط إلى الركاكة التي تثير السخط ، ولا يقع كذلك في التفسح والإسراف في قماع الألفاظ [كما نجد عند ابن خاقان مثلا] . وهو رغم التزامه هذه السهولة لا يهمل جانب الجمال في أسلوبه ، ويبحث في كلامه دائما حماسا وغنى وطابعا غالبا من الجدة . نعم إنه يلجأ في بعض الأحيان إلى التشبيهات وضرب الأمثلة ، ولكنه — رغم امتياز تعبيره بفصاحة القدماء — لا يولع بما أولع به معاصروه [من التزييق والمحسنات اللفظية] . ونخرج من هذا كله بأننا « لا نجد من بين مؤرخي العرب إلا القليلين ممن نستطيع أن نقارنهم به ، وإن نجد بينهم من تقدمه عليه » (٢١) .

(*) الصغدي : الوافي بالوفيات ، ج ١ ، مجلد ١ ، ص ١٦١ .

ف ٦٧ — محمد بن مزين — ابن سلة — ابن أبي الفياض :

ومن الجدير بالذكر من مؤرخي هذا العصر أبو بكر محمد بن عيسى بن مزين (المتوفى سنة ٤٧٠/١٠٧٨) ، وقد ألف كتاباً في تاريخ الأندلس تتواتر الإشارة إليه فيما بين أيدينا من كتب تواريخ الأندلس . ومن الأخبار الهامة التي تنسب إليه ذكر « الرايات » التي دخلت الأندلس مع الجيش الفاتح ، وقبائل العرب التي كانت تنضوي تحت هذه الرايات . وهو صاحب الفصل المتع الذي يمدحنا عن الملكية المقارية في الأندلس بعد الفتح^(٣٣) . كان محمد بن مزين من علماء الشريعة وأفذاذ الأدباء^(٣٤) ، وكذلك كان أبو عبد الملك بن غصن^(٣٥) (المتوفى سنة ٤٥٣/١٠٦٢) أحد الأعلام في الأدب والتاريخ والتأليف ، ونظم عليه المأمون بن ذى النون بسبب محبته لرائس بلده ابن عبيدة ، فكتب إليه من السجن يعتذر ، وألف المأمون « رسالة السجن والمسجون والحزن والحزون » ورسالة أخرى سماها « بالمشر كلمات » .

أما أبو عامر بن سلة (٤٣٢ — ١٠٤١/٥١٠ — ١١١٧) فكان وزيراً في إشبيلية ، وقد ألف في التاريخ كتاباً يسمى « حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح »^(٣٦) ، تكثر الإشارة إليه عند ابن بسام وغيره ، وقد ألف كذلك كتباً أخرى نثراً ونظماً . وشعره ضاحك طروب يميل إلى التحرر والانطلاق ميلاً واضحاً^(٣٧) . وحقيق بالذكور كذلك أحمد بن سعيد بن أبي الفياض (٣٧٥ — ٩٨٦/٤٥٨ — ١٠٦٦) وكان تلميذاً لأبي عمر الطلمنكي ، وقد ألف كتاباً عني عليه الزمن يسمى « العبر » نشر ميخائيل القزيري قطعة منه على أنها للرازي^(٣٨) ؛ وألف في الجغرافيا أيضاً ، فكتب كتاباً عن الطرق والأنهار ، وقد ضاع هذا الكتاب كذلك^(٣٩) .

ف ٦٨ — ابن حزم القرطبي :

وأظهر شخصيات ذلك العصر في ميدان الآداب هو ابن حزم القرطبي صاحب التأليف الكثيرة والذي عني ميغيل آسين بدراسة عناية عظيمة فيما بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٢ وعرفنا به تعريفاً طيباً . كان أبو محمد علي بن حزم (٣٨٣ — ٤٥٤/٩٩٤ — ١٠٦٣) ابناً لأحمد بن حزم وزير للصور ، وقد صحب في شبابه شيخه وأستاذه أبا علي الحسين بن علي القاسي ؛ وكان ، على قول ابن حزم ، « عاقلاً عاملاً عالماً بمن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح في الدنيا والاجتهاد للآخرة ... وما رأيت مثله — جملةً — علماً وعاملاً وديناً وورعاً ، فنفنى به الله كثيراً ، وعلقت موقع الإساءة وقبح الملامى »^(١٠) .

درس أبو محمد بن حزم الحديث على أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور (ف ٥٥) دراسة طيبة ، فنهياً له بذلك أساس مكين بنى عليه فيما بعد معارفه بأصول الدين والشرح ، ودرس « تاريخ الطبری » دراسة فهم وتمعن فأصاب من ذلك إدراكاً طيباً لتاريخ البشر والأديان ، وكذلك سمع الحديث على أبي عمر الطلمنكي الحديث النابه ، وتعلم للنطق على يدي الكتاني ، وكان طيباً من مدرسة مسلمة الجرجي ، ودرس الأدب على أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي^(١١) ، وعرف في مجلسه أبا عبد الله محمد بن يحيى بن محمد الحسين المعروف بابن الطنبلي وأخاه^(١٢) وكانا من أفذاذ الشراء ، ولا بد أنه سام كذلك في مجالس الأدب التي كانت شائعة في تلك البيئة للهذبة للثقافة الرفيعة التي نشأ فيها .

وقد تعلق أبو محمد بن حزم — وهو بعد صبي يافع — بفئة ذات حسن كان أبواه قد حضناها وقاما على تربيتهما ، فتمنعت عليه ، ولم تظهر له قط من القبول ما يفسح له في مجال الأمل فيها ، فطوى نفسه على آلام هذا الموى . وقد نسب دوزي تولع ابن حزم بهذا الموى المنزلي إلى طبع متأصل في جنسه ، وعظه بما يقال من أن ابن حزم ينحدر من أصل نصراني^(١٣) ؛ وقد نقض الأستاذ آسين بلايوس رأي دوزي هذا ، وأتى بأمثلة كثيرة من هذا الحب المنزلي والعفة

الزوجة عند مسلى الأندلس ، في نفس العصر الذي عاش فيه ابن حزم . ورد هذه الظاهرة إلى ما في الإسلام من نوازع زهدية ، وقال إن وجودها دليل قاطع على ما يكن في نفوس الشعوب الإسلامية من مثالية عظيمة ، كان الناس ينكرونها عليها إلى ذلك الحين^(٤٤) ، [أي إلى عصر دوزي] .

وفي عام ١٠١٢/٤٠٢ توفي أبوه ، وكان قد أقام في خدمة العاصريين حتى مقتل عبد الرحمن بن منصور بن عاصر الملقب بشنجل ، وعند ما شئت الفتنه البربرية أخرج ابن حزم من قرطبة ، إذ كان رأس بيت مناصري بني أمية ، متمسك بمقهم في العرش ، أطول ما اتصل رجاله بخلفائهم وأقاموا في خدمتهم . ونهبت قصور ابن حزم بعد خروجه من قرطبة ، ففوجئ إلى الريه وأقام فيها ، وهناك انصرف إلى تأييد عبد الرحمن الرابع — الملقب بالمرتضى — فيما كان يسعى إليه من طلب الخلافة بمؤازرة نفر من أنصاره . وسار ابن حزم مع جيش المرتضى لحرب بني حمود ، فانهزم الجيش في موقعة « غرناطة » (١٠١٨/٤٠٨) وقتل المرتضى وأسر ابن حزم ثم أخلى سبيله فلجأ إلى شاطبة ، وأطمأن هناك ردحا من الزمن كتب فيه كتاب « طوق الحمامة » . وظل مع ذلك يدهو لعبد الرحمن الخامس الذي كان يطلب الخلافة لنفسه . فلما وفق عبد الرحمن إلى ما كان يسعى إليه ، وارتقى عرش الخلافة وتلقب بالمستظهر عام ١٠٢٣ / ٤١٤ ، استقدم ابن حزم وأقامه وزيراً له . ولم تدم خلافة المستظهر غير شهرين قُتل بعدما في ٢٧ ذي القعدة ٤١٤ / ١٠ فبراير ١٠٢٤ وانتهى أمره ، فنُفي ابن حزم مرة ثانية من قرطبة ، فآلى على نفسه ألا يضع في السياسة يداً من ذلك الحين ، مؤمناً بأن أدعياء الخلافة لم يعودوا يحوزون ما ينبغي لما من نصاب شرعي ، وأن الخلافة لم تمد حقا إلها . وهكذا ظل ابن حزم إلى ذلك الحين موزعاً بين السياسة والأدب^(٤٥) ، أما بعد ذلك فقد كرس وقته كله لدراسة الدين والفقه .

أقبل ابن حزم على دراسة الفقه وهو في السادسة والعشرين من عمره ، وكان

دافعه إلى الإقبال على درسه ما ظهر ذات مرة في المسجد من جملة بغروض الصلاة^(٤٦) ، فأقبل يدرس الشريعة والفقه في نهم على يد الفقيه المشاور عبد الله ابن يحيى بن دحّون ، قرأ عليه موطأ مالك ، وتلمذ كذلك للشيخ أبي الوليد يونس بن العفّار^(٤٧) .

ثم وجد من نفسه ميلا لمذهب محمد بن إدريس الشافعي (ف ١٢٤) فانتقل إليه^(٤٨) ، وكان الشافعيون قلة بين الأندلسيين . ولم يظل ابن حزم شافعيًا إلا فترة قصيرة^(٤٩) ، إذ استحسن للمذهب الظاهري ، وهكذا نجده ظاهريًا قبل سنة ٤١٩ / ١٠٢٩^(٥٠) — والظاهريون هم أتباع أبي داود ممن يلتزمون التقليد للأئمة ويأخذون بالمعنى الظاهري لفظي الظاهر لكلم القرآن (ف ١٢٤) — وقد أنكر عليه فقهاء المالكية ذلك ومنعوه وأستافه أبا الخيثار مسعود بن سليمان بن مفلت من التدريس في جامع قرطبة^(٥١) ، فكان لموقف الفقهاء منه وتنبههم إياه أثر عميق في خلقه ونفسه .

وبعد أن توفي شيخه أبو الخيثار بقليل ، أقبل ابن حزم على تأليف كتبه ومضى يذرع بمالك الطوائف دأبًا لمذهبه ، وتارت بينه وبين الفقهاء المساجلات ، فتجلى في مناقشاته علمه الواسع وتمكنه البالغ من اللغة والأدب والشعر والتاريخ والحديث والفقه وما إليها من العلوم الإسلامية . وظهرت كذلك إحاطته بضروب العلم القديمة من المنطق والفلسفة (عدا الرياضيات) ، وتحقيقه بكتابات اليهود والنصارى ، والروايات التلمودية خاصة . وامتاز كذلك بمهارة فائقة في الجدل ، يعيها حنئده في بعض مجادلاته عما ينبئ العلم من أمانة ، (كأن يحرف كالم النصوص ، أو يفسرها تفسيراً ملتويًا مقصودًا ، أو يقرر نصوص من يجادلهم من أصحاب المذاهب أو الأديان الأخرى بقرآن مشوّها مفسدًا ، وما إلى ذلك) ، « حتى أصبحت حدة ألفاظه وشدة الكلمات التي يستعملها مضرب النثل في بلاد الإسلام كلها »^(٥٢) . ومن بين مجادلاته التي ذاع أمرها تلك التي جرت بينه وبين أبي الوليد الباجي في مَيُورَقَة^(٥٣) ، (وكان ابن حزم قد لجأ إلى رعاية عاملها ابن رشيقي) ، وكان

الباجي قضيها مالكيًا نابهاً وأشعريًا قذاً (ف ١٣٦) ، ويبدو أن ابن حزم غلب في مجادلة الباجي ، ويرد ابن حيان ذلك إلى تعصبه لمذهبه ومبديه السياسي^(٥٤) .
كان ابن حزم رجلاً صادقاً مخلصاً قوياً ذا ديانة وحشية وسؤدد^(٥٥) . وكان يؤمن بأن سلامة العقيدة والشرف فوق الحياة نفسها ، وكان مخلصاً لأصحابه يتفانى في سبيلهم ، لئوداً في خصومته ، لا يصفح ولا ينسى ثأره ، ولو عا بالسخر من خصومه ، شديد الاعتداد بما أوتي من علم ؛ وكان كريماً عفيفاً وسطاً في إيمانه ، لا هو ساذج يقبل كل شيء ، ولا هو متشدد لا يقبل إلا حكم القل ، بل هو أقرب إلى العقليين منه إلى العاطفيين ، كما يقول آسين بلاثيوس ، « لأن مزاجه الذي جمع بين المدوء والرزاة والنفاذ والصلابة والقدرة على قبول الحقائق الجافة ، جعله بمنأى عن الاستغراق في فيوض الحياة الروحية »^(٥٦) .

ويقول آسين بلاثيوس : « إن ابن حزم قد عاين من ألوان الظلم ما أنضب معين الرقة واللين في نفسه ، وشاهد من مساوئ القوضى السياسية التي ضربت على الأندلس بجراتها في أيامه ما نثر نفسه ، وأوذى في نفسه وكرامته بما لقي من الاضطهاد ، ورأى الناس أجمعين ينكرون قدره ويتجهمون له ويقاطعون مذهبهم الديني ويمحرمونه ، فاستقر رأيه على أن يعتزل الدنيا والناس وينزوي في موطن أسرته مُتَتِ لِسْمٌ ، وهي بليدة على مقربة من وُكْبَة ربما كانت قرية كازا مونتيخا Casa montija الحالية(*) — وذلك بعد أن صادر للمتمد بن عباد كتبه وأحرقها — وفي هذا المنزل كتب كتابه « الأخلاق والسير في مداواة النفوس » ، وهو أشبه باعتراقات تقيض بالنشأوم العميق »^(٥٧) .

ومن غرائب القدر وعيته بمصائر البشر أن ابناً لابن حزم — هو أبو رافع الفضل — دخل في دعوة للمتمد بن عباد وأخلص في خدمته وقُتِل في موقعة الزلاقة ، محارباً إلى جانب ألد أعداء أبيه^(٥٨) .

(*) راجع مناقشة موضع مت لم في :

Asín, Abenkhazam..., I, pp.28-29 et notes.

ف ٦٩ — آثار ابن حزم في الفلسفة والشريعة وعلوم الدين والتاريخ :

كان ابن حزم من أكثر خلق الله كتابة وتأليفاً ، ويبدو أنه درس وألف في كل صنف من أصناف العلوم ، عدا الرياضة . ومن أسف أن معظم مؤلفاته قد ضاع .

وستتبع في عرض مؤلفات ابن حزم التصنيف الذي اتبعه آسین پلائیوس في كتابه عن ابن حزم^(٥٩) .

(١) الفلسفة : ألف ابن حزم كتاباً في مراتب العلوم والمنطق وفي قد أبي بكر الرازي ، وقد ضاعت كلها . ولكن بقي لنا مما يستحق الذكر من تآليفه كتابه للمسئ « الأخلاق والسير في مداواة النفوس »^(٦٠) . وقد أجل آسین پلائیوس وصفه بقوله : « إنه أشبه بسجل يوميات ، دون فيه ابن حزم ملاحظات أو اعتراضات تحصل بسيرة حياته ، وهذه للملاحظات ترد في الكتاب دون ترتيب يُقصد به إلى التعليم والتربية ، ولم يُراعَ في تنسيقها منطق . ونحن إذ نقرؤه نجد فيه الوقائع كما سجلها رجل يقظ للملاحظة أثناء تجاربه الواسعة ، وصاغها في قالب مبادئ عامة وحكم » . وهذا الأسلوب الوعظي الحكيم الذي اتبعه ابن حزم يجعل كتابه هذا شبيهاً بحكم ديموقريط وسفيكا ؛ ولا يخلو الكتاب مع ذلك من الفقرات الطوال ، كهذه القطعة الجميلة التي يذم فيها الغرور ، أو تلك التي يصارح فيها ابن حزم برذائل وقائص أخلاقية يراها في نفسه ، ويقررها في تواضع وإخلاص يذكراننا باعترافات القديس أوغسطين . وفي مواضع أخرى من الكتاب يصف ابن حزم أخلاق البشر في أسلوب يفيض حيوية ، وتجرد عن الليل والموى . وإن الإنسان ليشر وهو يقرأ كلام ابن حزم في هذا المقام وكأنه يطالع كتب « الأخلاق » التي كتبها ثيوفراست ، أو لابروبيير ، أو مقالات في الأخلاق والسياسة « ليكون »^(٦١) . وأعظم قيمة لهذا الكتاب الأخلاقي — الذي

صدر عن نفس يشوبها التشاؤم والتصوف — هي أنه يقدم لنا صورة حقيقية حية
لنفسية مسلمي الأندلس في القرن الحادى عشر ، وقواعد الأخلاق التى كانت
مرعية فى مجتمهم . هذا إلى جانب تلك الفقرات التى تتصل بحياة ابن حزم
نفسه ، وقد أشرنا إليها فيما سلف .

وإليك بعض أطراف من أقوال ابن حزم وحكمه فى هذا الكتاب :

* « من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم ، ومن كافأ من أساء إليه منهم
فهو مثالمه ، ومن لم يكافهم بإساءتهم فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم . . »

* « أول من يزهد فى الناس من غدر له الناس ، وأول من يمقت شاهد الزور
من شهد له به ، وأول من تهون الزانية فى عينه الذى يزنى بها . . »

* « العرض أعز على الكريم من المال . ينبغى لكريم أن يصون جسمه
بماله ، ويصون نفسه بجسمه ، ويصون عرضه بنفسه ، ويصون دينه بعرضه ؛
ولا يصون دينه شيئاً أصلاً . »

ف ٧٠ :

(ب) الفقه والأصول : ألف ابن حزم كتباً كثيرة فى الحديث والمذاهب ،
ولكن أهمها على الإطلاق هي :

كتاب « الإبطال » (الذى نشر جولدسيهر جزءاً منه) ، وابن حزم يعرض
عليها فيه ضَمَف أصول خمسة اتبعتها بعض المذاهب الإسلامية فى استخلاص
الأحكام الشرعية ، وهي : القياس ، والرأى ، والاستحسان ، والتقليد ، والتعليل .
وأهمية هذا الكتاب راجعة إلى أنه يبين لنا الأسس التى بنى عليها ابن حزم
مجادلاته ونقله للمذاهب الأخرى ؛ وهو الكتاب الأسلى الذى ييسر لنا فيه
دقائق المذهب الظاهرى الذى اعتقده .

وله فى هذا الموضوع أيضاً كتاب « الإيصال إلى فهم كتاب الحاصل » (٦٦) ،

الذى يوجز فيه ابن حزم ما بسطه في كتاب « التلخيص الجليل » لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام » ، الذى ضاع والذى يغلب على الظن أنه شرح لأصول المذهب المالكي وتقدم له ومجادة للمالكيين .

وله أيضاً كتاب « المحلى في الخلاف العالى في فروع الشافعية » (محفوظ بدار الكتب المصرية)^(٦٣) ، الذى يناقش فيه أصول المذهب الشافعى وينقدها ؛ وكذلك كتاب « الفصل » الذى نتحدث عنه فيما يلى .

ف ٧١ :

(ح) غاوس المير : كتب ابن حزم رسالات كثيرة ، نقض فيها آراء أصحاب المذاهب التى اعتبرها منحرفة عن الطريق القويم ، أو دلل فيها على أن أسلوب القرآن معجز لا يشبه فى شيء أى أسلوب من أساليب البلاغة الإنسانية ؛ وقد ضاعت هذه الكتب . وصنف رسالات أخرى مثل : « بيان التحريفات التى أدخلها اليهود والنصارى على نصوص التوراة والإنجيل » ، و « النصائح المنجية من القضايح الخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع : المعتزلة ، والمرجئة ، والخوارج ، والشيعة »^(٦٤) . وهذه كلها مجمعة فى كتاب « الفصل فى الأهواء والنحل » ، الذى نستطيع أن نعتبره بحق « تاريخاً للأديان » ؛ وهو أهم ما كتب ابن حزم فى موضوع الأديان^(٦٥) .

حاول ابن حزم فى دراساته فى موضوع الأديان أن يوفق بين العقل والعقيدة (سابقاً ابن رشد إلى ذلك بقرن من الزمان) ، واجتهد فى أن يطبق على الإلهيات أصول المذهب الظاهرى الذى اعتقده ، متبهماً فى ذلك قواعد عامة أوجزها الأستاذ آسبن بلاثيوس فيما يلى : « الأخذ بالمعنى الحرفى » الظاهر « لفظ القرآن » ، و « الاجتهاد » فى تفسير آية تفسيراً عقلياً طبيعياً ، اجتهداً يقوم على ما ورد فى معاجم اللغة من معانى الألفاظ ، وما قرره القويون من قواعد البلاغة العربية وأصولها ، والتزام ما أجمعت عليه الأحاديث الموثوق فيها بما صرح سنده عن الصحابة أو ما قرره

« إجماع » المسلمين ، وذلك دون « تقليد » لأى مذهب معين ، وقد اعتمد ابن حزم فى ذلك على مذهب القنوص الذى يقول بأن ذات الله وصفاته وأفعاله لا يحيط بها العقل البشرى ، إذ أن الإيمان — على قوله — لا بد أن يصدر عن قلب مدرك لوجود الله بالقطرة ، إذ بغير ذلك لا يتيسر للعقل الإنسانى أن يدرك ذات الله وصفاته وأفعاله » (٦٦) .

ف ٧٢ :

(١) التاريخ : خلف ابن حزم لنا مادة طيبة فى التاريخ ، منها كتاب « جهرة أنساب العرب » (وقد نشره ليثى بروقتسال فى القاهرة سنة ١٩٤٨) ، وهو عظيم الفائدة لمن يدرسون تاريخ الإسلام فى الشرق والأندلس . أما كتاباه « الإمامة والخلافة فى سير الخلفاء ومرتبها والندب والواجب منها » و « فهرست » شيوخه ، فلم نمر عليهما إلى الآن . وبين أيدينا كتابه « نطق العروس » (وقد نشره زايبولد فى غرناطة سنة ١٩١١ ، وأعاد نشره سيكو Seco سنة ١٩٤٦ ثم الدكتور شوقى ضيف فى القاهرة ١٩٥١) ، وهو يضم معلومات مقتضبة جافة عن خلفاء الشرق والأندلس وحكامها ، مرتبة « فصولا بحسب جوامع مختلفة تربط بينهم ، مثل « أول الأسماء التى وقعت على الخلفاء رضى الله عنهم » ، و « تسمية من ولى الخلافة فى حياة أبيه » ، و « من ولى منهم صبيا » ، و « أكثر الخلفاء عمرا » ، وما إلى ذلك » (٦٧) ؛ وكأنما مادة هذا الكتاب نطق كان قد وضعها ابن حزم لينشئ حولها كتابا مطولا . وله كذلك « الرسالة » للشهورة فى « بيان فضل الأندلس وذكر عداوته » ، وقد احتفظ لنا القرى بنصها فى « نفع الطيب » (٦٨) وترجمها جايانجوس إلى الإنجليزية فيما ترجم من أجزاء « النفع » (٦٩) . وقد كتب ابن حزم هذه الرسالة جوابا على ما ورد فى خطاب بعث به أبو على الحسن بن محمد بن أحمد بن الريب التميمى القيروانى إلى أبى النيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن ابن حزم ، « يذكر تقصير أهل الأندلس فى تحليل أخبار علمائهم وما أثر فضلهم

وسير ملوكهم» (٧٠) ، فانبرى ابن حزم يذكر علماء الأندلس ويعدد أفضالهم ومؤلفاتهم في حماس بالغ لوطنه . وقد قال آسین بلاثيوس في حق هذه الرسالة القيمة : « إنها تضم ثبثا بما ألف الأندلسيون في صنوف الآداب والعلوم ، وهي في فصول كل منها يدور حول صنف من العلوم والآداب ، ويذكر ابن حزم أمهات مؤلفات الأندلسيين في كل علم وفن ، وإليك فهرست أبواب الرسالة :

« مقدمة في فضل الأندلس وأهلها ومزايا قرطبة مع ملاحظات طريفة على أخلاق أهل الأندلس — أحكام القرآن والحديث ورجاله والفقه (للالسكي خاصة) — اللغة — الشعر — الأخبار (التاريخ والطبقات) — الطب — العدد والمهندسة — علم الكلام — خاتمة في المقارنة بين أعلام العلماء في المشرق والأندلس» (٧١) .

وقد أكمل على بن سعيد للقرى فوات هذه الرسالة (ف ٧٩) (٧٢) .

ف ٧٣ — كتاب الفصل :

وأشهر ما ألف ابن حزم في مادة التاريخ وأعظمه قيمة هو كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » (٧٣) ، وهو تاريخ نقدي للأديان والفرق والمذاهب (نشر في القاهرة سنة ١٣٢١ . وترجمه إلى الإسبانية آسین بلاثيوس ، ونشره في سنق ١٩٢٧ و ١٩٢٨) ، وهو كتاب ضخم حافل بما فيه من مادة وأفكار ، يعرض فيه ابن حزم لشتى مذاهب الفهم البشري في موضوع الدين ، من الإلحاد المطلق الذي عليه السفطائيون الذين لا يؤمنون بشيء ، بل لا يؤمنون بأن تفكيرهم نفسه حقيقة مجردة ، إلى إيمان المومنين بصدق كل شيء ، ويؤمنون بانحرافات في جهل ، ولا يشكون في شيء .

ثم يقول آسین بلاثيوس : « إن ابن حزم يقسم الناس — من حيث موقفهم من أمر العقيدة — إلى ستة أقسام يرتبها بحسب بعدها أو قربها من الإسلام ، وهي :

(*) استخرجت فهرست « الرسالة » من نصها عند القرى (ج ٢ ، ص ١٠٨ —

١٢١) وقد اقتضى هنا مخالفة الفهرست التي أورده المؤلف عن آسین بلاثيوس .

- أولاً : شك السوفسطائية ، الذين يبطلون الحقائق .
- ثانياً : إلحاد الفلاسفة ، الذين ينكرون وجود إله خالق ويقولون : « إن العالم قديم ، وليس له مدبر » .
- ثالثاً : كفر الفلاسفة ، الذين يقولون : « إن العالم لم يزل ، وله مع ذلك فاعل » . أي ينكرون وجود إله خالق للعالم الأزلي .
- رابعاً : ثنائية الإله التي يقول بها الزردشتيون والمناويون ، وتعدد الآلهة الذي يقول به النصارى المؤمنون بالتثاوث .
- خامساً : توحيد البراهمة والعقليين ، الذين يؤمنون بوجود إله واحد ، ولكنهم ينكرون النبوة والملائكة .
- سادساً : توحيد اليهود ومن أنكر التثليث من النصارى ، ومذهب الصابئة ومن أقر بنبوة زردشت من المجوس وأنكر ما سواه » (٧٤) .
- ثم يأتي الإسلام بعد ذلك ، ويرى ابن حزم أنه العقيدة الإيمانية الوحيدة الحقة ، ورسالة الحمديّة نسخ الله ما أوحى به من قبل إلى أنبياء بني إسرائيل ، بما فيهم عيسى . ويرى ابن حزم في المسيح أنه نبي حق لحسب ، وهو رأي عامة المسلمين فيه . وهو يدرس — في نفس الوقت — ما عليه بعض الناس من عدم الاكتراف للدين ، وما عليه جهلاء العامة من تصديق لكل شيء وإيمان بالمعجزات الكاذبة ، وما يزعمه البعض من تفسير الأحلام واستخراج الأحكام عن طريق النظر في النجوم .
- وعندما يمرض ابن حزم لموضوع النزاع الشديد بين الدين والعقل ، يدرس طبيعة الإيمان عند الروم وعند أهل الفكر والتدبير ، ويقول بالابتعاد عن المنصب الشديد غير الفلسفي ، ولا يرضى كذلك عن اتباع العقل المطلق ، ويرى أن خير العقيدة ما أخذ طريقاً وسطاً بين العقل والإيمان ، بما يطابق تمام المطابقة المذهب « الظاهري » الذي كان هو نفسه عليه .

ولما كانت مذاهب إبطال الخالق إطلاقاً — وهو ما يقول به السوفسطائيون والإلحاديون ومن يقولون بوجود الخالق ولكنهم ينكرون النبوات — تنكر كل الأسس التي تقوم عليها العقائد ، فإن ابن حزم يطيل النظر في هذه المذاهب الثلاثة وينتقها ، ويخرج من ذلك كله بإثبات وجود حقيق للكون ، ويدلل على صدوره عن غيره ، وعلى أنه موقوت بأجل ، ويقول بعد ذلك : « فإن تَمَادَى الكلام وجب بما قد مناه الآنهاية ، والآنهاية في العالم من مبدئه باطل ممنوع محال ، فإذا قد بطل أن يخرج العالم بنفسه ، وبطل أن يخرج دون أن يُخرجه غيره .. فقد ثبت الوجه الثالث ضرورة ، وإذ لم يبق غيره البتة ، فلا بد من صحته ، وهو أن العالم أخرجه غيره من العدم إلى الوجود وبالله تعالى التوفيق » .

ثم يعرض بعد ذلك « لآثار صنعة الله التي لا يشك فيها ذو عقل » ويقول : « وليس هذا البتة من فعل طبيعة ولا بنسج ناسج ولا بقاء ولا صانع أصباغ مرتبة ، بل هو صنعة صانع يختار قاصداً إلى ذلك ، غير ذي طبيعة ، لكنه قادر على ما يشاء . هذا أمر معلوم بضرورة العقل وأوله يقيناً ، كما نعلم أن الثلاثة أكثر من الاثنين ، فصَحَّ أنه خالق واحد أول حق ؛ لا يشبه شيئاً من خلقه البتة ، لا إله إلا هو الواحد الأول الخالق عز وجل » (*) .

وهو ينكر من العقائد الإيمانية الجوسية (وهي الزردشتية) ، وما تقول به من ألوهة أورمز وأهرمن^(٧٥) ، وما يندرج تحتها من مذاهب أشهرها المانوية والتزديقية ؛ وهو ينكر كذلك عقائد الصابئين والنصارى ، ويعتبر هؤلاء الآخرين مشركين لأنهم يقولون بالثالوث . وابن حزم يعرف مذاهب النصارى المختلفة ويفرق بين أولئك الذين ينكرون الثالوث منهم (أصحاب أريوس وأصحاب بواس الشمشاطي وأصحاب مقدونيوس) ، ومن يقولون بالثالوث (الملاكانيون) -- وهم الكاثوليك الأرثوذكسيون -- والتسطوريون واليعاقبة وهم المونوفيزيون) ،

(*) ابن حزم : الفصل ، ج ١ ، ص ٢١ — ٢٣ .

ويعرف كذلك الأقطار التي يسود فيها كل مذهب من هذه المذاهب .

وبعد أن يفرغ ابن حزم من نقض عقيدة الثالوث والتجسد ، يعمى بعد ذلك في إثبات عقيدة التوحيد ؛ وأول ما يتناوله للوصول إلى ذلك هو التدليل على إمكان الوحي الإلهي وضرورته وعلى أنه حق . وفي سياق الكلام في هذا الموضوع ، يقف ابن حزم لحظة ليناقش طائفة من العقليين ، كانوا ينكرون الوحي مؤيدين رأيهم بالقول بأن أجناس البشر نشأت عن أصول متعددة ، خلقت كلها في وقت واحد في أقطار متباينة ، ويثبت لم أن الله تعالى خلق من النوع الإنساني ذكراً واحداً وأُنثى واحدة ، بإجماع آراء أهل الأديان جميعاً (من الهند والجنوس والصابئين واليهود والنصارى والمسلمين) وآراء من يسميهم « البراهمة » (وممن غير شك الشانسيون والبوذيون من أهل الهند) .

وهو يثبت ضرورة الوحي الإلهي بطريقة قريبة جداً من تلك التي اتبناها دونالد^(٧٦) ، عندما تعرض لهذا الموضوع في القرن التاسع عشر . وابن حزم يستند هنا إلى حجة سيُدخلها القديس توما الأكويني فيما بعد في علم الإلهيات عند الإسكولاستيين ، وتقوم هذه الحجة على القول بسجز البشر — عن طريق العقل الصرف — عن الوصول إلى الحقائق الدينية التي لا بد من معرفتها لإدراك الغاية من الدين وحكمته ؛ وسيتمسح ابن رشد في هذه الحجة فيما بعد . والأسلوب الذي يلجأ إليه ابن حزم للتدليل على إمكان الوحي وحقيقته التاريخية شديد الشبه بذلك الذي نجده في رسائل « عن الديانة الحقة De Vera Religione » ، للتداولية بين الإسكولاستيين في أوروبا من القرن الثالث عشر إلى اليوم ، مع فارق بديهي وهو أنه يستعملها للتدليل على صحة رسالة محمد [صلعم] ، وعلى أن القرآن كلام الله أوحى به إلى رسوله دون ريب .

وهكذا يدحض ابن حزم آراء مدرستين فلسفيتين متطرفتين ، كثر أتباعهما إذ ذاك في العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً : الأولى كانت تقول بدين واحد لكافة

البشر ، والأخرى كانت تفكر الأديان المنزلة جميعاً ، نتيجة لما كان يقول به أصحابها من أضاليل .

ولكن ، أى الأديان الثلاثة للمنزلة هو الصحيح : اليهودية ، أم النصرانية ، أم الإسلام ؟ يجيب ابن حزم على هذا السؤال بطريقة يوجزها آسبن پلاطيوس بقوله :

« يذهب ابن حزم إلى أن الإنجيل — بعديهِ : القديم ، والجديد — قد حُرِّفَت كلماتُهُ عن مواضعها على أيدي النصارى واليهود ، وأن كلا هذين الفريقين لا يستطيعان القول بأن ما بأيدي أصحابهما من كتبٍ كتبٌ منزلةٌ ، وخاصة بعد أن نُسخَت عقائدهما بالرسالة المحمدية .

« أما عقيدة اليهود بمذاهبها الخمسة — وهى : السامرية ، والصدوقية ، والعنانية (وهى القرائية ، وم أصحاب عَنان الداودى اليهودى) والربانية (أو التلمودية ، وم الأشعنية وم « جمهور اليهود ») والميسوية (أصحاب أبى عيسى الأسهبانى)^(٧٧) — فيدحضها ابن حزم بالقول بأن كتبها القديمة قد حُرِفَ كلُّها ، ويحتجُّ فى إثبات رأيه بمناقشة نصوص التوراة وغيرها من كتب بنى إسرائيل مناقشة نافذة مطلع عليها ، ويذهب إلى أنه من المستحيل عقلاً أن تكون هذه الكتب قد بقيت على أصولها دون تحريف ، ويدلُّ على ذلك بأدلة يأتى بها من التاريخ .

« أما المسيحية فينكر ابن حزم صحتها ، بالقول بأن الكتب التى تضم عقائدها وقواعدها الأخلاقية ، إما أن تكون من وضع البشر أو حُرِفَت نصوصها الأولى .

« وإن حزم يمتنع فى تفسير ما يمرض من نصوص هذه الكتب — وذلك فى ذاته برهان قاطع على اطلاعه الواسع — متبعاً قواعد مذهبه الظاهرى من التفسير الحرفى الجفاف ، متنبهاً نهجاً تشكيكياً ساخراً فولتيرياً شديداً بما نعرفه

في أيامنا ، دون أن نشعر ونحن نقرأ أنه أحس — ولو إحساساً يسيراً جداً — بما تنطوى عليه المسيحية من « حنواً للمنى » ، أو أنه أدرك فكرتها عن « الله أبى البشر » . ولكن قيمة الكتاب عظيمة جداً في تعريفنا بأفكار المستعربين الإسبان وأحوالهم ، وما كانوا يقومون به من طقوس » .

فإذا فرغ ابن حزم من إبطال آراء النصارى واليهود ، فقد خرج من ذلك بأن الدين الوحيد الصحيح المنزل هو الإسلام . وابن حزم يلجأ في إثبات صحة الرسالة الحمديدية وعُلوية عقيدتها بحجج تشبه تلك التى يستعملها كتاب النصارى في إثبات فضائل النصرانية وميزاتها . ثم يتعرض بعد ذلك لمناقشة المذاهب الإسلامية ليعرف أحدها وأقربها إلى النهج الصحيح . يقول آسبن :

« إن ابن حزم يبدأ بذكر مذاهب الزندقة الأربعة الرئيسية التى ظهرت في الإسلام ، مع ذكر الفرق الفرعية التى تنفرع عن كل منها ، ويعترف بها واحدة فواحدة ، بذكر « محدثهم التى يتمسكون بها » ويكشف عن طبيعتها عن طريق عرض ما يحاول أصحابها مجادلته أو إفساده من الأركان الأساسية لمذهب أهل السنة ؛ فيقول مثلاً إن للرجئة يضلون في فهم الإيمان وما يكون في الآخرة ، والمعتزلة لا يفهمون التوحيد والقدر (حرية البشر في الاختيار) ، والشيمية لا يفهمون معنى الإمامة ، والخارجية يعمون في نفس الخطأ ويقعون كذلك في الخطأين اللذين يقع فيهما المرجئة^(٧٨) .

« ويمتقد ابن حزم أن روح المصيبة الفارسية هي مصدر المذاهب الضالة كلها في الإسلام ، ويقول إن القرس « لما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب — وكانت العرب أقل الأمم عند القرس خطراً — تماظهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالحاربة في أوقات شتى ، ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق . وكان من قادتهم سَنَبَادُ وأُسْتَاذَسِيمُ والمقنع (الكندي) وبَابَكُ (الخُرَمِي) وغيرهم ، وقبل هؤلاء رام ذلك عماد الملقب

بخدش وأبو مسلم السراج ، فأروا أن كيدهم على الحيلة أنجح ، فأظهر قوم منهم على الإسلام واستمالوا أهل التشيع ، بإظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشناع ظلم على رضى الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام (*) ؛ أى أنهم أوهمو الناس أنهم دخلوا الإسلام ، لكي يكون ذلك أعون لهم على إفساد أسرهم وإدخال عقائد المجوسية وطقوسها في رحابه . وقد سلكوا إلى ذلك طريق التأويل لآي القرآن ، ومن هنا تقبين ضرورة التفسير الحرفي « الظاهري » لقرآن حتى ينكشف ضلالمه .

ويجمع ابن حزم الآراء الضالقة التي قال بها أصحاب الفرق والمذاهب المختلفة في موضوع الأركان الأساسية للعقيدة القويعة تحت أبواب خمسة هي :

- التوحيد (الله) .
- القدر (الجبر والاختيار) .
- الإيمان (العقيدة) .
- الوعد والوعيد (الحياة الأخرى) .
- الإمامة (٧٩) .

ثم ينفى في معالجتها في أسلوب قريب مما سار عليه القديس توماس الأكويني في « خلاصة علوم الدين Suma theológica » .

ونتيجة ذلك أن كتاب ابن حزم صار تاريخاً لعل الكلام في الإسلام ، مع اتجاه واضح لبيان فضائله ، وإن لم يتقصه بين الحين والحين ذلك الطابع الموضوعي المتجرد عن هوى صاحبه ، ولكن يعوزه إدراك فكرة تطور العقائد التي غلبت على دراسات تاريخ الأديان في القرن التاسع عشر . وابن حزم يبين لنا في كتابه تيارات الثقافة القديمة ، والمؤثرات النصرانية التي دخلت على الإسلام .

(*) ابن حزم : الفصل ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

ويقول آسبن بلاثيوس : « إننا لا نجد بين أيدينا وثيقة هي أفنى ولا أجدر بالثقة من كتاب «الفصل» لابن حزم تمكّنتنا من تتبع سير تيار الثقافة الذي لم يتوقف أبداً خلال العصور الوسطى فيما يتصل بتاريخ الآراء والمذاهب ، ففي ثلثيا صفحات هذا الكتاب يتجلى لنا ذلك النسيج الذهبي الذي تتألف منه الفلسفة الخالدة ، ذلك النسيج الذي صنمته أوفر عبقريات الإغريق حكمة بأيديها الصبور في مهارة فائقة ، وعلى ضوء صفحاتها نرى كيف يزداد النسيج سعة وامتداداً ، وكيف تدخل في تكوينه على مر العصور أنسجة جديدة ؛ وربما وجدنا أن هذه الأنسجة الجديدة لاتضاهي نسيج الإغريق روعة وبريقاً ولكنها لا تقل عنه متانة وقدرة على البقاء ، ونراها تجود ويزداد إحكاماً بفضل ما أدخله عليها التفكير النصراني الشرقي وما أضافه إليها المسلمون من مادة أوفر . وقد كان المسلمون آخر من انتهت إليهم أطراف هذه العناصر كلها ، ولهذا فقد تجمعت بين أيديهم ثمرات هذا التطور الفكري الفتي وتناجحه ، ومن ثم لم يكن بالسير عليهم أن يسبقوا مفكري النصارى من أهل الغرب في تحليلها ووضع منهجها وأساسها الذين سيقوم عليهما التفكير المنهجي الإسكولاستي في القرن الثالث عشر »^(٨٠) .

وإليك نموذجاً من أسلوب ابن حزم في (الفصل » نتخيره من الفصل الذي يدل فيه على صحة وجود الوحي والنبوة ، قال أبو محمد :

« . . . [فإذا قد أثبتنا أن النبوة — قبل مجيء الأنبياء عليهم السلام — واقعة في حد الإسكان ، فلنقل الآن بحول الله تعالى وقوته على وجوبها إذا وقعت ولا بد ، فنقول :]^(*) إذ قد صح أن الله تعالى ابتداء العالم ولم يكن موجوداً حتى خلقه الله تعالى ، فيقتين ندري أن العلوم والصناعات لا يمكن البتة أن يهتدى أحد إليها بطبعه — فيما بيننا — دون تعليم ، كالطب وسفرة الطبائع والأمراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود الملاج لها بالمقايير التي لا سبيل إلى تجربتها كلها أبداً .

(*) لم يورد المؤلف هذه الفقرة الواردة بين الأقواس ، وإنما رأيت لإيرادها حتى يتصل سياق الكلام في الفقرة التي أوردتها ، وهي التي تلي القوس .

وكيف يجرب كل عقار في كل علة ؟ ومتى يتبياً هذا ولا سبيل له إلا في عشرة آلاف من السنين ومشاهدة كل مريض في العالم ؟ وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر الموائق . وكعلم النجوم ومعرفة دورانها وقطعها وعودها إلى أفلاكها بما لا يتم إلا في عشرة آلاف من السنين ، ولا بد أن يقطع دون ضبط ذلك الموائق التي قلنا . وكالجنة التي لا تصح تربية ولا عيش ولا تصرف إلا بها ، ولا سبيل إلى الاتفاق عليها إلا بالغة أخرى ولا بد ، فصح أنه لا بد من مبدأ للغة ما . وكالحرث والحصاد والدراس والآلات والمعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشي وأخذ الأنسال منها والغرس واستخراج الأدهان ودق الكتان والقنب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخياطته وابسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والأرشاء والسفن وتديرها في القلع بها للبحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النمل ودود الخبز واستخراج المعادن وعمل الأبنية منها ومن الخشب والقضار ، وكل هذا لا سبيل إلى الاهتداء إليه دون تعاليم . فوجب — بالضرورة ولا بد — أنه لا بد من إنسان واحد فأكثر عليهم الله تعالى ابتداءً لكل هذا دون معلم ، ولكن برعى حقه عنده ، وهذه صفة النبوة . فإذا لا بد من نبي أو أنبياء ضرورة ، فقد صح وجود النبوة والنبي في العالم بلا شك ^(٨١) .

ف ٧٤ — آثار ابن حزم الأدبية : « طوق الحمامة في الألفة :

والأدب » ^(٨٢) :

يعتبر الطوق أهم ما ألف ابن حزم في باب الأدب ، وهو رسالة عن « الألفة والألاف » أي الحب والمحبين . ويقع الكتاب في ثلاثين فصلاً يدور كل واحد حول موضوع معين من موضوعات الحب ، مُرسَّلة كلها بطريقة متشابهة . ابن حزم في كل فصل منها ، فيبدأ بتعريف نوع الألفة الذي يدور عليه ، ثم أو يصف خاصية من خصائصه يتخيرها ، ثم يورد طائفة من الحكايات الواردة

يدلل بها على صحة ما يقول ، وتتخلل الكلام كله قطع من شعر ابن حزم نفسه .
ويضع ابن حزم فصول الكتاب كلها في أقسام أربعة تجمع ثلاثين باباً ، وقد
أورد بيان تقسيم كتابه في الباب الأول منه — عن مائتي الحب — فقال :

« وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً ، منها في أصول الحب عشرة .
فأولها هذا الباب ، ثم باب في علامات الحب ، ثم باب فيه ذكر من أحب في
النوم ، ثم باب فيه ذكر من أحب بالوصف ، ثم باب فيه ذكر من أحب من
نظرة واحدة ، ثم باب فيه ذكر من لا تصح محبته إلا مع الطائفة ، ثم باب
التمريض بالقول ، ثم باب الإشارة بالمعين ، ثم باب للرسالة ، ثم باب التفسير .
ومنها في أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر باباً ، وإن
كان الحب عرضاً والعرض لا يمتثل الأعراض ، وصفة والصفة لا توصف . فهذا
على مجاز اللغة في إقامة الصفة مقام للوصف ، وعلى معنى قولنا : وجودنا عرضاً
أقل في الحقيقة من عرض غيره ، وأكثر وأحسن وأقبح في إدراكنا لها هلئنا أنها
متباينة في الزيادة والنقصان من ذاتها للرئية والمعلومة ، إذ لا تقع فيها الكمية
ولا العجزى ، لأنها لا تشغل مكاناً ؛ وهي : باب الصديق المساعد ، ثم باب الوصل ،
ثم باب طي السر ، ثم باب الكشف والإذاعة ، ثم باب الطاعة ، ثم باب
المخالفة ، ثم باب من أحب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها ، ثم باب القنوع ،
ثم باب الوفاء ، ثم باب الفدر ، ثم باب الضنى ، ثم باب الموت .

« ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة أبواب : وهي باب العاذل ، ثم
باب الرقيب ، ثم باب الواشى ، ثم باب الهجر ، ثم باب البين ، ثم باب السلو .
« من هذه الأبواب الستة بابين لكل واحد منهما ضد من الأبواب المتقدمة
الذكر ، وهما باب العاذل وضده باب الصديق المساعد ، وباب الهجر وضده باب
الوصل . ومنها أربعة أبواب لا ضد لها من معاني الحب ، وهي باب الرقيب ،
وباب الواشى ، ولا ضد لها إلا ارتفاعهما . وحقيقة الضد ما إذا وقع ارتفع الأول ،

وإن كان المتكلمون قد اختلفوا في ذلك . ولولا خوفنا إطالة الكلام فيما ليس من جنس الكتاب لتقصيناه .

« وباب البين وضده تصاقب الديار ، وليس التصاقب من معاني الحب التي تتكلم فيها . وباب السلو وضده الحب بعينه ، إذ معنى السلو ارتفاع الحب وعدمه . ومنها بابان ختمنا بهما الرسالة ، وهما : باب الكلام في قبح المعصية ، وباب في فضل التعفف ، ليكون خاتمة لإرادتنا وآخر كلامنا الحضر على طاعة الله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فذلك مفترض على كل مؤمن . لكننا خالفنا في نسق بعض هذه الأبواب هذه الرتبة المقسمة في درج هذا الباب الذي هو أول أبواب الرسالة ، فجعلناها على مبادئها إلى منتهائها واستحقاقها في التقديم والدرجات والوجود ، ومن أول مراتبها إلى آخرها ، وجعلنا الضد إلى جنب ضده . فاختلف المساق في أبواب يسيرة ، والله المستعان » (٨٣) .

يقول ابن حزم إن صور الحب كثيرة : من الحب الإلهي إلى الهوى الذي يقصد به إلى التزاع والمسرة (٨٤) ، ويقول إن أحداً لا يسل من مس الهوى ، سواء أكان من الخلقاء للهديين والأئمة الراشدين ، أم من كبار الرجال ودعائم الدول ، أم من الصالحين والفقهاء (٨٥) .

أما تعريف الهوى في رأى ابن حزم فهو : « اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع ، [لا على ما حكاه محمد بن داود رحمه الله عن بعض أهل الفلسفة : الأرواح أكر مقسومة ، لكن على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها الهوى ومجاورتها في هيئة تركيبها . وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال] . والشكل دائماً يستدعى شكله ، والمثل إلى مثله ساكن ، والمجانسة عمل محسوس وتأثير شاهد ... [والله عز وجل يقول : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها » ، فجعل علاقة السكون أنها منه] . ولو كان علاقة الحب حُسن الصورة الجسدية

لوجب ألا يستحسن الأنقص من الصورة ، [ونحن نحمد كثيراً من يؤثر الأذى
ويعلم فضل غيره ولا يحمد بحيداً قلبه عنه] ، ولو كان للمواقفة في الأخلاق [لما أحب
المرء من لا يساعده ولا يرافقه ، فقلنا أنه شيء في ذات النفس ، وربما كانت
الحبة لسبب من الأسباب وتلك تنفي بقاء سببها ، فمن ذلك لأمر ولّى بعد
انقضائه] ... » (٨٦) .

ويقول ابن حزم إن أهم علامات الحب هي « إدمان النظر ، والعين باب النفس
الشارع ، وهي النقطة عن سرورها والمهيرة لغمازها والعربة عن بواطنها .. » (٨٧) ،
ويبين الأسباب التي ينجم عنها الحب (كالرؤية في النوم أو سماع الوصف وما إلى
ذلك) ، واحدة ذات وقع شديد على الحب : هي الحب من نظرة واحدة ، كما
حدث ليوسف بن هارون الشاعر المعروف بالرمادي مع الجارية خولة ، (وقد
رويناه فيها سبق ، ف ١٥) (٨٨) . ثم يعقد فصلاً عن « أحب صفة لم يستحسن
بمدها غيرها مما يخالفها » (٨٩) يذكر فيه أن « للحب حكماً على النفوس ماضياً ،
وسلطاناً قاضياً ، وأمرأ لا يخالف ، وحداً لا يعضى ، ومُلْكاً لا يُتعدى ، وطاعة
لا تُصرف ، ونفاذاً لا يرد ، وأنه ينقض المرء ، ويحلُّ للمرء ، ويحلُّ الجامد ،
ويحلُّ الثابت ، ويحلُّ للشفاف ، ويحلُّ للمنوع » . ثم يحلل غرائب الحبين
ويقول : « لقد شاهدت كثيراً من الناس لا يتهمون في تمييزهم ، ولا يخالف عليهم
سقوط في معرفتهم ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في خدمتهم ، قد وصفوا
أحباباً لم في بعض صفاتهم ما ليس بمستحسن عند الناس ولا يَرْضَى في الجلال ،
فصارت هجرهم وعرضة لأهوائهم ومتعياً استحسانهم . ثم مضى أولئك إما بسلو
أو بين أو هجر أو بعض عوارض الحب ، وما تارقهم استحسان تلك الصفات
ولا بان عنهم تفضيلها » . ومضى يحلل عشق الناس لهذه الصفات الخاصة ، حتى
الشائه منها ، ويقول : « وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة إلى التصرف
أحب طويلاً بعد هذا » ، ثم يقول : « دعني أخبرك : إنني أحببت في صباهي

جارية لى شقراء الشعر ، فما استحسنفت من ذلك الوقت سوداء الشعر ، ولو أنه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه »^(٩٠) ، « وأما جماعة خلفاء بنى مروان ، رحمهم الله ، فكلهم محبوبون على تفضيل الشقرة لا يختلف فى ذلك منهم مختلف »^(٩١) . ثم يقول أبو محمد فى « باب الوصل » : « .. ولقد جربت اللذات على تصرفها ، وأدركت الحفظ على اختلافها ، فالذنو من السلطان ، ولا المال المستفاد ، ولا الوجود بعد العدم ، ولا الأوبة بعد طول التيبة ، ولا الأمن بعد الخوف ، ولا التروح على السال ، من الموقع فى النفس ما للوصل ، لا سيما بعد طول الامتناع وحلول المجر حتى يتأجج عليه الجوى ويتوقد لميب الشوق وتنصرم نار الرجاء . وما أصناف النبات بعد غيب القطر ، ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحاب الساريات فى الزمان السجسج ، ولا تحرير المياه المتخلة لأفانين النوار ، ولا تأنق القصور البيض قد أحرقن بها الرياض الخضر بأحسن من وصل حبيب قد رُضيت أخلاقه ومُحدث غرائزه وتقابلت فى الحسن أوصافه .. »^(٩٢) .

ويذكر ابن حزم صوراً متعددة للهوى العذرى ، والحب فى هذه الصور كلها إنما هو عاطفة نبيلة رفيعة . ويقول إن هناك وجوهاً كثيرة للفتوح بالحب ، منها : الاطمئنان على سلامة الحبيب (وهو أمر سيورده دانتى عندما يتحدث عن سلامة بياتريس) ، ويقول حيناً : « وما يدخل فى هذا الباب شيء رأيت وراء غيرى معى ، أن رجلاً من إخوانى جرحه من كان يحبه بمعية ، فلقد رأيت يقبل مكان الجرح ويندبه مرة بعد مرة »^(٩٣) . ويذكر حيناً آخر كيف يقنع الحب بتقبيل التراب الذى وطئه قدم الحبيب ، ويقول : « وأخبرنى بعض إخوانى عن سليمان بن أحمد الشاعر أنه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقلية ، وذكر أنه كان غاية فى الجمال ، فشاهده يوماً فى بعض التزهات ماشياً وامرأة خلفه تنظر إليه ، فلما أبدأت إلى المكان الذى قد أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلم الأرض التى فيها أثر رجله »^(٩٤) (وهو أمر سيقطه فيما بعد شاعرنا المبدع ماثياس Macias) . وينشد ابن حزم فى

هذا المعنى الأبيات التالية على لسان تلك التي قبلت موطناً قدم الحبيب :

يلومونني في موطنٍ خُفَّ خطا ولو علموا عاد الذي لام يحسد
فيا أهل أرض لا تجود سحابها خذوا بوصاتي تستحقوا وتحمدوا
خذوا من تراب فيه موضع وطئه واخمن أن المَحَل عندكم يبعد
فكل تراب واقع فيه رجله فذاك صعيد طيب ليس يحسد
كذلك فعل السامري وقد بدا لعينه من جبريل أثر محمد
فصير جوف العجل من ذلك الذي قمام له منه خوار محمد^(٩٥)

ثم يقول إن « مزار الطيف » في النوم هو الهواء والشفاء لكل محب مهجور قد تطاول غمه ، أو لمن عدا عادى للنون على محبه ، فإذا كان راضياً عنا زارنا طيفه في النوم . ومزار الطيف — على قصر مداه ووقوعه في جانب النوم — إنما هو شيء يختصنا ، وعن طريقه نرى من عالم الموت بمن نحب ، ونستعيد لذاذات العيش التي ذهبت بها صروف الزمان ، ويخيل إلينا أننا نفساً أن من نحب قد مضى وواراه التراب^(٩٦) .

ومن أحسن فصول الكتاب إبداعاً الفصل الذي يدور حول السلو ، فهو يصور لنا الموت القاسي الذي لا يرد في صورة هي أقوى من الحب نفسه . والسلو أمر يُعَاتَب فيه أو يُصَفَّح عنه حسب أسبابه ، فإذا كان سببه الإعراض وبجرد الرغبة في التبديل فهو مذموم مستنكر ، وأما إذا كان سببه الفراق الذي لا حيلة فيه أو البعد المحنوم عن الحبيب (كما حدث لابن حزم في هواه بإنسانته بجهولة) ، أو جفوة الحبيبة أو خيانتها ، فلا لوم فيه . وإذا كان الدافع إليه أرفق طاقة المحبين ، كالموت أو البعد الطويل ، فلا عيب فيه على المحبين كذلك .

ويروى ابن حزم حكايات كثيرة عن الشهادة في سبيل المولى ، فيذكر لنا أخبار ناس مانوا إذ قتلوا الحبيب ، أو لأنهم لم يستطيعوا البوح بما ختمته جوانحهم . ومن أغرب هذه الحكايات قصة رجل أندلسي « باع جارية كان يمد بها وجداً

شديداً لفاقة أصابته من رجل من أهل ذلك البلد ، ولم يظن بأشها أن نفسه تتبعها ذلك التتبع . فلما حصلت عند المشتري كادت نفس الأندلسي تخرج ، فأبى إلى الذي ابتاعها منه وحكمه في ماله أجمع وفي نفسه ، فأبى عليه . فحصل عليه بأهل البلد ، فلم يسعف منهم أحداً ، فكاد عقله أن يذهب ، ورأى أن يتصدى إلى الملك . فتمرض له وصاح ، فسمعه فأمر بإدخاله ، والملك قاعد في علية له مشرفة عالية ، فوصل إليه فلما مثل بين يديه أخبره بقصته واسترحه وتضرع إليه ، فرق له الملك فأمر بإحضار الرجل للبتاع فحضر ، فقال له : « هذا رجل غريب وهو كما تراه ، وأنا شفيعه إليك » فأبى للبتاع وقال : « أنا أشد حبا لها منه ، وأخشى إن صرفتها إليه أن أستغيث بك غداً وأنا في أسوأ من حالته » ، فرام به الملك ومن حواريه من أسوالم فأبى ، ولج واعتذر بمحبته لها . فلما طال المجلس ولم يروا منه البتة جنوحاً إلى الإسفاف قال للأندلسي : « يا هذا ، مالك بيدي أكثر مما ترى ، وقد جهدت لك بأبلغ سعى ، وهو تراه يعتذر بأنه فيها أحب منك ، وأنه يخشى على نفسه شراً مما أنت فيه ، فاصبر لما قضى الله عليك » ، فقال له الأندلسي : « فإلى بيدك حيلة ؟ » فقال له : « وهل لها هنا غير الرغبة والبهل ؟ ما أستطيع لك أكثر » . فلما يئس الأندلسي منها جمع يديه ورجليه وانصب من أعلى العلية إلى الأرض ، فارتاع الملك وصرخ فاجتدر إليه الفلمان من أسفل ، فقضى أنه لم يتأذ في ذلك الوقوع كبير أذى ، فصعد به إلى الملك فقال له : « ماذا أردت بهذا ؟ » فقال له : « أيها الملك ، لا سبيل لي إلى الحياة بعدها » ، ثم هم أن يرمي نفسه ثانية فتمنع ، فقال الملك : « الله أكبر ، قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة » . ثم انفت إلى المشتري فقال له : « يا هذا ، إنك ذكرت أنك أود لها منه ، وتخاف أن تصير في مثل حاله » ، فقال : « نعم » . قال : « فإن صاحبك هذا أبدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت لولا أن الله عز وجل وفاه ، وأنت قم فصحيح حبك وترام من أعلى هذه القصة كما فعل صاحبك ، فإن مت

فبأجلك وإن عشت كنت أولى بالجارية ، إذ هي في يدك ، ويمضى صاحبك عنك . وإن آيت نزعُ هذه الجارية منك رغماً ودفعها إليه . فتمنع ثم قال : « أترأى ! » ، فلما قرب من الباب ونظر إلى الهوى تحت رج القهقري ، فقال له الملك : « هو والله ما قلت » . فهم ثم نكل ، فلما لم يُقدم قال له الملك : « لا تهلاعب بنا . يا غلمان ! خذوا بيديه وارموا به إلى الأرض » . فلما رأى العزيمة قال : « أيها الملك ، قد طابت نفسي بالجارية » ، فقال له : « جزاك الله خيراً » ، فاشتراها منه ودفعها إلى صاحبها وانصرفا ^(٩٧) .

وكتب ابن حزم هذا يقدم لنا تفاصيل عظيمة القيمة عن حياة الأندلسيين في بيوتهم خلال القرن الحادى عشر ، فهو يصور لنا المآسى التي كانت تحدث في بيوت المسائير خفية تحت ستر شتى على أيدي « بعض صنوف النساء ، كالطبيبة والحجامة والسرافة والدالة والملاطبة والمنغية والسكاهنة والمطعة والمستغفنة والصانع في المنزل والمنسج وما أشبه ذلك » ^(٩٨) . ويحدثنا بقصص المحبين ذوي الحيلة والابتكار أو المستهترين والأنذال ، ويذكر كيف أن سيدة من شريفات أهل قرطبة قضت ليلة كاملة متدثرة بملابس بعلها المتوفى ، ويحدثنا عن المنصور بن أبى عامر في علاقاته بمن كان يهوى من النساء ، فيذكر أنه كان ملولاً من النساء « برى الجارية فلا يصبر عنها ، ويمحق به من الاعتناء والمم ما يكاد أن يأتى عليه ، حتى يملكها ولو حال دون ذلك شوك القتاد . فإذا أيقن بتبصيرها إليه عادت المحبة نهاراً ، وذلك الأنس شروداً ، والتعلق إليها قلقاً منها ، وزواجه نحوها نزاعاً منها ، فيبيعها بأوكس الأثمان . هذا كان أكثر دأبه حتى أتلف فيما ذكرنا من عشرات ألوف الدنانير عدداً عظيماً ... ولقد مات من محبته جوارٍ كن علقن أو هامهن به ، فخانن فيما أمّله منه فصرن رهائن البلى وقتلن الوجد » ^(٩٩) .

ويروى لنا كذلك كثيراً من مآسى الروائيين (بنى أمية) ، ويذكر كيف أن بعضهم قضى نحبه شهيد الهوى . والكتاب إلى ذلك حافل بالمعلومات القيمة

عن حياة ابن حزم نفسه ، تعرف منها شيئاً من أخلاقه وما عرض له من الحب ، ونلم بالكثير من أصحابه ووقائع حياته السياسية . كل هذا يضمه « طوق الحمامة » إلى جانب تحليل عاطفة الحب وما يتصل بها تحليلاً نفسياً لطيفاً ، فضلاً عما يضمه الكتاب من مقطعات شعر ابن حزم الجميل ، وقد تحدثنا عنه فيما سلف (ف ١٩) .

هذا ، ويحدثنا الحميدى — وكان تلميذاً لابن حزم وشديد الصلة به — عن « ديوان » يجمع شعر ابن حزم ، وقد ضاع هذا الديوان . وأورد السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٠ ، ص ١٨٤) نص قصيدة لابن حزم — في سياق كلامه عن رسالة بحث بها إمبراطور الروم نقفور فوكاس إلى الخليفة المهدى يذم فيها الإسلام — وقصيدة ابن حزم هذه أقرب إلى أن تكون مديحاً للإسلام منها إلى نقض النصرانية .

ف ٧٥ — مدرسة ابن حزم :

ولم تلبث طريقة ابن حزم — بعد تطبيقها على علوم الدين والفقه — أن أصبحت مذهباً قائماً بذاته حل محل المذهب الظاهرى ، وكون أتباعه فرقة عرفت « بالحزمية » ، نذكر من رجالها ممن أخذ عن ابن حزم مباشرة صاعداً الطليطل (ف ٧٦) ، والفقهاء المحدث ابن عبد البر (ف ١٣٠) ، وأبا النجاة سالم بن أحمد بن فتح القرطبي (توفى ١٠٦٨/٤٦١) القى ارتفع بنفسه عن طريق الدراسة من رقاء بسيط إلى كاتب أمير ، وقد اجتهد في إذاعة نسخ مؤلفات ابن حزم ، والحميدى المحدث المؤرخ ، وشريح بن محمد بن شريح الرضخنى للقرى المحدث (٤٥١ — ١٠٥٩/٥٣٩ — ١١٤٤) ، وأبا محمد بن العربى والد الفقيه المعروف أبى بكر بن العربى .

وقد انتقل مذهب ابن حزم إلى المشرق وذاع بين أهله ، وأثنى أبو حامد الغزالى على بعض كتبه^(١٠٠) ، واختصه الجغرافى للأورخ ياقوت الحموى بترجمة

طويلة وافية . أما في المغرب والأندلس فإتنا نجد طائفة كبيرة من المؤلفين حملت مؤلفاتهم طابع « المذهب الحزمي » ، ومن أولئك محمد الأنصاري الحنوفى ، وأبو بكر ابن باشر الأنصارى ، وخضر بن محمد بن عمر التجيبى وغيرهم . ونصادف كذلك خصوصاً للمذهب ابن حزم وطريقته ، ومن أولئك الفقيه الأشعرى أبو بكر ابن العربى ، وأبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد اليابرى^(١٠١) وغيرهم كثيرون .

وقد مال محمد بن تومرت مهدى الموحدين إلى مذهب ابن حزم ، إذ وجد فيه ما يؤيد دعوته . ووصل نفر من فقهاء الحزمية إلى كبار المناصب ، ومن أولئك الفقيه النرناطلى أبو سليمان بن حوط الله ، وقد ولى قضاء إشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة ، وعلى بن عبد الله بن يوسف بن خطاب الماعفرى قاضى إشبيلية ، والحافظ أبو بكر بن سيّد الناس خطيب مسجد تونس ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبى الخليل المعروف بابن الرومية^(١٠٢) النبائى الإشبيلى المعروف ، وأبو الخطاب بن دحية الذى أنشأ له سلطان مصر « الكامل الأيوبي » مدرسة الحديث الكاملية ليقرى الطلاب فيها . ومن أتباع المذهب الحزمى -- أو الآخذين بتأحيه منه -- محمى الدين بن عربى (ف ١١٣) ، والفيلسوف ابن رشد (ف ١٠٨) .

وقد أسرع المذهب الحزمى إلى الزوال بعد انقضاء أمر الموحدين ، ولم تعد نجد من أتباعه خلال القرن الثالث عشر الميلادى إلا عدداً قليلاً من الناس ، مثل أثير الدين أبى حيان النحوى (ف ٦٠) ، وأحمد بن صابر القيسى الشاعر وكان كاتباً للأمير أبى سعيد فرج وهو ابن محمد بن نصر أول سلاطين بنى الأحمر .

وفى مصر نشهد آخر مظهر لوجود للمذهب الحزمى ، فقد اجتهد أحد البرهان (٧٠٣ - ٨٠٧ / ١٣٠٤ - ١٤٠٥) فى إحياء معالم ذلك المذهب على غير جدوى ؛ وعن أثنى عليه تقى الدين المقرئى (٧٦٥ - ٨٤٥ / ١٣٦٤ - ١٤٤٢) ، وعبد الوهاب الشعرانى الصوفى المشهور (المتوفى سنة ٩٧٢ / ١٥٦٥) ، ونشهد فى

مراكش شيئاً شبيهاً بذلك في تضاعيف الحركة السياسية العنيفة التى أثارها أبو عبد الله محمد الأندلسى نزىل مراكش على أيام مولاي عبد الله الغالب (٩٦٤ - ٩٨٠ / ١٥٥٧ - ١٥٧٣) ؛ وقد مات أبو محمد الأندلسى على يدى خليفة مولاي الغالب ، وهو الشريف المتوكل ، إذ صلبه على باب داره ؛ ومات المتوكل نفسه ميتة شمة ، إذ قتل أثناء هزيمة « القصر الكبير » Alcàzarquivir وهلك معه فى نفس الموقعة حليفه سياستيان ملك البرتغال .

ف ٧٦ - أبو الفاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد

الطبطبلى (٤٢٠ - ٤٦٢ / ١٠٢٩ - ١٠٦٩) :

ولد فى المرية وسكن قرطبة ، وكان تلميذاً لابن حزم ، وقد ولى قضاء طابطة ليعبى بن ذى النون ، وهو مشهور بمؤلفه التاريخى « طبقات الأمم » (طبعة الأب لويس شيخو الكرملى فى سنة ١٩١٢) ، وهو موجز للتاريخ البشرى . درس صاعد فى كتابه هذا أم (أجناس) البشر ، كالفرس والكلدانيين واليونانيين (الإغريق) والروم والقبط (المصريين) والمنود وأهل الصين . « وهذه الأمم — على كثرة فرقتهم وتخالف مذاهبهم — طبقتان : طبقة عنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف ؛ وطبقة لم تُعن بالعلم عناية تستحق بها اسمه أو تعدّ من أهله ، فلم تنقل عنها فائدة حكمة ولا رويت لها نتيجة فكرة . فأما الطبقة التى عنيت بالعلوم فثمانية أمم : الهند والفرس والكلدانيون والبرانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب ، وأما الطبقة التى لم تُعن بالعلوم فبقية الأمم بعد من ذكرنا من الصين وآجوج ومآجوج والترك وبرطاس والسريز والخزرج وجيلان وطبلشان ومدقان وكشك والصفالبة والبرغى والروس والبرجان والبرابر ، وأصناف السودان من الحبش والنوبة والزنج وغانة وغيرهم » ^(١٠٣) .

ثم يوجز بعد ذلك تاريخ كل أمة من أمم الطائفة الأولى ، ويمدد مزاي

أهلها ، ويذكر ما برز فيه أهلها من أصناف العلوم ، ومن ظهر فيها من الأعلام في كل فن . وقد أثنى جايانجوس على الجزء الذى تحدث فيه صاعد عن اليونان والرومان ، لكونه صادراً عن مؤلف مفكر عربى ، فهو يدلنا على ما عرف العرب من علوم هاتين الأمتين ^(١٠٤) .

وقد احتفظ لنا المقرئ كذلك فيما أورده من « ذيل ابن سعيد على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس » مؤلفاً باسم « كتاب التاريخ » وضعه أبو جعفر ابن عبد الحق الخزرجي « بدأ فيه من الخليقة إلى أن انتهى في أخبار الأندلس إلى دولة عبد المؤمن . وقال ابن غالب صاحب « كتاب فرحة الأنفس » عن الخزرجي أنه فارقه سنة ٥٦٥ (١١٦٩ م) » ^(*) .

ف ٧٧ — تواريخ الدول :

حظيت دول الطوائف التى قامت بعد انتشار الخلافة الأموية الأندلسية بعناية نفر من المؤرخين ، فأنصرفوا إلى ذكر أخبارها . فكتب ابن معمر (عبد الرحمن بن محمد ، ويكنى أبا الوليد ، توفى سنة ٤٢٣/١١٣١) تاريخاً « للدولة العمارية إلى آخرها » ^(١٠٥) ، وكذلك صنف حسين بن عاصم (التوفى سنة ٤٤٩/١٠٥٨) كتاب « المآثر العمارية » في سيرة المنصور محمد بن أبى عامر وغزواته وأوقاتها ^(١٠٦) . وكذلك أشاد بأعمال المنصور نظماً أحمد بن دراج القسطلي (المتوفى سنة ٤٢١/١٠٣٠) وعبد الملك بن مروان الجزيري ^(*) ^(١٠٧) .

وقد كتب محمد بن يوسف الشلبي (عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين) تاريخاً لبني عباد أصحاب إشبيلية ، وعنى أبو بكر بن اللبانة الداني صديق المصنف بجمع أشعارهم .

وعند ما خلع المرابطون عبد الله بن بلسكين — حفيد باديس بن زيرى —

(*) قسح ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(*) عدلت هذه الفقرة بعض الشيء .

عن عرشه ونفوه إلى المغرب ، عكف على تدوين مذكراته وجعل عنوانها « التبيان من الحادثة الكائنة على غرناطة » ، سجل فيها بيده تاريخ بنى زيرى فى الأندلس تسجيلا فريدا صادرا عن رجل منهم ، وأورد فيه من الملاحظات الدقيقة والمعلومات القيمة ما يندر أن نجده فى أثر آخر من آثار التاريخ الإسلامى (١٠٧) .



٣ — عصر المرابطين والموحدين

ابن صاحب الصلاة — بنو سعيد : على بن
سعيد القرني — عبد الواحد للراكدى وغيره
من المؤرخين للراكشين — التورى

لم يخرج هذا العصر مؤلفات ذات شأن فى التاريخ ، وإن كان أهله قد خلفوا لنا عددا طيبا من معاجم التراجم ؛ ثم إن القليل من المؤلفات التاريخية الذى تنسبه المزاج إلى هذا العصر قد ضاع معظمه ، ولا نظفر بمؤرخ ذى أهمية إلا فى العصر الذى تلاه ، عصر انهيار سلطان المسلمين من الجزيرة انهيارا متصلا واضحا ، هناك تلقى ابن سعيد للقرني .

ف ٧٨ — ابن صاحب الصخرة ، عبد الملك بن محمد بن على بن إبراهيم

أبو مروان الباجي :

تحدثنا المراجع أن ابن الصيرفى (أبا بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى الفرناطى المتوفى سنة ٥٥٧/١١٧٤) كاتب الأمير المرابطى أبى حامد بن تاشفين (٥١٩ — ٥٣٠/١١٢٦ — ١١٣٦) كتب كتابا فى « أخبار دولة لشونة » (١٠٨) ، وأن أبا الحسن السالى — الذى يشير ابن الأبار إلى كتاباته كثيرا — كتب كتابا فى « أخبار الفتنة الثانية بالأندلس » روى فيه أخبار الصراع بين المرابطين والموحدين ، وبدأ من سنة ٥٣٩/١١٤٤ ورتبه على السنين ،

وبلغ به سنة ١١٥٣/٥٤٧ . ولكننا لم نعث إلى الآن على هذين الكتابين ، وكذلك ضاع كتاب في « فضائل أهل الغرب » لـ يسع بن عيسى بن حزم الغافقي (المتوفى سنة ١١٧٩/٥٧٥) . وهو من أهل بلنسية وأصله من جيان وسكن المرية ثم مالقة ، يكنى أبا يحيى ، وله تأليف سماه « الثعرب في محاسن الغرب » ، جمعه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب باللهيار المصرية ، بعد أن وصل إليها من الأندلس سنة ١١٦٤/٥٦٠^(١٠٩) . وكذلك ضاع كتابان آخران لأبي القاسم بن البراق الوادي أشفى في « تاريخ الأندلس » و « تاريخ معاوية » ومُدحة في النبي (صلم) . وليست هذه الكتب كلها بذات أهمية كبيرة ، وأهم منها كتاب ابن عبد الملك ابن صاحب الصلاة البرجي المتوفى سنة ١١٨٢/٥٧٧ للمسي « للن بالإمامة على المستضعفين » ، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، وظهور الإمام المهدي وتاريخ الموحدين » في تاريخ الرابطين والموحدين ، ولدينا الجزء الثاني منه ويبدأ بأخبار ثورة محمد بن سعد بن مردائش على الموحدين في مرسية وشرق الأندلس في سنة ١١٥٩/٥٥٤ ، وينتهي في سنة ١١٨٤/٥٨٠ . [وقد هيا هذا الجزء للطبع الأستاذ إميليو غرسية غومس] ، وأسلوب ابن صاحب الصلاة رشيق ، وقد أجمع كتاب المسلمين على القول بأن كتابه هذا من أحسن ما كُتب في تاريخ الرابطين (والموحدين) وقد اعتمد عليه من أتى بعد ابن صاحب الصلاة من المؤرخين^(١١٠) .

ف ٧٩ — بنو سعيد :

عنى بنو سعيد بالأدب وظهر من بينهم كثير من أهل ، وقد ألمنا فيما سلف بذكر أبي جعفر بن سعيد صاحب حفصة الركونية (ف ٤٠)^(١١١) ، ومن أهل الأدب من بنى سعيد أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (المتوفى سنة ١٢٤٢/٦٤٠) ، وكان جماعة للكتب وبلغ من شغفه بها ما حكاها ابنه علي بن سعيد من أنه بعد أن ولاء ابن هود الجزيرة الخضراء ، « أعلمه شخص أن عند أحد

النسوبين إلى بيت نباهة كراريس من شعر شعرائها وأخبار رؤسائها الذين تحتوى عليهم دولة بني عبد المؤمن ، فأرسل إليه راغباً في استمارتها فأبى وقال : « على عيين ألا يخرج من منزلي » وقال : « إن كانت له حاجة يأتي على رأسه » ، وكان جاهلاً ، فلما سمع والدي ضحك وقال : « سرى إليه » فقلت له : « ومن يكون هذا حق نمشي له على هذه الصورة ؟ » فقال : « إني لا أمشي له ، ولكن أمشي للفضلاء الذين تضمنت الكراريس أشعارهم وأخبارهم . أترام لو كانوا أحياء مجتمعين في موضع أغت أن أمشي إليهم ؟ » ، قلت : « لا » ، قال : « فإن الأثر ينوب عن المين » . فشبنا إلى منزل الرجل فوافقه ما أنصفنا في اللقاء ، فلما قضينا منها الغرض صرفها إليه والدي وشكره وقال : « هذه فائدة لم أجدها عند غيرك جزاك الله خيراً » ، ثم انفصل وقال : « ألم تعلم يا بني أني سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية ؟ وإن هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها . » (١١٣)

[وحكي ابنه علي بن سعيد عنه أيضاً قائلاً : « وما شاهدته من مجائبه أنه ماش سبهما وستين سنة ، ولم أره يوماً يتخلى من مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده ، حتى أيام الأعياد لا يخلها من ذلك . ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب فقلت له : « ياسيدي ، أفى هذا اليوم لا تستريح ؟ » فنظر إلى كالمغضب وقال : « أظنك لا تفلح أبداً ! أترى الراحة في غير هذا ؟ والله لا أحسب راحة تباهج مبالغها ، ولوددت أن الله يضاعف عمري حتى أنتم كتاب المغرب على غرضي » ، قال : « فأنار ذلك خاطري أن صرت مثله لا ألتذ بنعيم غير ما ألتذ به من هذا الشأن ، ولولا ذلك لما بلغ هذا التأليف إلى ما تراه »] (١١٣)

وقد اشترك بنو سعيد في تأليف كتاب « المغرب » ، وهو إكمال لما أرادته الحجازي عند ما كتب كتابه « المسهب » وهو وضع تاريخ كامل للأندلس . وبدأ بذلك منهم عبد الملك بن سعيد (المتوفى سنة ٥٦٠ / ١١٩٤) ، ثم تابع عمله ابنه محمد (٥١٩ - ١١٢٥ / ٥٨٩ - ١١٩٣) وأبو جعفر أحمد (المتوفى سنة

(١١٦٣/٥٥٩) ثم موسى بن محمد بن سعيد (المؤلف سنة ١٢٤٣/٦٤٠) وأمه آخرم
 واسطة عقدم أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (٦٠٩ - ١٢١٣/٦٧٣ -
 ١٢٧٤).

وقد ولد أبو الحسن علي بن سعيد المغربي فيما بين سنق ١٢٠٨/٦٠٥ و ٦١٠/
 ١٢١٤ في قلعة يَحْصَب Alcalá la Real^(١١٤)، ودرس اللغة والشعر على أبي علي
 الشلويني وأبي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم في إشبيلية، ثم رحل إلى المشرق
 في صحبة والده للحج. وتوفي أبوه سنة ١٢٤٣/٦٤٠ بالإسكندرية، فذهب ابن سعيد
 إلى القاهرة وأقام بها إلى سنة ١٢٤٧/٦٤٤؛ ووفد على مصر في ذلك الحين
 كمال الدين عمر بن محمد بن أبي جراحة - المعروف بابن المديم - فاتصل به علي
 ابن موسى، وحبيب إليه ابن المديم الرحلة معه إلى حلب؛ وزار في رحلته تلك
 دمشق والموصل والبصرة وأرجان، يقرأ على الشيوخ والفقهاء ويطلع على الكتب،
 ثم حج إلى بيت الله الحرام وعاد إلى مصر بالمغرب. وفي سنة ١٢٥٤/٦٥٢ نجده
 في تونس حيث طال مقامه فيها ودخل في خدمة أميرها أبي عبد الله المستنصر
 الحفصي (٦٤٧ - ١٢٤٩/٦٧٥ - ١٢٧٦)، ثم رحل إلى المشرق مرة أخرى
 (١٢٦٧/٦٦٦) حيث أدركته المنية في دمشق سنة ١٢٧٤/٦٨٥.

والاسم الكامل للكتاب العروف بالمغرب هو «كتاب فلك الأرب، المحيط
 بحل لسان العرب»؛ وينقسم إلى كتابين كبيرين: «للمغرب في حلّ المغرب»،
 و«للمشرق في حلّ المشرق»^(١١٥). والأول تاريخ للمغرب والأندلس فيما بين
 سنق ٥٢٩ و ١١٣٥/٦٤٠ و ١٢٤٣، وقد أكثر المؤرخون من النقل عنه، وكان
 يقع في خمسة عشر مجلدا لم يبق لنا منها إلا العاشر والحادي عشر وموضوعهما
 جغرافية الأندلس وضفة نواحيها، وقد احتفظ لنا المقيى بهذا الجزء. أما بقية
 ما بين أيدينا من هذين الجزئين من موسوعة بنى سعيد، فتوجد مخطوطة بدار
 الكتب المصرية بخط علي بن سعيد نفسه، وقد نسخت منها صورة توجد

في مكتبة مجمع التاريخ الإسباني في مدريد ، وهي أوراق متناثرة في غير نظام تدور حول المغرب ومصر . ثم عثر معهد المخطوطات التابع للإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية في القاهرة على قطعة جديدة من « المغرب » ضمت نحو ٢٣٠ ورقة منه ، اتضح أنها جزء من مخطوطة القاهرة ، وقد جمع هذه الأوراق كلها ورتبها الدكتور شوقي ضيف واستطاع أن يتبين النظام العام لهذا الكتاب ، وإليك طرفاً من كلام الدكتور ضيف في تقديمه للجزء الذي نشره من « المغرب » (*) :

« من يرجع إلى مقدمة « المشرق في حلى المشرق » يجد على بن سعيد يوضح منهج التأليف فيه وفي المغرب بقوله : « كل من التصنيفين مرتب على البلاد ، حتى ذكر بلاد ذكرت كورة ، وأتكلّم عليه وعلى كل كورة منه . . . وأبتدى بكرسى مملكتها وقاعدة ولايتها بحسب مبلغ [على] من إعلام بمكانها من الأقاليم ومن بناها وما يحف بها من سهر أو منزلة أو خاصة معدنية ونباتية ، ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولى النواريح التي لا يجب إغفالها . ثم تأخذ في الطبقات واحدة بعد أخرى ، وهي خمس : طبقة الأمراء ، وطبقة الرؤساء ، وطبقة العلماء ، وطبقة الشعراء ، وطبقة الفقهاء . [والأربع الأولى] مخصوصة بمن له نظم من أولى الخطوط المذكورة ، ولما تفسر تقف عليه في مواضعه . وطبقة الفقهاء مخصوصة بمن ليس له نظم من أى صنف كان ، ممن لا يجب إغفالها ، وفيها من النوادر والمضحكات ما يكون [مثل] الأحماض » .

« وهذا المنهج العام لتأليف « المشرق والمغرب » جميعاً طبقه على بن سعيد على هذا النص الخاص بالأندلس تطبيقاً دقيقاً ، فبدأ بالحديث عن الأندلس وخصائصها وفضائلها ، ثم خرج إلى كورة الأندلس كورة كورة . وقد سمي هذا القسم كله الخاص بالأندلس « كتاب وثى الطرس في حلى جزيرة الأندلس » . ثم رجع قسم

(*) عدلت هذه الفقرة بما يناسب ما وصلنا إليه من العلم بكتاب المغرب . وأحيل القارئ على مقدمة كتابنا هذا للإلمام بأعمال بنو سعيد عامة .

الأندلس إلى غرب ومؤسطة وشرق ، وأفرد لكل قسم كتابا : فسمى كتاب الغرب « كتاب العُرس في حُلَى غرب الأندلس » ، وسمى كتاب المؤسطة « كتاب الشفاء اللُحس في حلى مؤسطة الأندلس » ، وكتاب الشرق « كتاب الأُنس في حلى شرق الأندلس » . ثم أخذ يقسم كل كتاب من الكتب الثلاثة إلى ممالك ، وقسم كل مملكة إلى كورها المختلفة ، ووزع على ذلك كله الطبقات الخمس التي سماها في مقدمة « المشرق » . وكل مملكة ، بل كل كورة ، بل كل بلدة في كورة ، نجد لها كتاباً مفرداً . وقد قسم الغرب إلى سبع ممالك ، وبعبارة أخرى إلى سبعة كتب تدور حول : قرطبة ، وإشبيلية ، وبَلَلْيُونس ، وشَلْب ، وبَاخَة ، وأشبُونَة ، ومالقة .

« وعلى نحو تقسيمه للغرب إلى كتب سبعة باعتبار الممالك ، قسم المؤسطة إلى أربعة كتب تدور حول : طَلَيْطَلَة ، وجَيَّان ، وأَلْبِيرَة ، والتَرِيَّة .
« وقسم الشرق باعتبار ممالك إلى ستة كتب تدور حول : تَدْمِير ، وبَلَنْسِيَّة ، وطَرْطُوشَة ، والسَّهْلَة ، وجهات الثغر ، وميورقة .

« وكل كتاب لمملكة من هذه الممالك ينقسم بدوره إلى كتب باعتبار كورها المختلفة ، فالكتاب الأول الخاص بمملكة قرطبة ينقسم إلى أحد عشر كتاباً تدور حول كور : قرطبة ، وبَلَنْكُونَة ، والقَصِير ، والدُّور ، ومُرَاد ، وكُرْزَة ، وغافق ، وإسْتَجَة ، والقَبْرِيَّة ، وإسْتَجَبَة ، والبُيَاة .

« وكل كتاب من هذه الكتب الخاصة بالكور ينقسم بدوره إلى كتب باعتبار البلدان المهمة في الكورة ، فكتاب الكورة القرطبية مثلاً ينقسم إلى خمسة كتب تدور حول : حضرة قرطبة ، وحضرة الزهراء ، وحضرة الزاهرة ، ومدينة شَعْنَدَة ، وقرية وَزَغَة » (١١٧) .

وتحدثنا الكتب عن مصنفات أخرى لعلى بن سعيد ، عن علماء عصره وشعرائه ، مثل : « رايات للبرزين » ، و « عنوان للرقصات » ، و « القتطف من

أزاهر الطرف » ، وقد سبقت الإشارة إليها . وكتب في تاريخ غير العرب وشعوب المغرب ، وألف كذلك تاريخاً لأهل بيته سماه « الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد »^(١١٧) ، ووضع كتاباً عن شعراء الأندلس في القرن السابع الهجري سماه « النرة الطالعة في شعراء المائة السابعة » ، وجمع أشعاره في ديوان رتبته على حروف المعجم^(١١٨) (انظر نموذجاً منها في فقرة ٤٠) ، ومجموعات من مختارات النظم والنثر منها : « عدة المستنجز وعقلة المستوفز » ، و « القدح الملى في التاريخ الجلى » . أما في الجغرافية فقد وضع مختصراً لجغرافية بطليموس اعتمد عليه أبو الفدا في تأليف جغرافيته ، وهذا بالإضافة إلى المقدمة الجغرافية العامة لكتابي المشرق والمغرب ، وهي المعروفة « بفلك الأرب » وقد ذكرنا أن المقرئ احتفظ لنا بجزء منها في صفة الأندلس . وألف كذلك كتاباً عن رحلاته الثانية إلى المشرق ، وآخر عن رحلاته إلى مكة هو « النفعة المسكية في الرحلة المسكية »^(١١٩) .

وقد أضاف ابن سعيد إلى رسالة ابن حزم ذيلاً لم فيه بمن لم يذكرهم ابن حزم من علماء الأندلس وأدبائه ومؤلفاتهم في كل فن^(١٢٠) ، احتفظ لنا المقرئ بنصه في النفع (ف ٧٢) .

وقد نقل المقرئ من مؤلفات ابن سعيد فقرات طوالاً أوردها في « نفع الطيب » ووصفه ابن الخطيب بقوله : « على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين النسي للدبلي . من أهل قلعة يمحصب ، غرناطة قلى ، سكن تونس ؛ أبو الحسن بن سعيد . وهذا الرجل وسط عقد بيته ، وعلم أهله ، ودره قومه . المصنف الأديب ، الرجال الطرفة الأخباري ، السجيب الشأن في التجول في الأفطار ، ومداخلة الأعيان ، والتمتع بالخزائن الطيبة ، وتقييد الفوائد للشرقية والغربية »^(١٢١) .

وقد اعتمد ابن سعيد في جغرافيته على مؤلفات الإدريسي ونقل منها ، وأضاف إليها مواقع البلاد من بروج الفلك ، وهو يذكّر جغرافياً آخر أخذ منه يسمى « ابن فاطمة » ، ولكن ابن سعيد يخلط بين الأقاليم بعضها وبعض في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى يشوب أوصافه الخطأ . وقد وثق أبو القدا أول الأمر ثقة تامة فيما كتبه ابن سعيد عن المغرب والأندلس ، ثم تبين أخطائه فيما بعد فعاد إلى ما أخذ عنه وحصه وأسقط بعضه عند ما صاغ كتابه الصياغة الأخيرة . وهذا الميب يشوب كذلك ما كتب ابن سعيد في التاريخ ، إذ أننا نراه يقبل انحرافات والأساطير ويرويها على أنها من التاريخ ، ولكن كتبه كانت على الجملة مورداً خصباً لغيره من أتى بعده . وقد أثنى عليه أبو القدا والمقرزي وابن خلدون وابن خلكان والمقرئ وغيرهم ^(١٣٢) .

ف ٨٠ — عبد الواحد المراكشي :

إذا ذكرنا العلاقة الوثيقة التي ربطت بين تاريخي الأندلس والمغرب خلال العصر للوحدى ، لم يكن من الغريب أن نلم هنا بذكر عبد الواحد المراكشي (٥٨١ — ١١٨٥/١١٨٥ — ١٢٢٢) .

ولد عبد الواحد في مراکش ^(١٣٣) ، ودرس في فاس حيث توفقت صلواته بأبي بكر بن زهر وبأحد أبناء ابن طفيل ، ثم وحل إلى الأندلس ودرس على كبار شيوخه وأساتذته . وعندما حل بإشبيلية قدمه صديق له يسمى محمد بن الفضل إلى السيد إبراهيم بن أبي يعقوب يوسف — وكان آنذاك الخليفة للوحدى الناصر ووالياً لإشبيلية — وأصبح عبد الواحد من أصحابه وجلاسه . وكان الرجل — سواء في مراکش أم في الأندلس — على صلوات بأهل الدولة ، ومن ثم أتاحت له فرص ممتازة مكنته من كتابة تاريخه البديع المسمى « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » وقد فرغ منه سنة ١٢٢٤/٦٢٠ (نشره دوزي سنة ١٨٤٧ ^(١٣٤)) ، وأعاد طبعه في سنة ١٨٨١ ، وترجمه قانيان إلى الفرنسية ونشر

الترجمة في الجزائر في سنة ١٨٩٣) ؛ وهو يضم طائفة قيمة من أخبار الموحدين ، شهد بعض حوادثها بنفسه أو رواها عن شهدائها . أما ما ساقه من أخبار المغرب والأندلس — من الفتح الإسلامي إلى قيام الدعوة الموحدية — فقد نقله عن مؤلفات الحميدي ، لا نجدها بين أيدينا الآن .

وهناك مؤرخ مغربي آخر أقادتنا كتاباته عن تاريخ الأندلس فائدة كبرى ، وهو أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي ، من أهل القرن الثالث عشر الميلادي . وليس بين أيدينا من المعلومات عنه إلا نذر يسير ، وكتابته المسمى « البيان المغرب » ذو قيمة تاريخية كبرى ، إذ يحوى فقرات هامة من مؤلفات أخرى عثت بها يد الزمان (١٢٥) .

وقد عثرنا على كتاب مخطوط في التاريخ يحمل عنوانا ظاهرا خاطئا ، وهو « كتاب التواريخ المروية لابن بسم » ، وعُرف في المؤلفات الأوروبية باسم « الكتاب المجهول المؤلف » ، الموجود في كوينهاجن ومدريد ، لأن نسخته الأولى وجدت في كوينهاجن ، ثم عُثرت منه نسخة خطية حفظت في مكتبة مدريد . وقد اطلع عليه دوزي وأحجم عن نشره ، لكثرة ما يرد فيه من الأخطاء والتعريفات ، ورأى أنه لا بد أن يكون جزءاً من « البيان المغرب » لابن عذاري ، ثم عفى به يستهون وأبان قيمته التاريخية وقرر أن مؤلفه مراكشي ، وقام بنشره أميروزيو هويني في مدريد سنة ١٩١٧ ، والكتاب يدور حول تاريخ الموحدين ، ويضم معلومات قيمة عن تاريخ المغرب الإسلامي في هذه الفترة .

وكان بروقتسال قد عثر على قطعة كبيرة من « البيان » تفصل تاريخ الأندلس من حيث وقف به دوزي ، فشرها في سنة ١٩٣٠ على أنها الجزء الثالث من « البيان » ، ثم تبين له بعد ذلك أنها قطعة من الجزء الثاني من ذلك الكتاب بحسب برنامجها كما رسمه ابن عذاري ، (انظر التعليق) .

وقد عثر ليثي بروقتسال وكولان على جزءين كبيرين من « البيان المغرب » يضمن

الجزء الأول والثالث من الكتاب كله ، وقد قال ابن عذارى في فاتحة كتابه أنه قسم كتابه على ثلاثة أجزاء ممتدة كما يلي :

الأول : يتناول أخبار إفريقية ، من الفتح الإسلامي إلى ابتداء دولة الرابطين .

الثاني : أخبار الأندلس ، من الفتح الإسلامي إلى دخول الرابطين في سنة ٤٧٨/١٠٨٥ .

الثالث : أخبار الرابطين والوحديين في المغرب والأندلس ، وتاريخ الحفصيين في إفريقية ، وبنى هود وبنى نصر في الأندلس . ثم ألم بذكر الدولة المرينية .

وقال ابن عذارى في نهاية برنامج الكتاب : « اختصرت من ذلك كله ما اشتهر أمره وأمكنني ذكره ، وذكرت من البيعات والرسائل السلطانيات ، وما تعلق بها وكان سببها من الوقائع للذكورات والأمور للشهورات ، وذلك إلى انقضاء الدولة للوحدية واستيلاء الإمارة اليوسفية المرينية على حضرتهم للراكشية على مرور السنين إلى عام ٦٦٧ » .

وقد تبين من الاطلاع على المجلد الثاني الذي عُثر عليه ، أن الكتاب الذي ذكرناه ، المعروف إلى الآن « بالكتاب المجهول للؤلؤ » ، للوجود في كوينهاجن وميدريد ، إنما هو نسخة مختصرة بمض الشيء من ذلك الجزء الثالث من البيان المغرب . ومن الطريف أن دوزي رأى ذلك بمجرد اطلاعه على المخطوط منذ قرن كامل ، مما يعطينا نموذجاً من حصافة هذا العلامة النابه .

هذا وقد أشار ابن عذارى إلى أنه كتب كتاباً آخر اسمه « البيان للشرق في أخبار للشرق » ، ولكننا لم نعثر عليه .

وقد بدأ ليثي بروقتسال وكولان في نشر « البيان » من جديد ، وظهر منه الجزء الأول الخاص بتاريخ المغرب إلى نهاية الزيريين (لايدن ١٩٤٨) (*) .

(*) عدلت النص هنا بحسب ما وصلت إليه معلوماتنا عن البيان المغرب .

ومن المؤلفات الهامة في تاريخ المغرب والأندلس كتاب « روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس » ، الذى ينسب تارة إلى أبى الحسن على بن عبد الله بن أبى زرع — كاتب خامس سلاطين بنى مرين — وتارة أخرى إلى مؤلف يسمى أبا محمد صالح بن عبد الحليم النرناطى . وقد نشره تورنبورج في أبالا سنة ١٨٤٣ مع ترجمة لاتينية ، ونقله إلى الفرنسية بوميه Beaumier سنة ١٨٩٠ ، وإلى الإسبانية أمبروزيو هويثى Ambrosio Huici في سنة ١٩١٨ ؛ وهو مؤلف قيم يضم معلومات عظيمة القيمة عن تاريخ المغرب الإسلامى كله ، منذ قيام دولة الأدارسة واختطاط مدينة فاس إلى عصر المؤلف (١٣) .

ولا يفوتنا هنا الإلمام بما كتبه أحمد بن عبد الوهاب النويرى عن تاريخ المغرب والأندلس ، فقد اختصهما بجزئين من « نهاية الأرب » حافلين بالمعلومات . والجزءان اللذان يدوران على تاريخ المغرب والأندلس من موسوعة هذا المؤلف المصرى هما الخامس والسادس من قسم التاريخ ، وقد جمع فيهما قطعا من مؤلفات تاريخية ضاعت ، وصافها في أسلوب معتدل لا تحيز فيه . وقد نشر هذين الجزئين وترجمهما إلى الإسبانية م . جيسار ريمرو Mariano Gaspar Rimerro في سنتى ١٩١٧ و ١٩١٨ ، (ولدينا في دار الكتب المصرية مخطوطة جيدة تضم هذين الجزئين) .

٤ — مملكة غرناطة

ابن الخطيب وابن خلدون

تبلغ كتابة التاريخ في المغرب الإسلامى خلال القرن الرابع عشر الميلادى ذروتها عند علمين من أعلام الفكر العربى ، هما ابن الخطيب المؤرخ المتفنى والسياسى الأديب ، وابن خلدون مبدع فلسفة التاريخ .

ف ٨١ — ابن الخطيب^(١٢٣) :

لم يفتُر شغف الناس بالدراسات التاريخية خلال العصر الأخير من عصور تاريخ الأندلس الإسلامي ، وهو عصر مملكة غرناطة . ومن الأدلة البينة على ذلك قيام أبي عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم الرندي^(١٢٨) (٦٥٩ — ٧٠٧ / ١٢٦١ — ١٣٠٨) بكتابة مؤلف في « تاريخ الأندلس » ضاع فيما ضاع من ثمرات الفكر الأندلسي ؛ واهتمام ابن الفارق (المتوفى سنة ٦٩٠ / ١٢٩١) بتصنيف مؤلف في « تاريخ بني نصر » ، وهو كتاب سطا عليه أبو الحسن علي بن عبد الله ابن الحسن الجذامي النباهي (المتوفى حوالي سنة ٧٩٤ / ١٣٩١) في كتابه المسمى « نزهة البصائر والأبصار » الذي فرغ من تأليفه سنة ٧٨١ / ١٣٧٩ ، وقد أكثر لا فوينت ألكانتارا Lafuente Alcántara من الاعتماد على هذا الكتاب .

يبد أن ابن الخطيب ينطلي على أولئك جميعاً بشخصيته وسيرته ومؤلفاته . ولد لسان الدين محمد بن الخطيب في لوشة في ٢٥ رجب سنة ٧١٣ / ١٦ نوفمبر ١٣١٣ ، ودوس في غرناطة وشغف بالعلوم الطبية والفلسفية وأقبل يدرسها على الطيب المشهور يحيى بن هذيل . وظهرت براعته في قرض الشعر ، وتجلى علمه الواسع بالأدب العربي في سينه الباكورة ، وقد سقنا فيما سلف نموذجاً من شعره (ف ٤٥) . ثم أخذ ينظم القصائد في مديح يوسف الأول بن الأحمر ، وطار شعره كل مطار ، وأعجب به أبو الحجاج يوسف (الثاني) بن محمد (الخامس) بن الأحمر (٧٩٣ — ٧٩٧ / ١٣٩٠ — ١٣٩٤) وأدخله في خدمته ، وعمل مع الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الجياب الأنصاري الترناطي « شيخ المدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية » ، كما يقول ابن خلدون . وعندما مات ابن الجياب في طاعون سنة ٦٧٣ / ١٣٤٨ حل ابن الخطيب محله في الوزارة .

ووصل ابن الخطيب — بفضل مهارته وذكاؤه — إلى الخطوة من نفس السلطان

أبي الحجاج يوسف ، فأطلق يده في اختيار عمال الدولة على هواه . وجمع ابن الخطيب من ذلك ما لا كثيراً . وعندما قُتل يوسف خلفه ابنه محمد السابع اللقب بالغنى بالله ابن يوسف الثاني دون البلوغ في جمادى الثانية ٧٤١/٢٩ نوفمبر ١٣٤١ ، فقام مولاه الحاجب رضوان بتصرف أمور المملكة ، وأقام ابن الخطيب نائباً له « وجعله رديفاً له في أسرته ومشاركاً في استبداده معه » . وبلغ من علو منزلة ابن الخطيب واقتداره على القريض في هذه الحقبة من تاريخه ، أنه وفد مع نفر من وزراء الأندلس وقضاةها على السلطان أبي عنان الحفصي أمير تونس طالباً منه مدداً لحرب النصاري في الأندلس ؛ يقول ابن خلدون : « واستأذنه [ابن الخطيب] في إنشاد شعر قدمه بين يدي نجواه فأذن ، فأنشد وهو قائم :

خليفة الله ، ساعد القدير علاك ، ملاح في الدجى قر
ودافعت عنك كفت قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهمك في الثابت بدر دجى لنا ، وفي التحمل كفت المطر
والناس طرّاً بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا همروا
وجملة الأسر أنه وطن في غير عليك ماله وطر
ومن به - مذ وصلت حملهم - ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أمتهم بأنفسهم فأوفدوني إليك وانظروا (*)
فاهتمز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له في الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :
ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم . ثم أثقل كاهلهم بالإحسان وردمهم بجميع ما طلبوه » (*) .

وعندما قام الرئيس أبو عبيد الله محمد [ابن عم السلطان] بيزل محمد الخامس ، وكبس الحاجب رضوان في بيته فقتله ، أقام مكانه إسماعيل (الثاني) بن أبي الحجاج يوسف الثاني . « وأحسن السلطان محمد بقرع الطبول وهو باليستان ، فركب

(*) كفا في الأصل .

(*) ابن خلدون (برواية القرى) : فتح (القاهرة : ١٩٤٩) ج ٧ ، ص ٢٧ .

ناجياً إلى وادي آش وضبطها ، وبث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب ، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس . واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه . وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحسنت أيام مقامه بالأندلس — وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم — فزين له استقدام هذا السلطان الخلع من وادي آش ، يملئه زبونا على أهل الأندلس ، ويكلف به عادية المرشعين هناك ، فبث من قدم به . ولحق به ابن الخطيب « فأرغد السلطان عيشه في الجراية والأقطاع ، ثم استيأس واستأذن السلطان في التجوال بجهات مراکش والوقوف على أحوال الملك بها ، فأذن له وكتب إلى العمال بإتخافه فتباروا في ذلك وحصل منه على حظ ... واستقر [ابن الخطيب] بسلاً منتبهاً عن سلطانه طول مقامه بالدولة » .

ثم عاد السلطان محمد (السابع) النفي بالله الخلع إلى ملكه بالأندلس سنة ١٣٦٢/٧٦٣ ، فاستقدم ابن الخطيب « وأعادته إلى منزلته كما كان مع رضوان كافله » . وأخذ ابن الخطيب يدبر على منافسه عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الفزاة ، حتى نكبه السلطان وأباه وإخوته سنة ١٣٦٣/٧٦٤ ، « فخللا بن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة وخلط بنيه ببندهائه وأهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والمقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعلقت به الآمال ، وغشى بابه الخفاصة والكافة ، وخصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتوافقوا على السماية فيه » . واجتهد ابن الخطيب من ناحيته في إيقاع النفرة بين السلطان وأهل حاشيته ، واستبد بأمر الدولة ، ومضى يقسم الحظوظ بين الناس على هواء ، فكثر خصومه واشتدت السمايات حوله .

« وفي خلال ذلك استحسنت نفرة ابن الخطيب ، لما بان له عن البطانة من القدح فيه والسماية به ، ورجع بما تخيل أن السلطان مال إلى قبولها وأنهم قد أحفظوه »

عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان في تفقد الثغور وسار إليها في لمة من فرسانه ، وكان معه ابنه عليّ — الذي كان خالصة للسلطان — وذهب لطليته ، فلما حاذى جبل القنص — فرضة الجواز إلى العدو — مال إليه ، ومرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . وقد كان السلطان عبد العزيز [المريني] قد أوعز إليه بذلك ، وجهز له الأسطول في حينه ، فأجاز إلى سبتة وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة وامتنال الأواصر ؛ ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان ، فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأحله من مجلسه بمحل الأمن والقبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في طلب أهله وولده ، فجاء بهم على أكل حالات الأمن والتكرمة ، وجعل ابن الخطيب يحضه على غزو مملكة غرناطة .

وأقلعت سعايات خصوم ابن الخطيب في تغيير صاحب غرناطة عليه ، « وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة للزندقة أحصوها عليه ونسبوها إليه ، وورفت إلى قاضي الحضرة [حضرة غرناطة] أبي الحسن [النباهي] فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة . وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبث القاضي أبو الحسن النباهي إلى السلطان عبد العزيز [المريني] في الانتقام منه بتلك السجلات وإمضاء حكم الله فيه ، فصرّ لذلك وأبى لدمته أن تخفر لجوارحه أن يُرد وقال لم : « هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ؟ أما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جوارى » ، ثم وفر الجراية والأقطاع له ولبيته ولبن جاء من أهل الأندلس في جملة » .

فلما ملك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، ورجع بنو مرين إلى المغرب وتركوا تلمسان إلى فاس ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غاري القائم بالدولة ، فنزل بفاس واستكثر من الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس

الجنان ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان التتوي ، واتصلت حاله على ذلك إلى أن كان ما تذكره

وما زال سليمان بن داود — رديف الوزير محمد بن عثمان في الوزارة للسلطان أبي العباس المريني في سرا كش — يمتثل حتى قبض على ابن الخطيب ، وكان شديد العداوة له ، وزعم أنه سيسله إلى ابن الأحمر صاحب غرناطة . واتهم ابن الخطيب بأنه ختن رسائله هبارة لا يرضاها الدين ، وشكوه إلى القاضي فقصى بقتله ، ولكن عبد العزيز المريني لم يسله على ما ذكرناه ، إذ كان يرجو أن يستفيد منه إذا ذهب يفرز في الأندلس ؛ ونجا ابن الخطيب إلى حين .

وشاء القدر أن يتوفى ناصر ابن الخطيب هذا في سنة ١٣٧٢/٧٧٤ ، وخلفه على العرش ابنه « السعيد » وكان طفلاً . واتهم القرصة بعض زعماء بني مرين ومضوا يدبرون لوثوب الملك الطفل وللناداة بالأمير أحمد ابن السلطان أبي سالم وذلك بالاتفاق مع بلاط بني الأحمر ورجاله ، وتم لهم الأمر رغم مقاومة الوزير أبي بكر ابن غازي — صديق ابن الخطيب — وخلع الملك الطفل « السعيد » ونودي بأحمد ابن السلطان أبي سالم سلطاناً على دولة بني مرين في سرا كش في أوائل سنة ١٣٧٤/٧٧٦ .

ولم يكد الأمر يستتب للسلطان الجديد حتى أسر بالقبض على ابن الخطيب تنفيذاً لما تم بينه وبين ابن الأحمر من اتفاق ، وكان سليمان بن داود — وزير ابن الأحمر وخم ابن الخطيب اللدود — لا يألو جهداً في الإيقاع به ، وكانت نفس ابن الأحمر متبيرة على ابن الخطيب لما نعى إليه من أنه كان يعرض السلطات عبد العزيز المريني على محاربه . واشترك في السبي للقضاء على ابن الخطيب نفر غفير ، منهم صديقه القديم أبو الحسن النباهي قاضي غرناطة وصاحب كتاب تاريخ قضاة الأندلس للسمي « بالرقبة العليا » ، وتلميذه ابن زمرك الشاعر وهو الذي ندبوه للذهاب إلى طاس للعمل على الإجهاد على ابن الخطيب ، فوجهوا إليه تهمة

الزندقة وأهانوه أمام الملأ ، وخشى الوزير سليمان بن دلود أن يعجزوا ابن الخطيب فسارع فأمر بعض غلمانه سرا بقتله ، فخنق في محبسه سنة ١٣٧٤/٧٧٦ ودفن ، ثم أصبح من المد على شافة قبره طريحا ، وقد جُمعت له أعواد فأضرمت نارا فأحرق شعره واسود بشره ، ثم أعيد إلى حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته . ومحب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هذاته وعظم النكير فيها عليه ^(*) .

وقد كان البغل والعلوم إلى المجد سر مأساة هذا الكاتب المعجز ، الذي لم تنسه ظروف حياته للضربة من تأليف كتب بالغة الأهمية والطلاوة . [ومن القريب أنه كان مبتلى بداء الأرق ، حتى كان لا ينام من الليل إلا شيئا يسيرا ، ولهذا لقب « بذي العمرين » لأنه أضاف بسهر الليل إلى عمره عمرا ثانيا] . وأول ما نذكره من كتبه « الإحاطة بتاريخ غرناطة » (مخطوط بمكتبة الجمع التاريخي الإسباني) ^(١٣٦) ، وهو معجم أعلام جمع ابن الخطيب فيه سير النابيين من أهل مملكة غرناطة ومن وفد عليها وسكنها ، وقسمه أقساما بحسب المنصب أو بحسب ناحية الامتياز : قسم للملوك والأمراء ، وثان للعمال ، وثالث لنزوى النباهة ، كالقضاة والمتحققين بعلوم القرآن والمحدثين والفقهاء ومن إليهم ، وأورد فيه ترجمة نفسه وذكر أسماء سبعة وثلاثين من مؤلفاته . وأسلوبه فيه مرصع فخم ، وإن كان لا يصل في هذا الباب إلى شأو ابن يسام وابن خاقان . ولهذا الكتاب « ذيل » توجد منه نسخة في مكتبة الإسكوريال . وقد قام بدر الدين البشتكي للصري في سنة ١٣٩١/٧٩٣ باختصار « الإحاطة » في كتاب سماه

(*) تابع المؤلف سيرة لسان الدين كما رواها ابن خلدون ، فرجعت إلى الأصل وأثبتت بكلام ابن خلدون بنصه .

انظر : الجبر (القاهرة ١٢٨٤) - ٧ - ، ص ٣١١ - ٣١٢ و ٣٢٢ - ٣٢٦ ، وانظر : التحريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، طبعة محمد بن تاووت الطنجي (القاهرة ١٩٥٦) القهرس ، مادة ابن الخطيب ، ففيها كثير من التفاصيل .

« مركز الإحاطة » ، استبعد منه ذكر السلاطين والأمراء ولم يُبق فيه إلا على أهل الأدب . وقد صنع البشتكي مختصره هذا من نسخة أوفى من تلك التي تملكها اليوم ، ولهذا فصح نظره فيه بقصائد ومواد كاملة لا نجد لها فيما بين أيدينا من نسخ الإحاطة .

وقد صنف ابن الخطيب في تاريخ خلفاء المشرق والمغرب والأندلس كتاب « الحلل للرقومة »^(١٢٠) وضمنه بعض أخبار الأندلس والمغرب ، ونظم بعض أحداث هذا التاريخ في قصيدته عن التاريخ . وصنع موجزاً « لتاريخ إسبانيا » الذي ألفه لللك ألفونسو العاشر المعروف بالعالم ، وقد نشر هذا الموجز ونُبه إليه الأب مانشيور أنطونيا في مدريد سنة ١٩٣٣ . وألف في تاريخ فرناطة وبنى نصر طائفة من الكتب منها « اللوحة البديرة في الدولة النصرانية »^(١٢١) ، وهو تاريخ لبني الأحرر سنة ١٣٦٣/٧٦٥ ، و « طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر » . وحشد ابن الخطيب مادة تاريخية طيبة عن خلفاء المشرق والمغرب والأندلس في كتاب « إعلام الأعلام بمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام »^(١٢٢) (نشره ليفي بروغسسال في رباط الفتح سنة ١٩٣٣) . وألف كتاب « التاج المحلى » عن أديب الأندلس في القرن الثامن الهجري وعمل له ذيلاً عنوانه « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » ، هذا بالإضافة إلى كتاب « الكتيبة السكامة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء اللابة الثامنة » ، (وهو مخطوط بمكتبة مجمع التاريخ في مدريد) .

وصنف ابن الخطيب إلى جانب ذلك كتباً وصف فيها بعض رحلاته وضمنها معلومات قيمة عن بعض بلاد الأندلس ، وخاصة ما كان منها في مملكة غرناطة ، وأدرج في أوصاف الرحلات معلومات تاريخية طيبة وناقصة عن الأعلام والناجيين وما اتصل بمله من مكثبات ، ومن هذه الكتب « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » ، وقد جعل فصوله مجالس تحدث في كل مجلس منها عن بلد من

بلاد الأندلس ومن ظهر به من المشاعير ، وكتاب « الفاضلة بين مائة وسلا »
(نشره غرسية غومس سنة ١٩٣٤) .

ومن فريد مؤلفات ابن الخطيب كتابه المسمى « ريمانة السُّكَّاب ونجمة
المنتاب » (نشر قطما منه جسيبار ريمرو في سنة ١٩١٦) ، وقد جمع فيه نماذج من
الترسيل المرصع المسجوع يحثيها السُّكَّاب في رسائل المديح والتحميدات والرسائل
الإخوانية التي توجه في التهنتة بالزواج (الصداقات والبيعات) أو بحلول الربيع
أو بالنصر في الميدان أو « كتب الاستظهار على المداة والاستجداد للمعدات » ،
و « كتب الشكر على الهدايا الواردات » ، و « تقرير المودات » ، و « التعازي
في الحوادث النايات » ، و « الشفاعات » وما إلى ذلك .

والمعلومات التاريخية التي يوردها ابن الخطيب في كتبه صحيحة دقيقة في الغالب ،
وهي مرجعنا الأوثق في معرفة تاريخ مملكة غرناطة ، ويكاد يكون آخر كاتب
عظيم أنجبه الأندلس الإسلامي (١٣٣) .

ف ٨٢ — عبر الرحمن بن خلدون (أول رمضان ٧٣٢ / ٢٧ مايو

١٣٣٢ — ٢٦ رمضان ٨٠٨ / ١٦ مارس ١٤٠٦) :

ولد ابن خلدون في تونس ، ولسكن أجداده أندلسيون . وقد درس على أستاذة
أندلسيين ، وأقام في الجزيرة زمتا . ولن نستعمل في هذا المقام في سرد تفاصيل
حياته السياسية الحافلة بالأحداث (مثله في ذلك مثل ابن الخطيب) ، فقد وصل
إلى تقلد المناصب الخطيرة في بلاط تونس ، وولى منصب قاضي القضاة في القاهرة
ست مرات ، ونكتفي من هذه الأحداث بالإشارة إلى اثنين : الأول سفارته
إلى الملك يدرو القاسي في إشبيلية سنة ٧٦٤ / ١٣٦٣ في صدد تعديل شروط صلح ،
وقد أعجب به يدرو وعرض عليه أن يقيم في قشتالة ووعدته لقاء ذلك أن يرد عليه
أملاك أسرته ، ولسكن ابن خلدون اعتذر من عدم القبول (١٣٤) .

والثاني استعماله الحيلة مع تيمور لئلا يفلت من يده أثناء حصار دمشق .
ويصف المؤرخون ما فعله ابن خلدون في ذلك الظرف الحرج وصفا مطولا بديما ،
ويذكرون كيف تحدث إلى طاغية التتار حديثا عذبا بليغا كله مدح وإطراء ،
فأعجب به وقرر أن يستبقه في خدمته ، فلم يرفض ابن خلدون وإنما استأذن
تيمور في أن يمضي إلى القاهرة ليعود بكتبه وأهله ، فأذن له فمضى وهو لا يكاد
يصدق بالنتيجة^(١٣٥) .

وقد كان ابن خلدون رجلا حسن الهيئة معنيا بمظهره ، وكان سياسيا عاقلا
مهذب الحاشية عارفا بما ينبغي لحواشي السلاطين من أدب .

وابن خلدون مشهور بكتابه الجليل « العبر وديوان اللبدا والخبر في تاريخ
العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر » (طبع في بولاق
سنة ١٨٦٧) ، وينقسم إلى ثلاثة كتب : الأول هو « المقدمة »^(١٣٦) الجلية
المشهور (وقد ترجمها دي سلان إلى الفرنسية ونشرها في سنة ١٨٦٨) ، ويوجز
ابن خلدون الكلام عنها في فاعتها بقوله إنها تدور حول « العمران » ، وذكر
ما يمرض فيه من العوارض القاتية ، من الملك والسلطان والكسب والمعاش
والصنائع والعلوم ، وما لذلك من الملل والأسباب .

والكتاب الثاني من « العبر » يدور حول « أخبار العرب وأجيالهم وأولهم
منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد ، وفيه الإلام ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير
ودولهم ، مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى إسرائيل والقبط ويونان والترك
والروم » .

أما الكتاب الثالث فيتناول « أخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر
أوليتهم وأجيالهم ، وما كان بنيار المغرب خاصة من الملك والبول » . وقد نشر
دي سلان هذا الجزء الثالث بعنوان « كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب » ، لابن
خلدون (مجلدان) وطبعه في الجزائر سنة ١٢٦٧/١٨٥١ ، ثم ترجمه إلى الفرنسية

ونشر الترجمة باسم : « تاريخ البربر Histoire des Berbères » سنة ١٨٦٠ ،
وأعيد نشره حديثا بإشراف كازانوف .

ويعالج ابن خلدون في المقدمة مسائل كثيرة متعددة ، تتعلق بطبائع البشر
 وأسباب تسييرها واختلافها ، وقيام الدول واختلاف الحضارات وما يوجب تقدمها
 أو تأخرها ، وهذه الفصول تكون في مجموعها موسوعة تتعالج الموضوعات فيها من
 وجهة نظر فلسفية ، لأن ابن خلدون يرى أن فن التاريخ فرع من الحكمة
 (الفلسفة) ، ويقول إنه « في باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكاينات ومبادئها
 دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها حقيق ، [فهو لذلك أصل في الحكمة عميق ،
 وجدير بأن يعد في علومها وخلق] » (١٢٧) .

ولا بد من دراسة طبائع البشر والعمران ، حتى يستطيع الإنسان تفهم
 الحوادث ونقدها ، واستقصاء عللها وأسبابها ، [ويقول : « . . فهو محتاج إلى
 مآخذ متعددة ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وثبوت يفضيان بصاحبها إلى الحق
 ويتكبان به عن الميزات والمناط ، لأن الأخبار إذا اعتُمد فيها على مجرد النقل ،
 ولم تحكم أصول المادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع
 الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها
 من العثور ومزلة القدم ، والحيد عن جادة الصدق . وكثيراً ما وقع المؤرخين
 والمفسرين وأئمة النقل المناط في الحكايات والوقائع ، لاعتدائهم فيها على مجرد
 النقل غشاً أو سمياً ، لم يمرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمسار
 الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ،
 فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوم والنلط ، سيما في إحصاء الأعداد من الأموال
 والمساكر إذا عرضت في الحكايات ، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولا بد
 من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد] » .

ويرى ابن خلدون أن السبب في نشوء العمران البشري هو « ضعف الإنسان
 إذا انفرد بنفسه ، وأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح

حياتها وبقاؤها إلا بالإنشاء ، وهذه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الإنشاء ، غير موفية له بمادة حياته منه .

« ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه — وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً — فلا يحصل إلا بملاص كثير من الطحن والمجن والطبخ ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة ، من حداد ونجار وناخوري . هب أنه يأكله حباً من غير علاج ، فهو أيضاً يحتاج في تحصيله حباً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه ، من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل ، ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ، ويستحيل أن توفى بذلك كله أو بعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع التدرج [جمع قدرة] الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولم ، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف . وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه ، لأن الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها ، جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكل من حظ الإنسان : فقدره القرس مثلاً أعظم بكثير من قدرة الإنسان ، وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الأسد والذئب أضعاف من قدرته .

« ولما كان المدون طبيعياً في الحيوان ، جعل لكل واحد منها عضواً يختص بمدافة ما يصل إليه من عادية غيره ، وجعل للإنسان عوضاً من ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح للحدة في سائر الحيوانات للدفاع ، مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة ، والسيوف النابتة عن الخالب الجارحة ، والقراس النابتة عن البشيرات الجلدية ، إلى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الأعضاء .

فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات السجم ، سيما المفترسة . فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ، ولا تنق قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة للمدافعة ، لسكوتها وكثرة الصنائع واللواعين للمعدة لها ؛ فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه .

« وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ، ولا تم حياته ، لما ركه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ، ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح ، فيكون فريسة للحيوانات ويمارجه الملاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر . وإذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء ، والسلاح للمدافعة ، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه . فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني ، وإلا لم يكل وجودهم وما أراده الله تعالى من اعتناء العالم بهم واستغلافه إيّاهم . وهذا هو معنى السران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم .

« وفي هذا الكلام نوع إثبات الموضوع في فقه الذي هو موضوع له ، وهذا وإن لم يكن واجباً على صاحب الفن — لما تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم إثبات الموضوع في ذلك العلم — فليس أيضاً من المتطلبات عندهم ، فيكون إثباته من التبرعات .. والله للوفى بفضله .

« ثم إن هذا الاجتماع — إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم — فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما في طبائعهم الحيوانية من العدوان والظلم . وليست آلة السلاح — التي جُمِلت دافعةً لعدوان الحيوانات السجم عنهم — كافية في دفع العدوان عنهم ، لأنها موجودة لجميعهم ، فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ، ولا يكون من غيرهم ، لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم ، فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة ، حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان . وهذا هو معنى الملك .

« وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للإنسان طبيعةً ولا بد لم [أى للبشر] منها ، وقد يوجد في بعض الحيوانات السجم على ما ذكره الحكماء — كما في النحل والجراد — لما استقرى فيها من الحكم والالتقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنها في خلقه وجنانه ؛ إلا أن ذلك موجود لتبر الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية ، لا بمقتضى الفكرة والسياسة : (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

« وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان — حيث يحاولون إثبات النبوة بالدليل العقلى وأنها خاصة بطبيعة للإنسان — فيقررون هذا البرهان إلى غايته ، وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ، ثم يقولون بعد ذلك : « وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ، يأتى به واحد من البشر ، وأنه لا بد أن يكون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ، ليقع التسليم له والقبول منه ، حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير إنكار ولا تزيف » .

« وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه ، إذ الوجود وحياة البشر قد تم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه ، أو بالمصيبة التى يقتدر بها على قهرم وحلهم على جادته . فأهل الكتاب والتابعون للأنبياء قليلون بالنسبة إلى الجوس الذين ليس لهم كتاب — فإنهم أكثر أهل العالم — ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والآثار ، فضلاً عن الحياة ؛ وكذلك هى لم لهذا العهد فى الأقاليم للصحرة فى الشمال والجنوب ، بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لم البتة فإنه يتمتع . وبهذا يتبين لك غلطهم فى وجوب النبوات ، وأنه ليس بعقل وإنما مدركة الشرع ، كما هو مذهب السلف من الأمة . والله ولى التوفيق والهداية » (*) (١٢٨) .

ويدرس ابن خلدون فى مقدمته أثر الهواء والنقاء فى طبائع البشر دراسة عميقة ويحللها تحليلاً طيباً ، ويدرس كذلك أحوار تاريخ الدول فى أعمارها ، وخصائص المدن الكبيرة ، وعوائد الترف وما إلى ذلك . وفى المقدمة فصول عن

(*) أن المؤلف هنا يلجأ بكلام ابن خلدون ، فראيت أن أورده بنصه .

الإدارة والزراعة والعمارة والتجارة وصنائع النسيج والطب والتناء والكتب وعلوم القرآن وعلوم العدد والرياضة والحساب والجبر والمهندسة والبصريات والفلك والصنعة والكيمياء واللغة والنحو والأدب .

وأسلوب ابن خلدون في المقدمة غير متبادل في القصول كلها ، وهو غنى بالآراء والأفكار ، وربما كرر ما يقوله في أكثر من موضع ، مما يدل على حكمة وفهم وثيق . وله قدرة كبيرة على إصدار الأحكام العامة الجامعة ، وإليك نسوق نموذجاً من كلامه في المقدمة ، لتري كيف يتالج موضوع القروق بين البدو والحضر . قال ابن خلدون بعد بيان هذه القروق :

« . . . والسبب في ذلك أن أهل الحضر أقوا جنوبهم على مهاد الراحة والهدوء ، وانتمسوا في التعمير والترف ، ووكّلوا أسرم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم ، واستنماوا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم ، فلا تهيجهم هيمة ، ولا يفر لهم صيد ، فهم غارون آمنون قد أقوا السلاح . وتوالت على ذلك منهم الأجيال ، وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبي مثوام ، حتى صار ذلك خلقاً ينزل منزلة الطليعة .

« وأهل البدو — لفردم عن المجمع ، وتوحشهم في الضواحي ، وبعدم عن الحامية ، وانتهازم عن الأسوار والأبواب — قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ، لا يكلونها إلى سوام ، ولا يتقون فيها بنوهم . فهم دائماً يحملون السلاح ، ويختلفون عن كل جانب في الطرق ، ويتجافون عن المبحوح إلا غراراً في المجالس وعلى الرجال وفوق الأكتاف ، ويتوجسون للنبأت والميحات ويتفردون في القفر والبيداء ، مدلين بيأسهم واثقين بأنفسهم ، قد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية ، يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ .

« وأهل الحضر — مها خالطوم في البادية أو صاحبوم في السقر — عيال عليهم ، لا يملكون معهم شيئاً من أسر أنفسهم ، وذلك مشاهد بالسيان ، حتى

في معرفة النواحي والجهات ، وموارد المياه ومشارع السبل ؛ وسبب ذلك ما شرحناه ، وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفه ، لا ابن طبيعته ومزاجه . فالذي أُلِّقَ في الأحوال حتى صار خلقاً وملئكة وعادة ، تنزل منزلة الطبيعة والجبلة ؛ واعتبر ذلك في الأحميين تجده كثيراً صحيحاً ، والله يخلق ما يشاء » (١٢٩) .

(ب) التراجم وفهارس الكتب

ابن عبد البر — الحنفى — ابن القرضى — المجارى —
ابن بشكوال ومصادره — الضبي — ابن الأبار
ومصادره — ابن فرحون — ابن خير — كتب الرابع
المطبعة التي وضعا الحزري وابن مقيون وابن ميثون —
القاضي عياض — ابن حجة . الخ .

كثرت عناية الناس في الأندلس بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب ، وذاعت بينهم ذيوها واسما . وهذه العناية وهذا الذبوع يدلاننا على علو مستوى المعارف واتساع آفاقها عند أهل الأندلس ، حتى مست الضرورة إلى وضع المعاجم لطوائف الرجال أو تقروص المعلوم . وهذه المعاجم كلها غنية بالمادة التاريخية ، مما يدفع إلى الرجوع إليها ويُرِيد حاجتنا إليها يوماً بعد يوم .

ولدينا مما ألف الأندلسيون في هذا العصر معاجم أعلام من صنوف شتى: منها معاجم لأعلام الفقهاء كتلك التي وضعها ابن عبد البر ، أو لقضاة قرطبة « كتاريخ القضاة » للحنفى . وقد سبق هذا النوع من التراجم مجموعات التراجم العامة في الظهور ، فصنفت بعد ذلك معاجم رجال جامعة ، مثل مؤلفات ابن القرضى والمجبارى وابن بشكوال والضبي وابن الأبار وابن فرحون . ووضعت فهارس للكتب مثل فهرست ابن خير . وألفت كتب في تراجم صنوف معينة من الرجال ، كالزهاد والمتصوفة والكتّاب والمحدثين والفقهاء . ومنها ما ألف في رجال ناحية من النواحي ، كهذا الذي وُضع من علماء البيرة .

ف ٨٣ — ابن عبد البر والخشني :

نشير أقدم مؤلفات الأندلسيين إلى مؤلفات أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النُميري ، مولى بنى أمية (٣٦٨-٤٦٣/٩٧٨-١٠٧٠) ^(١١٠) ، وقد وضع كتابا عن فقهاء قرطبة استعمله ابن القرضي ^(*) والضيبي . ويشير المصنفون كذلك إلى مؤلف آخر يسمى ابن عبد البر أيضا ، ولكن نسبه الكشكشاني — نسبة إلى كَشْكَيْنَان ، قرية في قَنَابِيَّة قرطبة — (توفي ٩٥٢/٣٤١) . وقد صنف كتابا في « الفقهاء والقضاة بقرطبة والأندلس » ، وكذلك ألف أبو الأصبح عيسى بن محمد المؤرخ (للتوفي سنة ١٠١٢/٤١٣) كتابا في « تاريخ فقهاء البيرة » ^(١١١) .

ومن أعجب المؤرخين الذين انصرفوا إلى وضع المعاجم في طبقة معينة من الرجال أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني ، وهو قهرواني درس الشريعة في بلده ، ثم وفد على الأندلس سنة ٣١١ أو ٩٢٣/٣١٢ أو ٩٢٤ حيث تخرج على قاسم بن أصبغ [ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وغيرهما] في الفقه ، « وكان حافظا لفقه عالمنا بالفتيا حسن القياس » ^(*) . ثم دخل في خدمة الحكم المستنصر فولاه للمواريث في بجانة وألف له كتبا كثيرة عن الفقهاء والمحدثين ، وقد اشتهر اسمه بكتابه عن « تاريخ قضاة قرطبة » من الفتح الإسلامي إلى سنة ٩٦٨/٣٥٧ (نشره ريبيرا وترجمه إلى الإسبانية في سنة ١٩١٤) ^(١١٢) . وبعد أن توفي الحكم اضطر الخشني إلى بيع المطارة ليميش ، وتوفي في قرطبة في صفر ٣٦١/أغسطس ٩٧١ (ويقول الذهبي إنه توفي سنة ٩٨١/٣٧١) .

يضم هذا الكتاب من القوائد ما يحمله من الزم وأهم ما يرجع إليه لدراسة

(*) يبدو أن هنا خطأ ، لأن ابن القرضي أستاذ يوسف بن عبد البر . والسبب في ذلك ما ذكره ابن القرضي في فائحة تاريخ علماء الأندلس من أنه هل من مؤلف لأحد بن عبد البر ، وهو رجل آخر غير النُميري ، كما سيحيى .

(x) ابن القرضي : علماء ، رقم ١٣٩٨ .

الحياة الاجتماعية في الأندلس من أول الفتح إلى عصر الحكم للمستنصر ، ولا بد أنه لأنه
 يجمع من الحكم . وقد كتبه وتحت يده مادة طيبة « مدونة » مثل المصادر والوثائق
 المخفوفة في ديوان الخلافة وسجلات القضاة والأوراق الخاصة لبعض الأفراد . ولا بد
 كذلك أنه كان يرجع إلى طائفة من الكتب ، إذ هو يشير إلى بعضها إشارات غير
 واضحة ، وأهم من ذلك ما أخذه من الروايات والأخبار التي كان الناس يتناقلونها ،
 « روايات كانت ذاتة على الألسن بين طبقات أهل قرطبة ، منها ما كان يُحكى في قصر
 الخلافة وبيوت السروات ، ومنها ما كان يقتلله الجمهور والقصاص في طرقات قرطبة
 وأرباضها وأحيائها التي يمتد فيها أصغر الناس » كما يقول ريبيرا ، ولا بد أن
 هذه الأخبار كانت مما تنقله بيوت عرب الأندلس ذات النسب الصريح ، وبعضها
 أخذه من أفواه أهل الأدب والدين والطباء والفقهاء مما كان يجري في حلقات
 درسيهم ، وبعضها الآخر اختلقه نفر من الساخطين على النظام السياسي والاجتماعي
 القائم ، ومنها ما هو صدى لما كان يتحدث به أولئك الذين يولعون بنقد رجال
 الدين والأقياء ، ومنها ما هو ترجمة عربية لروايات كان الناس يتناقلونها في لغتهم
 المعجمية الدارجة أو صياغة جديدة لها . كل هذه العناصر تتجمع وتتألف منها مادة
 الكتاب دون أن يضيف للؤلؤ إليها من عندياته إلا قليلا .

وبرى خليان ريبيرا أن الخشي « ليس بالمسرف في الذاكرة ولا بالشديد التحفظ
 في نقده لما يورد من الأخبار » ، ولكن هذا المأخذ يمس الكتاب بوجه خاص
 في نفسه الأول فحسب ، لأنه يقص فيه أحداثا وقعت في المصور الأولى ، وأخبارها
 يحيط بها القموض ، إذ لم يكن قد بقي على أيام الخشي من ذكر أحداثها إلا نزر
 يسير جدا ، ومن ثم فلا غرابة أن توضع عنها أخبار مصدرها اللالكيون وأصحاب
 المذاهب المتحرقة على السواء . ومن الأخبار الموضوعة التي قبلها الخشي ورواها
 تلك التي تتعلق بقصة قرطبة الثلاثة الأول ، فقد وضعها أحمد بن فرج بن منقيل ،
 وروى من وراء وضعها إلى أغراض سياسية ، وكان ابن منقيل من أتباع محمد بن

مَسْرُة ، أى أنه كان أندلسيا من أهل البلاد متعصبا لقومه ، وكان متصوفا يعيل إلى المذاهب المنحرفة التى قال بها خصوم العرب من الأندلسيين (ولم يضعها رجل مشرق كما قال دوزى) . وقد صدق الحشنى هذه الأخبار فى سهولة لأنه كان أجنبيا عن البلاد . هذا ، ونحن لا نجد ذكرا لهؤلاء القضاة الثلاثة عند ابن القوطية أو فى الأخبار المجموعة أو عند ابن عذارى وابن القرضى ^(١٤٣) .

ونحن لا نجد فى تاريخ الحشنى ذكرا لتدخل قوى خارقة وهوامل غير طبيعية فى مجرى الحوادث ، ولا تسيطر عليه التوازع الدينية التى تستقر فى الأوهام وتحيد بأصحابها عن الحكم للنزه عن الهوى ، ولا نجد فيه كذلك أثرا لمصيبة سياسية ولا إغراقا فى مدهانة أهل الدولة ؛ فلم يمنه توقيده للحكم المستنصر من أن يسوق أخبارا تشين البيت الأموى بعض الشيء . وأسلوب الكتاب قليل الجمال من الناحية الأدبية ، ولكنه عظيم الأهمية غنى بالمعنى لمن يهتم بتأمل الأحداث وكيف تجري (والسرى فى قلة الجمال فى أسلوب الكتاب هو أنه أخبار وأقاصيص مرملة بعضها فى إثر بعض) .

وهو يطينا صورا صادقة « لأمرء وحكام مثل عبد الرحمن الداخل المصطفى العنيف ، وهشام الرضى الرقيق الرحيم الطيب القلب ، والحكم الرضى النشط الحازم ... وهو يصور لنا يحيى بن يحيى الفقيه المشاور فى أمور القضاة متعاليا بنفسه متجبرا فى سلطانه » . وتعرض علينا صفحات هذا الكتاب صورا لطبقات أهل الأندلس ، من قرشيين ذوى نسب وحسب يطمحون إلى السلطان وينزعون إلى الشر والتوضى ، وأسرى منحدرة عن أصول إسبانية ، وناس من خدم التصر وغلانته . وفيها نرى الصقالبة والتصارى وزهاد المسلمين وأهل قرطبة وما كان يشغلهم من أمور الدنيا والدين ، وما كان يملأ قلوبهم من توقيف العلم ، وما كانوا يتناقلونه من أقاصيص ونوادر .

ويقول ريبيرا : « إن كتاب الحشنى يضعنا فى قلب قرطبة فى عصر الإمارة ،

وأخيراً مصوغة في قالب من الواقعية لا يبلغ إلى تصويرها كتاب غيره من كتب التاريخ أو الأدب . وهو يحدثنا عن أشياء قاهرة ويصور لنا مشاهد مبتدلة لا جلال فيها ولا رابط يربطها إلى غيرها ، ولكن عدم التكلف هذا يحمل في أطوارته عنصراً فنياً ، وهذه الروايات التي ترسل على عواهنها تعين على دراسة المظاهر الاجتماعية ، مما لا يذكره أو يعنى به غير هذا الكتاب . ومن أمثلة ذلك ما يعرفنا به من نماذج كلام الأندلسيين المسلمين من أهل قرطبة بمعجزاتهم .

ومن الطبيعي أن نجد في هذا الكتاب مادة قيمة لدراسة نظام القضاء في الأندلس ، فهو ياتى ضوءاً كافياً على المسائل التي تتصل بتولية القضاة وعددهم وما كان يشترط فيهم من الصفات العقلية والخلقية ، ويعرفنا بأجناس القضاة (عرباً أو مولدين أو جرباً) ويحدثنا عن كفاياتهم وموازينهم في إصدار الأحكام ، ويقدم لنا مادة طيبة عن إجراءات التقاضي ونظام المحكمة وجلال منصب القضاء ، مع المقارنة بما كان عليه الحال في غير الأندلس من بلاد الإسلام .

وإليك مثالا من أخبار ذلك « التاريخ » الذي توحى مادته بالكثير :
 « (حدثني أصبغ بن عيسى الشقاق) ، قال : كنت مقبلاً يوماً مع القاضي أحمد ابن بقي ، حتى عن لنا سكران يمشى بين أيدينا ، فجعل أحمد بن بقي يمسك من عنان دابته ويتفرق في سببه ، يرجو أن يغييب عنه السكران أو يحبس به فيذهب . فـسرعـا . فكان كلما تفرق القاضي وقف السكران ، حتى لم يكن للقاضي بد من أن يقرب منه ويدفطر إليه . قال أصبغ : وكنت أعرف كراهية القاضي أن ينتشب في مثل هذا ، ورقة قلبه أن يقرع أحدا بسوط ، فقلت في نفسي : ليت شعري كيف تصنع في مثل هذا يا ابن بقي ؟ فلما قربنا من السكران عطف على القاضي فقال : « مسكين هذا السائر ، أراء نجهول العقل ا » قال ، فقلت له : « بلية عظيمة ا » ، فجعل يستغفر الله ويأله أن يأجر العصاب في عقله . »

ف ٨٤ -- ابن الفرضي -- البخاري :

يبد أن النماذج الحقبة لكتب التراجم إنما تلتبس عند من جردوا هذا الفن

بعد ذلك ، ومنهم أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي بن القرضى (٣٥١ — ٤٠٣/٩٦٢ — ١٠١٢) من أهل قرطبة ، وكان فقيهاً محدثاً خطيباً جاعاً للكتب حتى صار له منها خزانة عامرة . وقد حج إلى مكة ، ويبدو أنه تعلق بأستار الكعبة وسأل الله الشهادة . وعندما عاد إلى الأندلس تقلد قضاء بالنسبة ، وقد أجاب الله دعاءه فاستشهد على يد البربر إذ اقتحموا عليه بيته عندما دخلوا قرطبة (في ٧ شوال ٤٠٣/٢٠ أبريل ١٠١٢) ونهبوها وقتلوا من وقع في يدهم من أهلها دون رحمة . وقد وجد ابن القرضى ميتاً في داره وقد تغير ، ودفن دون غسل أو كفن أو صلاة بمقبرة مؤثرة بعد أيام من قتله .

وكان ابن القرضى شاعراً يقول أحياناً تفيض بهatitude دينية زهدية ظاهرة (انظر صلة ابن بشكوال ، ص ٢٥٠) ، وقد ضاع بعض ما ألّفه من الكتب مثل « تاريخ شعراء الأندلس » . وتذكر المراجع أنه « جمع كتاباً حفيلاً في أخبار شعراء الأندلس ، وجمع في المؤلف والمختلف كتاباً حسناً ، وفي مشقه النسبة كذلك ، إلى غير ذلك من جمعه وتصنيفه » . ولكن شهرته طارت بمجموع أعماله المسماة « تاريخ علماء الأندلس » (المجلدان ٧ و ٨ من المكتبة العربية الإسبانية Bibliotheca Arabico Hispana) ، وقام على نشره كوديرا في سنتي ١٨٩١ و ١٨٩٢) ، وهو أقدم معجم رجال عام بين أديبنا « بلغ فيه الغاية والنهاية من الحفل والإتقان » . ويدل على حفله وإتقانه ما يذكره المؤلف نفسه من أنه سأل عن هذا التاريخ أو ذاك ، أو قرأ شاهد قبر ليتحقق بنفسه من شيء ، بل إنه يقرر صراحة في كثير من المواضع أنه لم يجد شيئاً يستطيع أن يطمئن إليه ^(١٤٤) .

وقد رجع ابن القرضى إلى مؤلفين سابقين عليه نذكر منهم ابن الطحان وهو أبو الأصمغ عبد العزيز بن علي الإشبيلي (٣٠٤ — ٣٨٣/٩١٧ — ٩٩٤) من أهل إسنجة ، وعلي بن معاذ بن سمان بن موسى (٣٠٧ — ٣٨٩/٩١٩ — ٩٩٨) . وقد وضع أحد تلاميذ ابن القرضى وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن مهلب ^(١٤٥) (المتوفى سنة ٤٥٠/١٠٥٨) ذيلاً على « تاريخ » أستاذه اسمه « تعليق

على تاريخ ابن القرضى واستلحاق « . وألف رشيد الدين محمد بن إبراهيم الطوطا (المتوفى سنة ١٣١٨/٧١٨) رسالة سماها « درر القدر في شعراء الأندلس » وصل بها تاريخ شعراء الأندلس لابن القرضى ^(١٤٦) .

وفي هذا الطراز من معاجم الرجال ينبغي أن يُعَدَّ الكتاب الذي صنفه أبو عامر محمد بن يحيى بن محمد خليفة بن يَنْقَ (٤٨٢ - ٥٤٧/١٠٨٩ - ١١٣٢) وعنوانه « كتاب في ملوك الأندلس والأعيان والشعراء بها » ، ويقول عنه ابن الأثير في النكتة : « ومال إلى الآداب والعريية والعروض فحُصِدَ في ذلك وبلغ الغاية من البلاغة في الكتابة والشعر ، ولقى أبا العلاء بن زهر فلازمه مدة وأخذ عنه علم الطب » .

وقد عرفنا أبا محمد عبد الله بن إبراهيم بن وَزْمَرُ الحجاري الصنهاجي (٤٩٩ - ٥٤٩/١١٠٦ - ١١٥٥) عن طريق [علي بن سعيد وابن الخطيب و] القرى ، وقد ولد الحجاري في وادي الحجارة ونشأ فيها ، ثم رحل عنها إلى شلب عندما سقطت في يد القونسو السادس . ثم قصد قلعة يحصب وأقام عند صاحبها عبد الملك بن سعيد ، ثم انصرف إلى قصد ابن هود بروطة بعد أن أعذله [ابن سعيد] على التحول عنه فقال : « النفس برّاقة ، ومالي بغير الثغرب طاقة » ، فضى محبوب الأقطار من جديد واستقر في « روطه » حيث أقام ردحا من الزمن في ظل أميرها أحمد بن حماد الدولة بن هود . قال علي بن سعيد : « لما قصد الحجاري روطه تحرك أميرها للتصير أحمد بن حماد الدولة بن هود لنزو البشكنس فهزم جيشه ، فكان الحجاري بمن أسر بذلك الوقعة فاستقر أسيراً بيسقاية ، فبقي يحرك ابن هود بالأشعار ويحثه على تخليصه من الإسر فلم يُجِدْ ضمانه ولا تحرك له اهتمامه » . والصحيح أن الذين أسروه كانوا النبريين أهل نبره Navarra سنة ٥٣٢/١١٣٨ ، وظل في أسرهم حتى فداه عبد الملك بن سعيد « فكان طليق آل سعيد » .

وقد ألف الحجاري — إلى جانب بعض قصائد مديح قائلها فيمن أغلوه برعايتهم من الأمراء — كتاباً في التاريخ يقع في ستة أجزاء هو « المسهب في

غرائب الغرب»^(١١٧)، يتحدث فيه عن فضائل أهل المغرب والأندلس، ويسوق فيه تراجم النابهين من أهله — من لندن الفتح إلى سنة ١١٣٥/٥٢٩ — مع نماذج من شعرهم وأطراف تاريخية وبعض معلومات جغرافية. وقد صاغ بنو سميذ هذا الكتاب في قالبه النهائي [كما سبق أن ذكرنا]، واسترشد به القرى في تأليف «نفع الطيب».

ف ٨٥ — ابن بشكوال ومصادره :

وابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود، ١١٠٠/٤٩٤ — ١١٨٢/٥٧٨) ولد في قرطبة [ولكن أصله من شرّين Sorrien بحوز بلنسية]، وكان تلميذا لابن رشد ونفر آخر من الشيوخ والأساتذة، «وأستد عن شيوخه نيفاً وأربعمائة كتاب بين صغير وكبير، أخذ منها عن ابن عتاب وحده فوق المائة». [وعمر طويلاً فرحل الناس إليه وأخذوا عنه وانتفعوا به ورغبوا فيه] «، وولى [ابن بشكوال] ياشبيلية قضاء بعض جهاتها لأبي بكر بن العربي، وعقد الشروط ببلده ثم اقتصر على إسماع العلم، وهذه الصناعة كانت بضاعته، والرواة عنه — لعلوا الإسناد وسعة المسموع — لا يحصون كثرة»، كما يقول ابن الأبار في التكملة. وقد ألف ابن بشكوال خمسين تأليفاً في أنواع مختلفة، أجملها كتاب «الصلة»، وهو ذيل أكل به تاريخ علماء الأندلس لابن القرضي، وضمنه سير طائفة من الأئمة والمحدثين والفقهاء وأهل الأدب من الأندلسيين (نشره كوديرا في سنة ١٨٨٣). ويقول في حقه ابن الأبار «إنه منتهى ما يصل إليه الواصل في معاجم التراجم»، وقال: «سلم له أكفاؤه بكفايته فيه، ولم ينافعه أهل صناعته الافراد به ولا أنكروا منزلة السبق إليه، بل تشوقوا للوقوف عليه وأنصفوا في الاستفادة منه، وقد حمّاه عنه أبو العباس بن العريف الزاهد عن يمدني شيوخه... فأنست قائده وعظمت منفعة، وهو كتاب في فنه خطير القيمة ضروري الاستعمال، لا يستغنى أهل الفقه عن التبليغ به والنظر فيه والاحتجاج منه».

هذا ومن المعروف أن ابن الأبار وضع ذيلاً لـ «صلة ابن بشكوال سماه» كتاب التكملة لكتاب الصلة» سار فيه على نهجه . وكتاب ابن بشكوال عظيم الفائدة لا يستغنى عنه أهل الأدب ، ولا يكاد الإنسان يجد فيه خطأ^(١٢٨) .

[وقال ابن الأبار بصدد كلامه عن «الصلة» : « وأغلامه الواقعة له فيه قليلة ، وقد نبّهت على أكثرها في كتابي هذا (التكملة) ، واستدركت ما أغفل وتمت ما نقص ، وجوّدت ما اقتضب مما وقع إلى وترجع لدى ، ولذلك ما أعدت هنا جملة من ذكر هناك ، مؤتسباً بفعله في اسمه ، من كتاب ابن القرضى »] .

ومن هذا الطراز من المؤلفات « اللجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي » لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن الأبار (نشره كوديرا ورييرا في سنة ١٨٨٥) ، وهو يضم تراجم أصحاب أبي علي الحسين بن محمد بن فيّز بن حيون ابن سكرة الصديقي (١٠٥٢/٤٤٤ - ١١٢٢/٥١٦) . [وقد كان القاضي أبو علي ابن سكرة الصديقي السرقسطي — يعرف بابن المزاج — شيخاً جليلاً سمع منه ودرس عنه الكثيرون . قال ابن الأبار في فاتحة كتابه : « مَمُوتٌ إلى جمع أسمائهم وإيراد آيات تم من مكانهم ، مما أمكن ذكره من أبنائهم مبايهاً بهم وبمصرم ، ومناضياً أبا الفضل بن عياض في جمع شيوخه وحصرهم . . . وم (أى من ذكرهم في هذا اللجم) بين حاجب في الأخذ عنه راضب ، وتلميذ على السماع منه راتب . ومن شيوخه من شذ ، واعتقده في وقته الفذ ، فكُتِبَ عن روايته ، وخصه بمحظ من عنايته ، ذلك لاختصاصه بقربة هي ما هي ، ورتبة في العدالة بلغت التناهي » ، أى أن الكتاب يصور لنا مدرسة كاملة بأستاذها وشيوخه وتلاميذه ورواته والأخذين عنه] .

وقد أورد ابن الأبار في بعض كتبه ذكراً لمؤلفات أخرى لابن بشكوال مثل « أخبار قضاة قرطبة » ، و « كتاب الفوائد المتخبة والحكايات للسفرية » ، وهو مختصر لكتاب « التخب من تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة » لأبي جعفر

ابن مطاهر، وكتب أخرى كثيرة لا تعرف منها إلا أسماءها^(١١٩).

وكان ابن بشكوال موصوفاً «بصلاح الدخلة وسلامة الباطن، وحمية التواضع وصدق الصبر لراجلين إليه، ولين الجانب وطول الاحتمال في السكينة للإسماع رجاء المثوبة» كما يقول ابن الأبار، وكل هذه الخلال الجميلة تجعل في كتاباته.

وقد اعتمد ابن بشكوال في تصنيف الصلة على تاريخ الأندلس لأبي بكر حسن بن مفرج بن حماد بن الحسين الممانري المعروف بالقُبَيْشِي القرطبي (٣٤٨/٩٥٩ - ٤٣٠/١٠٣٨) الذي يبدو أنه ألف كتابه على غرار مصنف آخر في نفس الموضوع لابن خفيف (أبي عمر أحمد بن محمد ٣٤٨/٩٥٩ - ٤٢٠/١٠٢٨)^(١٢٠) عنوانه «الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء». ونظر ابن بشكوال كذلك إلى معجم رجال لأبي عمر بن مهدي (٣٩٤/١٠٠٣ - ٤٣٢/١٠٤٠)، وإلى كتابين آخرين في الأدب والتاريخ لابن زروقة^(١٢١) (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، المتوفى سنة ٤٣٥/١٠٤٣)، وكتاب آخر لابن عابد^(١٢٢) (أبي عبد الله محمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٤٣٩/١٠٤٧).

ورجع ابن بشكوال كذلك إلى كتاب «طبقات النحويين واللغويين» لابن خزرج الفقيه (أبي محمد عبد الله بن إسماعيل بن محمد ٤٠٧/١٠١٦ - ٤٧٨/١٠٨٥)^(١٢٣)، وإلى تاريخ لفقهاء طليطلة وقضاها لأبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري بن مطاهر (أو المطاهر) المتوفى سنة ٤٨٩/١٠٩٥^(١٢٤)، وإلى كتاب التاريخ الذي صنّفه ابن مُدَيِّر المتوفى سنة ٤٩٥/١١٠١^(١٢٥)، ورجع كذلك إلى مصنف أبي طالب المرواني (عبد الجبار بن عبد الله بن أحمد بن أسبغ ٤٥٠/١٠٥٨ - ٥١٦/١١٢٢) السمي «عيون الإمامة ونواظر السياسة» عن النابيين من أئمة الأندلس وحكامها.

وقد أكل فوات «الصلة» مؤلفون آخرون، متبعين طريقة ابن بشكوال، م: أبو بكر محمد بن عبد الله سفيان بن سيد الله التجيبي (المتوفى سنة ٥٥٨/١١٦٢) — وهو من أهل قونكة — بكتابه «مجموع في رجال الأندلس»، ويوسف

ابن أبي عبد الله بن عبد الله بن سعيد بن أبي زيد اللّمي (المتوفى سنة ٥٧٥/ ١١٧٩) ، وهو من أهل ليريه ويسى أيضاً أبو عمر بن عياد ، يقول ابن الأبار في ترجمته في التكملة إنه « كان قد شرع في تذييل كتاب ابن بشكوال » ، وأنه « ألف كتاباً في طبقات الفقهاء من عصر ابن عبد البر إلى عصره » . ووضع ابن الزبير كذلك ذيلاً على صلة ابن بشكوال سماه « صلة الصلة » (نشره ليثي بروفنسال سنة ١٩٣٨) ، ووصل كتاب ابن بشكوال أيضاً أبو القاسم بن حبيش (عهد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف الأنصاري ٥٠٤ / ١١١١ - ٥٨٤ / ١١٨٨) ، وهو شيخ الضبي وكان في المرية عندما استولى عليها ألفونسو السابع سنة ١١٤٧ . وقد انتزع ابن الأبار بكتاب اقتضب فيه ابن حبيش صلة ابن بشكوال ، [وقال في حقه : « وكان آخر أئمة المحدثين بالمغرب ، والسلم له في حفظ أغربة الحديث ولغات العرب وتواريخها ورجالها وأيامها ؛ لم يكن أحد من أهل زمانه يجاريه في معرفة رجال الحديث وأخبارهم ومولدهم ووفياتهم »]^(١٥٦) .

الضبي ، (أو جنفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عاصرة ، توفي سنة ٥٩٩/ ١٢٠٧)^(١٥٧) : يتلب أنه ولد في بليدة بَلَش Vélèza ، ودرس في لورقة ، وطاف بنواح كثيرة من الأندلس وإفريقية ، وأقام زمناً طويلاً في مرسية ، وكان سريع الكتابة حتى لقد نسخ موطأ مالك في ثمانية أيام . وكان محدثاً بارعاً حسن القراءة ، ذا قدرة عظيمة في فهم المتن وشرحها ، وهو مشهور بكتابه « بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس » (نشره كوديرا وريبيرا سنة ١٨٨٥) ، وهو ذيل على « جذوة المقتبس » للحميدى (ف ٦٦) وتصويب لما وقع فيها من أوهام . وقد وقف الحميدى بتراجعه في الجذوة عند من توفوا سنة ٤٤٩/ ١٠٥٨ ، وفيها — أى في الجذوة — نقص وغلط كثير . وقد وصل الضبي بكتابه إلى عام ٥٩١/ ١١٩٥ ، وهو يضم تراجم — موجزة في التالاب — لمن وفد على الأندلس وأقام بها من المشارة ، ومعلوماته التي يوردها تنفق في بعض الأحيان مع ما يذكره ابن

بشكوال ، مما يدل على أن مادته التاريخية عظيمة يوثق فيها . وقد أوجز الضبي في فاتحة كتابه تاريخ الأندلس ، وأهم ما في هذا الموجز ما يذكره عن القاضي ابن حدين [محمد بن علي بن حدين «التأثر بقرطبة والمدعولة بأكثر قواعد الأندلس»] ، والمستنصر بن هود ، اللذين حكما قرطبة في سنتي ٥٣٨ و ٥٣٩/١١٤٤ و ١١٤٥^(١٥٨) .

ف ٨٦ — ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر الفضاوي ،

١١٩٨/٥٩٤ — ١٢٣٨/٦٣٥) :

ربما كان ابن الأبار المؤرخ أكبر مصنف لمعاصم الرجال أطلعه الأندلس ، وأصله من بلنسية . وكان كاتباً لأسراء الموحدين في الأندلس ، ومنهم أبو زيد بن السيد أبي عبد الله بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي ، وقد رافقه عند ما خرج إلى قلعة أيوب ، إما لكي يرتد عن الإسلام ويدخل النصرانية ، أو لكي يتحالف مع جاقا الفاتح Jaime el Conquistador ملك برشلونة على زيان بن مردانيش الذي خله من إمارته . ومهما يكن من الأمر فقد ترك ابن الأبار أبا زيد ودخل في خدمة زيان بن مردانيش ، فجعله كاتباً له . وعندما حاصر النصارى بلنسية ، أرسله ابن مردانيش إلى تونس ليستصرخ أبا زكريا بن حفصون لإنقاذ بلنسية ، فحضر مجلس السلطان ، وأنشأ قصيدته على روى السين يستصرخه ، فبادر السلطان بإغاثتهم ، وشحن الأساطيل بالمدد إليهم ، من المال والأقوات والسكس ، فوجدوهم في عسرة الحصار ، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية^(*) .

وبعد أن استسلم القطلانيون بلنسية في سنة ١٢٣٥/٦٣٣ ، هاجر ابن الأبار من الأندلس واستقر في تونس ، وحظي عند أبي زكريا ، « ورشحه لكتب علامته في صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدة . ثم إن السلطان أراد صرفها

(*) القرى : أزهار الرياض (القاهرة ١٩٤٢) ص ٣ ، ص ٢٠٥ . والنقرات التي بين أقواس من ترجمة ابن الأبار في نفس المرجع ومما أغنى ما لدينا .

لأبي العباس النسائي — لما كان يحسن كتابتها بالخط الشرقي ، وكان آثر عنده من الغربي — فسخط ابن الأبار أنفة من إشار غيره عليه ، واقتات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه — لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه — وأن يبقى موضع العلامة منه لكتابتها ، فجاءه بالرد ، ووضعها استبداداً وأنفة ، وهوتب على ذلك فاستشاط غضباً ورمى بالقلم وأنشد معتملاً :

اطلب المز في لظى وذو القل ل ولو كان في جنان الخلود

فنى ذلك إلى السلطان فأمر بلزومه بيته ، ثم استعتب السلطان بتأليف رقعة إليه عد فيها من هوتب من الكتاب وأعتب وسماء « إعتاب الكتاب » ، أى من شملهم غموا أسرائهم بعد غضب ومحنة^(١٥٩) .

وعفا عنه أبوزكريا وأطلق سراحه ، فلما مات أبوزكريا وخلفه المستنصر رفع من شأنه وأحفظه واتخذ وزيراً . بيد أن طموح ابن الأبار ونزوه إلى الاستبداد برأيه أوقعه في البلاء من جديد ، وأضرت به سمايات خصومه — ومنهم النسائي — فكان في ذلك حظه ، إذ اتهم بالاشتراك في التديير على الأمير ، ووجد في أوراقه بيت من شعره يقول فيه :

طنا بتونس خلف سمويه ظلماً خليفة

فحق عليه المستنصر « وأمر بامتحانه ثم قتله ، فقتل طعنا بالرماح وسط محرم سنة ثمان وخمسين ، يعنى وستائة ، ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سمائه ودواوينه وأحرقت معه » (*) .

ومن مؤلفاته التاريخية المهمة كتاب « الحلقة السيرة » ، وهو مجموع من تراجم الأسماء [والكبراء]^(*) الذين نظموا القريض ، مع نماذج من ثمرات قرائحهم

(*) للقرى : أزهار ، ٣٠ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(**) الزيادة هنا من كلام دوزى في القطعة التي نصرها من الحقة ، والاولف هنا يأخذ عنه .

(مخطوط في مكتبة الإسكوريال ، ونشر أجزاء منه دوزي ومولر) . وقد قال دوزي في حقه : « وإنتي لأقرر دون أي مبالغة ، وفي صراحة وبساطة ، أنه كتاب عظيم القيمة . فهو يضم قدراً لا يحصى من المعلومات عن شتى الموضوعات ، ويصور تاريخ الغرب والأندلس على نحو يدعو إلى الإعجاب ، وهو ينفرد بكثير مما يحدثنا به فلا نظير له في موضع آخر » (١٦٠) .

وقد خلف لنا ابن الأبار معجم تراجم آخر ، هو « المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي بن سكرة » ، طبعه كوديرا في سنة ١٨٨٤ ؛ وكتاب « التكملة » لصلة ابن بشكوال (نشره كوديرا في سنتي ١٨٨٨ — ١٨٨٩ ، ونشر الأركون وجندالذ بالثيا قطعة أخرى منه في سنة ١٩١٥ ، ونشر ألفريد بل ومحمد بن شنب قطعة ثالثة منه في سنة ١٩٢٠) .

وإلى جانب « إعتاب الكتاب » الذي ذكرناه ، وضع ابن الأبار كتاباً شبيهاً به هو « تحفة القادم » (مخطوط بمكتبة الإسكوريال ونشر في مجلة المشرق) (١٦١) ، ألّفه على نهج كتاب التاريخ الذي وضعه صفوان بن إدريس . وتشير الكتب إلى مؤلفات أخرى لا نجد لها بين أيدينا ، ولا نستغرب ضياعها ، إذ أن كتبهم ومصنفاتهم — وعددها قرابة الخمسة والأربعين — أحرقت في نفس الموضع الذي امتحن وقتل فيه .

ورأى النقاد المحدثين جميعاً حسن في تأليف ابن الأبار ، وهم يؤيدون دوزي في قوله : « إن ذلك للزورخ الصادق كان يؤلف ونحت يده وثائق على أكبر جانب من الأهمية ، وهو يمتاز بملكة فمادة صحيحة قوية ، ويمتاز إلى جانب ذلك بماطقة جياشة تذكرنا بفحولة العرب القدماء ، وأسلوبهم في الحياة والإحساس ، وهو شيء نادر بين معاصريه من المصنفين » (١٦٢) .

وقد اعتمد ابن الأبار في تصنيف تواليقه على مؤلفين كثيرين ذكر بعضهم في كتاباته : منهم ابن حبيش (٥١٨ — ٥٨٤ / ١١٢٥ — ١١٨٩) قاضي إستجة

وكان محدثاً نابهاً (وقد ذكرناه) ، وعبد الله بن سفيان التجيبي (المتوفى سنة ١٢٠٦/٥٨٩) ، وأبو عمر بن عباد الكري (٥٤٣-٦٠٢/١١٤٩-١٢٠٦) الذي سبقت الإشارة إليه ، وينسب إليه معجم أعلام صنفة في شيوخ أبيه ، وفيه غلط كثير ، وأحمد بن هارون النفري (٥٤١-٦٠٨/١١٤٧-١٢١٢) من أهل شاطبة ، وكان تلميذاً لابن حُيش واشتهر بذاكرة هجيبة ، وكان بارعا في الحديث والفقهاء ، وكانت حياته مضرب للثل في الزهد ، وله كتاب في فضائل بلده وقضاة الأندلس ، ومحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان التجيبي (٥٣٩-٦٠٩/١١٤٥-١٢١٣) من أهل لَقَنْتْ (عمل مرسية ، وسكن أبوه أوريولة) ، وقد طاف بنواحي إفريقية والمشرق ، ويقول ابن الأبار إنه « جمع في أسماء شيوخه على حروف المعجم تأليفاً مفيداً أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار ، ووقع إلى بمغلة في سنة ٦٤٠ [١٢٤٢] في تونس ، فكتبته على الانتخاب والاختصاص ، وضمت هذا الكتاب [التكملة] منه ما نسبته إليه » (*) .

وأخذ ابن الأبار كذلك عن ابني حوط الله - أبي محمد وأبي سليمان - وكاننا محدثين ، وأبي العباس أحمد بن عيشون (ف ٨٨) ، وأبي القاسم محمد بن عامر ابن قرقد (٥٦٢-٦٣٦/١١٦٧-١٢٣٩) تلميذ ابن رشد وابن قزمان ، وابن الطيلسان (أبي القاسم قاسم بن محمد الأوشى ، ٥٧٥-٦٤٢ أو ٦٤٣/١١٧٩-١٢٤٤ أو ١٢٤٥) وله تواليف في التاريخ وفي سير الصالحين والزهاد ، والطرائف الفرناطية (أبي عبد الله محمد بن سعيد بن علي الأنصاري ، ٥٥٨-٦٤٥/١١٦٢-١٢٧٧) الذي درس في المشرق ، وقد قال ابن الأبار في ترجمته : « وله فهرسة مشتملة على أسماء شيوخه وما روى عنهم ، وقمت إلى بتونس وكتبت منها » (١٦٣) (٥) .

(*) ابن الأبار : التكملة ، رقم ٩١٩ .

(٥) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٠٣٢ .

ف ٨٧ — ابن خير :

ومن بين فهارس الكتب (التي كان الواحد منها يعرف بالفهرست أو البرنامج وما إلى ذلك ، وقد كثرت تأليفها وتداولها بين الأندلسيين) نذكر فهرست أبي بكر ابن خير (محمد بن خير بن عمر بن خليفة ، ٥٠٢ — ٥٧٥/١١٠٨ — ١١٧٩) . وهو إشبيلي ، وكان واسع العلم بالحديث والنحو والأدب وأسماء الكتب ، وكان أستاذ عصره . قال ابن الأبار : « وكان من الأكفاء في تقييد الآثار والعناية بتحصيل الرواية ، بحيث يأخذ عن أصحابه الذين شاركهم في السماع من شيوخه ، وعدد من سمع منه أو كتب منه نيف ومائة رجل ، قد احتوى على أسمائهم برنامج له ضم في غاية الاحتفال والإفادة ، لا يعلم لأحد من طبقة مثله ؛ وقد كتبت منه في هذا التصنيف ما نسبته إليه . وقال جابر بن أحمد القرشي : كتب إلى — يعني ابن خير — يخبرني أن فهرسته عشرة أجزاء ، كل جزء منها ثلاثون ورقة » ؛ وولى الصلاة بجامع قرطبة الأعظم . ولدينا من مؤلفاته الكتاب المسمى « بفهرسة ابن خير » (نشره كوديرا وريبيرا في سنة ١٨٩٥) ، وهو يضم أسامي كل ما قرأه من الكتب في شتى العلوم ، وأسماء شيوخه الذين درس عليهم وأجازوه ، مرتبين حسب النواحي : إشبيلية وقرطبة وللمرية وماقة والجزيرة الخضراء وغيرها من البلاد . وأهميته تتجلى في ذلك العدد العظيم من الكتب التي ذكرها ، والمؤلفين الذين أثبت أسمائهم ، مما لا نجده في غيره من المراجع ^(١٦٤) .

٨٨ — معاجم التراجم الخاصة : الفاضل عياض . ابن رعية :

ومن معاجم الرجال الأندلسية ما يُقصر على صنف واحد من الأعلام ، ومن فهارس الكتب ما يختص بفرع معين من العلوم أو الآداب . ومن الطراز الأول ما ألّفه أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصّقر الأنصاري الخزرجي (٥٠٢ — ٥٥٩ / ١١٠٨ — ١١٦٣) من أهل للمرية ، وكان حافظا محدثا فقيها بارعا في علوم الدين ،

وقد تولى قضاء غرناطة وإشبيلية ، وله كتاب في سير زهاد الأندلس وصالحيتها
عنوانه « أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار » ؛
ومن أصحاب هذا الطراز من الملجم أبو عمر محمد بن أبي بكر بن يوسف بن عنيون
الشاطبي (ويكنى أيضاً أبا عبد الله ، ٥١٨ — ١١٢٤/٥٨٤ — ١١٨٨) من أهل
شاطبة ، وقد جمع شعر أبي الحسين بن جبير في ديوان ، وصنف كتاباً في أخبار الزهاد
والمهاد^(١٦٥) ، وكتاباً آخر عن عجائب البحر^(١٦٦) ؛ وأبو القاسم بن العليسان (٥٧٥ —
٦٤٢ أو ٦٤٣/١١٧٩ — ١٢٤٤ أو ١٢٤٥) ، وله كتب في المناقب مثل
« زهر البساتين وفحات الرياحين » ، ورسائل أخرى عن الصالحين والزهاد من
أهل الجزيرة مثل « غرائب أخبار المستدين ومناقب آثار للمتدين » ، و « تاريخ
صلحاء الأندلس » ويسمى أيضاً « كتاب في أخبار الصالحين بالأندلس » ، وله
كتاب « أخبار القرطبيين والتبیین عن مناقب من عُرف بقرطبة من التابعين والعلماء
الصالحين » ؛ وأبو بكر محمد بن محمد بن الحكم النخعي (٦٦٥ — ٧٤٩/١٢٦٦ —
١٣٤٩) القى جمع قطعا من الشعر في كتابه المسمى « الفوائد للتخبة والفرائد
المستعذبة » ، ضمنه معلومات أدبية وأطرافاً من سير للتصوفة في الأندلس ،
وأكمل التاريخ المسمى « بميزان العمل » لابن رشيقي ؛ وابن جماعة السكناي
(المتوفى في القاهرة حوالى سنة ٧٣٥/١٣٣٤) وله مجمل في تراجم النبوية ،
وهي فرقة سنية كانت تساجل الرافضة^(١٦٧) ؛ وأبو عمرو بن محمد بن عيشون بن
سمر بن صباح النخعي (٥٣٨ — ١١٤٣/٦١٤ — ١٢١٧) من أهل سوسة ، يقول
في حقه ابن الأبار : « وكان يعقد الشروط ويبصرها ، ويمجد فك المسمى [منها] ،
ويقرض أبحاثاً من الشعر ، وله تقييد مفيد في الوفيات اعتمدت عليه في هذا الكتاب
(الشكلة) » . وألف كذلك كتاباً في « تاريخ الكتاب الأندلسيين » ، وهو
موضوع طرقة قبله الأقبشيين^(١٦٨) — (أوغسطين) أبو عبد الله محمد بن موسى
ابن يزيد كما أورد اسمه ابن القرضي ، وعاصم بن محمد عند المقرئ — وسكن

ابن سعيد^(١٦٦) الإخباري (في اسمه خلاف) للتوفي سنة ٤٥٧/١٠٦٦ .
 أما القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (شعبان ٤٧٦ /
 ديسمبر ١٠٨٣ — جمادى الثانية ٥٤٤ / أكتوبر ١١٤٩) فموطن قومه
 بسطة Baza ، وقد ولد في سبتة ودرس في قرطبة حيث طالب له العيش ، كما ينم
 على ذلك قوله عند ارتحاله عنها :

رعى الله جيراننا بقرطبة الملى وجاد رباها بالمهاد السواكب
 وحى زمانا بينهم قد ألقته طليق الحيا مستلان الجوانب
 إخواننا ، بالله فيها تذكروا معاهد جار أو مودة صاحب
 غدوت بهم من يرهم واحتفائهم كآنى في أهلى وبين أقاربي^(*)
 وكان من أصحابه في الطلب أبو محمد بن عتاب ، وأبو الوليد بن رشد (الجدل) ،
 وكثيرون غيرهما . وقد امتاز عياض بعلم واسع بالتاريخ وأنساب العرب والنحو
 واللغة والصرف والحديث ، وكانت بينه وبين ابن العريف ، عالم للرية وصوفيا ،
 محبة ومكانات . ومن بين مؤلفاته تاريخ لعلماء قرطبة يسمى « أخبار القرطبيين » ،
 وتأليف في تاريخ بلده سبتة يسمى « العميون (أو القنون) الستة في أخبار سبتة » ،
 وله أيضا « ترتيب المدارك في معرفة أصحاب مالك » ، وفيه أخبار عن الكثيرين
 من فقهاء المغرب والأندلس وعلمائهما (ف ١٢٠) . وقد وضع المقرئ كتابا حافلا
 عن عياض ، أشبه بموسوعة أدبية تاريخية أندلسية ، هو « أزهار الرياض في
 أخبار عياض » (القاهرة ١٩٣٩ — ١٩٤٢)^(*) ، كما وضع في سيرة النبي صلى
 الله عليه وسلم كتابا يحمله المسلمون إجلالا عظيما ، هو « كتاب الشفا بتعريف
 حقوق المصطفى »^(١٧٠) .

وكان أبو الخطاب بن دحية (ولد بين سنتي ٥٤٢ و ٥٤٨ / ١١٤٧ و ١١٥٣)

(*) المقرئ : نفع ، ١ ، ص ٣٠٨ . وقد اكتفى المؤلف بالإشارة إلى الأبيات ،
 فأثبت هنا نصها .

(:) عدلت عبارة المؤلف هنا بعض الشيء .

في بلنسية وتوفي سنة ١٢٣٠/١٢٣٥ في القاهرة) قد تولى قضاء دانية، ثم «صُرف من ذلك لسيرة نُتِيت عليه»، ثم رحل إلى مراکش وألم بيجاية وتونس ومكة والشام والعراق، ووصل إلى فارس وخراسان، ثم نزل إزبل، واستقر به المطاف آخر الأمر في مصر، حيث عهد إليه السلطان العادل الأيوبي في تأديب ولده الكامل، وأنشأ له «مدرسة الحديث الكاملية» ليقرى الحديث فيها. وقد كان ابن دحية واحداً من أولئك العلماء الذين نشروا علم أهل الأندلس في المشرق فردوا بذلك دين الأندلس للمشاركة في هذه الناحية.

ألف ابن دحية «كتاب التبراس في ذكر خلفاء بني العباس» (نشر في بغداد سنة ١٩٤٩)، وهو من الكتب التي اعتمد عليها ابن خلكان، ووضع مصنفين في الحديث، وكتبها عن شعراء الأندلس والمغرب هو «المغرب من أشعار أهل المغرب» (مخطوط بالمتحف البريطاني)، يروى فيه الأخبار والأشعار دون منهج كما توارثت على خاطره، [ويقول: «لم أقصد جمع ذلك على الترتيب، ولا سلك في مسلكي لليهود في النبوي والتهديب، بل استرسلت فيه مع الخاطر على ما يجوز به ويسمح، وبين له ويسمح، فالناظر فيه يسرح في بسائين ويمرح في ميادين، ويخرج من فن إلى فنون، والحديث ذو شجون»] (*)؛ إذ أنه كان قد خلف معظم كتبه في المغرب؛ وسطا عليه لصوص البحر في الطريق ونهبوا ما بقي له منها، وعلى رغم ذلك كله فإن كتابه حافل بالقوائد، (مثال ذلك أخبار سفارة يحيى النزال إلى بلاد النورمانين). هذا وله كذلك كتاب طريف عنوانه «كتاب الإعلام للبين في القاضية بين أهل صنفين» (١٧١).

وانصرف كذلك إلى التأليف في طبقات المحدثين أبو محمد قاسم بن محمد بن يوسف علم الدين البرزالي (٦٦٥ - ١٢٦٦/١٢٣٨ - ١٢٣٧) وهو من إشبيلية، وقد اشتغل بتدريس الحديث في إحدى مدارس دمشق، وقد وصل كتاب

(*) المغرب، ورقة ٤ ب من المخطوط.

« تاريخ دمشق » لابن عساكر بقطعة بلغ بها إلى حوادث سنة ١٣٣٧/٧٣٨ .

وله « معجم » في شيوخه .

وجدير بالذكر كذلك أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج المعروف بالتملاحي (٥٤٨ - ١١٥٤/٦١٨ - ١٢٢٢) ، صاحب « تاريخ علماء البيرة » ، وتاريخ آخر لعلماء غرناطة ، وكتاب في أنساب أم العرب والعجم سماه « بالشجرة » (١٧٣) .

(ح) تاريخ الأدب

الطلائع الأولى لهذا الفن : عبد الله بن منبث ، ابن فرج الجياني ومن إليهما ، ابن بسام ، ابن خاقان ، الشقندي ، ابن الخطيب ، المقرئ .

أزهر التأليف في تاريخ الأدب في الأندلس إزهاراً عظيماً مرده إلى ما طبع عليه الأندلسيون من ولع بالشعر .

وتحدثنا للراجع عن ظهور مؤلفات خاصة بالشعراء وسيرهم في أوائل القرن (الرابع الهجري) العاشر الميلادي ، ومثال ذلك ما كتبه عثمان بن ربيع الرواني وعبد الله بن منبث وابن فرج الجياني من مؤلفات ضاع معظمها ، ولم يبق لنا من مادتها إلا أطراف نبعدها في كتابات ابن خاقان وابن بسام وابن حزم والشقندي وابن الخطيب والمقرئ .

ف ٨٩ - طموح المؤلفات في تاريخ الأدب :

ومن أقدم النقاد الذين عنوا بالتصنيف في تاريخ الأدب ، عثمان بن ربيعة الأندلسي من أهل قرطبة (المتوفى حوالي سنة ٩٢٢/٣١٠) ، فقد وضع مصنفاً في « طبقات الشعراء بالأندلس » ولدينا منه نسخة مخطوطة في فاس (١٧٣) ، وابن أبي الفتح (قاسم بن نصير بن رقاد بن عيشون من أهل شذونة ، يكنى أبا محمد) ، « وكان قديماً حافظاً للرأى ومحوياً لنوياً وشاعراً مجتهداً ، وكان خطيب أهل

قليلة وصاحب صلاتهم ، وكان في الشعر سابقاً لا يشق غباره ولا يقرب ميدانه ،
وتخلّى عن الدنيا في آخر عمره وصار في حياة الأبدال ، وأكثر شعره في الزهد وذم
الدنيا وفي شواهد الحكم والتذكير والوعظ ، وله ديوان شعر كتبت بفضه بشذونة
وقد كتبت له أشعاراً من كتابه المؤلف في الشعراء من الفقهاء بالأندلس^(*) ،
واشتغل إلى جانب ذلك بتصنيف « ديوان » من شعر فقهاء الأندلس . ومن
أوائل مؤرخي الأدب الأندلسيين كذلك محمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد
الخير المرواني (المتوفى سنة ٣٤٠/٩٥١) ، وكان خطيباً شامراً ، وقد عرض عليه
الخليفة الناصر أن يكون مؤدياً لأولاده فأبى من ذلك ، وكان من أصحاب الحكم
المستنصر قبل أن يلى الخلافة ، وله كتاب في « أخبار الشعراء بالأندلس »^(١٧٤) .
ومنهم عبد الله بن محمد بن معيث بن عبد الله الأنصاري (المتوفى سنة ٣٥٢/٩٦٣)
من أهل قرطبة ، وهو والد قاضي الجماعة أبي الوليد يونس بن عبد الله بن الصغار ،
وكان عظيم المكانة لدى الحكم المستنصر . وعندما خرج الحكم للفرز في
سنة ٣٥٢/٩٦٣ اعتذر ابن معيث من عدم الخروج معه لاعتلال صحته ، فأجابه
الحكم إلى ما طلب من البقاء في قرطبة ، وشرط عليه أن يصنف كتاباً في « شعر
الخلقاء من بني أمية » على نهج كتاب « الأوراق » للصولي في شعر بني العباس ،
وأذن له في أن يقيم في قصر الخلافة في ناحية مطلة على النهر ، فأنجز الكتاب
ربما فرغ الحكم من التزاة وتلقاه به في طليطة ، وتوفي في نفس العام .

وعنى بهذا الفن من التأليف كذلك مطرّف بن عيسى بن لييب بن محمد بن
مطرّف النسائي (المتوفى سنة ٣٧٧/٩٨٧) ، من أهل البيرة وسكن غرناطة ،
وكان صاحب رحلات وأسفار وحج إلى مكة ، وألف للخليفة الحكم المستنصر
كتاباً أسماه « المعارف في أخبار كورة البيرة وأهلها وقوايلها وأقاليها وغير ذلك
من منافها » ، وهو كتاب عمتج جداً — كما يقول ابن بشكوال في الصلة .

(*) ابن القرضى : علماء ، رقم ١٠٦٧ .

ابن فرج الجياني : أودعه الحكم المستنصر السجن لأمر نفيه عليه ، فضى
ينظم الشعر في محنته حتى مات في الحبس سنة ٣٥٩/٩٧٠ . وقد سبق ابن بسام
صاحب « الذخيرة » بكتابه « الخدائق » في التأليف في هذا الفن ؛ وقد ضاع
كتاب الخدائق ، وكان يضم أخبار معاصريه من الشعراء حتى القرن الرابع الهجري .
[وقد قال الجياني عن كتاب الخدائق : « ألفه للحكم المستنصر ، وعارض فيه
كتاب « الزهرة » لأبي بكر محمد بن داود بن علي الأصماني ، إلا أن أبا بكر
إنما ذكر مائة باب ، في كل باب مائة بيت ، وأبو عمر أورد مائتي باب ، في
كل باب مائتي بيت ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر ، ولم يورد فيه تغير
أندلسي شيئاً . قال لنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد : وأحسن الاختيار ما شاء ،
وأجاد فبلغ النهاية ، فأتى الكتاب فرداً في معناه » .

وأنف في ذلك الباب نمر أقل شهرة من ذكرناهم ، مثل علي بن عبد المحسن
الفتوحى (المتوفى سنة ٣٨٤/٩٩٤) ، وهو إشبيلي وضع مجموعاً من تراجم الشعراء
والفرويين وأهل السياسة (يوجد مخطوطاً بمكتبة الإسكور بال) عنوانه « المستجد
من فصلات الأجواد » ؛ وأبي بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن
أفلق الأنصاري الخزرجي بن ماء السماء (المتوفى سنة ٤١٩/١٠٣١) ، أخذ عن
أبي بكر الزبيدي وكان شاعراً مجيداً ، [يصفه ابن بسام بأنه كان في عصره
شيخ الصناعة وإمام الجماعة] ، وله كتاب في « أخبار شعراء الأندلس » أثنى
عليه ابن حزم ؛ وأبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الإشبيلي (المتوفى
حوالي سنة ٤٤٠/١٠٤٨) ، وقد قال ابن بسام إن له كتاباً جمع فيه أشعار أهل
الأندلس خاصة ، وهو صاحب كتاب « البديع في وصف الربيع » (نشره هنري
بيريس في باريس سنة ١٩٤٠) .

ف ٩٠ : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (توفي حوالي سنة ٥٤١ هـ

— ١١٤٧/٥٤٢ — ١١٤٨) :

من أهل شنترين في البرتغال الحالية ، نشأ في بيت محد وحسب ، ورحل إلى
أشبونة سنة ١٠٨٤/٤٧٧ ؛ ووفد على قرطبة للمرة الأولى سنة ٤٩٤/١١٠٠ مخلصاً
وراءه ما ملكت يده في بلده الذي انتهبه النصارى ، وقد وصف خروجه من بلده
متهوراً بقوله في فاتحة « الذخيرة » :

« وعلم الله تعالى أن هذا الكتاب لم يصدر إلا عن صدر مكشوف الأحناء ،
وفسرك خامد الذكاء ، بين دهر متلون تلون الحرباء ، لا تنبأذي من شنترين
قاصية الغرب ، مغول الغرب ، مهوع المرب ، بعد أن استنفد الطريف والبلاد ،
وأنى على الظاهر والباطن النفاذ ، بتوآر طوائف الروم علينا في عقر ذلك الإقليم .
وقد كنا غيبنا هنالك بكرم الانساب ، عن سوء الانساب ، واجتزأنا بمذخور
العتاد ، من التقلب في البلاد ، إلى أن نثر علينا الروم ذلك النظام ، ولو ترك القطا
ليلا لنام . وحين اشتد الملول هنالك ، اقتحمت بمن معي المسالك ، على مهامه
تكذب فيها العين الأذن ، وتُسْتَشِر فيها الحن :

مهامه لم تصحب بها الذئب نفسه ولا حلت فيها الغراب قوادمه
حتى خلصت خلوص الزبرقانت من سراره ، وفزت فوز القِدْح عند قياره ،
فوصلت حمى بنفس قد تقطعت شعاعا ، وذهب أكثرها التياغا ، وليتني عشت
منها بالذي فضلا ! ففتربت بها سنوات أنبوا منها ظل النمامة ، وأعيا بالتحول
عنها عي الحمامة ، ولا أنس إلا الانفراد ؛ ولا تبْلَغ إلا بفضل الزاد ، والأدب بها
أقل من الوفاء ، حامله أضيق من قر الشتاء ، وقيمة كل أحد ماله ، وأسوأ كل
بلد جهاله ، حسب المرء أن يسلم وفقره ، وإن ظلم قدره ، وأن تكثر فضته وذهبه ،
وإن قل دينه وحسبه . »

وقد صنف ابن بسام كتابه المشهور في سنة ٥٠٢/١١٠٩ في إشبيلية ، حيث استقر وعاش من قبله ، ومضى يدبج التراجم ويكيل المدح لمن يحزيه عنه بالمال ، وكان ذلك أسراً شامخاً صنعه ابن خاقان أيضاً . ويرى دوزي أن ما كان ابن بسام يصيبه من المال من أولئك السروات يشبه الأتلب التي يتقاضاها المؤلفون اليوم من الناشرين .

وقد صنف ابن بسام كتباً كثيرة لم يبق الدهر على بعضها ، مثل « كتاب الاعتماد على ما صح من أشعار المعتمد بن عباد » ، ومجموعاً من شعر عبد الجليل ابن وهبون عنوانه « كتاب الإكليل المشتغل على ذكر عبد الجليل » ، ومجموعاً من رسائل ابن طاهر صاحب مرسية هو « سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر » ، وديوان شعر الوزير أبي بكر بن عمار صاحب المعتمد : « تحية الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار » ، ومجموعاً من شعر المهجاء الذي قاله ابن بسام نفسه عما لم يذمه في الناس .

يبد أن الكتاب الذي أذاع اسم ابن بسام ووصل إلينا هو « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، وقد قسمه إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : (مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس ونشر في مجلدين في القاهرة ١٩٣٩ — ١٩٤٢) ، « لأهل حضرة قرطبة وما يصاحبها من بلاد متوسطة الأندلس » .

والقسم الثاني : (مخطوط بمكتبة أكسفورد ومكتبة الجمع التاريخي في مدريد) ، « لأهل الجانب الغربي من الأندلس ، وذكر حضرة إشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي » .

والثالث : (مخطوط بمكتبتي جوتا والجمع التاريخي الإسباني في مدريد) ، « لأهل الجانب الشرقي من الأندلس ، ومن نجم من كواكب العصر في أفق ذلك النهر الأمل إلى منتهى كلمة الإسلام هناك » .

والرابع : (مخطوط يملكه الأستاذ ليفي بروفسال ونشر الجزء الأول منه في القاهرة سنة ١٩٤٥) ، « أفردته لمن طرأ على هذه الجزيرة في المدة المؤرخة من أديب وشاعر ، وأوى إلى ظلها من كاتب ماهر ، واتسع فيها مجاله ، وحفظت في ملوكها أقواله ، ووصلت بهم ذكر طائفة من مشهورى أهل تلك الآفاق ، ممن نجم في عصرنا بإفريقية والشام والعراق » ، كما يقول ابن بسام .

ولم يرتب ابن بسام تراجمه على حسب السنين إلا في الجزء الخاص ببطليموس وما يصاحبها ، وإنما رتبها حسب مكانة المترجم في رأى ابن بسام . وهو يبدأ عادة بترجمة العَلَم المراد مرسلته في نثر بديع مسجوع ، ثم يذكر مؤلفات من يترجم له ويطرى مواهبه الأدبية ، ثم يورد مقتطفات من شعره ونثره .

ويذكر ابن بسام في فاتحة كتابه دافعه إلى تصنيف الذخيرة ، وهو الرغبة في الإعراف بأهل الأدب الأندلسيين ، إذ أنه رأى الناس يغمطون قدرهم ، فيقول : « وما زال في أفئتنا هذا الأندلسي القصي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنين ، وأئمة النوعين ، قوم هم مام طيب مكامر ، وصفاء جواهر ، وعذوبة موارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكلام المشقق ، لعب الدجى بجنون المؤرق ، وحدوا بفنون السحر الممنق ، حذاء الأعشى بينات الخلق ، فصبوا على قوالب النجوم ، غرائب المنثور والمنظوم ، وهاهوا غرر الضحى والأصائل ، بمجائب الأشعار والرسائل : نثر لوراء البديع لنسى اسمه ، أو اجتلاء ابن هلال لولاه حكمته ، ونظم لوسمه كُتِبَ أنسب ولا مدح ، أو تنبئه جرّول ماعوى ولا نبيح . إلا أن أهل هذا الأفق أبو ، متباسة أهل المشرق : يرجعون إلى أخبارهم المعتادة ، رجوع الحديث إلى قنادة ، حتى لونق بلك الآفاق غراب ، أو طن بأقصى الشام والعراق ذهاب ، لجأوا على هذا صنما ، وتلّوا ذلك كتابا محكما ؛ وأخبارهم الباعرة ، وأشعارهم السائرة ، لا بها جنان ولا خلد ، ولا يُصرّف فيها لسان ولا يد . ففاظنى منهم ذلك ، وأضت مما هنالك ، وأخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات

دهري ، وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى ، غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود
 'دوره أهلة' ، وتصبح بحاره نجاداً مضطحة ، مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه ،
 وقد بما ضيعوا العلم وأهله ، ويارب محسن مات إحسانه قبله ! وليت شمري ...
 من قصر العلم على بعض الزمان ، وخص أهل الشرق بالإحسان ١٩ » .

ثم يذكر بعد ذلك السبب الذى جعله يترك ذكر ما قال الأندلسيون من
 الشمرى فى عصور بنى أمية والنصور ، وهو أنه لم يشأ أن يسيد ما أورده ابن فرج
 الجياني فى « كتاب الحقائق » الذى ضامى به « كتاب الزهرة » لابن داود
 الأصفهاني ، ولهذا قصر كتابه على أهل زمانه بمن رآه بنفسه أو عرفه معاصروه ،
 [ويقول :

« فأضربت أنا مما ألف ، ولم أعرض لشيء مما صنف . ولا تطدبت أهل
 عصرى ، من شاهدته بمصرى ، أو لحقه بعض أهل دهري ؛ إذ كل مردد ثقيل ،
 وكل متكرر مملول ، وقد تجت الأسماح : « يادار مئة بالمياه فالسند » ، وملت
 الطباع : « لخوالة أطلال برفقة نهد » ، وتحت : « قفا نيك » فى يد
 المعلمين ، ورجعت على ابن حنجر بلائمة التكلمين ؛ فأما « أين أم أوى » ،
 فلى آثار من ذهب العفا . أما أن أن يعم صداها ، ويثام مداها ؛ وكم من نكتة
 أغفلتها الخطباء ، ورُب متزدم غادرته الشراء ؛ والإحسان غير محصور ، وليس
 الفضل على زمن بمقصور ، وعزير على الفضل أنت يُنكر ، تقدم به الزمان
 أو تأخر . ولحى الله قولم : الفضل المتقدم ! فكم دفن من إحسان ، وأخل من
 فلان ! ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين ، لضاع علم كثير ، وذهب
 أدب عزيز » .]

ثم يحذر عما عساه أن يكون قد أغفله أو سها عن ذكره فى كتابه بالظروف
 الخاصة التى أنفه فيها ، ثم إن الأوراق والكتب التى كان يعتمد عليها كانت حافلة
 بالأخطاء مما كان يكلفه عناء بالنسبة فى البحث والتنقيب ، وهو يقول :

« ولعل بعض من يتصفحني يقول : إني أغفلت كثيرا وذكرت خاملا وتركت مشهوراً . وعلى ريشته ، فإنما جمعت بين صعب قد ذل ، وغرب قد قل ، ونشاط قد قل ، وشباب ودع فاسقل ، من تفاريق كالتقرون الخالية ، وتمايلين كالأطلال للبالية ، بخط جهال كخطوط الراح ، أو مدارج النمل بين مهابة الراح ، ضبطهم تصحيف ، ووضعهم تبديل وتحريف ، أيا من الناس منها طالبا ، وأشد ثم استراة بها كاتبها ، فذهبت أنا أفعالها ، وفضضت قيودها وأغلالها ، فأضحت غايات تبين وبيان ، ووَضَحَت آيات حسن وإحسان » .

[ويقول في موضع آخر :

« ولكنني بما أقدمت عليه ، وتصديت إليه ، كالنسيم دل على الصبح ، والسهم ناب عن الرمح ، ولا أقول إني أغربت ، لكن ربما بينت وأعربت ، ولا أدعي أني اخترعت ، ولكنني لعل قد أحسنت حيث اتبعت ، وأنقنت ما جمعت ، وتألفت عن الشارد ، وأغيت عن الغائب بالشاهد ، وتغلغل بقارنه بين النظم والنثر ، تغفل الماء أثناء النور والزمهر ، وانتقلت من الجد إلى المزول ، انتقل الضحيان من الشمس إلى الظل ، واستراحة البهير من الحزن إلى السهل ، وتخلت ما ضمته من الرسائل والأشعار ، بما اتصلت به أوقلت فيه من الوقائع والأخبار ، واعتمدت المائة الخامسة من المعجزة فشرحت بعض محنها ، وجلوت وجوه فتنها ، وخلصت القول بين قبيحها وحسنها ، وأحصيت علل استيلاء طوائف الروم على الإقليم ، وألمت بالأسباب التي دعت ملوكها إلى خلعهم ، واجتثاث أصلهم وفرعهم ، وعبرت عن أكثر ذلك ، بلفظ يتبع المم بين الجوانح ، ويحل المضم سئل الأباطيح ، وعولت في ذلك على تاريخ أبي مروان بن حيان ، فأوردت فصوله ، ونقلت جملة وتفصيلا ، فإذا أعوزني كلامه ، وعزني سرده ونظامه ، عكفت على طلي البائد ، وضربت في حديدى البارد ، على حفظ قد تشعب ، وحظ من الدنيا قد ذهب »] .

وقد وضع ابن ميمون (٤٥١ - ١١٤٧/٦٠٥ - ١٢٠٩) مختصراً لـ ذخيرة ابن بسام .

وقد كانت الذخيرة - قبل البدء في نشرها بزمن طويل - من المراجع التي انتفع بها دوزي انتفاعاً عظيماً في بحوثه الكثيرة عن الأندلس وأهلها ، كما يرى بوضوح في كتابه المسمى « أقوال كتاب العرب في بني عباد » (*) (١٧٥) وفي « أبحاثه » المروقة ، ومن هذا الكتاب الأخير نقتطف القطعة التي نوردناها فيما يلي (نقلاً عن الطبعة الثانية « للأبحاث » جزء ٢ ، ص ٢٢ وما يليها) وهي تدور حول استغلاب السيد القمييطور لبلنسية :

« قال ابن بسام : وتم للطاغية رذريق مراده القيم من دخول بلنسية سنة ٤٨٨ ، على وجه من وجوه غدره ، وبعد إذعان [ابن جحاف] القاضي المذكور لسلطة كبره ، ودخوله طائفاً في أسره ، على وسائل اتخذها ، وعهود ومواثيق بزعمه أخذها ، لم يمتد لها أمد ، ولا كثر لأيامها عدد . وبقي مديدة يضجر من صحبته ، ويلتمس السبيل إلى نكبتها ، حتى أمكنته [الفرصة] : زعموا بسبب ذخيرة نفيسة من ذخائر ابن ذى النون ؛ وكان رذريق لأول دخوله سألها عنها ، واستحلفه بمحضر جماعة من أهل اللتين على البراءة منها ، فأقسم بالله جهد أيمانه ، فأفلا عما في النيب من بلائه وامتحانه . وجعل رذريق بينه وبين القاضي المذكور عهداً أحضره الطائفتين ، وأشهد عليه أعلام اللتين ، إن هو انتهى بعدُ

(*) وعنوان الجزء الأول منه كاملاً :

Historia Abbadidarum. Praemissis scriptorum arabum de ea dynastia locis nunc primus editis. (Lugduni Batavorum, 1846)

= تاريخ بني عباد . أهم ما كتبه كتاب العرب عن هذه الأسرة [مما] لم يسبق نشره ، لايدن ١٨٤٦ . وعنوان المجلدين الثاني والثالث يختلف بعض الشيء ، وهو للاستعمل عادة عند العلماء في الإشارة إلى هذا الكتاب وهو :

Scriptorum arabum loci de Abbadidis nunc primum editi. (Lugduni Batavorum, 1852)

= أقوال كتاب العرب في بني عباد [مما] لم يسبق نشره قبلاً .

إليها وعثر عنده عليها ، فاستحطن إخفار ذممه وسفك دمه فلم ينشب رذريق أن
ظهر على التدخيرة المذكورة لديه ، لما كان قد حُمّ من إجراء محنته على يديه ،
ولملمها كانت منه حيلة أدارها ، وداعية من دواهيه سددها وأثارها ، فأنحى على
أمواله بالنهاب ، وعليه وعلى أهله بأبواب العذاب ، حتى بلغ جهده ويأس مما عنده ،
فأضرم له نارا أتلفت ذمّاه ، وحرقت أشلاءه .

« حدثني من رآه وهو في ذلك مقام : وقد حفر له خفير إلى رفغية ، وأضمرت
النار حواليه ، وهو يضم ما يمد من الخطب بيديه ، ليكون أسرع لذهابه ، وأقصر
لمدة عذابه ؛ كتبها الله له في صحيفة حسناته ، ومحابها سالف سيئاته ، وكفانا بعد
ألم نجاته ، وبسرنا إلى ما يزلف إلى مرضاته .

« وم يومئذ الطاغية لدريق يتمحريق زوجته وبناته ، فكلمه فيهن بعض
طائفاته ، فبعد لأي ما لفته عن رأيه ، وتخلّصن من أيدي نكداته .
« وأضرم هذا المصاب الجليل أقطار الجزيرة يومئذ نارا ، وجلل سائر طيقاتها
حزنا وطرا ، وغلظ أمر ذلك الطاغية حتى فدح التهاشم والنجود ، وأخاف
القريب والبعيد .

« حدثني من سمعه يقول ، وقد قوى طمعه ولجّ به جشمه : « على رذريق
فتحت هذه الجزيرة ، ورذريق يستفقدوها » كلمة ملأت الصدور ، وخيلت
وقوع الخوف والمحدور .

« وكان هذا الباقية وقتته — في ذرى شهامته ، واجتماع حزامته ، وتنأى
صرامته — آية من آيات ربه ، إلى أن رماه سريعا بمحنته ، وأمانته بيلنسية
حيف أنفه .

« وكان — لسته الله — منصور القلم ، مظفراً على طوائف العجم . لقي
زعماهم مراراً — كنرسية المنبوز بالقم الموج ، ورئيس الإفرنج ، وابن رديم —
قل حد جنودهم ، وقتل بعده اليسير كثير عددهم .

« وكان -- زعموا -- تدرس بين يديه الكتب ، وتقرأ عليه سير العرب ، فإذا انتهى إلى أخبار المهلب استغفقه الطرب ، وطلق يمجيب منها ويتعجب » (١٧٦) .
وقد عقد هذا المستشرق المولندي -- « راينهاردت بيتر -- آن دوزي --
مقارنة بين « ذخيرة » ابن بسام و « فلاند » ابن خاقان التي كتبت بعدها بنحو
عشرين سنة ، قال فيها : « إذا نحن أقمنا مقارنة على الأساس الصحيح للنقد ،
لم نجد أى مجال ممكن للمقارنة بين الكتابين ؛ فإن كتاب ابن بسام يتحدث عن
نفسه بما تضمنه مادته من قائمة حقيقية . فهو يحوى -- إلى جانب القطع القيمة
التي نقلها من كتابات ابن حيان -- قدراً عظيماً من المعلومات الجديدة الهامة
عن تاريخ الحضارة والأدب الأندلسيين ، في حين أن كتاب ابن خاقان أقل
نفعاً في هذا الباب ، وإن كان يحوى فوائد كثيرة ، على عكس ما يذهب
إليه بعض الباحثين » .

هذا وكلا الكتابين جليل القدر من حيث الأسلوب ، فمما مصوغان في نثر
شاعري جميل ؛ وإذا نحن قدرناهما بميزان البلاغة والفنوق الأدبي عند العرب ،
-- ولم نكتبنا -- فإن ابن خاقان يحوز قصب السبق في رأى دوزي . وهو يقول
في هذا المعنى : « ذلك أن ابن خاقان لا تعوزه بأى حال الأخيلة البميدة المطارح ،
أو الصياغة اللفظية القنينة ، أو العبارة الجزلة الرنانة ذات الإيقاع الجميل ؛ أما ابن
بسام فنحن نلاحظ أنه يمانى عسراً وقرأ في هذه الناحية . وابن خاقان أقرب منه
إلى صفاء أسلوب الخطابة العربي للوقت ، ولهذا قد كان كلامه أقرب من كلام
صاحبه إلى نفوس معاصريهما . بيد أن هناك ناحية على أعظم جانب من الأهمية
سبق فيها ابنُ بسام معاصره بمرآحل لا يمارى في بعد مدناها ، تلك هى تفوقه على
صاحبه في القدرة على التصوير وسعة الاطلاع الأدبي . وفي الواقع أن صدر ابن
بسام حوى من العلم ما لم يبلغ مداه فيه إلا القلائل : فقد ألم بتاريخ العرب القديم
وتمثله تمثلاً كاملاً ، وحفظ أشعارهم وأمثالم السائرة ، في حين أن ابن خاقان

لم يتسقى في هذه الناحية إلا قليلا ، ومن ثم فإن القوة وجمال التعبير يعوزانه كلما وصل بالكلام إلى موقف عسير ، بل هو يتخبط في بعض الأحيان في مهاوى الجمل : وإن ابن بسام ليكثر من المقارنة بين شعر المحدثين (معاصريه) وشعر القدامى ، ويشير إلى اللواضع التي قد فيها الآخرون الأولين ، ويرى القارئ طرفا من التاريخ الداهب إذا دعت المناسبة إلى ذلك ، مما يجعل كلامه أكثر فناء ، بل ألطف وأخف على القلوب « (١٧٧) .

وقد اعتمد ابن بسام — فيما اعتمد عليه — على تاريخ منظوم للأندلس لأبي طالب عبد الجبار اللثبي ، على غرار أرجوزة يحيى النزال ، وقد عاش أبو طالب في حدود سنة ١١٢٦/٥١٩ وكان من أهل جزيرة شقر « (١٧٨) .

ف ٩١ — ابن خافاه (أبو نصر الفتح محمد بن عبيد الله الفقيسي) :

أصله من « صخرة الولد » ، قرية على مقربة من قلعة يحصب « (١٧٩) من أعمال غرناطة . كانت حياته اضطرابا متصلا ، خرج إلى الحياة قدورا لا يملك من حطائها شيئا ، وكان مع ذلك مقبلا على الخمر مسرفا في ملذاته . وقد طاف بنواحي الأندلس مردداً على « من يعاطون الراح » من أولى الأمر يسألم العطاء ؛ وكان متهاونا ، فأخرج مما كان يتولاه من أعمال الدولة . قال ابن الخطيب : « قال ابن عبد الملك [المراكشي] : قصد [ابن خافان] يوماً مجلس قضاء أبي الفضل [عياض بن موسى بن عياض اليحصبي] مخمرا ، فتسلم بعض حاضري المجلس رائحة الخمر ، فأعلم القاضي بذلك ، فحده حدا تاما ، وبث إليه بعد ذلك بثانية دنانير وعامة . وقال القفتح يومئذ لبعض أصحابه : عزمتُ على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من « القلائد » ، فقال : لا تفعل ، فإن قصتك من الجائز أن تنسى ، وأنت تريد أن تتركها مؤرخة ! إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والنسب ، فيسأل عن ذلك فيقال له ، فيتوارث العلم

بنك الأكبر والأصغر . قال : قلم حجة نصحه فأقر اسمه « (٥) » .

وكانت بينه وبين ابن باجة القيلسوف عداوة شديدة ، قال ابن الخطيب :
« وحدثت بعض الشيوخ أن سبب قتله على ابن باجة أبي بكر — آخر فلاسفة
الإسلام بالأندلس — ما كان من إزرائيه به وتكذيبه إياه في مجلس أقرانه ،
إذ جعل يكثر ما وصله به أسراء الأندلس . ووصف حلياً — [وكانت] تبتدر من
أنفه دائماً فضلة خضراء اللون ، زعموا — فقال ابن باجة : « فن تلك الجواهر هذه
الزمردة التي على شاربك ا » ، فقلبسه في كتابه بما هو معروف « (٦) » .

وقد بلغ من تمكن ابن خاقان من اللغة وقدرته على صياغة الكلام ، أنه
عند ما تعرض لابن باجة في « القلائد » قال منه بلسانه الحاد كل منال ، ثم ألم
بذكره في « المطمح » بمبارات مديح جوفاء تطوى في ثناياها من المبعج اللاذع
ما يربى على المهجاء الذي قاله فيه قبلاً (١٨٠) . وقد توفي ابن خاقان غنوقاً في فندق
بأحد دروب سراكش في ٢٢ محرم ٥٣٩ / ١٣ نوفمبر ١١٣٤ . ويذهب بعض الناس
إلى أن علي بن يوسف بن تاشفين هو الذي أوعز بقتله ، في حين ذهب الآخرون
إلى أن نفرأ من أهل حاشية علي بن تاشفين دبوا قتله ، لما آلمهم من نقده فبمثوا
أحد غلمانهم بقتله (١٨١) .

وقد رويت لابن خاقان قطع من الشرقلية ، وهي « وسط بعيد عن طرفي
الفث والسمين ، وكان لا يتعنى فيه ولا يتكلفه ولا يقصد قصده ، وإن ذلك
لعذر في عدم الإجابة » (١٨٢) ، وكتب عن بعض الأمراء بعض السكاتبات ؛
ولكن شهرته ترجع إلى كتابيه الجليلين « مطمح الأنس ومسرح التأنس » ،
و « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » .

(٥) ابن الخطيب : الإحاطة . وترجمة ابن خاقان ليست في مستنها المطبوعة في مصر ،
ولكنها واردة في مخطوطها بالمكتبة الأهلية في باريس ، وعنه نقلها دوزي (أخبار ابن عباد
١٠ ، ص ٢ - ٣) ، وعنه أخذت .
(٦) انظر (ف ١٠٦) .

أما الأول فقد قسره على أعيان الأندلس وذوى السباحة والظرف من أهله ،
وجعله « ثلاث نسخ : كبرى ووسطى وصغرى » ، يذكر فيها [نفراً] من الذين
ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم ^(١٨٣) ، وقد طبع في
القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ . أما « قلائد المقيان » (طبع في باريس سنة ١٨٠٦
وفي بولاق سنة ١٨٦٧) فهو تكرار للمطمح في بعض أجزائه ، وقد قسمه إلى
أربعة أقسام : الأول « في محاسن الرؤساء وأبنائهم ودرج أنموذجات من مستعذب
أبنائهم » ، والثاني « في غرر حلية الوزراء وقفر لكتاب والبلغاء » ، والثالث
« في لمع أعيان القضاة ولمع أعلام العلماء السراة » ، والرابع « في بدائع نبهاء الأدباء
وروائع لغول الشعراء » .

وهدف ابن خاقان من تواليفه هو إيراد ما قاله من يلهمهم من النثر الرصين
والشعر البديع ، دون أن يقصد إلى إيراد سير حياتهم بالذات ، ولهذا فتراجمه ناقصة ،
لأنه لا يذكر من تواريخ الناس إلا ما يتصل بما يورد من نظمهم ونثرهم ، وقد خلط
في بعض ما أورده من الحوادث ، وتبهم في الخطأ فخر من أخذ عنه عن أتى بعده .
وإذا كانت القيمة التاريخية لكتابه قليلة ، فإن قيمتها الأدبية عظيمة ،
وما — إلى جانب « ذخيرة » ابن بسم — أحسن ما ألف الأندلسيون من
النثر المسجوع . وقد أطنب بعض من ترجموا له في إطراء مواهبه الأدبية ، فقال
عنه ابن دحية — مثلاً — في اللطرب : « وكان ، رحمتنا الله وإياه ، مخلوع المذار
في دنياه ، ولكن كلامه في تواليفه كالسحر الحلال ولواء الزلال » ^(*) .

وكان ابن خاقان لا يحفل بشيء ، حتى لقد نقل من « الذخيرة » فصولاً
كاملة دون أن يشير إلى صاحبها ، مما جعل ابن بسم يشكوه إلى القاضي ، كما
يقول ابن سميذ ^(١٨٤) .

وقد وصل ابن الإمام (أبو عمر عثمان بن علي الإشبيلي المتوفى بعد سنة

(*) ابن دحية : اللطرب ، ورقة ١٢٠ .

٥٤٩/١١٥٥) « مطمح » ابن خاقان و « قلائد » بكتاب من نوعها وفي أسلوبه في شعراء عصره هو « سمط الجنان وسقيط المرجان » . وابن الإمام من أهل شلب ، وقد سكن قرطبة وإشبيلية ، وكتابه أشبه بذيل على « المطمح » . وفعل مثل ذلك أبو بحر صفوان بن إدريس بن عبد الرحمن بن عيسى التجيبي المرمي (٥٦١ — ٥٩٨ / ١١٦٤ — ١٢٠١) من أهل مرسية ، وقد صنف كتاب « زاد المسافر » في تراجم كتاب الأندلس في القرن السادس المجري ، إكالا لما كتبه ابن خاقان وابن الإمام ، وأورد بعض ما قيل من الشعر في فضائل مرسية ؛ وكان من تلاميذ ابن بشكوال ، وقد جمع نظمه ونثره في كتاب سماه « عجالة المتحضر وبداية المستوفز » (١٨٥) .

ف ٩٢ — الشقندي (أبو الوليد اسماعيل بن محمد المتوفى سنة

٦٢٩ — ١٢٣٢) :

يشبه الشقندي في « رسالته » للركيز سانتيلانا El Marqués de Santillana في كتابه Proemio للمسي ، فهي تعتبر نموذجاً من نماذج النقد الأدبي . وأصله من شقندة أحد أرباض قرطبة ، وكان مولماً بما يروى من التاريخ وما يحكى من نوادر المؤلفين والشعراء ، وكان ذا حظوة عند أبي يوسف يعقوب للنصور خليفة الموحدين ، وولى على قضاء ياسة وأبنة ولورقة ، وهو صاحب « الرسالة » المشهورة ذات القيمة الأدبية العظيمة (١٨٦) .

وسبب إنشائه هذه الرسالة أن مناقشة جرت بحضرة أبي يحيى بن أبي زكريا عامل سبتة الموحدي حول « التفضيل بين البرين » (الأندلس والمغرب) ، فانبرى أبو الوليد الشقندي الأندلسي وأبو يحيى بن الملم الطنجي المغربي يتساجلان ، كل يباهي بفضائل قطره ، فرأى أبو يحيى أن يحسم المناقشة فقال : « الراى عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل برّه ، فالكلام هنا يطول ويمر ضياعاً ،

وأرجو إذا أخلينا له فكر كما صدر عنكما ما يحسن تخليده ؛ فقلنا ذلك « (١٨٧) .

وقد احتفظ لنا ابن سحيد بنص رسالة للشقندي ، وأورد نصها المقرئ في « نفع الطيب » . وقد بدأها بدخض حجة خصمه في القول بأن المغرب أصل الملك والسلطان ، وقارن بين دولة الموحدين وخلافتهم ودولة الأمويين وخلافتهم في الأندلس ، وذكر كيف أفاض الشعراء من كل قمع في مدح أولئك الأخيرين وفاخر بمن أنجبت دولتهم من القواد ، كالنصور بن أبي عامر وموالي العاصريين الذين خلد الشعراء مآثرهم وأفاضوا م على الشعراء الجزيل من ندام ، ولم يذكر أبي غالب النحوي الذي أبى اعتزازه بمؤلفه وأمانته لعله أن يذكر في فاتحته أنه ألفه باسم مجاهد العاصري صاحب دانية ، ورفض ألف دينار « وسركوباً وكُسى » عرضت عليه لقاء ذلك ، وذكر رعاية ملوك الأندلس للأدب وأهلها ، وضرب المثل ببني هباد . ثم مضى الشقندي يسدد من أنجبه الأندلس من الفقهاء والفقيين والنحويين والفلاسفة والرياضيين والأطباء والمؤرخين والمؤلفين الذين تجلت قرائنهم عن درر أدبية ، وتقاد الأدب ومن أحلمهم الأندلس من الشعراء الذين أبدعوا في كل فن من فنون الشعر (كالنسيب والمدح والمجاء) ، وأبان من ظهر منهم من بين أهل كل طبقة من الناس (كالملاك والوزراء والنساء وغيرهم) ، أولئك الشعراء الذين أنشأوا من القصيد ما سارت بمدحهم الركبان ، وأحسنوا التعبير عن أدق المواضع . يذكر الشقندي ذلك كله في ثبوت طويل يفيض حيوية ، جمع فيه ألمع الأسماء وأحفلها معنى ودلالة .

ويذكر إلى جانب ذلك محاسن إشبيلية ، ويتقنى بحالها ويقول : « وإن تعرضت إلى ذكر البلاد وتفسير محاسنها وما خصها الله به وحرمة غيرها ، فاسمع ما يميمت الحسود كدأ : أما إشبيلية فن محاسنها اعتدال الهواء ، وحسن اللباني ، وتزيين الخارج والداخل ، وتمكّن التمسر ، حتى إن العامة تقول : لو طُلب ابن

الطير في إشبيلية وُجد . ونهرها الأعظم الذي يصعد للذ فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم
بحسّر ، وفيه يقول ابن سفر :

شق النسيم عليه جيب قيصه فانساب من شطيه يطلب ناره

ففضاحت ورق الحمام بدوحها هزماً فضم من الحياء إزاره

وزيادته على الأنهار كون ضفتيه مطرزة بالمنازه والبساتين والكروم والأنشام ،
موصول ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره . وأخبرني شخص من الأكياس دخل
مصر — وقد سأله عن نيلها — أنه لا تتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالاً
بنهر إشبيلية . وكذلك أخبرني شخص آخر دخل بغداد . وقد سمع هذا الوادي
بكونه لا يخلو من مسرة ، وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر ،
لأنه عن ذلك ولا منتهى ، ما لم يؤد السكر إلى شر وعريضة (*) .

وقال بعد ذلك : « إن إشبيلية تحوى كل أدوات الطرب ، كالخيل
والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمونس والكثيرة والفنار (الفنار
والقتيان والقبتان أيضاً) والزلاوى والشفرة والنورة — وهما مزملران الواحد
غليظ الصوت والآخر رقيقه — والبوق ؛ وإن كان جميع هذا موجوداً في
غيرها من بلاد الأندلس ، فإنه فيها أكثر وأوجد . وليس في ر العدة من هذا
شئ ، إلا ما جلب إليه من الأندلس ، وحسبهم الدف وأقوال « والبرا »
(والبرا أيضاً) وأبوقرون ودبابة السودان وحقا البرابر . . . » . وذكر قرطبة
مجمع أهل العلم ، وكيف قصدوها من كل صقع فتلقاهم ملوكها بالكرمة والأفضال ؛
وقال : « فعلى كرمى المملكة في القديم ، وسركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم
والقديم » . وألم بذكر قواعد أندلسية مثل جيان وقال إنها « لبلاد الأندلس
قلمة ، إذ هي أكثرها زرعاً وأصربها أبطالاً وأعظمها منعة » ، ومالقة « التي قد
جمعت بين منظر البر والبحر ، بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترد فيها فرجة لموضع

(*) الشنقى : رسالة ، برواية للفرى ، ٢٠ ، ص ١٤٢ — ١٤٣ . وقد أشار
المؤلف إلى معنى هذه الفقرة ، فأوردتها بنصها كنموذج لكلام أبي الوليد إسماعيل الشنقى .

غاسر ، والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء ، ورسية
 « حاضرة شرق الأندلس ، ولأهلها من الصرامة والإباء ما هو معروف مشهور » ،
 وبلنسية « التي تعرف بمطيب الأندلس ، ورصافتها من أحسن منفرجات
 الأرض » ، وميورقة وما لها من محاسن وفضائل ، بخلاف ما أنجده في المغرب من
 فقر في نواحي الحضارة وجذب طبيعي^(١٨٨) .

والرسالة نموذج جليل من عرض العلم الواسع في نسق لطيف ، وهي تثير
 الإعجاب بأسلوبها وروحها القسكة . ثم إنها ميزان صادق للقد ، قد أيد الذين جاءوا
 بعد الشقندي آراءه في الأعلام وللزوقين الذين أخذهم مثلاً .

وقد أجل وصفها غرسية غومس بقوله : « إن المختارات القليلة التي يقدمها
 لنا الشقندي من الشعر الأندلسي جديرة بالذكر والتقدير ، لما اجتمع لها من
 الكمال المصنفي ، وما يتجلى فيها من التفكير والاعتزان في الجمع بين القديم والمعاصر
 من كافة الطبقات ، وبما نلاحظه فيها — قبل كل شيء — من صدق الحكم وناقد
 في ناحية الجلال الفني » .

ف ٩٣ — ابن الخطيب والمقرئ :

ونذكر من ألف في تاريخ الأدب في العصر النوراني محمد بن علي بن هاني
 (الغوري سنة ١٣٣٢/٧٣٢) وهو من أهل سبقة وكان يلقب « بالخطيب » لفصاحته ،
 وقد صنف مؤلفاً عن شعراء القرن السابع الهجري عنوانه « الفترة الطالمة في شعراء
 المائة السابعة » وكجبا أخرى في الفقه ، بيد أن أهم من ألف في هذا الباب في
 ذلك العصر هو لسان الدين بن الخطيب الذي ألسنا بذكره (ف ٨١) .

ومن الحق أن نذكر في هذا المقام المقرئ المشهور (أبا العباس أحمد بن محمد
 ابن أحمد بن أبي العيش) ، وإن لم يكن أندلسياً أو من أهل العصر الذي يتحدث
 عنه ، إذ هو من أهل القرن الحادي عشر الهجري ، توفي سنة ١٠٤١/١٦٣٢ .

وله المقرئ في تلمسان؛ ودرس في طاس، وأولع بطلب آداب الأندلسيين؛ وقد جمع في كتابه «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب» وذكر وزيرها اسان الدين بن الخطيب^(١٨٩) قطعاً من مؤلفات سابقة صاغ معظمها، أرسلها من غير نظام، والسكن في دقة وضبط حسن. والجزءان الأولان مقدمة للثالث والرابع، اللذين يدوران على ابن الخطيب وحده. ويضم الجزءان الأولان ثمانية أبواب: الأول: «في وصف جزيرة الأندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيرها...» وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والسكر المستمدة من أضوائها».

والثاني: «في إلقاء بلد الأندلس للمسلمين بالقياد، وفتحها على يدى موسى ابن نصير ومولاه طارق بن زياد...»، مع الإلمام بذكر ولاتها قبل بنى أمية. والثالث: في ذكر خلفائها وملوكها «وسرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامى العباد».

«والرابع: في ذكر قرطبة، التي كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهرة، وجامعها الأموى ذى البدائع الباهية الباهرة، والإلمام بمحضرى الملك الناصرية الزهراء والعاصرية الزاهرة...».

والخامس: «في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق». والسادس: «في ذكر بعض الرافدين على الأندلس من أهل المشرق». والسابع: «في نبذة مما من الله به على أهل الأندلس من توفد الأذهان». والثامن: «في ذكر تطلب العدو الكافر على الجزيرة».

وأهمية كتاب المقرئ هي أنه نقل إلينا فقرات هامة من تاريخ الأندلس ضاعت أصولها^(١٩٠).

وقد نشر الجزءين الأولين من «النفع» أربعة من المستشرقين هم: ر. دوزى R. Dozy، ج. دوجا G. Dugat، ل. كرييل L. Krehl، و. رايت

W.Wright في لايدن بين سنتي ١٨٥٨ و ١٨٦١ وجملاهما عنواناً فرنسياً أدل

على مادتهما وهو :

Analectes sur l'histoire et la littérature des Arabes d'Espagne.

ويذكر الكتاب في المراجع الأوروبية بلفظ Analectes فقط . والطبعة
مصدرة بمقدمة فرنسية وافية عن المقرئ و« ترجمه » بقلم أحد الناشرين ، وهو
جوسيف دوجا . وقد نُشر النسخ كذلك كاملاً في بولاق سنة ١٨٦٢ ، وأعيد
طبعه في القاهرة بإشراف الشيخ محي الدين عبد الحميد سنة ١٩٤٩ . وترجم
جايا نجوس قطعاً كبيرة منه إلى الإنجليزية ونشرها باسم :

The History of the Mohammedan Dynasties in Spain...
extracted from Al-makkari.. translated by Pascual de Gayangos.
London 1840 - 1843, 2 vols. (١٩١)

(٤) تواريخ النواحي

ف ٩٤ — أهم المؤلفات في هذا الباب :

نجد فيما بين أيدينا من المراجع ذكراً لكتاب « مجزأ في أجزاء كثيرة في
أخبار رية وحصونها وحروبها وقبائلها وشعرائها »^(١٩٢) ، تأليف إسحاق بن سلمة
ابن وليد القيني اللبي من أهل ريه (يكنى أبا عبد الحميد ، المتوفى حوالي ٣٩٩/
١٠٠٩) ، وكتاب آخر في تاريخها من تأليف إبراهيم بن وزعمور الحباري —
وهو والد صاحب السهب القبي أشرفنا إليه — وقد عاش في أواخر القرن الخامس
وأوائل السادس الهجريين ؛ وقد عهد إليه المأمون بن ذي القنون صاحب طليطلة
ونواحيها في وضع كتاب في شعراء وادي الحبارة وتأثيرها ومؤرخها ، فألف
كتاب « مغناطيس الأفكار فيما تحوى عليه » مدينة الفرج « من النظم والنثر
والأخبار » ، يعتبر تاريخاً حقيقياً لوادي الحبارة في صورة تراجم .

وكتب محمد بن عاتمة (محمد بن الخلف بن الحسن بن إسماعيل الصدفى ، ٤٢٨ - ١٠٣٦/٥٠٩ - ١١١٦) كتابه المروف « بالبيان الواضح في العلم القادح » ، سرد فيه تاريخ بلنسية في أيام السيد القميطور ، وتقلب عليها ومحتها على يديه^(١٩٣) . وقام الفقيه المحدث ابن عسكر (أبو عبد الله محمد بن هلى بن خضر الفسافى الملقب ، ٥٨٤ - ١١٨٨/٦٣٦ - ١٢٣٨) بوضع كتاب تاريخ مائة ، « وكانت فيها مجيذاً لعقد الشروط ، حافظاً لثمة أديباً بليغاً مشاركاً في العربية وقرض الشعر » (١٩٤) .

وألف أبو السطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة الخزومى^(١٩٥) (٥٨٢ - ١١٨٦/٦٥٨ - ١٢٦٠) كتاباً في فضائل ميورقة وتاريخها ؛ وقد ولد الخزومى في جزيرة شقر ، وكان شاعراً متبحراً في التاريخ والأخبار ، دخل في خدمة الموحدين فاستكتبه « الرشيد » ، ثم ولاء قضاء [قبيلة] هيلانة ، قضاء سلا ، ثم قضاء سبتة . ثم انتقل إلى تونس ودخل في خدمة الخفصيين ، وقلده المناصب في بجاية وتونس ، وله تأليف « في كائنة ميورقة وتقلب العدو عليها » ، « نما في الخبر عنها مدحى الإمام الأصفهاني في الفتح القدسى » . ثم ألف مختصراً لكتاب ابن صاحب الصلاة في تاريخ الموحدين ، وله وعظ على طريقة ابن الجوزى .

وتجرد أبو بكر بن تحسين - ابن أخى ابن عسكر الأنف الذكر - لكتابة تاريخ [الجزيرة] الخضراء ، فلما فرغ منه وصل كتاب همه ابن عسكر في تاريخ مائة . وكتب ابن الحاج البليقى (محمد بن محمد بن خلف بن سليمان بن حرب الله المتوفى سنة ١٣٧٢/٧١٥) « تاريخ المرية وبجاية »^(١٩٦) . وكان البليقى من شيوخ ابن الخطيب ، وقد وضع كتاباً عن زهاد الأندلس اسمه « كتاب الإفصاح

(١٩٣) ابن الأثير : تسككة ، رقم ١٠١١

(١٩٤) في الأصل « بجة » ، ولكن سيبويه قرأها « بجاية » وهو أقرب إلى القول .

من عُرف بالأندلس من الصلاح « ومسجماً بشيوخه »^(١٩٦).

ووضع ابن خاتمة (أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد الأنصاري ، ٧٢٣ - ١٣٢٣/٧٧٠ - ١٣٦٩) كتاباً وصف فيه الطاعون الذي اجتاحت الدنيا في سنوات ١٣٤٧/٧٤٨ و ١٣٤٨/٧٤٩ و ١٣٤٩/٧٥٠ ، والذي يشير إليه بوكاشيو في أول كتابه « الليالي العشر Decamerone » ؛ واسم كتاب ابن خاتمة « تمصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد »^(١٩٧).

الفصل السادس

الجغرافية والرحلات

- ف ٩٥ : الوراق — البكري .
- ف ٩٦ : عبد النعم الجبيري — أبو حامد القرطاطي .
- ف ٩٧ : الإدريسي .
- ف ٩٨ : ابن جبير .
- ف ٩٩ : البغدادي — الجغرافيون في العصر القرطاطي .

كان الحج إلى مكة هو السبب في تأصل حب الرحلة في قلوب الأندلسيين ، ومن ثم أولموا بالتنقل والأسفار ولما شديداً ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن ظهر من بينهم من ألف في وصف رحلته أو في صفة نواحي المسور . وقد وضع بعض أولئك الأندلسيين مؤلفات جغرافية خالصة (مثل البكرى وأبى حامد الفرناطى والإدريسى) ، بينما سجل بعضهم تفاصيل رحلاتهم أوصافاً كاملة ، أو غير كاملة ، كما يصنع الرحالة المحدثون عندما يسجلون يومياتهم (ومن أولئك ابن جبير والسبدي) .

ف ٩٥ - الوراق - البكرى :

بدأ الاهتمام بالتأليف في الجغرافية عند الأندلسيين في عصر الخلافة ، فقد ألف محمد بن يوسف الوراق (يكنى أبا عبد الله ويلقب بالتاريخي ، ٢٩١ - ٣٦٢ / ٩٠٤ - ٩٧٣) ديواناً ضخماً في « مسالك إفريقيا وممالكها » . وأصل الوراق من وادي الحجرة ، وانتقل آباؤه إلى إفريقيا ونشأ بالقيروان ودرس بها ، ثم عاد إلى الأندلس وأقام بها إلى أن توفي بقرطبة ، وكان ذا حظوة لدى الحكم المستنصر . وقد اهتم البكرى على كتابه هذا اعتماداً عظيماً . وإلى جانب ذلك صنف الوراق عن « إفريقيا وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتباً جمة ، وكذلك ألف أيضاً في أخبار تيفرت ووهران وتونس وسجلماسة ونكفور والبصرة وغيرها تواليها حسناً » ^(١) .

يبد أن أول جغرافي أندلسي جليل الشأن هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ابن محمد البكرى ، ولد في قرطبة في سنة ٤٣٢ / ١٠٤٠ وتوفي فيها سنة ٤٨٧ / ١٠٩٤ . وهو من بيت شرف وإمارة ، قد كان آباؤه أصحاب ولبة وشاطئيش ، إذ استبدوا بأمورها بعد سقوط الخلافة ، وظلوا في إمارتهم حتى غصبهم للمتصد بن عباد ولبة

واضطرم إلى التنازل له عن شلطيش لقاء مال دفعه إليهم ، فلقباً أبو البكرى إلى قرطبة وأقام في ظل بنى جهور أصحابها ، وصحبه ابنه أبو عبيد — وكان شاباً يافعاً — وهناك لقى ابن حيان المؤرخ وتوسم فيه النجابة والاستعداد للطلب . وتوفي سنة ١٠٦٤/٤٥٦ ، فانتقل أبو عبيد إلى الري وعرف صاحبها المعتصم محمد بن معن بن صمادح (ف ٣٣) ، فبعثه في مهمة إلى المعتد بن عباد في إشبيلية ، فلما استقر فيها حُبَّب إليه العيش في كنف المعتد . ويذكر ابن بشكوال أن البكرى كان يحب الكتب حباً جماً ، حتى لكان يمسكها في فمائه غالي إكراماً لها وصيانة ؛ ويبدو أنه كان ذا هوى شديد بالشراب ، فبعض أشعاره يدل على ذلك .

ويذهب دوزى إلى أن البكرى أكبر جغرافى أنجبه الأندلس ؛ ولم يبرح البكرى الأندلس ، ولهذا فإن مؤلفاته إنما هي في الواقع جمع وتصنيف من مؤلفات غيره مما لا نجد الآن . وقد أظهر البكرى في تصنيفه قدرة على الترتيب والتنظيم وموهبة عالية . وأكبر كتبه هو المسمى « المسالك والممالك » ، ولم يبق لنا منه إلا جزء في صفة المغرب ؛ وهو يذكر فيه المسالك (الطرق) التي تؤدي من ناحية إلى ناحية ، ويصف المدن والقرى التي تربطها ، ويضمن كلامه أخباراً غريبة نافعة . وقد بدأ كاترمير بترجمة الجزء الخاص بالمغرب ، وأتمه البارون دى سلان (نشر الأصل العربى في سنة ١٩١١ ، والترجمة الفرنسية في سنة ١٩١٣) ولم يُعثر على الجزء الخاص بالأندلس منه إلى الآن .

وكذلك أننى النقاد والباحثون على كتاب البكرى الأخر المسمى « معجم ما استمع » (طبعه فستفلاط طبع حجر في سنة ١٨٧٦ ، وطبع في القاهرة في جزءين سنة ١٩٤٠) ، ومن أننى عليه دوزى إذ يقول : « إننا نينا نجد غيره من الجغرافيين يقومون في خطأ بعد خطأ ، ويتناقضون أنفسهم بين موضع وموضع ، إذا بنا نجد معلومات البكرى واضحة ناصحة ، وكتابات توصف ببساطة واحدة : إنها صادقة » .

وقد تراءى إلى ظن فرانتسكو خافيير سيمونيت أن البكري لا بد أن يكون قد عرف كتاب « أصول الكلمات Etimologias » لـ إيزودور الإشبيلي مترجماً إلى العربية ، لأن أوصاف بعض للنواحى فى كتاب إيزودور تنطبق على أوصاف البكري لها . فالجزء الذى يصف فيه البكري جزائر فرطناطش *Islas Fortunatas* — المسماة بالسعادات أو جزائر كناريا — يبدو كأنه مأخوذ عن إيزودور .

وللبكري — إلى جانب ذلك — كتب أخرى فى اللغة والطب والدين ، مثل « كتاب النبات » (بالأندلس ، ذكره ابن خير) ، وشرحه لأمالى أبى على القالى المسى « سبط الآل » (ف ٥٥) ؛ وقد ضاعت هذه الكتب ما عدا الأخير منها فقد نشر فى القاهرة^(٢) .

ف ٩٦ — عبد النعم الحميري — أبو حامد الفرناطلى :

أشار المقرئ فى « فتح الطب » إلى معجم جغرافى يسمى « الروض المطار فى خبر الأقطار لسيد النعم الحميرى » ، ونقل منه قطعاً تدل على مادة طبية ، ووقع هذا الكتاب فى يد المقرئى فاختصره فى مجلد صغير . [وظل هذا الكتاب مجهولاً حتى عثر عليه الأستاذ لىثى بروقتال ، فقام باختيار المادة الخاصة بالأندلس منه ، ونشرها فى معجم جليل الفائدة سنة ١٩٣٨ ، مع ترجمة فرنسية وتعليقات ضافية وفهارس وافية ؛ فأصبح هذا الكتاب الآن من خير المراجع التى يعتمد عليها الباحث فى تاريخ الأندلس وجغرافيتها .

ومواد هذا الجزء المنشور عن الأندلس مرتبة ترتيباً أبجدياً ، وهو يضم معظم الأعلام الجغرافية الهامة التى يرد ذكرها فى كتب الأندلسيين . وقد حرص الحميرى على أن يورد ما اتصل ببلده من أطراف التاريخ عن الوضع الذى يتكلم عنه ، وأكثر هذه المادة التاريخية يتعلق بصر الموحدين الذى سقطت خلاله معظم حواضر الأندلس الكبيرة فى أيدي النصارى . والحميرى يعنى بتفصيل ذلك على

نحو فريد وفى أسلوب عربي رصين ، مما يجعل لهذا الكتاب أهمية كبرى المؤرخ والجغرافى على السواء^(١).

وقد كان من الظنون أن الجهرى عاش فى عصر المعتمد بن عباد ، ولكن ظهر الآن أنه من أهل القرن التاسع الهجرى ، فقد توفى سنة ٨٦٦/١٤٦١^(٢). أما أبو حامد النرناطلى^(٣) (محمد بن عبد الرحمن بن سليمان القيسى ، يكنى أَيْضاً أبا محمد وأما بكر ، ٤٧٣ - ٥٦٤/١٠٨٠ - ١١٦٩) فقد كان رحالة لا يمل الأسفار . زار صقلية سنة ٥١١/١١١٧ ، ومنها ذهب إلى مصر ، ثم قادها إلى ناحية بحر الخزر ، ووصل إلى ضفاف نهر الفولجا ، ثم طاف ببلاد الخزر والبغار ، ووصل ثلاث مرات إلى البحر الأسود ، وزار عاصمة خوارزم ، ثم زار بغداد مرة ثانية فى سنة ٥٥٥/١١٦٠ ، وأقام فيها رداً من الزمن ألف فيه للوزير يحيى بن محمد بن مهيبة كتاب « العرب من عجائب التعجب » . وأبو حامد مشهور بكتابه المسى « تحفة الأحباب ونخبة الإعجاب » ولدينا منه نسخ مخطوطة كثيرة . ويتألف هذا الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب : الأول « فى صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها » ، والثانى « فى صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان » والثالث « فى صفة البحار ومجائب حيواناتها » ، والرابع « فى صفة الحفائر والتبوير » وما إلى ذلك . والنرناطلى كذلك رسالة أخرى فى جغرافية المصور تسمى « تحفة الكبير فى أسفار البحار » .

وكان أبو حامد طليعة بطيمه ، ولكن حظه من الثقافة والنقد كان قليلا ، ومن ثم يكثر فى كلامه ذكر الخرافات والخرافات ، وقد أخذ القزوينى عنه كثيراً من هذه اللادة^(٤).

ف ٩٧ - أبو ريرة يسى :

كان الإدرىسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدرىس اللزوف بالشريف الإدرىسى ، ٤٩٣ - ٥٦٤/١٠٩٩ - ١١٦٩) حفيداً لإدرىس

(١) عدلت عبارة المؤلف هنا بما يتناسب مع معلوماتنا من عبد التميم الجهرى وكتابه بعد نقره .

الثاني الحمودي أمير مالقة ، ويبدؤاته درس في قرطبة ثم زار كثيراً من نواحي الأندلس والغرب ومصر وآسيا الصغرى ، ثم زار صقلية حيث أوجب به ملكها رُجَّار^(١) (رُوِجِرُ الثاني النرمانى ، من بيت هوثيل النرمانى فأتى الجزيرة) فأقام عنده ، وكان رجلاً من هواة الفلك فوجد في الإدريسي خير معين له على إشباع رغبته من ذلك العلم . ولما كان رجلاً قد رغب في أن يكون لديه « كتاب في صفة الأرض » ، مؤلف عن مشاهدة مباشرة لا مستخرج من الكتب « قد تصدى الإدريسي لوضع ذلك الكتاب ، واتخبط فقرأ من أذكياه الرجال وبعثهم في شتى النواحي يصاحبهم الراسمون ، وجعل يلقى ما يهودون به ويسجله أولاً بأول . وفرغ من كتابه سنة ١١٥٤/٥٤٨ ، ثم أضاف إليه أجزاء أخرى فيما بعد وسماه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، ويعرف كذلك « بالكتاب الرجَّارى » . وقد ألف الإدريسي كذلك « كتاب للملك » ، وقد اعتمد عليه أبو القدا ؛ وله كتاب في « الأدوية للفرقة » ، ذكره ابن سعيد وأقاد منه ابن البيطار ، وقد ضاعت هذه الكتب الأخيرة .

وقد عُرف « الكتاب الرجَّارى » في أوروبا منذ زمن طويل ، عن طريق موجز له طبع في روما سنة ١٥٩٢ . ثم قام اثنان من اللارونيين هما جبريل سيونيتا Gabriel Sionita ويوحنا هزرونيتا Juan Hesronita بترجمة هذا المختصر إلى اللاتينية ، ونشراه في باريس سنة ١٦١٩ باسم « جغرافية النوبة Geographia Nubiensis » . وقد قام دوزى وهى خويه بنشر الجزء الخاص بإفريقية والأندلس من « نزهة المشتاق » ، معجدين على مخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس ؛ وأرفقا النص بترجمة فرنسية عنوانها :

Description de l'Afrique et de l'Espagne (ليدن ١٨٦٦) ، وجعلوا لهذا الجزء عنواناً خاصاً هو : « الغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق » ؛ ثم عاد سافيرا قشره نشره مصححاً معديلاً في مدريد سنة ١٨٨١^(٢) .

وقد لقب الإدريسي «اسطرابون العرب» ، وهو يعتبر — بناء على ذلك — أكبر جغرافي أطلعت عليه المصور الوسطى . نعم ، إننا نجد في كتابه أخطاء في حساب المسافات والأبعاد والأوصاف ، ولكن لا ينبغي أن ينسب عن بالنا أن الإدريسي كتب كتابه هذا في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، وأن موت رجار وما أعقبه من القلاقل في دولة النورمان بصقلية ، حالت بين الإدريسي وبين أن يدخل على كتابه التعديلات الأخيرة الواجبة . ثم إن الكتاب حافل بالمعلومات الصحيحة في الغالب ، ومادته وافرة عن البلاد الأوروبية التي تسكنها شعوب نصرانية ، على أنه يضم بعض أطراف من الخرافات التي كانت أوسع ما تكون انتشاراً في عصره .

والجزء الخاص بجزيرة الأندلس عنده يبدأ بوضعها في الإقليم الرابع عند « البحر المظلم المحيط » ثم يستطرد إلى وصف الجزيرة ^(٨) ، بادئاً بطليطلة إذ هي « مركز لجميع بلاد الأندلس » ، وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة بين غرب وجنوب تسع مراحل ، ومنها إلى لشبونة غرباً ٩ مراحل ، ومن طليطلة إلى شنت ياقوب على بحر الإقليميين ٩ مراحل ، ومنها إلى جاقا شرقاً ٩ مراحل ، ومنها إلى مدينة بلنسية بين شرق وجنوب ٩ مراحل ، ومنها أيضاً إلى مدينة المرية على البحر الشامي تسع مراحل ^(٩) . ثم يصف بعد ذلك الجزء الجنوبي من الجزيرة ، فيحكم عن أقاليم البحيرة Provincia del Lagos de la Janda ^(١٠) وشذونة الشرف والسكنانية (وفيه من المدن قرطبة وغيرها) ^(١١) وأشونة ورثة والبشارت وبتجانة واليرة . ثم يتناول الجزء الشرقي ، وفيه أقاليم قريرة وتدمير وكونكة وشاطبة ^(١٢) ومريبطر (يكتبها مريبطر) والبنت ^(١٣) وشنت مارية للنسوبة لابن رزين (السهلة) . ثم ينتقل إلى الكلام عن غربي الأندلس ، فيذكر أقاليم الوجلة Encinas والتفر Algarbe والقصر (ماردة) والبلاط ومدلين Modelin وأشبونة . ثم يلي ذلك « الوسط » ، وفيه أقاليم الشارات Las Sierras (طليطلة . . الخ) وأرنيط Arnedo (وفيه قلعة

أيوب وقلمة دروكة وسرقطة ووشقة وتطيلة) ، ثم « إقليم الزيتون »
(جيان) ، Provincia de las Olivares ، ثم إلى ذلك « إقليم البُرُنات »
Provincia de los Pirineos ، وأخيراً مجد في ناحية الغرب إقليم مرزانية
Marmaria وفيه حصون وقلاع كثيرة [خالية] ^(١٤) .

وإليك مثالا من وصف الإدريسي ، تختيره من صفته لإقليم طليطلة :
« ومدينة طليطلة من طلييرة شرقا ، وهي مدينة عظيمة القطر كثيرة البشر
حصينة الذات ، لها أسوار حسنة ، ولها قصبة فيها حصانة ومنعة . وهي أزلية من
بناء العالقة . وقليلاً ما رُئي مثلها إتقاناً وشماعة بنيان . وهي عالية القدرى حسنة
البقعة زاكية الرقعة . وهي على ضفة النهر الكبير السى تاجه ، ولها قنطرة من
مجبب البنيان ، وهي قوس واحدة ، والماء يدخل تحت تلك القوس كله بعنف
وشدة جري . ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعاً ، وهي تُصعد
الماء إلى أعلى القنطرة ، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة .

« ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم وموضع قسدم . ووجد
أهل الإسلام فيها عند افتتاح الأندلس ذخائر كادت تفوق الوصف كثرة : فنها
أنه وُجد بها سبعون تاجاً من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ،
ووجد بها ألف سيف مجوهر ملسكى ، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال
وأوساق ، ووجد بها من أنواع آنية الذهب والفضة ما لا يحيط به تحصيل ، ووجد
بها مائدة سليمان بن داود ، وكانت فيها يُذكر من زمردة ، وهذه المائدة اليوم في
مدينة رومة . ولمدينة طليطلة بساتين محدقة بها وأنهار جارية مخرقة ، ودواليب
دائرة وجنات يانعة ومواكه عديمة اللال ، لا يحيط بها تكيف ولا تحصيل ، ولما
من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع منيعة تكفيها . . . » ^(١٥) .

ومن المراجع التي اعتمد عليها الإدريسي في تأليف كتابه كتاب يسمى « نظام
المرجان في المسالك والممالك » لابن الدلالى ، أحمد بن عمر بن أنس بن دكّهات

(والدلالى نسبة إلى دَلَاة Dallas من أعمال للرية) ، وقد حج إلى مكة سنة ١٠٠٧/٤٠٧ ومات سنة ١٠٨٥/٤٧٨^(١٦) .

ف ٩٨ — ابن جبير :

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكفانى (ربيع الأول ٥٤٠ — شعبان ٦١٤/سبتمبر ١١٤٥ — نوفمبر ١٢١٧) ، أصل قومه من شاطبة ولكنه ولد في بلنسية . درس الفقه والحديث والأدب والشعر من سن مبكرة وبرع فيها ، واتصل بالموحدين وكتب في أول أمره عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن عاملهم على غرناطة ، « فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شرا به ، فد إليه يده بكأس فأظهر الاقتباس وقال : « ياسيدى ، ما شربتها قط » قال : « والله لتشربن منها سبعا » فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس ، فلأله السيد الكأس من دنائير سبع مرآت وصب ذلك في حجرة ، فحمله إلى منزله وأخبر أن يحمل كفارة شربه الخبيث بتلك الدنانير . ثم رغب السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج تلك السنة ، فأسغه وابع ملكا له تزود به ، وأفق تلك الدنانير في سبيل البر »^(١٧) .

انفصل ابن جبير من غرناطة بقصد الرحلة للشرقية [الأولى]^(١٨) في ٩ شوال ٥٧٨/٣ فبراير ١١٨٣ . وركب البحر من جزيرة طريف إلى سبتة والإسكندرية ، ولما كان الطريق من مصر إلى بيت المقدس في يد الصليبيين في ذلك الحين ، فقد توجه ابن جبير إلى قوص بصعيد مصر ، ومنها إلى عيذاب حيث عبر البحر الأحمر إلى جُذَّة ، وقصد مكة وحج إلى بيت الله الحرام ، وزار المدينة لقضاء العرة . ثم توجه إلى السكوفة وبنداد والوصل وأقام فيها بعض الوقت ، ثم قصد حلب ودمشق ، ثم ركب البحر من عكا عائداً إلى الأندلس في سفينة نصرانية أُرست به بعض الوقت في صقلية . ووصل قرطاجنة الخلقاء بإساحل الأندلس

الشرق في ١٥ محرم ٥٨١/٢٥ أبريل ١١٨٥ ، ومنها إلى غرناطة . وقام ابن جبير بعد ذلك رحلتين أخريين إلى الشرق بدأ الأولى منهما في سنة ٥٨٥/١١٨٩ وعاد منها سنة ٥٨٧/١١٩١ ، وقام بالثانية في عام ٦١٤/١٢١٧ وأدركته منيته في الإسكندرية خلال هذه الرحلة الأخيرة .

وقد سجل ابن جبير مشاهداته في « رحلاته » المشهورة (نشرها رايت في ليذن سنة ١٨٥٢ ، وأعاد نشرها دي خويه عام ١٩٠٧) ؛ وهي أشبه بيوميات متفر صاغها ابن جبير في أسلوب بارع ، وصور فيها بكلام سهل بسيط الأساسيات التي اعتنajt في نفسه في المواضع التي زارها ، أو عند مشاهدته الآثار التي رآها ؛ وأسلوبه سلس جزل ينم على موهبة أدبية أصيلة ، وعلى خلقه الحازم الوقور^(١٩) . ومن قترانه البديعة ، تلك التي يصف فيها عاصفة هبت على سفينته وكادت تفرقها على مقربة من سواحل صقلية ، وإليك هذه الفقرة :

« ... ونحن الآن - بفضل الله تعالى - نتطلع البشري بظهور بر صقلية إن شاء الله . وفي النصف من ليلة الأحد الحادى عشر منه (شعبان ٥٧٨) انقلبت ريح غربية ، وكشف النوء من المغرب ، وجاءت الريح عاصفة ، فأخذت بنا جهة الشمال . وأصبحنا يوم الأحد للذكور والمول يزيد ، والبحر قد هاج هائجاً ومائج مائج ، فرمى بموج كالجبال ، يصدم المركب صدمات يتقلب لها على عظمه تقلب النصفين الرطب - وكان كالسور علواً - فيرتفع له للوج ارتفاعاً يرى في وسطه بشايب كالوايل للنسكب . فلما جن الليل اشتد تلاطمه ، وصكت الأذان غماغمه ، واستشرى عصف الريح ، فحطت الشرع ، واقتصر على الدالين الصغار دون أنصاف الصواري ، ووقع اليأس من الدنيا ، وودعنا الحياة بسلام . وجاءنا الموج من كل مكان ، وظننا أننا قد أحيط بنا . قيا لها من ليلة يشيب لها سود التوائب ، مذكورة في ليالي الشوائب ، مقدمة في تصاد الحوادث والتوائب ، ونحن منها في مثل ليل صول طولاً . فأصبحنا ولم نكد ، فكان

من الاتفاقات للوحشة أن أبصرنا بر إتريطش عن يسارنا وجباله قد قامت أمامنا — وكنا قد خلفناه عن يميننا — فأسقطتنا الريح عن مجراها ونحن نظن أننا قد جزناه ؛ فسقط في أيدينا ، وخالفنا الجرى المهود الليمون ، وهو أن يكون البر المذكور منا يميناً في استقبال صقلية ، فاستسلمنا للقدر ، وتجرعنا غصص هذا الكدر ، وقلنا :

سيكون الذى قُضى سخط العبد أم رضى^(٢٠)

ف ٩٩ — البدرى — الجغرافيون في العصر الفرناطى :

أبو عبد البدرى من أهل بلنسية ، طاف بنواحي المغرب والأندلس في سنة ١٢٨٨/٦٨٦ ، وسجل مشاهداته في كتابه « الرحلة المغربية » . وقد بدأ رحلته تلك من حاحّة في بلاد السوس ، ووصل إلى مكة عن طريق البر ، وكر راجعاً ونزل الإسكندرية ، ثم قطع المغرب إلى ساحل المحيط . وهو يشبه ابن بطوطة في طريقة روايته لأخبار رحلته ، ولكنه تكلف أسلوباً شديداً يبدو فيه النوص وراء الألفاظ ، فأضاع الجزء الكبير من قيمة « رحلته » — على خلاف ابن بطوطة الذى يكتب في أسلوب سهل لطيف — ووصفه لتونس وما رآه فيها لطيف جميل^(٢١) .

ومن الجغرافيين النابيين الذين هم الأندلس على بن سعيد المغربي ، وقد تحدثنا عنه آنفاً (ف ٧٩) .

ومن رحالة الأندلس في العصر الفرناطى أبو عمر عبد الله بن رشيد بن النوشريسي ، الذى جاب نواحي المغرب ومصر والشام في سنة ١٢٧٤ ، وسجل مشاهداته في « رحلة » لدينا منها بضع نسخ مخطوطة . وهو يورد في سياق كلامه تراجم من لقي من أهل الأدب ، ويتحدث لنا عما شهد من مجالس أهل العلم وما زار من المكتبات . ومنهم كذلك ابن رشيد السبتي القهرى الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد ، ٦٥٨ — ١٢٦٠/٧١١ — ١٣١٢) من أهل سبتة ، وكان

ضليماً في الحديث وخطيباً بليغاً ، وله شروح وتعليقات على كتب الضبي وابن الأبار ، وله رحلتان مشهورتان : الأولى طاف فيها بنواحي المغرب ، وزار في الثانية الأندلس ؛ وقد أورد في تضاميف كلامه إشارات نافعة عن الأدب والتاريخ الطبيعي ، وله كذلك مصنفات في تراجم محدثي الأندلس وفتحائها وشروح على صحيح البخاري ومسلم^(٢٣) . ومنهم كذلك ابن جابر (أبو عبد الله محمد بن جابر ابن محمد بن قاسم ، المتوفى سنة ١٣٤٥/٧٤٦) من أهل وادي آش ، وقد سكن تونس معظم أيامه ، وهو من شيوخ ابن الخطيب ، وله رحلة أورد في ثناياها ما كسبه من الفوائد الأدبية خلال أسفاره (لدينا منها نسخة في الإسكوريال) . ومنهم البجلي (أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد) من أهل قنطرة ، وقد طاف بنواحي المغرب والشرق فيما بين سنتي ٧٣٦ و ١٣٣٥/٧٤٠ و ١٣٣٩ ، وكتب رحلته في أسلوب تكلف فيه الإغراب والتفنن ، وسطا على بعض السابقين فأدرج قطعاً من مؤلفاتهم في كلامه دون أن يشير إلى ذلك ؛ وقد نقله ابن الخطيب وعاب عليه ذلك . وقد أورد وصف رحلته في كتابه المسمى « تاج المشرق في تحلية علماء المشرق » .

أما رحلات ابن بطوطة (أبي عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي)^(٢٤) قد قام بتدوينها ابن جزي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ٧٢١ — ١٣٢١/٧٥٧ — ١٣٥٦) وهو من أهل غرناطة ، وكان من رجال أبي الحجاج يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة ، وقد عهد إليه في صياغة رحلات ابن بطوطة لما اشتهر عنه من الظهور في الأدب والشعر والتاريخ واللغة والفقه ؛ وقد أتم كتابتها في ثلاثة أشهر ، معتمداً على ما سجله ابن بطوطة من الملاحظات ونجد في كتابات الموريسكيين بعض كتب الرحلات ، منها وصف رحلة إلى مكة كتبه صاحبها بنفسه في الكتاب المسمى « رباعيات حاج بوي موشون »

المجلد السابع

الفلسفة والألّهيات

ف ١٠٠ — أصول الفلسفة في الأندلس .

(أ) المدرسة الأفلاطونية الحديثة

ف ١٠١ — محمد بن عبد الله بن مسرة .

ف ١٠٢ — مدرسة ابن مسرة .

(ب) المدرسة المشائية

ف ١٠٣ — عودة الدراسات الفلسفية إلى النفاط .

ف ١٠٤ — أبو الملت أمية بن عبد العزيز الثاني .

ف ١٠٥ — ابن السيد البطليوس .

ف ١٠٦ — ابن باجة .

ف ١٠٧ — ابن طفيل .

ف ١٠٨ — ابن رشد : حياته ومؤلفاته .

ف ١٠٩ — آراء ابن رشد .

ف ١١٠ — تلاميذ ابن رشد .

ف ١١١ — الرشدية (مذهب ابن رشد) .

(ج) التصوف

ف ١١٢ — أبو المباس الربيع .

ف ١١٣ — يحيى الدين بن عربي .

ف ١١٤ — مؤلفات ابن عربي .

ف ١١٥ — الخصائص العامة لمذهب ابن عربي .

ف ١١٦ — ابن سبعين .

ف ١١٧ — ابن عباد الرندي .

ف ١٠٠ — أصول الفلسفة في الأندلس :

يقول آسبن بلاثيوس : « إن تاريخ الفكر الفلسفي في إسبانيا الإسلامية هو صورة مطابقة لما كانت عليه الثقافة الإسلامية الشرقية ، دون أن تكون له بالتراث الحلي صفة حقيقية يقوم عليها الدليل » ^(١) . وقد اعتمد آسبن في قائلته تلك على ما ذكره صاعد الطائلي وابن حزم القرطبي في كتبهما ، ولم يكن أيهما ليعرف شيئاً من تاريخ الفكر اللاتيني في الأندلس ، بل لم يعرف مجرد اسمي « سنيكا » و « القديس إزودور » ؛ هذا مع أنها عرفتا شيئاً طليعاً عن اللاهوتيين من نصارى المشرق .

ويؤيد ما يقوله بلاثيوس فيما يذكره [من إغفالها ذكر أي شيء عن الفلسفة في إسبانيا قبل العرب] ما هو معروف من إقفار العصر القوطي من التفكير الفلسفي إقفاراً يكاد يكون تاماً ، ويؤكد ذلك ما نعرفه من هبوط مستوى آداب المستعمرين في الأندلس . ثم إن القابعين المسلمين ، ما بين هرب و بربر ، لم يكونوا أكثر من محاررين متحمسين لمقيدتهم ، ولم يُؤثر عنهم انصراف إلى تفكير فلسفي ، إذ لم يحسوا بحاجة إليه . وقد اكنفوا بأن أخذوا عن أهل البلاد لغتهم وقانونهم الجاري بينهم ، وأطرافاً من أنظمتهم السياسية والإدارية . ولهذا لم يظهر بين مسلمي الأندلس فيلسوف واحد حتى القرن الثالث المعجري ، إنما كان مهمهم — إلى ذلك الحين — الدراسات الفقهية والفنوية .

وقد قُضى في عطف على الحركات الأولى التي رمت إلى التجديد — في ميدان الفقه خاصة — وكان لها في نفس الوقت طابع سياسي قوي : ومن هذه الحركات تلك التي قام بها « شقيّا بن شُعَيْبَا » ، وهو مؤدب صيبان نحاسو العصب والشهيدة ، وزعم أنه من أبناء علي وقاطمة ، وانتزى بناحية شتبرية سنة ١٥٢/٧٦٩ ^(٢) ؛ وقد قضى عبد الرحمن الداخل على حركته . وكان قهواء الأندلس للملكيون من أشد

الناس كراحة لسكل حركة ترى إلى التجديد ومخالفة ما كانوا سائرین علیه ، وشدت الدولة أزرهم في حزم ، فخرمت على الناس كتب الفقه غير المالكي — ولو كان أصحابها من أجلة أهل السنة — كسند ابن أبي شيبة^(١) أو كتاب « المعارف » لابن قتيبة^(٢) ، وهو تاريخ يضم أطرافاً من الروايات الإسلامية وروايات التوراة .

بل اضطلع المالكيون كل مذهب تقى يخالف مذهبهم ، ومن ذلك أنهم أرادوا الإيقاع ببقي بن غلغل وتكلموا في حقّه عند الأمير محمد [بن الحكم] ، لأنه أراد أن يعلم الناس قبه الشافعي في الجامع ، ولولا رجاحة عقل الأمير لأودى بقي^(٣) . ونظر قهواء الأندلس إلى كل تفكير عقلي في مسائل الدين على أنه زندقة ، واتهموا من يتكلم في المنطق في دينه^(٤) ، بل لم يتسامحوا مع نفر من الناس صدرت عنهم أقوال تمس الدين في ساعة الضيق أو اشتداد المرض أو في لحظة خفة وانسباط ، فحاقبوا بعضهم وقتلوا البعض الآخر^(٥) .

وقد كثر اتصال الأندلسيين بالمشاركة أثناء رحلاتهم للحج والطلب ، وعاد هذا الاتصال على الأندلسيين بفوائد جمة ، فانتست معارفهم في الفقه واللغة ، وسمعوا الدروس في حلقات يتحدث فيها كبار شيوخ المذاهب للشهورة ، وتأصلت — نتيجة لذلك — العلاقات بين شيوخ الأندلس وشيوخ الشرق ، وكان الكثيرون منهم يقولون بمذاهب أكثر حرية من المذهب المالكي . ثم إن فرق الباطنية والخوارج والأباضية والصفرية ، التي كثرت في الشرق والغرب ، لم تدع أي فرصة لنشر ما تقول به تمر دون أن تنفيد منها ؛ وكذلك وفد على الأندلس من قهواء الشرق وعلمائه نفر تكلموا بين أهل في هذه الآراء .

وأول من تنسب إليه المراجع للكلام في الاعتزال في الأندلس طيب أديب قرطبي — لم تذكر اسمه^(٦) — رحل إلى الشرق في القرن الثالث الهجري ، وحضر مجالس الدرس في العراق ، وعاد إلى بلده لينشر بين أهلها كتب الجاحظ . « وكان الجاحظ رأس النافرين في عصره ، وكان عالماً متبحراً في الجدل ، عارفاً

بالفلسفة والكلام^(٩) ، وقد عدل آراء إبراهيم النظام — من كبار مؤسسي مذهب الاعتزال — ووجهها وجهة أكثر حرية . واتبع هذه الآراء شيخان من أجلة أهل قرطبة هما أحمد بن عبد الله الحليبي ، وأبو وهب عبد العلي بن وهب القرطبي — مولى قريش ، وكان من أهل الفقه والشرع ، وكان ذا مكانة عالية عند عبد الرحمن الأوسط^(١٠) — واتبعها كذلك خليل بن عبد الملك المعروف بخليل الغفلة^(١١) ، الذي أحرق فقهاء المالكية كتيبه عند موته^(١٢) . وكذلك تكلم في الاعتزال تلميذه ابن السمين (أبو بكر يحيى بن يحيى)^(١٣) ، وغيره كثيرون ؛ وقد جمعوا بين الاعتزال ومذاهب الباطنية وآراء الفلاسفة والفقهاء .

وكانت بدعة الباطنية قد انتشرت في إفريقية في منتصف القرن التاسع الميلادي (الثالث المجرى) ، وصارت منظمة تنظيمًا سياسيًا على يد الدولة الفاطمية الشيعية ، بفضل اجتهد رجالها في نشر الدعوة الفاطمية ، فلم تلبث أن انتقلت أطراف منها إلى الأندلس . ونحدثنا الكتب عن شيخ من أهل شرق الأندلس ، أسقط الكتاب وأصحاب معاجم التراجم اسمه ، أمر بصلبه عبد الرحمن الأوسط في سنة ٢٣٧/٨٥١^(١٤) لأنه تكلم في الدين بآراء جديدة ذات طابع باطني ، « قادحى النبوة وتناول القرآن على غير تأويله ، فاتبه جماعة من الفوغاء وقام معه خلق كثير »^(*) .

وخلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام في الأندلس ، كانت الرياضة والفلك والطب تتقدم في بطاء شديد جدًا^(١٥) ؛ وكانت المشقة أكبر على من بحث في الطبيعة وما وراء الطبيعة . وكل ما نلحه أثر غامض جدًا من آراء أبي بكر الرازي الطبيب الفارسي في أصول التفكير الفلسفي الأندلسي ، وفي ذلك يقول آسبن بلاثيوس : « إن الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مسفر ، وإنما وفدت عليه في حجة العلوم التطبيقية — الفلك والرياضة والطب —

(*) ابن عذاري : البيان ، ٢٠٠ ، ص ٩٢ .

أو تسربت إليه مستقرة في ثنايا يدع الانتزال وبعض مذاهب الباطنية ، كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب — التي كان الناس يتعاشونها — في النجاة بأنفسهم من تعقب الفقهاء وأهل الدولة بالظهور في مظهر التدين والنسك^(١٦) .

ولدينا أخبار ترجع إلى أقدم أيام العصور الإسلامية في الأندلس ، نحدثنا عن زهاد أندلسيين اجتهدوا في تعذيب أبدانهم وحرمان أنفسهم من الذات وآثروا الفقر عن طواعية ، وكانوا يقطعون سواد الليالي في قراءة القرآن ، ويصومون الدهر ولا يأكلون إلا مرة واحدة في الأسبوع في شهر رمضان ، ولا يتداونون إذا مسهم مرض ، ويقيمون حياتهم عزباً ، ويخرجون عما بأيديهم للفقراء أو يفتدون به الأسرى ، ويقطعون العمر متوحدين بأنفسهم في عزلة وتأمل ، أو يرايطون على النفور لمحاربة النصارى طلباً للشهادة^(١٧) . وكان هذا النسك خلال القرن المجري الثاني أسراً فردياً ، يقنع الناس فيه بالعبادة ويحتشد في النجاة بنفسه ، ثم خرجوا بعد ذلك عن عزلتهم واجتهدوا في دعوة الناس إلى سلوك طريقهم ، وجعلوا يفظون الناس ، فصار لهم مريدون وأتباع ، وبدأت حياة الزهد وحلقات النسك والزهاد تظهر في الأندلس كما كان الحال في المشرق . وفي هذه المواضع جرت عادة الناس بالخلط بين الفلسفة وعلوم الزيب ، إلى جانب ما كانوا متصرفين إليه من تمبذ وتندرس لشؤون الدين .

(١) المدرسة الأفلاطونية الحديثة

ف ١٠١ — محمد بن عبد الله بن مسرة^(١٨) :

كان محمد بن مسرة القرطبي (٨٨٣/٣٦٩ — ٩٣١/٣١٨) أول مفكر أصيل أظلمه الأندلس الإسلامي ، وكان يستر آراءه وراء نسكه وزهادته ، وكان أبوه عبد الله من أهل البيع والشراء ، وكان يهوى آراء المعتزلة ، وكان صديقاً لخليل الغفلة ، وهو الذي علم ابنه محمداً علوم الدين والفلسفة . وقد توفي أبوه قبل

سنة ٩١٢/٢٩٩ وكانت سنة إذ ذاك سبعة عشر عاما ، وكان له في هذه السن المبكرة عدد من التلاميذ ، وكان يعيش مع أقربهم منه في معتزل له كان يملكه بجبل قرطبة . ولم تلبث الأراجيف أن انتشرت حول طبيعة تعاليمه ، فقيل إنه كان يلقي تلاميذه بدعة الاعتزال — التي تقول بأن الإنسان هو الفاعل الحقيقي لجميع ما يصدر عنه من أعمال ، وأن عذاب النار ليس عذابا حقيقيا — كما قيل إنه ينشر آراء أنهاذقليس ، التي تنعو نحو وحدة الوجود وتكاد أن تكون فلسفة إلحادية .

وكانت الظروف السياسية والاجتماعية العامة في الأندلس في ذلك الحين عسيرة حرجة ، فقد كان ذلك عهد الأمير عبد الله الذي لم يكن يعترف بسلطانه أحد من العرب أو البربر ، وكان كل رئيس منهم قد ائتمى في ناحية وأصبح مستقلا فيها بالفعل ، وخرج من طاعته كذلك عرب بن حفصون ومن انضم إليه من المولدين الذين كانوا يمثلون رؤساء الحركة الوطنية الإسبانية . ورأى الأمير أن يسكت عن ابن مسرة وأتباعه خوفاً مما قد يؤدي إليه تعقبه وأنصاره من فتنة جديدة ، كانت الحكمة تقضي بتلافيها في وقت اجتاحت فيه الفتن الأندلس كله . وخاف ابن مسرة على نفسه ، فزعم أنه خارج للحج ومهرب من قرطبة ، على إثر ما فعله التقيي أحمد بن خالد المروفي بالحباب ، إذ كتب « صحيفة » اتهم فيها رأيه وعقيدته . وكان الحباب قتيها مشاورا وطرفا بعلوم الدين مشتهراً بالزهد والصلاح ، وكانت مكانته العلمية في قرطبة لا تقل عن مكانة ابن مسرة ، وشهرته بالتزام السنة أعظم . وخرج مع ابن مسرة اثنان من تلاميذه : محمد بن حزم بن بكر التنوخي المروفي وابن اللديني ، وابن صيقل (محمد بن وهب القرطبي) . وألم ابن مسرة بالقيروان ، ثم نزل مكة وسمع أبا سعيد بن العربي ، وكان أبو سعيد يظهر أنه يروي الحديث على مذهب أهل السنة ، ولكنه كان يتكلم في الباطنية ويعلم دقائق أسرار الصوفية وآرائهم الإشرافية ؛ وقد كتب رسالة في الرد على ابن مسرة .

وعاد ابن مسرة إلى قرطبة ، ولزم معتزله في جبل قرطبة حيث اتخذ لنفسه
دُويرة بناها على هيئة الدويرة التي اتخذها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للاربية القبطية أم
ولده إبراهيم . وأخذ يقرأ دروسه ويعرض للسائل العويصة بطريقة بارعة وتعبير
بليغ ، فيبدون لم يتمسق في ذلك العلم وكأنه يتكلم برأى أهل السنة ، في حين أنه
كان يفتح بكلامه مغاليق الأسرار لطلبته ، وينتهي بأن يعلمهم كتبه التي ألهاها ؛
ومن بين أولئك التلاميذ واحد امتاز بمحبة الذكاء والنشاط ، هو حى بن عبد الملك ،
« وكان قريب الجوار منه ، يسكن معه الأيام الكثيرة في متعبده بالجبل ، وينصرف
ثم يعود . ولما وضع ابن مسرة كتاب « التبصرة » - ولم يكن يُخرج كتاباً حتى
يتعقبه حوله كاملاً - احتال حى فيه حتى أخرج إليه دون إذنه ورأيه ، وانسخه
ثم صرف الأصل ، وأتى بالنسخة إلى ابن مسرة فأراه إياها وقال : « تعرف هذا
الكتاب ؟ » ، فلما تصفحه قال : « لا نملك الله به » . ولم يُخرج كتاب التبصرة
بهذ ذلك إلى أحد » (*) . وكان من تلاميذه كذلك خليل بن عبد الملك القرطبي
للتبصرة - وكان من أهل النقي والورع البالغين - ومحمد بن سليمان المكي المعروف
بابن الموروري ، وأحمد بن فرج بن مُنْتَبِل بن قيس ، وغيرهم كثيرون .

وماشت هذه الجماعة الصغيرة حياة مقفلة لا يُعرف من تفاصيلها شيء على وجه
التحقيق ، فزعم بعض الناس أن أفرادها يعيشون وفق « طريقة » صوفية قورها
لم ابن مسرة . وقد كانوا يقظا همرون أمام الفقهاء بمظهر يخالف ما كان عندهم من
النحوي آرائهم نحو المذاهب العقلية ، ولكن الذي لا شك فيه أنه كانت لهذه
الجماعة « طريقها » ، وأنها كانت تشبه الطرق الصوفية التي سار عليها ذو النون
الإخيمى المصرى والنهرجورى . ولما كان شيخ هذه الجماعة وأفرادها يتعرون
الزمام قواعد طريقهم التزاماً دقيقاً ، فقد انتهى الناس إلى الانقسام في أسرم
فرتين : « فرقة تبلغ به (ابن مسرة) مبلغ الإمامة في العلم والزهد ، وفرقة تظن

(*) ابن الأثير : تكملة ، ترجمة ١١٣ .

عليه بالبدع لما ظهر من كلامه في الوعد والوعيد ، وبخروجه عن العلوم المألومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم « (*) » ؛ وذهب الفقهاء إلى أن ابن مسرة وتلاميذه زنادقة .

وعند ما عرفت كتبه واطلع عليها الناس تارت مشاعرهم ضدها ، وسرعان ما انتقلت إلى غير قرطبة من اللواضع ، ووصلت للشرق فأنتكرها نفر من علماء الجماعة المتسكين بالمأثور ، ولكن يبدو أن العلماء لم يقولوا بأن ما فيها منحرف عن النهج الصحيح . ومات ابن مسرة في قرطبة سنة ٩٣١/٣١٩ ، وشيع إلى قبره باحترام من خصومه وإجلال من أتباعه .

وقد ضاعت كتب ابن مسرة كلها ، ولم يصل إلينا إلا اسمائهم منها ما : « كتاب التبصرة » و « كتاب الحروف » . وقد استطاع الأستاذ آسين پلاثيوس أن يجمع أطراف مذهب ابن مسرة الفلسفي والديني ، معجدا على ما ورد منها في كتب الكتاب الأندلسيين ، أمثال ابن حزم القرطبي وصاعد الطليطلي والشهرزوري والشهرستاني وابن أبي أصيمة والفنطلي . وبحور مذهب كله آراء أمباذقليس ، وليس المراد هنا أمباذقليس الحقيقي بل آراء أمباذقليس زائف عرّفه المسلمون عن طريق أساطير تزعم أنه عاش في عصر داود عليه السلام ، وأنه أحاط بعلم سليمان واليونان جميعاً ، وكانت آراؤه « خليطاً امتزجت فيه مذاهب الفَنُوصِيَّة التي قالت بها الأفلاطونية الحديثة ، كما كوّنتها الإسكندرانيون وزينوها للناس بنسبتها إلى فيلسوف أُفْرِغَتْ (أي أمباذقليس) ، لكي يكسبوا ما لهذا الفيلسوف من مكانة » .

ويقوم مذهب أمباذقليس الزائف هذا^(١٧) — وابن مسرة من بعده — على أفكار فيلون الإسكندري وأفلوطين (في التاسوعات) وفرقورثيوس الصوري وبروقليس ؛ والجانب الجديد فيها أنها أبرزت نظرية ثانوية موجودة في التاسوعات

(*) ابن القرشي : علماء ترجمة ١٧٠٧ .

تقول « بوجود مادة روحانية يشترك فيها جميع الكائنات عدا الذات الإلهية » ، واعتبرت هذه المادة أول صورة برزت للعالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الخمسة الروحانية . وقد دافع ابن مسرة عن هذا المذهب تحت ستار إسلامي من آراء المعتزلة والباطنية .

ف ١٠٢ — مدرسة ابن مسرة :

أضنى الحكم المستنصر جوا من التسامح على الحياة الفكرية الأندلسية ، وقد أعان ذلك مدرسة ابن مسرة على البقاء . وقد كان معظم تلاميذ ابن مسرة من أهل الأدب والمؤرخين والعلميين بالجلد والتفكير الفلسفي ، ولم يكونوا من المنصرفين إلى دراسة الحديث . وقد أورد لنا المؤرخون أسماء بعضهم مثل طريف الرؤمى (*) ومحمد بن مفرج المافري (يعرف بالفني) ، وابن أخت همدون (أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن حوسبة الأنصاري) ، ورشيد بن محمد ابن فتح الدجاج (من أهل قرطبة ، يكنى أبا القاسم) ، وأبان بن عثمان بن سعيد بن للبشر (يكنى أبا سعيد) ، ومحمد بن أحمد بن حمدون بن عيسى الخولاني (يعرف بابن الإمام) ، ومحمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسي (من أهل قرطبة ، وأصله من جيان) ، وعبد العزيز بن حاكم بن أحمد بن الإمام محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ، وغيرهم . ولا يبدو أنهم غيروا شيئاً من تعاليم شيعتهم ، وكان من علامات أهل هذه المدرسة « التشريق » ، أي أنهم كانوا لا يولون وجوههم شطر مكة في الصلاة ، وإنما نحو الشرق القلبي (٢٠) .

ثم ظهر لهذه المدرسة خصوم نذكر منهم محمد بن يتيق (٢١) الذي ولي قضاء قرطبة عند وفاة الحكم المستنصر ، وأبا بكر الزبيدي النحوي (٢٢) ، وأبا عمر بن لب الطلمنكي (٢٣) ؛ وقد اشتدوا في مهاجمة آراء ابن مسرة لما بدا على الحكم

(*) من أهل قرطبة ولكنه سكن رومة ، وكان مولى الوزير أحمد بن محمد بن جدير .

السننصر في أخرياته من رغبة في التكفير عما أبداه من ميل إلى الفلسفة فيما سلف ،
بالانصراف إلى أعمال التقى^(٢١) . وتخرج أسر للسريين عندما تظاهر المنصور
بالحماية للدين ، وما فعله من تركه الفقهاء يستخرجون من مكتبة القصر الكتب
التي لم يرضوها وإحراقها أمام الناس ، فزادت الحملة على أتباع ابن مسرة واضطروا
إلى الهجرة ، ومن هؤلاء عبد الرحمن المهندس الذي كان يلقب بإفليدس
الأندلسي ؛ وأودع السجن صاعد بن فتحون بن مكرم السرقسطي المعروف بالحمار ،
الذي ألف مدخلا إلى الفلسفة سماه « شجرة الحكمة »^(٢٢) ، وتلقب الفقهاء ابن
الإفيلي وكان من ذوى العلم الواسع بالأدب وعلوم الدين والفلسفة^(٢٣) ، وأصاب مثل
ذلك تلاميذه ، مثل قاسم الذي كان ينتسب إلى البيت الأموي ، ومحمد شاعر بجانة ،
وابن الخطيب الذي اتهم بالزندقة ولم ينتج من الموت إلا بشق النفس^(٢٤) .

ولم يضمحل أسر المدرسة المسرية مع ذلك ، فقد ظلت قائمة ولها أتباع :
فكان رأسها في أيام ابن حزم إسماعيل بن عبد الله الرعيني ، وكان بجانة الدار
وكان أهل بيته كلهم مسرئين ، وكان من بينهم ابنة له لقبها الناس « بالمتكلمة »^(٢٥) .
وقد تكونت حول منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة وقيدها العروف (٢٧٢ -
٨٨٦/٣٥٥ - ٩٦٦) جماعة نقول قول ابن مسرة ، وكان معتزليا^(٢٦) ، وتبعه
في ذلك أهله^(٢٧) وخاصة ابنه الحكم ، وكان شاعرا أدبيا طيبا فقيها متضلعا في
علوم الدين ، وكان رأس المعتزلة في الأندلس على أيامه ، وكان ينهج نهج ابن
مسرة في الفسك^(٢٨) .

وقد أدخل الرعيني شيئا من التعديل على آراء اللذهب كما وضعها ابن مسرة ،
فقال بأن شيخ الجماعة ينبغي أن يعتبر إماما أى رئيسا سياسيا دينيا لها ، ودعا إلى
إحاطته بالإجلال والتوقير الكاملين ، وذهب إلى أن الملكية من كل صنف
غير شرعية ، وقال « بشكاح التهمة ، وأن العالم لا ينبغي أبداً بل هكذا يكون
الأمر بلا نهاية »^{(٢٩)(٣٠)} .

ولست لدينا معلومات عن المدرسة بعد العيني ، ولكن أثر آراء ابن مسرة ظل ظاهراً ملموساً زمناً طويلاً . وأصبحت التبرية مركز الصوفية في الأندلس ، تتكلم بآراء تنحون نحو وحدة الوجود ، وفيها ظهر محمد بن عيسى الإلبيري المتصوف ، وفيها ظهر كذلك أبو العباس بن العريف . ومن تلاميذ أبي العباس ابن العريف في غرناطة أبو بكر الليورقي (محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى) ، وابن براجان (عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال الإفريقي ثم الإشبيلي) وهو شيخ ابن عربي ، وابن قسي (أبو القاسم أحمد بن الحسين) في نواحي الجوف ، وهو الذي قاد « المرابدين » في قياسهم على المرابطين^(٣٣) .

ومن أخذ ببعض آراء ابن مسرة يحيى الدين بن عربي ، وعن طريقه انتقلت هذه الآراء إلى المشرق ، وأخذ بها كذلك بعض مفكرى اليهود مثل ابن جبرول وبعض الإسكولاستيين من النصارى مثل دومنجو جنزالد أسقف شقوبية وقد دعا إليها في طليطلة ، وكذلك روجر بيكون وريموندو لوليو وغيرهم .

(ب) المدرسة المشائية

ف ١٠٣ - عودة الدراسات الفلسفية إلى القضاة :

كان من نتيجة الظروف التي خلقها للنصور بن أبي عامر بتظاهرة بالتحية للدين ، وما أقدم عليه من إخراج كتب الفلسفة وعلوم اليونان من مكتبة الحكم المستنصر وإحراقها ، أن توقفت تطور الدراسات الفلسفية في الأندلس قليلاً . ولكن سقوط الخلافة ، وانتشار أمر الجماعة ، وقيام ممالك الطوائف في النواحي ، نسفت من مخقتها وأتاحت لها فرصة السير في الطريق الذي بدأته . ويعزو صاعد الطليطلي في كتاب « طبقات الأمم » تلك الحياة التي تجددت في كيان الدراسات الفلسفية إلى أسباب ترجع كلها إلى الحالة السياسية التي سادت الأندلس أيام الطوائف ويقول : « لم يزل أولو البهاعة من ذلك الوقت يكتمون

ما يعرفونه منها (الحكمة وعلوم الأوائل)، ويظهرون ما تجوز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما أشبه ذلك، إلى أن اعترضت دولة بني أمية من الأندلس، واقترب الملك بين التنزين عليهم في صدر المائة الخامسة من الهجرة، وصاروا طوائف واقتصد كل ملك قاعدة من أسنات البلاد، فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة عن امتحان الناس والتعقب عليهم، واضطرتهم الفتنه إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر اللقاع، فبيع بأوكس ثمن وأتفه قيمة، وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس، ووجد في خلالها أعلام من العلوم القديمة، كانت أفلتت من أيدي المتحنيين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر، وأظهر أيضا كل من كان عنده من الرعية شيء منها ما كان لديه منها. فلم تزل الرغبة ترتفع من حين في طلب العلم القديم شيئا فشيئا، وقواعد الطوائف تمصر قليلا قليلا إلى وقتنا هذا، فالحال بحمد الله أفضل مما كانت بالأندلس في إباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجير طلبها، إلى أن زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها. لسكن اشتغال الخواطر بما دم الثور من تغلب للمشركين عاما فعاما، [وانتهاصهم] أطرافها، وضعف أهلها عن مداومتهم عنها، قلل طلاب العلم وصيرهم أفراداً بالأندلس.

وقد ساد نواحي الأندلس كلها خلال ذلك العصر تسامح عظيم، فكل أصحاب كل الآراء بما أرادوا من دون أن يخشوا شيئا، وظهرت الاتجاهات كلها: من الفقهاء المتشددين خصوم كل تأمل إلى الفلاسفة العقليين الذين قالوا بدين واحد للبشر جميعا، فقام الطبيب الفيلسوف الكرماني بنشر «رسائل إخوان الصفاء» في سرقسطة، وكان الذي أتى بها إلى الأندلس مسلة الجريطي، ودخلت معها أفلاطونية حديثة بالإضافة إلى ما تكلم به ابن مسرة منها.

وإلى جانب هذا الاتجاه الأفلاطوني الحديث — الذي بدأ ابن مسرة وانتهى بمحمي الدين بن عربي (ف ١٠١ و ١١٣) — قامت في الأندلس مذاهب الفلسفة المشائية وذاعت ذيوها واسما.

ف ١٠٤ — أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (٤٥٩ — ١٠٦٧/٥٢٨)

— (١١٣٤) (٣٤) :

لا ندرى إذا كان قد انتشر بين أهل الأندلس كتاب «تقويم الذهن»
(نشره جنزالذ بالثيا مع ترجمة إسبانية سنة ١٩١٥ في مدريد) الذي ألفه
أبو الصلت الداني (ف ٣٩). والكتاب رسالة في المنطق توجز آراء أرسطو في
أمانة ودقة.

ف ١٠٥ — ابن الصبير البلبوسى (عبد الله بن محمد بن الصبير النحوى،

٤٤٤ — ١٠٥٧/٥٢١ — ١١٢٧) :

كان كاتباً لعبد الملك بن رزيق صاحب الشهرة، وكان له في دولته «مجال
مهم» وكان معتد. كما يقول ابن خاقان، ثم لجأ إلى طليطلة فبلنسية فسر قسطة.
كان — كما يقول ابن خاكان — عالماً بالأدب واللغات، متبحراً فيهما مقدماً
في معرفتهما وإتقانها، وله في اللغة مؤلفات جليلة منها «كتاب الاقتضاب في
شرح أدب الكتاب» لابن قتيبة، وهو أشبه بدليل يستعين به المشتغلون
بالكتابة من أصحاب الدول، و«كتاب الإنصاف في التنبيه على الأسباب الموجبة
لاختلاف الأئمة». وكلا الكتابين لهما أهمية فلسفية؛ أما كتابه المسمى «كتاب
الخدائق» (نشره آسين بلايوس مع ترجمة إسبانية في سنة ١٩٤٠) فيقول في
حقه آسين: «إن كتاب الخدائق لا يمكن اعتباره مجرد كتاب سهل الاستعمال
يعين جمهور غير المتخصصين في الفلسفة على معرفة المبادئ الفلسفية، بل له
— بفضل طابعه السهل المبسط — أهمية أخرى، وهي أنه يعرض علينا صورة
صادقة إلى حد كبير للحالة التي كانت عليها المعارف الفلسفية في إسبانيا الإسلامية
في الفترة التي أُلّف فيها. فقد كُتب في نفس الوقت الذي كان ابن باجة يؤلف

فيه كتبه ، وقبل أن يفكر ابن طفيل وابن رشد في شرح مؤلفات فيلسوف اسطاغاريا (أى أرسطو) . ومما يزيد في أهميته أن ابن السيد يورد فيه فقرات بنصها من محاوره تياوس لأفلاطون . وهذه الفقرات التي يوردها ابن السيد من تلك المحاور لا تتفق مع نصها اليوناني المعروف ، مما يثير مشا كل متعددة تتعلق بالمراجع الخاصة بدراسة أفلاطون ، وهي مشا كل جديدة بأن يناقشها المتخصصون في الفلسفة . وعلاوة على ذلك كله فإن كتاب الحقائق يعتبر أول محاولة للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني (٢٥) .

ف ١٠٦ — ابن باجة :

كان أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ الملقب بابن باجة (٢٦) (المتوفى سنة ٥٢٢ أو ٥٣٢ / ١١٢٨ أو ١١٣٨) من أهل سرقسطة ، وقد عُرف عند فلاسفة الإسكولاستيين باسم (أفيمباس أو أفيمباشيه أو أفيمباشيه) وهو تحريف لابن باجة . وقد عاش في أيام أحمد بن يوسف بن هود الملقب بالمستعين المتوفى سنة ٥٠٣ / ١١١٠ آخر أمراء بني هود . ولا يبعد أن يكون ابن باجة قد مارس الصياغة التي كانت صناعة أسرته ، ولم تحدثنا المراجع بشيء عن تعليمه أو دراسته . وكل ما نعرفه أنه عند ما دخل المرابطون سرقسطة استطاع ابن باجة أن ينال قوتهم ، واتخذهم عاملهم على سرقسطة — أبو بكر إبراهيم بن تيفلويت — كاتبا له ، واشتهر أمره في ذلك الحين بالتضلع في الفلسفة والموسيقى وقول الشعر الجيد . وعند ما توفي ابن تيفلويت في سنة ٥٠٩ / ١١١٦ — أى قبل وقوع البلد في يد القونسلو للقاتل في سنة ٥١١ / ١١١٨ — غادر ابن باجة سرقسطة إلى جنوبي الأندلس ، وسكن ألمرية ثم غرناطة ، حيث كانت له ندوات أدبية تحدثنا عنها الكتب ، ثم رحل إلى فاس

(٢٥) Asín Palacios, Ibn al-Sid de Badajoz y su libro de los cercos. Apud : Obras Escogidas. II. p. 407.

وقد اختصر بالثبوت هنا النص فأوردته بجملة من الأصل .

وربما إلى جيان ، مبتعداً عن السياسة جملةً ، منصرفاً إلى التدريس والتأليف
 ووقع بينه وبين أبي الملا بن زُهر الطيب وابن خاقان الأديب (ف ١١)
 ما أوجب الفجور والتخاصم ، ويبدو أن سبب الخصومة بينه وبين ابن خاقان
 — أى ابن باجة — تنذر بما كان يفعله أبو نصر الفتح بن خاقان من الظلم .
 بما كان يفعله من إفضال الأسماء والسروات . [وقد رأينا كيف انتصف ابن
 خاقان لنفسه من صاحبه في المسألة التي أدارها عليه في « القلائد »] ، وإن كان
 جهلوه المذبح له يتناقض تماماً مع ما قاله فيه في موضع آخر من مديح بالغ ، كفوا
 « نور فهم ساطع ، وبرهان علم لكل حجة قاطع ، تتوجت بعصره الأعص
 وتأرجت من طيب ذكره الأمصار ، وقام وزن المعارف واعتدل ، ومال للأفة
 فتناً وتهل ، وعطل بالبرهان التقليد ، وسحق بعد علمه الاختراع والتوليد .
 قُدح زَندُ فهمه أورى بشرر للجهل محرق ، وإن طما بجر خاطره فهو لكل ش
 مفرق ، مع زلعة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ، واليتحقق الذي
 للإيمان شقيق ، والجلد الذي يخلق العمر وهو مستجد ، وله أدب يود عطاره
 يلتحفه ، ومذهب يمتنى المشتري أن يعرفه ، ونظم تشقه اللبات والنحور ، وتد
 مع نطاسة جواهرها البحور » (١٠) .

وكان من خصوم ابن باجة أيضاً ابن السيد البطليوسى تلميذ ابن خاقان
 وقد سجد الأطباء وكتباب الدولة على ابن باجة وحسدوه ، وآكل أسره إلى أن م
 مسموماً في فاس بين سنتي ١١٢٨ و ١١٣٨ .

كان ابن باجة — كثيره من مفكرى العصور الوسطى — ملأ بجميع
 اليونان . وهو أقدم مؤلف أندلسى نعرف عن يقين أنه درس فلسفة المشائى
 ورجع إلى كتب الفارابى وابن سينا والغزالي . وأهم ما اشتغل به ابن باجة ش
 مؤلفات أرسطو ، ومن ذلك شرحه لكتاب « السماع الطبيعى » الذى يه

(١٠) القرى : تلخ (طبعة محي الدين ، القاهرة ١٩٤٩) ص ٩٠ ، س ٢٣٦ — ٣٧

أيضاً « بسم الكيان » ، وشرحه لجزء من كتاب « الكون والفساد » و « تاريخ الحيوان » و « النبات » . وإلى جانب ذلك وضع شرحاً لمنطق الفارابي ، وشرح « كتاب الأدوية المفردة » لجالينوس ، وشرح كتاباً في نفس الموضوع لابن وافد الأندلسي وهو كتاب انتفع به ابن البيطار انخفاضاً عظيماً .

ولم يكتب ابن باجة بالشرح والتعليق والاختصار ، بل ألف كتباً أودعها علمه الخاص يذكر المؤرخون منها « مقال في البرهان » ، ومقالاً آخر في « الاسم والمسمى » ، وكتاب « كلام في الإسقاطات » (يبدو أنه في الهندسة) ، ومؤلفات في « الرياضة والفلك » ، وكتاباً في « النفس » ، وكتاباً في « التشويق الطبيعى وماهيته » ، وكتاباً في « القوة الزوجية » ، و « رسالة الوداع » ، وكتاباً عن « اتصال الإنسان بالعقل القمالي » ، وكتاب « تدبير الموحّد » ، وغيرها كثير .

ولم يبق لنا من هذا الإنتاج الغزير إلا شرح ابن باجة لمنطق الفارابي (مخطوط بالإسكوريال) ، وهى رسالة في ذلك الفن تجعل فيها شخصيته ، وجموعة أخرى من الرسائل في الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية (مخطوطة في مكتبة أو كسفورد وبرلين) يعنى بنشرها آسبن بلاثيوس بادئاً بمقالاته في « النبات » (الأندلس ، ١٩٤٠) ، [و « رسالة الوداع » في ترجمتها العبرية التى قام بها جودا بن فيثس ، وترجمة عبرية لقطع من كتاب تدبير الموحّد قام بها موسى التربونى فى القرن الرابع عشر الميلادى وجعلها فى نهاية تعليقه على ابن طفيل ، وقد اعتمد عليها مونك فى تأليف كتابه . ورسالة الوداع ^(٢٧) ترمى إلى إعادة العلم إلى مكانه الحقيقى به ، وبيان فضل العلم والمعرفة وفضل التأمل الفلسفى ، وكيف يؤدىان وحدهما بالإنسان إلى معرفة الطبيعة ، وكيف يعينانه — بفضل من الله — على تعرف نفسه ، ويؤدىان به إلى الاتصال بالعقل القمالي] (*) .

(*) أسقط المؤلف العبارة التى بين الحاصرين من الطبعة الثانية .

أما رسالته للسماة « قول في اتصال العقل بالإنسان » (نشر آسين نصها مع ترجمة إسبانية سنة ١٩٤٢) ، فهو ثبت فيها — كما يقول آسين — « أن العقل الإنساني ، وإن كان مجرد قوة أو استعداد لتقبل المقولات ، فإنه إذا اتحد بالمقولات يصير صورة الشَّوَر كما هو الحال في العقل الفعال ، بمعنى أنه يصير بمثابة محلِّ المثلِّ ومكان المقولات ، وهو ما تصوره أفلاطون في محادثة طيماوس ورفض أرسطو قبوله ، لأنه لا يتفق مع الأساس التجريبي لرأيه في النفس . هذا وفي مذهب أرسطو في النفس تناقضٌ وغموض ، كانا سبباً في تلك المحاولات المضطربة التي اضطر إليها المشاؤون في العصور الوسطى — عرباً وإسكولاستيين — عندما أرادوا ترفيف حقيقة رأي أرسطو في النفس ، وعرضه عرضاً منهجياً متسقاً ، والتوفيق بينه وبين ما جاءت به الأديان من الاعتقاد بخلود النفوس ، وهو ما أنكره الإسكندر الأفروديسي أكبر شراح أرسطو في مؤلفه المسمى « كتاب النفس » ، الذي كثيراً ما يذكره الفارابي وابن باجة وابن رشد في سياق مناقشاتهم لتلك المشكلة الجوهرية ، وهي مشكلة حقيقة التعلل الخالص ووظيفة العقل المستفاد ووحدة العقل الفعال » (٣٨) .

وفي هذه الرسالة — كما في غيرها من كتب ابن باجة — روح سارية من التدين تستوجب تصحيح الآراء القديمة التي قررها مونك ، والتي تهتم ابن باجة بأنه وجه الفلسفة توجيهاً يعارض مع نزعات الصوفية .

وفي رسالة الوداع التي نشرها آسين مع ترجمة إسبانية سنة ١٩٤٣ ، يثير ابن باجة مشكلة النهاية الأخيرة للنفس الإنسانية ويحاول حلها . وهي رسالة وجهها ابن باجة إلى تلميذه علي بن الإمام السرقسطي قبيل رحلته إلى المشرق ، يبين له فيها طريقاً في الحياة يؤدي إلى الاتصال بالعقل الفعال أو التعلل الخالص للمقولات . وهو يقول فيها لصديقه هذا :

« . . . وإليك الآن الأمر : فإن شئت أن تكون تسمى ليكون كالك

في الآلات — وذلك في اليسار — فتكون كالحالم ، أو كالك بالصحّة فتكون عبداً بالطبع ، سواء ملكك إنسان أو لم يملكك ، أو يكون كالك بالفضائل الشكلية فتكون مدبراً من سواك تحتاج إلى مدبر ، وتخرج من المرتبة الإنسانية بالطبع إلى مرتبة أشرف الحيوان ، غير الناطق — فإن العبد يشبه من الحيوان غير الناطق البغال والدواب التي تستعمل لجلدها وقوة أعضائها على الحمل ، ويشبه صاحب الفضائل الشكلية الحيوان غير الناطق ذوى الهيات الكريمة (*) ، كالأسد في الجراءة والديك في الكرم ، وذاتك الصنفان مدبران — أو تكون كاملاً بالصناعات العملية فتكون — لعبري — إنساناً ، لأنك تدبر عند ذلك ولا تدبر ، إلا أنك تكون بهذا التدبير خادماً لإنسان غيرك ، إما دون توسط كالكانب ، وإما بتوسط كمن يصنع رباط الخيل ، فإنه يخدم أولاً الخيل وثانياً الإنسان لأنه ينتفع بالخيل ، فإن شأج في ذلك مشأج كنت متما لغرض غيرك ومرؤوساً بالطبع ؛ وكذلك القوى ، غير أن القوى أشرف ، فتكون أشرف وأرفع الخدمة كالوزير للملك ، أو تكون كاملاً بكالك الفنى يخلصك ، فتكون قد حكمت في ذاتك ولم تهتقر في الوجود إلى سواك ، بل كل إنسان وكل موجود كائن فاسد نموك ، وبوجودك صار أولئك موجودين ، وبوجودك أولاً صرت أنت كائناً ؛ مثال ما أقوله أن بالقطع صار السكين سكيناً ولولاه لما كان ، وبالسكين صار القطع خادماً ولذلك اتخذ . وهذا بين عند من حاول النظر في أمثال هذه الأمور ، وهذه مراتب يجب للإنسان أن يختار لنفسه ما شاء منها على بصير بها وتقديرها ، ويعلم أى مرتبة غار .

« وأيضاً فإن من حصلت له هذه الرتبة حصل في حال لا تضارعه فيها الطبيعة ولا تنازعه النفس البهيمية ، وعلم بهذه الحال التي بها يكون الخلاص من هاتين المنازعتين — أعنى الطبيعة والبهيمية — حال لا يمكن أن توصف بأكثر » (*) كذا في الأصل المطبوع ، ولعله يريد أن يقول : ذوى الهيات الكريمة من الحيوان غير الناطق .

من هذا ، وهذه الحال يفوق النطق جلالها وشرفها وافتها وبهاؤها وبهجتها ، فإن الألم إنما هو من أجل هذه الطبيعة ، واللذة من قبيل النفس ، إلا أن النفس البهيمية لا تتحمل شيئاً واحداً لأنها غير بسيطة ، فذلك يكون للوَلَم لها الآن مُلْداً غداً ، لأنها قريبة من الطبيعة ، فذلك لا تبق على حال ، وأما النفس الناطقة فلنمدها عن الميولى تبقى بحال واحدة ، ولا ضدَّ عندها إلا أنها تتكثر ، فأما هذا العقل المستفاد فلأنه واحد من كل جهة فهو في غاية البعد عن الميولى ، لا يلحقه التضاد كما يلحق الطبيعة ، ولا العمل عن التضاد كالنفس البهيمية ، ولا أثر التضاد كالناطقة التي تنقل للمقولات الميولانية للتكررة ، فهو أبداً واحد وعلى سن واحد في لذة صرف وفرح وبهاء وسرور ، وهو مقوم للأمور كلها ، والله عنه راضٍ أكل ما يكون من الرضى .

« فإن صالح السلف قالوا إن الإمكان صنفان : صنف طبيعي وصنف إلهي ، فالطبيعي هو الذي يُدرك بالعلم ويقدر الإنسان على الوقوف عليه من تلقاء نفسه ، وأما الصنف الإلهي فإنما يُدرك بمعونة إلهية ، ولذلك بث الله الرسل وجعل الأنبياء ليعبرونا — معشر الناس — بالإمكانات الإلهية ، لما أراد — عز اسمه — من تميم أجل مواهبه عند الناس وهو العلم ، وفيما جاءت به الشرائع الحض على العلم ، وفي شريعتنا الإلهية ما يدل على ذلك ، منه قوله — عز اسمه — في الكتاب للنزل « والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا » ، يعنى الإمكانات الإلهية ، وقوله — عز وجل — « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، لأن من علم الله حق علمه علم أن أعظم الشقاء سُخْطه والبعد منه ، وأعظم السعادة قدراً رضاه والقرب منه ، ولا يكون الإنسان أقرب منه إلا بمعرفة ذاته ، ولذلك يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم : « خلق الله العقل فقال له أَقْبِلْ فَأَقْبِلَ ، ثم قال له أَذْبِرْ فَأَذْبَرَ ، فقال : وعزنى وجلالى ما خلقت خلقاً أحب إلى منك » . فالعقل أحب الموجودات إلى الله عز وجل ، فإذا حصل الإنسان هو ذلك العقل

بعينه — لا فرق بينهما بوجه ولا على حال — فقد حصل ذلك الإنسان أحبّ المخلوقات إليه ، وعلى قدر قربه منه قربُه من الله ورضى الله عنه ، وهذا إنما يكون بالعلم . فالعلم مقرب من الله والجهل مبعّد منه ، وأشرف العلوم جميعاً هو هذا العلم الذى قلناه ، وأجلّه مرتبة هذه المرتبة التى هى تصوّر الإنسان ذاته حتى يتصور ذلك العقل الذى قلناه قبل .

وإذن فإن النفس إذا تخلصت من العوارض الغريبة عن جوهرها ، وتحررت حتى من التعقل نفسه ، « تجد نفسها — كالعقل المستفاد — فى حالة وحدة وبساطة وروحانية لا توصف ، تتميز بالخلاص من جميع الآلام وبالتمتع بنهضة هادئة مطمئنة لا يعترىها تغير ، وهى التى تضمن نوال رحمة الله » ، كما يقول آسين .

أما كتاب « تدير للتوحد » فلم يكن معروفاً منه حتى الآن إلا شذرات اقتبسها موسى الزبونى وترجمها إلى العبرية (فى القرن الرابع عشر) وجعلها فى نهاية شرحه على ابن طفيل ، وقد انتفع بها مونت ، ولكن آسين عثر على نصه العربى وسينشره^(٥) ، وإليك ملخص آراء ابن باجة فى هذا الكتاب كما عرضها آسين : « يفترض ابن باجة وجود « مدينة فاضلة » أو كيان سياسى هو المثل الأعلى للدول . وفى هذه المدينة المثالية لا تمس الحاجة إلى أى من طوائف الأطباء الثلاث : أطباء البدن لأن الرعايا لا رذائل لهم ومن ثم فهم لا يمرضون ، وأطباء العدالة وهم القضاة لأن جميع علاقات المواطنين قائمة على الحب ولا يقع الخلاف بينهم أصلاً ، وأطباء النفوس [وهم الحكماء] لأن « المتوحدين » يكونون كاملين . وهو يعتبر أولئك المتوحدين وكأنهم نوابت^(٦) (أى نباتات) أو نماذج مختارة تعيش وسط المجتمعات الأخرى التى يشوبها النقص ، وهم لا بد لهم من أن يسترشدوا

(٥) نعره فى مدريد سنة ١٩٤٦ .

(٦) يقول ابن باجة فى « تدير للتوحد » تسمياً لهذا اللفظ : « ... وعلى إلهام هذا الاسم من الشبب النبات من تلقاء نفسه بين الزرع ، فتعنى نحن بهذا الاسم الذين يرون الآراء الصادقة » ، (انظر طبعة آسين ، مدريد ١٩٤٦ ، ص ١٠) .

بتواعد الجمهورية الكاملة حتى لا نغس حاجهم إلى أى طبيب ، أى أنهم يدبرون إلى شيء يشبه ما يسمى في مصطلح الصوفية بالترياء .

وإليك قطعة من كلامه بنصه في هذا الصدد :

« ولما كانت المدينة الفاضلة تختص بعدم صاغة الطب وصناعة القضاء ، وذلك أن الحجة بينهم أجمع ولا تشاكس بينهم أصلا ، فلذلك إذا عرى جزء منها من الحجة ووقع التشاكس احتيج إلى وضع العدل ، واحتيج ضرورة إلى من يقوم به وهو القاضي . وأيضاً فإن المدينة الفاضلة أفعالها كلها صواب ، فإن هذا خاصتها التي تلزمها ، فلذلك لا ينتدى أهلها بالأغذية الضارة ، فلذلك لا يحتاجون إلى معرفة أدوية الاختناق بالقطر ولا غيره مما جانسه ، ولا يحتاجون إلى معرفة مداواة الخمر إذ كان ليس هناك أمر غير منتظم . وكذلك إذا أسقطوا الرياضة حدثت عند ذلك أمراض كثيرة ، ويَبَيَّنُ أَنَّ ذلك ليس لها . وعسى أن لا يُحتاج فيها في أكثر من مداواة الخلع وما جانسه ، وبالجلة الأمراض التي أسبابها الجزئية واردة من خارج ولا يستطيع البدن الحسن الصحة أن ينهض بنفسه في دفعها ، فإنه قد شوهد كثير من الأصحاء تبرأ جراحهم العظيمة من تلقاء أنفسهم ، إلى أشياء أخرى تشهد بذلك . فمن خواص المدينة الكاملة أن لا يكون فيها طبيب ولا قاض ، ومن الواحق العامة بالمدن الأربع البسيطة أن يُفتقر فيها إلى طبيب وقاض ، وكلما بعدت المدينة عن السكامة كان الافتقار فيها إلى هذين أكثر ، وكان فيها مرتبة هذين الصنفين من الناس أشرف .

« ويَبَيَّنُ أن المدينة الفاضلة السكامة قد أعطى فيها كل إنسان أفضل ما هو معدّ نحوه ، وأن آراءها كلها صادقة ، وأنه لا رأى كاذب فيها ، وأن أعمالها هي الفاضلة بالإطلاق وحدها ، وأن كل عمل غيره فإن كان فاضلا فبالإضافة إلى فساد موجود ، فإن قطع عضو من الجسد ضار بذاته ، إلا أنه قد يكون نافعا بالعرض لمن نهشته أنفى فيصح بقطعه البدن ، وكذلك السقمونيا ضارة بذاتها ،

إلا أنها : فمة لمن به علة . وقد تلخصت هذه الأمور في كتاب نيقوماخيا ، فبين أن كل رأى غير رأى أهلها يحدث في المدينة الكاملة فهو كاذب ، وكل عمل يحدث فيها غير الأعمال المتباددة فيها فهو خطأ ، وليس للكاذب طبيعة محدودة ولا يمكن أن يُعلم الكاذب أصلاً على ما تبين في كتاب البرهان ، وأما العمل الخطأ فقد يمكن أن يُعمل لئمال به غرض آخر ، وقد وُضِع في الأعمال التي أمكن النظر عنها كتب كالحيل لابن شاذكر ، فإن كل ما فيها لعب وأشياء يقصد التمتع بها لا مقصد لها في كمال الإنسان الذاتي ، فالقول فيه شرارة وجعل ، فإذا لم يوضع في المدينة الكاملة أفاويل فيمن رأى غير رأيها أو عمل غير عملها .

« وإسكى يصل ابن باجة إلى تعرف أى أعمال البشر يؤدي إلى هذه الغاية ، يقسم هذه الأفعال إلى صنفين : بهيمية وإنسانية ، وذلك بحسب دافع الإنسان إلى القيام بها . وذلك أن أعمال الإنسان إما أن تصدر عن الفريضة أو عن إرادة صادرة عن روية وتأمل ، بيد أن معظم أعمال الإنسان تختلط فيها هذه الدوافع بعضها ببعض ، ولهذا ينبغي على للتوحد أن يعمل على أن تكون أفعاله صادرة عن دوافع إنسانية ، ولا بد له من أن يسيطر على النفس البهيمية في كيانه ويخضعها للنفس العاقلة حتى يبلغ إلى أن يكون إنساناً إلهياً . وينبغي عليه أن يعمل وجهته من كل أفعاله إدراك الصور الروحية » .

[وإليك نص كلام ابن باجة في هذا الصدد :

« والإنسان — لأنه من الأسطوانات — فتلقه الأفعال الضرورية التي لا اختيار له فيها ، كالهوى من فوق والاحتراق بالنار وما جازسه . ومنه مشاركة للحى من وجه فقط — وهى النبات — يلحقه أيضاً الأفعال التي لا اختيار له فيها أصلاً كالاكتباس ، وقد يقع في هذه ضرب من الضرورة ، مثل ما يفعل الإنسان عند الخوف الشديد ، مثل شتم الصديق وقتل الأخ والأب على أمر ملك ، وهذه فلاختيار فيها موقع ، وقد ألخصت هذه كلها في نيقوماخيا ، وكل ما يوجد للإنسان

بالطبع ويمتص به من الأفعال فهي باختيار ، وكل فعل يوجد للإنسان باختياره فلا يوجد لغيره من أنواع الأجسام ، والأفعال الإنسانية الخاصة به هي ما يكون باختيار ، فكل ما يفعله الإنسان باختيار فهو فعل إنساني ، وكل فعل إنساني فهو فعل باختيار ، وأعني بالاختيار الإرادة السكائنة عن رؤية ، وأما الإلهامات والإلقاء في الروح وبالجملة فالانفعالات العقلية — إن جاز أن يكون في العقل انفعال — تشارك الإنسان ، فإن الإنسان يختص بها ، وإنما احتيج إلى اشتراط الاختيار في الأفعال التي من جهة النفس البهيمية ، فإن الحيوان غير الناطق إنما يتقدم فعله ما يحدث في النفس البهيمية من انفعال ، والإنسان قد يفعل ذلك من هذه الجهة ، كما يهرب الإنسان من مفزع فإن هذا الفعل هو للإنسان من جهة النفس البهيمية ، ومثل من يكسر حجراً ضربه وعوداً خدشه لأنه خدشه فقط ، وهذه كلها أفعال بهيمية ، فأما من يكسره لئلا يخدش غيره أو عن رؤية وجب كسره فذلك فعل إنساني ، فكل فعل يفعله لا لينال به غرضاً غير فعل ذلك الفعل ، أو من جهة أنه لا ينال به غرضاً فإن كان له غرض ينال به لم يلحظه فذلك الفعل بهيمي وفعله عن النفس البهيمية فقط ، مثال ذلك أن آكلًا إن أكل القراسيا لتشبهه إياه فاتفق له عن ذلك أن لأن بطلنه وقد كان محتاجاً إليه فإن ذلك فعل بهيمي وهو فعل إنساني بالعرض ، وإن أكله للتقبل الطبع لا لتشبهه إياه بل لتقليين بطلنه واتفق مع ذلك أن كان شهياً عنده فإن ذلك فعل إنساني وهو بهيمي بالعرض ، وذلك أنه عرض للنافع إن كان شهياً . فالفعل البهيمي هو الذي يتقدمه في النفس الانفعال النفساني فقط ، مثل القشعي أو الغضب أو الخوف وما شاكله ، والإنساني هو ما يتقدمه أمر يوجبه عند فاعله الفكر ، سواء تقدم الفكر انفعالاً نفسانياً أو أعقب الفكر ذلك ، بل إذا كان المحرك للإنسان ما أوجبه الفكر من جهة ما أوجبه الفكر أو ما جانس ذلك ، سواء كانت الفكرة يقينية أو مغلطونة ، فالبهيمي المحرك فيه ما يحدث في النفس البهيمية من الانفعال ، والإنساني هو المحرك فيه ما يوجد في النفس من رأى أو اعتقاد .

« ومعظم أفعال الإنسان في السير الأربع والركب منها هو أيضاً من بهيمى وإنسانى ، وقلما يوجد البهيمى خلواً من الإنسانى ، لأنه لا بد للإنسان — إذا كان على الحال الطبيعية في أكثر الأسماء إلا في النادر وإن كان سبب حركته الانفعال — أن يفكر كيف يفعل ذلك ، ولذلك يستخدم البهيمى فيه الجزء الإنسانى ليجد ضله ، فأما الإنسانى فقد يوجد خلواً من البهيمى ، والتعطب داخل في هذا الصنف ، ولكن في هذه قد تصحبها انفعال النفس البهيمية ، وإن كان معاوناً للرأى كان النهوض إليه أكثر وأقوى ، وإن كان مخالفاً كان النهوض أضعف وأقل » [.

« وهذه الصور الروحانية يقسمها ابن باجة إلى أربعة أصناف :
« أولاً : عقول الأفلاك .

« ثانياً : العقل الفعال والعقل الفاض عنه وليس مادياً بذاته ولكنه متصل بالمادة ، وذلك من حيث أنه يكمل الصور المادية من حيث هو عقل فاض أو هو يحملها كالعقل الفعال .

« ثالثاً : أصناف الصور المقولة المادية ، أعنى التى ليست بذاتها روحانية ، وهى الصور التى توجد في النفس الناطقة إذا تجردت عن موضوعها المادى .

« رابعاً : الصور الحسية ، وهى وسط بين المقولات المادية وبين الصور المادية الخالصة .

« وأنواع الأفعال الإنسانية تقابل أنواع الصور للتقدمة » .

[وهذا نص كلام ابن باجة :

« أولاً : صور الأجسام المستديرة .

« والصنف الثانى : العقل الفعال والعقل للستفاد .

« والثالث : للمقولات الهيولانية .

« والرابع : المانى الموجودة فى قوى النفس ، وهى الموجودة فى الحس المشترك وفى قوة التخيل وفى قوة التذكر .

« والصنف الأول ليس هيولانياً بوجهٍ ، وأما الصنف الثالث فله نسبة إلى الميولى ، ويقال لما هيولانياً لأنها المقولات الميولانية ، لأنها ليست روحانية بذاتها إذ وجودها فى الميولى . فأما الصنف الثانى فهو بهذا الوجه غير هيولانى أصلاً ، إذ لم تكن فى وقت من الأوقات ضرورة هيولانية ، وإنما نسبتة إلى الميولى لأنه مهم المقولات الميولانية — وهو المستفاد — أو فاعل لها — وهو الفاعل . وأما الصنف الرابع فهو وسط بين المقولات الميولانية والصور الروحانية » [.

« وتقابل أنواع هذه الصور أفعال البشر :

أولاً : فهناك من الأفعال الإنسانية ما تكون الغاية منه وجود الصورة الجسمية فقط ، وذلك مثل الأكل والشرب .

ثانياً : أفعال غايتها الصور الروحانية الجزئية ولها أصل فى الحس المشترك (كالتأق فى الثياب) أو فى الخيلة ، أو تلك التى يُقصد بها إلى التسلية واللهو المباح أو إلى الكمال العقلى والخلقى (مثل القدرس والكرم) .

ثالثاً : أفعال يقصد من ورائها إلى صور روحانية عامة وهى أكل الأفعال الروحانية ، ولها مكان وسط بين الأفعال السابقة التى تختلط بعض الشيء بالجسمية والأفعال الروحانية المطلقة .

رابعاً : الأفعال الروحانية الكلية التى هى أكل الصور الروحانية ، وهى الغاية القصوى المتوحد .

والإنسان بالنصر الجسمى فى كيانه مجرد مخلوق بشرى ، أما بالنصر الروحى فى كيانه فيصير كائناً أعلى ، ولكنه بالنصر العقلى يصبح كائناً أرفع إلهياً . ثم يقول ابن باجة : « وإذا بلغ [الفيلسوف] الغاية القصوى — وذلك بأن يعقل العقول البسيطة الجوهرية التى تذكر فيما بعد الطبيعة وفى كتاب النفس وكتاب

الحس والحسوس — كان عند ذلك واحداً من تلك العقول ، وصدق عليه أنه إلهي فقط ، وارتفعت عنه أوصاف الحسية الفانية وأوصاف الروحانية الرفيمة ، ولاق به وصف « إلهي بسيط » ، وهذه كلها قد تكون للتوحد دون المدينة السكاملة (*) .

ويجمل ابن باجة الصور الروحية مراتب ، ثم يمضي في استبعاد تلك التي لا يمكن أن تكون غاية للتوحد . وهو ينصح بالبعد عن الناس لأنهم غير كاملين ، ويرى الخير في أن يمتزج التوحد الناس جهلة وإن كان مقبياً وسط الجماعة . ويقول إن الغاية القصوى للتوحد هي الصور العقلية والتأملية ، ويصل الإنسان إلى هذه المرتبة عن طريق القدرس والفكر . وأعلى المراتب هي مرتبة العقل المستفاد الصادر عن العقل الفعال ، وعن طريقه يعرف الإنسان نفسه ككائن عقلي .

ويدرس ابن باجة في مهارة جدلية عظيمة كيف يصل العقل الإنساني إلى الحصول على الصور المعقولة ، ويتحد معها حتى يبلغ مرتبة المعرفة العقلية الحقيقية ، أعنى معرفة الوجود الذي هو بذاته عقل بالفعل ، دون أن تكون به حاجة حاضرة أو سابقة إلى شيء يجعله يخرج من حالة القوة ، وهذا هو مفهوم العقل المفارق أعنى العقل الفعال ، الذي هو العاقل والمقل والمقول ، وهذه المرتبة هي الغاية المطلوبة من وراء كل الأفعال .

يبد أن ابن باجة لا يذكر السبيل إلى التحقق من اتصال العقل الفعال بالعقل الإنساني . ويبدو أن ابن باجة كان يقول بضرورة معونة علوية ، ولكنه لم يستطع تحديد رأيه ورعنا كان سبب ذلك أن كتابه لم يكمل ، كما يقول ابن طفيل . والفكرة الأساسية التي أضافها ابن باجة إلى التراث الفلسفي هي التي تتعلق بإتحاد العقل الفعال بالإنسان . وقد كانت هذه الفكرة هي الأساس الذي بنى عليه ابن طفيل رأيه الصوفي في وحدة الوجود ، وتناولها ابن رشد وسار بها إلى الأمام واستنقل عن طريقه إلى الإسكولاستيين . وقد أخلت شخصية ابن باجة شخصية ابن رشد ، وهو الذي واصل دراسة آرائه .

ف ١٠٧ - ابن طفيل :

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي^(٣٩) ، ولد قبل سنة ١١٠٦/٥٠٦ وتوفي سنة ١١٨٥/٥٨١ ، وأصله من وادي آش . ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه كان تلميذا لابن باجة ، ولكنه هو نفسه يذكر أنه لم يتصل به اتصالا شخصيا . كان طبيبا في غرناطة ، وعمل كاتباً لعامل هذا البلد ولأحد أبناء عبد المؤمن ، وعلا أمره حتى أصبح طبيباً لأبي يعقوب يوسف المنصور خليفة الموحدين (٥٥٨ - ٥٧٩/١١٦٣ - ١١٨٤) . وكانت له حظوة عظيمة عنده ، وهو الذي قدم إليه ابن رشد في ظروف معروفة ونصح هذا الفيلسوف القرطبي بأن يدون شروحه لكتيب أرسطو . ثم تخلى ابن طفيل عن عمله كطبيب المنصور وتركه لابن رشد ، وتوفي في مراكش سنة ١١٨٥/٥٨٠ - ١١٨٦ .

ومن المعروف أن ابن طفيل صنف في الطب كتباً ، وأنه كانت له آراء مبكرة في الفلك ، وقد ذكر البطروجي أنه أخذ قوله في الدوائر الخارجية والدوائر الداخلية من ابن طفيل .

ولم يبق لنا من مؤلفات ابن طفيل إلا رسالة « حي بن يقظان » أو « أسرار الفلسفة المشرقية » (الإشرافية) ، وقد ترجمه بوكوك إلى اللاتينية بعنوان « الفيلسوف للمعلم نفسه Philosophus Autodidactus » ونشره في سنة ١٦٧١ ، وإلى الفرنسية ليون جوتييه في سنة ١٩٠٠ ثم أعاد ترجمته سنة ١٩٣٧ ، وترجمه إلى الإسبانية بونس بويجيس سنة ١٩١٠ ، وترجمه إلى نفس اللغة مرة أخرى جنزالد بالنثيا سنة ١٩٣٤ . وتبدأ الرسالة بموجز مفيد هام لتاريخ الفلسفة في الإسلام يمتدح ابن طفيل فيه عن تقدمه من الفلاسفة ابن سينا وابن باجة والغزالي^(٤٠) .

وإليك موجز هذه القصة كما أورده غرسية غومس :

« في جزيرة مهبورة من جزائر الهند » التي تحت خط الاستواء ، وفي وسط
ظروف طيمنية طيبة^(٤١) ، تولد طفل من « بطن من أرض تلك الجزيرة تخرجت
فيه طينة على سر السنين »^(٤٢) من دون أن يكون له أم أو أب . وفي قول آخر أن
تيار البحر حمله إلى هذه الجزيرة في « تابوت أحسكت زوجه [أمه] بعد أن أروته
من الرضاع » ، وكانت أميرة مضطهدة في جزيرة مجاورة^(٤٣) ، فاستودعت ابنها
الأمواج حتى تنجيه من الموت . وهذا الطفل هو حي بن يقظان . فنبته غزالة
وأرضته وصارت له كأمه . ونما « حي » وأخذ يلاحظ ويتأمل^(٤٤) . وكان الله
قد وهبه ذكاء وقادراً ، فعرف كيف يقوم بحاجات نفسه ، بل استطاع أن يصل
بالملاحظة والتفكير إلى أن يدرك بنفسه أرفع حقائق الطبيعة وما وراءها . وقد
وصل إلى ذلك بطريقة الفلاسفة ، بطبيعة الحال . وأدت به هذه الطريقة إلى أن
يحاول ، عن سبيل الإشراف الفلسفي ، الوصول إلى الاتحاد الوثيق بالله ، وهذا
الاتحاد هو العلم الفزير والسعادة العليا الموصلة للخلافة في وقت واحد . ولما وصل
« حي » إلى ذلك دخل مغارة وصام أربعين يوماً متوالية . مجتهداً في أن يفصل
عقله عن العالم الخارجي وعن جسده بواسطة التأمل المطلق في الله لكي يصل إلى
الاتصال به ، حتى أدرك ما أراد^(٤٥) . وعند ما بلغ ذلك اللبغ لقي رجلاً تقياً يسمى
« أسال »^(٤٦) أقبل من جزيرة مجاورة إلى هذه الجزيرة بحسبها خلاصاً من الناس .
وقام أسال بتعليم الكلام لصاحبه المنفرد بنفسه والذي لقيه دون أن يتوقع ذلك .
ولم يلبث أن وجد في الطريق الفلسفي الذي ابتكره حي لنفسه تعليلاً علوياً للدين
الذي كان يعتقد ، وتفسيراً كذلك لكل الأديان للنزلة^(٤٧) . ثم أخذ أسال
صاحبه إلى الجزيرة المجاورة ، وكان يحكمها ملك تقي يسمى سلامان ، [وهو
صاحب أسال الذي كان يرى ملازمة الجماعة ويقول بتحريم الرمة]^(٤٨) ،
وطالب إليه أن يكشف (لأهل الجزيرة) عن الحقائق العليا التي وصل إليها ، فلم
يقف^(٤٩) . ووجد علياناً نفسه مضطرباً من آخر الأمر إلى أن يعترف بأن الحقيقة

الخالصة لمُتَخَلِّقِ الْعَوَامِ ، إِذْ أَنَّهُمْ مَكْبُولُونَ بِأَغْلَالِ الْحَوَاسِ ، وَعَرَفَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَصِلَ إِلَى النَّاتِيهِ فِي أَهْوَائِهِمُ الْغَلِيظَةِ ، وَيُؤْثِرَ فِي إِرَادَتِهِمُ الْمُسْتَعْصِيَةِ ، فَلَا مَفْرَءَ لَهُ مِنْ أَنْ يَصُوغَ آرَاءَهُ فِي قَوَالِبِ الْأَدْيَانِ الْمُنْزَلَةِ . وَكَانَتْ نَتِيجَةُ هَذَا أَنْ قَرَّرَا اعْتِزَالَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ لِلْمَسَاكِينِ إِلَى الْأَبَدِ ، وَنُصِّحَهُمْ بِالِاسْتِمْسَاكِ بِأَدْيَانِ آبَائِهِمْ^(٥٠) . وَعَادَ حَى وَصَاحِبِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْمَهْجُورَةِ لِهِنْمَا بِهِذِهِ الْحَيَاةِ الرَّفِيعَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْخَالِصَةِ الَّتِي لَا يَدْرِكُهَا إِلَّا الْقَلَائِلُ مِنَ النَّاسِ .

وَالْأَسَاسُ الْفَلَسْفِيُّ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ فَلَاسِفَةُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ نَهَجُوا عَلَى مَذْهَبِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْحَدِيثَةِ . وَقَدْ صَوَّرَ ابْنُ طُفَيْلٍ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ رَمَزَ الْعَقْلَ فِي صُورَةِ حَى بْنِ يَظْقَانَ (وَالْيَظْقَانُ هُوَ اللَّهُ) ، وَرَمَى ابْنَ طُفَيْلٍ مِنْ وَرَائِهَا إِلَى بَيَانِ الْإِتِّفَاقِ بَيْنَ الدِّينِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَهُوَ مَوْضُوعُ شُغْلِ أَذْهَانِ مُفَكِّرِي الْمُسْلِمِينَ كَثِيرًا .

أَمَّا الْقَالِبُ الْقِصَصِيُّ الَّذِي اتَّخَذَهُ ابْنُ طُفَيْلٍ سَبِيلًا لِعَرْضِ آرَائِهِ الْفَلَسْفِيَّةِ ، فَقَدْ دَرَسَهُ الْأَسَاقِذُ غَرَسِيَّةُ غُومَسَ دَرَاةً عِلْمِيَّةً بِالْعَمَقِ ، ذَهَبَ فِيهَا إِلَى أَنَّ هَذَا الْمِثْكَلَ الْعَامَّ لِلْقِصَّةِ مَأْخُوذٌ مِنْ « قِصَّةِ الصَّنَمِ وَالْمَلِكِ وَابْنَتِهِ » ، وَهِيَ إِحْدَى الْأَسَاطِيرِ الَّتِي تُسَبَّجَتْ حَوْلَ شَخْصِيَّةِ الْإِسْكَانْدَرِ الْأَكْبَرِ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهَا كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، فَتَنَاوَلَهَا ابْنُ طُفَيْلٍ وَصَاغَهَا فِي قَالِبِ رَمْزِي ، وَفِي هَذَا يَقُولُ غَرَسِيَّةُ غُومَسَ : « وَقَدْ وَجَدَ ابْنُ طُفَيْلٍ فِي هَذِهِ الْفِكْرَةِ الْأَدْبِيَّةِ — ذَاتِ الْحَيَوِيَّةِ الْمُتَّصِلَةِ وَالَّتِي تَبْدُو حَقِيقِيَّةً وَإِنْ كَانَتْ مِنْ نَسْجِ الْخَيَالِ — السَّبِيلَ إِلَى عَرْضِ نَظَرِيَّةِ الْمَفْكَرِ الْمُتَّوَحَّدِ وَنَظَرِيَّاتِ فِلَسْفِيَّةٍ أُخْرَى . وَقَدْ وَرَدَتْ فِكْرَةُ الْفِيلَسُوفِ الْمُتَّوَحِّدِ فِي كِتَابَاتِ ابْنِ سَيْنَا وَابْنِ بَاجَةَ . وَقَدْ وَجَدَ ابْنُ طُفَيْلٍ فِيهَا كَذَلِكَ وَسِيلَةً تَتَّفَقُ مَعَ تَفْكِيرِهِ اتِّفَاقًا بَدِيحًا ، بَلْ ضَمَّتْ هَذِهِ الْحِكَايَةَ مَوْضِعًا مُنَاسِبًا اسْتَطَاعَ ابْنُ طُفَيْلٍ أَنْ يُفْرِعَ فِيهِ أَفْكَارَهُ ، وَمِنْ هُنَا نَتَجَّ هَذَا التَّأْلِيفُ الْجَمِيلُ بَيْنَ قِصَّةٍ شَائِعَةٍ وَبَيْنِ الْأَفْكَارِ الْفَلَسْفِيَّةِ ، وَاسْتَطَاعَ ابْنُ طُفَيْلٍ بِأَسْلُوبِهِ الْمَذْبُوبِ ، الَّذِي يَقْبِضُ

ابتكاراً ومنطقاً وقوة شاعرية ، أن يخلق منها آراً من أعظم ما أطلعت عليه العصور الوسطى » (٥١) .

وأطرف من هذا أن حكاية الصنم نفسها هي التي أوجت إلى « جراسيان Gracián » ف فكرة . كتابه المسمى « كزيتيكون . El Criticón = الناقد » . وقد استطاع كل من الأب . Pou و مينندز . بلايوس من بعده أن يظهر العلاقة الواضحة بين شخصية أندريفيو التي ترد في قصة ذلك اليسوعي الأرغوني (أي جراسيان) وبين شخصية حي بن يقظان التي ابتكرها الفيلسوف المسلم . ولا نعرف كيف أطلع جراسيان على رسالة ابن طفيل التي لم تنشر في لغة أوروية إلا سنة ١٦٧١ . وقد أثبت غرسيه غومس أن كتاب الكريتيكون أقرب إلى « قصة الصنم » منه إلى « رسالة حي بن يقظان » ، وأدت به المقارنة بين الكتابين إلى القول بأن علة هذا التشابه هي أن جراسيان قد هذه الأسطورة التي كانت متوارة بين المؤرخين الأندلسيين من غير شك ، ومن أن ذلك أن مخطوط الإسكوريال الذي يضم هذه القصة مكتوب بحروف لاتينية أرغونية ترجع إلى القرن السادس عشر (٥٢) .

وقد ذاعت قصة حي بن يقظان بين المسلمين ذروعا عظيما ، وترجمها موسى التبريزي إلى العبرية في سنة ١٣٤١ م ، وعلق عليها . وقد نقل ترجمة بوكوك اللاتينية إلى الإنجليزية جورج كيث لكي يقرأها الكويكرز بين ما يقرأونه من كتب النقي والورع . وامتدحها الفيلسوف لينتز ، واعتبرها منندز بلايو أبدع وأعجب ثمرات الأدب العربي .

وإليك بقرة من « رسالة حي » يتحدث فيها عن فضائل النار :
« واتفق في بعض الأحيان أن انقذت نار في أجرة قلخ على سبيل المحاكمة .. فلما بصرها رأى منظراً هالكا وخلقا لم يعمده قبل ، فوقف يتعجب منها مليا ، وما زال يدنو منها شيئا فشيئا ، فرأى ما للنار من الضوء الثاقب والفعل الثالب ،

حتى لا تعلق بشيء إلا أنت عليه وأحاطته إلى نفسها ، فعمله العجيب بها ، وبما ركب الله تعالى في طباعه من الجراءة والقوة ، على أن يمد يده إليها ، وأراد أن يأخذ منها شيئاً . فلما باشرها أحرقت يده فلم يستطع القبض عليها ، فاهتدى إلى أن يأخذ قبساً لم تستول النار على جميعه ، فأخذ بطرفه السليم والنار في طرفه الآخر ، فتأثرت له ذلك وجهه إلى موضعه الذي كان يأوى إليه ، وكان قد خلا في جحر استحسنه للسكنى قبل ذلك .

« ثم ما زال يمد تلك النار بالحشيش والحطب الجزل ، ويمسكها ليلاً ونهاراً استحساناً لها وتصجباً منها . وكان يزيد أنه بها ليلاً ، لأنها كانت تقوم له مقام الشمس في الضياء والدفء ، فعظم بها ولوعه ، واعتقد أنها أفضل الأشياء التي لديه . وكان دائماً يراها تتحرك إلى جهة فوق وتطلب العلو ، فغلب على ظنه أنها من جملة الجواهر السماوية التي كان يشاهدها .

« وكان يخبر قوتها في جميع الأشياء ، بأن يلقيها فيها فيراها مستوية عليها : إما بسرعة وإما ببطء ، بحسب قوة اعتماد الجسم الذي كان يلقيه للاحتراق أو ضعفه .

« وكان من جملة ما أتى فيها على سبيل الاختبار لقوتها شيء من أصناف الحيوانات البحرية — كان قد ألقاه البحر إلى ساحله — فلما أنضجت ذلك الحيوان وسطع قناره تحركت شهوته إليه ، فأكل منه شيئاً فاستطابه ، فاعتاد بذلك أكل اللحم ، فصرف الحيلة في صيد البر والبحر ، حتى مهر في ذلك .

« وزادت محبته للنار ، إذ تأتى له بها من وجوه الاقتداء الطيب شيء لم يتأت له قبل ذلك . فلما اشتد شغفه بها لما رأى من حسن آثارها وقوة اعتمادها ، وقع في نفسه أن الشيء الذي ارتحل من قلب أمه الطيبة التي أنشأته ، كان من جرهم هذا الوجود أو من شيء يحاكيه . وأكّد ذلك في ظنه ، ما كان يراه من حرارة الحيوان طول مدة حياته ، وبرودته من بعد موته ، وكل هذا دائماً لا يمتثل ،

وما كان يجده في نفسه من شدة الحرارة عند صدره ، يلزاء الموضع الذي كان قد شق عليه من الظبية ، فوق في نفسه أنه لو أخذ حيواناً حياً وشق قلبه ، ونظر إلى ذلك التعريف الذي صادفه خالياً عند ما شق عليه في أمه الظبية ، لآه في هذا الحيوان الحى وهو مملوء بذلك الشيء الساكن فيه ، وتحقيق هل هو من جوهر النار ؟ وهل فيه شيء من الضوء والحرارة ، أم لا ؟ فعمد إلى بعض الوحوش واستوثق منه كتاباً ، وشق على الصفة التي شق بها الظبية حتى وصل إلى القلب . فقصده أولاً إلى الجهة اليسرى منه وشقها ، فرأى ذلك الفراغ مملوئاً بهواء بخارى ، يشبه الضباب الأبيض ، فأدخل أصبعه فيه ، فوجده من الحرارة في حدٍّ كاد يحرقه ، ومات ذلك الحيوان على الفور . فصيح عنده أن ذلك البخار الحار هو الذي كان يحرك هذا الحيوان ، وأن في كل شخص من أشخاص الحيوانات مثل ذلك ، ومتى انفصل عن الحيوان مات .

ف ١٠٨ — ابن رشد : حياته ومؤلفاته (٥٢٦ — ٥٩٥ / ١١٢٦ —

١١٩٨) (٥٣) :

يسميه الإسكولاستيون أفريوس ، واسمه الكامل أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد ، تميزاً له من جده الفقيه — وكان يسمى أبا الوليد محمد بن رشد أيضاً — وهو ينتسب إلى أسرة قرطبية جليلة تكررت في أفرادها النباهة في الفقه . ولابد أن علوم الشرع كانت أول ما درس ، وربما درس الطب أيضاً ، إذ أن كتابه « الكليات في الطب » الذي عرف عند الأوروبيين في المصور الوسطى باسم كولييجيت Colliget (وهو تحريف لفظ كليات) لابد أنه كتب في الفترة الأولى من حياته — قبل سنة ١١٦٢/٥٥٧ — وربما كان اشتغاله هذا بالطب هو الذي حبَّب إليه دراسة الفلسفة ؛ ولا يُعرف له كتاب فيها قبل ذلك التاريخ .

والسبب في انصراف ابن رشد إلى ترجمة كتب أرسطو وشروحها أن أبا يعقوب يوسف الموحدي (٥٥٧ — ١١٦٢/٥٧٩ — ١١٨٤) كان محباً للعلم والعلماء ،

وكان يحيط نفسه بأصنافهم ، وكان أبو بكر بن طفيل صاحب حظوة عظيمة عنده ،
فقدم أبا الوليد بن رشد إلى أبي يعقوب يوسف في خير لطيف حكاية عبد الواحد
الراكشي^(٥٤) ، قال : « أخبرني تلميذه (أى تلميذ ابن رشد) الققيه الأستاذ أبو بكر
بندود بن يحيى القرطبي ، قال : سمعت الحكيم أبا الوليد يقول غير مرة : لما دخلتُ
على أمير المؤمنين أبي يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن طفيل ليس محبا غيرهما ،
فأخذ أبو بكر يثنى على ويذكر يثني وسألتني ، ويضم بفضل إلى ذلك أشياء لا يبلغها
قدرى ، فكان أول ما قاتحنى به أمير المؤمنين — بعد أن سألتني عن اسمي واسم
أبي ونسبي — أن قال لي : ما رأيهم في السياء — يعنى الفلاسفة — أقديمة هي
أم حادثة ؟ فأدركنى الحياء والخوف ، فأخذت أتصل وأنكر اشتغالى بعلم الفلسفة ،
ولم أكن أدري ما قرره معه ابن طفيل ؛ ففهم أمير المؤمنين منى الروع والحياء ،
فالتفت إلى ابن طفيل وجعل يتكلم عن المسألة التى سألتني عنها ، ويذكر ما قاله
أرسطوطاليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج أهل الإسلام
عليهم ، فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها فى أحد من المشتغلين بهذا الشأن
المفرغين له ، ولم يزل يبسطنى حتى تكلمت ، فعرف ما عندى من ذلك ، فلما
انصرفت أمر لي بمال وخلمة سنية ومركب .

« وأخبرني تلميذه للتقدم المذكور عنه ، قال : استدعانى أبو بكر بن طفيل يوما
فقال لي : سمعت اليوم أمير المؤمنين يتشكى من قلق عبارة أرسطوطاليس — أو عبارة
الترجمين عنه — ويذكر غموض أغراضه ويقول : لو وقع لهذه الكتب من
ياخصها ويقرب أغراضها بمد أن يفهمها فهمها جيدا لقرب مأخذها على الناس .
فإن كان فيك فضل قوة لقلبك فافعل ، وإنى لأرجو أن تعنى به لما أعلمه من
جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة ، ولا يمننى من ذلك
إلا ما تعلمه من كثرة سنى واشتغالى بالخدمة وصرف عنايتي إلى ما هو أهم عندى
منه . قال أبو الوليد [بن رشد] : فكان هذا الذى حملنى على تلخيص ما خلصته
من كتب الحكيم أرسطوطاليس »^(٥٥) .

وكان ابن رشد إذ ذاك قاضياً لإشبيلية ، فأنصرف إلى دراسة مؤلفات أرسطو وشرحها ، وأخرج في سنة ٥٦٤/١١٦٩ كتابه « شرح لرسالة الحيوان » ، ثم عاد إلى قرطبة في سنة ١١٧٠ وأفرغ همهته كلها في دراساته الفلسفية ، ولم تصرفه عنها رحلاته إلى مراکش في سنتي ٥٧٣ و ٥٧٧/١١٧٨ و ١١٨٢ . وفي ذلك العام الأخير ولي قضاء قرطبة . وعندما تولى خلافة الموحدين أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٧٩ - ٥٩٥/١١٨٤ - ١١٩٨) علت مكانته عنده وأصبح منه ما كان ابن طفيل من أبي يعقوب يوسف ، فكان يحاط به غلاطة الأخ ، وبلغ ابن رشد أعلى مكانة بلغها لدى الموحدين قبل موقعة « الأرك » التي كانت في سنة ٥٩١/١١٩٥ .

ثم وقعت الفقرة بين الخليفة والفيلسوف بعد ذلك ، ولا يمكننا رد ذلك إلى أسباب تتصل بالمقيدة ، فقد كان المنصور على علم بمؤلفات ابن رشد ، وربما كان سببه نفور شخصي محض ، أو أنه وقع نتيجة لسعايات الحاسدين من أهل الحاشية ، وربما كان مرده كذلك إلى ما شمل نفس المنصور من حمية دينية بعد انتصاره على النصارى في تلك الواقعة . ولا يبعد كذلك أن الفيلسوف غالى في الإفصاح عن خوافره التي لم تكن تأتلف تماماً مع حرفية المقيدة ، فلم يحتمل المنصور ذلك . وعلى أى الأحوال فمن الثابت أنه أصدر أمراً يحرم تدارس الفلسفة وعلومها وأخذ يضطهد المشتغلين بها . ودعا للمنصور جماعة من الفقهاء فبحثوا آراء ابن رشد للثبوت من ناحيتها الدينية ، واتبهوا إلى الحكم على تعاليمه بالمروق ، على رغم دفاع أبي عبد الله إبراهيم الأصولي عنه . وأعقب ذلك اتهام ابن رشد وصاحبه هذا بالزندقة علناً في الجامع . وجرد ابن رشد من منصبه ونفى إلى أليسانة على مقربة من قرطبة ، وكانت بلداً معظماً أهله من اليهود ، واقلب عليه من كان يفيض في مدحه من الشراء ، ومضوا بهجونه ويقولون في ذمه^(٥٦) .

ثم سعى نفر من سروات إشبيلية عند أبي يعقوب حتى رضى عن ابن رشد

في سنة ١١٩٨/٥٩٥ قاسمته إلى مراكش ، حيث مات ذلك العام (٩ صفر ١٠/٥٩٥ ديسمبر ١١٩٨) وووري جثمانه التراب في « مقبرة باب تاغزوت » ثم نقل إلى مدافن أهل في قرطبة ، وقد شهد بحفي الدين بن عربي نقل جثمانه وقال : « ... ولما جُعل للتأبوت الذي فيه جسده على الهابة ، جُمِلت تأليفه تعادله من الجانب الآخر ، وأنا واقف ومعي الفقيه الأديب أبو الحسن محمد بن جبير كاتب السيد أبي سعيد وصاحبي أبو الحكم عمر بن السراج الناسخ ، فالتفت أبو الحكم إلينا وقال : « ألا تنظرون إلى من (يريد : ما) يعادل الإمام ابن رشد في مركوبه ؟ : هذا الإمام وهذه أعماله » ، يعني تأليفه . فقال له ابن جبير : « يا ولدي ، نعم ما نظرت ، لافض فوك » فتدبّرها عندي موعظة وتذكرة ، رحم الله جميعهم . وما بقي من الجماعة غيري ، وقلنا في ذلك :

هذا الإمام وهذه أعماله ياليت شرى، هل أنت آماه ؟^(٥٦)

أما مؤلفات ابن رشد فنذكر منها ما يلي :

١ : في الفلسفة : شروح مؤلفات أرسطو : وضع ابن رشد لمؤلفات أرسطو

ثلاثة أنواع من الشروح يختلف أحدها عن الآخر في السعة^(٥٧) ، فوضع شروحا مطولة لكتاب « التحليلات الثانية » (كتاب البرهان) ، ولكتاب « السماع الطبيعى » و « السماء والعالم » و « النفس » و « ما وراء الطبيعة » ، ووضع شروحا متوسطة لهذه الكتب التي ذكرناها وأضاف إليها شروحا « للأرغانون (المدطق) » و « مع كتاب « إيساغوجي » لفرغونز يوس الصوري ، وشروحا لكتاب « الكون والفساد » و « الآثار العلوية » و « الأخلاق إلى نيقوماخوس » ، وله شروح وتلخيصات مختصرة لهذه كلها عدا كتاب « الأخلاق » ، ولكتاب « الطبيعيات الصغرى » (عن الحسن والحسوس) ، وشرح كذلك الكتب الأخيرة التسعة

(٥٦) ابن عربي : الفتوحات المكية ، ج ١ ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

من « الحيوان » ، ولدينا الترجمات اللاتينية لهذه الكتب كلها وتراجم عبرية لكثير منها . أما في العربية فلم يبق منها إلا القليل ، نذكر منه « كتاب الكليات » (بالمكتبة الأهلية في مدريد) ويضم رسائل « السماع الطيبى » ورسائل « السوء والعالم » و « الكون والفساد » و « الآثار العلوية » و « النفس » و « ما وراء الطبيعة » (وقد نشر « ما وراء الطبيعة » وترجمه إلى الإسبانية كارلوس كبروس في سنة ١٩١٩) ، ونشر الأب بويج كتاب « المقولات » — قاطيفورياس — سنة ١٩٣٢ .

ب — مؤلفاته في الفلسفة ، كتب أصبغ بعضها بنفسه : وهى ابن رشد إلى جانب شروحه على أرسطو — وهى أوسع مؤلفاته انتشاراً — بوضع مؤلفات فلسفية ، منها كتاب « نهات التنهات » (نشر في القاهرة سنة ١٨٨٦ ، ثم أعاد نشره الأب بويج سنة ١٩٣٠) وهو المعروف في تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى بعنوانه اللاتينى *Destructio destructionis* ، وقد أُلّف ردّاً على « نهات الفلاسفة » لأبى حامد الغزالي . وله كذلك كتاب « المقدمات » في الفلسفة ، وهو مجموعة من اثنتى عشرة مقالة معظمها في مسائل من علم المنطق (م . إسكوريال) ، وكتاب « اتصال العقل بالإنسان » (نشره الأب مورانا مع ترجمة إسبانية سنة ١٩٢٣) ، وله كذلك مقالتان عن اتصال العقل بالإنسان وموجز في المنطق ورسائل أخرى مختلفة بقيت لنا في ترجمتها العبرية (٥٨) .

ج — في علوم العقائد : نشر ماركوس يوسف مولر في ميونخ سنة ١٨٥٩ كتابين لابن رشد هما « فصل المنال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ، والثانى هو « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » ، وتعرّيف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبهة المزينة والبدع للضلة » ، وذلك

على أساس مخطوطة الإسكريال (وقد ترجم « مولر » هذين الكتابين إلى الألمانية في سنة ١٨٧٥ ، وترجم جوتييه الثاني منهما إلى الفرنسية سنة ١٩٠٥) . وخلص آسين بلاثيوس هذين الكتابين وعرضهما عرضاً شاملاً في مقاله « الرشدية اللاهوتية عند القديس توما الأكويني » (نشر هذا البحث في كتاب « التنويه بفضل كوديرا » سنة ١٩٠٤)^(٥٩) . وقد نشر ليون جوتييه كتاب « فصل المقال » في الجزائر سنة ١٩٤٢ .

د — في الفقه : نهج ابن رشد نهج من سبقه من آل رشد في العناية بالتأليف في علوم الفقه ، فألف فيها كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وهو كتاب في الفقه على مذهب مالك ، وقد نشر في القاهرة أخيراً .

هـ — في الفلك : لدينا ترجمة عربية المختصر الذي وضعه لكتاب الجسطلى (= الكتاب الجليل) ، وينسب إليه كذلك « رسالة عن حركة الفلك » وكتاب آخر عن « استدارة فلك السماء والنجوم الثابتة » .

و — في الطب : أم ما ألف ابن رشد في هذا الميدان « كتاب الكليات » وهو المسمى عند مفكرى المصور الوسطى الأوروبيين باسم كوليجيت Colliget وهو دراسة شاملة لعلم الطب في سبعة كتب ، وقد نُشر مُصَوَّراً في تيطوان سنة ١٩٣٨ . ووضع كذلك شروحا لأبجوزة ابن سينا في الطب ، ومؤلفات أخرى لجالينوس عن « الحيات » و « القوى الطبيعية » و « الملل والأعراض » لجالينوس ، وغيرها . وألف كذلك مقالات عن « الترياق » و « الإسهال » و « المزاج » و « جملة من الأدوية المفردة » ورسائل أخرى كثيرة .

ف ١٠٩ — آراء ابن رشد الفلسفية :

عرف للثقفون من أهل أوروبا منذ زمن بعيد مؤلفات ابن رشد في ترجماتها

اللاتينية ، وهي ترجمات تشوبها الأخطاء غالباً بسبب تمسك أصحابها بحرفية النقل مما يجعل فهم آراء ابن رشد عسيراً إذا نحن اعتمدنا عليها^(١٠) . ويجتهد المستشرقون المحدثون مثل كويروس والأب مورانا في تلافى ذلك النقص بالرجوع إلى أصولها التي كتبها ابن رشد وترجمتها ونشرها . وإليك فقرة من كتاب « ما بعد الطبيعة » :

« وأما كون الصور فاسدة ومتكونة وبالجملة متغيرة ، فإنما ذلك لما من حيث هي جزءاً من السكّان الفاسد بالذات ، وهو الشخص الذي هي مجرّع المادة والصورة بما هي صورة مشار إليها لا بما هي صورة . وكذلك الأمر في المادة ، فإن التغير إنما يلحقها من حيث هي مادة شيء مشار إليه ، فأما بما هي مادة فلا . وإذا كانت المادة هي التي هي سبب التغير اللاحق للصور ، فأحرى أن تكون الصور كذلك ، لكن كون المادة معقولة ليس لما بما هي مادة ، إذ كان المعقول إنما يلحق الشيء من جهة ما هو بالفعل ، بل عقلها أبداً يكون بالنسبة ، فذلك في المادة الأولى أو من حيث عرض لها الفعل ، وذلك في المواد الخاصة بموجود موجود^(١١) .

وابن رشد قبل كل شيء شارح لمؤلفات أرسطو ومعلق عليها ، ولو أنه لم يوفق في كل حين إلى عرض الآراء الحقيقية لفيلسوف اسطافاريا ، وهو يعمد إلى عرض آرائه الخاصة في سياق شروحه وفي مؤلفاته التي وضعها بنفسه . وإليك موجز آراء ابن رشد كما يمرضها دي وولف :

- ١ — عقول الأفلاك ، وصدورها عن الله وتفاوتها في المرتبة : أي أن السماء تتكون من أفلاك عديدة ، لكل منها عقل هو صورته ، وكل فلك من هذه يحدث الحركة فيما دونه ، حتى نصل إلى فلك القمر وهو يؤثر (يفعل) في العقل الإنساني .
- ٢ — قديم المادة وكوّنُها بالقوة : يعتقد ابن رشد أن للمادة لم تكن عدماً ، وإنما هي قوة كلية تضم في ذاتها أصول كل الصور . ولما كان الحرك الأول

موجوداً يلزأ المادة الأزلية فإنه يُخْرِج ما هو في المادة بالقوة إلى حيز العقل ، وعن التسلسل للتصل لهذا كله ينشأ العالم للمادى ، وهذا التسلسل في السكون ضرورى واجب الوجود ولا نهاية له أزلاً وأبداً .

٣ — وحدة العقل الإنسانى وإنكار الخلود عن النفوس الجزئية : ويقول

دى وولف فى تفسير هذه النقطة :

إن العقل الإنسانى هو آخر العقول الفلسفية ، وهو صورة غير مادية أزلية مفارقة للأشخاص ، وهو واحد فى المدة . وهذا العقل هو فى وقت واحد عقل فعال وعقل هيو لانى أو عقل بالقوة والإمكان . والعقل الإنسانى لو نظرنا إليه فى جملة لوجدناه مستقلاً عن الأشخاص وليس عقلاً لشخص بعينه ، وهو السراج الذى يهتد الأرواح الجزئية ويُسَكِّن الإنسانية على الدوام من المشاركة فى الحقائق الخالصة . وعملية العقل تحصل عند الفرد عن طريق اتصال عَرَضى للعقل المفارق بالعقل الإنسانى الجزئى بواسطة صور المحسوسات . وهذه المرتبة الأولى من تَمَلُّكِ الصور تُؤَلِّد فى الشخص العقل السفاد . وهناك أنواع من الاتصال بين العقل الإنسانى والعقل المفارق أوثق مما تقدم ، ونفى بها الاتصال الذى ينشأ من حصول المقولات فى العقل الإنسانى حصولاً بالعقل ، والاتصال الذى هو أعلى من ذلك وهو الذى يكون فى حالة الكشف الصوفى والوحى النبوى . والنتيجة المنطقية لهذا كله هى فناء الرعى الفردى .

والسعادة تكون فى الاتصال الذى يزداد وثقاً مرة بعد مرة مع عقل الإنسانية فى جملة . والأرواح الجزئية تموت ولكن الإنسانية خالدة .

٤ — تأويل القرآن والفلسفة : إن النهج الذى حاول ابن رشد سلوكه

لكى يوفق بين الدين والعقل انتهى به إلى المذهب العقلى . وابن رشد يفرق بين التفسير الحرفى والتأويل الفلسفى للنصوص المقدسة ، ويقول إن هذا الأخير هو الوحيد الذى يَمَكِّن الإنسان من الوصول إلى الحقائق العليا ، وهو لا يتفق فى نقطه

جميعاً مع التفسير الحرفي . والعقل الفلسفي هو الذي يبين ما هو تقليد في الدين ، وبين أي العقائد يمكن تأويله وبأي وجه يكون هذا التأويل . وقد حاول ابن رشد أن يوفق بين القول بحدوث العالم — وهو ما دافع عنه الفزالي — وبين النظرية المشائية التي تقول بقدمه .

ويقول آسين إن هناك ثلاثة آثار نتجت عن المشكلة التي نشأت عند المسلمين والنصارى واليهود عن العلاقة بين الفلسفة — خصوصاً الفلسفة الأرسطية — والدين . وهذه الآثار هي :

١ — ردُّ للشكوكين بعلوم العقائد على أرسطو ؛ ويمثل ذلك عبد المسلمين في الفزالي ، وعند اليهود في يهودا هلاوي (هاليقي) ، وعند النصارى في المدرسة الأوغسطينية التي أسسها جيرمو الأوفرنى Guillermo de Auvernia وإسكندر الهالي Alejandro de Hales .

٢ — ظهور تناقض ، صريح أحياناً وغير صريح أحياناً أخرى ، بين علم المشائين وبين الوحي ؛ وقد مثل هذا التناقض الفلاسفة الإسلاميون الحقيقون بهذا الوصف ، ومثله في الجانب اليهودي ابن جبيرول ، وراه في الجانب النصراني فيما يسمى بالرشدية عند سيجر البرامانتي .

٣ — جمع وتوفيق بين الناحيتين حاوله ابن رشد وموسى بن ميمون والقديس توما الأكويني .

وإن فبرج الفضل إلى هذا الفيلسوف القرطبي المسلم في أنه أتم أول محاولة في هذا الباب نالت التقدير ، وأنه تمكن من الوصول إلى نظرية في العلاقة بين الحكمة والشريعة كان لها من القيمة ما جعل مفكراً مثل القديس توما الأكويني يعتمد إلى الاستفادة منها .

ف ١١٠ - تلامذة ابن رشد :

ولا بد أن نذكر من تلاميذ ابن رشد المباشرين ابن طُلُوس (أبا الحجاج يوسف بن محمد ، ٥٥٩ - ١١٦٤/٦٢٠ - ١٢٢٣) ^(٦٣) من أهل جزيرة شقر ، وقد درس علوم الدين والأدب على أبي القاسم بين وضاح ، وهو غرناطي رحل إلى المشرق بالحج والطلب وأخذ القراءات على أبي علي بن العرجاء ، فلما عاد قدم يقرئ الناس القرآن أربعين عاماً . ودرس ابن طُلُوس كذلك على قاضي بلنسية أبي عبد الله بن حميد ونحقق بالأدب . وقد ذكر عن نفسه أنه درس المنطق عن طريق بعض كتب الفزالي التي كان محمد بن تومرت منشئ حركة الموحدين ودولتهم قد أعاد لها احترامها بين أهل المغرب والأندلس ^(٦٤) ، [وقد جرت بينه وبين المتحاملين عليها (مثل مالك بن وهيب) مناقشات طويلة] ^(٦٥) .

وعلى الرغم من أن من ترجموا لابن طُلُوس - كابن الأبار - يقولون إنه تلميذ ابن رشد ^(٦٦) ، إلا أنه لزم الصمت عن هذه الناحية ، وليس إلى الشك سبيل

(*) أبو عبد الله مالك بن وهيب الذي كان يسمى فيلسوف المغرب (القري : فتح ، ج ٢ ص ٣٢٢) لصهرته بالفلسفة ، ويقول في حقه عبد الواحد الراكشي : « كان قد شارك في جميع العلوم ، إلا أنه كان لا يظهر إلا ما كان يتفق في ذلك الزمان ، وكانت له فنون من العلم ... ومالك بن وهيب هذا تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة . رأيت بخطه كتاب الثمرة لبطليموس في الأحكام ، وكتاب المجسطي في علم الهيئة ، وعليه حواش بتقييده أيام قراءته إياه على رجل من أهل قرطبة يسمى حمد الذهبي (العجب ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٨٥) وقد اضطر هذا الرجل بسبب تمسب الفقهاء وتهاشم إياه عند القاضي إلى إخفاء آرائه تحت ستار من الفقه . وعهد إليه علي بن يوسف في مناقشة محمد بن تومرت مهدي للموحدين » . (انظر بابا من المناقشة عند ابن خلدون في الوفيات ، طبعة محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ٤ ، ترجمة ٦٦٠ ، ص ١٤٠ - ١٤١ ، وانظر أيضاً : كتاب أخبار الهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين لأبي بكر الصنهاجي المسكن بالبييق (باريس ١٩٢٨) ص ٦٨ - ٦٩ وتعليق ليقي يروفسال على الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب في نفس المجلد ص ١٠٩ - ١١١) .

في أن دافعه إلى ذلك كان الرغبة في النجاة بنفسه مما كان من الممكن أن يثيره الفقهاء حوله من الشكوك . وكان طبيباً نابهاً ، وقد خلف ابن رشد في تطبيب أبي يوسف يعقوب المنصور^(١٥) .

ولم يبق من كتبه إلا « المدخل إلى صناعة المنطق » (نشره مع ترجمة إسبانية آسين بلاثيوس ، وظهر الجزء الأول منه سنة ١٩١٦) وهو رسالة كاملة في المنطق بناها على ما ذكره الفزالي والفارابي في كتبهما واستعان « بكتاب أرسطاطاليس المكتوب في ذلك العلم » . وقد درس هذا الكتاب الأخير بتفسير أستاذ لم يشأ أن يذكره ، ولسكنه لا يمكن أن يكون إلا ابن رشد ، وهو ينقل عن الفارابي في بعض الأحيان فقرات كاملة أخذها من رسالته العجيبة المسماة « تصنيف العلوم » . وأهم جزء في كتابه — من الوجهة العامة — هو مقدمته ، فقد رأى أن يمرر تأليفه هذا الكتاب بمرض دقيق للإطار التاريخي للحركة العلمية بين المسلمين الأندلسيين ، مشيراً إلى المقياس الضعيف الضيق الذي اعتمد عليه الفقهاء إذ أنهم كانوا ينكرون علماً من العلوم ثم يرضون عنه ويقبلونه بعد ذلك ، وهو يقول بعد أن يتحدث من الرأي التي يثيرها الفقهاء حول علم المنطق ويتمجب من رجهم بالحكم فيما لا يعرفونه :

« ووجه آخر من الاستغابة معهم ما أذكره : وذلك أن أهل هذه الجزيرة — أغنى جزيرة الأندلس — عند ما دخلها المسلمون في أيام بني أمية ، إنما كانت تحتوى على قوم وطوائف من العرب والبرابر ومن استقر فيها من مُصَالِحَة النصراني .

« وكل هؤلاء لم يكن عندهم علم ، وإنما وصلهم من العلم ما اضطروا إليه في الأحكام ، ونقل إليهم من التابعين وتابى التابعين رضى الله عنهم من فروع المسائل فحفظوها . ولسكون الناس محتاجين إليها بسبب الأحكام عظم حاملوها وجل مقدارهم ، وصار الحاملون لهذه المسائل عند العامة علماء بإطلاق ، وظنت

الموام وأرباب السائل أن هذا هو العلم الذى يجب أن يُطلب ، ولم يظهر لم علم سواء . فكانت الرياسة فى ذلك الزمان بهذا العلم ، واعتقدوا مع ذلك أن هذا العلم هو العلم الحق ، وأن ما اتصل بهم من السائل عن الأئمة التى استنبطوها أنها من عند الله تعالى ، لكونهم إنما قبلوها عن كذل ، عن الإمام الذى قلده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الله تعالى .

« وكان ما يُتصرف فيه من السائل فى أول الأمر على مذهب الأوزاعى ، ثم انتقلوا إلى مذهب مالك بن أنس رضى الله عن جميعهم فنقلوا بمحبة هذا العلم والشنف به ، ونشوا على تعظيم أهله واعتقاد صدقهم وبفض مخالفه ، وذلك أنهم — لما كانوا يعتقدون فيه أنه الحق وأنه من عند الله — اعتقدوا فى مخالفه الكفر والزندقة .

« ولما امتدت الأيام وسافر أهل الأندلس إلى الشرق ، ورأوا هناك العلماء وأخذوا عنهم المذاهب — أعنى مذاهب الأئمة المشهورين — وكتب الحديث ، وانقلبوا إلى الأندلس بما أخذوه عن شيوخهم وما جلبوه [من السائل القريبة ، رأى علماء] الأندلس أن ما أتى به هؤلاء الداخلون هو مخالف لمذهبهم أو بعضه . وكان المخالف عندهم كافراً ، لمخالفته الحق الذى جاء به الرسول عن الله تعالى . فاعتقدوا لذلك فى هؤلاء الواصلين من الشرق بعم المذاهب للنسوبة إلى الأئمة وعلوم الحديث أنهم كفار وزنادقة ، وقرروا ذلك عند الموام وعند آل السطاف ، وقاموا فى طلب دماءهم وهتكهم نصرة لدين الله تعالى ، على زعمهم .

« وأعظم من امتحن على أيديهم من أفاضل العلماء ، ولقى كل مكروه منهم « بَقِيَّ بن مخلد » ، وكادت نفسه تنهب وتُزَقَّ كل بمنزق لولا الأمير فى ذلك الوقت ، فإنه ثبت فى أمره وطالع ما عنده فاستحسنه ، وكان من جملة الذى أتى به من علم الحديث مسند ابن أبى شيبة ، فأمر الأمير بمطالمة ما عنده والأخذ

عنه . فانصرف الناس إلى « بقى » قليلا قليلا ، وأخذ عنه الحديث وما نقل عن الأئمة . وطالت الأيام فساد ما كان منكرا عندم مألوقا ، وما اعتقدوه كفرا وزندقة إيمانا ودينا حقا .

« فدانوا بهذا مدة ودأبوا عليه ، إلى أن اتصل بهم علم أصول الدين ، فاعتقدوا فيه ما اعتقدوه أولا في مذاهب الأئمة من أنه كفر وزندقة ، ولذلك قال القضاة : « يا أشعريّة يا زنادقة الورى ! » فعدّ القوم الذين هم أهل السنة والناصرون لدين هذه للكهنة كفارا وزنادقة . . ثم أنسوا أيضا بهذا للذهب — أعنى علم الأصول — ودرجتهم الأيام إلى أن طالعوه وتمهروا فيه ، حتى كان فيه منهم أئمة وعلماء ، ولكن بقى في نفوس أرباب المسائل ، أعنى أهل الفروع — استنكار ذلك إلى قريب من زماننا هذا ، فإن ذلك الاستنكار لم ينتسخ من نفوسهم بالكلية كما استنسخ استنكار النكرين لعلوم الحديث قبل ذلك ، ولكن صار الحامل لهذا العلم آمنا منهم في نفسه وماله ، متكلما بما شاء من طه ، يميل فيه غير متقرب ولا خائف .

« فصار هذا العلم ، وعلم الحديث ، ومذاهب الأئمة ، ومسائل الفروع ، كل ذلك دين الله تعالى يحب الإيمان به والعمل بمقتضاه ، بعد أن كان فيه ما كان . « ولما امتدت الأيام ، وصل إلى هذه الجزيرة كتب أبي حامد النزالي متفنتة ، فترعت أعيانهم بأشياء لم يألّفوها ولا عرفوها ، وكلام خرج به عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتد أهل الأندلس ميناظرهم ولا محاورتهم ، فهدمت عن قبوله أذهانهم ونفرت عنه نفوسهم ، وقالوا إن كان في الدنيا كفر وزندقة فهذا النى في كتب النزالي هو الكفر والزندقة ، وأجمعوا على ذلك واجتمعوا للأمير إذ ذاك وحلوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب للنسوبة إلى الضلال بزعمهم ، وعزموا عليه في ذلك حتى أجابهم إلى ما سألوه منه ، فأحرقت كتب النزالي وهم لا يعرفون ما فيها ، وخاطب الأمير إذ ذاك جميع أهل مملكته

يأسرهم بحرقها ، و يُعلمهم أنه هو الذي أدى إليه نظر العلماء ، وقرئت مخاطبته على النابر وشنَّع الأمر بذلك تشنيعاً عظيماً وامتنحن من كان عنده منها كتاب ، وخاف كل إنسان على نفسه أن يُرى بأنه قرأ منها كتاباً أو اقتناه ، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه . وأشهر من امتحن في هذه الثورة أبو بكر بن العربي رحمه الله ، فإنه صُلِّي بحرقها ثم عصمه الله بعد [بلاء] عظيم ، وفيه معنى قول القائل : إن ينج منها أبو نصر فمن قدر . .

« ثم لم تكن نحمد الأيام إلا قليلاً حتى جاء الله بالإمام المهدي رضى الله عنه ، فبان به للناس ما كانوا قد تحمروا فيه ، وندب الناس إلى قراءة كتب النزالي رحمه الله ، وعُرف من مذهبه أنه يوافق ، فأخذ الناس في قراءتها وأحببوا بها وبما رأوا فيها من جودة النظام والترتيب الذي لم يروا مثله قط في تأليف . ولم يبق في هذه الجهات من لم يطلب عليه حب كتب النزالي ، إلا من غلب عليه إفراط الجلود من خلافة المقلدين ، فصارت قراءتها شرعاً وديناً بعد أن كانت كفرًا وزندقة .

« فلما رأيتُ هذا الذي ذكرته ، وما جرى عليه أمر الناس في القديم والحديث ، من إنكارهم أولاً ما ألفوه واستحسنوه آخرًا ، قلت في نفسي : ولعل صناعة المنطق هكذا يكون حكمها ، تُنكر أولاً وتُسَمَّل آخرًا ، وليس هذا يبدع في حقها ، إذ لها القاسم في ذلك بسائر العلوم . واستقرت في أمرها لهذا الذي علمته من أحوال الناس ، وسقط عني تقليدكم في حقها وصارت عندي بجهولة الحال لا يمكن أن يُحكم عليها بخير أو شر ، حتى تُعرف كالعادة في جميع ما يُحكم عليه بأمر ما فإنه لا يسوغ الحكم فيه حتى يُعلم . فلما رأيتها بجهولة وأن تعلمها مما يسوغ تشوقت إلى معرفتها ، كالحال في جميع المعارف ، فإن اللطوب فيها أبداً بجهول بوجه ما وتُشَوِّق معرفته » (*) .

(*) لم يورد المؤلف هذه الفقرة في الأصل ولكن رأيت إيرادها كنموذج لكلام ابن طبلوس من ناحية ، ولما تعطينا إياه من تفاصيل عامة عن موقف التفهاء من تطور الفكر في الأندلس .

ابن طبلوس : المختل لصناعة المنطق (مدريد ١٩١٦) ج ١ ، ص ٩ — ١٣ .

ف ١١١ - الرشدية :

كان تأثير مذهب ابن رشد في تاريخ الفكر الأوروبي حاسماً ، فقد أخذ اليهود شروحه وترجموها إلى العبرية أو عملوا منها ملخصات في هذه اللغة . وكانت هذه الترجمات والمختصرات الهامة الأكبر الذي بُني عليه العلم العبري ابتداءً من القرن الثالث عشر للميلادى . ومن مصاديق ذلك ما نجمه عند موسى بن ميمون من محاولة التوفيق بين الفلسفة المشائية والعقيدة الموسوية في كتابه « دلالة الحائرين » متبعا آثار الفيلسوف المسلم ، وينطبق هذا على كل ما خلفه المدرسة اليمونية ، وعلى للترجمين والمصنفين من اليهود الذين نبجلى نشاطهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاديين ، وخاصة أسرة بنى طيئون (أو تيئون) ويهود المدرسة البروفنسنية في لونيل Lunel ، ويصدق أيضاً على كالونيمو بن ماير وكالونيمو بن تدرُس وصمويل بن مِسْلَمَ وليفى بن جِرْسُون ، بل هو يصدق على من ظهر منهم في القرن الخامس عشر الذى فترفيه نشاط اليهود العلمى وفقرت منهم في الترجمة ، فقد ظلت كتابات ابن رشد مصدر إلهامهم ، ومنها قبس مفكروهم القليلون الذين ظهروا في ذلك القرن الخامس عشر ، مثل شيم طُلب بن فالكويرا وإيلس دل مِديجو Elias del Medigo .

وكان أثر ابن رشد في الحركة الإسكولاستيكية النصرانية أعظم من أثره بين اليهود . وقد كانت مدرسة مترجمى طليطة (ف ١٤٩) هى المركز الذى انتقلت عن طريقه الفلسفة العربية إلى أوروبا ، وفيها أتم ميخائيل الإسكولندى Michael Scottus ترجمة كتب ابن رشد إلى اللاتينية ، ويبدو أن ميخائيل هذا كان أول من عرف علماء الأمم اللاتينية بابن رشد . وفي طليطة أيضاً شرع هرمان الألماني Hermannus Alemanus في نقل مؤلفات فيلسوف قرطبة إلى اللاتينية مرة أخرى . ومن اللروف أن هذه الترجمات حافزة باليوب والأخطاء ، لأن

الترجمة تمت فيها على مرحلتين : من العربية إلى عجمية الأندلس ، ومن هذه إلى اللاتينية . ثم إننا نجد آراء لابن رشد نشرها رجل مجهول يسمى موديس الإسباني Mauritiu Hispanu ، ونجد إسكندر الهالي وجيترمو الأوفرنى ينقلان آراء عن ابن رشد وبشوران إلى ذلك ، (ويقول آسين پلاثيوس إن كتابات هذين للوثنيين ينبغي أن تدرس على ضوء آراء من اتبع طريق الأفلاطونية الحديثة من مفكرى العرب) . وقد أخذ « أليزئوس الأكبر » بعض آراء عن ابن رشد راغما ، [إذ لم يكن له عن ذلك محيص] واعترف بذلك . وبما أخذه عنه القول بصدور العقول بعضها عن بعض ، والقول بتأثير الكائنات العليا على العقل الإنسانى ، ومن ذلك أيضاً آراء ابن رشد عن العلاقة بين العقل الفعّال والعقل المستفاد . وأما القديس توما الأكوينى فقد كان أشد خصوم مذهب ابن رشد ، ولكن يمكن اعتباره فى نفس الوقت تلميذاً له فى المنهج ، بل فى طريقة التأليف . وقد أثبت آسين اعتماد القديس توما على ابن رشد فى المسألة التى يمكن أن تعبر منتهى ما تصل إليه علوم اللاهوت ، أى فى التوفيق بين الدين والفلسفة .

ومنذ أيام توما الأكوينى نجد المدرسة الدومينيكية كلها تمارض آراء ابن رشد : فكتب ريموندو مارتين كتابه « ضربة الدين Pugio Fidei » فى الرد على ابن رشد ممتدداً على نصوص من كتب الغزالى ، ووضع دانتى الشارح العظيم (ابن رشد) بين ذوى القدر العظيم من الرجال الذين لا يستطيعون النجاة بأنفسهم من عذاب جهنم بسبب عقيدتهم الدينية ، ومن تصدى لمناقشة ابن رشد ونقض آرائه « جيل الرومانى »^(٣) ورايموندو لوليئو خاصة ؛ وقد اجتهدا فى دحض آراء فيلسوف قرطبة فى عنف ، وإن كانت هذه الآراء قد شوّحت وحرفت عن مواضعها . أما أنصار نظريات ابن رشد فنجدهم بين رجال المدرسة القرائيشيكية مثل « روجر بيكون » ، وفى جامعة باريس ، ومن أقطاب هذا الاتجاه فى تلك الجامعة سييجر البرابانتى .

وفي نفس الوقت الذي كانت شروح ابن رشد على مذهب أرسطو تجد قبولا في مدارس الفكر النصراني، بدأت تتكون — ابتداء من القرن الرابع عشر — صورة أسطورية أخرى لابن رشد تراه فيها خارجا عن الدين، فيُنسب إليه كتاب لم يره أحد وإن كان الكلام عنه على كل لسان، وزعموا أن ابن رشد تحدث في هذا الكتاب بنظرية «الدجالين الثلاثة» التي تقول ببطلان الأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام جميعا، وتزعم أنها من وضع أصحابها. ونُسبت إليه كذلك نظرية القول بحقيقتين إحداهما الحقيقة الدينية والأخرى الحقيقة الفلسفية، وأنه قال لئنهما متناقضتان فيما بينهما ولكن كلاهما صحيحة، وهي بالأخرى نظرية سيجر البرابانتى وغيره من الرشدين اللاتين. ويقول آسبن إن ابن رشد لم يقل بنظرية الحقيقةين هذه أبدا، بل هو على العكس من ذلك حاول أن يوفق بين الدين والعقل. أما القول بالحقيقتين فيمكن أن يؤخذ من آراء محي الدين بن عربي (ف ١١٥) وأنها لا بد أن تكون قد انتقلت إلى سيجر وأتباعه عن طريقه أو عن طريق فلاسفة الأفلاطونية الحديثة^(٦٧).

ف ١١٢ — ابن العريف، أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن

عطار الله بن العريف الصنهاجي (١٠٨٨/٤٨١ - ١١٤١/٥٣٥):

ظهر أبو العباس بن العريف في المرية، وكأنه صدى بعيد لمدرسة ابن مسرة. وهو صاحب الكتاب الغريب المسمى «محاسن المجالس» (نشره آسبن مع ترجمة فرنسية في باريس سنة ١٩٣١)، وهو يبين فيه أصول طريقة صوفية جديدة كان لها أثر ظاهر في طريقة الشاذلية وبصورة أوضح في مذهب ابن عباد الرندي. وتتلخص هذه الطريقة في بطولة «الزهد في كل شيء ما عدا الله»، بما في ذلك الزهد في «منازل» الصوفية والعطايا والمواهب الإلهية والكرامات وما إليها من المكن التي يهبها الله للنفس الإنسانية، كما يقول آسبن. ويذهب ابن العريف إلى أن هذه

الْبَيْنَ كُلِّهَا تَكُونُ لِلْعَوَامِ دُونَ الْخَوَاصِّ مِنَ الرَّافِعِينَ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ .
[وفي هذا يقول ابن العريف ، بسد أن يعرض لمنازل الصوفية ويشرحها
واحداً واحداً] :

« ... فهذه جميعها عِلَلٌ أَنْفِ الْخَوَاصِّ مِنْهَا وَأَسْبَابُ انفصالوا عنها ، فلم يبق
لهم مع الحق إرادةٌ ولا في عطايه شوقٌ إلى استزادة ، فهو منتهى مرادهم وغاية
رغبتهم ، فيعتقدون أن ما دونه قاطعٌ عنه : قال الله تعالى (قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي
خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) ، فزهدهم جمعُ الهمة عن تفرقات السكون ، لأن الحق عاقم
بنور الكشف من التعلق بالأحوال : قال الله تعالى (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ
ذَكَرَى الْفَارِ) . ونوكتهم رضامٌ بتدبير الحق ، وتخلّصهم من تديروهم ، وفراغٌ
مهمهم من إيجاباتها في إصلاح شأنهم ، لوقوفهم على فراغ الدبر منها ، وتحرّرها على علمه
بمصلحتهم فيها قال الله تعالى (ارجع إلى ربك راضية مرضية) . وصبرهم صونهم
قلوبهم عن خواطر السوء ، لأنه ليس لله تعالى قضاء عارياً عن الرأفة خارجاً عن
الرحمة ، قال الله تعالى (وليبلى للمؤمنين منه بلاءٌ حسناً) . وحُزنهم بأسهم عن
أنفسهم الأمانة بالسوء ، قال الله تعالى (إن الإنسان لربه لَكَنُودٌ) . وخوفهم
هيبة الجلال لا خوف المذاب ، لأن خوف المذاب مناضلة عن النفس ، وهيبة
سبحانه تعظيم الحق ونسيان النفس ، قال الله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) ،
وقال الله تعالى في حق العوام (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) .
ورجاؤهم ظنهم إلى الشراب النقي م فيه غرق وبه سكروا ، قال الله تعالى (ألم
تر إلى ربك كيف مد الظل) ، وقال في ذكر الوسطة قبل ذكره له على الأفراد
(وما تلك بيمينك يا موسى) ، الآية . وشكرهم سرورهم بوجودهم ورؤيتهم
النعمة لموجدهم ، ومن رضى فله الرضى ، وعين الرضى عن كل عيب كليله ولكن
عين السخط تبدى المساويا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ؛ قال الله تعالى (فاستبشروا
ببِعْكم الذي بايعتم به) ، الآية . ومحبتهم فناؤهم في محبة الحق وأحبابه ، فإن

المحَاب كلها ضلت في محبة الحق ، وتصاغرت واضمحلت ، قال الله تعالى (فإذا بعد الحق إلا الضلال) . وشوقهم هربهم من رسمهم وسماتهم ، قال الله تعالى (ومجئنا إليك رب لترضى) ، الآية .

وقد نبلي أثر دعوة ابن العربي وطريقه الصوفي في ثورة « المریدین » على المرابطين بقيادة ابن قسي^(٦٨) .

(=) التصوف

ف ١١٣ — محيي الدين بن عربي :

تمثل أعلى صورة وصل إليها تطور مذهب الأفلاطونية الحديثة [عند مسلمي الأندلس] المتفرع عن مدرسة ابن مسرة (ف ١٠١) في شخص أبي بكر محمد بن علي بن عربي (١١٦٤/٥٦٠ — ١٢٤٠/٦٣٨)^(٦٩) . وقد عرف ابن عربي « بمحيي الدين » ، و « بالشيخ الأكبر » ، و « بابن أفلاطون » . وقد وُلد في مرسية في بيت حسب وتقى ، وكانت أسرته على ثراء ، ولا بد أنه درس علوم الدين والأدب دراسة شاملة . وذهب به أهله وهو بعدُ طفل إلى إشبيلية عند ما استولى الموحدون على مرسية ، وفي إشبيلية قضى سنوات طفولته وصباه ، ولم يبد منه في سنه الباكرة انصراف إلى حياة الزهد ، بل كان همه الآداب والصيد . وفي إشبيلية أيضاً قرأ القرآن والحديث ودرس الفقه على يد أحد تلاميذ ابن حزم الظاهري . « وكتب لبعض الولاة »^(٧٠) ، وتزوج بمریم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن الباجي^(٧١) ، وعند ذلك بدأ مجرى حياته يتغير ، وكان سبب ذلك التغير ما كان يسمه من مواعظ زوجه التي ضربت له المثل الصالح في الورع ، وألحت عليه أمه كذلك أن يقلع عما هو فيه . ثم أصابه مرض فلزم الفراش مدة تراامت له أثناءها منامات تمثل له فيها عذاب جهنم^(٧٢) ، وتوفى أبوه

على بن عربي في أعقاب ذلك ، وكان قد أخبر — أي أبوه — يوم وفاته قبل حلول أجله بخمسة عشر يوما^(٧٣) . وتجمعت هذه العوامل كلها ودفعت به إلى طريق الزهد والتصوف ، فقرأ قبل سنة ٥٧٩/١١٨٤ — أي قبل وفاة أبيه — وقد سلك الطريق ، ومصدق ذلك تشوف ابن رشد إلى معرفته . ولا بد أنه انصرف انصرافاً عظيماً إلى دراسة كتب التصوف بعد أن اتجه هذا الاتجاه^(٧٤) .

ونذكر من أوائل أسانذته في التصوف موسى بن عمران الميربلي الذي علمه كيف يتلقى الإلهام الإلهي^(٧٥) ، وأبا الحجاج يوسف الشيربلي (وشيربلي Subórbol قرية بالشرف على فرسخين من إشبيلية) ، « وكان ممن يمشي على الماء »^(٧٦) ، وأبا عبد الله بن المجاهد ، وأبا عبد الله فسوم وكلاماً من أهل إشبيلية ، وقد تعلم منهما « محاسبة النفس » وكيف تكون^(٧٧) . بيد أن استفادته الحقيقية كان « الاعتكاف » ، فكان يفرد بنفسه أياماً طويلة بين القبور يناجي أرواح الأموات^(٧٨) .

ثم وقع بينه وبين شيخه أبي العباس المريني^(٧٩) جدل ، فظهر له الخضر ، وهو — كما يقول آسين — « شخصية أسطورية تمثل زهاد المسلمين فيها ما أثير عن الرهبانيين اليهود وعلماء النصارى من أخبار تدور حول إلياس النبي والقديس جرجس ، مخفلة بأسطورة اليهودى التائه »^(٨٠) .

وقد مارس ابن عربي حياة التصوف مع شيوخ كثيرين ، وأخذ عنهم الكثير من رياضات الصوفية^(٨١) ، وأخذ على الأخص عن عجوز نسي نونه فاطمة بنت ابن اللثني الفرطية ، لزمها سنتين خادماً ومريداً^(٨٢) ، وشاهد بنفسه ما كان يجري على يدها من ظواهر التنبؤ الغريبة^(٨٣) .

وعند ما أحس أنه استكمل عدته خرج يبحول في الأرض ، وقضى بقية حياته متجولاً ، « فكانت بقية أيامه رحلة متصلة في بلاد المسلمين والنصارى ، جابها كلها ، يتعلم ويعلم ويمجد » ، كما يقول آسين . ولدينا أخبار عن إلمامه بمورور^(٨٤)

وسرشانة الزيتون^(٨٥) ومدينة الزهراء وقبر فيق Cabrafigo (قرية على مقربة من رندة)^(٨٦). ثم رحل إلى المغرب ونزل بجاية (حيث لقي الصوفي شبيب بن الحسن الإشبيلي المعروف بأبي مدين، وبيالغ ابن عربي في وصف رؤاه وكراماته وفضائله وطريقته)^(٨٧). ثم آلم بتونس حيث درس ما كتبه أبو القاسم بن قسي الزاهد^(٨٨)، وهو الذي بدأ نورة «الريدين» في غرب الأندلس على المرابطين، وفي هذا البلد ظهر له الخضر مرة أخرى^(٨٩). ثم مضى إلى تلمسان^(٩٠)، وبعد أن قام بسياحات متعددة في نواحي المغرب والأندلس^(٩١) استقر في فاس سنة ١١٩٤/٥٩١^(٩٢)، حيث انصرف إلى الدراسة وإلى الرياضة الصوفية في الجامع الأزهر (بين الخليل من مدينة فاس) وجنّة (حديقة) ابن حيون^(٩٣)، وهناك وقع له أول ما عرّف من حالات الإشراق^(٩٤). ويبدو أن العلاقات بينه وبين الموحدين^(٩٥) لم تكن على ما يرام، وربما كان هذا هو الذي دناه إلى السير إلى المشرق، ولكنه تلمكأ بعض الوقت قبل الخروج إليه وزار مرسية^(٩٦) والمرية، مركز جماعة ابن العريف^(٩٧)، وهناك كتب رسائلته الصوفية «مواقع النجوم»^(٩٨)، وهي مدخل للبعثيين في سلوك الطريق يصف فيها كيف يمكنهم السلوك فيه دون حاجة إلى مرشد روحي (أي شيخ). ثم قصد مراکش، وفيها رأى رؤيا جعلته يحزم أمره على السير إلى المشرق^(٩٩)، فخرج إليه وحل ببجاية (رمضان ٥٩٧ هـ). وفي ليلة من الليالي تزوج زواجا صوفيا بكل نجوم السماء والحروف كلها، «فأبقى منها نجم إلا أنكحته بلذة عظيمة روحانية، ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت البدور فأنكحتها. وعرضت رؤياي هذه على من قصها على رجل عارف للرؤيا بصير بها، وقلت للذي عرضها علي: لا تذكرني، فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال: هذا هو البحر الذي لا يُدرك قعره، صاحب هذه الرؤيا يفتح الله له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار وخواص الكواكب...»^(١٠٠). وعندما نزل تونس ألف كتابه «إنشاء الدوائر الإحاطية على مضاهاة الإنسان للمخالق

والخلايق» ، وفيه يشرح تصوره للمقد للتلوي الكون بواسطة أشكال هندسية^(١٠١) .

وفي سنة ٥٩٨/١٢٠١ توجه إلى مكة وجاور فيها ، وهناك توثقت علاقته بأمة أبي خاشة إمام مقام إبراهيم ، وتعلق بابنة له تسمى « نظام » ، وأوحى إليه تعلقه بها موضوع كتاب من أشهر كتبه وهو « ترجمان الأشواق »^(١٠٢) ، وهو من ناحية ظاهريه مجموعة من شعر العشق الذي قاله في هذه الفترة ، أما معانيه فصورفية ، المقصود بها الله والملا الأعلى وحلاوة الفناء في الخالق . ثم زاد نشاطه في التأليف^(١٠٣) ودخل في سلك طريق إخوان مكة^(١٠٤) ، وتوارث عليه المكاشفات وأخذ يغير الناس عما سمعهم من المصائب ، وكتب كتابه « الدرة الفاخرة »^(١٠٥) ، وهو مجموع من سير الصوفية من أهل الغرب من شيوخه وإخوانه .

ثم هدأ واستقر في مكانه ردها من الزمن عاد بعده إلى التجوال ، فسار إلى الموصل سنة ٦٠١/١٢٠٤ ، وهناك لبس خرقة الخضر للمرة الثالثة على يد الشيخ الصوفي علي بن جامع في حفل أحاطت به مظاهر تبيين أهميته^(١٠٦) . ونجده بعد ذلك بسنتين (٦٠٣/١٢٠٦) في القاهرة ، حيث ظهرت على يديه كرامات ومعجزات غريبة في حلقة من الصوفيين كان مركزها « حارة القناديل » . وتسرب إلى جمهور الناس قوله بوحدة الوجود واشتهر أمره ، فتألب عليه الفقهاء وانهموه بالمروق ، فلم يعرف أي اهتمام ، وقال إن نبأ ذلك كان عنده منذ زمان طويل ، فقد كشف الله له عنه . ولم يعصبه اتهام الفقهاء إلا به بأذى ، لأن السلطان العادل الأيوبي كان متساهلاً ، فقبل في ابن عربي شفاعته صديقه أبي الحسن الباجي (نسبة إلى بجاية بإفريقية) وفسرت آراؤه تفسيراً رمزياً ، ولكن ابن عربي أصر على ما كان يقول به من آراء صوفية ، ولام صديقه أبا الحسن قائلاً : « وكيف يكون مسجوناً من حل الله في جسده ؟ »^(١٠٧) .

ثم مضى ابن عربي إلى بلاد الروم ونزل قونية^(١٠٨)، وسمع بأسره الملك كيكاوس الأول (تولى عرش قونية سنة ٦٠٧/١٢١٠) وزكاه... وقال: «هذا نذل له الأسود» أو كلاماً هذا معناه، وأمر له مرة بدار تساوى مائة ألف درهم، فلما نزلها وأقام بها مرة به بعض الأيام سائل فقال له: شيء لله ا فقال: مالى غير هذه الدار، خذها لك. فقتلها السائل وصارت له^(١٠٩). واجتذب ثراً من الناس فتتلمذوا له بسبب ما ظهر عليه من علامات القطبية^(١١٠)، وهناك ألف كتابي «مشاهد الأسرار» و«رسالة الأنوار»^(١١١). ثم ساح بنواحي الأناضول حتى بلغ أبرد نواحي أرمينية، حيث يتجبد ماء القرات^(١١٢). [ثم عاد إلى بغداد (٦٠٨/١٢١١)، حيث لقي شهاب الدين الشهرزورى قطب الصوفية^(١١٣)، وتتلمذ له نفر من المريدين في هذا البلد^(١١٤). ومن بغداد كتب إلى كيكاوس خطاباً يستبر وثيقة في «السياسة الإلمية»، يطلب إليه أن يشهد مع اللصاري^(١١٥)، وخطابه هذا يفيض بكراهية شديدة لم، وهي كراهية تنجلى في كتبه الأخرى^(١١٦). ثم قصد مكة في سنة ٦١٠/١٢١٤، وفيها كتب «ذخائر الأعلاق» شرحاً على ديوانه «ترجمان الأشواق»، وقد رمى من وراءه وضع هذا الشرح إلى القضاء على الأراجيف التي كان الفقهاء وأهل الدين يذيعونها حوله، إذ استعظموا معاني المشرق الواردة في «الترجمان» وما تتحدث عنه من عاطفة حسية مادية، وقد غابت عنهم المعاني الصوفية التي أرادها^(١١٧).

وتوجه بعد ذلك إلى قونية فوجد كيكاوس قد خرج لحصار أنطاكية، فتوجه ابن عربي إلى سيواس حيث رأى في نومه انتصار كيكاوس واستيلاءه على أنطاكية، فذهب إلى ملطية، ومن هناك وجه إلى الملك خطاباً بالبشرى، ووصل الخطاب قبل أن تتحقق رؤيا ابن عربي، وقبل سقوط أنطاكية في يد كيكاوس بشهرين يوماً^(١١٨). ثم قصد حلب حيث لقيه السلطان الظاهر غازي (صاحب حلب حتى سنة ٦١٣/١٢١٦) فأعجب به وبلغ من نفسه مكانة جلالته يقدمه على من

كان حوله من الحاشية والفقهاء ، وكان ابن عربي يبنضهم ^(١١٩) .

ثم اعتلت صحته ^(١٢٠) ، وزاد ما كان يبدو عليه من مظاهر الجذب واضطراب العقل ، وفي هذه الحالة من الاعتلال الجسدي والعقلي كتب كتابه « الحكمة الإلهامية » ، وهو رد على الفلاسفة ونقض لأرائهم على طريقة النزالي في « التهاافت » ^(١٢١) . ثم مضى باحثاً عن مكان معتدل الجو يلائم صحته ، واختار دمشق واستقر فيها من سنة ١٢٢٣/٦٢٠ إلى وفاته . وكان واليها الملك العظيم بن العادل من مرينيدية ^(١٢٢) . وفي دمشق كتب ثلاثة كتب ، هي : « فصوص الحكم » ، و « الفتوحات المكية » ، و « الديوان » ، وفيها كذلك رأى رؤيا شهد فيها الخالق سبحانه ^(١٢٣) ، وفيها كذلك قضى أخريات أيامه ضيقاً على قاضيه ابن الزكي ، وانصرف إلى التأليف حتى أدركته منيته ليلة الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ٦٣٨/١٦ نوفمبر ١٢٤٠ ، ودفن بسفح جبل قاسيون خارج دمشق بالقرب الصالحية .

وقد أخذ إجلال الناس لابن عربي يزداد بعد موته « فجعلوه قطعاً شبهة نبي ، ولم تلبث المآثورات المتداولة عنه بين تلاميذه أن صارت مصدراً لمد لا يحصى من الحكايات الأسطورية نسبت إليه ثم اختلطت بترجمة حياته » ^(١٢٤) . وقد بنى السلطان سليم العثماني قبة كبيرة على قبره وأنشأ مدرسة رتب لها الأوقاف ^(١٢٥) ، وقد كانت هذه المدرسة قائمة لا تزال في أيام القرى على أوائل القرن السابع عشر ، وذكرها في « النفع » .

ف ١١٤ — مؤلفات ابن عربي :

قيل إن ابن عربي كتب نحو أربعين كتاباً ورسالة ، وقد ذكر من ترجموا له الكثير من أساميها ونبدأ عنها ، وسنظم هنا بذكر مؤلفاته الثلاثة الكبرى :

١ — « فصوص الحكم » ، ألّفه سنة ١٢٢٩/٦٢٦ : إلى هذا الكتاب

يرجع الفضل فيما تتمتع به ابن عربي من شهرة كبرى بين الصوفيين ، كؤايف لكتب للكاشفات التي ترفع الحجب عما وراء القيب . وفيه يعرض مذهبه الغامض المتناقض في وحدة الوجود على صورة إيماءات يرُدُّها واحداً بعد الآخر إلى تعاليم السبعة وعشرين نبيا للقدمين على مَنْ سواهم من الأنبياء الذين يسلم الإسلام بأنهم مرسلون ، وأولهم آدم وآخرهم محمد ؛ وقد كثرت التعليلات والشروح على هذا الكتاب^(١٣٦) .

٢ — « الديوان » ، ألفه سنة ٦٢٩/١٢٣٢ : وهو مجموع من شعره معظم ما فيه فآثر مثكلت تنقصه الحيوية والواقعية اللتان يمتاز بهما شعره في « ترجمان الأشواق » .

٣ — بيد أن أعظم كتب ابن عربي هو « الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية^(١٣٧) والملكية^(١٣٨) » ، ونستطيع أن نقول إنه جمع فيه كل ما ذكره في مؤلفاته الأخرى ، ونسخته المطبوعة تقع في أربعة آلاف صفحة . وقد أراد من وضع هذا الكتاب أن يبلغ صديقه أبا محمد بن عبد العزيز التونسي وعبد الله بن بدر الحبشي ما فتح الله عليه به أثناء مقامه بمكة . وقائمة الكتاب خطبة ألقاها بين يدي الخالق سبحانه وتعالى في رؤيا رآها ، [وهو يقول في هذه القائمة بعد تحميد طويل :

« ... والصلاة على سر العالم ونكتته ، ومطلب العالم وبقيته ، السيد الصادق ، المدلج إلى ربه الطارق ، المحترق به السبع الطرائق ، ليريه من امرى به إليه ما أودع من الآيات والحقائق ، فيا أبدع من الخلائق ، الذي شاهدته عند إنشائي لهذه الخطبة في عالم الحقائق ، في حضرة الجلال ، مكاشفة قلبية ، في حضرة غيبية . ولما شاهدته صلى الله عليه وسلم في ذلك العالم سيداً معصوماً المقاصد ، محفوظاً المشاهد ، منصوراً للناس مؤيداً ، وجميع الرسل بين يديه مصطفون ، وأمتي التي هي خير أمة أخرجت للناس عليه ملتفون ، وملائكة

التسخير من حول عرش مقامه حاقون ، وللملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون ، والصديق عن يمينه الأنفس ، والقاروق عن يساره الأقدس ، وانظم عليه السلام ، بين يديه قد جئنا ، يخبره بحديث الأتني ، وعلى ، صلى الله عليه وسلم ، يترجم عن انظم بلسانه ، وذو النورين مشتمل برداء حياته مقبل على شانه ، قالتفت السيد الأعلى ، والمورد المذهب الأعلى ، والنور الأكشف الأجل ، فرأني وراء انظم ، لا شتراك بيني وبينه في الحكم ، فقال له السيد : هذا عديك ، وابنت وخليلك ، انصب له منبر الطرفاء بين يدي . ثم أشار إلى ، أن قم يا محمد عليه فأتني على من أرسلني وعلى . فإن فيك شعرة مني ، لا صبر لها عني ، هي السلطانة في ذاتيك ، فلا ترجع إلى إلا بكليتك ، ولا بد لها من الرجوع إلى اللقاء ، فإنها ليست من عالم الشقاء . فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا سعد ، وكان ممن شكر في الملأ الأعلى وحده . فنصب انظم المنبر في ذلك للشهد الأخطر ، وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر : هذا هو المقام الحمدي الأظهر ، من رقى فيه فقد ورثه ، وأرسله الحق في العالم حافظا لحرمة الشريعة وبعثه . ووهمت في ذلك الوقت مواهب الحكم ، حتى كأني أوتيت جوامع الكلم ، فشكرت الله عز وجل ، وصعدت أعلاء ، وحصلت في موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم ومستواه ، وبسط لي على الدرجة التي أنا فيها قميص أبيض فوقفت عليه ، حتى لا أباهر للوضع الذي باهره صلى الله عليه وسلم بتقديمه تنزيها له وتشريفا . . . ثم أظهرت أسراراً ، وقصص أخباراً ، لا يسع الوقت إيرادها ، ولا يعرف أكثر الخلق إيرادها ، فتركناها موقوفة على رأس مهبها ، خوفاً من وضع الحكمة في غير موضعها ، ثم رددت من ذلك للشهد النوى العلى ، إلى العالم السفلى ، فجعلت ذلك الحمد المقدس خطبة الكتاب ، وأخذت في تميم صورته ، ثم شرعت بعد ذلك في الكلام على ترتيب الأبواب ، والحمد لله التني الوهاب .]

ويقول آسين عن هذا الكتاب : « إنه لمن للتعذر أن تعطى فكرة تحليلية

للمادة الضخمة التي يحويها هذا السفر الذي يعتبر إيجل التصوف الإسلامي . ذلك أننا نجد هنا — كما هو الحال في سائر كتب فلاسفة المشائين من المسلمين — منهجا منطقيا بالغ الدقة . وكذلك في كتب التصوف الإسلامي ، وخاصة تواليف ابن عربي ، ففي هذه كلها نجد موضوعات غير متجانسة في طبيعتها مجمعة في فصل واحد ، دون مراعاة ما تقتضيه طبيعة المادة . والرباط بين الأشياء في هذه الكتب لا يخضع إلا لاعتبارات يفرضها بيان علوم أهل الباطن ولا أساس فلسفي أو اعتقادي لها .

وبعد مقدمة ضخمة نجد الكتاب ينقسم إلى الأقسام الستة التالية :

- ١ — المعارف .
- ٢ — للمعاملات .
- ٣ — الأحوال .
- ٤ — للنازل .
- ٥ — للنازلات .
- ٦ — المقامات (١٢٩) .

والكتاب في مجموعه يضم خمسمائة وستين فصلا ، وقد كانت ضخامته سببا في قلة انتشاره ، وإن كنا نجد له شروحا متعددة .

ولابن عربي مؤلفات أخرى كثيرة ، بعضها في الزهد وبعضها الآخر في التصوف ، وأهمها « محاضرات الأبرار » وهو « أقرب إلى نوع كتب المتفرقات الأدبية ، وإن كانت مادته كلها زهدية صوفية كبقية كتبه كلها » .

ف ١١٥ — الخصائص العامة لمذهب ابن عربي الفيلسوف الموهب (١٣٠) :

كان محي الدين — كغيره من المفكرين المسلمين — مكثرا من التواليف ، وكتاباته تتناول كل شيء : من علوم وقته وفلسفة وشرع وفلك ، وما إلى ذلك .

ونحن نلح عنده — زيادةً على ما نجمده عند غيره — الأثر الذي خلفه في مؤلفاته اختلاطُ المذاهب للشعبة التي سمع بها أثناء سياحاته الطويلة ، أو تحصّلت له نتيجةً لاتصاله بأقوام ذوي عقائد شتى يختلف بعضها عن بعض اختلافًا عظيمًا . وهو يقول في ذلك إنه لا يعرف طريقةً من طرق الصوفية ، أو فرقةً من الفرق ، أو عقيدةً من العقائد لم يلق واحداً من السالكين فيها أو ممن يعتقدونها ويمارسون طقوسها قولاً وعملًا ، وأن كل ما سطره في كتبه فنه ما شاهده ، ومنه ما نقله من كتب مشهورة رواها سمعاً أو قراءة أو مداولة أو كتابة (*) .

ويقول آسین : « إن الإسلام في عصر ابن عربي كان قد تمثّل علوم اليونان جميعاً ، وذلك بفضل الدراسات الفلسفية اللاهوتية التي قام بها ابن سينا والغزالي وابن حزم وابن رشد . وأعقبت مذاهب الصوفية البسيطة الأولى ، مذاهب ذات طابع نظري غالب ؛ وهي في أساسها تتجه نحو القول بوحدة الوجود ، وتقوم كلها على محاولة التوفيق بين شتى المذاهب والآراء ، وهي محاولة متشعبة بحيرة » .

هذا ، وشيوخ ابن عربي في علوم أهل الباطن يعدون بالثلاث ، والكتب التي يبدو أنه قرأها وعرف ما فيها في التصوف وغيره لا تحصى ، وهذه الآراء كلها التي تجمعت لديه من مصادر مختلفة أشد الاختلاف كان ولا بد أن « تنحصر اختصاراً صاحباً » في رأسه ، وكان ذهنه بطبعه مُستثاراً مضطرباً ، بسبب ما رُكِّب في طبعه من مزاج صوفي بالغ القوة ، وبسبب ما كان يمانيه من « جذب » غير عادي ، ذلك كله يجعل عرضَ مذهبه عرضاً علمياً أسيراً جداً في رأي آسین .

والفكرة الرئيسية التي يقوم عليها تفكير ابن عربي كله تقوم على ستة أصول هي :

١ — زهدُ أهل النظر من الصوفية ومذاهبهم في العلوم الباطنة ، وهو يقبل

(*) ابن عربي : محاضرة الأبرار ، القاهرة ١٢٨٣ ، ١ ، ص ٦ .

عقيدتهم الصوفية ، وهذه العقيدة في ظاهرها تطابق مذهب أهل السنة والجماعة .

٢ — والقول بوحدة الوجود .

٣ — والشك الصوفي .

٤ — والمذهب الليتافيزيقي للإسكندرانيين الثلاثة .

٥ -- ومذهب أفلاطين في الصدور .

٦ — ومذهب الصوفية في النفس .

يبد أن ما يمتاز به ابن عربي هو الجمع بين هذه الآراء الثمانية — بل المتضاربة — وتنسيقها ، وقد وفق إلى ذلك عن طريق تأويل النصوص المنزلة ، والتماس معانٍ صوفية لها تتفق مع الآراء الأفلاطونية الحديثة .

ولكي يصل ابن عربي إلى ذلك ، نراه بطبيعة الحال يستعمل مصطلحا خاصا به يختلف عن الجاري المألوف ، ويختلف عن مصطلح المتكلمين ، بل هو يختلف عن المصطلح المعروف للصوفيين . ولهذا نراه — من حين لآخر — يعمد إلى شرح كلامه بنفسه ، وهو يسرف في استعمال المجاز والاستعارة والرموز والتشبيهات الصوفية ، وهو يلجأ إلى ذلك لكي يحجب مذاهب الإسكندرانيين في وحدة الوجود وراء أستار هذه الرموز . وأكثر المجازات التي يستعملها نسند إلى النسبة إلى « النور » على طريقة الإشراقين ، وهم من جانبهم يقرسمون آثار الفنوصيين والمناوين والزرادشتيين . وهو يجعل للحروف العربية قيا خاصة يعسفها من عنده ، وذلك نتيجة لمزاوجته بين التنجيم وعلوم الصوفية عند اليهود وآراء الفيشافوريين المحدثين في الإسكندرية . وعن هذا السبيل حصل ابن عربي على ثروة كبيرة من المعاني الباطنة والفضائل الصوفية . وهو يلجأ إلى الرسوم والتخطيطات والأشكال الهندسية ، لكي يشرح للمقد من الآراء الليتافيزيقية التي يتضمنها مذهبه ، كما فعل « إخوان الصفاء » والدروز . وهو لا يتحرج من الاستعانة بمخرافات العلوم الخفية الشرقية والغربية : كساب النجوم واستخراج الأحكام

منها ، والتنبؤ على أساس القال ، وتفسير الأحلام وما إلى ذلك .

والأساس الأول الذى بنى عليه ابن عربي مذهبه هو نفس الأساس الذى بُنيت عليه مذاهب أهل النظر من المتصوفين ، وهو « الشك » ، أى إنكار قدرة العقل الإنسانى على الوصول إلى الحق المطلق والنفوذ إلى علوم الربوبية . ويبنى ابن عربي تشككه هذا على مجزئ الإنسان عن إدراك ذات الله من ناحية — وذلك بمحكم طبيعته كإنسان — لأن الله هو المطلق والمخلوق هو المحدود ، وبينيه من ناحية أخرى على مجزئ للسلكات والقوى الإنسانية عن بلوغ المعرفة اليقينية البتينة ، وعلى قصور العقل الإنسانى وضعفه ، كما يتضح من تعدد المذاهب الفلسفية وعدم اتفاقها على أى مسألة أساسية .

ويعتقد ابن عربي أنه لا دواء يشفى من الخيرة — التى يؤدى بالإنسان إليها الاستناد إلى العقل عند الفلاسفة والمتكلمين — إلا شيء واحد : هو طريق أهل الصوفية فى الرياضات والمجاهدات ، وذلك لأن العقل الفلسفى يؤدى بالإنسان إلى الشك فى وجود الله ، ومن ثم فلا بد أن يكون هناك طريق آخر للوصول إلى العلم الحقيقى خبير من طريق الفلسفة والكلام : ذلك هو الاتصال المباشر بالله واستمداد المعرفة منه . وكما أن الله يعرف بذاته كل ما هو مخلوق ، فكذلك يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذه المعرفة إذا توصل إلى الانحداد باخلاص . وهو يتوصل إلى ذلك عن نفس الطريق الذى وصل به إليه الأنبياء والصوفيون ، وهو طريق الرياضات الصوفية . ذلك أن الإنسان إذا تجرد عن كل خاطر أو رغبة خارجية أو مادية حلَّ الله نفسه فيه وصار الله هو الذى يسير كل حواسه وملكانه ، باعثاً فيها النور الإلهى . وهذا النور إذا قُذِفَ فى العقل الإنسانى أصبح ملكة جديدة للإدراك تفوق قوى العقل المادى وتتجاوز مدى ما يصل إليه وتسمو عليه .

ويسمى الصوفية هذا الإدراك « قلباً » . ويقول ابن عربي إن هذا « القلب » اسمى وأعلى من العقل للمادى ، وهو يستخدم نفس الصور التشبيهية التى استخدمها

بروقليس ومن قبله أفلاطون . وابن عربي يرى أن هذا الأسلوب الذي يتجهجه في الدليل على صحة رأيه ليس خاطئاً ، وإن كان صادراً عن استدلال عقلي .

ويبلغ الإغراق في الشك بابن عربي إلى أن يرى في الدراسة الكلامية والأخلاقية حائلاً بين الإنسان وبين إشراق النور الإلهي في نفسه ، ويذهب إلى أن الإنسان البسيط أجدر من المتعلم بتلقي الأنوار الإلهية ، ويعمل ذلك بالقول بأن الخط على صفحة قد نحى ما كان عليها لا يعدل في الوضوح الكتابة على صفحة نظيفة بيضاء .

وهو لهذا يريد أن يقنع قارئه بأن كتاباته صدرت عن النور الإلهي وحده ، على الرغم من أننا نجد آراءه نفسها بالحرف الواحد في كتب سابقة عليه .
ومن طريق الجمع والمزج بين آراء أرسطو وآراء الأفلاطونية الحديثة ، يقسم ابن عربي العلم الإنساني بحسب مصادره وموضوعاته إلى ثلاثة أنواع ؛ وهذا نص كلامه في هذا الصدد :

« قال السيد الفقير إلى رحمة الله تعالى : ربما وقع عندي أن أجعل في أول هذا الكتاب فصلاً في العقائد المؤيدة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، ثم رأيت أن ذلك تشييب على المتأهب لطلب المزيد ، المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود ، فإن المتأهب إذا لزم الخلوة والفكر ، وفرغ الخلق من الفكر ، وقد فقيراً لا شيء له عند باب ربه ، حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلوم والأسرار الإلهية ، والمعارف الربانية التي أثنى الله بها سبحانه على عبده الخضر عليه السلام فقال تعالى : عهداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلماً من لدننا علماً . وقال تعالى : واتقوا الله ، ويعلمكم الله . وقال : إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً . وقال : ويجعل لكم نوراً تمشون به . قيل للجنيد رضى الله عنه : بم نلت ما نلت ؟ قال : بجلوسى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة . وقال أبو يزيد رضى الله عنه : أخذتم عليكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علماً عن الحى الذى لا يموت . فيحصل

لصاحب الهمّة في الخلوة مع الله وبه جلت هيئته وعظمت منته من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة ، بل كل صاحب نظر وبرهان ليست له هذه الحالة فإنها وراء طور العقل ، إذ كانت العلوم على ثلاثة منازل :

« علم العقل : وهو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل وشبهه من جلس في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم ، ولهذا يقولون في النظر منه صحيح ومنه فاسد .

« والعلم الثاني : علم الأحوال ، ولا سبيل إليها إلا بالتذوق ، فلا يقدر عاقل على أن يحددها ولا أن يقيم على معرفتها دليلاً ألبتة ، كالملم بحلاوة العسل وسرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما يشاكل هذا الصنف ، فهذه علوم من المحال أن يعرف أحد حقيقتها إلا بأن يقصف بها ويذوقها ، أو شبهها من جنسها في عالم الذوق ، كمن يطلب على محل طعمه المرة الصفراء فيجد العسل مرّاً وليس كذلك ، فإن الذي يشر محل العلم إنما هو المرة الصفراء .

« والعلم الثالث : علم الأسرار ، وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروح يختص به النبي والولي . وهو نوعان : نوع منه يدرك بالعقل كالملم الأول من هذه الأقسام ، لكن هذا العالم به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا . والنوع الآخر على ضربين : ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني لسكن حاله أشرف ، والضرب الآخر من علوم الأخبار وهي التي يدخلها الصدق والكذب ، إلا أن يكون الخبر به قد ثبت صدقه عند الخبر وعصمته فيما يخبر به ويقول ، كإخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بالجنة وما فيها ؛ فقوله : « إن » ثم جنة » من علم الخبر ، وقوله في القيامة : « إن فيها حوضاً أحلى من العسل » من علم الأحوال ، وهو علم الذوق . وقوله : « كان الله ولا شيء معه » وشبهه ، من علوم العقل المدركة بالنظر . فهذا الصنف الثالث — الذي هو علم الأسرار — العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها ، وليس صاحب تلك العلوم كذلك ، فلا علم أشرف من هذا

العلم الخفيط الحاوي على جميع المعلومات ، وما بقي إلا أن يكون الخبر به صادقاً عند السامعين له معصوماً » (١٣١) .

ويقول آسین : « وبظنرية الحقيقتين للتمارضتين هذه — التي تشبه إلى حد كبير ما قال به الرشديون من النصاري — يمهّد ابن عربي طريقاً سهلاً لتفسير كل ما يرد في إلهياته ومذهبه في وحدة الوجود من تنافر ومجافاة المنطق » .

وعندما نستعرض من عرفهم ابن عربي من شيوخ روحيين أو أصحاب في طرق الصوفية ، ننتبين بوضوح الأوج الذي وصل إليه التصوف في الأندلس الإسلامي . ويذكر ابن عربي نفسه في « رسالة القدس » (نشرها آسین سنة ١٩٣٩) تراجم خمسة وخمسين شيخاً من شيوخه الروحيين ، والكثير من هؤلاء أندلسيون من شق الطبقات : أعلاها وأدناها ، ونحن نجد فيهم شيئاً نادرة لتعذيب النفس والورع والقدرة على الإتيان بالكرامات بشق صنوفها . وهذه التراجم في مجموعها تعطينا صورة للحياة الأندلسية تناقض الناقصة كلها ما تعرضه علينا أزجال ابن قزمان من غش وتهتك .

ولم يكتب معظم أولئك الصوفيين شيئاً ، بل كان أبو جعفر الرياني « بدواً أسياً لا يكتب ولا يحسب » ، وكان إذا تكلم في علم التوحيد فحسبك أن تسمع ، كان يقيد انطوائه بهمة ويصدع الوجود بكلمته » (١٣٢) . وكان أبو عبد الله الشَّرفي (نسبة إلى الشَّرف ، إقليم بنرب الأندلس) « إذا وقف في الصلاة تتحدّر دموعه على بياض لحية كأنها اللؤلؤ . سكن موضعاً نحو أربعين سنة ما أوقد فيها سراجاً ولا ناراً » (١٣٣) . وكان أبو الحجاج يوسف الشَّبري قطياً كريماً ، ما دخل عليه أحد قط وعنده ما يؤكل إلا يحمله أمام الداخلين — كثرأوا أو قلوا ، كثر المطام أو قل — لا يترك شيئاً يكون له البتة » (١٣٤) . ونجد من بينهم أبا عبد الله محمد الخياط ، وأحمد الخزاز ، وأبا علي حسن الشَّكَّاز « وكان كثير الدمنة لا تزال

عينه تهطل أبداً ، ، وأبا محمد عبد الله الباغى الشكاز^(١٣٥) ، وكان ليلاً قائماً ونهاره صائماً ، « لم يقدر مرید قط على صحبتته لأنه كان يطالبه باجتهاده فيفر منه . عاش وحيداً فريداً ليس عنده ولا له على نفسه رحمة »^(١٣٦) ، وعبد الله المالتى — عُرف بالقلناط — الذى « كان يميل على طريقة الفتيان . ولعمري لقد ظهر فيه وبدت إليه أعلامه ، ما تراه يمشى قط إلا فى حق غيره ، لا يلتفت لنفسه ولا ليحقيقها ، يقصد والى البلد والحكام فى حوائج الناس ، داره للفقراء مباحة » ، ونوثة فاطمة بنت ابن التثنى الإشبيلية ، قال ابن عربى : « أدركتها فى عشر التسعين سنة قد أسنت لا تأكل إلا مما يطرح الناس على أبوابهم من الأطعمة ، قليلة الأكل جداً ، كنت إذا قدمت معها أستسى أن أنظر إلى وجهها من عظيم تورد وجنتيها ونعمتها وهى فى عشر التسعين سنة ... عرض الله عليها ملكه ، فلم تقف مع شيء منه ، إنما تقول : « أنت . أنت . أنت ! كل شيء دونك مستثوم على ! » . كانت والهة فى الله ، من يراها يقول عنها حقاء ، فقول : الأحق هو الذى لا يعرف ربه » ، وغير أولئك كثيرين .

وقد ذاعت آراء ابن عربى ذيوها عظيماً فى بلاد الإسلام ، ولا زالت معروفة متداولة إلى اليوم ، بل انتقلت إلى بلاد النصرانية ووصلت إلى رجال مثل دانتي ورايموندو لوليو ، وذلك كله يصور لنا القوة الدافقة التى حوَّسها آراء هذا الصوفى المرمي . وقد بين آسین فى كتابه « الإسلام فى ثوب نصرانى » El Islam Cristianizado آراء ابن عربى بيانا وافيا .

ف ١١٦ — ابن سبئين (أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر

الشرير بابن سبئين المسمى الأنزلى) :

لا بد أن نذكر فى عداد تلاميذ ابن عربى عبد الحق بن سبئين (٦١٤/١٢١٨

— ٦٦٩ / ١٢٧٠) وكان يلقب « بقطب الدين » ، وهو من مرسية مثله وأصله من رَقُوطَة أو وادي رقوطَة Valle de Ricote ، وهو من بيت كريم نابه الذكّر .
[« ونشأ رحمه الله تَرَفًا مَبْجَلًا في ظلّ جِءاء ونعمة لم تفارق معها نفسه البأو . وكان وسبها جميلًا ملوكي البرّة عزيز النفس قليل المصنع ، وكان آية من الآيات في الإيثار والجلود بما في يده »] (*) .

درس ابن سبعين علوم القرآن والحديث والفلسفة ، وتلقى الصوفية على يد أبي إسحاق بن دَهَاق . ثم انتقل إلى سبقة حيث رأس جماعة تألف معظمها من الفقهاء والسُّفّارة أصحاب العبادات والدنايس (أيضًا دَقَاقيس ودَقَافيس ؟) ، ومضوا يسرحون في البلاد مشتملين بكساء من الصوف ، حاملين عدلاً غليظاً ينامون عليه في السكك ، وكانوا يسمون « السبعينية » . وقد نارت حفيظة الفقهاء عليه وعلى مريديه ، بسبب الملابس التي كانوا يلبسونها والطريقة التي كانوا يعيشون عليها مجافين مألوف العرف ، وأنكروا عليهم مذهبهم الذي كانوا عليه وطريقتهم في الحياة وعقيدتهم .

[قال القرى في التمتع رواية عن « أحد الأعلام » : « ولما توفرت دواهي النقد عليه من الفقهاء ، كثر عليه التأويل ، ووجهت لألفاظه المعارض وفُتِّتْ موضوعاته وتماورته الوحشة وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوط يعطول ذكرها »] (**) .

ثم خرج إلى الحج وجاور في مكة ، وتطلّذ له صاحبها ، ويقال إنه كان قد داواه من مرض كان به فبرى فصارت له عنده مكانة . [قال الشيخ صفى الدين الهندي : حججت سنة ست وستين [وستائة] وبحثت مع ابن سبعين في الفلسفة فقال لي : لا ينبغي لك القيام بمكة ، فقلت له : فكيف تقيم أنت بها ؟ قال :

(*) القرى : قحج ، ١٠ ، ص ٥٩٥ .

(**) القرى : قحج ، ١٠ ، ص ٥٩١ .

انحصرت القسمة في قسودى بها ، فإن الملك الظاهر يطلبنى بسبب اتئانى إلى أشرف مكة ، واليمن صاحبها له في عقيدة ولكن وزيره حشوى يكرهنى (*) . وابن سبعين هو الذى أنشأ الوثيقة التى بايع بها أشرف مكة المستنصر بالله محمد ابن أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص صاحب إفريقية ، وقد خطبوا له بعد ذلك بعرفة . وقد توفى ابن سبعين في مكة . قال ابن شاكر الكتني في فوات اتوفيات : « وسمعت عن ابن سبعين أنه فصد يديه وترك الدم يخرج حتى تصفى ، ومات بمكة في ٢٨ شوال سنة ٦٦٨ وله من العمر خمس وخمسون سنة » (٢٠) .

ونذكر من بين كتبه « بَدْءُ المَعارِفِ وعقيدة الخففى القرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف » ، وكتاب « الدَّرَج » ، و « البَرة المُضِيَّةُ والخسافية الشمية » وهى في علم الجفر (١٣٧) ، و « رسائل » متنوعة إحداها وصاة لتلاميذه يوجه إليهم فيها نصائح صوفية ، لمن فيها قرأ من معاصريه من الصوفيين ممن كان يفكر البعث والجنة والنار ، وقال إنه قاطعهم ونأى عنهم (وربما كان ذلك إشارة إلى تلاميذ ابن عربى) . ويستعمل ابن سبعين في كتبه الألفاظ والرمز بالحروف ، وله اصطلاحات خاصة ذات معانٍ رمزية بعيدة عن المؤلف .

وقد طار صيت ابن سبعين في حياته كل مطار ، وبلغت أخبار علمه الواسع مسامع كونت روما والبابا ، كما يفهم من كلام ابن الخطيب . وعندما عرّضت للإمبراطور فردريك الثانى الأرماني ملك صقلية بعض مسائل فاسفية ، بعث يستفتى فيها علماء المصر فى مصر أو الشام أو العراق أو آسيا الصغرى أو اليمن فلم يجد عند أحد منهم ما ينفع غليلا ، فأرسل بها إلى إفريقية وعهد إلى ابن سبعين فى الإجابة عليها . [قال ابن الخطيب فى الإحاطة : « ولما وردت على سبئة المسائل العقلية — وكانت جملة من المسائل الحكيمة ، وجهها علماء الروم تبكيكاً للمسلمين —

(*) ابن شاكر : فوات (طبعة محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١) ج ٢١ ، ص ١٧٠ .

(٢٠) نفس المصدر والصفحة .

استدب الجواب للفتح عنها على فناء من سنه وبليهة من فكرته » [٥] ،
فكتب في ذلك رسالة لازالت بين أيدينا تُعرف « بالأجوبة على المسائل
الصفلية » . وهذه « المسائل » أربعة أسئلة نصها كما يلي ، نقلنا عن إجابات
ابن سبعين :

أولا — الحكميم [أرسطو] يُفصِّح في جميع أقواله بِقَدَمِ العالم ، ولا شك
أنه رأيه ، إلا أنه إن كان قد برهن عليه فإبرهانه ، وإن كان لم يبرهن فن
أى قبيل هو كلامه فيه ؟

ثانياً — ما هو المقصود من العلم الإلهي ؟ وما مقدماته الضرورية ، إن كان
له مقدمات ؟

ثالثاً — المقولات ، أى شئ هي ؟ وكيف يُتصَرَّف بها في أجناس العلوم حتى
يتم عددها ؟ وم كم عددها ، وهل يمكن أن تكون أقل ، وهل يمكن أن تكون
أكثر ، وما البرهان على ذلك ؟

رابعاً — ما الدلائل على بقاء النفس ؟ وهل تبقى ؟ وأين خالف الحكميم
[أرسطو] الإسكندر [الأفروديسي] ؟

وقد أجاب ابن سبعين على تلك الأسئلة في رسالة لازالت بين أيدينا ،
وإجاباته مصوغة في أسلوب يتحدث عن رغبة في التظاهر بالعلم ، وهي تقوم في
جملتها على مذاهب أرسطو وأفلاطون ، وما فيها مستقى من كتابات أرسطو ، كما
كان المسلمون يفهمونها . وأخذ عنه كذلك قوله في الكون والأفلاك السماوية ،
وقوله بوجود علوم أولية لا بد من الإحاطة بها حتى يُستطاع إدراك الكائن
الأوحد ، وتقسيمه المقولات إلى عشرة ، وقوله بأن النفوس ثلاث مراتب : نباتية
وبهيمية ، وعاقلة . ولكنه عندما تعرض لمسألة نهاية الحياة قال إن ذلك سيكون

(٥) رواد القرى في الفتح ، ج ١ ، ص ٥٦٦ .

بفناء الذات الإنسانية في ذات الله ، وهو هنا يأخذ بآراء الزهدية الصوفية ، وهي ككل التصوف الإسلامي صادرة عن الأفلاطونية الحديثة^(١٢٨) .

ف ١١٧ — ابن عباد الرندي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن

مالك بن بكر بن عباد الرندي ، ٧٣٣ / ١٣٣٠ — ٧٩١ / ١٣٨٩)

كان الرندي حسيباً نسيباً ، [يصفه أبو زكريا السراج بقوله : « الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشع ، الإمام العالم المتصف السالك العارف الحق الرباني ، ذو العلوم الباهرة والخامس الطاهرة ، سليل الخطباء ونتيجة العلماء »] ، صرف حياته كلها في الزهد . نشأ في رُندة وطاف بمدد من عواصم المغرب يدرس على شيوخه ، و « لقي بسلاً الشيخ الصالح السني الزاهد الورع أحمد بن محمد بن محمد بن عاشر ، وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة ، قال : قصدتهم لوجدان السلامة معهم » . وختم حياته إماماً وخطيباً لجامع القرويين بفاس . وقد أجمع الناس كافة على وصفه « بالولي العارف » . وكان ابن عباد صوفياً على طريقة الشاذلية ، وفي ذلك يقول آسين : « إن أهم كتبه » شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري « ، يمكن أن نصفه — دون مبالغة — بأنه منهج كامل لطريقة صوفية زهدية ، عظيم الفائدة للبادئين في الطريق ، والذين سلكوا ، وقاربوا منزلة الكمال ، والذين وصلوا إلى فروة غاية النظر الصوفي . وابن عباد يتكلم في ثنايا هذا الشرح عن رياضاته ومجاهداته الشخصية . وقد بين الأستاذ آسين أوجه الشبه بين مصطلح الطريقة الشاذلية والمصطلح الذي استعمله الصوفى المسيحي المعروف « القديس يوحنا الصليبي » (Saint Jean de la Croix) أو San Juan de la Cruz بالإسبانية) وأتباعه المسمون « أهل النور » (les iluminés) أو (los alumbrados) ، ومن ذلك استهمال كلا الفريقين لفظي « البسط » و « القبض » بمعنى النور والظلام ، وكذلك زهد الفريقين في الكرامات^(١٢٩) .

الفصل الثامن

علم الحديث

ف ١١٨ — الحديث والسنة .

ف ١١٩ — كبار المحدثين الأندلسيين .

ف ١٢٠ — ابن عبد البر .

ف ١٢١ — معاجم رجال الحديث .

ف ١١٨ — الحديث والسنة :

امتدت حدود مملكة الإسلام مع الزمن ، ودخلت في رحابه بلاد واسعة افتتحها المسلمون ، وعرضت للمسلمين — نتيجة لذلك — مشاكل جديدة نشأت عن تعقد أوضاع الحياة في المجتمع الإسلامي يوماً بعد يوم ، ولم يجدوا عنها في القرآن نصاً صريحاً ، فكان لزاماً عليهم أن يكتفوا هذه الناحية بالبحث فيما صدر عن الرسول من قول أو فعل [أو تقرير] يمكنهم الأخذ به . وبعد عصر الرسول ضُم إلى الحديث ما ورد عن الصحابة ، [فالصحابة كانوا يباشرون النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون قوله ويشاهدون عمله ويحدثون بما رأوا وما سمعوا ، وجاء التابعون بعدُ فعاثروا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا] (*) ، فكان من ذلك كله « الحديث » . وهي لفظة معناها « إبلاغ » أو « رواية » ؛ وقد أطلق على مجموع الأحاديث لفظ « السنة » ، ومعناه الطريق الذي يتبعه المؤمنون مقتفين آثار الرسول ومهاجرة وتابعيه .

و « الحديث » الذي ظل المسلمون يروونه أجيالا كثيرة ، رجلا عن رجل ، يتكون من قسمين : « الإسناد » وهو سلسلة الرواة أو الأسان الذي يؤيد صحة صدور الحديث عن الرسول وتناقله في سلسلة متصلة من المدول ، و « المتن » وهو النص المروى . و « الإسناد » شيء جديد ظهر فيما بعد ، وطبيعي أن أحسر جانب في الحديث هو التأكد من سلسلة رواته ومقدار الثقة فيهم وما يتوصل بذلك من ظروفهم ، وذلك حتى يمكن التحقق من صحة ما ينسب إليهم . ويسمى الحديث الذي اكتملت له أسباب الصحة كلها « صحيحاً » ، أما الذي لا يجمع الناس على الثقة ببعض رجال إسناده فيسمى « حَسَناً » ، أما الذي يشك في

(*) ما بين القوسين زيادة للتوضيح من « فجر الإسلام » لأحمد أمين (القاهرة ١٩٤٠)

إسناده أو يُنسب إلى أشخاص ذوى مذاهب منحرفة فيسمى « ضعيفاً » . وقد كتبت الأحاديث وجمعت في مجاميع منذ القرن الثالث الهجرى ، ورضى أهل السنة عن ستة منها ، وهى صحيح البخارى (توفى سنة ٢٥٩/٩٧٠) وصحيح مسلم (توفى ٢٦١/٨٧٥) ومسانيد أبى داود (توفى سنة ٢٧٤/٨٨٨) والترمذى (توفى سنة ٢٧٨/٨٩٢) وابن ماجه (توفى سنة ٢٧٢/٨٨٦) والنسائى (توفى سنة ٣٠٢/٩١٥) .

ف ١١٩ — كبار المحدثين الأندلسيين :

وقد أجهت همه الناس فى الأندلس منذ زمن مبكر إلى دراسة الحديث ، ويطول بنا الأمر لو ذكرنا كل محدثى الأندلس ، ولهذا نجتزئ بذكر بعضهم : وأول من نلم بذكره منهم محمد بن وضاح بن بزيح اللقوى سنة ٢٨٧/٩٠٠ ، وهو شيخ قاسم بن أصبغ ، وكان مولى للأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وعدة الرجال الذين سم منهم فى الأمصار ١٧٥ رجلا [ما بين بغداديين ومكيين وشاميين ومصرين وقرويين] . وكان شديد التدقيق فيما يقبل من الأحاديث ، [قال ابن القزوينى : « وكان ابن وضاح يقول : ليس هذا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى شيء هو ثابت من كلامه »] .

ومنهم قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء (٢٤٤/٨٦١ — ٣٤٠/٩٥١) ، وهو من أهل قرطبة ويعرف بالبتيانى ، ومن شيوخه الأندلسيين أبو عبد الله الخشنى وبقي بن مخلد (ف ١٢٣) ومحمد بن وضاح ، أما فى المشرق فقد أخذ عن أحمد بن يحيى بن يزيد المروفي بشطب ومحمد بن يزيد المبرّد وابن قتيبة ؛ [« وطال عمره فسمع منه الشيوخ والكهول والأحداث » ، ولحق الصغار الكبار فى الأخذ عنه ، وكانت الرحلة فى الأندلس إليه وفى المشرق إلى سعيد بن الأعرابى ، وكانا متكافئين فى السن . وكان قاسم بن أصبغ بصيراً بالحديث

والرجال ، نبيلاً في النحو والغريب والشعر ، وكان يشاور في الأحكام » [(٥)] .
وقد ضاعت الكتب التي ألفها [وحفظ لنا اللوزخون أسماءها ، مثل « كتاب
الأنساب » ، و « كتاب في فضائل بني أمية » ، و « كتاب في فضائل قریش » ،
و « كتاب في السنن وفي أحكام القرآن » ، و « كتاب النامخ والمنسوخ » ،
و « كتاب في حديث مالك بن أنس مما ليس في اللوطا »] (٦) .
ومنهم معاصره محمد بن عبد الملك بن أيمن من أهل قرطبة صاحب « كتاب
السنن » (١) .

ومن كبار محدثي الأندلس كذلك ابن القوطية المتوفى سنة ٣٦٦/٩٧٧
(ف ٦٥) ، وكان له مذهب في تفسير الحديث يختلف عما أجمع عليه الفقهاء ،
فانهمود بأنه يفسرها على هواه ، مهتما بالمعنى والفكرة دون اللفظ (٢) .

ومنهم ابن الحجام (يمشي بن سعيد بن محمد بن عبد الله الوراق المعروف بابن
الحجام ، يكنى أبا قاسم وأبا عثمان ، توفي سنة ٣٩٣/١٠٠٣) وكان يشغل بالبيع
والشراء في قرطبة ، وهو تلميذ قاسم بن أصبغ وابن الأحرار ، وقد ألف مسند
حديث ابن الأحرار بأسر الحسك السقنصر (٣) . ومنهم ابن فطيس (أبو المطرف
عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس ، توفي سنة ٤٠١/١٠١١) . قال في حقه
ابن بشكوال في الصلة : « وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء للسنديين ، حافظاً
للحديث وعلمه ، منسوباً إلى فهمه وإتقانه ، عارفاً بأسماء رجاله وتقلته ، يبصر
المعدلين منهم والمجرحين ... وله مشاركة في سائر العلوم وتقدم في معرفة الآثار
والسير والأخبار ، وعناية كاملة بتقعيد السنن والأحاديث والحكايات للسندة ،
جامعاً لها مجتهداً في سماعها وروايتها ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، جمع من
الكتب في أنواع العلوم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس . » (٤) . وقد
صنف كثيراً من الكتب ضاعت كلها .

(*) ابن القرضي : علماء ، رقم ١٠٦٨ .

(#) انظر : بولس بومبيس ، ص ٦٠ .

(†) ابن بشكوال : الصلة ، ٦٧٩ .

ومنهم ابن القرضى وقد ذكرناه (ف ٨٤) ، وأبو عبد الله بن عبد الرحمن ابن عثمان بن سعيد بن غلبون الخولاني للتوفى سنة ٤٤٨/١٠٥٦ ، وله كتاب « الاستدكار في الروايات وتسمية الشيوخ الرواة لها والإجازات » ، [« وكانت له عناية كبيرة بتقيد الحديث وجمعه وروايته ونقله ، وكان ثقة فيما رواه ثبتا فيه ، مكثرا محافظا على الرواية ، وكان فاضلا دينيا متصائفا متواضعا »] (*) .

ومنهم رزين بن معاوية بن عمار البغدادي الأندلسي ، المتوفى سنة ٥٢٤/١١٢٩ من أهل سرقسطة يكنى أبا الحسن ، « جاور بمكة شرفها الله أعواما وحدث بها عن أبي مكثوم عيسى بن أبي ذر المروزي وغيره ، وكان رجلا فاضلا عالما بالحديث ، وله فيه توافيق حسنة ، منها « تجريد الصحاح الستة » ، و « أخبار مكة والمدنية وفضلها » ، و « كتاب في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري والموطأ والسنن والنسائي والترمذي » ، وهو كتاب جليل مشهور في أيدي الناس بالشرق والغرب » (**) .

ومنهم عبد الحق الإشبيلي صاحب كتاب « الأحكام » ، [« مشهور متداول القراءة ، وهي أحكام كبرى وأحكام صغرى ، قيل دوسطى »] (+) .

ف ١٢٠ — ابن عبد البر :

كان أبو عمر بن عبد البر (يوسف بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، ٩٧٨/٣٩٨ — ١٠٧٠/٤٦٣) « إمام عصره وواحد دهره » ، كما يقول ابن بشكوال . وهو من أهل قرطبة ، « جلا عن وطنه ومنشئه قرطبة » ، فكان في الغرب مدة ثم تحول إلى شرق الأندلس وسكن منه دانية وبلغسية وشاطبة ، وبها

(*) ابن القرضى : علماء ، رقم ١٧٤٧ .

(**) ابن حزم (برواية النمري) : الفتح ، ٢٠٠ ، ص ١٢٧ .

(+) نفس المصدر والمضمة .

توفي (*) . وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر : وقد أخذ عن أكبر من كان في قرطبة أو وفد عليها من العلماء . وكان في أول أمره ظاهراً من مدرسة ابن حزم ، ثم تمذهب بالمالكية وإن كان ظاهر الميل إلى الشافعية ، وقد ولّاه المظنر بن الأنطرس قضاء الأشبونة وشنترين . وله مؤلفات جليلة مثل « الاستيعاب في أسماء الأصحاب » ، ولا زال مخطوطاً ، وهو معجم لأسماء الصحابة والتابعين ، وله كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » ، رتبته على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم ، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله وهو سبعون جزءاً . قال أبو محمد بن حزم : « لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف أحسن منه » ، (وقد عمل محمد بن عبد الله القرطبي المتوفى سنة ١٢٣٢/٦٢٩ موجزاً له) . ثم صنع « كتاب الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار » لما تضمنه موطأ مالك من معاني الرأي والآثار « شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه » ، وكتاب « الانتقاء في أخبار الثلاثة الفقهاء » : مالك وأبي حنيفة والشافعي ؛ وله كتب أخرى كثيرة في الشريعة والأنساب (١) .

وقد وضع ابن فتحون الأوربولى (أبو بكر محمد بن خلف بن سليمان المتوفى سنة ١١٢٥/٥١٩ أو ١١٢٦/٥٢٠) « ذيلًا » أو « استلحاقًا » على « كتاب الاستيعاب » في سفرين ، وهو كتاب حسن خفيل . و [له] كتاب آخر أيضاً في أوهام كتاب الصحابة المذكور ، وأصلح أيضاً أوهام « للعجم » لابن قانع في جزء (٢) .

أما الفاضل أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبقي (١٠٨٥/٤٧٦ — ١١٤٩/٥٤٤) ، فقد [استقر أجداده

(*) ابن بشكوال : ص ٦١٨ .

(٢) ابن بشكوال : ص ١١٥٠ .

في القديم بحمّة بسطة ، ثم انتقلوا منها إلى مدينة فاس ثم إلى سبتة وسها ولد هو ، وسمع من مشيختها ، وتفقّه ببعضهم ، ورحل إلى الأندلس فأخذ بقرطبة عن أبي الحسين بن سراج ، وأبي عبد الله بن حديد ، وأبي القاسم بن الدماس ، وابن رشد ، وابن عثاب ، وابن بحر ... (*) . وقد ألف كتباً كثيرة منها « كتاب الإلماع في أصول علم الحديث ومبادئه » ، وله كذلك « ترتيب المدارك لمعرفة أصحاب مالك » ، وهو أوسع مؤلف في طبقات المالكية (ف ٨٨) (٥٠) .

وقد ألف الرشاطي (أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله اللّخني ، ١٠٧٥/٤٦٧ — ١١٤٧/٥٤١) كتاب « الإعلام بما في كتاب المؤلفات والمختلفات لدارقطني من الأوهام » . والرشاطي من أهل المرية أو أوريولة ، وقد أدرّك شهرة عظيمة بكتابه « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار » ، « أخذ الناس عنه وأحسن فيه وجمع وما أقصر ، وهو على أسلوب كتاب أبي سعيد السمعاني الحافظ الذي سماه بالأنساب » (٥١) .

ومن اشتهر بالتحقق بعلوم الحديث ابن قرقول (أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم ، ١١١١/٥٠٤ — ١١٧٣/٥٦٨) ، وهو من المرية أيضاً ، وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السبيلي (١١١٤/٥٠٧ — ١١٨٥/٥٨٠) ، ويكنى أيضاً أبا القاسم وأبا الحسن) ، « وكان عالماً بالقراءات واللغات والعربية وضروب الآداب ، حافظاً للسير والأخبار والأنساب ، إماماً في الحفظ والذكر والإدراك ، مقدماً في الفهم والفتنة والذكاء ، له حظ وافر من قرض الشعر والتصرف في فنون من العلم ، يتقلب عليه علم المربية والتربية ، وأشهر كتبه « الروض الأنف في شرح السيرة لابن إسحاق » ، وهو أجل نواليفه ، دل به على سعة حفظه ومثانة علمه . . استخرجه مما نيف على مائة وعشرين ديواناً أو نحوها ،

(*) ابن الأبار : المعجم ، ٢٧٩ .

(٥٠) ابن خلكان : وفیات (طبعة عي الدين) ج ٢ ، ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

وكتاب « التتريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام » ، وكتاب « شرح آية الوصية » ، وله « شرح في الجُسل » أظنه لم يقمه « (*) » .

ومنهم أبو العباس (ويقال أبو جعفر) أحمد بن محمد بن عيسى بن وكيل النُجَيبى الزاهد ويعرف بابن الإقليمى (المتوفى ٥٤٩/١١٥٥) من أهل دانية ، صاحب « كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم » ، عارض به « شهاب الأنصاري » ، وكان عالماً عاملاً متصوفاً شاعراً مجوداً ، مع التقدم في الصلاح والزهد والمزوف عن الدنيا وأهلها والإقبال على العلم والعبادة « (٥) » ، وقد جمع مقتنيات من أحاديث صحيحى مسلم والبخارى .

ومنهم ابن القرطبي الماتى (أبو محمد عبد الله بن الحسن بن يحيى الأنصارى ، ٥٥٦ أو ٥٥٨/١١٦٠ أو ١١٦٢ — ١٢١٤/٦١١) صاحب « التلخيص على أسانيد للموطأ من رواية يحيى بن يحيى » ، ولم يكن أحد يدانيه في حفظ التواريخ .

ومنهم عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله البلسى (١١٥٥/٥٤٩ — ١٢١٥/٦١٢) ، « وكان إماماً في صناعة الحديث مقيداً ضابطاً بصيراً بها معروفاً بالإتقان لما ، حسن الخط حافظاً لأسماء الرجال واقفاً على المبدلين والجرحين ، يجمع إلى الاحتفال بالرواية حسن الاستقلال في الرواية ، وألف كتاباً في تسمية شيوخ البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذى ، نزع فيه منزع أبى نصر السكلاّباذى ، لم يكمله . وامتنع بالهجوم ، فذهبت أصوله وضاعت كتبه في بعض أَسْفاره ، ولو فرغ للتأليف والتصنيف لعظم الانتفاع بمعلوماته بدمه . ولم يكن في زمانه أكثر مسبوفاً منه ومن أخيه أبى سليمان ، رحمهما الله ، وفهرسته الحافلة شاهدة بذلك . وكان له على أخيه الشفوف الواضح

(*) ابن الأبار : النكبة ، ١٦١٣ .

(٥) المقرئ : فتح ، ١٠٦ ، ٨٧٢ .

في علوم العربية والفنن في غير ذلك ، والتميز بإنشاء الخطب ، وتحرير الرسائل والمشاركة في قرض الشعر (*) .

ومنهم أبو الربيع سالم بن سليمان بن موسى الجيري الكلاعي البانسي (١١٦٩/٥٦٤ — ١٢٣٦/٦٣٣) من أهل بلنسية ، سمع من أبي القاسم بن حبيش وأبي بكر بن الجلد وابن زرقون وأبي الوليد بن رشد وأبي محمد عبيد الحق الإشبيلي وغيرهم .

ومنهم ابن الفطان أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى السكاهي الكتاني المافري (المتوفى سنة ١٢٣٠/٦٢٧) من أهل فاس ، وأصله من قرطبة . « وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث ، وأحفظهم لأسماء رجاله ، وأشداهم عناية بالرواية ورأس طلبة العلم بمراكش » (٢) .

ومنهم ابن خلقون الأزدي الأوزني المتوفى سنة ١٢٣٨/٦٣٥ ؛ وابن سبيد الناس (أبو الفتح محمد بن أبي بكر للقب بفتح الدين وأصل أهله من إشبيلية ، وولد هو في القاهرة سنة ٦٦١ أو ١٢٧٢/٦٧١ أو ١٢٨٢) ، صاحب كتاب « عيون الأثر في فنون المنازى والشبائل والسير » ، وألف كذلك « كتاب منيع المدح » جمع فيه المدائح التي مدح بها الأصحاب والتابعون الرسول ؛ وعمر بن نور الدين (أبو الحسن الأندلسي علي بن أحمد بن محمد بن سراج الدين الأنصاري الأندلسي ، ١٢٢٣/٧٢٣ — ١٤٠١/٨٠٣) الذي جلس للإقراء والتدريس في دمشق والقاهرة ، ومن مؤلفاته « أسماء رجال الكتب الستة » ، و« طبقات الأولياء » .

(*) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٤٣٥ .

(**) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٩٢٠ .

ف ١٢١ - معاجم رجال الحديث :

وأكثر الأندلسيون من وضع معجمات أعلام المحدثين ، ومن أشهر من عني بذلك مُتَمَارِك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير ، صاحب كتاب « الأئمة من المصنفين » ، وهو من أهل القرن الثالث الهجري ؛ ووهب ابن مسرة من أهل وادي الحجارة ؛ وأحمد بن حزم للنتجيلي التوفى سنة ٣٥٠/٩٦١ الذي ألف معجماً بأعلام الحديث نهج فيه نهج تاريخ محمد بن موسى القنيلي البغدادي ؛ والقاضي محمد بن يحيى بن مفرج ، ومؤلفاته كثيرة : منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري ، وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهري ؛ وابن المكوي ، (أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي القرشي) ؛ وأبو مروان المعيطي الذي ألف كتاباً على نحو « كتاب الباهر » الذي جمع فيه القاضي أبو بكر محمد بن أحمد ابن الحداد البصري أقاويل الشافعي كلها .

ومن ألف في هذا الباب القاضي محمد بن يحيى بن عمرو بن لُبَاكَة ، صاحب « الكتاب للتعجب » ، قال ابن حزم : « وما رأيت لِمَا لَكَ قَطُّ كتاباً أنبل منه في جمع روايات للذهب وشرح مستفلقها وتفرع وجوهرها ، و [منها] تواليف قاسم ابن محمد المعروف بصاحب الوثائق ، وكلها حسن في مناه . وكان شافعي المذهب نظاراً جارياً في ميدان البغداديين » (*) .

ومنهم ابن الهباغ القرطبي ، أبو القاسم خلف بن قاسم المتوفى سنة ٣٩٣/١٠٠٢ ؛ وأبو علي بن سهل بن محمد بن يونس بن الأسود ، الذي يقول في حقه ابن القرضي : « كان حافظاً للحديث عالماً بطرقه منسوباً إلى فقهه ، وسمع الناس منه قديماً . وألف كتباً حسناً في الزهد ، وخرج من حديث الأئمة حديث مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج رحمهما الله » (**) .

(*) ابن حزم (برواية القرطبي) : النفع ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(**) ابن القرضي : علماء ، رقم ٤١٥ .

ومنهم أبو علي حسين بن محمد بن أحمد النساني (٤٢٧/ ١٠٣٥ - ٤٩٨ / ١١٠٤) ، « ويعرف بالجاني وليس منها ، إنما زلها أبوه في الفتنه ، وأصلهم من الزهراء ... وكان من جهاينة المحدثين وكبار العلماء المسندين ، وعنى بالحديث وكتبه وروايته وضبطه ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، وكان له بهر باللغة والإعراب ومعرفة بالحديث والشعر والأنساب ، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته ، ورحل الناس إليه وعولوا في الرواية عليه ، وجلس كذلك في المسجد الجامع بقرطبة وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها وقهاؤها وجلتها .. وكتبه حجة باللغة وجمع كتاباً في رجال الصحيحين سماه « تقييد المهمل وتمييز المشكل » ، وهو كتاب حسن مفيد » (*) .

ومنهم ابن الهباغ الأندلسي ، أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيزة « خاتمة المحدثين بالأندلس » ، « روى عن أبي علي الصدفي كثيراً ولازمه طويلاً ، وأخذ من جماعة شيوخنا ومحبينا عند بعضهم ، وكان من أنبل أصحابنا وأعرفهم بطريقة الحديث وأسماء الرجال وأزمانهم وثقاتهم وضعفائهم وأعلامهم وآثارهم » (*) ، وقد ذكر له ابن الأبار في التكملة والمعجم كتابين هما « طبقات المحدثين » و « طبقات أئمة الفقهاء » وأثنى عليهما ، وذكر له ابن خبير في « الفهرست » كتاباً يسمى « الفوامض والمبهات » .

ومنهم كذلك ابن رشيد السبتي — الذي ذكرناه بين أصحاب الرحلات — وكان من كبار علماء الحديث ، وفي مكتبة الإسكريال مصنفان من تأليفه في هذا الباب : الأول « كتاب السماع وإفادة التصحيح » ، والثاني « السنين الأبين وللورد الأمن » (٦) .

(*) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ٣٢٦ .

(٦) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ١٣٩٥ .

اقبل التاسع

القراءات وتفسير القرآن

- ف ١٢٧ — القراءات : أبو عمرو الداني وابن زبيره الطاطي .
ف ١٢٣ — التفسير : يقي بن كنفه .

ف ١٢٢ — القراءات : أبو عمرو الداني ، وابن فيره الشاطبي :

عنى المسلمون بدراسة القواعد المحككة لقراءة القرآن ، وما ينبغي لها من مدّ وعَنّ ووقف وما إلى ذلك . واهتموا بتأليف الكتب في تلك الفروع ، لأن سرعاة الأصول المقررة في قراءة الكتاب تؤدي إلى تقويم النطق بالآي الكريمة على صورة ثابتة ، وتوحيد التلاوة . وفي خلال القرون المعجربة الأولى بلغ عدد الأساليب الرئيسية لتلاوة القرآن سبعة ، هي المعروفة بالقراءات السبع ؛ [قال ابن خلدون : « القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه ، المكتوب بين دفتي المصحف ، وهو متواتر بين الأمة . إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكتيبة الحروف في أداها ، وتنوّل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة ، تواتر خلفها أيضاً بأداها واختصت بالانقسام إلى من اشتهر بروايتها من الجلم الفغير ، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً لقراءة . وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر خلقت بالسبع ، إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل ... »] (*) . وكان إتقانها يتطلب درساً طويلاً . وكان لابد لقراءة القرآن في الساجد من التمكن من ذلك الفن . وقد كان أهل الأندلس يهتمون بالقراءات الشرقية ، « إلى أن ملك بشرق الأندلس مجاهد من موالى العاصريين ، وكان مهتماً بهذا الفن من بين فنون القرآن ، لما أخذه به مولاه للنصور بن أبي عامر واجتهد في تعاليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بمحضرتة ، فكان سهمه في هذا وافراً . واختص مجاهد بعد ذلك بإمارة دانية والجزائر الشرقية فنفتت بها سوق القراءة

(*) ابن خلدون : المقدمة ، الطبعة الأزهرية ١٣١١ ، ص ٢٥٩ . وللاؤلف يتابع في هذا الباب مقدمة ابن خلدون ، رأيته أن آتى بنفس كلامه .

— لما كان هو من أئمتها ، وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموماً ، والقراءات خصوصاً — فظهر له أنه أبو عمرو [عثمان بن سعيد بن عثمان] الداني [٣٧٠ / ٩٨١ — ١٠٥٣ / ٤٤٤] وبلغ الغاية فيها ، ووقفت عليه معرفتها وانتهت إلى روايته أساسها ، وتصدت تأليفه فيها ، وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها ، واعتدوا من بينها كتاب « التيسير » له (*) (١).

أما أبو القاسم محمد بن فيزة الرُّغَيْنِيُّ الشاطبي (١١٤٤/٥٣٨ — ١١٩٤/٥٩٠) ، فقد نظم القواعد الواردة في كتاب « التيسير » واحتصرها في تصديده المعروفة « بحر الأمانى ووجه التهاني » — والتي تسمى كذلك « الشاطبية » — فسهل على الناس استذكارها وحفظها ، [« وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً . ولقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي حمة فراء هذا الزمان — زمان ابن خلكان — في نقلهم ، قل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها . وهي مشتملة على رموز مجيبة وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سبق إلى أسلوبها . وقد روى عنه أنه كان يقول : « لا يقرأ أحد تصديقي هذه إلا وينفعه الله عز وجل بها ، لأنني نظمتها لله تعالى مخلصاً من ذلك » . ونظم قصيدة دالية في خمسمائة بيت . من حفظها أحاط ملكاً بكتاب « التمهيد » لابن عبد البر . وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيراً ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مبرزاً فيه ... » (*) .

وإلى جانب هذه المدرسة نبغ في القراءات أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي (القرى) ، واسمه حموش بن محمد بن مختار القيسي (٣٥٥ / ٩٦٥ — ٤٣٧ / ١٠٤٥) . [وأصله من القيروان ، سكن قرطبة . « قال صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي القرى : كان — رحمه الله — من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية . حسن الفهم والخلق ، جيد الدين والعقل ، كثير التأليف في علوم القرآن

(*) ابن خلدون : القصة ، طبعة بولاق ، ص ٣٦٥ .

(**) ابن خلكان : الوفيات ، طبعة محي الدين ، رقم ٥١٠ .

محسناً لذلك ، مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها » (*) ؛ وشرح بن محمد بن شريح الرعيثي للقرى (١٠٥٩/٤٥٠ — ١١٥٢/٥٤٦) من أهل إشبيلية ، وقد سمع في صباه من محمد بن حزم خطيب مسجد إشبيلية الجامع على أيامه . وكان شريح « من جلة القرئين ، معدوداً في الأدباء والمحدثين ، خطيباً بليغاً حافظاً محسناً فاضلاً ، حسن الخط ، واسع الخلق . سمع الناس منه كثيراً ، ورحلوا إليه ، واستنقضى بيلاه ، ثم صرف عن القضاء » (٥٢)(٦) .

ف ١٢٣ — تفسير القرآن : بقى بن محمد :

واهتم المسلمون كذلك بتفسير القرآن وفهم معانيه ، وشرح كله من الناحية اللفظية اللغوية ، وناحية للماني والأفكار . ومعظم اعتمادهم في التفسير على الحديث النبوي الشريف قولاً وعملاً ، وهدفهم التوفيق بينه وبين آى الكتاب المنزل . ومن أكبر المفسرين الأندلسيين الذين اعتمد الناس عليهم بقى بن محمد (٨١٧/٢٠١ — ٨٨٦/٢٧٢) ، وكان رجلاً صالحاً متقللاً من الدنيا ، متواضعاً . من أهل قرطبة ، رحل إلى المشرق في طلب العلم ، وسمع عدداً عظيماً من الشيوخ في مكة والمدينة ومصر ودمشق وبغداد وغيرها من مراكز العلم . ولم يقتصر على السماع من المالكيين ، بل سمع من شافعيين ، وسمع من أحمد بن حنبل (وكان من كبار أصحابه) وآخرين . ولم يتبع مذهباً بعينه ، وإنما كان يصدر آراءه في المسائل بحسب ما يراهى له ، معتمداً على آى الكتاب . ولم يرض فقهاء الأندلس عن مذهبه هذا ، إذ كانوا يتمصبون لراى مالك ، وأنكروا عليه هذا الاستقلال الذى كان يسير عليه ، وبدأوا يتكلمون في حقه ويستثيرون الأمير محمد بن عبدالرحمن عليه ، محتجين بأنه يقرأ على الناس مسند ابن أبى شيبة الذى لا يرض وجهة نظر

(*) ابن بشكوال : الملة ، رقم ١٢٧٦ .

(٥) ابن بشكوال : الملة . رقم ٥٣١ .

المدنيين وحدها ، بل يعرض آراء غيرهم كذلك . وكان أحد خصومه ابن مرتدليل شيخ المالكيين في عصره ، وأصبح بن حليل — وكان يفر من كل تجديد — ومحمد بن حارث . ومضوا يؤليون عليه الناس ، وتكلموا في إصدار فتوى بإباحة دمه ، فعول بقى على الرحيل من الأندلس جملة ، « فاستحضره الأمير محمد وإمام ، وتصفح الكتاب (مسند ابن أبي شبة) جزءاً جزءاً حتى أتى على آخره ، ثم قال فلما رأيت كنهه : « هذا الكتاب لا تستغنى خزانة عنه ، فانظر في نسخته لنا » ؛ ثم قال لبقى : « انشر عليك وارو ما عندك » ، ونهاهم أن يتعرضوا له » (*) .

وقد وضع بقى تفسيراً للقرآن بلغ من كاله أن ابن حزم قال فيه : « فن مصنفات أبي عبد الرحمن بقى بن مغل كتابه في تفسير القرآن ، فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً ، لا أستثنى فيه ، أنه لم يؤلف في الإسلام مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره . ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبته على أسماء الصحابة رضي الله عنهم : فروى فيه على ألف وثلاثمائة صاحب ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام ؛ فهو مصنف ومسد . وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله ، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحفظه فيه في الحديث وجودة شيوخه ، فإنه روى عن مائتي رجل وأربعمائة رجل ، ليس فيهم عشرة ضعفا ، وسائرهم أعلام مشاهير . ومنها مصنفه في « فتاوى الصحابة والتابعين ومن بعدهم » ، الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شبة ومصنف عبد الرازق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها ، وانتظم علما كثيراً لم يقع في شيء من هذا (يريد : هذه المصنفات) ، فصارت توافيق هذا الإمام الفاضل قواعد للإسلام لا نظير لها . وكان متخيراً لا يقلد أحداً ، وكان ذا خاصة من أحد بن حنبل ، وجارياً في مضمار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وأبي عبد الرحمن النسائي ، راحة الله عليهم » (**) .

(*) ابن حزم (رواية للقرى) : فتح الطيب ، طبعة بمي الدين ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ .

(**) رواه ابن بكوال في « الصلاة » رقم ٢٧٥ . وعمل الفقيه (بنية ، رقم ٥٨٤) =

وكان بقي في حياته انخاسة مثلاً من مثل التواضع والفضل (حتى لتروى الكتب كرامات جرت على يديه) ، ولم يقبل في حياته ولاية أو منصباً^(١) .

ومن مفسري الأندلس النابيين ابن حمّاس ، عثمان بن محمد المتوفى سنة ٩٦٦/٣٥٦ ، [وكان حافظاً للتفسير عالماً بأخبار الدهور وله في ذلك كتاب]^(*) .
ومكي بن أبي طالب الذي أشرنا إليه ، وابن عطية ، عهد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الحاربي ، أبو محمد (٤٨١ / ١٠٨٨ - ٥٤٢ / ١١٤٦ أو ٤٧) من أهل غرناطة ، وقد تولى قضاء المرية وغرناطة وأدرك شهرة عظيمة بتفسيره الذي اختصر فيه كل ما كتب قبله من التفسير ، وراج رواجاً عظيماً في المغرب والأندلس ؛ [وقد قال في حقه الضبي : « حافظ محدث مشهور ، أديب نحوي شاعر بليغ ، ألف في التفسير كتاباً ضخماً أرى فيه على كل متقدم ، أخبرني به عنه شيعني القاضي أبو القاسم عبد الرحمن ، قرأ عليه جميعه بالمرية إذ كان أبو محمد قاضياً بها »]^(٢) . ومنهم كذلك أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخوارجي المتوفى سنة ٦٠١ / ١٢٠٤ ، وله شرح على تفسير ابن عطية انتشر انتشاراً عظيماً بين أهل المشرق ، كما يقول ريبيرا .

== ترجمة بني من الصلاة بحروفها . وهذا الكلام وارد مع غالفات يسيرة في « رسالة ابن حزم في فضل الأندلس » . (انظر نفع الطيب ، طبعة محي الدين ، ج ٤ ، ص ١٦٢ ، وترجمة بني في النفع ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٠)
(*) ابن القرطبي : علماء ، رقم ٨٩٩
(د) الضبي : بنية ، رقم ١١٠٢ .

(*) عِلْمُ أَصُولِ الْفِقْهِ

- ف ١٢٤ — للذاهب الفقهية .
- ف ١٢٥ — المذهب المالكي ، دخوله إسبانيا .
- ف ١٢٦ — كبار فقهاء المالكية الأندلسيين : أبو الوليد الباجي وأبو الوليد بن رشد .
- ف ١٢٧ — فقهاء المالكيون آخرون : ابن عاصم .
- ف ١٢٨ — فقهاء الشافعية .
- ف ١٢٩ — فقهاء المذهب الظاهري .
- ف ١٣٠ — أصحاب القنوط وأوثائق والفرائض .

(*) Cf. P. José López Ortiz : Derecho musulmán. Labor 322, 1932.

ف ١٧٤ - المذاهب الفقهية :

كان القرآن أول مصدر مكتوب للتشريع الإسلامي ، وهو ما أوحى به الله إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) - في مسائل العقيدة والأخلاق والشرعية - ليبلغه إلى المسلمين كافة . وقد جُمع القرآن في عهد أبي بكر ، وكان الاعتماد في ذلك على قراءة زيد بن ثابت وعبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي كان من كتّاب الوحي زمناً ثم عُزل . وبعد ذلك بقليل اعتُبرت السنة مصدراً ثانياً من مصادر التشريع إلى جانب القرآن ، وعند ما امتدت حدود مملكة الإسلام من الأندلس إلى سمرقند - خلال القرن الهجري الأول - عرضت للمسلمين مسائل جديدة لم يجدوا لها في القرآن والسنة حلاً صريحاً ، فكان لابد من إعمال « الرأي » لاستخراج الأحكام عن طريق « القياس » ، أو الأخذ بـ « إجماع » آراء فقهاء المسلمين .

ثم كانت الثورة التي نقلت الدولة من الأمويين إلى العباسيين ، وكانت ثورة دينية سياسية جعلت للفقهاء أهمية كان الأمويون يتكرونها عليهم ، وأتيح بذلك السبيل إلى ظهور مذاهب فقهية مختلفة . وكان أول ما ظهر منها مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٤٩ / ٧٦٧ ، وهو مذهب حنفي يعتمد على القرآن ويستخرج الأحكام منه عن طريق الاستنتاج العقلي القائم على المنطق الدقيق وهو « القياس » ، وعند ما كان فقهاء الحنفية يجدون أن القياس المنطقي الخالص يؤدي إلى نتائج لا تتفق مع العرف الجاري في بلد من البلاد كانوا يبحثون عن حل « يستحسنونه » لهذه الحالة . وقد رعى هارون الرشيد هذا المذهب . وإزاء المذهب الحنفي ظهر مذهب « الأوزاعي » المتوفى سنة ١٥٧ / ٧٧٤ ، وكان من أنصار مدرسة الحديث ، لا يرضى عما استحدثه الأخلاف من أقضية ذات طابع

فلسفى . وقد سار أهل الأندلس على مذهب الأوزاعى ، وظلوا عليه حتى تحولوا إلى مذهب مالك .

أما مذهب مالك بن أنس (توفى سنة ١٧٨ / ٧٩٥) فقد جمع بين سلفيَّة الأوزاعى (الأخذ بالحديث) وحرية للذهب المنفى فى الأخذ بالقياس . وهو — مع اعتياده على القرآن والسنة كصدرين أساسيين لاستنباط الأحكام — قد أعطى « إجماع أهل المدينة » أهمية خاصة [فى بعض المسائل] ، فوسَّع بذلك معنى « الإجماع » . ولم يلجأ إلى « الرأى » إلا فى حالات الضرورة القصوى ، وربما ابتعد عن النصوص الشرعية إذا رأى أن التزامها ينتج عنه ضرر للمجموع ، ويسى ذلك الاستثناء فى عرف المالكية « بالاستصلاح » . وقد دون مالك مذهبه فى « الموطأ » ، ورتب فيه الأحاديث التى تستخرج منها الأحكام أبواباً بحسب موضوعاتها الفقهية الشرعية ، ثم أورد بعد ذلك ما جرى عليه عمل أهل المدينة ، وأعقب ذلك برأيه الخاص فى بعض مسائل قليلة . وقد ساد مذهب مالك فى المغرب والأندلس .

وقد نشأ الخلاف بين هذه للذاهب ، لأن بعضها كان يلتزم للأئور لا يخرج عنه ، ويذهب بعضها الآخر إلى استخدام الرأى وإعمال الفهن كثيراً أو قليلاً ، ومن ثم ظهر مذهب وسط بين هذه الأطراف للتباعدة ، وضمه الإمام الشافعى للثوفى سنة ٢٠٤/٨٢٠ ، إذ نسق أصول الفقه التى أخذت بها للذاهب المختلفة « تنسيقاً حكماً ، وأوجد بينها توازناً لا يصل الإنسان إلى أحسن منه » : فأخذ بالقرآن والسنة ، وأخذ بالإجماع فى المسائل التى جرى العمل بها فى كافة بلاد الإسلام ، لأن اجتماع آراء المسلمين على صورة حقيقة عامة لا يكون إلا بتوفيق من الله . وذهب الشافعى كذلك إلى تعميم استعمال القياس وإعمال الرأى .

ثم ظهر داود الظاهرى للثوفى سنة ٢٦٩/٨٨٣ ، فخصب للأئور من الكتاب والسنة وترك الإجماع الذى كان الفقهاء قبله قد جعلوه فى مرتبة الكتاب والسنة .

وذهب إلى الاتصاف على المعنى الحرفي للكتاب والسنة — فحسب — كأصل للفقهاء ، وأعرض عن القياس تماماً ، وضيق حدود الإجماع ، فلم يأخذ إلا بما أجمع عليه الصحابة ، ونهى عن « التقليد » : وهو اتباع الرأي الشخصي لإمام المذهب ، ودعا إلى دراسة الكتاب دراسة تعمق وشمول ، وتفسيره تفسيراً حرفياً ، بحسب ما يرد من معاني الكلمات في معاجم اللغة وما تقتضيه قواعد النحو ، ولم يسلم بما ذهب إليه أهل القياس في تفسير آية من الآيات أو حديث من الأحاديث إلا إذا أيد ما يذهبون إليه آية أخرى أو حديث آخر . ويكاد مذهب ابن حنبل يشترك مع المذهب الظاهري في كل هذه الاتجاهات ، وقد وضعه أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤٠ / ٨٥٥ ، وكان أقرب إلى المشتغلين بالإلميات والمحدثين منه إلى أهل الفقه .

وقد اتبع معظم أهل الأندلس مذهب مالك من بين هذه المذاهب كلها ؛ وقد قامت في رحاب المذهب المالكي ثلاث مدارس يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يسيراً : مدرسة سحنون بن سعيد صاحب « المدونة » ومركزها القيروان ، ومدرسة قرطبة ، ومدرسة المالكيين العراقيين ؛ ولم يتبع أحد من أهل الأندلس هذه المدرسة الأخيرة .

[ومن المفيد هنا أن نأني بما يقوله ابن خلدون في مقدمته بصدد المالكية في الأندلس والمغرب ، إذ هو يلقى على هذه الناحية ضوءاً باهراً ، قال :

« ... وأما مالك — رحمه الله تعالى — فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، وإن كان يوجد في غيرهم . إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل ، لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز — وهو مفتوح مسفرم ، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق — ولم يكن العراق في طريقهم ، فأنصروا على الأخذ من علماء المدينة ، وشيخهم يومئذ وإمامهم ، مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده ؛ فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلده دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته . وأيضاً فالبدأة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس ،

ولم يكونوا يمانون الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل
لناسبة البداوة . ولهذا لم يزل الذهب للالكي غصاً عندهم ، ولم يأخذ تنقيح
الحضارة وتهذيبها ، كما وقع في غيره من المذاهب .

« ولما صار مذهب كل إمام عالماً مخصوصاً عند أهل مذهبه ، ولم يكن لهم سبيل
إلى الاجتهاد والقياس ، فاحتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاق ، وتفرقها عند
الاشتباه ، بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذهب إمامهم ، وصار ذلك كله
يحتاج إلى ملكة راسخة ، يُقتدر بها على ذلك النوع من التنظير أو التفرقة ،
واتباع مذهب إمامهم فيها ما استقطاعوا ؛ وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد .
« وأهل المغرب جميعاً مقلدون لمالك رحمه الله ، وقد كان تلاميذه افتقدوا بمصر
والعراق ، فكان بالعراق منهم القاضي إسماعيل وطبقته ، مثل ابن خُوَيْرِزْمَنْدَاد
وابن الهبان والقاضي أبو بكر الأبهري والقاضي أبو الحسين بن القصار والقاضي
عبد الوهاب ومن بعدهم . وكان بمصر ابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم
والحرث بن مسكين وطبقتهم . ورحل من الأندلس عبد الملك بن حبيب ، فأخذ
من ابن القاسم وطبقته ، وبث مذهب مالك في الأندلس ودون « كتاب الواضحة » ،
ثم دَوَّنَ الثُّنْبِي — من تلامذته — « كتاب المُتَبَيَّن » . ورحل من إفريقية أسد
ابن القرات ، فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ، ثم انتقل إلى مذهب مالك
وكتب على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه ، وجاء إلى القيروان بكتابه وسمى
« الأسدية » نسبة إلى أسد بن القرات ، قرأ بها سحنون على أسد ؛ ثم ارتحل
إلى المشرق واتى ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الأسدية فرجع عن كثير
منها ، وكتب سحنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه ، وكتب لأسد أن
يأخذ بكتاب سحنون فأنف من ذلك ، فترك الناس كتابه واتبعوا « مدونة
سحنون » — على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الأبواب ، فكانت تسمى
المدونة والمختلطة — وعكف أهل القيروان على هذه المدونة ، وأهل الأندلس

على الواضحة والعتية . ثم اختصر ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى « بالختصر » ، وخلصه أيضاً أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى « بالتهذيب » ، واعتمده للشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه ؛ وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب العتية وهجروا الواضحة وما سواها .

« ولم يزل علماء المذهب يتماهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع ، فكتب أهل إفريقية على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا ، مثل ابن يونس والخصي وابن محرز التونسي وابن بشير وأمثالهم ، وكتب أهل الأندلس على العتية ما شاء الله أن يكتبوا ، مثل ابن رشد وأمثاله . وجمع ابن أبي زيد جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب « النوادر » ، فاشتمل على جميع أقوال المذهب ، وفترع الأمهات كلها في هذا الكتاب ؛ ونقل ابن يونس معظمه في كتاب على المدونة ، وزخرت بحار المذهب المالكي في الأتقين إلى انقراض دولة قرطبة والقيروان ، ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك ، إلى أن جاء كتاب أبي عمرو ابن الحاجب ، فخلص فيه طرق أهل المذهب في كل باب ، وتعدد أقوالهم في كل مسألة ، فجاء كالبرنامج للمذهب » [١] .

ف ١٢٥ — مذهب مالك ، وذهوبه الأندلس :

لا زالت مسألة من أدخل المالكية إلى الأندلس غامضة ، فيذهب القرى إلى أن الأندلسيين كانوا على مذهب الأوزاعي كأهل الشام ، ثم أقبل إلى الأندلس أثناء خلافة الحكم المستنصر (١٧٩/٧٩٦ — ٢٠٥/٨٢١) نفر من الفقهاء ، ساروا في أحكامهم على رأي مالك وأهل المدينة ، وأقرم الحكم على ما ذهبوا إليه ، بسبب ما حدثه به تلاميذ مالك من الأندلسيين عن فضله وعظيم أثره وشهرته ويذكر القرى أيضاً أن تحول الأندلس إلى المالكية تم على يد نفر من الفقهاء أعظمهم عبد الملك بن حبيب ويحيى بن يحيى الليثي وأبو عبد الرحمن زياد بن

عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطون ، ويقال إن هذا الأخير كان أول من أدخل المالكية إلى الأندلس . أما ابن القوطية فيقول إن أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس هو النازي بن قيس الذي سمعه من مالك — وكان ذلك في أيام عبد الرحمن الداخل (١٣٧ / ٧٥٥ — ١٧١ / ٧٨٨) — [إذ يقول : « وفي أيام عبد الرحمن بن معاوية دخل النازي بن قيس الأندلس بالموطأ عن مالك وبقراءة نافع بن أبي نعيم ، وكان له مكرماً ومتكرراً عليه بالصلة في منزله . وفي أيامه دخل أبو موسى الموارى عالم الأندلس ، وكان قد جمع علم العربية إلى علم الدين ، وكانت رحلتها إلى المشرق بعد دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس . فحدث الشيخ [عمر] بن لبابة ، قال : كان أبو موسى الموارى إذا دخل من قرينته بفحص مورور — التي كان فيها سكناه — لم يُفتَ أحدٌ من مشايخ قرطبة ، لا عيسى بن دينار ولا يحيى بن يحيى ولا سعيد بن حسان رحم الله جميعهم ، حتى يرسل عنهم »]^(٢٠) .

ومن الثابت — على أي حال — أن مذهب مالك ثبت في الأندلس وعلا أمره فيه على أيام هشام الرضى (٨٩ / ٧٠٨ — ١٧٩ / ٧٩٦) ، بسبب المسكاة الرفيعة التي حظى بها يحيى بن يحيى الليثي عنده ؛ وكان يحيى من تلاميذ مالك المباشرين وكان متمصباً لمذهبه ، وكان هشام يشاوره في أمور القضاة ، فلم يكن يولى إلا المالكيين . ومن بين من أسسوا دولة المالكية في الأندلس يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار وشبطون^(٢١) .

ف ١٢٦ — كبار فقهاء المالكية في الأندلس : أبو الوليد الباجي

وأبو الوليد بن رستم :

من المتعذر علينا أن نذكر جميع الأندلسيين الذين اتفوا في الفقه على مذهب

(٢٠) ابن القوطية : اقتطع ، ص ٣٥ .

مالك ، واعتدوا على موطنه ووضعوا عليه الشروح والتعليقات ، لأن ذلك الإحصاء يطول ولا جدوى من وزائه ، ولهذا فسحبنا في هذا المقام بذكر أكارهم :

فن أقطاب المالكية الأندلسيين عبد الملك بن حبيب — وقد تحدثنا عنه (ف ٦٢) — وتلميذه محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي عتبة المعروف بالمتقي المتوفى سنة ٢٥٤/٨٦٨ ، وهو صاحب مجموعة « الأئمة المسموعة غالباً من مالك ابن أنس » (*) السبحة « بالقبية » أو « المستخرجة » ، وكانت من أكثر الكتب تداولاً بين الأندلسيين وأهل الغرب . [وقد قال في حقه ابن القرضى : « سمع بالأندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ، ورحل فسمع من سحنون ابن سفيد وأصبغ بن الفرج ونظرتهما . وكان حافظاً للسائل ، جامعاً لها ، عالماً بالتوازل . وهو الذي جمع « المستخرجة » وأكثفها من الروايات المطروحة والمسائل القريبة الشاذة . وكان يؤتى بالمسألة القريبة فإذا سمعها قال : أدخلوها في المستخرجة ... »] (٢) (*)

ومنهم يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي المتوفى سنة ٢٥٩/٨٧٢ ، وله مؤلفات كثيرة في شرح الموطأ . [وكان يحيى بن مزين — « مولى رمة بنت عثمان ابن عفان ، رضى الله عنه — من أهل قرطبة ، وأصله من طليطلة ؛ يُكنى أبا زكريا . روى عن عيسى بن دينار ومحمد بن عيسى الأعشى ويحيى بن يحيى وغازي بن قيس ونظراتهم ؛ ورحل إلى الشرق في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم [الأوسط] رحمه الله ، فلقى بالمدينة مطرف بن عبد الله صاحب مالك ابن أنس ، روى عنه للموطأ ورواه أيضاً عن حبيب كاتب مالك ؛ ودخل العراق فسمع من القصبى عبد الله بن مسلمة ، ومن أحمد بن عبد الله بن يونس ، وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج وغيره . وكان حافظاً للموطأ قتيها فيه ، وكان مشاوراً

(*) القرى ، فتح ، ط . عي الدين ، ٢ ، ص ٤١٤ — ٤١٥ .

(**) ابن القرضى : علماء ، رقم ١١٠٢ .

مع العتيبي وابن خالد ونظراتهم ، وله حظ من علم العربية ، وألف كتاباً حسناً منها « كتاب تفسير الموطأ » ، و « كتاب تسمية الرجال للذكورين في الموطأ » وكتاب استقصى فيه علل الموطأ سماه « كتاب المستقصى » ، و « كتاب في فضائل العلم » و « كتاب في فضائل القرآن » ؛ ولم يكن عنده علم بالحديث [(*)] .

ومنهم قاسم بن أصح بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البيهقي المحدث ، وكان فقيهاً نابهاً . [« صنف في السنن كتاباً حسناً ، وفي أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل بن إسحاق القاضي كتاباً جليلاً ، وله كتاب المجتبي (المجتبي ؟) على أبواب كتاب ابن الجارود « للعتيبي » ؛ قال أبو محمد بن حزم : « وهو خير منه انتقاءً وأنتى حديثاً وأعلى سنةً وأكثر فائدة . وله « كتاب في غرائب حديث مالك بن أنس في إنباس في الموطأ » ، و « كتاب في الأنساب » في غاية الحسن والإيجاز » . حكى ذلك كله أبو محمد بن حزم وقال : « كان رحمه الله من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانفشر ذكره » . كان أصله من بيانة وسكن قرطبة وبها مات سنة ٣٢٠ هـ من سن عالية » [(*)] .

ومنهم ابن أبي دليم ، عبد الله [بن محمد بن عبد الله من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد ، « وكان نبيلاً في الحديث ضابطاً لما روى ، بصيراً بالإعراب حسن الكتاب ، وأكثر الكتب التي سمعنا فيها من أخيه محمد بن محمد بخطه ، وهو كان المتولى لقراءتها على الشيوخ . وولاه أمير المؤمنين المستنصر بالله رحمه الله قضاء البيرة وبجاعة وأحكام الشرطة ، وكانت له منه مكانة »] . وقد صنف « كتاب الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار » . وتوفي سنة ٣٥١/٩٦٢ .

ومنهم يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي للتوفي سنة ٣٦٧/٩٧٧ ، وكان حفيداً ليحيى الليثي . [« وكان قاضياً ببجاعة والبيرة ، وولى أحكام الرد أيام كان أخوه [محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي عيسى] قاضياً بقرطبة ، وعمر إلى أن كان آخر

(*) ابن القرضي : علماء ، رقم ١٥٥٦ .

(*) الضي : البقية ، رقم ١٢٩٨ .

من حدث عن عبيد الله [بن يحيى ، عم أبيه] وانفرد بالرواية عنه ، ورحل الناس إليه من جميع كور الأندلس . وكان يرواه عن عبيد الله « الموطأ » و « سماع ابن القاسم » و « حديث الليث » و « عشرة » يحيى بن يحيى الليثي و « تفسير » عبد الرحمن بن زيد بن أسلم و « مشاهد » ابن هشام ، وُتِّفَقَ من حديث الشيوخ . اختلفت إليه في سماع الموطأ سنة ٢٠٦ (كذا في الأصل ولعل صحتها ٣٦٠) ، وكانت الدولة فيه في أيام الجمع بالندوات ، فتم لي سماعه منه . وسمعت منه كتاب التفسير لعبد الله بن نافع . ولم أشهد بقرائه مجلساً أكثر بشراً من يحيى ، سوا في الموطأ ، إلا ما كان من بعض مجالس يحيى بن مالك بن عاثم . ولم أسمع منه غير الموطأ والتفسير ، وفي هذا العام كان يدر (يدر) سماعى ، ثم شاذى النظر في العربية عن مواصلة الطلب ، إلى سنة تسع وستين [وثلاثمائة] ومن هذا التاريخ انفصل سماعى من الشيوخ . وسمع من يحيى بن عبد الله الموطأ جماعة من الشيوخ والكهول وطبقات من الناس ، وسمعه منه أمير المؤمنين المؤيد بالله أعزاه الله سنة ٣٦٤ » (*) .

وكان ابن القوطية (ف ٦٥) — إلى جانب اهتمامه بالتاريخ — معنياً بالحديث وعلومه والفقه ، وكذلك ابن أبي زمنين (ف ١٧) الشاعر النابه فقد كان فقيهاً مقدماً وزاهداً متبتلاً ، له تواليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين « على طريقة كتب ابن أبي الدنيا وأشعار كثيرة في نحو ذلك » ، وله كتاب في الشروط على مذهب مالك بن أنس يسمى « المشتمل في الشروط » ، وقد اختصر « مدونة » سحنون في تأليف سماه « الغرب في اختصار المدونة » ، وله كتاب جمع فيه بين تفسير القرآن ، هذا بالإضافة إلى شرح كبير للموطأ .

(*) ابن القرضي : علماء ، رقم ١٥٩٥ . و « المشرقة » المشار إليها في المسحور الكتب المشرقة التي أخذها يحيى بن يحيى الليثي عن زياد المروفي بشطون . (انظر : القرى ، فتح ، طبعة عمي الدين ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ في ترجمة زياد بن عبد الرحمن المروفي بشطون) . وعبارة « وكانت الدولة فيه ... » مفهومة على وجه التعميم ، وربما كانت صحتها : وكان تداوله فيه ... الخ . والمراد أن يحيى بن عبيد الله كان يخصص درس الفتاة من كل جهة لقراءة الموطأ

[« وكان ذا حفظ للسائل ، حسن التصنيف في الفقه ، وله كتب كثيرة منها في الرقائق والزهد والمواظع منها شيء كثير (كذا) ، وولع الناس بها واشتهر خبرها في البلدان . وكان يفرض الشعر ويجود صوغه ، وكان كثيراً ما يدخل أشعاره في تواليفه فيحسنها به . وكان له حظ وافر من علم العربية ، مع حسن هدي واستقامة طريق وظهور نسك وصدق لهجة وطيب أخلاق وترك الدنيا وإقبال لعبادة وعمل للآخرة ومجانبة للسلطان . وكان من الورعين البكائين الخاشعين . سمعته يقول : « أصلنا من تَنْسَ » . وسئل : « لم قيل لكم بنو أبي زمنين ؟ » فقال : « لا أدري ، كنت أعاب أبي ، فلم أسأله عن ذلك » . سكن بقرطبة دهرماً طويلاً ثم انتقل إلى البيرة وسكنها إلى أن توفي بها سنة ٣٩٨ هـ » (*) .

ومنهم كذلك قاضي إشبيلية وأكبر أصحاب الوثائق بها محمد بن يحيى بن أحمد ابن محمد بن يعقوب بن داود التميمي المعروف بابن الحذا (٣٤٦ / ٩٥٨ - ٤١٥ / ١٠٢٥) ، وكان تلميذاً لابن القوطية . [« قال أبو علي النسائي (الصدفي) : كان أبو عبد الله بن الحذا أحد رجال الأندلس فقهاً وعلماً ونباهة ، معانياً منفذاً في العلوم يقطاً ، ممن عني بالآثار وأتقن عملها (عليها ؟) ، ومن [عرف] طرقها وعلماها . وكان حافظاً للفقه بصيراً بالأحكام ، إلا أن علم الأثر كان أغلب عليه وعلل أسانيد وفقه فنونه . وكانت له خاصة بالقاضي أبي بكر بن زرب ، تبتأه وهو ابن بضع عشرة سنة وأدى مكانه ، وتفق معه في الرأي والأحكام وعقد الوثائق . وطلب العلم من سنة ٣٦٢ . ولزم أبا محمد الأصيلي ، اختص به وانتفع بصحبته . قال ابنه أبو عمر أحمد بن محمد : « كان لأبي رحمه الله علمٌ بالحديث والفقه وعبرة الرؤيا » . ومن تأليفه « كتاب التحريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من الرجال والنساء » ، و « كتاب الإنبياء عن أسماء الله » ، و « كتاب البشرى في تأويل الرؤيا » عشرة أسفار ، و « كتاب الخطب وسير الخطباء » في سفرين ،

وغير ذلك . واستقصى أبو عبد الله ببجاعة ثم ياشيلية ، وكان مع القضاء (القضاة ؟) في عهد المشاورين بقرطبة . وتولى أيضا خطة الوتائق السلطانية . وخرج من قرطبة في الفتنة ، واستقر بالثغر الأعلى ، واستقصى بمدينة تطيلة ، ثم نقل منها إلى قضاء مدينة سالم ، وحدث هناك . ثم صار إلى سرقسطة وتوفي بها .
 مهل طلوع الشمس لأربع خلون من شهر رمضان سنة ٤١٦ [١٠٢٥] ، ودفن بباب القبلة على مقربة من قبر حنش بن عبد الله الصنعاني رحمه الله . وعهد أن يدخل في أكنافه كتابه المعروف بالإنباء في أسماء الله ، فنشر ورقه وجعل بين القميص والأكناف ، نفعه الله بذلك (*) .

ومنهم كذلك ابن عفيف ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف بن مرزوق ابن حاتم بن عبد الله الأموي (٣٤٨/٩٥٩ - ٤٢٠/١٠٢٩) . [قال عنه ابن بشكوال : « ... وعنى بالفتنة وعقد الشروط والوثائق فخذها ، وشهر بتبريزه فيها . ثم شارب كثيرا من الملووم وأخذ بأوفر نصيب منها . ومال إلى الزهد ومطالعة الأثر والوعظ ، فكان يمظ الناس بمسجده بحوانيت الریحاني بقرطبة ، ويعلم القرآن فيه . وكان يقصده أهل الصلاح والتوبة . والإنابة . ويلوذون به ، فيعظمهم ويذكروهم ويخوفهم العقاب ويدلم على الخير . وكان رقيق القلب غزير الدمع حسن المجادلة مليح الزاينة جميل الأخلاق حسن اللقاء . وكان ينسل الموتى ويبيد غسلهم وتجهيزهم ، وقد جمع في معنى ذلك كتابا حفيلا . وجمع أيضا كتابا حسنا في « آداب المعلمين (أو التلمذيين) » خمسة أجزاء . وصدق في « أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة » كتابا مختصرا ، وقد نقلنا منه في كتابنا هذا ما نسبناه إليه . وتولى عقد الوثائق لمحمد [بن عبد الجبار] الهمدي أيام توليه الملك بقرطبة . فلما وقعت الفتنة خرج عنها وقصد للريّة ، فأكرمه خيران الصقلبي صاحبها وأدنى مكائنه وعرف فضله وأمانته ، فقلده قضاء لورقة ، فخرج إليها وأتى عصاه بها والزعم الصلاة والخطبة بجامعها . ولم يزل حسن السيرة فيهم محمودا فحببهم محبا

اليهم ، إلى أن توفي غصوة يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت لربيع الآخر سنة ٤٢٠ هـ [٥٠].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن (٩٩٣/٣٨٣ — ١٠٦٩/٤٦٢) ، [« وكان قتيها عالماً عاملاً ورعاً عاقلاً بصيراً بالحديث وطرقه ، وعالماً بالوثائق وعالماً مدقاً لمعانيتها لا يجارى فيها ؛ كتبها مدة حياته ، فلم يأخذ عليها من أحد أجراً . وكان يحكى أنه لم يكتبها حتى قرأ فيها أزيد من أربعين مؤلفاً . [وكان] مغتناً في فنون العلم حافظاً للأخبار والأمثال والأشعار ، يتمثل بالأشعار كثيراً في كلامه ، صلياً في الحق مؤيداً له مميّزاً لزمانه متحفظاً من أهله . متقبضاً عن السلطان وأسبابه ، جارياً على سنن الشيوخ في جميع أحواله ، متواضعا مقتصداً في ملبسه ، يتصرف في حوائجه بنفسه ويتولاهما بذاته . كان شيخ أهل الشورى في زمانه وعليه كان مدار الفتوى في وقته ، دعى إلى قضاء قرطبة حراراً فأبى من ذلك وامتنع ، وكان قد دعى قبل ذلك إلى قضاء طليطلة والريّة فاستغفها . وقدمه القاضي أبو اللطف بن بشر إلى الشورى والناس متوافرون ، وذلك سنة ٤١٤ وهو ابن إحدى وثلاثين سنة . وكان يهاب الفتوى ويخاف مقلبتها في الأخرى ويقول : « من يحسدني فيها جعله الله مفتياً » ، وإذا رُغب في جوابها غضبت (أورُغِب ؟) بالأجر عليها يقول : « وددت أني أنجم منها كفافاً لا على ولا لي » ، ويشتمل بقول الشاعر :

تُمنوني الأجر الجزيل وليتني نجومت منها كفافاً لا على ولا لي [٥١] (٥٢)

ومن أكبر أعلام المالكية في الأندلس شأنا أبو الوليد سليمان بن خلف ابن سعد بن أيوب بن وارث الحمصي الباجي (١٠١٢/٤٠٢ — ١٠٨١/٤٧٣) ،

(٥٠) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ٧٣ . وقد أورد للؤف موجزاً لهذه اللادة فأبنت بأمر ما فيها بنصه .
(٥١) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ١٠٧٧ . وقد أورد للؤف خلاصة هذه الفقرة فأبنت بنصها .

وأصله من بطليوس وانتقل جده إلى باجة قرب إشبيلية . نشأ الباجي في أسرة معدمة ، وجد في الطلب وتحمل للشاق ورحل إلى الشرق لكي يتمكن من دراسة الأدب والفقه ، (حتى « أجز نفسه ببغداد لحراسة الدروب » ليكسب ما يمينه على إتمام دراسته) . وعاد إلى الأندلس وجلس للإقراء بسرقة وبلنسية ومرسية ودانية ، « وكان لما رجع إلى الأندلس يضرب ورق الذهب ، ويعقد الوثائق ، إلى أن فشا عليه وتبيأت له الدنيا » . ولم يشق طريقه إلا في عسر ، وكان مشتغلاً بالتأليف في أثناء ذلك كله . وقد علا شأنه بسبب مؤلفاته في الفقه المالكي وأصول الدين واشتغل بكتابة الشروط ، وولى قضاء بعض النواحي .

ومؤلفاته تكاد تكون كلها في علوم الفقه والقرآن ، وخاصة في أصول الأحكام (*) وشرح اللوطا . [قال ابن بسلام : وبلغني عن ابن خزم أنه كان يقول : لو لم يكن لأصحاب للذهب للملكي بعد عهد الوهاب] [إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفام . وصنف أبو الوليد كتباً كثيرة منها « كتاب التسييد إلى معرفة التوحيد » ، و « كتاب سنن النهاج وترتيب الحجاج » ، و « كتاب إحصاء الفصول في أحكام الأصول » ، و « كتاب التمهيد والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح » ، و « كتاب شرح اللوطا » وهو نسختان : نسخة سماها « الاستيفاء » ثم اتقى منها فوائد سماها « المتقى » في سبع مجلدات ، وهو أحسن كتاب ألف في مذهب مالك ، لأنه شرح فيه أحاديث اللوطا وفرع عليها تفرعاً حسناً ، وأفرد منه شيئاً سماه « الإيماء » . وقال بعضهم إنه صنف « كتاب للماني في شرح اللوطا » فجاء عشرين مجلداً عديم النظير . وكان أيضاً صنف كتاباً كبيراً جامعاً بلغ فيه النهاية سماه « الاستيفاء » ، وله كتاب « الإيماء في

(*) انظر عما يتضمنه هذا الفن من فروع الدراسة :

Asín Palacios, *Abenkházm*, p. 257.

(المؤلف)

الفقه « خمسة مجلدات ، انتهى . ومن تصانيفه « مختصر المختصر في مسائل المدونة » ، وله « كتاب اختلاف الموطآت » ، و « كتاب الإشارة في أصول الفقه » ، و « كتاب سنن الصالحين » ، و « كتاب التفسير » لم يتمه ، وكتاب « شرح المنهاج » ، و « كتاب التبيين لمسائل المهتدين » في اختصار فرق الفقهاء ، و « كتاب السراج في الخلاف » ولم يتم ، وغير ذلك » (*) . وله كذلك وصية جليلة لولديه يرشدهما فيها إلى طريق العيش الكريم التقى .

يبد أن كنهه لم تطر بذكره كما طارت به مساجلاته ومجادلاته مع ابن حزم (ف ٦٨) ، ويبدو أن ما حفزه على الدخول في ذلك الجدل هو رغبته النبيلة في التقريب بين أمراء الطوائف وتوحيد كلمتهم ، بعد أن تلاشى كل أمل في قيام خلافة قرطبية الأموية مرة ثانية . [قال القرى : « ولما قدم [الباجي] من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاماً وجد ملوك الطوائف أحزاباً مفترقة ، فشى بينهم في الصلح ، وهم يملكون في الظاهر ويستقلون في الباطن ويستبدون بزعمه ، ولم يقد شيئاً ، فأنه تعالى يجازيه عن نيته »] (٥٠) . وكان مما أقعته في هذه المجادلات أيضاً ما بدا له من تدارك الشر الذي قد ينتج عن اجتهد ابن حزم في نشر مذهبه الظاهري ، وكان الفقهاء يعتبرون هذا للذهب بدعة وضلالة . ولم يبق لنا من تفاصيل هذه المجادلات إلا صدى غير واضح نجده في بعض صفحات « الفصل » لابن حزم ، وأخبار متضاربة عن انهزام الباجي أو انتصاره على خصمه ، وكل مؤرخ يعرضها على حسب ما أملاه عليه شعوره نحو ابن حزم (٥١) ، [فن ذلك قول القاضي عياض : « ولما قدم [الباجي] الأندلس وجد لسكلام ابن حزم طلاوة ، إلا أنه كان خارجاً عن المذهب [المالكي] ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه ، فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه ، واتبه على رأيه جماعة من

(*) القرى : فتح الطيب ، الطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٣٠٢ ، ج ١ ، ص ٢٥٤

— ٣٥٥ —

(٥١) القرى : فتح ، الطبعة الأزهرية ، ج ١ ، ص ٣٥٨ .

أهل الجهل . وحل بجزيرة ميورقة فرأسه فيها واتبعه أهلها ، فلما قدم أبو الوليد كلوه في ذلك ، فدخل إليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة » [(*)] .

وكان أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (١٠٥٨/٤٥٠ - ١١٢٦/٥٢٠) - جد الفيلسوف المعروف - أنه فقه المالكية ذكراً في عصره ، وقد تولى قضاء الجماعة في فرطية ، [إذ « كان فقيهاً عالماً حافظاً للفقه مقدماً فيه على جميع أهل عصره ، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيراً بأقوالهم واتفاقهم واختلافهم ، نافذاً في علم الفرائض والأصول ، من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم ، مع الدين والفضل والوفاء والحلم والسمت الحسن والهدى الصالح »] (١) ، وكان صاحب الصلاة في مسجدها الجامع . ومن أشهر مؤلفاته كتاباً « المقدمات لأوائل كتب للدونة » ، و « البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل » ، وقد بسط فيه الأسس الفقهية لأحكام مذهب مالك في شتى المسائل بحسب ما وردت في « مسخرجة » العتيق . ومن مؤلفاته كذلك « اختصار للبسطة » و « اختصار مشكل الآثار للطحاوي » (٢) .

ف ١٢٧ - فقهاء مالكيون آخرون : ابن عاصم :

وكان من بين النابيين من فقه المالكية ابن الطلاع (١٠١٣/٤٠٤ - ١١٠٣/٤٩٧) ، [محمد بن مرج مولى محمد بن يحيى البكري ، يعرف بابن الطانع ، من أهل فرطية ، يكنى أبا عبد الله ، بقية الشيوخ الأكابر في وفته وزعيم المفتين بحضرته . روى عن القاضي يونس بن عبد الله وأبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ ، وأبي عبد الله بن عابد وأبي علي الحداد وأبي عمرو المرشاني وأبي المطرف ابن جرج وأبي عمر بن القطان وحاتم بن محمد ومعاوية بن محمد العقيلي . وكان

(*) المقرئ : فتح ، المطبعة الأزهرية ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢) ابن بشكوال الصلاة ، رقم ١١٥٤ .

فقيها عالما حافظا للفقہ علی مذهب مالک وأصحابه ، حاذقا بالفتوى مقدما في الشورى ، عارفا بمقد الشروط وعلاها ، مقدما فيها ، ذا كراً لأخبار شيوخ بلده وفتاويهم ، مشاركاً في أشياء من العلم حسنة مع خير وفضل وعفاف ودين وكثرة صدقة وطول صلاة ، قوياً للحق وإن أذى فيه . . . وولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، وأسمع الناس به وأفتام فيه . وعمر وأسن حتى سمع منه السكبار والصغار والآباء والأبناء . وكانت الرحلة في وقته إليه ، وجمع كتاباً حسناً في « أحكام النبي صلى الله عليه وسلم » (*) .

ومنهم ابن المقرئ ، علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك ، أبو الحسن الغزالي الغرناطي ، ويعرف بابن البقرى (والمقرئ أيضاً) للثرفي سنة ٥٥٢ أو ٥٥٧/١١٦١ . وهو غرناطي ، وكان أساداً نابها في علوم الفقہ ؛ [وقال ابن الزبير : كان فقيها مشاوراً محدثاً متكلماً ، له توالييف كثيرة منها « كتاب مهاج السداد في شرح الإرشاد » ، وكتاب « مدارك الحقائق » في أصول الفقہ [في خمسة عشر جزءاً] ، توفي في كائنة غرناطة تقدراً (*) ، وله أيضاً « شمائل النور الساطع الكامل » في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (†) ، ورسائلان في التصوف .

ومنهم المحدث الفقيه ابن الخراط (١١١٦/٥١٠ — ١١٨٥/٥٨١) ، [عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد الأزدي الإشبيلي ، يعرف بابن الخراط ، « زل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة المستونية ، ونشر بها علمه وصف وولى الخطبة والصلاة بجامعها . وكان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلمه ، عارفا بالرجال ، موصوفاً بالخير والصلاح والزهدة والورع ولزوم السنة والتقليل من الدنيا ، مشاركاً في الأدب وقول الشعر . وصف

(*) ابن الأثير : التكملة ، رقم ١١٢٣ .

(*) ابن الأثير : التكملة ، رقم ١٨٥٤ .

(†) حاجي خليفة : كشف الظنون ، رقم ٧٦٣٨ .

في الأحكام نسختين ، كبرى وصغرى ، سبقه إلى ذلك أبو العباس بن أبي مروان (مروان ؟) الشهيد بلبلة ، فخطى هو دون أبي العباس . وله « الجمع بين الصحيحين » ، و « كتاب في الجمع بين المصنفات الستة » ، و « كتاب في المقتل من الحديث » ، و « كتاب في الرقاق » ، ومصنفات أخرى . وله في اللغة كتاب حافل ضامى به التريبيين للهروي (*) ، وله أيضاً كتاب « مختصر كتاب الرشاطي في الأنساب من القبائل والبلاد » وهو في سفرين (**) .

ومهم محمد بن أحمد بن حرب المتوفى سنة ٧٤١/١٣٤٠ ، وكان مسنياً بأصول الدين والفقه علاوة على تحفته بالعربية والأدب ، وله من المؤلفات « كتاب الأنوار السنية في الكلمات السنية » ، و « كتاب في تهذيب صحيح مسلم » ، و « كتاب الدعوات » في مجلدين ، و « كتاب الفوائد الفقهية في مذاهب المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية » في ثلاثة مجلدات ، و « كتاب في القراءة ، نافع وغير نافع » ، و « المختصر في لحن العامة » ، و « فهرسة اشتملت على جملة من أهل المشرق » ، و « الأذكار المستخرجة من صحيح الأخبار » (†) (‡) .

وفي الفترة الأخيرة من تاريخ المسلمين في الأندلس نجد ابن حاصم ، أبا بكر محمد بن محمد (٧٣٠/١٣٥٨ — ٨٣٩/١٤٣٦) . وهو غرناطي ، تولى قضاء الجماعة في بلده ، واستوزره يوسف الثاني النقي بالله صاحب غرناطة . وقد ألف عشرة كتب لم يبق لنا منها غير اثنين : « تحفة الحكام في نكت المقود والأحكام » ، وهي أرجوزة في فقه مالك تقع في ١٦٩٨ بيتاً ، (وقد نشرها مع ترجمة فرنسية المستشرقان الفرنسيان هودا ومارتل ، تحت عنوان :

Traité de droit musulman, la Tohfat d'Ebn Acem. Texte arabe avec traduction française, commentaire juridique et notes philologiques, par O. Houdas et Fr. Martel (Alger-Paris, 1883-1893).

(*) ابن الأثير : تكملة ، رقم ١٨٠٥ .

(‡) ابن قرقون : الديباج للذهب .

(†) أشار المؤلف إلى كتابين فقط من كتب ابن حرب فأنتيت بمؤلفاته كلها كما أوردنا

ابن الخطيب في الإحاطة (مخطوط الإسكوريال) .

ولا زال الطلبة يدرسونها في مدرسة مسجد قاس إلى اليوم؛ ومؤلفه الثاني هو « حدائق (أو حديقة) الأزهار في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر » ، (وقد شرف قاس) ^(٨).

ولكي نكون لأنفسنا فكرة عن المقاييس التي التزمها فقهاء المالكية الأندلسيين الذين كان لهم دور عظيم في تطور الثقافة الأندلسية ، نسوق الأسطر التالية التي كتبها أستاذي آسين پلايوس في كتابه عن ابن حزم ، قال : « كان المذهب المالكي في أساسه مذهباً يقوم على الحديث ، لأن مالكاً جعل الأحاديث النبوية مقدمة على رأى الفقهاء ؛ ولكن الفقهاء لم يلتزموا ذلك السنن بل فعلوا ضده ، فانصرف الفقهاء من وقت مبكر عن دراسة الحديث وانصرفوا على الرجوع إلى كتب الفروع والخلاف التي أقرها شيوخ المذهب ، وأصبح ذلك تقليداً ثابتاً لم لا يحدون عنه ، وأخذ المالكيون بما في هذه الكتب . ونقول بعبارة أخرى إن المصوم ^(٩) والقضاة وأصحاب الشروط في الأندلس كانوا يتدارسون للمختصات البسيطة التي ألها كبار شيوخ المالكية وعرضوا فيها — على نحو على واضح — المسائل المادية التي تعرض لأهل القانون كل يوم ، وبينوا حكم المذهب فيها . وعلى هذا ، درج أولئك الفقهاء من وقت مبكر على الاختصار على عمل سهل : وهو البحث في هذه الكتب عن الأحكام المقررة ، بدلا من الرجوع إلى الكتاب والسنة — وهما الملبع الرئيسي لأصول الفقه — لاستخراج الأحكام فيما يعرض لهم من الأكضية ، و « الاجتهاد » في إيجاد حلول جديدة بمجهودهم الشخصي .

« ولم يفلح بني بن محمد فيما حاوله في القرن الثالث الهجري من تحويل الفقهاء عن

(٨) المصوم في مصطلح القضاء الأندلسي هم اللرونون اليوم بالمحامين ، وكانوا فقهاء تخصصوا في الشرع والأحكام وإجراءات التقاضي وتحققوا بالقرائن والشروط وعلمها ، وكانوا يأخذون مكانهم في مجلس القاضي أو على باب المسجد ليهدد إليهم الناس في قضاياهم ، (انظر مقدمة ريبيا لكتاب القضاء الفخفى) . ولد ترجمت بهذا الاصطلاح كلمة abogados الواردة في الأصل . (المترجم)

هذا الطريق التقليدي الطالق وردّهم على دراسة الحديث واستخراج أحكامهم منه ، بل سددوا فيهم يمين من التقليد الأعمى لما اعتقدوا أنه آخر ما يصل إليه الواصل في موضوع الفقه ، وانتهوا إلى الانصراف عن دراسة القرآن والحديث انصرافاً يكاد يكون تاماً ، وأعرضوا عن النظر إلى غير المالكية من المذاهب ، واعتبروا معرفتها أسراً لا جدوى فيه ، بل أنكروها ونظروا إليها نظرتهم إلى البدع والضلالات . وانصرفوا كذلك عن النظر في ذلك العلم اللطيف الذي يسمى « علم أصول الفقه » ، وهو الفن الجليل العادي الذي يمكنهم من أن يستخرجوا من الأصول أحكاماً مناسبة لما يعرض لهم من شتى السائل والنوازل^(*) .

ف ١٢٨ — فقهاء الشافعية :

يمرّ دخول مذهب الشافعي الأندلس إلى قاسم بن محمد بن سيار من أهل قرطبة . رحل إلى المشرق على أواسط القرن الثالث الهجري ، ودرس على كبار شيوخ الشافعية ، فلما عاد إلى الأندلس أنكر على فقهاءه تقليد الأعمى لما كان عليه شيوخهم ، وانصرف إلى نشر مذهب الشافعي بين أهل بلده عن طريق التدريس والتأليف ، وتكونت حوله طائفة من التلاميذ ، ومدّ عليه الأمير محمد ظلّ رعايته ، وعهد إليه في تحرير وثائقه وشروطه ، وقد ظل في هذا المنصب إلى وفاته سنة ٢٧٦ / ٨٩٠ أو ٨٩١ . [وقد قال ابن القزّبي في حقه : « قاسم بن محمد ابن قاسم بن سيار مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك . من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد . رحل فسمع من محمد بن عبد الله بن الحكم وأبي إبراهيم المزني ومحمد بن إبراهيم البرقي وإبراهيم بن محمد الشافعي والحريث بن مسكين وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح ويونس بن عبد الأعلى وإبراهيم بن المنذر الجذامي وغيرهم . ولزم محمد بن عبد الله بن الحكم لفقهه والناظرة وصحبه وتحقّق به .

(*) Asim Palacios : Abenlúizam, p. 121.

وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ، ويميل إلى مذهب الشافعي .
 أخبرني العباس بن أصبغ ، قال : حدثني محمد بن قاسم ، قال : قلت لأبي : يابيه ،
 أوصني ! فقال : أوصيك بكتاب الله ، فلا تنس حظك منه ، واقرأ منه كل يوم
 جزءاً ، واجعل ذلك عليك واجباً ، وإن أردت أن تأخذ من هذا الأمر بحظ
 — يعني الفقه — فليكن برأي الشافعي ، فإن رأيت أقل خطأ . ولم يكن
 بالأندلس مثل قاسم بن محمد في حسن النظر والبصر والحجة . قال أحمد [بن محمد بن
 عبد البر] : سمعت أحمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة يقولان : ما رأينا أفتق
 من قاسم بن محمد من دخل الأندلس من أهل الرحل (الرحلة) . وأخبرني إسماعيل
 [ابن إسحاق الحافظ] ، قال : أخبرني خالد [بن سعد] قال : محمد بن عبد الله
 ابن قاسم الزاهد قال : سمعت أبا عبد الرحمن بن يحيى بن خالد يقول : قاسم بن
 محمد أعلم من محمد بن عبد الله بن الحكم . وأخبرني إسماعيل ، قال : أخبرني خالد ،
 قال : حدثني أسلم بن عبد العزيز ، قال : سمعت محمد بن عبد الله بن الحكم يقول :
 لم يقدم علينا من الأندلس أحد أعلم من قاسم بن محمد ، ولقد عاتبته في حين
 انصرافه إلى الأندلس فقلت له : أقم عندنا ، فإنك تقتصد هنا رياسة ويحتاج
 الناس إليك ، فقال : لا بد من الوطن ! وأخبرني إسماعيل ، قال : أخبرني خالد ،
 قال : سمعت سعيد بن عثمان الأعناق يقول : قال لي أحمد بن صالح الكوفي :
 قدم علينا من بلدكم رجل يسمى قاسم بن محمد ، فرأيت رجلاً قتيماً . وألف قاسم
 ابن محمد في الرد على يحيى بن إبراهيم بن مزين وعبد الله بن خالد والمعتبي كتاباً
 نبيلاً يدل على علم . وله كتاب في خبر الواحد شريف . وكان يلي وثائق الأمير
 محمد رحمه الله طول أيامه . روى عنه محمد بن عمر بن لبابة وسعيد بن عثمان
 الأعناق وأحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وابن الرزاد وابنه محمد بن قاسم
 في جماعة سواهم . قال الرازي : توفي قاسم بن محمد سنة ٢٧٧ [٨٩٠ م] (وقال
 أحمد : توفي قاسم بن محمد سنة ٢٧٧ ، في أولها) . وقال ابن حريث : توفي عام الفتح

السكاين للأمير عبد الله في حصن بلّاي، وكان فتح بلّاي سنة ٢٧٨ هـ فيها حكم الرازي» [١٠] (١٠).

ومن كبار الشافعيين الأندلسيين كذلك بقي بن مخلد الذي أُلْمِنَا بذكره فيما سبق (ف ١٢٣)، وقد أعانه تسماع الأمير محمد على نشر مذهبه؛ وقد خلف بقي من بعده تلاميداً من تلاميذه الذين درسوا المذهب على يديه: منهم هارون ابن نصر القرطبي المتوفى سنة ٩١٤/٣٠٢ - ٩١٥، [يكنى أبا الخيار، صاحب بقي بن مخلد نحو من أربع عشرة سنة وأكثر الرواية عنه. وكان قد مال إلى كتب الشافعي فنى بها وحفظها وتفقّه فيها. وكان من أهل النظر والحجة] (١١)؛ وعثمان ابن وكيل من أهل للدور الأقصى من حوز قرطبة؛ وحرّ قوص، عثمان بن سعيد السكّاني، من أهل جيان، يكنى أبا سعيد ويعرف بحرقوص (توفي قريباً من سنة ٩٣٢/٣٢٠)؛ وأسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد مولى عثمان بن عفان (توفي سنة ٩٣١/٣١٩)، [«سمع من بقي بن مخلد وصحبه طويلاً، ثم رحل إلى المشرق سنة ٣٦٠ فلقى أبا يحيى للزنى والربيع بن سليمان صاحب الشافعي ومحمد ابن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى وأحمد بن عبد الرحيم البرقي وعلي بن عبد العزيز وغيرهم»]؛ ومنهم كذلك ابن أمية الحجاري صاحب كتاب «أحكام القرآن» على مذهب الشافعي، وهو كتاب جليل ذو أسلوب واضح جميل، [وقد قال عنه ابن حزم في «الرسالة»: «ومنها (أي من الكتب الأندلسية في الفقه) في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجاري، وكان شافعي المذهب بصيراً بالكلام على اختياره»] (١٢)؛ ومنهم «يحيى بن عبد العزيز

(*) ابن القزويني: علماء، رقم ١٠٤٧. وقد رأيت أن أجيء بترجمة فاسم بن محمد كاملة بشيوخه وتلاميذه فقرأت لكتابه في تاريخ الفكر الأندلسي. والأقواس، ما عدا الأخير، من عندي للإيضاح.

(**) ابن القزويني: علماء، رقم ١٠٧٩.

(†) ابن حزم: الرسالة برواية القرطبي، فتح، طبعة مجي الدين، ج ٤، ص ١٦٣. وقد ورد ذكره في جذوة اللقبس للحبيدي هكذا: ابن أمية الحجاري، انظر ص ٣٨٠، ترجمة ٩٠٩.

المعروف بابن الخراز من أهل قرطبة ، يكنى أبا زكريا (الوفا سنة ٢٩٥/٩٠٧) ،
[« سمع من القتيبي وعبد الله بن خالد ونظراهما من رجال الأندلس . ورحل فسمع
بمصر من الزني والريبع بن سليمان اللؤذن ومحمد بن عبد الله بن الحكم ويونس بن
عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغني بن أبي عقيل وغيرهم ، وسمع
بمكة من علي بن عبد العزيز . وكانت رحلته ورحلة سعد بن معاذ وسعيد بن
عثمان الأعناني وسعيد بن حميد وابن أبي تمام واحدة . سمع الناس منه » مختصر
الزني » و « رسالة الشافعي » وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن الحكم .
وكان يميل في فقهه إلى مذهب الشافعي ، وكان مشاوراً مع عبيد الله بن يحيى ونظرايه
في أيام الأمير عبد الله . . . وسمع الناس منه بالقيروان « للستخرجة » للعتبي
وغير ذلك من حديثه ... » [(*)] .

ومن الشافعيين الأندلسيين كذلك خلف بن عبد الله بن عمارق الخولاني ،
[« من أهل الجزيرة الخضراء ، سمع من ابن بدرون ومحمد بن يزيد ببجاية ، ورحل
حاجاً فسمع من ابن اللندري ومن ابنة الشافعي . وكان مفتياً في بلاده وفتياً مشاوراً
تدور الفتيا عليه مع أصحابه ، وكان صاحب صلاة الجزيرة [الخضراء] وسكن
قرطبة » (*)] وكان فيها حوالي سنة ٢٩٩/٩١٢ . بل كان الأمير عبد الله بن
عبد الرحمن الناصر يميل إلى آراء الشافعي ، أخذها عن حسان بن سعد وأحمد بن
محمد بن عبد البر . وقد لقي هذا الأمير حنفة على يد أبيه ، إذ اتهم بالاشتراك في
التدبير عليه والرغبة في خلع ، [بسبب مبايعة الناصر لابنه الحكم ولياً لهذه دون
عبد الله] ، وكان لذلك أثر سيئ على للمذهب الشافعي في الأندلس ، إذ توقف
نشاطه حتى أيام الحكم المستنصر .

(*) ابن القرضي : علماء رقم ١٥٦٨ . وقد أشار المؤلف إليه إشارة مقتضية غابيت
بأم ما في مادة ابن القرضي بنصه لبيان الصلة بين المدرستين المصرية والأندلسية .

(**) ابن القرضي : علماء ، رقم ٤١٥ .

[ومن المفيد في هذا الباب أن تأتي هنا بترجمة هذا الأمير العالم كما رواها ابن الأثير في «التكملة» ، قال : « عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله المرواني ، يكنى أبا محمد . روى عن محمد بن معاوية القرظي والحسن بن مسعود وعبد الله بن يونس وهاشم بن أصبغ ومسعدة بن قاسم ومحمد بن عبد الملك بن أبير ، ومحمد بن محمد بن عبد السلام الخشني وأحمد بن محمد بن عبد البر وأحمد بن محمد بن قاسم وغيرهم . وعنى العناية النامة بجماع العلم وحله ووضع التأليف فيه . وكان فيها شافعيًا إخباريًا متنسكًا ، بصيرًا بلسان العرب رفيعًا بالطبقة في الأدب ومعرفة ، ضاربًا بأوفر سهم في اللغة ، ذا كرا للعديد مطبوعًا في سوغ القريض وتصنيف كتب الأدب . وله كتاب « العليل والقتيل في أخبار بني العباس » في أسفار . وقد حدث عنه مسعدة بن قاسم « بالمسكنة » من تأليفه وهي سنة أجزاء في فضائل بقي بن مخلد . ورد على محمد بن وضاح وكذبه وحمل عليه فيما حكاه عن يحيى بن معين ، حكى ذلك أبو عمر بن عبد البر في « جامع بيان العلم » له ، وقال : زعم عبد الله أنه رأى أصل ابن وضاح الذي كتبه بالمشرق ، وفيه : سألت يحيى بن معين عن الشافعي ، فقال : ثقة . وكان ابن وضاح يقول : ليس بثقة . وكان لعبد الله هذه اختلاط بالعلماء واستراحة إليهم . وهو أحد النجباء من أبناء الخلفاء . وسُي به إلى أبيه عبد الرحمن الناصر فحبسه في آخر خلافته تحت التوكيل الشديد أزيد من حول ، إلى أن أتى قتله يوم الثلاثاء ثاني عيد الأضحي ، وقيل ثلثه ، سنة ٣٣٩ [٩٥٠] . ذكره ابن حبان وفيه زيادات » (*) .

وقد كان من جلساء المستنصر ابن صلاح الله القرطبي ، أحمد بن عبد الوهاب ابن يونس المتوفى سنة ٣٦٩/٩٨٠ أو ٣٩٨/١٠٠٨ . وكان من المنصرين إلى النظر في أصول الفقه والمقيدة والأخذ بالرأي ، ولهذا اتهمه فقهاء المالكيين بأنه

(*) ابن الأثير : التكملة ، رقم ١٢٥٠ ؛ وانظر : الحلة السيراء لابن الأثير ، ص ١٠٥ وابن خلدون : تلخيص ، ج ٤ ، ص ١٤٣ ؛ والسبكي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

يقول بالاعتزال . [« وقد وصفه ابن القرضي بقوله : « كان رجلاً حافظاً للفقه عالماً بالاختلاف ، ذكياً بصيراً بالحجاج ، حسنَ النظر قائماً بما ينقلد الكلام فيه . وكان يميل إلى مذهب الشافعي . وله سماع من شيوخ وقته ، وحسب عبيداً الشافعي ، وثقة سمع وناظر عليه . وكان له حظ وافر من العربية والفقه . وسار في جملة المتألمين للمستنصر بالله ، وقرأ « كتاب الفتوح » . وكان ينسب إلى مذهب الاعتزال ، وكان دميماً سمياً ، توفي سنة ٣٩٩ أو صدر ٣٧٠ (كذا) »] (*) .

وكان الحكم المستنصر يحسن وقادة القادمين إلى الأندلس من أهل الأدب المشاركة (**) ، ممن كانوا يعتبرون من شيوخ المذهب الشافعي مثل أبي الطيب محمد بن أحمد بن أبي بردة الشافعي البغدادي الذي وفد على الأندلس في سنة ٣٩١/٩٧١ وتآلب عليه الفقهاء بسبب ما كان يقول به من آراء المعتزلة ، وما زالوا بهشام المؤيد حتى أخرجه من الأندلس عام ٣٧٧/٩٨٣ . [وقد قال ابن القرضي في ترجمته : « ووصل أبو الطيب إلى الأندلس سنة ٣٩١ [٩٧١/] فأكرمه أمير المؤمنين المستنصر بالله ، وأمر بإجراء التزل عليه ، وكان من أعلم الناس بمذهب الشافعي ، وأحسنهم قياماً به . لم يصل إلى الأندلس أنهم منه بالمذهب ، ولم تكن له كتب ، ذكر أنها ذهبت له مع مال جسيم في الغرب . وكان ينسب إلى الاعتزال ، ورفّع ذلك إلى السلطان ، فأمر بإخراجه من البلد ، وذلك في رجب سنة ٣٧١ ، فصار بقيهت عند بنت له ، وتوفي بها في ذلك العام »] (†) ؛ ومثل

(*) ابن القرضي : علماء ، رقم ١٥٢ . ولعل صفة الرقم الأول ٣٩٩

(**) كذا في الأصل ، ولما كان المؤلف يرجع هنا إلى ما كتبه آسین پالاسیوس في هذا الصدد ، فقد رجعت إلى هذا الأخير فوجدته لا يذكر الأدباء في هذا اللوح ويقول : « وتوافد على بلاطه قرون من مشاهير علماء المشرق ممن رغب في الاستقلال برعاية هذا الراعي الكريم العلم وأحله ... » .

CI : Asin Palacios, Ahenbázam, I. p. 127.

(†) ابن القرضي : علماء ، رقم ١٤٠١ .

عبيد الله بن عمر — يوسف بن محمد الهمداني — عبد السلام بن السمع بن نابل ٤٣٧

عبيد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي الشافعي ، من أهل بغداد (٩٠٧/٢٩٥ — ٩٧١/٣٦٠) ، « يقال له عبيد ويكنى أبا القاسم . قدم الأندلس في المحرم سنة ٣٤٧ [٩٥٨ م] ، تفقه ببغداد على مذهب الشافعي وتحقق فيه وناظر فيه عند أبي سعيد أحمد بن محمد الاصطخري ولعبيد الله ابن عمر هذا كتب مؤلفة كثيرة في الفقه والحجة والرد والقراءات والفرائض وغير ذلك . وكان الحكم قد أنزله وتوسع له في الجراية ، ولم ينزل يؤلف له إلى أن مات . . . » (*) .

ونذكر من بين الشافعيين الأندلسيين :

يوسف بن محمد بن سليمان الهمداني ، من أهل شذونة ، يكنى أبا عمر ، المتوفى سنة ٩٩٣/٣٨٣ . سمع بالأندلس ثم رحل إلى المشرق .. « وكتب خطه كتب الشافعي الكبير عشرين ومائة جزء ، سمعه من أبي الحسن النيرى ، أخبره به عن محمد بن رمضان المعروف بابن الزيات عن الربيع بن سليمان عن الشافعي ، صارت نسخته إلى المستنصر بالله ، وسمع بمجدة من الحسين بن حميد موطأ القفني وكتاب الأموال لأبي هبيل ، وكتب حديثاً كثيراً مصنفًا ومنثورًا ، وانصرف إلى الأندلس فقدمه أمير المؤمنين [الحكم] رحمه الله إلى قضاء قللسانة ، وقدم أخاه إلى صلاة شريش وكان خطيباً أديباً وسياً . . . » (*) .

وعبد السلام بن السمع بن نابل بن عبد الله بن يحيى الموارى ، يكنى أبا سليمان ، « أصله من مورور (٩١٥/٣٠٣ — ٩٩٧/٣٨٧) رحل إلى المشرق وزدد هناك مدة طويلة وسكن اليمن وتفقه بمصر بالشافعي وقرأ القرآن وجوده . وقدم الأندلس وكان حسن الخط بديع ، وكان حافظاً لمذهب الشافعي حسن القيام به » (+) .

(*) ابن القرضى : علماء ، رقم ٧٦٥ .

(*) ابن القرضى : علماء ، رقم ١٦٣٣ .

(+) ابن القرضى : علماء ، رقم ٨٥٥ .

٤٣٨ عبد الله بن محمد بن يحيى التيجي — عبد الله بن إبراهيم الأصيلي — سلمة بن سعيد

وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى التيجي من أهل قرطبة ، يعرف بابن الزيات (٩٢٦/٣١٤ — ١٠٠٠/٣٩٠) ويكنى أبا محمد . [« رحل إلى المشرق رحلتين ، وكان كثير الحديث مسنداً صحيحاً لسباع صدوقاً في روايته ، إلا أن ضبطه لم يكن جيداً ، وكان ضعيف الخط ربما أدخل الهجاء . وكان مصرفاً في التجارة ، كتب الناس عنه كثيراً وحديثاً »] (*) .

وعبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي ، من أهل أصيلة (٩٣٥/٣٢٤ — ١٠٠١/٣٩٢) يكنى أبا محمد . سمع بالأندلس ورحل إلى المشرق ودخل بغداد وسمع على شيوخ شافيين ، [« وتفقه هناك بمالك » ، ثم وصل إلى الأندلس في آخر أيام المستنصر بالله رحمه الله ، فشوّر وقرأ الناس عليه كتاب البخاري رواية أبي زيد المرؤزي وغير ذلك . وكان حرج الصدر ضيق الخلق ، وكان عالماً بالكلام والنظر منسجماً إلى معرفة الحديث وجمع كدابة في اختلاف مالك والشافعي رأي حنيفة سماء كتاب الدلائل على أمهات المسائل »] (١) .

وسلمة بن سعيد بن حفص بن عمر بن برد الأنصاري من أهل استجة . [« سكن قرطبة بمقبرة الكلاعي منها ، يكنى أبا القاسم . رحل إلى المشرق وجمع وأقام بالمشرق ٢٣ سنة » قال ابن أبيض : وكان شافعي المذهب رحمه الله . وقرأت بخط أبي سروان الطنجي ، قال : أخبرني أبو حفص الزمراوي ، قال : ساق سلمة بن سعيد شيخنا من المشرق ١٨ حملاً مشدودة من كتب ، وسافر من استجة إلى المشرق ، واتخذ مصر موئلاً واضطرب في المشرق سنين كثيرة . جدد لجمع [الكتب] في الآفاق — كسب العلم — فلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهض به إلى مصر ثم انزعج بالجميع إلى الأندلس . وكانت في كل فن من العلم ، ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله إلى المشرق »] (٢) .

(*) ابن القرضي : علماء ، رقم ٧٠٠ .

(١) ابن القرضي : علماء ، رقم ٧٠٨ .

(٢) ابن بشكوال : السلة ، رقم ٥٠٨ .

منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالاته ، ويأخذ به نفسه وفخوه ، فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه ، وهو الذى عليه العمل بالأندلس ، وحل السلطان أهل مملكته عليه . وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حاذقاً فيه ، شديد للمارضة ، حاضر الجواب عتيده ، ثابت الحجة ، ذا شارة بحجة ومنظر جميل ، وخلق حميد ، وتواضع لأهل الطلب وانحطاط إليهم وإقبال عليهم» [١٢] .

وفد توقف انتشار المذهب الظاهري أيام النصور بسبب ما تظاهر به من إنكار غير المالكية من المذاهب . ولكن أيام النصور لم تكد تنقضى حتى ظهر المذهب من جديد وانصرف إلى إذاخته في قرطبة أبو الخيار بن مقلت (ف ٦٨) وتلميذه ابن حزم (ف ٧٥) (١٣) .

ف ١٣٠ — تحرير الوثائق والشروط والفرائض (فسم المواريت) :

كان النظام القضائي في الأندلس يترك الناس أحراراً في اختيار من يقوم بتحرير ما يمتاقدون عليه من شروط ، إذ لم يكن للحكومة أصحاب شروط (موقوفون) رسميون ، وكان من نتائج ذلك أن عنى الكثيرون بوضع كتب تهون على الناس أسر العقود وصيغها . وأقدم ما لدينا من المؤلفات في هذا الباب «ديوان» ابن المندى القرطبي ، وهو أحمد بن سعيد الممداني ، يكنى أبا عمر (٩٣٢/٣٢٠ — ١٠٠٨/٣٩٨) وكان تلميذاً لقاسم بن أصبغ وابن مسرة وصديقاً للحكم المستنصر ، وكان متحققاً بالفقه والتاريخ ومتكفلاً من تحرير الوثائق العامة . [قال ابن عفيف : وكان حافظاً للفقه وحافظاً لأخبار أهل الأندلس بصيراً بمقد الوثائق ، وله فيها ديوان كبير نفع الله المسلمين به . قال ابن مفرج : قرأت على

(*) الترى : هج ، ج ٧ ، ص ٢٢٨ . وقد رأيت إثبات هذه الإضافة بين حصرتين ليصل سياق الكلام .

أبى عمر ديوانه فى الوثائق ثلاث سرات ، وأخذته عنه على نحو تأليفه له ، فإنه ألف أولا ديوانا مختصرا من ستة أجزاء قرأتها عليه ، ثم ضاعفه وزاد فيه شروطا وفصولا وتبنيها [ت] قرأت ذلك عليه أيضا ، ثم ألقه ثالثا واحفلا فيه وشحنه بالخبر والحسك والأمثال والنوادر والشعر والمواد ، فأبى الديوان كبيرا . واحترع فى علم الوثائق فنونا وألفاظا ومصولا وأصولا وعقداً عجيبية ، فكسبت ذلك كله وقرأته عليه . وكان طويل اللسان حسن البيان كثير الحديث بصيراً بالحجة ، نذجه انحصوم فيما يحاذونه وبرّده الناس فى مهماتهم ، فيستريحون معه ، ويشاورونه فيما عنّ لهم . وكان وسيما حسن الخلق والخلق . وكان إذا حدث بين وأصاب القول فيه وشرحه بأدب صحيح ولسان مصيغ . وخاصم يوماً عند صاحب الشرطة والصلاة إبراهيم بن محمد الشرفى فبكل وهجز عن حجته ، فقال له الشرفى : ما أعجب أسرك أباعمر ! أنت ذكى لفيرك بكى فى أسرك ! فقال : كذلك يبين الله آياته للناس ، ثم أنشد مثملاً :

ميرت كأتى ذبالة نصبت تضىء للناس وهى تحترق

البيت للمعاس بن الأحنف . . . [*] .

ومن بين من اشتهر بتحرير الشروط والوثائق ابن أبى زئبين وابن المطار (مهمل بن إبراهيم الاستجى المتوفى ٣٨٧ / ٩٩٧) وموسى بن حامد ، لأن عبد الواحد الفهرى المتوفى سنة ٤٦١ / ١٠٦٩ يقول إنه نظر إلى مؤلفاتهم فى هذا الباب عندما ألف « ديوان » وثائمه الذى أبقى عليه الزمان ووصل إلى أيدينا ، (محفوظ لدى مجلس تشجيع الدراسات فى مدريد) (*) (١٣) . وعبد الواحد هذا من البُنت بكورة بلسية ، وكان فقيهاً نابهاً منحققاً بالشروط عارفاً بطرقها وعلمها ، وكنابه يعرض علينا كل صيغ العقود التى كان يستعملها أصحاب الوثائق والشروط

(*) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ١٩ .

La Junta de Ampliación de Estudios, Madrid. (*)

ومن الشافعيين الأندلسيين كذلك ابن حزم القرطبي ، الذي ذكرنا فيما سلف (بقرة ٦٨) أنه كان شافعياً فترة من حياته .

ف ١٢٩ — فقهاء المذهب الظاهري :

كان أول من نشر مبادئ مذهب أهل الظاهر في الأندلس عبد الله بن محمد ابن قاسم بن هلال (المتوفى سنة ٢٧٢/٨٨٥ — ٨٨٦) . وكان من أوائل الظاهر بين عامة ، إذ أن للمذهب ظهر في منتصف القرن الثالث الهجري ، وكان مالسكيا ولكنه تقلد على داود الأصفهاني منشي مذهب الظاهر ونسخ كتبه بخطه وأقبل بها إلى الأندلس . وكان ابن قاسم إلى جانب ذلك من العارفين بمذهب الشافعي ، ولكنه انصرف إلى مذهب داود واجتهد في نشره . ويبدو أنه لم يوفق فيما رى إليه ، لأننا نجد تلميذه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ (ف ١١٩) من أهل الحديث لا من الفقهاء^(١) .

أما أول ظاهري منافع في سبيل المذهب من أهل الأندلس فهو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن البلوطي (٢٧٢/٨٨٦ — ٣٥٥/٩٦٦) ، وأصله من فخص البلوط (اليوم : كامبودي كالارافا Campo de Calatrava = لفص قلعة رباح) . رحل منذر إلى المشرق ودرس على شيوخه : [سمع بمكة محمد ابن المنذر النيسابوري ، سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى « بالإشراف » ، وروى بمصر كتاب المين للخليل عن أبي العباس بن ولاد ، وروى عن أبي جعفر النحاس »]^(*) ، وعندما عاد إلى بلده أنكر تقليد المالكيين [قال ابن الفرضي : « وكان مذهبه في فقهه مذهب النظر والاحتجاج وترك التقليد ، وكان عالماً باختلاف العلماء ، وكان يعيل إلى رأى داود بن خلف العباسي ويحتج له »] ، واجتهد في إذاعة مبدأ دراسة الأصول في حرية — وهو

(*) ابن الفرضي : علماء ، رقم ١٤٥٢ : مرقى : فتح — طبعة محي الدين ، ٢٠٠ ،

الذي قال به داود — واستطاع رغم ذلك أن يلى قضاء لاردة وطرطوشة (*) . ثم سمحت له فرصة طيبة نهضت بشأنه ، وذلك عندما وفدت على بلاط الناصر سفارة بيزنطة ، فهد إلى ابنه الحَكَم في اختيار من يقوم بالرد على السفير البيزنطي ، « فتقدم الحَكَم إلى أبي على البندادي (القالي) — ضيف الخليفة وأمير الكلام وجر اللغة — أن يقوم ، قدام وجه الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ، وبهت فما وصل ولا قطع ، ووفى ساكناً مفكراً . فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائماً بدرجة من سرقة أبي على ، ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالةً وملأ الأسماع جلالةً ، ثم ذكر الخطبة كما سبق . وقال (ابن سعيد) بعد إيرادها ما صورته : فصلب العاج وغلب على قلبه ، وقال : هذا كبير القوم ، أو كبش القوم . وخرج والناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه وبلاغة لسانه . وكان الناصر أشدهم تعجباً منه ، وأقبل على ابنه الحَكَم — ولم يكن يثبت معرفته — فسأله عنه فقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطي ، فقال : « والله لقد أحسن ما شاء ، ولئن أخرجني الله بعد لأرضن من ذكره ، فضع يدك يا حَكَم عليه واستخلصه وذكري بشأنه ، فما للصيغة مذهب عنه » . ثم ولأه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولأه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء » (٥) .

[قال القرى في النفع : « وكان منذر متفناً في ضروب العلوم ، وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصمغاني المعروف بالظاهري ، فكان

(*) كذا في الأصل ، وعند ابن القرى : « وولى قضاء مدينة ماردة وما والاها من مدن الجوف ، ثم ولى قضاء الثغور العفرية » . واستبدال ماردة بلاردة من رأى آسين .

CI : Asin Palacios, *Abenlázam*, I, p. 133y nota 1.

(٥) ابن سعيد : الغرب ، برواية القرى ، فتح ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ . والقرى يشرح في كلامه إلى من خطاب منذر ، وقد ذكره قبل ذلك (نفس الجزء ، ص ٣٤٥ — ٣٤٨) .

في قرطبة . أما طرق أهل طليطلة في تحرير وثائقهم فنجدها في الكتاب المسمى « الوثائق المستعملة » لأبي جعفر أحمد بن محمد بن منيث الطليطلي المتوفى سنة ٤٩١ / ١٠٦٩ ، (مخطوط بمكتبة الجمع التاريخي الإسباني ، مجموعة جايا نجوس رقم ٤٩) ، بينما كان الناس في الجزيرة الخضراء وما يصاحبها يتبعون نماذج الوثائق والشروط التي أوردها علي بن القاسم الصنهاجي المتوفى سنة ٥٨٤ / ١١٨٩ في « ديوانه » . وكان علي بن القاسم أول أسره فيها نابها وموثقا ضليماً ، ثم ولي قضاء بلده . ومجموعته بين أيدينا الآن ، مخطوطة في مكتبة مجلس تشجيع الدراسات في مدريد ^(١١) . والقيمة التاريخية لهذه المجموعات من الوثائق عظيمة ، وذلك يتجلى لنا من المعلومات القيمة التي استخرجها منها خايان ريبيرا في دراسته لأجناس الناس ولغاتهم في الأندلس الإسلامي .

وكان قسم الموارث ناحية من أعقد نواحي التشريع الإسلامي ، وذلك بسبب اختلاف حصص الميراث التي تخصص كلاً من الورثة ، هذا إلى تقلقل تكوين الأسرة ، مما كان يجعل التقسيم بين ورثة كثيرين أسراً عسيراً . وقد عني الأندلسيون بوضع مؤلفات في القرائض (قسم الموارث) تقوم على معرفة بأصول الشريعة والحساب . ومن المؤلفات في هذا الباب كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي ، ومن بين مؤلفات المستعجمين التي عثرنا عليها رسالة هامة عن « قسم الموارث بين المسلمين على مذهب مالك » ، (وقد نشرها سانشيد بيريد في عام ١٩١٤) ^(١٥) .

التفصيل الحادى عشر

الرياضيات والفلك

- ف ١٣١ — أصول الدراسات الرياضية والفلسفية فى الأندلس .
- ف ١٣٢ — مسألة الجبريطى ، إقليدس الأندلس .
- ف ١٣٣ — الزرقالى ، بنو هود أصحاب سرقسطة .
- ف ١٣٤ — جابر بن أفلح ، البطروجى ، الرقوطى ، الفلمانى .

ف ١٣١ - أصول الدراسات الرياضية والفلكية في الأندلس :

كان تشدد فقهاء الأندلس مانعا كذلك - أول الأمر - من نهوض العلوم الرياضية عما فيها الفلك . وكان الفقهاء يتجاوزون عن الحساب و يبيحون الاشتغال به فيما يتصل بالعمليات التطبيقية المعقدة المتعلقة بقسم المواريث . وأما الفلك فقد قدر له - كما يقول الأستاذ ريبيرا - « أن يخضع لما كان جاريا من أساليب النع والتحریم ، التي كانت تصل في بعض الأحيان إلى الاضطهاد الباع القسوة . وقد عبرت بهذا العلم في الأندلس فترات لم يكن يسمح للناس خلالها بأن يعرفوا منه إلا ما لا بد منه لتحديد اتجاه قبلات المساجد ، وتعيين مواعيد الليل والنهار على مدار العام لتعرف أوقات الصلوات ، والاستيثاق من مواعيد الأهلة ؛ فإذا تجاوز الإنسان هذه المطالب من هذا العلم فقد غرر بنفسه .

» ونتيجة لهذا كان الناس يرمون بالزندقة كل من نجش السير في أوطار هذا الطريق ، ومع هذا فقد كان جمهور الناس يتجاوزون عن المنجمين والمرايين ومن يستخرجون التآل والتنبئين والسحرة وصناع الأحجية والطلاسم ، وأما الفلك فقد كان محرما مع أنه أقرب إلى العلم والعقل ^(١) . ولهذا السبب فقد ندر اشتغال الناس بالرياضيات في الأندلس - فيما خلا أفراد متفرقين - حتى زمان عبد الرحمن الناصر .

ثم ظهر أحمد بن نصر المتوفى سنة ٩٤٤/٣٣٢ واشتهر أمره بكتابه عن « المساحة المجهولة » ^(٢) وظهر كذلك مسلمة بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله ابن حاتم (٩٠٤/٢٩٣ - ٩٦٤/٣٥٣) من أهل قرطبة ، وقد انصرف إلى دراسة

(١) ابن حزم : رسالة في فضل الأندلس ، مرقى ، فتح الطيب ، طبعي المزين ، ٤٠٠ ،

الفلك والنجوم والكيمياء وعلوم الغيب ففسبه الناس — لهذا — إلى السحر .
[وقال في حقه ابن القزويني : « سمعت من ينسبه إلى الكذب ، وسألت محمد
ابن أحمد بن يحيى القاضي عنه فقال لي : لم يكن كذاباً ولا كاذباً (كذا) كان
ضعيف العقل . وكان مسلة صاحب رُقًا ونيرنجيات »]^(*) .

ف ١٣٢ — مسلة الجريطي ، إقليدس الأندلس :

كان من نتائج سياسة التسامح ورعاية الثقافة التي بدأها الحكم المستنصر ،
أن ظهرت المدارس واجتمع المشتغلون بكل علم من العلوم بعضهم إلى بعض .
وكان الحكم نفسه من المشغوفين بالدراسة ، وكان يحيط نفسه بالطماء . وقد جمع
في القصر مكتبة عظيمة زاخرة ، واجتهد في الحصول على كتب علوم الإغريق ،
وأباح لأهل الرياضة والفلك تماطى فنونهم وتدريسها لجمهور الناس . ومن ثم
ظهرت إلى الوجود فيما بعد مدرسة الرياض الفلكي المشهور « مسلة الجريطي »^(٢)
المتوفى سنة ١٠٠٤/٣٩٤ . ومن بين مآثر كتبه « رسالة الاسطرلاب »^(٣)
و « ثمار علم العدد »^(٤) وملخص لزيج البتاني سماه « تعديل الكواكب »^(٥) ،
« رعي زييج محمد بن موسى الخوارزمي ، وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي ،
ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة ، وزاد فيه جداول حسنة . على
أنه اتبعه إلى خطته فيه ، ولم ينتبه إلى مواضع الفلأط منه ، وقد نهت على ذلك
في كتابي المؤلف في « إصلاح حركات الكواكب والتعريف بخطأ الراصدين » .
وتوفي أبو القاسم مسلة بن أحمد قبيل منبث الفتنة في سنة ٣٩٨ وقد أنجب
تلاميذ جلة ولم ينجب عالم بالأندلس مثلهم »^(٦) . وله ترجمة لكتاب « قبة
العقل Planisphaerium » لبطليموس ، وقد نشرت ترجمته اللاتينية في بأزل

(*) ابن القزويني : علماء ، رقم ١٤٢١ .

(٢) مساعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ط السعادة ، القاهرة ، ص ١٠٧ .

(سويسرا) سنة ١٥٣٦ ، بعنوان :

Sphaerae atque astroium coelestium ratio, natura et motus
 أى « سرعة أملاك السماء ونجومها وطبيعتها وحركتها ». وينسب إليه مؤلف هو أقرب
 إلى كتب الخرافات منه إلى كتب العلم ، يسمى « غاية الحكيم وأحق النتيجتين
 بالقديم » ، ويعرف في الترجمات الإسبانية باسم « پكتاريش Pictarix » (*) .

ومن تلاميذه المذكورين ابن السمع ، أبو القاسم أصبغ بن محمد التهمري^(٨)
 (٩٨٠/٣٦٩ — ١٠٣٤/٤٢٥) من أهل غرناطة ، وكان نابغة ذا عبقرية رياضية
 أصيلة ، أخذ عن مؤلفاته « مَلِكُنَا الْعَالَم » (أفونسو العاشر) . [« كان
 متحققاً بلم العدد والمهندسة ، متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم . وكانت
 له مع ذلك عناية بالطب ، وله تواليف حسنة ، منها : « الدخول إلى المهندسة » في
 تفسير كتاب إقليدس ، ومنها كتاب « تمار العدد » المعروف « بالمعاملات » ،
 ومنها كتاب « طبيعة العدد » تقصى فيه أجزاء من الخط المستقيم والقوس والمنحني ،
 ومنها كتاباه في الآلة السبابة بالإسطرلاب ، أحدهما في التعريف بصورة صنعتهما وهو
 مرتب على مائتين ، والآخر في العمل بها والتعريف بجوامع ثمارها ، وهو مقسم
 على مائة وثلاثين باباً . ومنها زيج الفلكي ألفه على أحد مذاهب الهند المعروف
 « بالسند هند » ، وهو كتاب كبير مقسم على جزئين ، أحدهما في الجداول والآخر في
 رسائل الجداول . وأخبرني عنه تلميذه أبو مروان سليمان بن محمد بن عيسى النابهي
 المهندس أنه توفي بمدينة غرناطة ، قاعدة الأمير حكيوس بن ماكسن بن مناد
 الصنهاجي ، ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة
 وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية (٢٩ مايو ١٠٣٥)]^{(٩)(١٠)} .

(*) بكتريش تحريف لبراطيش وهو أبقراط :

Cf : Brock O. A. L. Sup. I, p. 431.

(*) صاعد : طبقات الأمم ، ط السعادة ، القاهرة ، م ١٠٧ — ١٠٨ .

R Blachère. Kitab Tabakat al Umam (Paris, 1985) p. 130-131.

(م ٢٩)

ومنهم أحمد بن الصَّغَر ، أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر^(١٠) (٩٨٠ / ١٠٣٤) [« وكان أيضاً متحققا بعمق المدد والمهندسة والتجوم ، وقعد في قرطبة لتعليم ذلك . وله زيج مختصر على مذهب « السند هند » ، وكتاب في العمل بالإسطرلاب ، موجز حسن العبارة قريب المأخذ . وخرج من قرطبة بعد أن مضى حين من الفتنة ، واستقر بمدينة دانية ، قاعدة الأمير مجاهد المأمري من ساحل البحر الأندلسي الشرقي ، وتوفي بها رحمه الله . وقد أنجب من أهل قرطبة تلاميذ جمة سيأتي ذكرهم بعد إن شاء الله تعالى . وكان له أخ يسمى محمداً ، مشهور بعمل الإسطرلاب ، لم يكن بالأندلس قبله أجل صنفاً لما منه »]^(١١) .

وقد اضطلع للنبور الفلسفة وأصحابها « تحبباً إلى عوام الأندلس »^(١٢) ، ولم يستثن من فروعها إلا الحساب والطلب . وقد هاجر من الأندلس — لهذا السبب — نفر من أهل الرياضة ، منهم عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإنليدي ، وكان مهندساً ذا شهرة . [وقد قال عنه صاعد : « كان مقدما في علم الهندسة ، متنيا بصناعة المنطق ، وله تأليف مشهور في اختصار الكتب النائية المنطقية . أخبرني عنه ابن أخيه أبو العباس أحمد بن أبي حاتم بن عبد . . . بن هرثة بن ذكوان أنه رحل إلى الشرق في أيام الحاجب للنصور بن أبي عامر ، وتوفي هناك . أبوه إسماعيل بن زيد أحد وجوه قرطبة المتقدمين في الشعر والعربية ، وولى أحكام السوق بها في أيام الخليفة الحكم ، رحمه الله »]^(١٣) .

ف ١٣٣ — الزرقل ، بنو هود أصحاب سرفطة :

شملت الأندلس خلال عصر الطوائف — أي خلال القرن الحادي عشر

(١٠) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٠٨ — ١٠٩ . وقد أورد المؤلف بضع فقرات من كلام صاعد فأتيت به على تواليه .
(١١) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٠٣ .
(١٢) صاعد : طبقات ، ص ١٠٦ . والبراهم الوارد في النص موجود في الأصل ، وقد راجعته على ترجمة رجب بن بلاشير للتأكد .

الميلادي (الخامس المجري) — روح تسامح على عظيم^(١٢)] قال صاعد :
 « لم تزل الرغبة ترتفع من حين في طلب العلم القديم شيئا فشيئا ، وتواعد الطوائف
 نستمر قايلا قليلا ، إلى وقتنا هذا . فالحال — محمد الله — أفضل مما كانت بالأندلس
 في إباحة تلك العلوم والإعراض عن تهجير طلبها ، إلى أن زهد الملوك في هذه
 العلوم وغيرها » [*] . وقد ظهر في ميدان الفلك ابن برغوث ، محمد بن عمر بن
 محمد (٤٤٣ / ١٠٥٢) الذي تخرجت على يديه طائفة زاهرة من الرياضيين ، وظهر
 في طليطلة فيما بين سنتي ٤٥٢ / ١٠٦١ و ٤٧٢ / ١٠٨٠ أبو إبراهيم بن يحيى النقاش
 الزرقالي القرطبي^(١٣) ، ويقول في حقه سانشد بيريد : « إنه يعتبر أعظم أهل
 الفلك من العرب ، وهو من طبقة أكابر علماء هذا الفن في المصور القديمة ،
 بسبب طول ممارسته له واستقامة منهجه فيما يديه من ملاحظات استخرجها من
 تجاربه المباشرة » . وقد وضع جداول فلسكية ، وركب اسطولا بآ ، واخترع
 أجهزة دقيقة « كالزرقالية » و « الصفيحة » (وتسمى في الغرب asafea) ،
 وابتكر في الفلك نظريات جديدة هامة عن الكواكب السيارة^(١٤) والحركات
 الدائرية للنجوم . ولكن معاصريه من العلماء تعصبوا عليه بسبب ما جبلوا عليه
 من تعصب في مسائل العلم ، وأبوا أن يقبلوا منه ما قاله معارضة لما ذكره بطليموس

(*) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٠٤ . وقد أضفت هذه الفقرة لأن التمهيد لما بهدما
 يفتضى ذلك .

(*) في الأصل :

tratado relativo al movimiento de las estrellas fijas

وقد ضاع الأصل العربي للكتاب ، ولا توجد إلا ترجمة عبرية له . ولكن ملباس
 قاليكروما وجد قطعا منه في بعض النسخات العربية ، وقد أوردت بين ذلك في المادة الخامسة
 بالزرقالي في الصلقات . وفي إحدى هذه النسخ يقول الزرقالي : « ... أعلم أنه لما كان
 الفلك أرفع المحسوسات شأنا وأوسعها مكانا ، وأعظمها على الحوادث سلطانا ، سلو من الحق
 الواجب أن يبادر إلى البحث عن أصول الكواكب السيارة ... » ، ولهذا ترجمت *estrellas fijas*
 هنا بالكواكب السيارة .

Cf : Millas Vallicrosa, Estudios sobre Azraqiel (Madrid-Granada, 1943-1950)
 p. 480.

في المجسطي (الكتاب الجليل) . ولكن ألقونسو العاشر وعلماء في الفلك استعملوا مؤلفات إزراقيل ، ومن أمثلة ذلك « كتاب الأفق » أو « كتاب أفق الدنيا » (*) و « رسالة في العمل بالصفحة » و « طريقة عمل اسطرلاب لرصد الكواكب السبعة وأفلأكها » (١١) .

[وإليك نموذجاً من كتابة الزرقالي ، وهو قائمة رسالته في العمل بالصفحة :
 « . . . أما بعد حمد الله الذي لا يحاط بمعلوماته ، ولا يُدرك كنه ذاته ،
 فإنني رأيت الناس ، في القديم والحديث ، قد أعدوا آلات علمية لمعرفة الأوقات ،
 واختلاف الليل والنهار ، في الطول والقصر ، على كل أفق من الآفاق ، وسائر
 ما يتصل بهذا : منها ظليّة ومنها شعاعية . والظليّة على ضروب : منها ما هي
 موضوعة للظل المبسوط ، كالرخامات المسطحة التي لأنمر سطوحها بسمت الرأس ،
 ومنها أسطوانية أو مخروطية كيفما عمل على وضعها . والشعاعية ما كان فيها أو في
 أحد عضايدها ثقبان ، يدخل عليهما الشعاع أو يُنظر بهما إلى جرم الكوكب .
 فمنها أرباع الدوائر ، ومنها الكرة ، ومنها الاسطرلاب ، ومنها الحلقة والحلق ،
 ومنها المضايّد ؛ وهذه هي الآلة التي استعملت في القياسات أكثر من غيرها .
 فأما آلات الظلال فهي ناقصة جداً ، لأن كل واحد منها إنما ينفع به بالنهار
 فقط . وأما الحلقة والمضايّد وأرباع الدوائر فأكثر ما هي مستعملة في معرفة
 الارتفاع والظل ، وأما الحلق فقلّ ما تستعمل إلا في معرفة مواضع الكواكب
 من البروج في الطول والعرض ، وهي صعبة جداً . وأما الكرة فهي نافعة في
 الوقت على تعبير وضع فلك البروج على الآفاق ، وأحوال المطالع والمغرب ،

(*) العنوان الكامل لهذا الكتاب في ترجمته الإسبانية القديمة هو :

El libro del orizon o de la lamina universal.

وقد ضاع أصله العربي ، وأثبت ملياس فالبيكروا أن الأصل العربي لى به خف لا لزرقالي .

Cf : Millas Vallicrosa, op. cit. p. 21

وانظر مادة الزرقالي في تعليقاتنا .

وتوسط السماء ، وأعظم قسى الكواكب التى فوق الأرض وأصغرهما ، وكذلك أجزاء البروج . وأما الاسطرلاب فهو من أحسن الآلات المستعملة ، والأعمال به سهلة [على ١] بليلة ، إلا أنه [] لجميع العروض . وقد جعل فيه عروض السبعة الأقاليم ، فإذا كان العرض الذى يعمل عليه بين إقليمين من السبعة ، ذكر فيه وجه العمل لذلك العرض من أجل التفاضل ، وليس ذلك بصحيح ، بل قد يلزم فيه فى بعض المداير والأقاليم تفاوت كثير وبعيد عن الصواب ، ولو عمل بوجه يقرب أن يخرج به لطال العمل وقات وقت الحاجة إليه . فلما كان ذلك على ما وصفت ، رأيت أن أرسم صفيحة واحدة رسومها مشتركة ، لمعرفة جميع تلك العروض فى كل أفق ، لكى إذا عُدِم واعتاض لإخراج شئ من تلك المطلوبات ، عُلِمَ ذلك المطلوب بهذه الصفيحة وكان ما يخرج بها إلى العمل صحيحاً . ومن أجل أن رسومها معدة للعمل فى أى عرض اتفق ، صار من الاسطرلاب أن لا يوصل إلى علم ما هى معدة له إلا بعد علم ما ترتب قبله فيها ، إما منها وإما من غيرها . ولذلك قلّ ما يخرج منها مطلوبات كثيرة معاً بعمل واحد ، كما هو ذلك فى الاسطرلاب . على أن أكثر وجوه الأعمال بها سهلة ، وربما كان بعضها فى العمل أسهل من غيرها من الآلات ، وهى مع ذلك معدة لوجدان الحركات السماوية السريعة والبطيئة ، والأحوال العارضة ، بإضافة بعض مواضع الأرض إلى السماء وإلى حركتها . ونحن نرى أنها قد استوفت جميع ما يحتاج إليه من الأعداد المرسومة والموضوعة ، وهى على ضربين : كاملة حافلة بالتخطيط والرسوم ، ومختصرة . والكلام فى هذه الرسالة على المختصرة ، وهى تشتمل من أبواب العمل بها على ما لا بد منه ، على ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى [٢] (*) .

وظهر فى بلاط بنى هود فى سرقسطة أبو عثمان سعيد بن محمد بن البُنُونِش ، وقد حظى عند يحيى اللأمون أميرها بمكان عظيم . وكان ابن البُنُونِش فيلسوفاً

رياضيا ، وكان تلميذاً لمسلة الجريطي وابن جليل ، وقد انصرف إلى دراسة الطب في أخريات أيامه ، [وقد قال عنه صاعد الأندلسي : « وقد كان بعد هؤلاء إلى وقتنا هذا جماعة من أشهرهم أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش ، وكان من أهل طليطلة ثم رحل إلى قرطبة لطلب العلم بها ، فأخذ عن مسلمة بن أحمد علم المدد والمهندسة ، وعن محمد بن عبدون الجبلي وسليمان بن جليل وابن الشَّاعة ونظرائهم علم الطب ، ثم انصرف إلى طليطلة واتصل بأمرها الظاهر إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عاصر بن مطرف بن ذى النون وحظي عنده ، وكان أحد مدبري دولته . ولقيته فيها بعد ذلك صدرَ دولة المأمون ذى الجذع بن يحيى ابن الظاهر بن إسماعيل بن ذى النون ، وقد ترك قراءة العلم وأقبل على قراءة القرآن ولزوم داره والانقباض عن الناس ، فلقيت منه رجلاً عاقلاً جميل الذكر والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب ذا كتب جليلة في أنواع الفلسفة وضروب الحكمة . وتبينت منه أنه قد قرأ المهندسة وفهمها ، والنطق وضبط كثيراً منه ، ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجهتها وتناولها بتصحيحه ومعاتاته ، فحصل [له] بتلك العناية فهم كثير منها . ولم يكن له دربة في علاج المرض ولا طبيلة نافذة في فهم الأمراض . وتوفي عند صلاة الصبح يوم الثلاثاء من أول يوم رجب سنة ٤٤٤ (٢٧ أكتوبر ١٠٥٦) وكان إذ توفي سنه خمس وسبعين سنة] (*) (١٥) .

وكان الفقيه بالله بن هود (١٠٤٧/٤٣٨ — ١٠٨١/٤٧٣) وابنه يوسف المؤتمن (١٠٨١/٤٧٣ — ١٠٨٥/٤٧٧) أميراً سرقسطة من أكبر المنين بالعلوم المشاركين فيها . فأما أولهما — الفقيه — فقد تاملت الفلسفة والرياضيات والفلك ، وألف الثاني — المؤتمن — « كتاب الاستكمال » في الفلك . وقد درسه موسى ابن ميمون ووضع له شرحاً ، وقال إنه جدير بأن يدرس بنفس العناية التي تدرس

(*) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٢٧ — ١٢٨ . وقد نقل هذه الفقرة ابن أبي أصيبعة .

بها كتابات إقليدس وكتاب المجسطى لبطليموس^(١٦).

وقد أسهم الكرماني ، أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي (٤٥٨/ ١٠٦٦) بنصيب كبير في ذلك الإزهار الأدبي العلمي الذي اشتهر به بلاط بني هود في سرقسطة . وكان الكرماني تلميذاً لمسلمة الجرجي ، وكان من العاملين على نشر رسائل إخوان الصفاء في الأندلس ، [وقال عنه صاعد : « ... من أهل قرطبة . أحد الراسخين في علم العدد والهندسة . أخبرني عنه تلميذه الحسين بن أحمد بن الحسين بن يحيى المهندس المنعم أنه ما لقي أحداً يجاريه في علم الهندسة ، ولا يشق فباره في فك غامضها وتبيين مشكلها واستيفاء أجزائها . ورحل إلى ديار المشرق وانتهى منها إلى حران من بلاد الجزيرة ، وغنى هناك بعلم الهندسة والطب ثم رجع إلى بلاد الأندلس ، واستوطن مدينة سرقسطة من ثمرها ، وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفاء ، لا نعلم أحداً أدخلها الأندلس قبله ، وله عناية بالطب وتجربات فاضلة فيه ، ونفوذ مشهور في السكى والقطع والشق والبطن(*) وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية . ولم يكن بصديراً بعلم النجوم التلميمي(**) ولا بصناعة المنطق . أخبرني عنه بذلك أبو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى الإسرائيلي ، وكان خبيراً به . وعلمه من العلوم النظرية الحل الذي لا يجارى فيه بالأندلس ، وتوفي أبو الحكم رحمه الله بسرقسطة سنة ٤٨٥ (١٠٩٢) وهو قد بلغ تسعين سنة أو جاوزها بقليل »]^{(١٧)(+)}.

ف ١٣٤ — جابر بن أفلح ، البطروجي ، الرقولي ، الفلصاري :

وظهر في الأندلس من الرياضيين والفلكيين في القرن الثاني عشر الميلادي

(*) المراد هنا البتر والاستعمال ، وقد ترجمها بلاشير ablation .

(*) ترجم بلاشير هذا الاصطلاح L'Astronomie mathématique .

Cf : R. Blachère, op. cit. p. 132

(+) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

ابن مسعود (١١٣٢/٥٢٦) من أهل إشبيلية وكان فلكياً وله رسالة في حساب
الثلاثاء. وظهر كذلك ابن سهل الضرير، من أهل غرناطة وكان رياضياً نابهاً
وله إلى ذلك عناية بالكيمياء واختصاص في الحيل (١٠٩٦/٤٨٩ — ٥٧٠/
١١٧٥) وكان الكثيرون من نصارى طليطلة ويهودها يفدون عليه في « بياسة »
ليأخذوا منه الرياضة^(١٨).

وفي نفس العصر (القرن الثاني عشر الميلادي) ظهر جابر بن أفلح الإشبيلي^(١٩)
واشتهر أمره، وينسب الناس إليه اختراع علم الجبر (بسبب تشابه اسمه واسم هذا
العلم)، وكان متحققاً بكتب مينلاؤس وثيودوسئوس وأوتوليكموس وأريستارخوس
وهيبسكيليس وهيتازكوس وغيرهم. وقد أراد أن يتحقق من علامات تغير
الفصول ومنازل الشمس، فقام بتجارب ودراسات خرج منها بملاحظات وآراء
شخصية أثبتتها في مؤلفه « كتاب الفلك » وكتاب في علم النجوم يسمى « كتاب
المهية » أو « إصلاح الجسطى »، وقد ترجمه جيراردو الكريموني (ويوجد
مخطوطه بمكتبة الإسكندرية). ووضع قبل ذلك رسالة في « حساب الثلاثاء »
عرض فيها صيغه بطريقة مبتكرة^(٢٠).

ومن علماء الأندلس الذين كان لهم أثر عظيم في الفكر الغربي أبو إسحاق
نور الدين البطرّوجي^(٢١) الذي يسمى في الغرب بالـ *Alpetragio*، وكان
من أهل النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، وقد ابتدع نظرية جديدة
في حركات النجوم ترجعها إلى المعربة موسى بن طيغثون في عام ١٢٥٩/٦٥٧،
ثم نقلها إلى اللاتينية فالينيموس بن داود سنة ١٥٢٩/٩٣٥، وطبع في البندقية بعد
ذلك بستين. وقد ذهب مننذ إلى بلايو إلى أن أجل خدماته للعلم أنه نقض
نظرية بطليموس عن العالم من أساسها، وعارضه في أحسن آرائه كقوله بالحركة
البيضاوية للكواكب ودورانها حول الشمس وحركات الأفلاك المتعاقبة^(٢٢).

ويعد يحيى بن إسماعيل اللياسي (من أهل القرن الثاني عشر الميلادي) من أشهر صنّاع الآلات الجغرافية وكان طليياً لصلاح الدين^(٢٣).

ونذكر ممن ظهر في الأندلس خلال القرن الثالث عشر الميلادي — أي في عصر تغلب سلطان الإسلام من الجزيرة تغلباً سريعاً — ابن التبتاء الغرناطي، أبا المباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي^(٢٤). وقد ولد في صرا كش عام ٦٥٣/١٢٥٦، وكان فيلسوفاً لغويًا صوفيًا رياضيًا، وله في الحساب والجبر الرسالة للسماة « بالتحليص في أعمال الحساب »، وهو معتمد الطلاب في مدرسة جامع فاس في هذين العامين منذ ألف إلى يومنا هذا^(٢٥).

ومن القاهين في الرياضيات والحساب من أهل القرن الثالث عشر الميلادي أبو بكر محمد بن أحمد الرقوطي من أهل رقطة (من أعمال مرسية)، وقد رأس أول مدرسة إسلامية أنشأها ألفونسو العاشر في مرسية (سنة ٦٦٧/١٢٦٩)، وتوافد على تلك المدرسة طلاب المسلمين والنصارى واليهود ليدرسوا على يديه. ثم رحل إلى غرناطة ودخل في خدمة سلطانها محمد بن يوسف بن الأحمر، فأنشأ له مدرسة تولى تدريس الرياضيات وغيرها من العلوم فيها حتى وفاته سنة ٧٤٤/١٣٤٤^(٢٦).

ومنهم كذلك ابن الشَّاط السرقسطي (من أهل القرن الثالث عشر) وكان من أجل من ظهر في إقليم أرغون من الرياضيين والفلكيين؛ وابن أبي شاكر (من أهل القرن الثالث عشر) وكان مهندساً فلكياً هاجر إلى الشام وأقام فيه، وكان كذلك من أكثر الناس اهتماماً بعلوم اليونان؛ وابن الزَّكَّان الأوسي (سنة ٧١٤/١٣١٥) وقد ولد في مرسية وسكن غرناطة وأدرك شهرة عظيمة إذ لم يكن له ضريب في الرياضيات؛ ومحمد بن سودة، وأصل بيته من المريّة وكان رياضياً جليلاً^(٢٧). بل ظهر في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي القلصدي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي، من أهل بسطة، وقد درس في غرناطة ثم رحل في طلب العلم إلى تلمسان وتونس ورحل إلى الشرق ثم عاد إلى الأندلس

وأقام فى غرناطة ولم يبرحها إلا قبيل سقوطها، فضى ينتقل فى بلاد المغرب حتى توفى فى بجاية فى منتصف ذى الحجة سنة ٨٩١/ ديسمبر ١٤٨٦. وهو آخر العظماء من رياضى المسلمين الأندلسيين، ولا زالت كتبه تتدارس إلى اليوم فى جامعة فاس وأهمها « كشف الجلباب عن علم الحساب » و « كشف الأسرار — أو الأستار — عن علم وضع حروف الجُبَّار » وغيرها (٢٨).

ولم يصل إلينا من أخبار أعلام الرياضة الأندلسيين الذين ظهروا فى القرن السادس عشر الميلادى إلا ما يتصل بإبراهيم بن محمد المغربى (توفى فيما بين سنتى ٩٨٨ و ١٥٨١/١٥٠٨ و ١٦٠٠) وله رسالة فى الفلك وأخرى فى السكسوف والخسوف (لا زالت مخطوطة بمكتبة لايدن).

أما للوريسكيون فلم يمارسوا من الرياضيات إلا ما يستعمل فى قسم الموارىث، كما تدل على ذلك بضع مخطوطات نشرها سانشيد بيريد، وإنما كانت عنايتهم عظيمة بالطلاسم والتأمم والصيغ ذات القمل السحرى؛ وقد بقى الكثير مما ألفوه فى هذه الأبواب فى مراكش (٢٩) (٣).

(*) انظر :

José A. Sánchez Pérez, Partición de Herencias entre los Musulmanes del Rito Maléqui (Madrid, 1914)

الفصل الثاني عشر

الطب والنبات

- ف ١٣٥ — أوائل الأطباء .
- ف ١٣٦ — كتاب ديسقوريدوس في الأدوية .
- ف ١٣٧ — أبو القاسم الزهراوى . ابن رشد .
- ف ١٣٨ — ابن رشد . بنو زهر . ابن الموام .
- ف ١٣٩ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الفلقى .
- ف ١٤٠ — ابن البيطار .

ف ١٣٥ — أوائل الأطباء .

أزهر علم الطب إزهاراً عظيماً بين مسلمي الأندلس . ويحدثنا المؤرخون أن
يونس بن أحمد الحراني^(١) وفد على الأندلس من المشرق في إمارة محمد بن
عبد الرحمن (٨٥٢/٢٣٧ — ٨٨٦/٢٧٢) واستقر هناك ؛ وأن عمر بن حفص
ابن برتنق درس في القيروان على ابن الجزار — أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي
خالد القيرواني^(٢) — (في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي) ، وأخذ
عنه كتاب « زاد المسافر » (في علاج الأمراض) ، وهو كتابه الرئيسي ، وهو
الذي أدخله إلى الأندلس^(٣) . ومن أطباء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق محمد
ابن عبدون الجبلي ، [رحل إلى المشرق سنة ٩٥٨/٣٤٧ ، ودخل البصرة
ومصر ودبر مارستانيهما ، وتمهر في الطب ونُبل فيه وأحكم كثيراً من أصوله .
وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة . وكان شيخه فيها أبا سليمان محمد بن طاهر بن
بهرام السجستاني البغدادي ، ثم رجع إلى الأندلس سنة ٩٧١/٣٦٠ فخدم للمستنصر
بالله والمؤيد بالله في الطب . وكان — قبل أن يتطلب — مؤدباً في الحساب
والهندسة ، وله في التفسير كتاب حسن]^(٤) . ومنهم كذلك الكرماني ،
أبو الحكم حمرون بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي .

ومن النباتيين الذين نذكركم الكتب حديد بن أبان^(٥) ، [« وكان في أيام
الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وكان طبيباً حاذقاً مجرباً ، وكان صهر بني خالد ، وله
بقرطبة أصول ومكاسب . وكان لا يركب الدواب إلا من نتاجه ، ولا يأكل

(*) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

(**) : : : : : ج ٢ ، ص ٤٥ .

(†) مساعد : طبقات الأمم ، ط . المطبعة ، ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(□) في الأصل حديس ، والتصحيح من ابن أبي أصيبعة . انظر : طبقات الأطباء ،

ج ٢ ، ص ٤٢ .

إلا من زرعه ، ولا يلبس إلا من كتان ضيقه ، ولا يستخدم إلا ينلاده من أبناء عبيده » [(*) (٣)] ؛ وحواد الطيب النصراني (٨٢٢/٢٠٧ — ٢٧٢/ ٨٨٦) ، [« وكان في أيام الأمير محمد ، وله العمود المنسوب إلى جواد ، وله « دواء الراغب » والشرابات والسفوفات المنسوبة إليه وإلى حدين وبني حدين ، كلها شجارية »] (†) (٤) ؛ وخالد بن يزيد بن رومان النصراني ، [« كان بارعاً في الطب فاهضاً في زمانه فيه . وكان بقرطبة ، وسكنه عند « بيعة سبت أجلتج » . وكانت داره للمروفة بدار ابن الشطنجيري الشاعر ، وكسب بالطب مهلتاً جليلاً من الأموال والمقام ، وكان صانعاً بيده ، عالماً بالأدوية الشجارية . وظهرت منه في البلد منافع . وكتب إليه نسطاس بين جريج الطيب المصري رسالة في البول . وأعقب خالد ابناً سماه يزيد ، ولم يبرع في الطب براعة أبيه »] (†) (٥) . وكان سميد بن عبدربه — ابن أخى أحمد بن محمد بن عبدربه صاحب « القند » — طبيباً ذا شهرة ، قال عنه صاعد : « كان طبيباً نبيلاً وشاعراً محسناً . وله في الطب رجز جليل محتوي على جملة حسنة منه ، دل به على تمكنه في العلم وتحقيقه بمذاهب القدماء . وكان له مع ذلك بصر بحركات الكواكب وهبوب الرياح وتغيير الأهوية ... » [(□) (٦)] .

ف ١٣٦ — كتاب ديمسغور يريس في الأورلس :

في سنة ٩٤٨/٣٣٧ — ٩٤٩ أرسل إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع — المعروف بپورفيروجينيت ، أى لابس الأرجوان (٧) — سفارة إلى عبد الرحمن الناصر . وكان من بين ما حمله الرسل من الهدايا نسخة مكتوبة بالإغريقية من

(*) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(**) : : : : : ج ٧ ، ص ٤١ .

(†) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(□) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

كتاب ديوسقوريدس في الطب « مصور الحشائش بالصوير الرومي العجيب ، وكان الكتاب مكتوباً بالإغريقية الذي هو اليوناني »^(*) . ولما لم يكن في قرطبة من يعرف الإغريقية ، فقد سأل الناصرُ الإمبراطورَ في أن يبعث إليه واحداً من العارفين بها وباللاتينية ، فأرسل إليه عام ٩٥١/٣٤٠ الراهب نيقولا لكي يقوم بتحديد أنواع النبات التي ذكرها ديوسقوريدس — لا بترجمة الكتاب — ففُسط في إنجاز ذلك العمل بمعاونة حسداى بن شبروط^(٨) الذائع الصيت ، ومحمد النبائي ، ورجل يسمى البَسْبَاسي ، وأبي عثمان الخزّاز الملقب باليايسة ، ومحمد بن سعيد ، وعبد الرحمن بن إسحاق بن المهيم ، وأبي عبد الله الصقلي ، وكان طارفاً باليونانية يتحدث بها ، وكان له إلمام بتركيب العقاقير^(٩) . ويبدو أن أهل الأندلس في ذلك الحين لم يكونوا يعرفون الترجمة العربية لكتاب ديوسقوريدس — التي صنعها اصطفت بن باسيل على أيام الخليفة العباسي المتوكل — أو الترجمة الأخرى التي قام بها حسان الناطلي أستاذ ابن سينا سنة ٩٨٥/٣٧٤^(١٠) .

وكان لظهور أهل الأندلس على كتاب ديوسقوريدس أثر حاسم في مجرى دراسات الطب والنبات في ذلك البلد ، [ومن دلائل هذا أن عبد الرحمن بن إسحاق بن المهيم — وكان طبيباً للمصور بن أبي عامر — ألف كتاباً مختصراً سماه « كتاب الكمال والتمام في الأدوية السهلة والقيئة » ، وكتاب « الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء »]^(١١) .

وقد اشتهر سعيد بن عبد ربه — ابن أخى صاحب « العقد » ، ومولى هشام المؤيد — طريقة جديدة في علاج الحميات ، [قال عنها ابن أبي أصيبعة : « كان مذهبه في مداواة الحميات أن يخلط بالمبردات شيئاً من »]^(١٢) ، وله في

(*) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

(٨) : : : : : ج ٢ ، ص ٤٦ .

(٩) يباس بالأصل .

ذلك مذهب جميل ، ولم يخدم بالطب سلطانا . ذكر سليمان بن أيوب الفقيه أنه اعتل بحصى طاولته ، فعالجه ابن عبد ربه محبوب مدورة أوصاه أن يتناول كل يوم منها واحدة ، فلما فعل برئ » [(*) (١١)] . وكان أحمد وعمر — ابنا يونس بن أحمد الحراني (١٢) الأنف المذكور — من الظاهرين في الصناعة الطبية ، امتاز أولهما بالخبرة في تحضير الأدوية واشتهر أسر الثاني بالكعالة ، ويُظن أنه هو الذي علم أبا القاسم الزهراوى طريقة استخراج ماء المين (الكنتارا كتا) بواسطة إبرة . [وقد قال في حقهما أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسى : « رحلا إلى المشرق في دولة الناصر ، وأقاما هناك عشرة أعوام . ودخلا بغداد ، وفرآ فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابى كتب جالينوس عَرَضاً . وخرجا ابن وصيف في حمل على العين . وانصرفا إلى الأندلس في دولة للمستنصر بالله ، وذلك في سنة ٩٦٢/٣٥١ فالتقيا بخدمته في الطب ، واستخلصهما لنفسه من سائر أطباء وقته . ومات عمر فيها ، وبقي أخوه أحمد أثيراً عند الحكم إلى آخر أيامه . ثم ولده هشام المؤيد بالله خطة الشرط وخطة السوق . وكان يداوى المين مداواة نفيسة ، وله في ذلك في قرطبة آثار مجيبة » (*)] . وأضاف ابن أبى أصيبعة أن للمستنصر « أسكنهما مدينة الزهراء واستخلصهما لنفسه دون غيرهما ممن كان في ذلك الوقت من الأطباء . ومات عمر وبقي أحمد مستخلصاً ، وأسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء . وكان لطيف المحل عسده ، أميناً ، يُطْلِعُه على العيال والسكرانم . وكان عاقلاً عالماً بما شاهد علاجه ورآه عياناً بالمشرق . وتوجّه عند المستنصر ، وكان يصنع له الجوارشيات الحادة المعجبية ، لأن المستنصر كان نهما في الأكل ، فكانت تحدث له تخمة لذلك . وأفاد مالا عظيماً ، وكان ألكن اللسان ردى الخط لا يقيم حياء حروف كتابه . وكان بصيراً بالأدوية وصاناً للأشربة والمعجنات ومعالجاً

(*) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

(١٢) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٢٤ .

لما وقف عليه . وذكر ابن جليل أنه رأى له اثني عشر صيدا مقابلة طبائخين
للأشربة صناعتين للمجونات بين يديه . وكان قد استأذن أمير المؤمنين المستنصر
أن يعطى منها من احتاج من المساكين والمرضى ، فأباح له ذلك . وكان يداوى
العين مداواة نفيسة ، وله بقرطية آثار في ذلك . وكان يواسى بعله الجار والصديق
والمسكين والضعيف . وولاه هشام المؤيد خطة الشرطة وخطة السوق ، ومات
بمحى الربيع وعلة الإسهال ، وخلف ما قيمته أزيد من مائة ألف دينار ^(*) ^(١٣)
وأعظم نبأ ظهر في عصر الخلافة هو أبو داود سليمان بن حسان بن جليل ^(١٤)
وكان طبيبا لهشام المؤيد . وقد وضع مؤلفا حسنا « فسر [فيه] أسماء الأدوية
المفردة من كتاب ديورسكوريدس العين زربى ^(*) وأنصح عن مكنونها وأوضح
مستفلق مضمونها » ^(†) ، وله كذلك مؤلف عن الترياق نبه فيه على أغاليط بعض
الأطباء . وألف تاريخا للأطباء في خلافة هشام المؤيد ، مما يدل على أن العلم كان
قد بلغ درجة عظيمة من التقدم في الأندلس خلال القرن العاشر الميلادى (الرابع
الهجرى) ^(١٥) . وإبريق بن سعد القرطوبى كتاب يسمى « خلق الجنين وتدير
الحبالى والمولود » (مخطوط بمكتبة الإسكريال) وهو بحث طيب يتناول كل
ما يتصل بالطفل . وجدير بنا أن نذكر كذلك التقويم القى وضعه ، وهو المسمى
بـ « التقويم القرطوبى » — وهو بالعربية واللاتينية معا — إذ هو عظيم الفائدة في
كل ما يتصل بالفلاحة (ف ٦٥ ب) .

ف ١٣٧ — أبو القاسم الزهراوى . ابن وافد :

وأعظم أطباء ذلك العصر هو من غير شك أبو القاسم خلف الزهراوى ^(١٦)
(نسبة إلى مدينة الزهراء ، وهو المعروف عند اللاتين باسم أبولكاسيس)

(*) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(†) نسبة إلى عين زرب ، ولهذا يسمى Dioscorides Anazarbo .

(†) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤١ .

Abulcasis ؛ ٩٣٦/٣٢٤ - ١٠١٣/٤٠٣) وقد طارذ كره بين أهل الشرق والغرب بالبراعة في الجراحة . وكتابه المسمى بـ « التعريف لمن عجز عن التأليف » يعتبر بحق موسوعة طبية ، وقد ترجمه إلى اللاتينية جيراردو الكريغوني (*) وسماه ألساهار أفازيوس Alsaharavius أو Açaravius (تحريران لاسم الزهراوى) ، ونقله إلى العربية شمس طُلب ، وكثر اعتماد الناس عليه في المصور الوسطى . وقد طبعت الترجمة اللاتينية لكتاب الزهراوى على مراحل : ففي عام ١٥١٩ طبع منها جزء بعنوان « كتاب النظر والعمل » Liber theoricæ et practicæ ، وكان جزء آخر قد طبع وكثر استعماله منذ عام ١٤٧١ هو « كتاب الخادمين » Liber servitoris وموضوعه تحضير الأدوية المفردة ، وقد انتفع به الناس كثيراً . أما الجزء الثلاثون من كتاب الزهراوى الذى نشر في اللاتينية باسم « الجراحة » Chirurgia فقد كان أم وأذبح كتاب في تاريخ الطب كله ، وقد ارتفع به الزهراوى في أعين الناس إلى طبقة أبقراط وجالينوس . وهو يحوى رسوم الآلات الجراحية ، وهو أوله مؤلف جمل الجراحة علماً قائماً بذاته مستقلاً عن الطب وأقامها على أساس من العلم بالتشريح (١٧) . وكان يُنسب إليه كتاب في الصحة من تأليف ابن بطلان .

ومن المذكورين من أطباء القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) أبو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن السكتاني (**) ، [قال عنه صاعد : كان أخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وطبقته ، وخدم به المنصور محمد بن أبى عامر وابنه المنظر ، ثم انتقل إلى مرسطة واستوطنها . وكان بصيراً بالطب متقدماً فيه ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة ، أخبرنى عنه الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد الحمى ، أنه كان دقيق الذهن ذكى

(*) سبى إلى كرمونا في إيطاليا ، لا إلى قرمونة الأندلس .

(**) في طبعة شيخو : السكتاني ، وقد أخذ بهذه القراءة بلاشير في الترجمة الفرنسية لطبقات صاعد . انظر ص ١٤٨ من هذه الترجمة .

الخطاط جيد القلم حسن النوليد والتتبيح؛ وكان ذا ثروة وغنى واسع، وتوفي قريباً من سنة ٤٢٠ (١٠٢٩)، وقد قارب ثمانين سنة. وقرأت في بعض تآليفه قال: أخذت صناعة المنطق عن محمد بن عبدون الجبلى، وعمر بن يونس بن أحمد الحراي، وأحمد بن حفصون الفيلسوف، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم العاصمى النحوى، وأبى محمد عبد الله بن مسعود البجائى، ومحمد بن ميمون المعروف بـمَرْكُوش، [و] أبى القاسم قَيْد^(*) بن نجم، وسعيد بن فتحون السرقسطى المعروف بالحمار، وأبى الحرث الأسقف تليذ ربيع بن زيد الأسقف الفيلسوف، وأبى مروان البجائى^(**)، ومسلمة بن أحمد المجريطى^(†). وقد ألف كتاباً عن الأدوية المفردة، ضاع فيها ضاع من الكتب^(١٨).

ومنهم كذلك حامد بن سَمَجُون الذى ألف كتاباً فى العقاقير^(١٩).

ولا نلقى خلال القرن الحادى عشر الميلادى إلا أطباء ونهاتيين من طبقة تالية لن ذكروا، مثل محمد التميمى الطليطلى الذى ألف كتاباً فى الطب (مخطوط بمكتبة الإسكريال) شرح فيه تشخيص الأمراض وأعراضها، وهو عظيم الفائدة شكلاً وموضوعاً، أى بسبب المنحى الذى اتبعه فى تأليفه وصيغ مادته نفسها والطريقة التى اتبناها فى تعليم الطب عن طريق الممارسة؛ وابن واند، وهو الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن واند بن مهند اللخى المسمى عند اللاتين بابن وَيْفِيث Eben Quefith (٩٩٨/٣٨٨—١٠٧٤/٤٦٦) (٢٠)،

(*) فى الطبقات المصرية من طبقات ساعد: فند.

(**) فى الطبقات المصرية: البجائى، وهو خطأ.

(†) ساعد: طبقات الأمم، ص ١٢٥—١٢٦. وانظر: ابن أبى أصيعة: طبقات

الأطباء، ج ٢، ص ٤٥.

وهناك كتاب آخر هو أبو الوليد محمد بن الحسين اللخى المعروف بابن الكتانى. كان طبيباً قاسراً والمستنصر، وهو عم أبى عبد الله هنا. انظر: ساعد: طبقات الأمم، ص ١٢٣؛ وابن أبى أصيعة، ج ٢، ص ٤٥. وورد اسمه الكتانى أيضاً؛ وقد أخذ بهذه الصيغة لاشير فى الترجمة الفرنسية لساعد؛ انظر ص ١٤٦.

وكان وزيراً لابن ذى النون صاحب طليطلة ، وكان متحقفا بعلم الطب والعلاج . وكان من مذهبه أن يستعمل الأغذية ما أمكنه ذلك ، فإذا لم تنجح لجأ إلى الأدوية المفردة قبل أن يلجأ إلى المركبة . وله كتب كثيرة في الأدوية والجارب الطبية وطب العيون وما إلى ذلك . [قال عنه صاعد : « أحد أشراف أهل الأندلس وذوى السلف الصالح منهم والسابقة القديمة فيهم عنى عناية بالغة بقراءة كتب « جالينوس » وفهمها ، ومطالمة كتب « أرسطاطاليس » وغيره من الفلاسفة . وتعمر في علوم الأدوية المفردة ، حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره ، وألف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له ، جمع فيه ما تضمنه كتاب « ديسقوريدوس » وكتاب « جالينوس » المؤلفين في الأدوية المفردة ، ورتبه أحسن ترتيب . وهو مشتتل على قريب من خمسمائة ورقة ، وأخبرنى عنه أنه عانى جمعه وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الأدوية وصفاتها ، وما أودعه إياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها [قريباً] من عشرين سنة ، حتى كمل موافقاً لفرضه مطابقاً لبقية . وله في الطب منزع لطيف ومذهب نبيل : وذلك أنه لا يرى التداوى بالأدوية ما أمكن التداوى بالأغذية أو ما كان قريباً منها ، فإذا دعت الضرورة إلى الأدوية فلا يرى التداوى بمركبها ما وصل إلى التداوى بمفردها ، فإن اضطر إلى المركب لم يُكثر التركيب ، بل اقتصر على أقل ما يمكن منه . وله نوادر مخفولة وغرائب مشهورة في الإبراء من الملل الصعبة والأمراض المخوفة بأيسر العلاج وأقربه . وهو في وقتنا هذا حى مستوطن مدينة طليطلة . وأخبرنى أنه ولد في ذى الحجة سنة ٣٩٨ (أغسطس ١٠٠٨ هـ) (*) .

ومنهم ابن حجاج القرطبي الذى وضع في الزراعة كتاباً أشار إليه ابن البيطار واستعمله ابن العوام ؛ وأبو عبيد الكرى الجغرافى فقد وضع كتاباً عن أهم نباتات الأندلس وأشجارها .

(*) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٢٨ .

ونذكر من اشتغل بالطب من يهود الأندلس أبا الوليد مروان بن جناح النحوي الفيلسوف ، فقد كتب كتاباً مختصراً عن العقاقير والموازين والأكيال ؛ ويونس بن إسحاق^(٢١) بن بُكْلَارِش — أو بُكْلَارِش — الذي كتب كتاباً في الطب سماه «لِلْمُسْتَعِينِ» ، لأنه ألّفه للمستعين بن هود صاحب سرقسطة ، وقد أورد فيه أسماء الأدوية بالسريانية والفارسية واليونانية والعربية و «الطليانية» والمعجمية العامة التي كان يستعملها أهل الأندلس^(٢٢) .

وفيا بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين (الخامس والسادس الهجريين) عاش في الأندلس نباتي واسع العلم نبهل اسمه ، وقد خلف معجماً بأسماء النبات (نشر آسبن پلاثيوس مستخرجاً منه على هيئة معجم عنوانه : *Glosario de voces romances registradas por un botánico anónimo hispano-musulmán de los siglos XI y XII*) .

وهذا المعجم يمدنا بمعلومات ذات أهمية كبرى عن نبات الأندلس وجغرافيته وما كان لأهله من تقاليد شعبية ؛ هذا إلى ما فيه من الفائدة لدراسة معجمية أهل الأندلس في أدوارها الأولى^(٢٣) .

ف ١٣٨ — ابن رشد . بنو زهر . ابن العوام :

بلغ الطب العربي أوجه في إسبانيا خلال القرن الثاني عشر الميلادي ، أي في ذلك العصر الذي جمع الفلاسفة فيه بين الفلسفة والطب ، كآبي الصلت أمية ابن عبد العزيز الثاني (ف ١٠٤) ، وابن باجة الذي اشتغل مع سفيان الأندلسي في تأليف «كتاب التجارب» ، وقد استدركا فيه على ابن وافد الطليعالي ما فاته في كتابه عن الأدوية للفردة^(٢٤) ؛ وكذلك أبو الوليد بن رشد ، الذي تداول الناس كتابه «السكريات» واستعملوه في خلال المصور الوسطى كلها ، إذ أنه يتناول التشريح ووظائف الأعضاء والأمراض وأعراضها والأدوية والأغذية وحفظ الصحة والملاج ؛ وكان لأبي الوليد ابن طييب كذلك .

[وإليك نظرة من مقدمة «السكريات» نعرفنا بمنهج ابن رشد في تأليفه

والموضوعات التي تناولها فيه] :

« إن صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة ، يُلمس بها حفظ بدن الإنسان وإبطال المرض ، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد واحد من الأبدان ، فإن هذه الصناعة ليس غايتها أن تهرى ولا بد ، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذي يجب وفي الوقت الذي يجب ، ثم تنظر في حصول غايتها كالحال في صناعة الملاحة وقود الجيوش .

« ولما كانت الصنائع الفاعلة — بما هي صنائع فاعلة — تشتمل على ثلاثة أشياء : أحدها معرفة موضوعاتها ، والثاني معرفة الغايات المطلوب تحصيلها في تلك الموضوعات ، والثالث معرفة الآلات التي تحصل بها تلك الغايات في تلك الموضوعات ، انقسمت — باضطرارٍ — صناعة الطب أولاً إلى هذه الأقسام الثلاثة : فالقسم الأول ، الذي هو معرفة الموضوعات ، يعرف فيه الأعضاء التي يتركب منها بدن الإنسان البسيطة والمركبة . ولما كانت الغاية المطلوبة هنا صنفين : حفظ الصحة وإزالة المرض ، انقسم هذا الجزء إلى قسمين : أحدهما يعرف فيه ما هي الصحة لجميع ما به تنقوم ، وهي الأسباب الأربعة التي هي : العنصر والصورة والفاعل والغاية وجميع لواحقها ، والقسم الثاني يعرف فيه ما هو المرض أيضاً بجميع أسبابه ولواحقه . ولما كان أيضاً ليس في معرفة مائية الصحة والمرض كفاية في حفظ هذه وإزالة هذا ، انقسم هذان الجزءان أيضاً إلى جزئين آخرين : أحدهما يعرف فيه كيف تحفظ الصحة ، والثاني كيف يبطل المرض .

« ولما كانت الصحة أيضاً والمرض ليسا بيّنين بأنفسهما من أول الأمر ، احتيج أيضاً إلى تعرف العلامات الصحية والمرضية ، وصار هذا أيضاً أحد أجزاء هذه الصناعة . وإذا كان ذلك كذلك ، فباضطرارٍ ما انقسمت هذه الصناعة إلى سبعة أجزاء عظمى :

« الجزء الأول يذكر فيه أعضاء الإنسان التي شوهلت بالحس ، البسيطة والمركبة .

« والثاني تعرف فيه الصحة وأنواعها ولواحقها .

« والثالث المرض وأنواعه وأعراضه .

« والرابع العلامات الصحية والمرضية .

« والخامس الآلات ، وهي الأغذية والأدوية .

« والسادس الوجه في حفظ الصحة .

« والسابع الحيلة في إزالة المرض .

« ونحن نقصد في ترتيبها ها هنا إلى هذه القسمة ، إذ كانت هي القسمة الذاتية لها » [.

بيد أن زعامة الطب في ذلك العصر عقدت بلواء بني زهر^(٢٥) : أبي مروان عبد الملك بن زهر وابنه أبي العلاء بن زهر المتوفى سنة ١١٣١/٥٢٥ ، ثم أعظمهم جميعاً أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر ، الذي توفي في سرا كش سنة ١١٦٢/٥٥٧ ونقل جثمانه بعد ذلك إلى إشبيلية حيث دفن في مقبرة بني زهر ، وكان في خدمة خلفاء الموحدين وكان يأنف من القصد والجراحات (على الرغم من أنه لجأ إلى الجراحة في بعض الأحيان ونجح فيها) ، وكان يرى كذلك أنه لا ينبغي للطبيب أن يقوم بتحضير الأدوية ، فسبق بهذا إلى مفهوم الطب الحديث من فصل الجراحة عن الطب الباطني وعن الصيدلة . وصرف همه كله إلى الطب الباطني ، فألف فيه كتاب « الاقتصاد » وهو دراسة للطب عامة ، وكتب كتاباً آخر في الأغذية والأدوية ، وكتاباً ثالثاً يسمى « التيسير » أهداه إلى ابن رشد ، وهو كتاب تتجلى فيه شخصية ابن زهر بكل وضوح ، ويعتبر خير ما ألف العرب في الطب السلي ، فقد تحرر فيه من كل ما كان يقيد غيره من آراء نظرية ، وهو يأخذ فيه بما تؤدي إليه للاحظة المباشرة ، مفضلاً ذلك على متابعة جالينوس وغيره من القدماء^(٢٦) . وقد عهد أبو يعقوب الموحدي خليفة الموحدين إلى أبي بكر محمد بن أبي مروان هذا (١١١٣/٥٠٦ - ١١٩٩/٥٩٥) في أن يجمع كتب الفلسفة .

ف ١٣٩ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد النافقي :

(من أهل القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) (*) . ذكره ابن البيطار أكثر من مائتي مرة في كتبه . ألف النافقي كتاب « الأدوية المفردة » عن العقاقير والأعشاب ، وقد ضاع أصله ولم يبق لنا إلا مختصر له عمله أبو الفرج ابن العبري (بارميدريوس للتوفي سنة ١٢٨٦/٦٨٤) . وقد نشر هذا المختصر ماكس مايرهوف وجورج صبحي في القاهرة (سنق ١٩٣٢ و ١٩٣٣) (*) ، ويرى مايرهوف أن النافقي « أعلم أطباء المسلمين في العصور الوسطى بالأدوية والأعشاب » (٢٧) . وقد قام هذا العالم الألماني بترجمة مؤلف النافقي البالغ الغرابة المعروف « بالمرشد في الكحل » (٢٨) (+) .

(*) ذهب فستفك إلى أنه مات سنة ١١٦٤/٥٠٩ ، وتساءل مايرهوف وصبحي عن السند الذي اعتمد عليه فستفك ليقرر هذا .

CI : WESTENFELD, *Gesch. der arabischen Aerzte*. (Goettingen, 1840) p. 98.
M. MEYERHOF and G.P. SOBHY, *An abridged version of the Book of Simple Drugs*. (Cairo, 1932) p. 32.

(*) رجعت إلى كتاب الدكتور بن مايرهوف وصبحي للشار إليه هنا وفي الخامس السابق ، فتبينت أن يائليا قد اختصر كلامها اختصاراً أشاع جزءاً كبيراً من قيته ، كما ترى في العبارة التي بدأ بها كلامه عن النافقي . أما ما يليه اللؤلؤان فهو أن ابن البيطار لم يذكر النافقي مائتي مرة مجرد ذكر ، بل قل عنه في أكثر من مائتي موضع ؛ بل تبين أن كتاب ابن البيطار إن هو إلا نقل لكتاب النافقي برمته مع زيادة أشياء قليلة عليها عن صفاتين آخرين ، مثل الإدريسي وأبي العباس النباتي .

CI : MEYERHOF and SOBHY, op. cit. pp. 31-33.
MEYERHOF : *Esquisse d'histoire de la Pharmacologie chez les musulmans d'Espagne. Al-Andalus*, vol. III, 1936, fasc. 1, pp. 17-19.

(+) لم أعتز على ما يؤيد هذه العبارة الأخيرة . ويبدو أن الأمر قد أشكل على يائليا أثناء قراءة البحث الذي أشرنا إليه مايرهوف وصبحي ، فهما يقولان بوضوح (ص ٢٢ من الجزء الأول) أن هناك غلطاً آخر ، يسمى عبد بن قسوم بن أسلم النافقي ، صاحب كتاب كبير عن طب العيون يسمى « مرشد الكحل » ؛ وأضاف مايرهوف في الخامس رقم ٣ من نفس الصفحة ، أن سديفا له طلب إليه أن يترجم الأجزاء المهمة من هذا الكتاب لتقرأ في المؤتمر الدولي الرمدي في مدريد سنة ١٩٣٣ . وقد أشار مايرهوف إلى أنه قام بهذا العمل ونشره . ومن الطريف أن يائليا ذكر ابن قسوم النافقي وكتابه « مرشد الكحل » في الطبعة الأولى من كتابه (ص ٢٦٩) وقرئ بينه وبين أبي جعفر النافقي .

[وإليك مادة من « منتخب كتاب جامع للفردات » لنافق ، وقد انتخبه أبو الفرج غفريرئوس المعروف بابن المبري (بارهيرايرئوس) ، نوردما بشروح ما كس مايرهوف وجورج صبحي عليها ، ليتبين القارئ مكانة النافق في علم الأدوية القديمة ، ومدى اطلاعه على أصوله وأسلوبه في التأليف :

« إشنخيس : هو شوكة الملك (*) ، وهو باليونانية خامالاون χαμαιλέον أي حرباء . وإعاسي خامالاون لاختلاف الورق ، فإنها قد توجد خضراء جداً ، وإلى البياض ، وإلى لون السماء ، وإلى حمرة الدم ، على قدر اختلاف الأماكن التي تنبت فيها . خالاون لوكس (Khamailéon Leukós) χαμαιλέον λευκός أي الأبيض ، Chamaleon (Chamaleon) ، وقد يسمى إقسيا (ixia) لأنه نبات يوجد عند أصله في بعض المواضع إقسوس (ixós) وهو اللدبق (**) ، فاشتق من إقسوس إقسيا (ixia) ومعناه اللدبق . يشبه ورق الشوكة المسماة بالشام المسكوب (†) والشوك المسى سقولوس (□) σκόλυμος وينبت في أوسطه شوكة كشوك القنفذ البحري أو كشوك القينارا (***) κινάρα (Kinára) ، وله زهر فرّ نيري (***). مثل الشر وثمر كالتقرطم . وأصله في الأرض التربة غليظ وفي الجبلية دقيق . ولون داخله أبيض ، وفي رانحته شيء من طيب وكراهة ، وهو حلو . إذا شرب أصله أخرج حب القرع والدود ، وإذا عجن بالماء والزيت قتل الكلاب والخنزير والقار ، وشربه ينفع من نهش الهوام .

(*) الملك هو البلوط ، وشوكة الملك بالإنجليزية pine thistle وباللاتينية atractylis echinops ، وذهب ابن البيطار إلى أن الملك لفظ من محبة الأدلس .

(*) ترجمها مايرهوف وصبحي viscous matter .

(†) علق مايرهوف وصبحي على هذا اللفظ عبارة : Diosc. the globe thistle .

. Echinops

(□) Scolymus hisp. golden thistle.

(***) Kinara, artichoke.

(***). أي شديد الاحمرار .

» (دج) (*) : خمالون ماكس^(١١) (Khamailéon mélas) χαμαιλέον μέλας
 أى أسود ، ورقه أيضاً كورق الشوك المسى سقولوس (Skólymos) σκόλυμος
 إلا أنه أصغر وأدق منه ، وفيه حمرة كحمرة الدم ، ساقه في غلظ الأصبع ، طولها
 شبر ، لونها إلى حمرة الدم ، عليها إكليل وزهر مشوك دقيق ، لونه شبيه بزهر
 النبات المسى أوقيثوس (hyákynthos) υάκινθος — هيا كفتوس ، وفيه
 نقط ، وأصل أسود غليظ كثيف ، إذا مضغ لدغ اللسان . ينبت في الصحارى
 اليابسة والتلال والسواحل « (†) » .

وينص ابن البيطار كثيراً على كتاب في الأدوية المفردة للإدريسي الجغرافي
 المعروف (١١٠٠/٤٩٣ — ١١٦٦/٥٦١) ، يسمى « كتاب الجامع لصفات
 النبات » ، وكان يُظن أنه قد ضاع حتى عثر عليه مايرهوف وقام بدراسته في
 سنة ١٩٣٠ (مخطوط رقم ٣٦١٠ مكتبة الفاتح في استامبول) (□) . وهذا
 الكتاب يعتمد اعتماداً تاماً على كتاب ديوسقوريدس الآنف الذكر .

وقد كان الفيلسوف المعروف أبو عمران موسى بن ميمون (مايمونيدس عند
 اللاتين) مبرزاً في صناعة الطب أيضاً . وكتابه المسى « شرح أسماء العقار »
 ذو فائدة جلية ، وقد نشره مايرهوف في القاهرة سنة ١٩٤٠ [على أساس
 المخطوط رقم ٣٧١١ ، آيا صوفيا] (••) .

(*) أى قال ديوسقوريدس وجالينوس .

(†) كذا في الأصل المطبوع ، والأغلب أنها مالت ، لأن كتابتها باليونانية هراً
 خَمَائِلُون مِلَاس .

(†) انظر . منتخب جامع للفردات لأحمد بن محمد بن خليل التائقي ، التوفى سنة ٥٦٠ /
 ١١٦٤ . انتخبه أبو الفرج جريغوريوس للعروف بآب المبرى التوفى سنة ٦٨٤ / ١٢٨٥ .
 نشره مع ترجمته الإنجليزية وشروحات ماكس مايرهوف وجورج صبحي (القاهرة ، بدون
 تاريخ) ص ٣٣ . والترجمة الإنجليزية :

The abridged version of the book of drugs...p.25.

(□) Cf : MEYERHOF and SOBHY, op. cit. p. 47.

(••) Cf : MEYERHOF, Esquisse . . . p. 27.

ومن أعلام النباتيين الأندلسيين أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوام صاحب كتاب «الفلاحة» ، (نشر نصه وترجمته إلى الإسبانية بانكويرى J. A. Banqueri في مدريد سنة ١٨٠٢ ، وترجمه إلى الفرنسية كليمان موليه ، ونشره في باريس فيما بين عامي ١٨٦٤ — ١٨٦٧) (*). وهذا الكتاب يعطينا فكرة عن ازدهار الزراعة في الأندلس الإسلامي (وقد كان المؤلف نفسه من المشتغلين بالزراعة في ناحية إشبيلية) ، وهو أشبه بدائرة معارف تاريخية عن الفلاحة . وكان له أثر كبير في كتابات ج . ١٠ . دي هيريرا G. A. de Herrera .

[وإليك فقرات من مقدمة «كتاب الفلاحة» تدل على أسلوبه ومنهجه العلمي في تأليفه :

« ... قال مؤلفه الشيخ الفاضل أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام ، على الله عنه : الحمد لله رب العالمين ؛ وأما بعد ، فإنني لما قرأت كتب فلاحة المسلمين الأندلسيين و[كثيرًا] من كتب غيرهم من القدماء القدمين في صنعة فلاحة الأرضين ، المضمّنة كيفية العمل في الزراعة والفراسة ولواحق ذلك ، وما يتعلق به من كتبهم في فلاحة الحيوان ، وما وصل إلى منها ، ووقفت على ما نصوه فيه ، فقلت من عيونها إلى هذا التأليف ما إن نظر فيه ، وحفظ أبوابه وفصوله ومعانيه ، من يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة يصل بها بحول الله إلى معاشه ، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأطفاله ، وجد فيه حاجته .

..... »

« اعلم وفقنا الله وإياك أني قسمت هذا التأليف على خمسة وثلاثين بابًا ، وضمنت الأبواب من هذا الفن أنواعا تقف عليها إن شاء الله تعالى وبه أستعين وعليه أتوكل .

« واعتمدت على ما تضمنه كتاب الشيخ الفقيه الإمام أبو عمر بن حجاج

(*) Cf : Le Livre de l'agriculture d'Ibn al-Awam, trad. p. J.J. CLEMENT-MULLET. Paris, 1864-1867, 3vols.

رحمه الله المسمى « بالقطع » ، وهو الذى ألفه سنة ٤٦٦ — وهو مبنى على آراء
أجلة الفلاحين والتكلمين — قل فيه نصوص أقوالهم وعزاها إليهم وعددهم ثلاثون
رجلا . والقدمون منهم يוניوس (Junius Moderatus Columela) ، وبارون
(Varron) ، ولا قطيوس (Lecacio) ، ويوقنصوس (Yucansus) ، وطارطيوس
(Tartius) ، وبتدون (Betodun) ، وبريمايوس (Bariaius) ، وديماتريس
الرومي (Democritus) ، وكسينوس (Casianus Basus Scolasticus) ،
والتأخرون في زمانهم ، منهم الرازي وإسحاق بن سليمان وثابت بن قرة وأبو حنيفة
الدينوري وغيرهم ممن لم نُسَمَّه .

« واحتشدت أيضا مع ذلك على ما استحسنته مما تضمنته الكتب المذكورة بعد
هذا ، منها كتاب « الفلاحة النبطية » تأليف قوثاني (*) ، وهو مبنى على أقوال
أجلة الحكماء وغيرهم ، وذكر فيه أسماء وعددهم ، منهم آدم وصفرية ونفوشاد
وأخنوخا وماسى ودونا وطامترى وغيرهم ، وربما اختصرت ذكر هذا الكتاب
وأثبت له علامة وهي « ط » ؛ وعلى كتاب الشيخ أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن
البصّال الأندلسى رحمه الله ، وهو المبني على تجاربه ، وعلامته على وجه الاختصار
هي « ص » ؛ وعلى كتاب الشيخ الحكيم بن الخليل الإشبيلي رحمه الله ، وهو مبنى
على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين وعلى تجاربه ، وعلامته « خ » ؛ وكتاب
الحاج الترناطى وعلامته « غ » ... [(*)] .

[وإليك فقرة أخرى من الكتاب يتحدث فيها عن الكثرى :

« فصل : وأما صفة العمل في فراسة شجر الكثرى الذى يسميه العامة

(*) كذا في الأصل ، والمعروف أن مؤلف كتاب « الفلاحة النبطية » هو ابن
وخشيبة .

(٥) أبو زكريا يحيى بن محمد بن الموام الإشبيلي : كتاب الفلاحة ، طبعة منكبرى ،
مدرسة ١٨٠٢ ، ج ١ ، ص ٧ — ١١ .

الأجاص ، قال خ : هو نوعان : جبلى وبستاني . وهو أنواع : منه السكري ،
والذكري ، والقرعى ، والسراجي ، وغير ذلك .

« وفي ق : من الكثرى حلومته مر ، ومنه قليل لما [ء] وكثير لما [٠] ،
ومنه كبير ومتوسط وصغير .

« ومن كتاب أبي حجاج ، رحمه الله : قال بونيوس : إن جنس الكثرى
يحب للمواضع الباردة والكثيرة المياه المخصبة . وله أنواع كثيرة ، ويفرس على
فنون من فروع تنزع من الشجر ، ويفرس أيضا أُنْقَالُ الجُلُوب ، ويفرس
أيضا وتيده ، وقد يمكن غرس حب ثمره .

« قال بونيوس : ومن الناس من يفعل فعلا أجود من هذا كله ، وذلك
أنهم يطعمونه أكثر مما يفرسونه ، فيحولون شجر كثرى برى بأصوله من مواضع
الغابات ، ويفرسونها على ما وصفنا ، حتى إذا استحكمت هذه الثروس يطعمونها
بأجناس الذي يردون .

« قال قرواطيقوس : إذا غرست الكثرى في البعل الذي لا سقى له فاغرسه
أول الخريف ، وإن غرسته تحت سقى فاغرسه في ثمانية أيام ماضية من شباط
(فبراير) إلى نصف آذار (مارس) . ويجب شجره الأمكنة الباردة الرطبة
والبرودة ، وليس هو مما يحب الأرض الصلبة .

« ومن غيره : يوافق الكثرى الأرض الطيبة والمودكة المرتفعة والباردة
الممرخة برمل يسير . ويصلح في الأرض السهلة غير التزحّة ولا السبخة ، وينافر
الأرض السودا والخنادق ، وقيل لا توافقه الأرض الحرشا ؛ وقيل بل توافقه .
وقال ديمقراطيس : تُنْتَقَى الحفرة التي تفرسه فيها من الحصى والأشياء الجاسية ،
وتوضع الثروس فيها . ويُلقى عليه تراب قد غُرِبِلَ وبُسِقِيَ بالما . قالوا : وينخذ من
الفضبان النابتة عند أصوله وفي عروقه أيضا مقتلعة بعروقها ومكبسة بمواضعها ،
ثم تقلع ؛ ومن حب ثمره أيضا ، ومن أوتاده ، وليكن طول الوتد منها نحو ثلاثة

أشبار ، ومن ملوخه . يغرس ذلك في يَنْتَر وفي فبرير على أمهات السواقي وفي أرض سواها لا تخلو منها رطوبة السقي بالما ولا بد ، ولا ينقل عن سقيها ، وإن استمر جرى للما عليها دائماً من غير أن يبقى في أرضها فذلك أجود لها . ويزرع حب ثمره في الظلوف ، وهو من الزرايع الضعاف . ويغرس نخله في حفرة عمقها نحو أربعة أشبار وأزيد ، على كبر قدر النقلة . وقيل : يحمل النخل في الحفرة عند غراسة النقلة خاصة نديّة ، ثم تُطمر غراستها بتراب وجه الأرض . ووقت غراسة النوع البستاني منه أنه إن غرس من أول فبراير إلى أول يوم من أبريل فإنه يكون أقرب إلى النجاة والملق ... » [(٢٨)] .

ف ١٤٠ — ابن البيطار :

وفد ذكر من ظهر في عصور تغلق سلطان المسلمين من الجزيرة أبا الحجاج ابن مراحيط^(٢٩) (من أهل القرن الثالث عشر) ، وكان يطيب أبا يعقوب يوسف خليفة الموحدين ؛ وابن ليون من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) ، وهو غرناطي وقد نظم قصيدة في الزراعة وفلاحة البساتين ؛ وأبا العباس أحمد بن محمد الملقب بابن الرومية وقد ولد بعد سنة ٥٦٠/١١٦٥ ، وهو من أهل إشبيلية وكان يلقب بالنباتي ، وقد طاف بنواحي المغرب والشرق وسجل ملاحظاته ومشاهداته في « رحلته » . وكان أول من درس النبات بطريقة مباشرة ، ولم يقتصر على النظر إليه على أنه مجرد عشب يتداوى به^(٣٠) ، وكان ابن البيطار أحد تلاميذه .

(٢٨) نفس المصدر ، ص ٢٦٠ — ٢٦٢

(٢٩) لم أستطع تحقيق هذا الاسم ، ولم يتعرف عليه أحد من سألتهم منه . وقد وجدت عند ابن أبي أصيبعة أن القى كان طبيب أبا يعقوب يوسف وأبا يوسف يعقوب النصور الموحدين هو أبو يحيى بن قاسم الإشبيلي (طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٩) . وذكر ابن أبي أصيبعة طبيباً ثانياً لهذا الأخير هو أبو جعفر بن غزّال (طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٨٠) . وأبو يعقوب النصور ليس من أهل القرن الثالث عشر الميلادي على كل حال ، مما يرجح الظن بأن عبارة المؤلف هنا محتاج إلى تصويب .

وكان ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد^(*)، أعظم علماء النبات في المشرق في عصره. وأصله من مالقة (ولد ١١٩٧/٥٩٣) وسكن إشبيلية وتجول في وادي المغرب وآسيا الصغرى والشام ودخل في خدمة الملك الكامل^(*) في مصر، وتوفي في دمشق سنة ١٢٤٨/٦٤٥. وكتابه الرئيسى هو «كتاب الجامع لفردات الأغذية والأدوية» (طبع في بولاق في أربعة مجلدات سنة ١٢٩١/١٨٧٤)، وترجمه إلى الفرنسية (كليرك). وهو معجم أبجدي للأغذية والأدوية، وهو أكل ما ألف العرب في ذلك الباب وأكثره تفصيلا، وقد اعتمد في تأليفه على كتب كثيرة لمؤلفين سابقين عليه من أمثال ابن جليل والفاقي، وهو يضم أكثر من ٢٣٣٠ مادة جمع فيها كل ما ذكره سابقوه من اليونان والعرب عن الأدوية، وزاد عليهم بثلاثمائة دواء لم يشر إليها أحد قبله. ومن كتبه الجليلة الأخرى «اللفى» في الأدوية المفردة؛ وهو يتحدث فيه عن الأعشاب من وجهة النظر العلاجية فحسب، لا من ناحية التاريخ الطبيعى.

[هذا، وابن البيطار أستاذ ابن أبي أصيبعة صاحب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، وقد لقيه أول مرة في دمشق، وقال عنه في سياق ترجمته له: «... فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته شيئا كثيرا». وكان لا يذكر دواء في جوابه لمن يسأله إلا ويعين في أى مكان هو من كتب ديوسقوريدوس وجالينوس، وفي أى عدد هو في الأدوية المذكورة في تلك المقالة. وكان ثقة فيما ينقله حجة للجميع. سافر ممثلا لبليينوس وغيره من الحكماء إلى بلاد الأغرقة والشرق وأقصى بلاد الروم. وأخذ من النبات عن جماعة حكماء مشهورين، وكان ذكيا فطنا. وكان بمصر رئيسا على الحكماء وسائر العشابين. ثم خدم للملك الكامل وجعله عنده مقدما في دمشق، حيث مات سنة ٦٤٦ (١٢٤٨). وله «كتاب

(*) في الأصل: العادل، والتصويب من «طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، ص ٢٨.

المغنى في الطب » ، و « كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة » ، و « كتاب الأدوية المفردة » وهو جيد لم يصنف مثله قط ... » .

وقد قال ابن البيطار في فائحة كتابه يتحدث عن منهجه :

« ... وبعد ، فإنه لما رُسم بالأواصر المطاعة الملكية الصالحية النجمية ، بوضع كتاب. في الأدوية المفردة ، تُذكر فيه ماهيتها وقواها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من خرجها أو عصارتها أو طبعها والبدل منها عند عدمها ... جمعتُ هذا الكتاب في القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار ، عند الاحتياج إليها في ليل كان أو نهار ، [و] مضاف إلى ذلك أذكر ما ينفع به الناس [من] شعار ودثار . واستوعبت فيه جميع ما في الخس مقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدوس بنصه ، وكذا فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جليينوس في الست مقالات من مفرداته بنصه . ثم ألحقت بقولها من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية ما لم يذكره ، ووصفت عن ثقافة المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه ، وأسندت — في جميع ذلك — الأقوال إلى قابليها ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها . واختصصت بما تم لي به الاستبداد ، وتوضح لي القول ووضح عندي الاعتماد .

« الفرض الأول : صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين ، فما صح عندي بالمشاهدة والنظر ، وثبت لدى بالخبر لا الخبر أدرته كنزا سر يا ، وعددت نفسي عن الاستمانة بخبري فيه سوى الله غنيا .

« والفرض الثاني : وما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والمهامة للصواب والتحقيق ، أو أن ناقله أو قابله عدلا فيه عن سوي الطريق نبذته ظهريا وجرته مليا ، وقلت لناقله أو قابله : « لقد جيت شيئا فريا » . ولم أحاب في ذلك قديما لعنته ، ولا مُحدثا اعتمد غيري على صدقه .

« الفرض الثالث : ترك التكرار حسب الإمكان ، إلا فيما تمس الحاجة إليه لزيادة معنى وتبيان .

« الرابع : تقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مُقَفًى ، ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عنا .

« الخامس : التنبيه على كل دواء واقع فيه وهم أو غلط متقدم أو متأخر ، لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل ، واعتمادى على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت قبل .

« السادس : فى تسمية الأدوية بسائر اللغات اللبائية فى السمات ، مع أنى لم أذكر فيه ترجمة دواء إلا وفيه صنعة مذكورة أو تجربة مشهورة . وذكرت كثيراً منها بما يعرف به فى الأماكن التى تنسب إليها الأدوية المسطورة ، كالألفاظ البربرية واللاطينية — وهى أعمجية الأندلس — إذا كانت مشهورة عندنا جارية فى معظم كتبنا .

« وقيدت ما يجب تقييده بالضبط والشكل والنقط تقييداً يؤمن معه من التصحيف ، ويسلم قاريه من التهديل والتحريف . إذ كان أكثر الوم والغلط الداخلى على الناظرين فى الصحف إنما هو من تصحيفهم لما يقرونه أو يسمون الوراقين فيها يكتبونه .

« وسميته « بالجامع » لكونه جمع بين الدوا وال غذا ، واحتوى على الغرض المقصود مع الإنجاز والاستقصا . وهذا حين ابتدئ ، وبالله أستعين وأهتدى . . . » [(٣١) (٣٢) .

ولا بد من إشارة خاصة إلى عبد الله بن صالح (٣٣) ، معاصر أبى العباس بن الرومية وأحد أساتذة ابن البيطار ، وكان من أجلاء النباتيين . وأبى جعفر بن خاتمة صاحب كتاب « تحصيل غرض القاصد فى تفصيل المرض الرائد » الذى

(٣٠) كتاب الجامع الكبير فى الأدوية المفردة لابن البيطار ، مخطوط رقم ١٣٣٤ فى

فهرس النزيلى :

CI : MICHAELIS GASIRI, *Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis* (Matriti MDCCLX) I, 279-280.

وصف فيه وباء سنة ١٣٤٨/٧٤٨ . ومحمد بن السراج^(٣٣) (١٢٥٦/٦٥٣ -
 ١٣٢٩/٧٢٩) ، [وقد عاش في غرناطة زمنًا ثم هاجر إلى سراكش ، ووضع في
 الطب والأعشاب كتبًا كثيرة لم يبق منها شيء] . ولسان الدين بن الخطيب
 الوزير الكاتب للوزير (ف ٨١) ، إذ أنه تميز في العلم بالطب كذلك وألف في
 ذلك العلم كتابًا من جزئين (درس فيهما الأمراض من الوجهتين العامة والخاصة
 والحيات والجراحة وما إلى ذلك) ، ويتكشف لنا ابن الخطيب في هذا الكتاب
 من فهم عظيم وعلم واسع^(٣٤) .

الفصل الثالث مفر

الآثار الأدبية لغير المسلمين

من الأندلسيين

(أ) المستعربون

ف ١٤١ — إشارات آل بَرْو القرطبي . القس بن جنيس . ربيع بن زيد الأسف .

(ب) اليهود

ف ١٤٢ — أبو زكريا حيوج . ابن جبرول . يحيى بن قنوخا . ابن صديق .

ف ١٤٣ — موسى بن عزرا . يهوذا ملاوي (حاليقي) . أبراهام بن داود .
الجزيري . بنو طيبون .

ف ١٤٤ — موسى بن ميمون . الفرجون .

لا بد لنا من أن نلم بأثر غير المسلمين من الأندلسيين حتى يكتنل لنا الإلمام
بالحصول الأدبي للأندلس الإسلامي ، ذلك لأنهم شربوا من مناهل الثقافة
العربية ، واستعملوا لغتها .

(١) — المستعربون

ف ١٤١ — إشارات آلبرو القرطبي . النفس بنجيب . ربيع

ابن زبير الوصف :

كان الإنتاج الأدبي للمستعربين ضئيلاً ، سواء باللاتينية أو بالعربية . وقد
تأثرت حياتهم الاجتماعية بالإسلام ونظمه تأثراً بعيداً ، ومن مصاديق ذلك تلك
الحقيقة التي يعرفها كل الناس ، وهي أنهم كانوا يؤثرون استعمال لغة العرب
وأسمائهم وأزائهم ، ويحتمدون في أن يأخذوا الطابع الإسلامي في كل مناحي
حياتهم . ولا يجهل أحد حشرات آلبرو القرطبي ، فقد طالما ردها المؤلفون ؛ وهي
تحدث في جلاء عن ولع نصارى الإسبان بالأدب العربي ، فهو يقول : « إن
إخواني في الدين يمدون لغة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويقبلون
على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين ، لا ليردوا عليها وينقضوها ،
ولأنهم يسكنون يكتسبوا من ذلك أسلوباً عربياً جميلاً صحيحاً . وابن تيمية الآن واحداً
— من غير رجال الدين — يقرأ الشروح لللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة ؟
ومن — سوى رجال الدين — يكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار
الأنبياء والرسل ؟ بالحسرة ! إن اللوهويين من شبان النصاري لا يعرفون اليوم
إلا لغة العرب وآدابها ، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم . وهم ينفقون أموالاً

طائفة في جمع كتبها ، ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة بالإيجاب . فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يعرفوا إليها انتباههم . يالآلم ! لقد أنسى النصارى حق لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتاباً سليماً من الخطأ . فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد فيهم عدداً عظيماً يجيدونها في أسلوب منسق ، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجالاً^(*) .

ومن أسف أننا لا نجد بين أيدينا شيئاً من هذا الإنتاج الأدبي الذي يشير إليه آلبرو ، ولكن كل ما ذكره حقيق تؤيده تلك القصائد التي نجدتها في ختام مخطوط محفوظ في المكتبة الأهلية في مدريد ، يضم مجموعة من القوافي الكنسية وقراراتها مرتبة أبواباً على حسب موضوعاتها ، ومترجمة من اللاتينية إلى العربية بقلم قس يسمى بنجنيس^(*) والكتاب كله مهدي إلى الأسقف عبد الملك ، وقد نظمت عبارات الإهداء في أبيات عربية لا تفتقر في شيء مما ينظمه المسلمون في مثل ذلك المقام شكلاً وموضوعاً ؛ وإليك طرفاً منها :

كتابٌ لمبدئ الملوك الأسقف النَّدْبِ جواد نبيل الرَّفْدِ في الزمنِ الجَدْبِ
كُفِّمَ ذِكْرُ العَدْسِ واحدٍ عصرِهِ عليمٌ كريمٌ ذى حُلومٍ وذى لُبٍ
بُجِّدَ فضلُ اللهِ فينا بفضلِهِ وممَّ به كلُّ الأنامِ هدى الربِّ

(*) اسمه في المراجع الإسبانية El Presbitero Vicente ، وقد أخذت هذه الصورة العربية من كلامه هو نفسه ، فقد قال في نهاية الجزء الثامن من ذلك القانون الكنسي المشار إليه هنا : « تمت وأكملت » أنا بنجنيس القس الحاطي ، عبد عبيد السبيع ، هذا الجزء الثامن من القانون للقدس ، يوم الأحد ، في الوقت الثامن من ذلك الشهر . وهو أول أحد من الصيام الأربعين الذي يُتلى فيه خبر المرأة السامرية التي استغفها سيدنا المسيح المافي يرقب .

Cf : FRANCISCO JAVIER SIMONET, *Historia de los Mozárabes de España* (Madrid, 1903) p. 720.

والصورة العربية للاسم هي نفس صورته اللاتينية Vincencius ، وقد ضبطت الكلمة بناء على ذلك .

فلا زال في عترة من الله شامل

مدى انهل ممرن في قري الأرض بالسكب (*)

والكثير من الكتب اللاتينية التي كتبها المستعمرون تحمل هوامشها شروحا وتعليقات عربية . وبين أيدينا كتاب لاتيني عنوانه « كتاب تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان » ، وهو تقويم فلسفي مناخي زراعي [« وفيه ذكر منازل القمر ، وما يتعلق بذلك مما يستحسن مقصده وتقريبه »] (٥٠) ، يُظن أن الذي ترجمه ووضعه في هذه الصورة اللاتينية جيراردو الكريموني . ومؤلفه هو الأسقف ريكيموندو الذي يسميه مؤلفو العرب ربيع بن زيد الأسقف ، وقد كان في خدمة عبد الرحمن الناصر ، وكانت له علاقات موصولة بيوحنا أسقف جرتز . ولدينا تاريخ حياة الأخير [المسمى :

Vita Joannis [Corgiensis] auctore ut videtur Abbate S. Arnulpho Metis

وصف فيه رحلته إلى قرطبة سفيراً للإمبراطور « هوتو » لدى عبد الرحمن الناصر] ، وقد أورد في ثناياها من الملاحظات ما يدل على اتجاه المستعمرين نحو الإسلام آنجهاً شديداً (٥١) ، وكان ربيع بن زيد هذا سفيراً للناصر لدى هوتو (Otto I) إمبراطور ألمانيا . وقد وضع عريب بن سعد (ف ٦٥ ب) تقويمياً مماثلاً لتقويم ربيع (٥٢) (٥٣)

(*) نفس المصدر ، ص ٧٢١ .

(٥٠) ابن سعيد : ذيل على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس ، انظر فتح الطيب المغربي

(ط . هي الدين) ج ٤ ، ص ١٧٦ .

(٥١) انظر سيمونيت : تاريخ مستعمرى إسبانيا (للذكور في التطبيق الثالث) ص ٦١١ ،

(٥٢) عبارة المؤلف هنا فيها خلاف لما أجمع المؤرخون عليه بشأن كتاب الأسقف ربيع

ابن زيد المشار إليه ، وسيرد بيان ذلك بالتفصيل في « رسالة تاريخ العسكر الأندلسي » التي نجمع فيه التعليقات كلها . ولكنني أتبع هنا إلى ما ذكره دوزي وأيده فيه سيمونيت بخصوص هذا الكتاب وعلاقته بتقويم عريب بن سعد القرطبي الكاتب ، وهو يتلخص فيما يلي :

وضع عريب بن سعد تقويمه للعروف في سنة ٩٦١/٣٤٩ ، وقد ضاعت نسخة العربية ولم نعد إلا على صورة منه مكتوبة بحروف عبرية (وإن كانت عبرية الفنة) ، نقرأها دوزي واستطاع أن يخرج منها النص العربي للتقويم وسماه تقويم قرطبة لسنة ٩٦١ . وليل ذلك بليل =

ولا يشك أحد اليوم فيما ساهم به الإسبان أهل البلاد من نصيب عظيم في تطور الثقافة الإسلامية . وإذا كنا لا نجد بين أيدينا من أدلة تمسكهم من اللغة العربية قدراً أفضل من هذا الذى نراه اليوم ، فإنهم — من غير شك — ليسوا بمستولين عن هذا . فقد ظلوا يستعملون هذه اللغة زمناً طويلاً بعد زوال سلطان الإسلام من الجزيرة ، وظلوا يكتبون بلغة العرب وقائهم وينسبون بأسماء عربية حتى أوائل القرن الرابع عشر ، كما يتضح من الوثائق التى خلفها لنا مستعربو طليطلة . هذا على الرغم من أننا لا نجد فيما بين أيدينا من تراث المستعربين شيئاً ذا قيمة أدبية .

(ب) — اليهود

ف ١٤٢ — أبو زكريا صبور . ابن مبرول . مجيب بن فافروا .

ابن صبري :

كانت إسبانيا خلال المصور الوسطى مركز الدراسات العبرية ، وقد نهت ثقافة يهود إسبانيا من موارد الثقافة الإسلامية بصورة مباشرة^(١) ، وقد بدأ حركة بحث الدراسات التلمودية في قرطبة أبو يوسف حسدى بن إسحاق بن عزرا بن شبروط^(٢) (٩٤٥/٣٣٣ — ٩٧٠/٣٥٩) الوزير المعروف لعبد الرحمن الناصر ،

== وجد جيمس مؤ ليرى نسخة من الترجمة اللاتينية لنجوم الأسفلد ربيع بن زيد ، ففهرما ذيل على كتابه للمسى : تاريخ العلوم الرياضية في إيطاليا في سنة ١٨٣٥ ، وهران دوزي بن هذا النص وهو مريب بن سعد المذكور آها ، فتبين أن النص اللاتيني للنسب إلى ربيع بن زيد ترجمة لنجوم مريب مع بعض الزيادات . ولقد بدأ هذا الاستنتاج إدواردو سافندرا وغابرييل سبونيت .

CI : GUILLERMO LIBRI ; *Histoire des sciences mathématiques en Italie*. Paris, 1885.

R. DOZY : *La Calendrier de Cordoue de l'année 961*. Leyde, 1878.

— : *Die Cordovaner Arib ibn Sa'ad der Sekretar und Rab' ibn Zaid der Bischof*. ZDMG. vol. XX.

E. SAAVEDRA : *Estudio sobre la invasión de los Arabes...*, p. 16.

J. SIMONET, *Historia de los Monárques de España* (Madrid, 1908) pp. 611-614.

بما بسط من العون لموسى بن حانوك^(*) ومدرسته ، فلم تلبث أن أصبحت من أعلام الأدب العبري رجالا مثل مناحيم بن سروق الطرطوشي ودناش بن لبراط (أو لبراط)^(١) ممن افتتحوا عصر الازدهار للشعر العبري الحديث . وقد اقتفى أولئك الشعراء آثار الأدب العربي وتمثلوا صوره ، وإن كان أساس لغتهم ولسانهم عبريين^(٢) .

وقد ألف أول نحو على لغة العبرية يهوذا بن داود^(٣) ، (الذي يسميه بعض كتاب اليهود فيا خلفوه من كتب عربية : أبا زكريا بن داود الفارسي المهبوز بجيوج) ، وهو تلميذ مناحيم . وقد وضع نحوه هذا باللغة العربية ، ولهذا السبب لم يكن له صدى إلا بين يهود الأندلس . وكذلك ألف ابن جناح^(٤) (٩٩٥/٣٨٤ — ١٠٥٠/٤٤١) أم كتبه المسمى « بالتفتيح » بلغة العرب . ويعرف ابن جناح بين المسلمين بأبي الوليد مروان بن جناح ، أما النصارى فعرفوه باسم يونا (يونس) ومرينوس Merinos ، وإليه يرجع الفضل في نشوء علم النحو في اللغة العبرية ، وهو المعروف في مصطلح علماء يهود الأندلس « بعلم النحو العبراني »^(٥) .

[وهناك فقرات من « كتاب المستلحق » لأبي الوليد مروان بن جناح ، تعطى فكرة عن طريقة تأليف يهود الأندلس في النحو العبري بلغة عربية :

« أما بعد — أيها الأخ الحبيب والحليم القريب — أوضح الله لك المشكلات ، وكشف عنك الخفيات ، فإنه لم تزل نفس منذ أعوام كثيرة وسنين

(*) هناك تناقض بين ما يقوله المؤلف هنا وما يقوله شتاينفايدر . ويبدو أن بالنسبة اعتمد هنا على ما ذكره يوسف وهارتويج ديرنبورج . انظر :

MORITZ STEINSCHNEIDER : *Die arabische Literatur der Juden. Ein Beitrag zur Literaturgeschichte der Araber, grossenteils aus handschriftlichen Quellen.* (Frankfurt a M. 1902) SS. 119-120.

(*) بهذا العنوان ألف أبو زكريا حيوج كتاباً رئيسياً في النحو ، وهو الذي أكله وعلق عليه أبو الوليد مروان بن جناح رسائله مثل « المستلحق » و « التنبيه » و « التسهيل » . انظر :

JOSEPH et HARTWIG DERENBOURG : *Opuscules et Traité d'Abou't-Walid Merwan ibn Djanah de Cordoue.* (Paris, 1880).

(كتب ورسائل لأبي الوليد مروان بن جناح القرطبي) .

جدة ، إذ نحن في بيضتنا بعد ، تطالبني باستحقاق ما أغفله الأستاذ الفاضل والرئيس
 الكامل أبو زكرياء حيوج ، رحمه الله ونضر وجهه ، من استيفاء الأفعال ذوات
 حروف الين والأفعال ذوات المثلين ، لأنه اشترط في صدر هذين الكتابين
 أن يأتي بكلية هذه الأفعال ، وأن يضم كل نوع منها إلى جنسه وكل شخص إلى
 نوعه ، فأهمل كثيراً جداً من الأجناس التي كان يلزمه الإبانة عنها والتدقيق على
 بعد غورها ودقة معانيها ، وأفضل من الأنواع جملةً وضج من الأشخاص جمهوراً .
 واست أليح في هذا ملأماً ولا أعصبه (*) مذمة ، إذ القوة البشرية ضعيفة ، وإذ
 الكمال والتمام لله وحده لا شريك له . وكنت أيضاً قد شككت عليه (**) مسائل
 كثيرة من كتابيه ، فأردت ذكرها والتبيين لها ، لما في ذلك من عظيم الفائدة
 وجزيل النفعة ، ولأن هذين القبيلين — أعني حروف الين وذوات المثلين —
 من أغصن شيء في اللغة المبرانية وأعوصه . فضبطني عن ذلك إلى وقتي هذا
 رياسة هذا الرجل في هذا الفن وجلالة قدره فيه واقتداره عليه ، فإنه لم يتقدمه فيه
 متقدم ولا سبقه إليه سابق ؛ وإن له علينا حقاً (†) ، بما أفادنا من هذه الصناعة
 وما أوجحه لنا من مستغلقها ، وقر به منا من بيدها . وبما كسل حتى عن ذلك أيضاً
 ما نحن عليه من الجلاء للقدر علينا ، والحل والترحال الذي نحن بسبيله (‡) . فلما
 ألححت على — أعزك الله — في ذلك ، وألح على فيه معك جماعة من إخواني ممن
 شأنه البحث والطلب ، لم أجد بداً من إسعافكم والصدورة إلى مرغوبكم ، فأستلحق
 في هذا الكتاب كل ما بلغه وُسمي وانتهت إليه مقدرتي من أجناس الأفعال

(*) كنا في الأصل الطبع ، ولعلها : أعطيه .

(**) كنا في الأصل ، ولعل سوابه : وكانت أيضاً قد أشكلت عليه .

(†) في الأصل : لحقنا .

(‡) الإشارة هنا إلى ما كان يأنيه يهود الأندلس في ذلك الحين من الانضهاد واضطرار
 الكافرين منهم إلى الهجرة من ناحية إلى ناحية . ومظم هذا الانضهاد كان يومه اليهود
 بعضهم يمشي .

وأنواعها وأشخاصها التي أضرب عنها ، وسميته بكتاب المستلحق^(*) .
 ثم يقول بعد قليل : « اعلم أن من الأفعال ما لم يذكرها ذكرًا شافياً ولا
 أحتملها محلها ، بل أشار إليها وطوأمها في درج ذكره لنبرها . وربما أشار إلى بعضها
 في باب من أبواب الكلام الجمل ولم يذكرها في الكلام المصنف ، كإشارته
 إلى موحية (= نفال) في باب الأفعال الجمل للقدم ذكره في المقالة الأولى
 من كتاب حروف اللين على ذكر الأفعال التي جاءتها ياء ، فإنه ذكر هناك
 שם ישר נוכח פסג דבר נא ונוכחה (= نوكح — ١ سفر أيوب ، ٧/٢٣) ونحو إكحاه ،
 أشعيا (١٨/١) ولم يذكر هذا الأصل في موضعه مع الأفعال التي جاءتها ياء
 المصنفة على حروف المعجم في المقالة الأولى من كتاب حروف اللين ، على كثرتها
 في המקרה (العهد القديم ، وعلى أن فيه نوع آخر غير هذا النوع وهو
 אותה חוכחה אשר חוכחתה ואת כר ונוכחה (= هو كححا — سفر التكوين ،
 ١٤/٢٤ — وهو كيتمخ — نفس السفر والإصحاح ، فقرة ٤٤ — وנוכחת —
 تكوين ، ١٦/٢٠ — أو هو يمتخ) الذي تفسر الجميع إعداد وإحضار^(٧) .
 أما אותה חוכחה (= هو كححا) فهي أنها المرأة التي أعدتها وأحضرتها^(٨) .
 (= لإسحاق) ، وأما מה נוכחת فتفسيره والكل وأعدت وأحضرت ،
 أي أنها أعدت وأحضرت جميع ما أمرها به من الكسوة ، وهو أفعال متعد
 إلى כר (= كور) مثل אשר נשכרת אח דכם חונת (= نشبرتني — عزرا ،
 ٩/٤) . وأيضاً החצר מאחכם فإن נשכרת واقع على דכם لا يجوز في المعنى
 غير ذلك » [□] .

(*) أبو الوليد مروان بن جراح : كتاب المستلحق ، ص ١ — ٢ . انظر : « كتب
 ورسائل أبي الوليد مروان بن جراح القرطبي » .

Opusculs et Traité d'Abou'l-Wallâ Merwan ibn Djanah de Cordoue.
 Texte arabe publié avec une traduction française par JOSEPH DEREN-
 BOURG et HARTWIG DERENBOURG, Paris, 1880.

(*) أي أن تفسر هذه الألفاظ .

(+) أي أن معنى هنا أن المرأة التي أعدتها وأحضرتها .

(□) نفس المرجع ، ص ٤ — ٥ .

[وكانت المناقشات بين علماء اليهود هؤلاء تجري على نفس الأسلوب الذي كان العرب يمحرون فيه في مناقشاتهم فيما بينهم ، مما يدل على تأثرهم الشديد بالثقافة العربية ، ومثال ذلك هذه الفقرة لابن جناح يرد فيها على ما أخذه عليه إسماعيل (صمويل) بن النفره الناجد في كتابه المسمى « رسائل الرفاق » :

« أول ما ناقضنا فيه في هذه الرسالة الكريمة الأولى الواصلة إلينا الآن من جملة ما أبقى به من رسائل الرفاق ، هو ما فسرناه في أول المستلحق وهو [ما قلناه من أن ألفاظ] אשר וזכיר חי זכן אדוני אתה חזקתה לעכרך זאת כד וזכח (هو كَيْخ — سفر التكوين ، ٢٤/٤٤ وهو كَحَتَا — تكوين ٢٤/١٤ — وونوكَحت — نفس السفر والإصحاح فقرة ١٦) من أن [معنى] الجميع إعداد وإحضار ، على ما هو اليق وأوفق بالمعنى ، فطلب مناقضتنا بضروب من الكلام المختلط المتشوط للتسق^(*) للضطرب . وذلك أنه أول شيء زعم أن تفسري في هذه الكلمات [بأن معناها] إعداد وإحضار بدمه لم يقل بها أحد ، فأنكره واستقبحه غاية الإنكار والاستقباح وقال : ما أفصح قول القائل : « هي المرأة التي أحضرها الله » من غير أن يأتينا بدليل على قبحه بأكثر من قوله إن الشيوخ قد فسروا في هذه الكلمات « التوفيق » . وقد كنا رأينا نحن ممن تفسر بعض من حسده علينا في هذه الكلمات ما رآه هو ولم نستحسنه ، لأنه اشتقه من נבח ח' (= نو كَحْ — سفر القضاة ، ٦/١٨) وهذا عندنا غير جائز في الاشتقاق ، لأن النون في נבח ח' (= نو كَحْ ، تكوين ٢/١٤) هي أصلية ، بذلك على ذلك قولم נבחו חמנו (نِكَحُوا) وأيضاً נבחו (نِكَاحُوا ، أشعيا ٢/٥٧) والواوات في هذه الألفاظ هي فاءات الأفعال ، وهي منقلبة من ياءات وهي على زنة חמחי חן חמלחי חמחי כי נחלחי (حُوجِل وحُوجِلَني — أيوب ١١/٣٢ ونُوحِلاه — عزرا ٥/١٩) ، إلا أن هذا الأصل غير متمد ، فقد بطل معنى التوفيق ببطلان استدلال المسندل عليه » [^(*)] .

(*) كذا في الأصل ولعل سحتها : للتسق . (**) نفس للرجع ، المقدمة ، ص ١٠٠ .

وعن طريق الكتب العربية تعلم أول فيلسوف يهودى وهو سلومون بن يهوذا ابن جبرول (٤١١/١٠٢١ - ٤٦٢/١٠٧٠) ^(١٠) ، الذى يسميه المسلمون أبا أيوب سليمان بن يحيى ، والنصارى أفيسبرون Avicbrón ؛ فقد قرأ كتب فلاسفة العرب وصقل ملكته بما فيها من الآراء والأفكار . ويقول مونك : « إن ابن جبرول لحقيق بأن يسمى الباحث الحقيق للشعر العبرى بفضل ما نظم من شعر ، وبأن يعتبر صاحب الصدارة بين شعراء اليهود فى العصور الوسطى ، وربما كان أكبر شعراء عصره . نعم إنه صب شعره على قوالب الشعر العربى ، ولكنه فاق شعراء العرب فى مراتب الشاعرية وفى سمو أفكاره وإحساسه الشاعرى » . أما فى باب الفلسفة فقد ألف كتابه المسمى « ينبوع الحياة » باللغة العربية ، وتأثر فى تأليفه بمذهب ابن مسرة القائم على آراء أنبا دقليس الزائف ومذهب الأفلاطونية الحديثة . ولم ينتشر هذا الكتاب بين اليهود بسبب لغته العربية وبسبب ما ذهب إليه فيه من القول بوحدة الوجود . أما النصارى فقد عرفوا هذا الكتاب عن طريق ترجمته اللاتينية التى قام بها دومنيجو جندالف Dominicus Gundissalinus ، وكان لهذا الكتاب الذى عرف فى اللاتينية باسم ^(*) Fons Vitae أثر ظاهر عند دانس سكوتوس Duns Scotus وعند مفكرى المدرسة الأوغسطينية ، بل نجد أثره عند جيوردانو برونو فى القرن السادس عشر للميلاد .

ولا يظهر الأثر العربى فى كبار مؤلفات ابن جبرول بحسب ، بل يتجلى كذلك فى كتاباته الصغيرة ، كما نرى فى « النحو » العبرى الذى نظمها فى قصيدة

(*) ضاع الأصل العربى لهذا الكتاب ولم يبق لنا إلا ترجمته اللاتينية وقطعة من ترجمته العبرية . وكان العلماء يشكون فى نسبتها إلى ابن جبرول ، حتى أثبت ذلك سلومون مونك . انظر : SALOMON MUNK. *Mélanges de philosophie juive et arabe* (Paris, 1859) pp. 170. sqq.

عبرية صاغها في بحر الرجز العربي تتألف من أربعمائة بيت ، وهو يتحسر فيها على انصراف إخوانه في الدين من أهل سرقسطة عن لغتهم المقدسة ، ويسميه « الجماعة الصياء » ، إذ كانت بعضهم يتكلم — على حد تعبيره — لغة إيدوم (Edom = عجمية أهل الأندلس) وبعضهم الآخر يستعمل لغة كِدَار (Kedar = اللغة العربية) (*). ويتجلى ذلك الأثر كذلك في رسالته المسماة « كتاب إصلاح الأخلاق » (†)، وهي رسالة في الأخلاق الصليبية ، وكتابه « مختار اللآلئ » وهو مجموعة من حكم فلاسفة اليونان والمسلمين . وكلا هذه الرسالة وذلك الكتاب باللغة العربية .

وكان لأراء النزالي في الأخلاق والتصوف أثر ظاهر في الكتاب للمسمى « الهداية إلى فرائض القلوب » الذي ألقه بالعربية بجيا بن يوسف بن قاقوفا (†) (١١) معاصر ابن جبرول ، وقد سماه الناس « توماس ديكيمس » Tomas de Kempis « اليهودي » .

[وإليك طرفاً من كلام بجيا في فاتحة « الهداية » :

« ... فلما عزمنا على إثبات أصول فرائض القلوب في كتابي هذا استعملت قياساً في اختيارها ، لتكون جامعة لغيرها وحافية لسائرهما ، فوضعت أصلها الأمل وأسمها الأكبر إخلاص التوحيد لله .

« ثم نظرت إلى ما يلزمنا من اتباع التوحيد به من القرائن المذكورة

(*) Cf : MILLAS VALLICROSA, *Selomo ibn Gabirol como poeta y filósofo* (Madrid-Barcelona, 1945) pp. 48-49.

(*) لغير النسخ العربي مع ترجمة إنجليزية وإيز ، انظر :

ST. WISE, *The Improvement of Moral Qualities* (Columbia University Oriental Series) New-York, 1905.

(†) هذه هي الصورة العربية الصحيحة للاسم ، انظر :

GEORGES VAJDA, *La Théologie Ascétique de Bahya ibn Puqada* (Paris, 1947) pp. 7-8.

للمشاكلة له منا ، فسلمت علماً يقيناً أن الخالق تعالى لما كان واحداً حقاً ولا يلحقه اسم جوهر ولا عرض ، ولم يتجاوز فكرنا إلى إدراك ما ليس بجوهر ولا عرض امتنع علينا إدراكه من جهة ذاته ، فلزم تعريفنا به وإدراكنا لوجوده من جهة مخلوقاته ، وهو باب الاعتبار بالمخلوقين ، فوضعت الاعتبار أصلاً ثانياً للمجلة من فرائض القلوب .

« ثم تأملت إلى ما يلزم للواحد الحق من الربوبية ، وما يحق على المخلوقين من عبوديته ، فوضعت النزام الطاعة لله أصلاً ثالثاً للمجلة من فرائض القلوب .

« ثم تبينت إلى ما يلزم الواحد الحق من انفراده بتدبير الكل ، وأن النفع والضر ليس في يد غيره ، ولا في مقدور سواه إلا عن إذنه ، لزمنا التوكل عليه والاستسلام إليه ، فوضعت التوكل أصلاً رابعاً للمجلة من فرائض القلوب .

« ثم تفكرت في معنى الواحد الحق من اختصاصه بذاته ، ولا يشارك شيئاً ولا يشبه شيئاً ، أتبعت ذلك إفراده بالطاعة والعبادة بإخلاص عملنا لوجهه ، إذ لا يقبل العمل للشترك فيه غيره معه ، فوضعت إخلاص العمل لله أصلاً خامساً للمجلة من فرائض القلوب .

« ثم أجلت فكري فيما يلزمنا للواحد الحق من التعظيم والإجلال ، إذ ليس كمثل شيء ، ففتح ذلك التواضع له كحسب ما يستأهله ، فوضعت التواضع أصلاً سادساً للمجلة من فرائض القلوب .

« ثم لما تصفحت ما يجري على الناس من النغلة والتقصير فيما يلزمهم من طاعة الله جل وعز ، وكان وجه استدراك غلظهم وتقصيرهم التوبة والاستغفار ، وضعت التوبة أصلاً سابعاً للمجلة من فرائض القلوب .

« الحكمة » للنزالي

« الهداية » لبجاء

انظر كيف رُميت هذه القوى بهذا الترتيب المحكم العجيب ، فصار البدن بما فيه بمنزلة دار لسلك فيها حتم وقوم موكلون بالدار ؟ فواحد لإمضاء حوائج الحتم وإيراد ما لهم ، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يبلغ ويهبأ ، وآخر لإصلاح ذلك وتبليته وإصلاحه أخس مما قبل ، وآخر لكسح ما في الدار من الأفتار وإخراجه . فالملك في هذا المثل هو الخالق السليم سبحانه ، والدار هي البدن ، والحتم هي الأعضاء . والقوم هي هذه القوى الأربع التي هي النفس ، وموقعها من الإنسان بمعنى الفكر ، والوهم والعقل والحفظ والغضب وغير ذلك .

أرأيت لو نفس من الإنسان من هذه الصفات الحفظ وحده كيف كان يكون حاله ؟ كان لا يحفظ ما له وما عليه (*) ، وما أصدر وما أورد ، وما أعطى وما أخذ ، وما رأى وما سمع ، وما قال وما قيل له . ولم يذكر من أحسن إليه ولا من أساء له ، ولا من نفعه ممن ضره . وكان لا يهتدى لطريق ولو سلكه ، ولا تعلم ولو درسه ، ولا ينتفع بشعره ، ولا يستطيع أن يتبرج من مضى .. فانظر إلى هذه النعم كيف موقع الواحدة منها ، فكيف جميعها ؟

فانظر كيف وكلت هذه القوى في البدن القيام عليه بما فيه صلاحه ، فصارت بمنزلة دار للدار فيها حتم وقوم موكلون بالدار : فواحد لاقتضاء حوائج الحتم وإيرادها إلى خازن الملك ، وقيم ثان يقبض ما يورده الأول ويخزنه في الدار إلى أن يهبأ ويصلح ، وقيم ثالث لإصلاح ما اختزن وإصلاحه وتبليته وهرقة في الحتم ، وقيم رابع لكسح ما في الدار من الأفتار والأوساخ وإخراجها منها . ثم فكر في القوى النفسانية ومواقعها من منافع الإنسان نحو الفكر والحفظ والنسيان والحياة والطلب والنطق .

أرأيت (*) لو نفس الإنسان من هذه الحلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكمن خلل كان سيدخل عليه في أموره ، إذا لم يحفظ ما له وما عليه ، وما أخذ وما أعطى ، وما رأى وما سمع ، وما قال وما قيل له ، ولم يذكر من أحسن إليه من أساء أساء إليه ، وما نفعه مما ضره ، ثم لم يهتد إلى طريق ولو سلكه سماراً كثيرة ، ولا يحفظ علماً ولو درسه طول عمره ، ولا ينتفع بجعرية ، ولا يقيس شيئاً بما مضى ، ولا ما يكون بما كان ، بل كان خليفاً أت ينلخ من الإنسان أصلاً (-) .

(*) في الأصل : قرأت .

(*) في الأصل : وكان لا ...

(-) A.S. YAHUDA, op. cit. p. 66-67

من المقدمة الألمانية ، وانظر عن بجاء :

A.S. YAHUDA, *Prolegomena zu einer erstmaligen Herausgabe des Kitab al-Hidaya ila Fara'id al Qulub*, Darmstadt, 1904.

ID., *Al-Hidaya ila Fara'id al Qulub des Bachja ibn Josef ibn Paquda aus Andalusien im arabischen urtext zum ersten Male nach dem Oxforder und Pariser Handschrift sowie den Petersburger Fragmenten herausgegeben*. Leiden, 1912.

وتعليق جولدييهير على هذه الطبعة في :

ZDMG, LXVII, 1913, pp. 529-538.

وقد ألف دَيَّان (= قاضي) لليهود في قرطبة — أبو عمر يوسف بن صديق^(١٢) المتوفى سنة ١١٤٩/٥٤٣ — كتاباً في النطق وكتاباً في الفلسفة الدينية يسمى « الكون الأصغر » باللغة العربية ، [وقد ضاع الأصل العربي لهذا الكتاب ، ولم يبق لنا إلا ترجمته العبرية المعروفة باسم سيفر هاعولم هاقطون] . وكان ابن صديق مطلعاً على كتابات أفلاطون وأرسطو و « رسائل إخوان الصفا » . وبالعربية كذلك ألف ليفي بن التبان^(١٣) ، الذي يكنى اليهود في كتاباتهم بأبي القهم ، كتابه المعروف بـ « الفتاح » في نحو العبرية ؛ وهو من أهل سرقسطة ، وقد رأى قوات ألفونسو الأول ملك أراغون الحروف بالمقاتل تدخل سرقسطة وتنتزعها من دولة الإسلام نهائياً سنة ١١١٨/٥١١ . وألف سليمان بن زَقِيل (أو سَقِيل) « مقامة » فكهة على طراز مقامات الحريري .

ف ١٤٣ — موسى بن عزرا . يهودا هاروى (هاليفى) . أبراهام

ابن داود . الجزيري . بنو طيبويه :

كان موسى بن عزرا (١١٣٨/٥٣٢)^(١٤) شاعراً يهودياً من أهل غرناطة ، وكان شقياً في حياته مستغرقاً في هواه ، وهو يتغنى في « ديوان » شعره بذكر الخمر والهوى والسرة ولذات العيش على طريقة شعراء العرب^(١٥) . أما كتابه المسمى « المحاررة والمذاكرة » فقد ضاع أصله العربي ولم يبق لنا إلا ترجمته العبرية ، وهو رسالة في فن الكتابة وتاريخ لشعراء اليهود من أهل الأندلس وآثارهم ، وهو

(*) لغير مختارات منه برودى ، انظر :

H. BRODY, *Selected poems of Moses Ibn Ezra*. Philadelphia, 1934.

وينهب منظم مؤرخي موسى بن عزرا إلى أن آلام الهوى كانت سبب شقوته ، ولكن لباس قاليكروسا ينقص هذا الرأي وينهب إلى أن مرجع ذلك هو ما أصاب يهود غرناطة على يد أهلها من البربر واضطراره إلى الهجرة مع من هاجر من البلد . انظر :

JOSÉ Ma MILLAS VALLICROSA, *La Poesía Sagrada Hebraicoespanola* (2ª ed. Madrid-Barcelona, 1948) pp. 93-95.

يضم كذلك أطرافاً من الشعر العربى (*) . [وله كذلك كتاب قيم آخر هو « الحديقة فى معنى المجاز والحقيقة » (**) ، وقد اندثر أصله العربى ولم تبق لنا إلا فقرات من ترجمته العبرية المعروفة باسم « أُرْجَات هابوشيم » ؛ وهو كتاب ذو طابع فلسفى يجمع طائفة من الأمثال والحكم .

وإليك قطعة من شعر موسى بن عزرا صاغها فى قالب القصائد العربى المعروف ، وهى من شعره الزهدى :

ما الحبيب ، ما له بى زرى لى وبخاصمنى . .
مع أن قلبى لن يزال يميل إليه كأنه عشب مياس ؟
أبكون قد نسى ذلك العهد الذى كنت أمضى فيه
فى الأرض الحزون . . وكيف أدعوه اليوم . . وهو لا يستجيب ؟
بلى ! وإنتى لن أزال فى انتظاره ، ولو كان على يديه حتى . .
وإن أخفى عنى وجهه فلن أنفك أرقب عطفه وأتوجه إليه . .
أجل ، ولن تعدو رحمة الله عبده
إذ كيف يمكن أن يتغير الذهب الخالص ويتحول ؟ (†) .

أما يهودا بن لبئى الطليطلى (٤٧٧ / ١٠٨٥ — ٥٣٧ / ١١٤٣) (١٥) (أو يهودا هالبئى) ، الذى يكنىه العرب بأبى الحسن ، فقد نظم أشعاره فى قوالب وموضوعات عربية ، ويؤكد من ترجموا له أنه كان يكتب العربية فى جلال نادر . وقد ألف رسالته المسماة « الحجة والدليل فى نصرة الدين الدليل » فى عربية بايعة ، ولدينا نسخة مخطوطة منها فى مكتبة أكسفورد ، وقد ترجمها إلى العبرية يهودا بن طيهون

(*) انظر :

MILLAS VALLICROSA, *La Poesía Sagrada Hebraicoespanola* (2a ed. Madrid-Barcelona. 1948) p. 96.

(**) نفس المرجع والصفحة .

(†) BRODY, op. cit. nn. 41.

وقد ترجمت من الترجمة الإسبانية التى نشرها ميليس فاليكروسا فى المرجع الآنف الذكر ، ص ٢٦٠ ؛ وهو يطلب الله فى هذه القطعة .

باسم « سيفرُ ها خُزَر » أى كتاب الخزر ، أو الكتاب الخزرى وإليه يشار بهذا الاسم الأخير فى كثير من المراجع ، وعن العبرية نقله يوهان بوكستورف Johannes Buxtorf إلى اللاتينية عام ١٦٦٠ ، وعنها نقله الحاخام يعقوب بن دانا R. Jacob Abendana إلى الإسبانية بعد ذلك بثلاث سنين باسم « كوتارى Cuzary » . وفى سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧ نشر هارتويج هيرشفيلد فى لايبسيك النص العربى للكتاب مع الترجمة العبرية (*) ، وقد استند يهودا فى تأليفه إلى حادث تاريخى ، وهو اعتناق ملك الخزر لليهودية [بعد أن عُرض عليه الإسلام والنصرانية فلم يجد فيها حاجته] ، ولهذا نراه يشيد بذكر دينه وينتصف له من الإهانات الكثيرة التى كان الناس يلحقونها به . وهذا الكتاب الأصيل يذكرنا « بكتاب الأحوال » Libro de los Estados للدون خوان مانويل ، إذ أن موضوعيهما متشابهان ؛ وفيه مشابه كذلك من أسطورة « برلام ويوسافات » ، ولا بد أنه كان النموذج الذى احتذاه راييموندوس لوليوس فى تأليف كتابه المسمى « كتاب الكافر والعلماء الثلاثة » : Libro del gentile e los tres savis

وكان لمؤلفات القارابى وابن سينا أثر ظاهر فى المؤلفات الفلسفية التى خلفها أبراهام بن داود الطليطلى (١١١٠/٥٠٣ — ١١٨٠/٥٧٥)^(١٦) ، الذى حاول أن يوفق بين كتب اليهود المقدسة وفلسفة أرسطو . [وقد كتب بلغة العرب كتبه التى لم يبق لنا منها إلا الترجمات الدبرية لبعضها ، وأهمها : إيمُوناه راءاه (= العقيدة السامية) وسيفرُ ها تَبَّالَه (= كتاب المأثور) . أما « الزنج » الذى وضعه فقد ضاع]^(*) . وكان أبراهام بن عزرا بن مَيزر ، الذى يسى فى

(*) انظر :

Cuzary, Diálogo filosófico por YEHUDA HALEVI (siglo XII) traducido del árabe al hebreo por YEHUDA ABEN IIBBON, y del hebreo al Castellano por R. JACOB ABENDANA (Madrid, 1910) p. XII-XVII.

(*) ISAAC HUSIK, *A History of Mediaeval Jewish Philosophy*. (Philadelphia, 1946) pp. 197-198.

الكتابات العربية بأبي إسحاق إبراهيم بن الجيد (١٠٩٢/٤٨٤ - ٥٦٢/١١٦٧) ^(١٧) الفكر اليهودي القلق الجوّال ، يجيد أساليب التفسير العربي . أما يهودا الجزيري بن شلومون (سليمان) ^(١٨) فقد أسخطه ما رأى من تفصيل أهل ملته لغة العرب على العبرية ، وحاول في كتاباته أن يثبت أن هذه الأخيرة لا تقل عن العربية ثروة وجالا ، فأقبل على مقامات الحريري وترجمها إلى العبرية ، وألف قصة ذات طابع مسرحي تسمى تحكيّموني قلّدها أسلوب « المقامات » ونسج فيها على منوال « ابن سقييل » في كتابه القسكة الذي يحمل اسماً مشابهاً لاسم قصة الجزيري هذه ^(*) .

وفي أواخر القرن الثاني عشر نشط اليهود في نشر عدد كبير من مؤلفات العرب بين إخوانهم في الدين ، من أهل إسبانيا وجنوبي فرنسا . ومن أمثلة ذلك ما فعله أبراهام بن صمويل بن ليثي بن حنداي صاحب قصة « الأمير والدرويش » (بن هابيلك وها نزيير ، وهي مقتبسة من أسطورة برلمان وروسافات) ، فقد ترجم إلى العبرية كتاباً عربية كثيرة منها كتاب « ميزان العمل » للفزالي ، ترجمه بعنوان مزني صديق ، أي ميزان الصديق . وكذلك اجتهد مشلّم بن يعقوب من أهل كورنيل (بجنوبي فرنسا) في النهوض بحركة الترجمة من العربية إلى العبرية ، وحض أهل دينه من اليهود البروقسنين على الإقبال على العلوم . وكان من أثر جهوده أن تمت ترجمة الكثير مما ألّفه اليهود بالعربية إلى العبرية ، ككتاب « الهداية إلى فرائض القلوب » لبصيا ، وكتاب « إصلاح الأخلاق » و « مختار اللآلئ » لآلان جبرول ، و « الكتاب الطرزي » ليهودا بن ليثي ، ورسائل ابن

(*) هناك خلاف في الطريقة التي يكتب بها اسم هذه القصة في الراجع التي تمتد عليها في تقويم هذا النص ، فيالتيا يكتبه Taquemoni ، وملياس فاليكروسا يكتبه Tahkemoni ومنتد بلايو يكتبه Tachkemoni .

Cf: MENÉNDEZ Y PELAYO, *Estudios y discursos de crítica histórica y literaria* (Madrid, 1941) vol. I p. 206

J. MILLAS VALLICROSA, *La poesía sagrada hebraicoespañola*, p. 135.

STEINSCHNEIDER, *Die hebräische Uebersetzungen...*, p. 428.

جناح في النحو واللغة العبريين . وهذه الترجمات كلها صحيحة ولكنها مملّة ، وقد
يختل في بعضها سياق اللغة العبرية بسبب الإسراف في التزام حرفية الأصول
العربية التي نُقلت .

ف ١٤٤ — موسى بن ميمون . المترجمون :

ويعتبر موسى بن عبيد الله بن ميمون القرطبي^(١٩) (١١٣٥/٥٢٩ — ١٢٠٠/٦١٠)
(١٢٠٤) أمير مفكرى الأندلس . درس ابن ميمون في مدارس اليهود والعرب في
قرطبة ، ومن بين شيوخه تلميذ من تلاميذ ابن هاجه . وهو مدين — دون ريب
— لما نشره العرب من فلسفة أرسطو بما يمتاز به من ذهن منطقي مرتّب ، وعقل
قادر على تصنيف الموضوعات في نظام وعرضها في وضوح ، وتلك هي ميزته
الكبرى . وقد ألف بالعربية كتابه المسمى « رسالة في الردة » ، وكان دافعه إلى
تصنيفه ما لجأ إليه الموحدون من إرغام يهود سراكش على اعتناق الإسلام ؛
وكتب بالعربية كذلك كتابه المسمى « السراج » وقد أتمه في القاهرة ، وهو
شرح واضح منهجي دقيق « للشفا » ، وقد ظل هذا الكتاب خاملاً لم يلقفت
إليه إلا القلائل مع ما له من الأهمية . وكتب بالعربية « رسالة الرءاء » إلى يعقوب
القيومي وإلى جماعات اليهود في اليمن ، ممن اضطرم الفاطميون إلى دخول الإسلام
عندما نزلوا تلك البلاد (١١٧٢/٥٦٧) . وبلغت العرب أيضاً ألف « كتاب
القرائض » يدفع به ما وُجه من النقد إلى كتابه « ثنية التوراة » ، أما أشهر
كتبه « دلالة الحائرين » فقد كُتب في الأصل بالعربية ، ومعظم الآراء التي
يحموها عربي ، وقد ترجم ذلك الكتاب إلى العبرية واللاتينية ولغات أوروبية
أخرى كثيرة (من بينها الإسبانية ، ترجمه إليها بيدرو الطليطالي في القرن الخامس
عشر) ؛ وهو يعتبر بحق جُماع ما في اليهودية من لاهوت وفلسفة ، وقد حاول ابن

ميمون أن يوفق فيه بين العقل والدين كافضل ابن حزم وابن رشد قبله ، وكما سيفعل القديس توما الأكويني من بعده .

ولم يظهر بين اليهود بعد موسى بن ميمون مفكرون ذوو شأن ، وانصرف جل اهتمامهم إلى الترجمة ، وخاصة في قطلونية وپروفانس (جنوبي فرنسا) وكانت الثقافة العبرية قد تركزت فيها ؛ وقد ترجم اليهود هناك المؤلفات العربية عن أصولها أو عن ترجماتها اللاتينية التي قام بها مترجمو طليطلة . ونستطيع أن نضيف إلى أسماء من ذكرنا من نقلة اليهود عدداً آخر عظيماً من عمل في قطلونية وپروفانس ، ولكننا نكتفي بذكر بعضهم مثل يعقوب بن أبنا ماري صهر صمويل بن طيبون ، وكان أول من ترجم ابن رشد إلى العبرية ، ولونيموس بن ماير ، وكالونيموس بن تندرُس ، وليثي بن جرسون (١٢٨٨/٦٨٦ — ٧٤٤/١٣٤٤) ، وموسى الأربوني ، وغيرهم من حافظوا على أثر علوم العرب وفلسفتهم خلال العصر الوسيط الأول^(٢٠) .

أدب المستعجمين^(٢)

- ف ١٤٥ — مؤلفات ذات طابع تعريفي أو ديني .
ف ١٤٦ — الشعر للوريسكي : « نصيدة يوسف » . قصائد أخرى في مدح الرسول .
الغمرطوسي . إبراهيم البُلَمَادي . خوان ألونزو . محمد رِبَضان .
رباعيات حاج (الهيشاني) بنوي مُنْتُون .
ف ١٤٧ — القصة للوريسكية : قصص ذات موضوعات دينية أو تاريخية أو خيالية .
قصص القروسية .

(١) ترجمت بهذا اللفظ اصطلاح Los Aljamiados ، والمراد به في مصطلح التاريخ الإسباني أولئك الذين يتكلمون « البجبية » La Aljamia ، وهي التسمية التي أطلقها الأندلسيون على اللغة الغشائية ، ثم أطلقوا على من يتكلمها لغة « الجيادو » أي المستعجم . ويطلق الاسم عادة على أولئك المسلمين الذين ظفروا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة وتكلموا الإسبانية ولكنهم استمروا في كتابتها بحروف عربية ، كما سيري القاري " فيايل . وقد قست هذا اللفظ على اصطلاح « مستعرب » .

ف ١٤٥ — مؤلفات ذات طابع تعليمي أو ديني :

كانت آخر صورة ظهر فيها أدب الأندلسيين المسلمين هي آثارهم التي كتبوها باللغة الإسبانية مستعملين في كتابتها الحروف العربية (التي نسي في المصطلح الإسباني الخَمَيَادِيَّة أي للستمجمية ، وهو تحريف إسباني لفظ الأهمجية ، فقيل : أَلَاَجِيَّة ، ثم أَلَاَخَامِيَّة ، أَلَخَامِيَّة aljamia) ؛ وهو أمر يدل على حالة الرعب التي كان اللوريسكيون (*) (١) — أصحاب هذه الكتابات — يعيشون في ظلها بعد سقوط غرناطة في يد النصارى ، وخاصة عندما وجدوا أنفسهم مضطرين إلى التمسك بمعتقدهم « ديوان التحقيق » (٢) . وقد انقطعت انقطاعاً يكاد يكون تاماً الأسباب بين معارفهم الضئيلة عن علوم الإسلام وما كان لأجدادهم الأجداد من تقاليد علمية رفيعة ، ولكنهم لم يتخلوا قط عن أحرف الهجاء العربية ، واستمروا يكتبون بها ما لديهم من المعارف الحفوظ على عقيدتهم من ناحية ، ولتصمية مُتَبَقِّعِيهم عن غفوى ما يكتبون من ناحية أخرى . ومن الطبيعي أن نجد موضوعات هذه الكتابات للستمجمية وروحها إسلامية خالصة ، ولم تتوصل إلى الكشف عن سرها وحل رموزها إلا في القرن التاسع عشر .

(*) اللوريسكيون Los Moriscos اسم يطلق على جميع من بقى في الأندلس من المسلمين بعد سقوط غرناطة في أيدي فرناندو وإيزابيلا في ٢ يناير سنة ١٤٩٢ . وهو صفة من لفظ Moro الذي يطلق في بعض النصوص الإسبانية على مربي إسبانيا أو مسلميها ، أو مسلمي الأندلس والغرب ، أو على المسلمين عامة . وأصل هذا اللفظ الأخير لا يتبين : Mauri ، Maurina ، وم عند اللاتين سكان جبال الغرب ، وبهم سمي الإقليم موريتانيا Mauretania الذي يربط العرب إلى مَرُطَانِيَّة . ويمكننا على هذا تعريب لفظ Morisco بلفظ للتعرُّب أو العارِب ، ولكني رأيت أن أستخدم الاصطلاح الإسباني في الترجمة العربية ، لأنه أصبح مصطلحاً مقبولاً في كل اللغات ، ثم إنه في الواقع أحل محل أولئك المسلمين من أي لفظ آخر ؛ وجدير بالذكر أن اللفظ يستعمل اسماً وصفة ، على الرغم من أنه صفة .

وأكثر هذه الكتب التي كانت توضعها خزائن اللوريسكيين ذات موضوعات دينية أو خرافية أو تشريعية . وعندما أخذ الإسبان ينفذون سياسة طرد بقايا المسلمين من البلاد عمد أصحابها إلى إخفائها وسقوها عن العيون ، ثم أخذت تظهر بعد ذلك رويداً رويداً ، ولا زلنا نثر على أطراف منها إلى الآن . ومن أجل مؤلفيها الذين وقفنا على أسمائهم عيسى بن جابر ، قتيبة مسجد «شقوبية» الجامع ، واسمه يُكتب في كتب المستجمعين : عيسى بن جابر Iça de Gebir ، وهو صاحب «الكتاب الشقوبي» El-Alquileb Segoviano ، وقد ورد تحت اسمه تعريفاً به بحروف عربية : بِرِّيْزِيْه سُنِّيْ breviarío sunnī ، أي «مختصر في السنة» ؛ وهو مختصر صغير في الأخلاق والشرعة . ولا بد أنه كان كثير التداول بين اللوريسكيين ، إذ أننا وجدنا منه نسخاً عديدة^(٤) .

[والاسم الكامل لكتاب ابن جابر هذا كما ورد في نسخته للمستجمة هو :
«إِلِّكْتَب شَجْبِيْنُ ، بِرِّيْزِيْ سُنِّيْ ، بِرِّيْزِيْ دِلْسْ بِرِّيْزِيْشْ مَنْدَمِيْنَشْ
إِدِيْمِيْنَشْ دِ فَوْشَر شَنْتَ لِيْ إِسْنْ» ، وهو يفهم إذا نحن رسمناه بحروف
لاتينية هكذا :

El Qutab segobiano. Brebiario sunnī. Memorial de los principales mandamientos y debedamientos de nuestra santa ley y sunna.

أي : الكتاب الشقوبي . مختصر سنِّي ، تذكرة في أم وأمر وواجبات ديننا المقدس وسنتنا . وقد نشره إدواردو سافلرا بحروف لاتينية وعلق عليه في :

Memorial Histórico Español. tomo V, Madrid 1863.

وقائمة الكتاب عربية الروح والسياق ، رغم أنها بالغة القسئالية . وإليك قطعة منها نشرها بنصها كما وردت في الأصل ، وترسمها بحروف لاتينية تسهلاً لقراءتها :

“En el nombre de un solo Criador, sin comienço, ni medio, ni fin, que crió el mundo de nada, y por la su alla providencia

embió sus profetas de grado : en fin de los cuales embió el su escogido, bien todo seguida la palabra aventurado profeta Muham-mad, al fin que fuemos criados.

Dixo el onrrado sabidor, mofti ; y alfakí del aljama de los moros de la noble y leal ciudad de Segovia Don Iça Jedlih (Gebia) : compendiosas causas me movieron a interpretar la divinal gracia del Alcoran de lengua arabiga en alchamía sobre que algunos cardenales (mozarabes) me escribieron que lo teníamos encogido y escondido como cosa no ossada placear, porque no sin grande causa desamparé mi nación para las partes de Levante : por la cual causa me puse a sacarlo en esta lengua castellana, animado de aquella alta autoridad que nos manda y dize que toda criatura que alguna cossa supiere de la Ley lo debe amostar a todas las criaturas del mundo en lenguaje que lo entlendan, si es posible ; y esto por evitar las dudas y dificultades en contrario puestas. Plegue a la inmensa piedad de Allah darme gracia con su ayuda, como teniendo el Alafcir del Alcoran delante, lo haga y que sea guía a los que del arabigo son ygnorantes, asi a los propios como a los estranos ; y para mayor declaración haré un traslado de los articulos que ay en nuestro onrrado Alcoran y otras sumas de las sus sentencias, fines y hechos mas importantes debajo de cuya guía y governacion tantos y tan grandes principes y reyes y tan ynnumerables gentios biven en libertad y franqueza en las tierras de Promision y Casas santas de Maca y en otras diversas partes del mundo donde se mantiene verdad y justicia.."

ولم أرحم هذه القطمة لأن معناها ظاهر ، ولأن أسلوبها ليس قسطنطينياً صحيحاً وإنما يضم تعبيرات تعسر على الترجمة الدقيقة الحرفية .

والكتاب يقع في فصول كثيرة عن الإيمان وما هو ، وما ينبغي على المسلم الاعتماد به ليصح دينه ، والوضوء والطهارة والماء الطاهر وغير الطاهر ، والنيم والصلاة ومواقيتها . وهو يصف طريقة الصلاة ويذكر ما ينبغي أن ينطق به الإنسان في كل حركة من حركاتها . وهو يكتب المصطلحات بالعربية ويرسمها بحروف لاتينية محرفة ولكنها تدلنا على الطريقة التي كان مسدو الأندلس ينطقون بها العربية ، مثال ذلك :

Allah ua aqbar (الله أكبر)

çubhana rabb: ilhadim (سبحان ربي العظيم)

çemi allahu limen hamidehu (سمع الله لمن حمده)

Allahume rabbane qual coi hamdu (اللهم ربنا ولك الحمد)

وهو يستعمل مصطلح المبادات الإسلامية في صورة قشتالية ، فيقول مثلاً :
arraquear أى الركوع ، مستعملاً لفظة arraqua (الركعة) في صورة يفعل
مضيفاً إليها النهاية ar . ويقول : anefiles أى النوافل ، جامعاً لفظة نافلة جمعاً
قشتالياً ؛ وكذلك adaheas أى الأنعميات ، وما إلى ذلك .

وهو يذكر في فاتحة الكتاب أنه ألّفه استجابة لطلب رجل تونسي يُسمى
سيتي بولجايز Citi Bulgaiz (سيدى أبو الجيش ، أبو القيس ، أبو الغازي ؟) [٥] .
ووجدنا كذلك كتاباً ينسب إلى رجل يستقر تحت اسم « مَنُثَبُّ دِ أَرِبَلُّه »
(Mancebo de Arévalo أى رفيق أريبالو) يسمى « التفسير » أو « التفسير »
نلمح فيه أثر آراء النزالي .

[وللؤلف يبدأ كتابه بذكر ما دفعه إلى تأليفه ، ويحكي كيف اجتمع
بفر من المسلمين فيهم سبعة من العلماء ، وتذاكروا سوء حال المسلمين ، ثم تحدثوا
في أمور الدين ، فطلب إليه الناس أن يؤلف لهم في الدين كتاباً ، فكان هذا
الكتاب . وإليك قرة من فاتحة الكتاب ننقلها كما هي في المخطوط ونترجمها
إلى العربية :

١ — « إِرَ أَنْ دِيَا دِلْشَن شَيْتِ دِلْ أَنْيُ » — "Era un día de los siete del año"

٢ — بِنْفِيْنْكَوِيْنْ دِدْلَقَعْدَه ، فُوِيْرُنْ } بنتيْنْكَوِيْنْ دِدْلَقَعْدَه ، فُوِيْرُنْ }
Fueron ajuntados أَخُنْبَدَشْ أَخُنْبَدَشْ

٣ — إِنْ تَرَجَّتْ أَنْ كَنْفِيْنِي دَانْرَدَشْ } إن تَرَجَّتْ أَنْ كَنْفِيْنِي دَانْرَدَشْ }
onrrados muçlimex, مَنُثَبُّشْ مَنُثَبُّشْ

- 4 — adonde xe hallaron máx de beinte muçlimex { ٤ — أَدُنْدِ شَالِيَرُنْ مَشْ دِ بَيْنَتِ مُنْطِشْ }
- 5 — y entre ellox xiete alimex doctox { ٥ — إِي أَنْتَرِ الْبِشْ شَيْتِ أَلِمِشْ دُ كُتْشْ }
- 6 — y fadeladox; y despues del adohar { ٦ — إِفْدِلْدَشْ إِدِ بِيَوْشْ دِلْ أَدَهَرْ }
- 7 — començaron a tratar de nuextrox duelox { ٧ — كَمَنْتَرُنْ أَنْتَرِ دِ نُو شَتْرُشْ دُو لُشْ }
- 8 — y cada uno dixo xu arenga; y entre { ٨ — إِي كَدُونْ دِشْ شُ أَرِنْجْ ، إِي أَنْتَرِ }
- 9 — muchax coxax no falló quien dixo cómo { ٩ — مُتَشْشْ كُشْشْ نَفَلْتِ كَيْنِ دِشْ كُمْ }
- 10 — era grande nuextra pérdida y de cuán poca { ١٠ — إِرْ جَرَنْدِ نُو شَتْرِ بَرْدِدْ إِدِ كُونْ يَكْ }
- 11 — exençia era nuestra obra; y dixo otro { ١١ — إِي لَشَيْتَا إِرْ نُو شَتْرِ أَبَرْ ، إِدِشْ أَنْتَرِ }
- 12 — alim que lox trabajox que tenfamox, y los { ١٢ — أَلِمْ كُشْشْ تَرِ بَخْشْ كِتَيْمِشْ ، لُشْ }
- 13 — que de cada día xe nox apare- { ١٣ — كِدِ كَدِي شِنْشْ أَبَرِ خَبِنْ ، كَعْدُ }
jaban, que todo xeria شيرى
- 14 — para máx merilança; y repug- { ١٤ — پَرَمِشْ مِرِ تَنْفِيَا ، إِرِ پُجَرِنْ }
naron
- 15 — xu dicho, diçiendo que lox { ١٥ — شِدِنْشْ دِ نِينْدُ كُشْشْ تَرِ بَخْشْ }
trabajox
- 16 — no cunplían para ningún { ١٦ — نَكُنْ بِلَيْنْ پَرِ نِنْجَنْ مِشْ كَبْ }
menoxcabo de la obra دِلَا بَرِ
- 17 — preçetada (preceptuada) y que { ١٧ — پَرِ نِتَدَ إِي كَفَلْتَنْدُ لِيدَلْ پَرِ نَبَالْ }
faltando la médula prinçipal, کِلَاشْ
que ex
- 18 — el llamamiento para la açalá, { ١٨ — أَلْتَيْمِشْتُ پَرِ لَا تَلَا كِ لَا بَرِ }
que la obra no podía xer نَبْدِيَا شِرِ
- 19 — grata." { ١٩ — جَرَاتَا ... }

وترجمتها سطوراً بسطراً :

- ١ - في يوم من الأيام البجة السنوية
- ٢ - الخامس والعشرين من ذي القعدة ، اجتمع
- ٣ - في سرسطة جمع من أشرف السليين
- ٤ - حيث وجد أكثر من عشرين مسلم
- ٥ - وكان بينهم سبعة علماء راسخون في العلم
- ٦ - وفاضلون ، وبمد الطهر
- ٧ - أخذوا بالجلوس آلاماً ،
- ٨ - وقال كل واحد منهم كلامه . ومن بين
- ٩ - أشياء كثيرة [تكلموا فيها] لم يخل [الأمر] من واحد قال : « كيف
- ١٠ - كانت خسارتنا كبيرة ، وما أقل
- ١١ - جدوى عملنا » وقال .
- ١٢ - سالم : « إن كل الأعمال التي بين أيدينا والأعمال
- ١٣ - التي تفعلها كل يوم ، إن كل هذه ستكون
- ١٤ - عطية الأجر » ، فأخوها من
- ١٥ - قوله فائين : « ن الأفعال [اليومية]
- ١٦ - لا تأثر لها على العمل [الذي]
- ١٧ - للفروض ، وإنه إذا انعدم العمل الأساسي - وهو
- ١٨ - استجابة النامي للصلاة - لا يمكن أن يكون العمل
- ١٩ - مقبولا »

ثم يذكر المؤلف كيف استمر هذا الحديث ، وكيف أن المجتمعين عندما علموا بأنه ذاهب للحج أكرموه ، وتبرع واحد منهم - هو الدون مَنَرِيك دِ شِجُويَا (= شقوية ، Manrique de Segovia) - بعشرة دوبات موريسكية وكذلك تبرع له الآخرون ، وطلبوا أن يحصل بهم ، فأقام الخطبة وصلى بهم . ثم طلبوا إليه أن يكتب لهم تفسيراً للقرآن مختصراً وواضحاً ما أمكن ، فألف لهم هذه « التفسير » أو « الفسرة » . ثم يلي ذلك الكتاب في فصول كثيرة قصيرة عن الدين والإيمان والقرآن والصلاة والتخير وكلام عن الأنبياء والصالحين والزهاد . وهو يستند بعض كلامه إلى نفر من علماء الإسلام يكتب أسماءهم في صيغ قشتالية مثل : أبُدَرْدَانِي (= أبو الهداء) وكَنَادَا (= قتادة)

وكعب الجبار (= كعب الأحبار) وإبسان (ابن سينا) وإبان رويس
(ابن رشد) وما إلى ذلك ... (*) .

وهناك كتاب آخر نجهل اسم مؤلفه ، ولكننا نستدل من كتابه على أنه
كان ممن لجأ إلى تونس ، واسم كتابه « دِلْكْرِيفْتِيَا إِلَك دِب سَبَرِ إِنْهُمُومِيَانُو
إِنْزَرْشَنْ كُشَنْ كَرْيَشَنْ »^(٦) De la creencia y lo que debe saber
el Mahometano y otrax coxax curioxax أى « كتاب فى العقيدة وما
ينبنى على المسلم أن يعرفه وأشياء أخرى غريبة » ، وهو يتحدث فيه عن الأخلاق
والطقوس الدينية حديثاً مرسلًا على النحو الذى نجده فى كتب الأدب ، ويختلط
بذلك كله شيء شبيه بقصة عنوانها El arrepentamiento del desdichado
(= توبة البائس) ، وقد قال عنها الأستاذ أوليفر آسين إننا نجد فيها « ثقافة
وذوقاً أدبياً وأصولاً إسبانية خالصة أخذت عنها » ، وقد وجد نفس الأستاذ
فى كتابة هذا الموريسكى آثاراً لكتابات لوب ديفيجا Lope de Vega الأديب
الإسباني المعروف . ومن كتاب الموريسكيين الذين لا تخلو آثارهم من طرفة خوان
پيريث Juan Pérez — ويسى أيضاً إبراهيم تيبيلي Ibrahim Taibill —
الذى نظم قصيدة ينقض فيها النصرانية ويساجل أصحابها .

ولا نعلم بين هذه الكتب ترجمات لكتب مشرقية ، كما نجد فى رسالة الفقه
للمالكي السبابة « كتاب التفرغ » (أَلِكِتَب دِلَا تَفْرِغَة Alquitab de la Tafría)
لأبى القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصرى للمالكي ، ولدينا
منه نسخة أخرى مكتوبة بحروف لاتينية^(٧) .

(*) J. RIBERA y M. ASIN, *Manuscritos Arabes y Aljamiados de la Biblioteca de la Junta* (Madrid, 1913) pp 217 - 228

(٦) هذا الكتاب ترجمة فشتالية لكتاب « التفرغ فى الفقه » لابن جلاب البصرى
الشار إليه ، قام بها مترجم لم يذكر اسمه ، وكتب هذا النص الفشتالى بحروف عربية نسخ
قال بالعربية فى نهاية الكتاب : كل التفرغ لابن جلاب ... يوم الاثنين ثمانية يومان =

ولن نقف طويلاً عند كتب اللوريكيين التي تدور حول موضوعات الدين والقراءات والعبادات وللوعظ وجميع الطلائع وما إليها ، إذ أن قيمتها الأدبية ضئيلة ، وهذا لا يمنع من القول بأنها على أعظم جانب من الأهمية في تعرف أحوال المجتمع اللوريكي ؛ ولكتنا سلم بذكر بعض منظومات اللوريكيين .

ف ١٤٦ — الشعر اللوريكي :

كتب « قصيدة يوسف » في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر لليلاديين ، وهي نسي عادة في كتب الأدب El Poema de José ولكن عنوانها الحقيقي كما كتبه صاحبها هو « حديث يوسف » El-Alhadits de José . وهي منظومة في مقطعات من البحر القشتالي القديم المروف بالكواذر نو بيا Cuaderno Via ، وهي قصائد تنظم كل أربعة أبيات منها على قافية واحدة ، وصاحبها موريكي من أهل أرغون نجهل اسمه ، وقد استدللنا على أنه من هذه الناحية بخصاص الأبهة القشتالية التي يستعملها . والقصيدة تقص علينا قصة سيدنا يوسف بن يعقوب كما تروي في « سورة يوسف » من القرآن الكريم ، مختلطة بالكثير من الأساطير الإسلامية التي تنسب إلى كتب الأخبار خاصة ، وهي أساطير مستقاة من الإسرائيليات^(١) .

[وفيما يلي قطعتان من هذه القصيدة في لغتها القشتالية تعطى القارئ فكرة عن قالبها ونظمها بحروف لاتينية لتيسر قراءتها] :

“Reutaban à Zalija las duennas del lugar
Porque con su cativo queria voltariar;
Elia de que lo supo arte las fué á buscar
Convidolas á todas é llevolas a yantar

شهر آرس موافق في صبح وعصرين من الهلال ربيع الأول عام ثلاثة وتسعين وتحمية على يد المعروف بضميره عن شكر ربه يسى (١) أشقر بن ... ؟ وقد تركت ألقابه على حالها . ولا زال لدينا مستخان من الأصل العربي لهذا الكتاب . انظر : بروكلان ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٧٧ . وهو كتاب في الفقه على مذهب مالك .

Diólas ricos comeres é vinos esmerados,
 Que iban hí todas agodas de dictados :
 Diólas sendas toronjas é canniueite en las manos
 Tajantes é apuestos é muy bien temperados

وها هى ترجمتها مع فقرات أخرى من القصيدة تظهر فيها متابعة الشاعر للجانب
 القصصى من السورة القرآنية :

ولامت نساء الناحية زليخة
 لأنها أرادت أن تلهو مع أسيرها
 ولما علمت هى بذلك ست
 إلى أن تدعوهم كلهم إلى الطعام

وقدمت إليهن أطعمة طيبة وغرا منتقى
 وذهبن جميعا إلى هناك ليستمتعن بهذه الأشياء
 وأعطت لكل منهن برتقالة وسكينا
 قاطما ومُقَدًّا ومسنونًا سنا طيبا

وذهبت زليخة إلى الموضع الذى كان فيه يوسف
 وهىأت على أجل صورة بملابس أرجوانية من الحرير
 وزينته زينة بالغة بالجواهر
 وأرسلته إلى النساء ، سوط إغذاب فى يدها

فلما رأيته طار صوابهن
 إذ أنه بلغ من الجمال وحسن الحياة . .
 بحيث ظننه ملاكا ، ومسهن الجنون
 وقطنن أيليهن دون أن ينتبهن

وسال الدم على البرتقال . .
 فلما رأت زليخة ذلك سُرَّتْ سرورا عظيما

وقالت لمن : « أيتها المجنونات ، ماذا أنتن صانعات دون أن تدرين ؟
إن الدم يسيل على أيديكن ! »

فلما رأين الدم أحسن بمدى جنونهن
وقالت لمن زليخة : « أنتن أصابكن الجنون دون أن تدرين
وصرتن إلى هذه الحال من نظرة واحدة
فكيف بحال وقد طال الوقت بى ؟ »

وقالت النساء : « لا لوم لنا عليك . .
ولقد أخطأنا فيما ظنناه بك
وسنصل على أن نجهل فى يدك بأسرع ما يستطاع
حتى يتم بينكما الوصال . . . » (*)

والغالب كذلك أن رباعيات المدحة النبوية المسماة « المدحة دِ الْبَنْتَةِ أَلْ
أَلَنَّبِي محمد Almadha de alabandça al annabi Mohammad (= مدحة
مدح النبى محمد) ترجع إلى القرن الرابع عشر ، وقد نشرها مَلَرُ وهى مصوغة فى
قالب الزجل ، وقد وردت الخرجة فيها مكتوبة بحروف عربية ، وإليك غصنين منها :

Senor, fes tu aççala sobre'el,
y fesnos amar con él,
sacanox en su tropel,
jus la sena de Mohammad.

يا حبيبى يا محمد ، والصلاة على محمد

Quien quiere buena ventura,
y alcanzar grada de altura,
porponga en la noche oscura,
l'aççala sobre Mohammad.

يا حبيبى يا محمد ، والصلاة على محمد

(*) F. GUILLEN ROBLES, *Leyendas de José y de Alejandro el Magno*
(Zaragoza, 1888) p. XXVI.

وترجتها:

يا ربنا ، صلّ عليه
 واشملنا بحبك معه
 وأخرجنا في جماعته
 في رحاب محمد
 يا حبيبي يا محمد ، والصلاة على محمد

ومن يُرِدْ حسن المالِ
 وبلوغ المقام العالي
 فليكثر في ظلام الليالي
 من الصلاة على محمد
 يا حبيبي يا محمد ، والصلاة على محمد^(٨) .

وإلى ذلك المصراع كذلك ترجع « قصيدة مدح محمد » Poema de alabanza de Mohammad التي نشرها جايانجوس (وترجمها نيكفور) وهي في شعر أوروپي ألكسندرييني ، ومطلعها يذكّرنا بمطلع « قصيدة يوسف » وهو :

Los loores son ad allah, el alto, el verdadero,
 onrado y cumplido, señor muy derecho
 sennor de todo; uno solo y senero,
 franco, poderoso, ordenador certero.

وترجتها :

الحمد لله للتمال الحق
 ذي الإجلال والكمال وهو رب عادل
 رب كل شيء ، واحد أحد وذو سيادة
 صريح قوى صاحب الأمر ، لا شك فيه^(٩) .

ويمكننا أن نذكر من أهل القرنين الرابع عشر والخامس عشر محمد الشراطوسي
 Malionat al-Xartosi طيب أمير البحر ذيجو أورنادو دي مندورزا Diego
 Hurtado de Mendoza ، وكان ينظم أغاني « بارعة جدا ذات ألفاظ بالغة
 الجمال » يتعرض فيها لموضوعات عسيرة تتعلق بالقدر والاختيار بحسب ما يقول
 صاحب « ديوان يتيانه » El cancionero de Baena .

وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر نجد شعراء الموريسكيين
 يستخدمون بحور الشعر الإسباني بمهارة ، وكانوا يستخدمونها بوجه خاص في نشر
 أصول عقيدتهم بين جمهور الناس ، ومنهم إبراهيم البلفادي Ibrahim de Bolafad
 الذي كتب رسالة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، وقد عثرنا على شرح عليها عنوانه :

Comentación sobre un tratado que compuso Ibrahim de
 Bolfad, becino de Argel, ciego de la vista corporal y alumbrado
 de la del corazón y entendimiento

(شرح على الرسالة التي ألفها إبراهيم البلفادي نزيل الجزائر ، وهو أعمى البصر
 مبير القلب والذهن) (*) . وقد نظم البلفادي غمسة بشرح فيها عقيدة الإسلام ،
 وإليك قصصين منها يدوران حول وجود الله :

y el testimonio de aber
 Senor Dios forçosamente
 es lo criado; y tener
 color, tiempo, y falleçer;
 como el bibir de la jente.

Pues ya en lo criado bemos
 no ay obras sin causador
 de donde claro entendemos
 que aqueste ser que tenemos
 sin duda tiene obrador.

(*) JAIME OLIVER ASIN, *Un morisco de Túnez*.

وترجمتها:

والله يمل على وجود
 ربةٍ إلهٍ بالضرورة
 هي الخلوقات نفسها ، وأنا نجد
 اللون والزمن واللون
 كما نرى الناس يميون

وحيث أننا نرى في عالم الخلوقات
 أنه لا فعل بدون فاعل
 فن هذا فهم بوضوح
 أن هذا الكيان الذي نراه
 له من غير شك صانع

[وفي التعليق الذي وضعه صاحب هذه المنظومة على قصيدته ، يذكر كيف
 كان يتخلل الصلاة تمثيل قطعة مسرحية تدور حول معجزات عماد (صلم)
 يتعرض الشاعر والممثلون لشيء غير يسير من الخطر أثناء تمثيلها] (*) (١٠) .

وكان الموريسكيون يصوغون أشعارهم في قوالب شعر الأغاني الإسبانية
 المعروفة بالرومانس (los Romances) التي كانت شائعة في ذلك العصر ، ومن
 ذلك ما فعله المعلم خوان ألفونسو الذي هاجر إلى تيطوان لكي يمارس شعائر
 الإسلام من غير حرج ، وهناك كتب قصيدة يحمل فيها على النصرانية حملة شعواء
 يتجلى فيها ما كان لديه من ثقافة كلاسيكية . وإليك فقرة يحمل فيها على النصراني :

(*) راجع للؤلف هذه الفقرة من الطبعة الثانية من كتابه للاختصار ، فأثبتنا هنا لما
 فيها من الفائدة .

cuerbo maldito espanol,
pestifero canzerbero, (*)
que estas con lus tres cabezas
a la puerta del infierno

وترجمتها :

أيها القراب الإسباني للعرش
يا ناسر الوباء ، أيها السجان البغيض
ها أنت واقف برؤوسك الثلاثة
على أبواب الجحيم . .

ومن أجل شعراء الموريسكيين شأنا محمد رَ بَضَان وأصله من روضة
(Rueda del jalón) . وقد وضع في سنة ١٦٠٣ في شعر إسباني « تاريخ نسب
محمد » (صلم) Historia Genealógica de Mahoma ضمنه ما ورد في
كتاب للحسن البصري عن النسب النبوي ، ونظم كذلك « قصة نزع يوم
الحساب » Historia del espanto del día del juicio ، و « أنشودة
شهور السنة » Canto de las lunas del ano ، و « قصيدة أسماء الله »
Los nombres de Allah ، وسنورد من شعره هنا بعض أبيات من « تاريخ
نسب محمد » يصف فيها عزرائيل ملك الموت عندما بعثه الله لينذر إبراهيم الخليل :

yo soy quien mi nombre temen — cuantos memoran mi nombre,
desde la mas baxa tierra — hasta las mas altas torres
yo soy el que nadi esenta — de mis amaragas pasiones;
a todos los hago iguales — a los grandes y menores,
desde el labrador mas baxo — al emperador mas noble
y desde el mas alto rey — a los mas baxos pastores
yo soy la sola atalaya — que a mi vista no se asconde
criatura que alma tenga — ni cosa que vida goce;
el que las copiasas huestes — acaba, deshace y rompe;
y el que los cuerpos despoja — de sus amados arrohes

(*) Canzerbero هو جواب الجحيم ، وتمثوره الأساطير في صورة كلب ذي ثلاث رؤوس ،
وهي صورة مقببة من الأساطير الإغريقية القديمة .

No quiero tregua con nadi — jamás escucho razones;
 de ninguno soy amigo — a todos trato de un orden.
 Azaragel me apellidan — *malac alnauti* es mi nombre
 quien nunca temió, y le temen — todas las generaciones.

وترجمتها:

أنا الذى تخشون اسمى — عند ما تذكرون اسمى
 من أسفل الأرضين — إلى أعلى الأبراج
 أنا الذى لا يفلت أحد — من رغبتي للريّة
 إننى أجمل الجميع سواء — الكبار منهم والصغار
 من أوضاع العمال — إلى أنبل الأباطرة
 ومن أرفع الملوك — إلى أبسط الرعاة
 أنا الطليعة الوحيدة — الذى لا ينهب عن بصرى
 مخلوق فى بدنه روح — أو شيء ينعم بحياة
 أنا الذى أنزل بالجيشو الجرامة — الفناء والتشتيت والانكسار
 أنا الذى أجرد الأجساد — من أرواحها العزيرة

 لست أريد أن أهادن أحدا — ولا أصنى أبداً لكلام
 ولست صديقاً لأحد — أعامل الكل بناء على نظام
 عزرائيل يسمونى — ملك للوث اسمى
 أنا الذى لم أعرف الخوف قط — جيلاً بعد جيل^(١١)

ومن بين أولئك الشعراء اللوريكيين من كان يجيد القلم فى محور الشعر
 الإيطالية، التى شاعت فى إسبانيا فى ذلك الحين وصب على قوالها شعراء الإسبان
 عامة. وإليك قطعة من أغنية soneto نظمها شاعر موريكى حول موضوع طرد
 الإسبان لقومه اللوريكيين من البلاد:

Dios que a los suyos padeciendo mira
muerte en la vida y en el cuerpo infierno
por pecados de padres sin gobierno,
o por la causa que a su globo admira
alça la ardiente espada de su yra ;

وترجمتها:

يا رب يا من ترى ما يمانيه عبادك
وم أموات في قيد الحياة وأجسادهم تنلغى
يتمذنون بسبب خطايا آباءهم الذين كانوا يعيشون بخير وازرع
أو لأنك تنظر إلى خلقك في رضى
ارفع حربى غضبك الحامية

أما الكتاب البالغ الثرابة المسمى « ربايات حاج بوي مشون »
Las Coplas del Al Hichante de Puey Monçon فيضم وصف رحلة إلى
مكة قام بها صاحبها في القرن السادس عشر ونظمها في شعر قشتالى سهل بسيط
يتكون من مقطعات coplas كل مقطعة منها ثمانية أبيات . وبوي مشون من قرية
على حدود قطلونية^(١٢) .

[ورحلة حاج بوي مشون رحلة حقيقية قام بها صاحبها من بلده إلى بلنسية ،
ومنها ركب البحر إلى تونس ، ثم زار مصر ووصف الأراضى المقدسة حيث زار
مكة والمدينة ، ووصف ذلك كله في شعر بسيط سهل يفهم حماسا وخيالا شاعريا
وقد وجد نصها الإسباني مكتوبا بحروف عربية عسيرة القراءة . وقد تمكن من
فك رموزها ونشرها بحروف لاتينية تريانو دي بانو إى رواتا Mariano de Pano
y Ruata ، وإليك قرة منها بحروف العربية تتبعها بنصها بالحروف اللاتينية مع
قرة أخرى وترجمتها ؛ وهو يصف فيها أهوال يوم الحشر :

إِشْنْ كَا أَلِي إِشْتْ ءَالْبِلْ آدُنْدَاشَا
غِنْ لَاءِ امُشْنْ كَا أَلِي تَدُنْ كُنْ

عَرَنَ مَلَن جُنْتَمَا نِتَانُشْ
 بَارَامُشْ دُنْدَا تَدُشْ لَرَا
 مَسْ نُوَاشَقَرَشْ فَلَنْشْ
 إِيءَاوُ رَاشَن لَشْ كَا اَللهُ نُسَازْ
 يِرَامُشْ كَاهَرَامُشْ بَا قَدَرَاشْ

LXXVII.

Y más que allí esta el val
 A donde, según leemos,
 Qu' allí todos con gran mal
 Juntamente nos veremos;
 Donde todos lloraremos
 Nuestras fallas y errores,
 Los que Alá no serviremos,
 Qué haremos pecadores.

LXXVIII.

Allí hombres y mujeres
 Todos seremos juntados,
 De las obras que haremos
 Muy bien seremos pagados,
 No nadi perjudicamos;
 Sino por justa razón
 Según haremos las obras
 Así habremos el galardón.

وترجمتها :

نَم إِنَّ هَنَّاكَ يَوْجَدُ الْوَادِي
 حَيْثُ ، بِحَسَبِ مَا نَقْرَأُ فِي الْكِتَابِ ،
 سَنَكُونُ هَنَّاكَ جَمِيعًا فِي ضَيْقٍ عَظِيمٍ
 وَسَيَرَى بَعْضُنَا بَعْضًا مُتَجَاوِرِينَ
 وَهَنَّاكَ سَنَبْكِي جَمِيعًا

ذنوبنا وأخطائنا
ونحن الذين لم نقم بواجب الله
ماذا فعل نحن الخاطئين ؟

هناك ، رجلاً ونساء
سبحشر مما جميعا
وعن الأعمال [الصالحة] التي عملناها
سنجزى جزاء طيبا
ولن ينال أحد عقابا
إلا بحساب عادل
وعلى قدر أعمالنا سيكون الجزاء (*) .

ف ١٤٧ — الفصحة الموريسكية :

والموريسكيين أدب قصصى ، وهو أعظم قيمة من شعرهم من الناحية
الأدبية ، وأساطيرهم وقصصهم تعرض علينا فى لغة قشتالية روايات ذات أصل
عربى فى الغالب . وهى حكايات تتخللها وتزيدها طلاوة من حين لآخر مشاهد من
حياة عيسى وموسى ويعقوب عليهم السلام ، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ومهابته بوجه خاص ،
وهى تنقسم جميعها بسمة ظاهرة : هى نوارى أحاديث المعجائب فى ثناياها ، ونذكر
بما يدور حول موسى من هذا القصص الحكاية للسماة « حديث موسى مع
يعقوب الجزار » : El Alhadiz de Musa con Jacob el carnicero ،
ونحن نلاحظ تشابها واضحا بينها وبين قصة « المالك لادم قفنه فى الله » :
El Condenado por desconfiado للكاتب الإسباني تيوسو دى مولينا

(*) MARIANO DE PANO y RUATA, *Las Coplas del Peregrino de Puy Monçon* (Colección de Estudios Arabes, vol I) Zaragoza 1897, pp. 227-228.

Tirso de Molina^(١٣) . وجدير بالذكر من هذه الأساطير ما يتصل بطهولة عيسى عليه السلام إذ هو مستقى بما في الأناجيل الزائفة ، ومثال ذلك الأسطورة المسماة « حديث الجمجمة التي مر بها عيسى » Alhadil de la calabera que encontró Aïça إذ هي تضم وصفاً للجمجم .

وعندما تعرض هذه الأساطير لحياة محمد صلى الله عليه وسلم تفص علينا سلسلة الحكايات الخاصة بمولده وشبابه ومغازيه ، وأخبار نقر من صحابته الأولين ، وعلى أن أبي طالب بخاصة ، ومثال ذلك « حديث قصر الذهب وقصة الثعبان » Alhadiz del alcázar de oro y la estoria de la culebra ، و « حديث علي مع الأربعين فتاة » Alhadiz de Ali con las cuarenta doncellas ، و « حديث نعيم المختطف من دينه » وهي قصة تدور حول تميم الداري (ولهذا تسمى في بعض الأحيان el Recontamiento de Temim Addar) ، وهي تصف اختطاف الجن له وقتلهم إياه إلى مساكنهم ، وتقص كيف عاد بعد ذلك إلى الدنيا . ويقول عنها منذذ إي بلايو « إنها قصة يشترك فيها الجن — صالحين وغير صالحين — وتصف لنا رحلات مجيبة في البر والبحر وفي بلاد مجهولة ، ومن ثم فإننا نجد هذه الرحلات تدور في عالم بين الحقيقة والأحلام وما يتخلل ذلك من رؤى صوفية يراها بطل القصة في نومه ، ذلك كله يجعل من هذه السياحات مجموعاً هو أقرب إلى الترابية منه إلى الخيال ، ولكنه — آخر الأمر — غنى من ناحية الابتكار » (*) ، مما يذكرنا بأقاصيص ألف ليلة وليلة .

وموضوع إحدى قصص هذه المجموعة من الحكايات التي نناقها الموريسكيون هو « حكاية مدينة النحاس والفضة » :

la Estoria de la ciudad de Alatón y de los alcáncamos

(*) MENÉNDEZ PELAYO, *Orígenes de la Novela* (Madrid, 1953) 1, 111.

نرى فيها سليمان عليه السلام يحبس الشياطين ، وهي حكاية تشبه الأساطير التي نسجت حول فتح العرب للأندلس كما كان للمصريون والشاميون يروونها . ولا تخلو هذه الأفاصيص من أساطير أخرى ، تدور حول الملك سليمان « الذي ينسب إليه الشرقيون العلم بأشياء لا تحصى ، علاوة على ما تصفه به الكتب المقدسة من قوى خارقة ، منها ملك زمام الريح ، فسكان يستطيع الانتقال على جناحها من مكان إلى مكان في لمح البصر ، ومنها إدراك لغة الطير ومهمة الحشرات وصياح الوحوش ، وقدرته على الإبصار على مسافات منافية ، وطاعة الوحوش له وإتيان النور إليه خافضة جناح الطاعة ، وتحت يده خزائن لا تنفذ ، ويتختم بخاتم يعرف بواسطته كل ما مضى وما سيقبل ، ويصدر أوامره إلى الجن فيقيموا له المآبد والقصور ... الخ » (*) . بهذا كله تحدثنا قصة من هذه القصص عنوانها :

Recontamiento de Sulaimán cuando lo reprobó Allah en quitarle la onra y andó cuarenta dias como pobre demandando limosna.

(= حكاية سليمان عند ما عاقبه الله بتجريد له من عزه فضى يضرب في الأرض أربعين يوماً شحاذاً يتكفف الناس .)

أما « حكاية ما حدث لجماعة من العلماء الصالحين » فنوانها في الأصل :

Recontamiento de Sulaimán que aconteció a una partida de sabios *zelihés*.

وهي ذات مغزى روحي ديني ، وهي تقص علينا كيف أن ناسكاً مسلماً هوى امرأة نصرانية فارتد عن دينه بسببها ، ثم عاد فندم على ما فعل وتاب وأدركته للفترة ودخلت محبوبته في الإسلام . ومثلها حكاية المآبد والمرأة السمينة (*Alabid y la mujer encarnes*) ، وكلها تعرض علينا هذا اللون من القوة (الروحية) الذي تحدثنا عنه « حيوات الآباء » *Vitae Patrum* (*) ، مثل قصة

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I. p. 109.

(**) أى آباء الكنيسة ، وهم كبار رجال المسيحية في أجيالها الأولى ، الذين كتبوا فيها وداخروا عنها وحددوا مآلها ، من أمثال القديسين أوغسطين وأمبروزوس .

الناسك الذي أرادت القادير أن يقضى الليل مع امرأة في غرفة واحدة ، فجعل كلا همت بها نفسه يمد أصابعه إلى نار شجرة لتلذذها تذكرياً لنفسه بمذاب جهنم ، فترتد عما تريد . ومن بينها كذلك حكاية يرى الأستاذ آسين أنها مقتبسة من قصة معروفة كثيرة التوارد فيها يحكي من تراجم الزهاد ، وهي الحكاية العظيمة التي تدور حوادثها في قرطبة وغرناطة : حديث خال بن ذار زرياب (Hadith del Bano de Zariab) ، وقد قال عنها منذ بلايو إنها « قصة قرطبية من طراز ألف ليلة ، تمتاز ببساطة قالبها الأسطوري وظرفه . وهي تروى قصة الحيلة الساذجة التي لجأت إليها فتاة لتتخذ نفسها من رجل متهتك خادع دخلت بيته خطأ إذ كانت تقصد « حمام زرياب » . بيد أن القيمة الحقيقية لهذه القصة إنما هي في طابعها نصف التاريخي ، وفي تقديمه إلينا من تفاصيل عن الحياة الخاصة لمسلمي الأندلس في أزهى أيام الخلافة ، لأنها تدور في أيام المنصور بن أبي عامر . وزرياب الذي يُنسب إليه حمام القصة إن هو إلا ذلك الموسيقي البغدادي المعروف ، فيصّل الأناقة *arbitrator elegantiarum* في بلاط همد الرحمن الأوسط ومبتكر الوتر الخامس في العود . ووصف الحمام نفسه جدير بالذكر ، لا بسبب ما يصفه من تفاصيل معمارية غريبة لغسب ، بل لأنه نموذج من اللغة الغريبة التي كتبت بها هذه الكتب » (*) .

وهناك أساطير وانحة للمسلم مثل « يوسف وزليخة » José y Zeliha (*) ، فهي سلسلة من الحكايات متميز بعضها عن بعض ، وكذلك قصتنا « حديث

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I, p. 111-112

(*) هذا هو الاسم الذي وضعه المؤلف لهذه القصة المعروفة ، وقد سماها ناشرها «جُين» روي «يس» «أسطورة يوسف بن يعقوب» Leyenda de José hijo de Jacob ، أما العنوان الحقيقي لها فغير معروف ، لأن الورقات الأولى من مخطوطها شائعة .

Cf : F. GUILLÉN ROBLES : *Leyendas de José hijo de Jacob y de Alejandro el Magno*. (Zaragoza, 1888) p. 3.

ذى القرنين « و « حديث الملك الإسكندر » Reconamiento del Rey Alixandre ، فهما ترويان حياة الإسكندر الأكبر كما تصوره الأساطير الشائعة عند المسلمين . [« والإسكندر في هذه الأسطورة السنجمية لا يقنع بأهل من ربط خيله ببرج الثور وإلقاء سلاحه على الثريا ، وليس له من هدف من غزواته إلا نشر [الإسلام] دين الله وتمزيق الأصنام والقضاء على عبّادها وإلحاحه على عباده في هذه الأسطورة الإسلامية نفس الغرائب التي تحكيها أساطير الإغريق عن الإسكندر : شعوب غريبة يلتقوا في مسيره ، أناس لم عين واحدة ، وأناس لم رؤوس كلاب وآخرون لم آذان يستظلون بها ، وصنوف غريبة من الطير والحيوان ، وأسرار وفضائل أودعها الله في المادن والأعجار ، هذا كله نجد مثيله في هذه الأسطورة الإسلامية المعبية » (*) .

أما قصص القروسية الموريسكية لحنيق بالذكر منها « حكاية المقداد والميامة التي يبدؤها مؤلفها بقوله : هذا هو حديث للمقداد السعيد مع الميامة ابنة عم الملك جابر أبي ضرار كما رواها ابن عباس » (*) . ولقد نطقت هذه القصص حدود إسبانيا ، نرى لمحات منها في أقاصيص بروقتسية مثل باريس وفيانا Paris y Viana (باريس وفيينوس) . وربما كانت قصة المقداد قد ترجمت إلى البروقتسية عن ترجمة قطلونية لأصلها القشتالي على يد موريسكي أرغوني (١١) .

ومن القصص الموريسكي ما نجد فيه موضوعات متواردة في القصص الشعبي الماللي ، ومثال ذلك « حكاية الفتاة كاز كايونا بنت الملك نشراب مع الميامة »
Recontamiento de la doncella Carcayona, hija del rey Nachrab

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. l. P. 111.

(*) MARIANO DE PANO, *El recontamiento de Al-Micded y Al-Mayesa* Homenaje a Coderia (Zaragoza, 1904) pp. 36-50.

con la paloma^(*) ، وفي موضوعها مشابه من موضوع « كتاب أبولونيوس »
 Libro de Apolonio وأسطورة « القديسة جينوفية دي برامانت » Santa
 Genoveva de Brabante ، فكلاهما يدور حول حكاية « الفتاة ذات الأبدى
 المنطوعة » ، وهي تضع أيدسا على أصل القصة الإسبانية المعروفة « سيلفانا
 أوردجلادينا » Silvana o Delgadina التي كانت ذاتة تتوارث في كل مكان في
 إسبانيا^(١٥) .

(*) يبدو أن اسم كاركايونا Carcayona تحريف لفظ Circasiana أي الشركية ،
 لأن عنوانها كما نشره بالوخيل Pablo Gil هو :
 Historia de la doncella Circasiana. Este es el recontamiento de la
 doncella Carcasiana, ficha del rey Nachrib con la paloma.
 انظر :

PABLO GIL, *Manuscritos aljamiados de mi Colección in Homenaje a
 Codera* (Zaragoza, 1904) p. 548.

آثار الأدب الأندلسي

ف ١٤٨ — آراء الأيب، خوان أنديس في القرن الثامن عشر .

(١) الفلسفة

ف ١٤٩ — مترجو طليطلة . الرشديون . اليهود .

ف ١٥٠ — رايغونديو مارتين .

ف ١٥١ — راسن لل .

ف ١٥٢ — داني والإسلام .

(ب) العلوم

ف ١٥٣ — أفونسو المالم والثقافة العربية .

(ج) التربية

ف ١٥٤ — المواظ السيلسية الأخلاقية .

(د) القصص

ف ١٥٥ — كتاب سلك الكتاب .

ف ١٥٦ — كتاب كلية ودمية .

ف ١٥٧ — السندباد^{٥٣} .

ف ١٥٨ — برلام وروسافات .

ف ١٥٩ — الدون خوان مانويل .

ف ١٦٠ — تورميذا .

ف ١٦١ — ألف ليلة وليلة في الأدب الإسباني ، قبل القرن الثامن عشر .

ف ١٦٢ — قصص التروسية ، قصة زياد الكنتاني .

ف ١٦٣ — جراسيان وابن طليل .

(هـ) الشعر القصصى فى إسبانيا الإسلامية

- ف ١٦٤ — نظرية رومبا .
ف ١٦٥ — ما يمكن أن يكون لهذا الشعر القصصى الأدبى من أثر فى الشعر القصصى
الفرنسى والإسباني .

(و) الشعر

- ف ١٦٦ — الزجل فى الأدب الأوربي .
ف ١٦٧ ، (١) — فرنسا .
ف ١٦٨ ، (ب) — إنجلترا .
ف ١٦٩ ، (ج) — ألمانيا .
ف ١٧٠ ، (د) — إيطاليا .
ف ١٧١ ، (هـ) — البرتغال .
ف ١٧٢ ، (و) — إسبانيا ، كنتاجات ألفونسو العاشر .
ف ١٧٣ — نائب الأسقف فى هيتا ، خوان رويث .
ف ١٧٤ — أغنية العربات الثلاث . الدواوين . آخر مظاهر الزجل .

ف ١٤٨ — آراء الأب خوان أندريس في القرن الثامن عشر :

ألمع الأب خوان أندريس — وكان يسوعياً فصل من هذه الجماعة وطرد من إسبانيا -- إلى أرتالفة الأندلسية في الثقافة الأوربية بمائة قصيدة غبر واجحة . وله في ذلك عذره ، إذ لم يكن بين يديه من المراجع إلا الفهرس اللاتيني المخطوطات العربية بمكتبة الإسكريال ، القدي وضعه الماروني اللبناني الأصل مبخائيل النزييري ونشره في مجلدين بعنوان « المكتبة الإسكوريالية العربية الإسبانية » *Bibliotheca arabico-hispana Escorialensis* (1770) . وقد صنف هذا الأب اليسوعي خوان أندريس كتاباً غريباً نشره بالإيطالية بين سنتي ١٧٨٢ و ١٧٩٨ وسماه « أصول الأدب عامة وتطورات وحالته الراهنة » (ترجم إلى الإسبانية بين سنتي ١٧٨٤ - ١٨٠٦ باسم : *Origen, progresos y estado actual de toda la literatura*) قال فيه مؤكداً : « إن الفضل في قيام الدراسات الطبية في أوروبا يرجع إلى ما كتبه العرب » .

والواقع أنه وجد أمامه شعباً قطع في طريق الحضارة مراحل واسعة المدى وشعوباً حوله متأخرة في ميدانها ، وتراعى له — بطبيعة الحال — أن الأول يمد الثانية من ثروته الأدبية ، وقال : « بينما تصرف المدارس الكنسية جهدها إلى تلقين الناس الأناشيد الدينية ، وتعلمهم القراءة وعد الأرقام ، وبينما نجد الناس في فرنسا كلها يهرعون إلى مِتز و شواسون يكتب أناشيدهم الكنائسية لكي يقوموها على النحو المتبع في كنائس روما ، نجد العرب يبعثون السفارات لاستجلاب الكتب القيمة ما بين إغريقية ولاتينية ، و يقيمون المراسد لدراسة الفلك ، و يقومون بالرحلات ليستزيدوا من العلم والتاريخ الطبيعي ، و ينشئون للدارس لتدرس فيها العلوم بشقي صنوفها » . ثم يذكر الترجمات التي قام بها العرب عن آثار القرس

والهنود والسرمان والمصريين والإغريق خاصة ، مشيراً إلى ما كان له أثر في بعث الحركة الإسكولاستية من الكتب التي نقلت من العربية إلى اللاتينية .

وذهب « أندريس » إلى أن قيام التأليف العلمي في أوروبا (في الطب والرياضيات والعلوم الطبيعية) مرجعه إلى العرب ، وذكر — تأييداً لآراءه — أسماء « جيريتوس »^(١) و « كومبانودي نوفا »^(٢) Compagno di Novara و « أدلارد البسائي »^(٣) Adelardus Batense و « مورلي »^(٤) Morlay و « ألفونسو العالم »^(٥) Alfonso el Sabio وقال إنهم أعلام حركة انتقال علوم العرب إلى أوروبا .

وذهب إلى أن روجر بيكون Roger Bacon استقى مادة مؤلفه عن العدسات من الكتاب السابع من « بصريات » الحسن بن الهيثم ، وأن فيتليون Vitellion اختصر النظريات التي أودعها ذلك العالم السلم في نفس الكتاب وشرحها ، وأن ليوناردو البيزي Leonardo Pisano أخذ عن مؤلفات العرب علم الجبر ، ونقل عنهم الأرقام العربية وأدخلها إلى أوروبا وعلم أهلها إياها (وقد درس جيريتوس « علم الحساب » العربي في إسبانيا وأدخله إلى المدارس الأوروبية) وأن أرنالدو فيلانوا Arnaldo di Villanova « تلقى تعليمه كله في إسبانيا على أيدي العرب ، وعن كتبهم ومدارسهم أخذ للعارف النافعة في الطب والكيمياء التي نشرها في أوروبا » .

وذهب أندريس — كذلك — إلى أن رايغوندو لوليو مدين للأدب العربي في كثير ، وأن أعلام الطب الأوروبي قبل النهضة — من أمثال جليرونو ويوحنا الجودسديني Johannes von Goddesden وقابريقتسيوس (فبريزي) أكوابندنتي Fabrizio Gerolamo da Aquapendente — إنما نهلوا من كتب العرب ، ومن مؤلفات أبي القاسم الزهراوي على وجه الخصوص ؛ وأن بيير دانييل هوييه Pierre Daniel Huet (١٦٣٠ — ١٧٢١) ذهب إلى أن ديكارت أخذ عن أعلام الفكر والجدل الإسلاميين مبداء الرئيسى الذي يقول : « إن من

يستطيع أن يفكر فهو موجود « *Quid quid potest cogitare, potest esse* » وأن « يوحنا كبلر » استوحى اكتشافه للأفلاك الدائرية للكواكب من كتابات البطروجي ؛ وأن بعض آراء القديس توما الأكويني في الإلهيات مستفعاة من كتب العرب . ثم يقول : « فإذا لم يكن للعرب من الفضل إلا الاحتفاظ ب ذخائر العلوم التي أهمتها الشعوب الأوروبية ، ونقلها ، وإبداعها أبدى الناس عن طيب خاطر ، فهم حقيقون من أهل الأدب المحدثين بالشكر والعرفان »^(٧) .

أما عن إسبانيا خاصة فقد أشار هذا اليسوعي إلى حقيقة خطيرة [أثبتتها البحث العلمي فيما بعد] ، وهي استعمال الناس في الأندلس للفتين دارجتين : إحداهما عربية والأخرى مجمية إسبانية ، ولم تقب عن ذهنه « حشرات ألبرو القرطبي » التي أشرنا إليها ، ولا خفي عن علمه وجود بضع مثلات من الوثائق العربية في كنيسة طليطلة الجامعة ، خلفها النصراني الذين كانوا يستعملون العربية في مكاتباتهم . وذهب إلى أن الشعر الإسباني إنما نشأ — أول أمره — تقليداً لشعر العرب ؛ وقد استنتج ذلك استنتاجاً ، وقال إن اختلاط الفصاري والمسلمين كان من الطبيعي أن يدفع الأول إلى تقليد الآخرين . ثم يستطرد مع تفكيره المنطقي ويقول إن صور هذا الشعر العربي وقولاه كانت حرة بأن تنقل إلى بروقنسا عن طريق الصلات المتبادلة بين الفرنسيين والإسبان — نصاري ومسلمين — وتجوال الشعراء المنشدين للمروفين « بالتروبادور » ، فنشأ الشعر البروقنسي على أساس من الشعر العربي . ويقول : « إن هذا الشعر البروقنسي إنما ينتسب إلى العرب أكثر مما ينتسب إلى اليونان واللاتين » ، إذ لم يكن لدى البروقنسيين علم بهذين الأدبين في حين أن شعر العرب كان أقرب مورداً إليهم .

ويؤكد « خوان أندريس » أن قواعد التقية التي اتبعها الشعر الشعبي — إسبانياً كان أوبروقنسياً — وأساليب صياغة الشعر الحديث ونظمه إنما هي مأخوذة عن العرب ، ويصدق ذلك خاصة من الشعر البروقنسي الذي أثر بدوره

في الشعر الإيطالي . وذهب كذلك إلى أن موسيقى التروبادور وآراء الفونسو العالم في هذا الفن عربية كلها ، وكذلك اللون القصص المعروف بالقابليو (fabliaux = الخرافات) والحكايات والقصص ترجع في منشأها إلى أصول عربية ، وذكر أن لييف Le beuf أثبت أن تاريخ شربمان ورولان المنسوب إلى توربان الزائف Le faux Turpin (*) إنما هو من تأليف رجل إسباني ، وأن هذا الكتاب يعتبر أصلاً لقصص القروسية الذي ظهر بعده (٨) .

وقد بقيت هذه الإنارات المهمة التي كتبها ذلك لأب اليسوعي الذي دون إثبات مؤكد في عصره ، لأن شيئاً من آثار الأندلسيين لم يكن قد نشر إذ ذاك . أما اليوم ، وبعد نيف وثمانين ومائة عام من نشر كتابه ، فإننا نستطيع أن نذكر عن تراث الأندلسيين أكثر مما ذهب إليه . وقد تحصل لدينا الآن من الحقائق التي كشف عنها وأثبتها المستشرقون — من إسبان وغير إسبان — ما يمكننا من أن نعرض موجزاً لآثار المسلمين الأندلسيين في آداب من جاء بعدهم من الشعوب الأوروبية ، وخاصة الإسبان (٩) .

(١) الفلسفة

ف ١٤٩ — مترجمو طليطلة . الرشديون . اليهود :

أصبحت طليطلة — بعد أن استولى عليها الفونسو السادس عام ١٠٨٥ — للركز الذي انتشرت منه الثقافة العربية واليهودية إلى باقي نواحي إسبانيا وأوروبا . وخلال حكم الفونسو السابع (١١٣٦ — ١١٥٧) لجأ إلى هذا البلد نفر غفير من اليهود ، ناجين بأنفسهم من نواحي الأندلس الإسلامي ، بسبب اشتداد عبد المؤمن ابن علي أول خلفاء الموحيدين في تعقبهم . ويرجع الفضل في إدخال النصوص

(*) ينسب هذا الكتاب إلى توربان أسقف مدينة رانس بفرنسا التوفي سنة ٨٠٠ م . وقد أثبت القاد أنه ليس من تأليفه ، وذلك يسمى مؤلف ذلك التاريخ : للشبه بتوربان Pseudo Turpin أو توربان الزائف .

المرية في دوائر الدراسة التربوية إلى رايغوندو (١١٣٦ - ١١٥٢) أسقف طليطلة وكبير مستشارى ملوك قشتالة على أيامه ، وكان فطره هذا حدثاً حاسماً كان له أسد الأثر في مصير أو، ويا ، كما يقول إيرنست ريفان .

تولى الأسقف رايغوندو رعاية جماعة من المترجمين والكتاب ، تعرف في تاريخ الأدب بمدرسة للمترجمين الطليطليين « Colegio de traductores toledanos » ، وحفز أفرادها على المهمة في نقل المؤلفات المرية ، فتمت في هذه المدرسة ترجمة هيونها في الرياضيات والملك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الأدبي وما وراء الطبيعة ، ولم النفس والمطلق والسياسة ، ومنها « أدرجاتون » أرسطو وشروح المسلمين عليه أو مختصراتهم له ، وهى شروح ومختصرات جليلة وضعها فلاسفة مسلمون من أمثال الكندي والقارابي وابن سينا والفزالي وابن رشد . وترجمت عن المرية كذلك مؤلفات إقليدس وبطليموس وجالينوس وأبقراط ، بشروح أعلام الفكر الإسلامى عليها كاخوارزمى والبتانى وابن سينا وابن رشد والبطروجي ومن إليهم . وأكبر من وصلت إلينا أسماؤهم من أولئك المترجمين الإسبان هم دومينيكوس جنديسالتي (Dominicus Gudsilavi ، بالإسبانية دُومِنْجُو جُندَالِدِ Domingo González) الذى يسمى في بعض النصوص جُندِيْسَالِيْنُوس Gundersalinus ، وكان أسقف شقوبية وواحداً من كبار رجال كنيسة طليطلة الجامعة ، وربما يكون قد عمر إلى ١١٨١ ؛ ويوحنا بن داود الإسباني Johannes Hispanus Abendaud اليهودى الذى اعتنق النصرانية وسكن طليطلة ، ويبدو أنه هو الذى خلف رايغوندو في أسقفية هذا البلد .

وكان جنديسالتي ويوحنا اليهودى هذان يميلان مشتركين في الغالب ، فيميل يوحنا ترجمة النص العربى بالإسبانية الدارجة ويقوم جنديسالتي بنقلها من الإسبانية إلى اللاتينية . ولدينا من إنتاجهما ترجمات لبعض مؤلفات ابن سينا (كتب « النفس » و « الطبيعة » و « ما وراء الطبيعة ») ،

وبعض آثار النزالي (كتاب « مقاصد الفلاسفة » ويعرف في ترجمته اللاتينية بكتاب « الفلسفة » فحسب) ، وابن جبرول (كتاب « ينبوع الحياة ») ؛ ولدينا من أعمال يوحنا الإشبيلي هذا ترجمات لسكتب عربية في الفلك وصفة النجوم . ولم يقف جهد أسقف شقوية عند حد الترجمة ، بل وضع كتباً من بنات أنسكاره ككتابه عن خلود النفس De immortalitate animae ، وقد بنى على آراء استقاها من ابن سينا وابن جبرول ، وكان له أثر واضح في كتابات جيرسون بن سلومون ؛ وكتابه عن « خلق الدنيا » De procreatione mundi الذى فرر « جوردان » Jourdain « أنه من أقدم وأهم آثار الفلسفة الإسبانية المتأثرة بالفلسفة الإسلامية » ، وقد نشره منذذ إى بلايو وتبع فيه الأثر للشرقي الأفلاطوني الحديث الذى نعرفه عند ابن جبرول ؛ وله كذلك كتاب « في فروع الفلسفة » De divisione philosophiae (نشره باور Baur سنة ١٩٠٣) ، وهو تصنيف في العلوم يقفوفيه أثر القارابى في كتاب « إحصاء العلوم » ، ويبدو فى ثناياه أنه قرأ كتابات بوثيوس (Boethius) وفى الإسبانية Boecio) والقديس إيزيدور الباجى (San Isidoro de Beja) إلى جانب من قرأ له من فلاسفة المسلمين^(١٠) . وكذلك ترجم يوحنا بن داود المعروف بالإسباني « كتاب الملل » Liber de causis ، وكتاباً فى الطبيعة ، وآخر فى المنطق^(١١) .

وعندما ذاعت ترجمات جنديسائى ويوحنا الإشبيلي فى أوروبا ، زادت

(*) يبدو أن يوحنا هذا شخص آخر غير يوحنا الإشبيلي أو الإسباني أو اللوزي الفلكي الأندلسي ، الذى ترجم فى سنة ١١٣٣/٥٢٧ بس كتب أبى مضر ، والقرطابى فى عام ١١٣٤ ووضع فى سنة ١١٤٣ « المختصر الجامع لعلوم النجوم » Epitome totius astrologiae . وقد تحدث الأب مانويل ألونسو P.M. Alonso عن مترجمين آخرين يحملون نفس الاسم — يوحنا الإسباني — فى مقالة السرى « تهيبات عن المترجمين الطليطليين دومنجو جنديسائى ويوحنا الإسباني » فى مجلة الأندلس ، سنة ١٩٤٣ ، مجلد ٨ ، ص ١٥٥ — ١٨٨ .

P. MANUEL ALONSO, *Notas sobre los traductores toledanos Domingo Gundisalvo y Juan Hispano*; en *Al-Andalus*, 1943, tomo VIII, pp. 155-168.

(اللؤلؤ)

شهرة « مدرسة طليطلة » ، وأهرع إليها فركب من الغرباء التمتشئين إلى مناهل العلوم الإغريقية الشرقية التي عادت إلى الظهور إذ ذاك . ولم يكن هؤلاء الغرباء يعرفون العربية ، وإذا عرفوا فزراً لا ينفع ، ولهذا كانوا يلجأون إلى مستعرب أو يهودى من أهل طليطلة ، فيترجم لهم حرفاً بحرف مادة الكتب العربية التي يرغبون في الإلمام بما فيها إلى الإسبانية الدارجة ، أو يعبر لهم عنه في لاتينية ركيكة ، ويقومون هم بصوغها في قالب لاتينى فصيح ، وتُنقل من هذه اللاتينية نسخ عديدة في المدارس الأوروبية المتعددة^(١١) .

وقام جيراردو القرمونى Gerardo di Cremona بترجمة طائفة من كتب العرب في الفلك والطب ، بعضها لأبى القاسم الزهرادى . وقام ميكل سكوت Michael Scot الإنجليزى بترجمة بعض كتب أرسطو وان سينا إلى اللاتينية ، بمساعدة أندريا اليهودى الذى كان يماونه في الترجمة ويفسر له ما يقرأ ؛ ونقل كذلك بعض مؤلفات البطروجى . وكان سكوت -- كذلك -- أول من ترجم كتب ابن رشد إلى اللاتينية ، (ترجم منها « السماء والعالم » و « رسالة النفس ») وقام « روبرت دى رتينس » Robert de Retines وهرمان الدالماتى Herman di Dalmatia بترجمة القرآن ، إجابة لطلب بطرس الجليل Pedro el Venerable . واشتغل أديلارد البانى Adelard Batense بتأليف كتب في الفلك ورياضيات ، ولأذ به فرمن التلاميذ . وكتب هرمان الألمانى Hermanus Alemannus كتاب « البلاغة والشعر » لأرسطو ، مستعيناً في تأليفه بشرح الفارابى « البلاغة » والتلخيص الذى عمله ابن رشد « الشعر »^(١٢) .

وتكاد ترجمات أولئك الغرباء جميعاً أن تكون غير منهومة بسبب ركاكة لغتها اللاتينية ، والفرق بين يديها وبين الترجمات الواضحة ، البليغة في بعض الأحيان ، التى قام بها جنديسالفو ويوحنا الإشبيلية . ولا نعرف على وجه التحقيق إن كانت طاقة أخرى من كتب العلماء

العربية وآرائها قد انتقلت إلى أوروبا عن طريق مدرسة طابطة أو عن طريق آخر، من هذا الكتب « شروح ابن باجة » وكتابه « تدوير التوحيد »، ومنها كذلك « رسالة يحيى بن يعقوب » لأن طفيل التي شهدت عنها فيما بعد (ف ١٦٣)، وكذلك « شروح ابن رشد على مؤلفات أرسطو » (ف ١٠٨)، وآراء يحيى الدين بن عربي الصوفي، للرسي (ف ١١٣). ومن الحقائق المقررة على أي حال ففرض مؤلفات العرب على الفكرين الإسكولاستيين جملة. فأما من كان منهم على مذهب أرسطو فنجد عنده آثار ابن باجة وابن طفيل وابن رشد خاصة، وأما من اتجهوا منهم انبجاءً أفلاطونياً حديثاً فدلح في تواليهم وآرائهم آثار ابن مسرة وابن جبرول وابن عربي وقد أشرنا (ف ١١٥) إلى أن « نظرية الحقيقة » — مفتاح أسطورة « الرشدية » — لا أثر لها في تأليف ابن رشد، وذكرنا ما ذهب إليه « آسين » من أنها أخذت عن بعض آراء الصوفي المرمي ابن عربي.

ولا تفوتنا الإشارة في هذا المقام إلى ما أسهم به المترجمون من اليهود في نشر آراء المسلمين الفلسفية من نصيب وافر، وقد ألمنا بذكر أعلاهم فيما سلف (ف ١٤٤).

ف ١٥٠ — رايموندو مرتين Raimundo Martin (*) :

ولم يكن مجرد الإعجاب بالثقافة العربية دافع الناس إلى دراسة كتب

(*) قطلون، الأصل، إذ أنه ولد في قرية سوبيراتس Subirats في قطلونية Cataluna واسم الأصل Ramón Martí، أما رايموندو مرتين فهو الصيغة الإسبانية للاسم. وعنوان كتابه المذكور في المتن — كما يرد في أول طبعة باريس سنة ١٦٥١ — كما يلي :

Pugio fidel, RAYMUNDO MARTINI, ordinis Praedicatorum, adversus Mauros et Judaeos; nunc primum in lucem editus impensis ordinis..

(= خنجر الإيمان لرايموندو مرتين، مربيان « طائفة الوعاظ » ضد المسلمين واليهود. يخرج الآن إلى النور لأول مرة على غقة الطائفة... إلخ) .

C. I. MENÉNDEZ PELAYO, *Historia de los Heterodoxos Espanoles* (Madrid, 1947) tomo II. p. 319.

المسلمين في كل الحالات ، بل أقبل بعضهم على دراستها التماساً لحجج يقارع بها الإسلام وأهله . ومن البديهي أن خصوص الإسلام لم يكن لم غنى عن تحمه بل قدر كاف من العلم به حتى تنفى لم مذلقته ، وأنه لا بد لتحصيل هذا العلم من معرفة اللغة التي تحمل كتبه . ومن أولئك الذين حركهم ذلك الدافع الجدلي إلى دراسة العربية رايموندو مرتين Raimundo Marín (١٢٣٠ - ١٢٨٦) ، وكان قساً دومينيكانياً قطلونيا ، فقد اجتهد في تعلم لغة العرب حتى أتقنها ، كما يدل على ذلك القاموس اللاتيني العربي الطريف الذي ينسب إليه عادة (نشره سكيبار لي Schlapparelli ١٨٧٢) . وضع هذا القس القطلوني كتابه المسمى « خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود » *Pugio fidel adversus Mauros et judaeos* ، وهو مديح النصرانية يمتاز في مادته ومنهجه عن كل ما سبقه — إذا استثنينا كتاب « جامع الحجج في جدال الكافرين » *Summa contra gentes* للقديس توما الأكويني — ويرى منذذ إى يلايو أنه خير ما ألف الإسبان في العلم الإلهي في القرن الثالث عشر ، ويقول : « ولا ينبغي أن نقف في تقديره عندما نبحده فيه من عرض كامل للحقيقة الكاثوليكية ، والاتصاف لها من اليهودية والإسلام ، بل لا بد أن نقدره ككتاب في اللاهوت نقض مؤلفه فيه بمهارة ظاهرة الآراء الفلسفية المتولدة عن دراسة الفلسفة الشرقية ، معتمداً في كثير من الأحيان على حجج النزالي وغيره ممن تصدوا لمجادلة آراء اللثائين من فلاسفة الإسلام » (*) .

وقد أشاد الأستاذ آسين بما يتجلى من علم رايموندو مرتين بالعربية والعبرية والإسلام واليهودية في كتابيه « خنجر الإيمان » و « شرح الرمز » *Explanatio Symboli* ، فهو يورد نصوصاً من النزالي (انتخبها من « الآهات » و « المقاصد » و « النقد » و « الإحياء » وغيرها) ، ومن كتابات الفارابي وابن سينا وابن رشد خاصة (قبسها من شروح ابن رشد على فلسفة أرسطو ، ومن

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. p.319

نرح «أرجوزة ابن سينا» ، ومن كتب «الفلسفة» و «تمافت التماقت»
و «ما وراء الطبيعة» و «رسالة إلى صديق» *Epistola ad amicum* ، وكلها
لابن رشد^(*) ؛ بل أخذ آراء من كتاب الفيلسوف الفارسي فخر الدين الرازي
(٤٤٣/١١٤٨ - ٦٠٦/١٢٠٩) للشي «الرد على جالينوس»^(**)
Contra Galenum ، ومن كتاب آخر له يسمى «المباحث الشرقية»
(أو الشرقية) وهو مجموع فلسفي لاهوتي كتب قبل أن ينتفع به رايموندو مرتين
بثلاثين سنة ، هذا إلى جانب ما يبدو من علمه الواسع بالقرآن وصحيفي مسلم
والبخاري⁽⁺⁾ (١٢).

(*) «كتاب الفلسفة» المشار إليه هنا هو «فصل الفال فيما بين الفريضة والحكمة
من الاتصال» ، أما «رسالة إلى صديق» فالمراد به القيل الذي جملته ابن رشد على «فصل
القال» وجعل الناشر عنوانه «ضريبة لمسألة العلم القديم التي ذكرها أبو الوليد في فصل
القال» (انظر «فصل الفال» ، طبعة مطبعة الآداب والؤيد بمصر ، سنة ١٣١٧ ،
ص ٢٩ - ٣٢ ؛ وطبعة محمود علي صبيح ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٣٦ - ٣٩ ؛
وطبعة المطبعة الرحمانية (القاهرة ، بدون تاريخ) ص ٢٦ - ٢٩ وقد نقلها رايموندو مرتين
في كتاب «خبر الإيمان» . انظر . Pagio . طبعة لايبك ، ١٦٨٧ ، ص ٢٥٠
وما يليها ؛ وقدم تلك بقوله :

“Nunc denique, ut per philosophum melius retundamus philosophos,
id quod Aben Roet ad amicum suum in quadam epistola scribit de esta
quaestione, interpretaturus sum...”

(= ... والآن ، ولكي نعطيل — آخر الأمر — أن ندحض [آراء] الفلاسفة [بكلهم]
فيلسوف ، نورد ما كتبه ابن رشد إلى صديقه في الرسالة التالية بخصوص هذه المسألة ، وفيه
نفسرها ...) . ثم يورد بعد ذلك ترجمة نص «الضريبة» ويختتمها بقوله :

Hucusque Aben Roet in epistola ad amicum

(= إلى هنا [ينتهي] كلام ابن رشد في «رسالة إلى صديق») .

ومن هنا جاء هذا العنوان الذي تذكر به الضريبة في المتن .

Cf : ASIN PALACIOS, *Huellas del Islam* (Madrid, 1941) pp. 66-67.

(*) لم أجد بين مؤلفات فخر الدين الرازي كتابا في «الرد على جالينوس» ، وهي
الترجمة العربية لاسم الكتاب الذي يقول للأولاب إن رايموندو مرتين نقله عن الرازي :
Contra Galenum . وقد يكون المراد هنا «كتاب الروض المريض في علاج المريض» الذي
ذكره بروكلمان في تاريخ الآداب العربية — ملحق ج ١ ، ص ٩٢٤ — أو إحدى رسائل الفخر
الرازي الطبية التي نصحها پول كراوس .

(+) انظر :

MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. p. 319.

ASIN PALACIOS, op. cit. pp. 66 sqq.

ف ١٥١ -- رامن لُلُل (*) :

من الثابت الذي يتخذ عليه الإجماع أن فلاسفة النصراني — الذين ابعوا مذاهب أرسطو — يدينون بالكثير لمرجه وشراحه من العرب . و يظهر هذا الأثر الإسلامي عند نفر من سار في اتجاه الأفلاطونية الحديثة من أولئك الفلاسفة النصراني ، وأظهر مثال لهذا الفريق من بين الإسبان هو ريموندو لوليو (١٢٣٥/٦٣٢ — ١٣١٥/٧١٤) الذي لا يرقى شك إلى تحقيقه بالمربية وما كتبه أهلها ، وهو نفسه يقرر ذلك صراحة .

وقد بين الأستاذ ريبيرا — والأستاذ آسين من بعده — اعتقاد لوليو على كُتّاب المسلمين ، وخاصة ابن عربي (ف ١١٥) ، بصورة لم يجد أحد يستطيع بعدها أن يؤيد ما كان الناس ينسبونه إلى هذا الصوفي النصراني الليورقي من ابتداء مذهب الإشراق .

وتتجلى في كتابات لوليو رقة ظاهرة للمسلمين ، تولدت — من غير شك — عن معاناته قراءة الكتب العربية . وكان لوليو يرى إلى أن ينقل إلى النصرانية طاقة مما جرى عليه للمسلمون من تقاليد دينية ، فذاب على استهلال رسائله باسم المسيح « لأن المسلمين يستهلون كتبهم باسم محمد (صلى الله عليه وسلم) » ، وقال بفصل الرجال عن النساء في الكنائس ؛ وهو يمتدح في المسلمين إخلاصهم لدينهم وأراد أن تتلى أسماء الله في الكنائس « كما يرتل المسلمون القرآن في الساجد » ؛ وهو يقرر في كتابه « بلانكرنا Blanquerna » أنه ألف « كتاب الصديق والمحبوب » El libro del amigo y del amado « على طريقة الصوفية » ،

(*) هذه هي الصورة الأصلية لاسم هذا الراهب اللاهوتي للصوف Ramón Lull ، لأنه ميورقي ولد في بلنسا في ميورقة في ٢٥ يناير ١٢٣٥ . والصورة الإسبانية للاسم رايغوندو لوليو Raymundo Lullo ، وقد جريت على كتابة اسمه في اللق على هذه الصورة الأخيرة . هنا والطلق الصلوني لاسم لوليو هو ليلي .

ولا يبعد أن يكون قد ألفه على نهج « ترجمان الأشواق » لأن عربي .
 ويسمى ريبيرا لوليو بـ « الصوفي النصراني » ويقول : « وإن ما نجد
 عنده من ازدياء لكل هيئة رهبانية أو جماعة دينية منظمة ، وتفرده بنفسه تفرد
 النساك ليفرغ قطعة « محبوبه » ، وتجواله فقيراً لا يلبس إلا « الخرقة » من بلد
 لبلد ، يلتقي المواقف على الناس في بعض الأحيان في الطرق والميادين في أسلوب
 خشن لا يفرق بين صغير وكبير ، وتفكيره في أن يقرع الناس في الليل طبلًا إذا
 سمعوه أخذوا في محاسبة أنفسهم (متعرضاً لاتهام الناس إياه بالحق أو الجنون)
 ومضيه في أحيان أخرى مبشراً بالمسيحية في الجبال والأودية متوكلاً على الله
 ورحمته ، أو اعتكافه في مغارة ليستغرق في تأملاته متفرداً « بمحبوبه » (الله) ،
 هذا إلى شعوره بالتوحد وهو بين الناس وفي غمار المجتمع ، كل ذلك كانت تفعله
 على شواطئ إفريقية — وقد زارها — أعداد لا تحصى من الرابطين للمسلمين
 على أيامه .

وقد عرف لوليو عدداً كبيراً من صوفية المسلمين : كابن سبعين (ف ١١٦) ،
 وابن هود المقتشف للكفر عن ذنوبه ، والششتري الوادي آثي وكان من كبار
 الزجالين والوشاحين ، يتفنن الصوفية بأشواقه في أزجاله وموشحاته ، وأبي مدين ،
 والمفيف التلساني وغيرهم كثيرين . أما الصوفي الذي تعلق به تعلقاً شديداً فهو
 محي الدين بن عربي (ف ١١٣ — ١١٥) .

يلتقي لوليو مع محي الدين في التعاليم الأساسية لمذهبيهما ، فالعلم عند كليهما
 واحد وهدفه البحث عن « الواحد » ، والعلوم تُدرَك عن طريق الإيمان أو عن
 طريق العقل . وعندما يمجز التفكير النظري عن الوصول إلى كنهها يكشف الله
 عن كنوزها لعباده عن طريق الإشراف ، إذ أن كثيراً من الأشياء « إنما توجد
 في الناحية الأخرى من جبل للعرفة الإنسانية » ، كما قال بروكلس وأفلاطون
 من قبله .

وفي بعض الأحيان يجد أن التشابه بين كتابات الرجلين حرفي ، ومن ذلك قولها « بالنورين » ، واستعمالها مثل « الذوق الربيض » ، وكلاهما عن « الفضائل الخفية لأسماء الله » ، وقول لوليو بنظرية « المقامات » Dignitates وهي ليست إلا ترجمة لفظ « الحضرة » الذي يستعمله ابن عربي إلى لغة جارية سهلة الفهم .

والمعروف أن ابن عربي كان يستعمل لفظ « الحضرة » في مصطلحه الصوفي للتعبير به عن « كمال اسم الله » ، ثم إن « لوليو » يتحدث عن أسماء الله المائة Els cent noms de Deus مقلداً في ذلك ما كان يجد في كتب السليمان ، وكان لرقم « المائة » معنى صوفي ، فهو الرقم الأكبر في عرف الناسك وتقاليدهم ؛ ونجد لوليو يشترك مع ابن عربي في ذكر أسماء « حضرات » Dignitates مثل Senoria الربانية ، و Misericordia الرحمت ، و Gloria العزة وغيرها كثير (*) .

ولئن الآن كيف يوجز الأستاذ آسين خصائص مذهب لوليو بقوله : « إنه يتصور البساطة المطلقة للذات الإلهية في صورة جماعة تلك التي ينسبها المليون إلى أبناؤقليس الزائف ، إذ أنه يرى أن الله هو للوجود الفرد ، وأنه الأزلي لا بداية له ، الباقي لا آخر له » ، لا نعيد لقائه أه طيبته (**) أما كالاته — أو صفاته التي يسميها لوليو مقامات Dignitates (= الحضرات في المصطلح

(*) Cf : MIGUEL ASIN PALACIOS, *Ibn Masarra y su Escuela* ; in *Obras Escogidas* (Madrid, 1947) I, p. 208.

(**) العبارة الإسبانية :

Dios es el ser uno, infinito y eterno, absolutamente indeterminado en cuanto a su esencia y naturaleza.

وقد رأيت أن أستعين في ترميمها بما يقابلها من كلام أبي حامد الغزالي في « الإحياء » .
أظن : الباب الثاني في الاعتقاد ، وفيه فصول : « أصل في ترجمة حقيقة أهل السنة » . الرشيد الأمين إلى موعظة أمير المؤمنين من إحياء علوم الدين ، تأليف حجة الإسلام الإمام أبي محمد محمد الغزالي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الصوفي (ابن عربي) — فترتبط بذاته ارتباطاً وثيقاً ، على نحو لا يمكن معه إطلاقاً تصور كثرة عددية في هذه الذات . وبسبب تزييه التفرّد الإلهي على هذا النحو فهو لا تدرك حقيقته ولا يمكن التعبير عنها ، وكل ما يمكن في شأنه هو تصور ذاته تصوراً جزئياً على وجه القريب ، وذلك عن طريق ما أودع في مخلوقاته من صفات الكمال ، لأن هذه الصفات إنما هي صورة من « الحضرات » الإلهية .

ويرى لوليو أن الرمز إلى الذات الإلهية بشيء لا يصح ، لأن الرموز لا تناسب الذات الإلهية ، ولكن « النور » هو أقل الصور الرمزية المعبرة عن كالات الله في عدم المطابقة للألوهية ، ويرى أن كل ما هو موجود — عدا الله — أساسه « مادة روحية » مشتركة بين الملائكة والأجسام . أما تعدد الصور ، وخاصة فيما يتصل بالبشر ، فيرى لوليو كذلك أنه أمر بديهي ؛ وهو يرد أصل العالم إلى الحب والوجود الإلهيين ، وأن الله خلق الكون ليكون مظهراً خارجياً (إضافياً) ad extra « لحضرتة » . ولم يستعمل اصطلاح المقامات dignitates في هذا المعنى (الحضرات) أحد من الإسكولاستيين قبل لوليو ، إذ أن هذا الاستعمال هو في الحقيقة تجريد لأسماء الله يستعمله ابن عربي على نحو اصطلاحى خاص به . ويتفق لوليو وابن عربي في القول بمطابقة « المقامات » بعضها لبعض ، ويرى أن المثل والمثل الوافية لسائر المخلوقات التي تعد تحقيقاً مشخفاً لها . [ومن الواضح أنهما لا ينفقان على العدد المضبوط لهذه « المقامات » (أو الحضرات) ، ولكن يمكننا أن نؤكد أننا نجد عند ابن عربي أسماء كل « المقامات » التي ترد عند لوليو وغيرها كثيراً جداً .

والملاحظة ، بناء على ذلك ، أن مذهب لوليو يأخذ بنظريات الأفلاطونية الحديثة الشائعة بين مذاهب أخرى ، ولكنه يتميز من بينها ويأخذ شخصية خاصة بسبب ما نجد فيه من النظريات المنسوبة إلى أنبا دقليس الزائف

وان عربي ، والتي نجدها كذلك مشتركة بين جميع رجال المدرسة الفرنسكية . ولكنني أستبعد اعتباره مجرد مذهب من مذاهب هذه المدرسة الأخيرة ، بل أؤيد القول ببعيته المباشرة للأصول العربية ؛ وتوكيداً لهذا ، وبالإضافة إلى ما أعتد به من الحجج المتداولة التي أتى بها أستاذي ريبورا والتي لا زالت قوة تماسكها سليمة لم تنزع ، سأكتفي بأن أستلفت النظر إلى حقيقة إيجابية تؤيدها نصوص من كلام لوليو نفسه : هي أن لوليو لم يكن يعرف اللاتينية ، وأنه لم يكن يعرف إلا القطلونية والعربية ، ولم يستطع أن يأخذ النظريات المبهمة للمدرسة الفرنسكية عن الكتب اللاتينية التي ألفها علماء الإسكولاستيين وإنما عن الكتب العربية التي ألفها الصوفية كابن عربي ، والتي نجد فيها هذه النظريات نفسها بالنص (*) .

[وفيما يلي نورد بيان الحضرات الإلهية التي يذكرها ابن عربي في « الفتوحات » وما يقابل بعضها مما يذكره لوليو من « المقامات » ؛ والأرقام التي بين أقواس هي صفحات الجزء الرابع من الفتوحات التي يرد فيها ذكر هذه الحضرات :

الحضرات الإلهية (ابن عربي)	Dignitates Divinae (Lulio)	الحضرات الإلهية (ابن عربي)	Dignitates Divinae (Lulio)
(٢٦٢) القوة		(٢٥٠) الربانية	Senoria
(٢٦٤) المنة		(٢٥٥) الرحمة	Misericordia
(٢٧٥) القهر		(٢٦٣) المزة	Gloria
(٢٦٦) الكبرياء	Grandeza	(٢٦٤) الإمراز	
(٣٠٨) النظرة		(٢٦٥) الجبروت	

(*) قلت هنا — رغبة في التوضيح — عن الأصل الذي لحصه المؤلف في هذا الموضع ، انظر :

MIGUEL ASIN PALACIOS, *Ibn Masarra y su Escuela*; in *Obras Escogidas*, (Madrid, 1946) tomo 1, pp. 161-164.

وأحيل القارئ على المباحث الضافية التي علها آسبن على كلامه في هذه الصفحات .

(٣٤٠)	الإحسان	Bondad	(٧٧٧)	الوهم	Largueza
(٣٣٩)	الطية		(٣٧٤)	الإكرام	
(٣٧٦)	التوحيد		(٧٨٣)	العلم	Sabiduria
(٣٥٥)	الإمراء	Simplicidad	(٣٣١)	الحكمة	
(٣٥٩)	الحق	Verdad	(٧٩٥)	الإذلال	Humildad
(٣٧٨)	الصدية	Eternidad	(٣٠١)	الحكم	Justicia
(٣٧٩)	الافتداز	Poder	(٣٠٢)	العدل	
(*)[(١٠٨)]	الصبر	Paciencia	(٣٢١)	الجلال	Nobleza
			(٣٢٢)	الود	Amor

وعن محي الدين بن عربي كذلك أخذ لوليو طريقته في الرمز بالحروف لتعبير عن آراء فيما بعد الطبيعة أو مقولات الوجود ، وهي طريقة ترجع في أصلها إلى أسرار الصوفية ورموزهم . وأخذ عنه كذلك استعمال الأشكال الهندسية — كالدوائر ذات الشعاع المركزي أو الخارجي ، والمثلثات ، والمربعات ، وما إليها — لكي يعبر عن حقائق ميتافيزيقية وإلهية بصورة ملموسة ، (كأن يرسم مثلاً مركز دائرة يرمز بها إلى الله مصدر النور ، ثم يرسم بخطوطاً شعاعية من المركز إلى محيط الدائرة ، يرمز بها إلى كل الكائنات كناية عن صدورها عن النور الإلهي) . وأخذ عنه أيضاً طريقته في رسم الأشجار ليعبر بها وحدة العلم ، وتفرع الوجود كله من أصل واحد ؛ وجنّته الأفكار المجردة — على طريق الكناية — ذوات مشخصة ، وإجراء المحاورات بينها (مثال ذلك الرحلة الرمزية التي يصف فيها خروج الصوفي والفيلسوف في طلب الحقيقة ، وهي رحلة مشهورة ولها علاقة واضحة بالكوميديا الإلهية) . وعن محي الدين كذلك أخذ لوليو مصطلحه الصوفي

(*) رأيت أن أضيف هذه الزيادة هنا إكمالاً للكلام ، وقد قلت بيان المختصرات وما يقابلها عند لوليو من نفس المرجع ص ٢٠٨ ؛ وأضيف هنا بعض تعديلات على هذا البيان :

Grandeza = العظمة ، لا الكبرياء .

Justicia = العدل ، لا الحكم .

Bondad = الطية ، لا الإحسان .

الخاص ، لأن « الآراء الخاصة بعلوم التصوف الإلهية إنما تتحصل عن طريق الذوق الصوفي لا عن طريق العقل » (*) .

وقد رعى لوليو من وراء رسالته للسماة بلانكييرنا Blanquerna أن يعيد تنظيم مجمع كراثة روما ، فجعل لكل كرينال — بما في ذلك البابا — اسماً اشقه من أبيات ترتيلة « المجد في الأعلى » Gloria in excelsis ، وجعل لكل منهم رسالة يؤديها في الدنيا مشتقة من اسمه الذي اختاره له : فهناك كرينال يسمى « نحمدك » Laudamus te ، وآخر يسمى « نباركك » Benedicimus te وهكذا . وفي نظام الصوفيين — كما رآه ابن عربي — نجد أشخاصاً موكلين بالوعظ والتعليم بين المسلمين ، وهم الأقطاب ومقدم « قُطب » (وهو لفظ معناه المحور ، وهو قريب من معنى لفظ cardo, cardinis اللاتيني = قلب ، ومنه جاء لفظ الكرينال) . وابن عربي كذلك يلقب كل قطب بلقب يقتبسه من لفظ القرآن ، فواحد لقبه « الله محمود » ، وآخر لقبه « الحمد لله دواما » وهكذا ، وكل قطب مكلف بأن يعظ بلقبه ويردده في اخطافين .

أما كتاب « الصديق والمحبوب » El Libro del Amigo y del Amado فينتفيق في مبدئه الأساسي مع ما ذكره ابن عربي في كتابه « ترجمان الأشواق » ، ويقول لوليو : « إن الغاية التي يؤدي إليها الحب الروحي هي المطابقة » (**) ، وذلك بأن نصير ذات المحبوب نفس ذات الحب ، وأن تكون للمطابقة مقبادة فتصير ذات الحب نفس ذات المحبوب كذلك » .

ولنذكر إلى جانب ذلك أن لوليو كان يكتب العربية كما يكتب الله الفطرية ، وأنه كان يستعملها في مجادلاته مع المسلمين وفي التبشير في المغرب .

(*) Cf : JULIAN RIBERA, *Orígenes de la filosofía de Raimundo Lullo*; in *Disertaciones y Opúsculos* (Madrid, 1928), tomo I, pp. 169-172.

(**) استعملت هنا اللفظ ترجمة لفظ identificación ، والصوفيون يسمون ذلك في مصطلحهم مُنَازلة ، ولكني آثرت الترجمة الحرفية لفظ الإسبان .

وقد كتب مؤلفه للسمى « كتاب الكافر والملء الثلاثة » : El libro del gentil y los tres savis بالمرية أولا — وهو كتاب كان واسع الذرع في المصور الوسطى — ثم ترجمه بنفسه إلى القطلونية ، وعنها نُقل إلى العبرية واللاتينية والفرنسية والإسبانية (تمت الترجمة لغة الأخيرة في عام ١٣٧٨ على يد القرطبي جندالو سانشيد د'أوثيدا Gonzalo Sánchez de Uceda) وقد ألّفه لوليو على أساس من الكتاب الخزري ليهودا هلاوى (ف ١٤٣) ، وربما يكون قد استوحاه من ترجمة عربية لحكاية « برلام » . أما كتاب لوليو السمى « كتاب التتري والنصراني » Libro del Tártaro y del Cristiano فهو صياغة أخرى لكتاب « الكافر والملء الثلاثة » لوليو نفسه ، وفيه إشارات كثيرة واضحة إلى « كتاب الخزري » .

وملاوة على هذا الأثر الإسلامي الميق — الذي يبدو بوضوح في كتاب « بلانكيرنا » ، وقد يبعه ريبيرا في وضوح — فإننا نجد في تضاعيف كتاب لوليو السمى « الكتاب السعيد في مجائب الدنيا » : Libre Felix de les meravelles del món (١٢٨٦ م .) « حكاية خرافية طويلة تتخللها قطع من قصيدة نهكية منشورة ونحوى إلى جانب ذلك خرافات أخرى قصيرة كثيرة ، وهذه الحكاية الخرافية الطويلة هي « كتاب المعجوات » Libre de les Bèsties ، وقد ألّفه لوليو على مثال الكتاب العربي المعروف « كليلة ودمنة » ، إذ أن لوليو أخذ منه القالب الخرافي وكثيراً من الحكايات . بيد أننا نجد هذه الاقتباسات في كتب لوليو معرفة عن الأصل العربي للكتاب تحريفاً ظاهراً يمس مادتها نفسها . ولا نحسب أن لوليو تعمد هذا التحريف واعتسفه على هواه ، وإنما سببه أن الأصل لم يكن بين يديه وهو يؤلف ، ولكنه كان يبي في ذاكرته معاللة الرئيسية لحسب » ، كما يقول منتدذ بلايو (*) .

(*) MENÉNDEZ PELAYO, *Estudios y discursos de crítica histórica y literaria* (Madrid, 1941) tomo I p. 211.

ف ١٥٢ — دانتى وإبراهيم (*) :

بعد سنوات طويلة من الجدل والنقاشات على صفحات المجلات والدوريات العلمية في العالم كله ، أتيج للنظرية التي بسطها ودلل على صحتها بالبراهين الأستاذ ميجيل آسين بلاثيوس — في كتابه عن « الأصول الإسلامية للكمبيديا الإلهية » ، الذى نشره لأول مرة عام ١٩١٩ — أن تسير في طريقها وتأخذ مكانها من إقرار العلماء^(١) . وقد ذهب آسين في هذا الكتاب إلى أننا نجد في الأدب الإسلامى « مفتاح جانب كبير مما استطاع الناس — وما لم يستطيعوا — تفسيره من المسائل المتعلقة « بالكمبيديا الإلهية » ، أى أننا نجد في هذه الآداب الإسلامية أصول بعض ما ذهب المناقشون إلى أنه أخذه عن مفكرين نصارى سابقين عليه في الزمن ، وبعض ما لم يجدوا له أصلا فنسبوه إلى عبقرية دانتى وخياله للبدع .

ذهب آسين إلى أن الأصل الإسلامى الذى يمكن أن يكون قد أوحى بفكرة « الكمبيديا الإلهية » هو « إسرائ » الله برسوله (صلى الله عليه وسلم) إلى المسجد الأقصى و « عروجه » به إلى السماء . وقد صاغت أخيرة للمسلمين أساطير

(*) تركت هنا الفصل على حاله ، مع أن الوضع في هذا الموضوع قد تغير تماما بعد أن عثر العلماء على الترجمتين اللاتينية والبروفتسية للنس العربى لقصة المراجع ، التى تعتبر الأساس الذى بنى عليه دانتى ، مما قد يخفى من هذه المناقشة الطويلة التى يجدها القارئ هنا . ولكنى أجبته لأننا لم نجد النس العربى لقصة المراجع بعد ، ولأنى أردت أن يطلع القارئ على هذا التهجج الملى البدع ، الذى سلكه آسين بلاثيوس لكن يصل إلى إثبات هذه النظرية ، التى تعتبر من أهم الكشوف العلمية في ميدان الاستقصاف خلال هذا القرن . انظر :

La Escala de Mahoma, Traducción del árabe al castellano, latín y francés, ordenada por Alfonso X el Sabio. Edición. por José Muncz Sendino. Madrid, 1949.

ENRICO CERULLI, *Il Libro della Scala e la questione delle fonti árabe - spagnole della Divina Commedia*. Città del Vaticano, 1949.

كثيرة حولها ذاعت بين جماهيرهم ذيوها واسماً ابتداء من القرن التاسع (الميلادى) على الأقل ، ثم زاد عليها أهل الدين والتصوف والأدب من المسلمين ، وأضفوا عليها ثوباً شاعرياً فيما تلا ذلك من العصور . ونحن نجد في هذه الأساطير أن بطل القصة محمداً (صلى الله عليه وسلم) — أو شخصاً آخر عادياً — يحكى بنفسه قصة صعوده إلى السماء كما فعل دانتى في قصته الشعرية ، فيقص بلفظه ما وقع له وما شهدته أئناده . وكلتا الرحلتين — الكوميديا الإلهية و « الإسراء » — تهدآن لهلاقي أعقاب حلم عريق . ونحن نجد في أساطير الميراج الإسلامية ذنباً وأسدأ يقطعان طريق الخروج من النار على التشرى به إلى السماء ، ويقابل ذلك ما يحكىه دانتى من أنه وجد ضفة وذنباً وذنباً على مخرج جهنم تحول بيته وبين الدخول . ثم إننا نجد هذا الرحالة المسلم يلقى الخيتمور شاعر الجن في حديقة كثيفة الشجر بين السماء والنار ، وتوصف هذه الحديقة بأنها مقام الجن (*) ، بالضبط كما يقود فرجيل الشاعر القديم دانتى إلى بستان الليمون مقام الأبطال والمبارقة من أهل العصر القديمة . ويذكر دانتى أن « السماء » أسرت فرجيل بأن يعرض على دانتى أن يكون دليله ، وفي « الميراج » الإسلامى يقود جبريل محمداً في رحلته .

(*) يتابع المؤلف هنا آسيف بلانوس فيما ذكره في كتابه :

La Escatología Musulmana en la Divina Comedia (Madrid, 1945) pp. 93 sqq.

وهذا بدوره يتابع هنا « رسالة النفران » لأبي العلاء . والرسالة لا تذكر هنا « بستاناً ملتح الشجر » un frondoso jardín بل « مائة ليست كدائن الجنة » ولا عليها النور اللهباني ، ومى ذات أوحال وغمائل ، فيقول لبعض اللائكة : ما هذه يا عبد الله ؟ فيقول : هذه الجنة الفاريت الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في الأحكام في سورة الجن ، وم عدد كثير ... ثم يقول بعد قليل : « فيقول : ما اسمك أيها الشيخ ؟ فيقول : أنا الخيتمور أحد بني الشيصان ، ولست من ولد إبليس ، ولست من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل ولد آدم صلى الله عليه . طبة كامل كيلان ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٨٥ — ٨٦ . والنهاسيل جمع مغلول وهو الوادى الضيق الكثير الفجر والتهب ، أو الوادى ذو الشجر الطويل الخليل الرض اللثف .. الخ »

وصور المذاب متشابهة في جميع دانتى وفي جهنم التي يصفها القصص في أساطير المراجع الإسلامية ، ففي القصص الإسلامى نجد ما يقول دانتى من أنه رآه في « جحيمه » من أن عواصف هوجاً من النار تفتح أهل الزنا^(*) . والطبقة الأولى من دار المذاب تلك توصف في هذه الكتب على نفس النحو الذى توصف به مدينة « ديت » La Città di Dite في القصيدة الإيطالية : يحيط من النار تقوم على شواطئه قبور تشتعل فيها النيران^(**) ، ونجد أكلة الربا يحاولون هناك أن يصلوا سباحة إلى شاطئ بحيرة من الدم ، إذ يذودهم عنها حراس جهنميون يدفعونهم إلى النوص من جديد . وهناك حيات مخيفة في أطباق النار المختلفة

(*) أورد آسبن مقابلات بين أوصاف هذه الریح كما أوردها الثمالی فی « کتاب قصص الأنبياء » للسید بالمرالس (طبعة مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ١٣٧٤) وأوصافها كما يوردها دانتى فی الألفودة الخامسة من الكوميديا الإلهية ، والأرقام تشير إلى آيات الألفودة :
قصص الأنبياء الثمالی (س ٤٠) جميع دانتى ، الألفودة الخامسة

السحابة السوداء (49) briga
(51) la bufera
(51) l'aer nero
(59) l'aer perso ریح فیها كعصیب النار
(51) l'aer . . al gastiga ریح فیها عذاب ألم
(86) l'aer maligno الریح الطیم
Mena gli spirti con la sua rapina (82) فصلهم ... وتعنهم حتى هلسكوا
Voitando e percotendo gli molesta (83) والرجال تطير بهم بین السماء والأرض
Di qua, di là, di giù, di su gli mena (43) فجعلت الریح تدخل تحت الواحد منهم
Portate alla delta briga (49) فصله ثم تری

Cf : ASIN PALACIOS, op. cit. p. 151, n.1.

(**) جاء فی حدیث المراجع للنسوب لابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فی صفة جهنم : « ... قلت يا مالک (خازن جهنم) اكشف عن أطباق جهنم لأنظر إليها ، فقال : لا تصطیع النظر إليها ! وإذا النداء : يا مالک ، لا تخالف له أمراً ! فقد ذك قبح باب =

تعذب أهل النهم والأشقياء في جحيم دانتى ، وكذلك نجد في الجحيم الإسلامى الطواغيت وأكلة أموال اليتامى والمرايين . أما العطش المجد الذى يعانى به المزيئون في الطبقة الماشرة من الحلقة الثامنة من جحيم دانتى في السكوميديا الإلهية (*) ، فهو عذاب شاربى الخمر في الأسطورة الإسلامية ، فقد جاء فيها : « ... ثم نظرت فرأيت أقواما يستغيثون من العطش ، فتأتيهم الزبانية بأقداح من نار ، فإذا تناولوها سقط لحم وجوههم من حرها ، فإذا شربوها قطعت أمعاءهم وخرجت من أدهارهم ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : شراب الخمر ! » (†) . أما ما وصفه دانتى من عذاب صنوف أخرى من المزيين بالتفاح بطونهم ، فنجد أنه من نصيب أكلة الربا في صورة أخرى للأسطورة الإسلامية ، فهي تقول : « ثم نظرت وإذا يقوم بطونهم كأمثال الجبال تغلى حيات وعقارب ، كلما هم أحدهم أن يقوم سقط على وجهه من عظم بطله ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : آكلو الربا ! » (‡) .

== جهنم مقدار خرم الإبرة ، تخرج [ورقة ٨٥] منها وجم ودخان لو دام ساعة لأظلمت السماوات والأرض ، فنظرت فيها ، فإذا هي سبع طباق بعضها فوق بعض ، فلم أستطع النظر إليها لفدة عذاب الكفار والمسكرين ، فنظرت إلى الطبقة الأولى منها ، وإذا هي طبقة أهل الكبار ، ورأيت فيها سبعين بحرا من نار ، وعلى كل ساحل بحر مدينة من نار ، في كل مدينة سبعون ألف بيت من نار ، في كل بيت سبعون ألف صندوق من نار ... » . ونجد هذه الصورة في وصف مدينة دجيه في جحيم دانتى ، فعلى دانتى وترجيل عندما يقتربان من شواطئ بحيرة استيجيا Estigia يبينان أنها مدينة من نار ، وهي كلها أشبه بمدفن حائل فيه قبور لا يحصى عددها ، ينصل أسدما من الآخر بحر من المهب يحمل كل قبر يبدو وكأنه لسان من النار يتلظى فيه أصحاب الشلالات ، وهم مسجونون في هذه المحابس التي تشبه صناديق من الحديد للتهيب ... » .
انظر :

ASIN, op. cit. pp. 28-29.

وهو يشير إلى « حديث للمراج » للنسوب إلى ابن عباس ، مخطوط بمكتبة لايدن رقم ٧٨٦ (أوردته نصه في ص ٤٣٢ وما يليها من كتابه الآتف المذكور) ، وللى جحيم دانتى ، أنشودة ٨ ، الأبيات ٦٧ — ٧٥ ، وأنشودة ٩ ، سطر ١٠٩ وما يليه .

(*) انظر : جحيم دانتى ، أنشودة ٣٠ ، سطور ٤٩ — ٥٧ و ٨١ — ٨٤ و ١٠٢ و ١٠٦ — ١٠٧ و ١١٩ و ١٢٣ .

(†) حديث للمراج للنسوب لابن عباس للشار إلى آخا ، انظر كتاب آسین ص ٤٣٣ .

(‡) نفس المرجع والمصنعة .

ومجد نقرأ من أهل جهنم الخالدين فيها في جميع دانتى يحكون بأظفارهم البرص الذى ينطلى جلودهم ، بالصبط كما يعذب شهود الزور والتمسعون فى الأسطورة الإسلامية (*) وعبد المنشاشين فى الخندق الخامس من الدائرة الثامنة من جميع دانتى غارقين فى ركة من القار ، يطعنهم الشياطين بحراب من الحديد كلها طفقوا على وجهها (**) ، ويقابل ذلك عذاب العاقين والديهم فى الأسطورة الإسلامية : « ثم رأيت رجالا وساء يعذبون فى النار ، قد وكلت بهم زبانية بمقاع من حديد ، كلها استقاثوا يقيمونهم ويطعنونهم برماح من نار فى بطونهم ويضربونهم بسياط من نار ، فلم أر أحدا من أهل الكهاتراشد عذابا منهم ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : العاقون والديهم ا » (†) . ويعذب أهل البدع والضلالات فى جميع دانتى بعذاب رهيب إذ تلعنهم الشياطين أندا ، ثم يبعثون من جديد ويؤدون إلى الطعن ، وهذا هو عذاب القتل فى جهنم كما تصورم الأسطورة الإسلامية ، فهى تقول : « ... ثم رأيت أقواما تذبجهم الزبانية بسكاكين من نار ، كلها ماتوا عادوا كما كانوا ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : الذين يقتلون النفس التى حرم الله » (‡) .

أما صور الصفاء الروحى التى يمتاز بها فردوس دانتى فنلقاها فى بعض صور الأسطورة الإسلامية : فإن الأحاديث النسوية إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأناشيد كتاب الفردوس من قصة دانتى لا تستعمل فى أوصاف دار النعيم إلا عناصر ثلاثة ، هى : الألوان والأضواء والموسيقى ؛ وهى تستعملها فى تصوير اللقائم المثالى

(*) نفس المصدر والمقعة . وهذا هو عذاب حرافولينو داريزو Graffolino d' Arezzo وكابوكيو دى سينا Capocchio di Siena فى جميع دانتى .

انظر : الجيم ، أنشودة ٢٩ ، سطور ٧٩ — ٨٧ . آتين ، نفس المرجع ، س ٢٩ .

(**) جميع دانتى فى نهاية الأنشودة الحادية والعشرين .

(†) نفس المصدر والمقعة .

(‡) نفس المصدر ، س ٤٣٤ . وجميع دانتى ، أنشودة ٧٨ ، سطور ٢٢ — ٤٢ .

غير المادى الذى تتمناز به الحياة للباركة . وكلا انتقل محمد (صلى الله عليه وسلم)
 فى الأسطورة الإسلامية — ودانتى فى قصيدته — من طبقة إلى طبقة ، يزداد
 الضياء شيئاً فشيئاً حتى يعشى بصريهما ويحسبان أنهما قددا البصر ، ويرفعان
 أيديهما إلى أعينهما بحركة غريزية ليقيا أعينهما من النور الساطع ، فيعمد جبريل
 فى الأسطورة الإسلامية — وبياتريس فى القصة الدانتية — إلى التخفيف عنهما
 وبث الطمأنينة فى قلوبهما ، ويسألان الله لما مزيداً من البصر حتى يستطيعا
 تأمل الضياء الساطع ، فيهبهما الله مزيداً من النور فيتمكنان من الإبصار واسكنهما
 لا يستطيعان وصف ما يريان . [قارن مثلاً قول دانتى فى الأنشودة الأولى من
 « الفردوس » ، سطرى ١٢٨ — ١٢٩ :

Par. III, 128-9 :

Ma quella folgorò nello mio sguardo
 sì, che da prima il viso nol soffersse(*)

وفى الأنشودة الخامسة والمشرين من « الجنة » ، سطور ١١٨ — ١٢١ :

Par. XXV, 118-121 :

Quale è colui ch'adocchia, e s'argomenta
 di veder eclissar lo Sole un poco,
 che per veder non vedente diventa ;
 tal mi fec'lo a quell'ultimo fuoco.†

وفى الأنشودة ٢٣ ، سطور ٢٨ — ٣٣ :

Par. XXIII, 28-33 :

Vid'lo sopra migliaia di lucerne
 un Sol, che tutte quante l'accendea,
 come fa' il nostro le viste superne :
 e per la viva luce trasparava
 la lucente sustanzia tanto chiara,
 che lo mio viso non la sostenea.‡

بما جاء فى الحديث الذى أسنده السيوطى إلى ابن حبان فى وصف السماء السابعة :
 « ... وأنوارهم شق لا يشبه بعضها بعضاً ، وأجنحتهم شق لا يشبه بعضها بعضاً ،

(*) Cf. ASIN. op. cit. p. 46.

(x) Cf. ASIN. op. cit. p. 46.

(†) Cf. ASIN. op. cit. p. 46.

تَحَارَ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ دُونَهُمْ ، فَتَبَّتْ حِينَاى دُونَهُمْ لَمَّا رَأَتْ مِنْ مَجَائِبِ خَلْقِهِمْ
وَشِدَّةِ هَوْلِهِمْ وَتَلَاثَوْا أَوَارِمَ ، فَخَالَطَنِي مَسْهُمٌ فَزَعٌ شَدِيدٌ حَتَّى اسْتَطَعْنِي الرُّعْدَةُ ،
فَنَظَرْتُ إِلَى جَبْرِيلَ قَالُ : لَا تَخَفْ يَا مُحَمَّدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَكْرَمَكَ بِكَرَامَةِ
لَمْ يَكْرَمْ بِهَا أَحَدًا قَبْلَكَ ... فَلَقَدْ خَبِلَ إِلَيَّ أَنِي قَدْ نَسِيتُ مِنْ مَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ
الَّذِي دُونَهُمْ ، وَلَمْ يُؤْذَنْ لِي أَنْ أَحْدِثْكُمْ عَنْهُمْ ، وَلَوْ كَانَ أُذُنٌ لِي لَمْ اسْتَطِعْ أَنْ
أَصِفَهُ لَكُمْ ... وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَوَانِي بِذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ وَتِمَامِ نِعْمَتِهِ ، وَمِنْ هَلْ
بِالْثَبَاتِ عِنْدَ مَا رَأَيْتُ مِنْ شِعَاعِ نُورِهِ وَسَمِعْتُ دَوَى أَصْوَاتِهِمْ بِالتَّسْبِيحِ ، وَحَدَّدَ
بَصَرِي لِرُؤْيَيْهِمْ كَيْ لَا يُخْطَفَ مِنْ نُورِهِ ... ثُمَّ جَاوَزْنَا مَا يَأْذَنُ اللَّهُ مُتَّصِدِينَ إِلَى
عَلِيِّينَ حَتَّى ارْتَفَعْنَا فَوْقَ ذَلِكَ ، فَاتَّبَعْنَا إِلَى بَحْرِ مِنْ نُورٍ يَتَلَاوُلُ لَا يُرَى لَهُ طَرَفٌ
وَلَا مَتْنَعٌ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ حَارَ بَصَرِي دُونَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِ
رَبِّي قَدْ امْتَلَأَ نُورًا وَالتَّهَبَ نَارًا ، فَكَادَ بَصَرِي يَذْهَبُ مِنْ شِدَّةِ نُورِ ذَلِكَ الْبَحْرِ ،
وَتَمَاطَلَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ تَلَاثَوْهُ ، وَأَفْطَعْنِي حَتَّى فَزَعَتْ مِنْهُ جِدًا ...] (*) .

وَكَلَامًا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ طَائِرًا يَحْمِلُهُ دَلِيلُهُ فِي سُرْعَةٍ مَارِقَةٍ كَأَنَّهَا سَرِيانُ
الرِّيحِ أَوْ مَرْوَقُ السَّهْمِ ، وَالْهَدَايِلُ فِي كُلِّ الْحَالَتَيْنِ يَرْشِدُ الزَّائِرَ وَيُطْمِئِنُّهُ وَيُجِيبُهُ
عَمَّا يَسْأَلُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَيَمْلَأُهُ وَبِرْجُوهُ اللَّهُ وَيُطْلِبُ إِلَيْهِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ . [قَارَنَ
مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآنْفِ الذِّكْرُ : « ... ثُمَّ جَاوَزْنَا مَا يَأْذَنُ اللَّهُ مُتَّصِدِينَ فِي جَوْ عَالِيَيْنَ
أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ وَالرِّيحِ ... » وَ « ... فَسَرَتْ مَعَ جَبْرِيلَ ... مِنْ عَلِيِّينَ يَهْوَى
مَنْقَضًا أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ وَالرِّيحِ ... » بِقَوْلِ دَانْتِي فِي الْأَنْشُودَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ
« الْفَرْدُوسِ » ، سَطْرِي ٢٣ — ٢٤ :

Par. II, 23-24 :

E forse in tanto, in quanto un quadrel posa
e vola e dalla noce si dischiava.

وقوله في الأنشودة الخامسة من « الجنة » ، سطر ٩١ — ٩٢ :

(*) اظر :

ASIN, op cit, p. 46. n. 1-5.

و « اللَّائِي » لِلْمَنْوَعَةِ فِي الْأَحَادِيثِ لِلْمَوْضُوعَةِ « لَجَلَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّيُوطِيِّ ، طَبْعَةُ الْمَسْكُوتَةِ
الْحُسَيْنِيَةِ الْمِصْرِيَّةِ بِالْأَزْهَرِ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، الْقَاهِرَةُ ١٣٥٢ هـ ، ج ١ ، ص ٦٨ — ٦٩ .

Par. V, 91-92 :

E sì come saeta, che nel segno
percuote pria che sia la corda queta (*)

وعندما تبلغ بيترس بدانتى الدرجات العليا من صعودها نرى القديس
برناردو يحمل محمداً ، وكذلك جبريل يترك محمداً عندما يقارب العرش فيهبط إليه
رفرف من نور يصعد به . [قارن ما جاء فى حديث ابن حبان المشار إليه :
« فلما أُسْرِىَ بى إلى العرش وحاذيته دُنِّيَ لى رفرف أخضر لا أطيق صفته لكم ،
فأهوى بى جبريل ، فأقعدنى عليه ، ثم قصر دونى ، ورد يديه على عينيهِ مخافة
على بصره أن يلتصق من تلالؤ نور العرش ، وأنشأ يبكي بصوت رفيع ، ويسبح
الله تعالى ويحمده ويثنى عليه ، فرضنى ذلك الرفرف بإذن الله ورحمته إياى وتمام
نعمته علىَّ إلى سيد العرش ، إلى أمر عظيم لا تناله الألسن ولا تبلغه الأوهام ... »
(ص ٧٤ من للرجع للذكور) بما يقوله دانتى فى الأنشودة الثالثة والثلاثين من
« الفردوس » ، سطور ٧٦ — ٨٤ :

Par. XXXIII, 76-84 :

Io credo, per l'acume ch'io soffersi
del vivo raggio, ch'io sarei smarrito
se gli occhi miei da lui fossero aversi.
E mi ricorda ch'io fu' più arditto
per questo a sostener tanto, ch'io giunsi
l'aspetto mio col Valore infinito.
O abbondante grazia, ond'io presunsi
ficcar lo viso per la luce eterna
tanto, che la veduta vi consunsi. (**)

ولا يتوافق الصعودان — الدانتى والإسلامى — فى الخطوط العامة فحسب ،
بل هناك حلقات ذات صور ملموسة يتفق الاثنان فيها : فالنسر الضخم الذى رآه
دانتى فى سماء جوبيتر وقال : إنه — أى النسر — يتكون من حشد يضم آلاف من
اللائكة لم أجنحة ووجوه فحسب ، يشع منها نور باهر ، وهى تحقق بأجنحتها
مرتلة أتمام الترنيمات الإنجيلية ، ثم يسكن النسر رويداً رويداً ويحط ، كل هذا

(*) Cf : ASIN. op. cit. p. 43, n. 1

(**) Cf : ASIN, op. cit. p. 48, n. 1.

ما هو إلا تضيئين لصورة الملك الملارد الذي رآه محمد (صلى الله عليه وسلم) يتحول إلى ديك يمتشق بجناحيه ، ويتغنى ترتيلات دينية ، ثم يحط بعد قليل مع ملائكة تبدو له وكأن كلا منها مجموع لا عدد له من الوجوه والأجنحة ، ينبعث منها النور وتتغنى في لغاتها التي لا حصر لها . [قارن ما ورد في الحديث الذي سبقت الإشارة إليه من ابن حبان : حدثنا محمد بن - سدوس النسوي ، حدثنا حميد بن زنجويه ... عن ابن عباس سرفوعاً : لما أسرى بي إلى السماء رأيت فيها أعاجيب من عباد الله وخلقه ، ومن ذلك الذي رأيت في السماء ديك له زغب أخضر وریش أبيض ، بياض ريشه كأشد بياض رأيت قط ، وزغبه تحت ريشه أخضر كأشد خضرة رأيتها قط ، وإذا رجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى ورأسه تحت عرش الرحمن ، ثانياً عنقه تحت العرش ، له جناحان في منكبيه ، إذا نشرهما جاوز المشرق والغرب ؛ فإذا كان بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول : سبحان للملك القدوس سبحان الله الكبير المتعال ! لا إله إلا هو الحلي القيوم ! فإذا فعل ذلك سبحت دبكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها ، وأخذت في الصراخ ؛ فإذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الدبكة في الأرض (ص ٦٣ وما يليها من اللآلئ) ... وسهرت بملائكة كثيرة لا يحصى عددهم إلا الله الواحد الملك القهار ، منهم من له وجوه كثيرة في صدره ، وفي كل وجه من تلك الوجوه أفواه وألسن ، وهم يحمدون الله ويسبحونه بتلك الألسن كلها ... » (نفس المصدر ص ٦٧) . قارن ذلك بما يذكره دانتي في « القردوس » ، أنشودة ١٨ ، سطر ١٠٠ :

Par. XVIII, 100 :

Poi, come nel percuoter de' ciocchi arsi
surgono innumerabili faville.

Ibid, 103 :

نفس الأنشودة ، سطر ١٠٣ وما يليه :

Risurger parver quindi più di mille
luci, e salir quali assai e qua' poco,
sì come 'l Sol, che l'accende, sortille.

E, quietata ciascuna in suo loco,
la testa e'l collo d'un aquila vidi
rappresentare a quel distinto foco.

Par. XIX, 1 : النفس الأنشودة ، سطر ١ وما يليه :

Parea dinanzi a me coll' ali aperte
la bella image, che nel dolce frui
liete faceva l'anime conserte.
Parea ciascuna rubinetto, in cui
raggio di sole ardesse sì acceso,
che ne' miei occhi rifrangesse lui.

Ibid. 34 : نفس الأنشودة ، سطر ٣٤ :

Quasi falcon, che, uscendo del cappello,
muove la testa, e con l'ale s'applaude.

Ibid. 37 : نفس الأنشودة ، سطر ٣٧ :

Vid' io farsi quel segno, che di laude
della divina grazia era contesto,
con canti, quai si sa chi lassù gaude.

Ibid. 95 : نفس الأنشودة ، سطر ٩٥ وما يليه :

La benedetta immagine, che l'ali
movea sospinte da tanti concigli,
roteando cantava, e dicea.](*)

وكلا الغالبين إذا وصل بزائره إلى سماوات النجوم دعاء إلى تأمل الكون
المخلوق وصنعه . وصفة للشهد الإلهي في كلا الحالين واحدة : فأنه مركز أو نقطة
من النور الباهر تحيط به تسع دوائر ذات مركز واحد ، وتتألف هذه الدوائر من
الملائكة محشودين بعضهم إلى جانب بعض في صفوف تنبعث منها أشعة من النور.
وأقرب هذه الصفوف الدائرية من للملائكة إلى مطلع النور هو صف للملائكة
الكروبيين ، وكل صف يحف بالذي يليه ، والصفوف كلها تدور أبداً حول
مطلع الضياء الإلهي ، والزائر يتأمل هذا المشهد الأورع ، مرة عندما ينهض من

(*) Cf : ASIN. op. cit. p. 51-52

صعوده ومرة عندما يمثل بين يدي العرش . والصور التي تتمثل في نفس كليهما أثناء الرؤية المباركة واحدة : يظل كلاهما واجهاً مشدوه البصر غارقاً في بحر النور الإلهي حتى ليظن أنه فقد البصر ، ولكن بصره لا يلبث أن يتبين ما يرى ويحدده ، وينتهي بأن يستقر في مطلع النور ويثبت عينيه فيه متأملاً ، ويشعر أنه عاجز عن أن يصف ما يرى ، وكل ما يذكره هو أنه أحس إشراقاً روحياً أو ظن أنه كان مستوسناً ، ويسبق ذلك كله شعور بلذة كبرى . [قارن ما يقوله ابن حبان في « الحديث » المذكور : « ... ثم جاوزنا ما ياذن الله متصعين في جو عليين أسرع من السهم والريح ياذن الله وقدرته ، حتى وصل بي إلى عرش ذي العزة العزيز الواحد القهار . فلما نظرت إلى العرش فإذا ما رأيته من الخلق كله قد تصاغر ذكره وتهاون أمره وانضع خطره عند العرش ، وإذا السموات السبع ، والأرضون السبع ، وأطباق جهنم ، ودرجات الجنة ، وسور الحجب ، والنار ، والبحار ، والجبال التي في عليين ، وجميع الخلق والخلق إلى عرش الرحمن كحلقة صغيرة من حلق المرج ، في أرض خلاء واسعة تباء ، لا يعرف أطرافها من أطرافها ، وهكذا ينبغي لمقام رب العزة ... فغار بصري دونه حتى خفت العسى ، فتمضت عيني ، وكان توفيقاً من الله ، فلما غمضت بصري ردّ إليّ بصري في قلبي ، فجعلت أنظر بقلبي نحو ما كنت أنظر بعيني نوراً يتلألأ ، نهيت أن أصف لكم ما رأيت من جلاله ... ووجدت عند ذلك حلاوته وطيب ريحته وبرد لذاذته وكرامة رؤيته ، فاضمحل كل هول كنت لقيت وتجلت عني روعاني واطمأن قلبي وامتلاّت فرحاً وقرت عيني ، ووقع الاستبشار والطرب على حتى جعلت أميل واتكأ يميناً وشمالاً وأأخذني مثل السبات ، وظننت أن من في الأرض والسموات ماتوا كلهم ، لأنني لا أسمع شيئاً من أصوات الملائكة . ولم أر عند رؤية ربي أجرام ظلمة ، فتركني إليّ كذلك إلى ما شاء الله ، ثم ردّ إليّ ذهني ، فكأنني كنت مستوسناً ... » (اللآلئ ، ج ١ ، ص ٧٣ - ٧٥)

ثم يقول بعد ذلك : « ... ثم قلت : يا جبريل ، من الملائكة الذين رأيتُ في البحور ، وما بين بحر النار إلى بحر الصافين ، والصفوف بعد الصفوف كأنهم بنيان مرمصوص ، متضايقين بعضهم في بعض ؟ ثم ما رأيت خلفهم نجوم مصطفين صفوفاً بعد صفوف وفيهم وبين الآخرين من البعد والأمد والنأى ؟ فقال : يا رسول الله ، أما تسمع ربك يقول في بعض ما نزل عليك : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » ؟ وأخبرك عن الملائكة أنهم قالوا : « وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » ؟ فالذين رأيت في بحور عليم هم الصافون حول العرش إلى منتهى السماء السادسة ، وما دون ذلك هم المسبحون في السموات ، والروح رئيسهم الأعظم كلهم ، ثم إسرافيل بعد ذلك . قلت : يا جبريل ، فن الصف الأعلى الذى في البحر فوق الصفوف كلها ، الذين أحاطوا بالعرش واستداروا حوله ؟ فقال جبريل : يا رسول الله ، إن الكروبيين هم أشرف الملائكة وعظماؤهم ورؤساؤهم وما يجترى أحد من الملائكة أن ينظر إلى ملك من الكروبيين ... » (نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٧٧) . قارن ذلك بما يقوله دانتى في الفردوس :

الفردوس ، أنشودة ٢٨ ، سطور ١٦ — ١٨ :

Par. XXVIII, 16-18 :

Un punto vidi che raggiava lume
acuto sì, che 'l viso ch' egli affuoca
chiuder conviensi per lo forte acume. (*)

نفس الأنشودة ، سطور ٢٥ — ٣٤ :

Distante intorno al punto un cerchio d' igne
si girava sì ratto, ch' avria vinto
quel moto che più tosto il mondo cigne.
E questo era da un altro circuncinto,
e quel dal terzo, e 'l terzo poi dal quarto.
dal quinto 'l quarto, e poi dal sesto il quinto
Sovra seguiva 'l settimo, sì sparto
già di larghezza, che 'l messo di Giuno
intero a contenerlo sarebbe arto.
Così l' ottavo e 'l nono. (*)

(*) Cf. ASIN. Op. cit. p. 47

(*) Cf. ASIN. Op. cit. p. 55.

نفس الأنشودة ، سطور ٨٩ — ٩٣ :

Ibid. 89-93 :

Non altrimenti ferro disfavilla
che bolle, come i cerchi sfavillaro.
L' incendio lor seguiva ogni scintilla ;
ed eran tante, che 'l numero loro
più che 'l doppiar degli scacchi s' immilla.

الفردوس ، أنشودة ٣٠ ، سطور ١٠٠ — ١٠٥ :

Par. XXX, 100-105 :

Lume è lassù, che visibile face
lo Creatore a quella creatura,
che solo in lui vedere ha la sua pace ;
e si distende in circolar figura
in tanto che la sua circonferenza
sarebbe al Sol troppo larga cintura.

الفردوس ، أنشودة ٣٣ ، سطور ٥٧ — ٦٣ :

Par. XXXIII, 57-63 :

E cede la memoria a tanto oltraggio.
Qual è colui che sonnando vede,
e dopo 'l sogno la passione impressa
rimane, e 'l altro alla mente non riede,
cotal son io, che quasi tutta cessa
mia visione, ed ancor mi distilla
nel cuor lo dolce che nacque da essa.

نفس الأنشودة ، سطور ٩٣ — ٩٤ :

Ibid. 93-94 :

Dicendo questo, mi sento ch'io godo
Un punto solo m'è maggior letargo.

نفس الأنشودة ، سطور ٩٧ — ٩٩ :

Ibid. 97-99 :

Così la mente mia tutta sospesa
mirava fissa, immovile ed attenta
e sempre nel mirar faceasi accesa. (*)

(*) Cf : ASIN, -op. cit. pp. 56-56 notas.

بل إن الروح العام لقصة دانتى ليس جديداً ، ولم تبتدع « الكوميديا الإلهية » للعنى الرمزى الأخلاقى الذى تمتاز به ابتداء ، فقد سبقها إليه الصوفيون المسلمون وخاصة ابن عربى للرسم ، إذ أنهم اتخذوا من رحلة محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى العالم الآخر وعروجه إلى السماء رمزاً على نشور الأرواح عن طريق الإيمان والفضائل اللاهوتية . وكل من دانتى وابن عربى يحمل هذه الرحلة رمزاً لحياة البشر ويرى أن الهدف الأخير للحياة والسعادة الكبرى فى الوجود إنما هى رؤية الله ، ولا تتأتى هذه الرؤية بنير هدى من اللاهوت ، إذ أن العقل العادى لا يصل إلى الإنسان إلا إلى « المراحل الأولى من هذا الطريق الطويل ، وهذه المراحل ما هى إلا رمز على الفضائل العقلية والأخلاقية ، فأما الوصول إلى مدارج الجنة العليا ، التى هى رمز الفضائل اللاهوتية ، فلا يدرك بنير إشراف إلهى » (*) . وفى بعض صور الأسطورة الإسلامية لا نجد المرجع إلى السماء — ذلك الذى يصف الرحلة — محمداً (صلى الله عليه وسلم) وإنما رجلاً عادياً — كما ذكرنا — إنساناً خاطئاً تشوبه النقائص ، فتجمع القصة الإسلامية — كقصة دانتى — على هذا النوعين خاصيتين تبدوان وكأنهما متناقضتين فى الظاهر : هما الرمز للتألى من ناحية ، والواقعية الإنسانية فى صميمها .

ثم يقول آسين : « إن قلداً عظيماً من العالم المكانية وتفصيلها والمشهد وأوصاف بعض حلقات « الكوميديا الإلهية » لا نجد له شبيهاً ظاهراً فى شتى الروايات التى وصلتنا عن قصة « المراج » المسمى ، ولكننا نجد سوابقها ونماذج مماثلة لها فى بعض الأحيان فى أصول أخرى من الأدب الإسلامى . ونحن نجد هذه النماذج مشابهة لبعض تفاصيل القصة المأثية حيناً ومطابقة لها حيناً آخر ، نعهدا إما فى تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تصف الحياة الأخرى ، أو فى الأساطير التى نسبها خيال المسلمين عن يوم الحساب ، وقد نجد فى مذاهب اللاهوتيين والفلاسفة والصوفية بصورة خاصة ، قد اجتهد أولئك جميعاً فى ترتيب

(*) Cf : ASIN, op. cit. pp, 66 sqq.

هذه النصوص القرآنية والنبوية وتفسيرها وتعليقها .

ويطيل الأستاذ « آسين » الوقوف عند الصوفى المرسى النابه محيى الدين ابن عربى (١١٦٤/٥٥٩ — ١٢٤٠/٦٣٧) دون غيره من أهل الفكر الإسلامى ، ويذهب إلى أنه من الممكن أن يجد عنده الأصول التى قبس داتى منها هيئة « جحيمة » ورتبه على مثالها . وإقتنا لنجد كلا الرجلين — داتى وابن عربى — يميلان إلى استخدام الهيئة الدائرية أو صورة قبة الفلك : فأطباق الجحيم ومسارى النجوم ودوائر الورد الصوفية وجماعات للملائكة التى تنف بمطلع النور الإلهى والدوائر الثلاث التى ترمز إلى الثلاث (عند داتى) ، كل هذه وصفها الشاعر الفلورنسى كما وصفها الصوفى للرسى . بل إن ابن عربى رسم هذه الدوائر بيده ؛ وإنه لما يدعو إلى المعجب أن الرسوم التى خططها الداتيون بعد قرون كثيرة ليمثلوا بها أوصاف « الكوميديا الإلهية » تتفق تمام الاتفاق مع ما أودعه ابن عربى فى « فتوحاته » من رسوم .

وتوافق هذه الرسوم يقوم دليلا على وجود علاقة بين الأصل وما نُقل عنه ، وإنه لمن المستحيل — عقلا — أن يكون هذا التوافق قد وقع عن طريق للصادفة العارضة . ويقول آسين متعجبا : « ... ثم إن للصادفة العارضة ليست تعليلا علميا للوقائع التاريخية . والواقعة التاريخية التى تتجلى لكل ذى نظر هى : أن محيى الدين بن عربى سَجَّلَ فى القرن الثالث عشر ، وقبل ميلاد الشاعر الفلورنسى بخمسة وعشرين سنة ، فى صفحات أربع متوالية من « فتوحاته » تخطيطات مواضع العالم الآخر كلها على شكل دائرى أو فلكى ، وهذه الهيئات الدائرية تعتبر فى مذهب ابن مسرة — الذى يتبناه ابن عربى — تصويراً للكون وأصله ؛ ثم أنى داتى بعد ذلك بثمانين سنة فأودع فى منظومة ضخمة رائية تقع فى ثلاثة أقسام ، صفاً شاعرياً لنفس هذه اللواقع من العالم الآخر وقد بلغ من دقة وصف هذه العالم فى شعر داتى أن شارحيه فى القرن العشرين تمسكوا من تمثيلها برسوم على هيئة أشكال

هندسية ، مطابقة في صميمها لماك التي خطتها يد الصوفى الرسمى قبل ذلك بسبعة قرون . فإذا لم يكن دانتى قد قلده هذه الأخيرة فإن هذا التطابق الذى قام الدلائل عليه لا يكون إلا لنزلاً لا تفسير له أو معجزة من معجزات الإصالة (*) .

ويشير آسین إلى مواضع شبه أخرى بين الواقع الذى تحدث عنها دانتى وتلك التى وصفها ابن عربى ، ومثال ذلك « الأعراف » التى ورد ذكرها فى القرآن وعرفها المفسرون الإسلاميون بأنها « تل بين الجنة والنار » (**) ، فقد أخذ دانتى منها فكرة « الليبو » . و « جهنم » بوصفها الإسلامى المعروف هى « الإنفرنو » . Inferno (= الجحيم) عند دانتى . و « الصراط » الإسلامى هو الأصل الذى أخذ عنه دانتى « البرجاتوريو » Purgatorio (= المطهر) الذى نجده فى « الكوميديا الإلهية » (†) . و « اللرج » الذى تذكره الأساطير الإسلامية وتصفه بأنه طريق بين الجنة والنار (‡) هو « البراديزو تريستر Paradiso terrestre » ، أى « الجنة الأرضية » التى تحدثنا عنها « الكوميديا الإلهية » . والجنات الثمان ذات الهيئة الدائرية التى تضم « شجرة طوبى » أو « الشجرة للونسة » والتى يحدثنا عنها ابن عربى ، هى النموذج الذى احتذاء دانتى فى تصوير

(*) Cf : ASIN, op. cit. pp. 267.

(**) انظر : السيد مرتضى ، كتاب « إتحاف السادة المتقين بمرح أسرار إحياء علوم الدين » ، طبعة أحمد البابى الحلبي ، القاهرة ١٣١١ ، ج ٨ ، ص ٥٦٦ .

(†) يفسر آسین الصراط هنا بما فسره به بعض المفسرين الإسلاميين من أنه جسر أو قنطرة أو عقبة . انظر تفسير حديث أبي هريرة فى « إتحاف » للسيد مرتضى ، ج ١٠ ، ص ٤٨١ وما جاء فى نفس اللرج (ج ١٠ ، ص ٤٨٢) : « يضرب الصراط بين ظهري جهنم » وما يقوله ابن عربى فى الفتوحات ، ج ٣ ، ص ٥٧٣ : « يوضع الصراط من الأرض حلوا على استقامة إلى سطح تلك » .

Cf : ASIN, op. cit. pp. 179-186.

(‡) انظر قول ابن مخلوف فى « كتاب العلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة » ، طبعة ابن مهدي الترك ، القاهرة ١٣١٧ ، ج ٢ ، ص ٦١ : « إن الناس إذا جاوزوا الصراط وقطعوا مسافته وجاروا بهم خلف أظهرهم أقضوا إلى طريق الجنة » .

ما يسميه شراحه « بالوردة الصوفية » أو « الوردة الدانقية » ، وهي الجنة السماوية عند هذا الشاعر الإيطالي الكبير . [فإن محي الدين بن عربي يتحدث عن « صورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضاً صورة دوائر ثمانية ، جنة في قلب جنة » (*) ، وداني يقول في الأنشودة الثلاثين من « الفردوس » ، سطر ١٠٣ وما يليه :

E si distende in *circular figura*
in tanto, che la sua *circonferenza*
sarebbe al Sol troppo *larga cintura*.]

وكلا القصصين الإسلامي والداني يصف بيت المقدس بأنه المحور الذي يدور حوله العالم العلوي كله ، [ومن أمثلة ذلك ما يقوله أحد للفرسين في شرح سبب عروج محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء من بيت المقدس : « قيل ليكون عروجاً مستويًا ، لما روى كعب الأحبار أن باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس »]^(٥) . وكلا القصصين يحمل جهم تحت موقع بيت المقدس . وفي أدنى دركات جهم نجد « مقام إبليس » في الأسطورة الإسلامية و « سجن لوسيفر » (أي الشيطان) في القصيدة الدانقية ، وفوق موقع بيت المقدس في الملا تماماً توجد « سماء الأكوهية » ، « مقام رب العرش » . وفي الجنة من « المنازل » بقدر ما في النار في أساطير المراجع الإسلامية وعند داني . ثم ينقسم كل من منازلها إلى « منازل » أصغر بحيث لا نجد موضعاً في الجنة إلا يقابله موضع في النار ، وذلك كله نجده على صورة واحدة في الأسطورة الإسلامية والقصيدة الدانقية .

(٥) فتوحات ج ١ ، ص ٤١٦ . وانظر أيضاً ج ٣ ، ص ٥٥٢ و ٥٦٧ وكتاب البوائيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للقرافي ، مطبعة محمد رمضان ، القاهرة ١٣٧١ ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(٦) أورده آسبن من المخطوط رقم ١٠٥ ، مجموعة جيلانيوس ، للوجود حالياً في مكتبة مدرسة الدراسات الإسلامية في مدريد .

وبعين آسين وجوه تشابه أخرى ، سواء في حلقات القصة أو مشاهدتها ،
ويصل هذا التشابه في بعض الأحيان إلى التطابق الحرفي . وأبين ما يبدو لنا
من أوجه هذا التشابه هي : « إن صنوف أهل « اليبسو » — في القصيدة
الدائنية — والمذاب الذي يصيب كل فريق منهم — يشبه عذاب من يقابله من
أهل « الأعراف » في الأساطير الإسلامية . فهذه « الموصاف السود » التي يقول
داني أنها تمصف بأهل الزنا في جهنم هي « الريح » التي يذهب بعض الأحاديث
الموضوعة إلى أن الله أرسلها على قوم « عاد » ، و « مطر النار » الذي يجعله داني
عقوبة القواط في الأنشودة التاسعة من الجحيم ، سطر ١١٥ وما يليه ، هو « الحميم »
الذي ورد ذكره في القرآن وفسره بعض المفسرين بأنه ماء ينزل وبعضهم الآخر
بأنه « ذوب الحديد » أو « شواظ من نار ونحاس » . ويضيف داني إلى عذابهم
فيجعلهم يسرون في حركة دائرية أبداً ، وهذا منقول عما يذهب إليه بعض
المفسرين المسلمين من أن « في النار أقواماً ... تدور ... ما لهم راحة ولا فترة » (*)
ويقول داني إن عذاب التنبيين هو سيرهم ورؤوسهم مائلة إلى الخلف ، وفي
الأسطورة الإسلامية : « ... أن نجعل وجوههم من قيل أقيمتهم ، يمشون
القهقري ، ونجعل لأحدهم عين في قفاه » . وفي قصيدة داني نجد كايئاس Calfas
مبتكاً على صليب ملقى على الأرض والناس تدوسه بأقدامها ، وفي الأسطورة
الإسلامية نجد عذاب بعض الناس على هذه الصورة : « فيسحب وهو على ظهره
مصابوب » . أما دعة البدع الذهبية ورؤوس القرق الضالة فيصورهم داني في الجحيم
يطلعون دون أن يموتوا ، والأساطير الإسلامية تجعل لهم مثل هذا المذاب في جهنم
وتقول : « تذبهم الملائكة بسكاكين ، وكلما ذبحوا واحداً منهم يسود كما كان ،
ثم يُذبح » ، وداني يجعلهم يسرون وأماؤهم تتلى من بطونهم ، والأسطورة
الإسلامية تقول إنهم يسرون « وهم يسحبون أضاءهم » . ويصور داني عذاب

(*) راجع عن ذلك كله :

بعض للذنبين بأن يسروا مقطوعى الأبدى ، والأسطورة الإسلامية تقول إنهم « يقفون بين يدى ربهم مقطوعى الأبدى » . ومن صور العذاب التى يصفها دانتى أن بعض صنوف للذنبين يسرون فى الجحيم ورؤوسهم مقطوعة تتلوى بأيديهم أمامهم ، والأسطورة الإسلامية تقول : « يحىء للقتول والقاتل يوم القيامة ، ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً » . أما المردة والعاقلة الذين نالهم فى القصيدة الدانطية فأوصافهم تنطبق على أوصاف من تلقاه من أمثالم فى الأساطير الإسلامية ، وأطوالهم مقدرة فى هذه وتلك على نحو متعادل تماماً . وتحدثنا الأساطير الإسلامية بعذاب الزمهرير ، وهى كما جاء فى أحد الأحاديث الموضوعة « جُبُّ يُلْقَى فيه الكافر ، فيتمزق من شدة بردها بعضه من بعض » ، وهذا يشبه تماماً « التعذيب بالتلج » عند دانتى ، إذ أن قصيدة الشاعر الإيطالى تصور لوسيفر مطوراً فى التلج عذاباً له ، وذلك شبيه بما يقول ابن عربى فى « الفتوحات » : « فعذاب إبليس فى جهنم بما فيها من الزمهرير ، فإنه يقابل النار فى نشأة إبليس ، فيكون عذابه بالزمهرير » (*) . ثم إننا نجد دانتى يتطهر مرتين فى أنهار الجنة الأرضية ثم يلقى ياتريس بعد ذلك ، وهذه ظاهرة ليست مسيحية أصلاً ، ولكنها تطابق — جملةً وتفصيلاً — ما تحكيه القصص الإسلامية من تطهر الأرواح ووضوء الناس ، بعد خلاصهم من عذاب النار وقبل دخول الجنة ، فى عين من ماء بارد [« فى مثل صفاء القوارير ، أصفى من البلور ، وأبرد من الثلج ، وأشد بياضاً من اللبن ، فيغتسلون فيها اغتسالًا تاماً ، وينظفون تنظفًا عامًا ، يذهب به عنهم درن الأجسام وقتر الوحج والقنام ، وتعود إليهم مع الأجسام ، حتى تمد فى وجوههم بهجة ، وتعرف فى وجوههم بضرة النسيم .. ثم يشربون من ماء العين شربة تذهب عنهم لب الحر الذى كابدوه ، والعناء الذى باشروه » ، يبرع

(*) ابن عربى ، الفتوحات ، ج ١ ، ص ٣٩١ .

ما فيهم من غل الصدور وحسدها، وكدر الدنيا وتكدها » [(*)]. وأخيراً ، نجد ذلك ينطبق على الصورة الروحية التي يصور بها داني الشاهدة الإلهية ، فهو يمثلها على هيئة شمع إلهي يفيض منه نور باهر وصفاء ذهني ومتمعة إشراقية . [وذلك يشبه قول ابن عربي في « الفتوحات » : « إن الله يتجلى لعباده في النور العام » ، وقوله بعد ذلك : « ... إذا هم بنور قد بهرهم ، فيخرون سجداً ، فيسرى ذلك

(*) ابن علوف : كتاب العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة ، طبعة ابن مراد التركي اللاهية ١٣٤٧ ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

وفارن بذلك قول داني في الأنشودة الثامنة والمصرن من « الطهر » سطر ٢٨ وما يليه :

"Tutte l'acque, che son di qua più monde
parrieno avere in sè mistura alcuna
verso di quella, che nulla nasconde".

وسطر ١٣٣ :

"A tutt' altri sapori esto è di sopra".

وسطر ١٤٤ :

"Nèttare è questo di che ciascun dice".

وفي الأنشودة الأولى من « الطهر » ، سطر ٩٥ — ٩٦ :

"... e che gli lavi 'lvisio,
si ch' ogni sudidume quindi stinga".

وسطر ١٢٨ :

"Quivi mi fece tutto scoperto
quel color, che l'Inferno mi nasconde".

وقوله في الأنشودة الثامنة والمصرن ، سطر ٢٨ :

"Che toglie altrui memoria del peccato;
dall' altra d'ogni ben fatto la rende".

وفي الأنشودة الثالثة والثلاثين سطر ١٢٩ :

"La tramortita sua virtù raviva".

وسطر ١٣٨ :

"Lo dolce ber, che mai non m'avria sazio".

وسطر ١٤٨ وما يليه :

"Io retornai dalla santissim' onda
rifatto sì, come piante novelle
rinnovellate di novella fronda,
puro e disposto a salire alle stelle".

النور فى أبصارهم ظاهراً وفى بصائرهم باطناً ، وفى أجزاء أبدانهم كلها ، وفى لطائف نفوسهم ، فيرجع كل شخص منهم عيتاً كله ... فهذا يمطيهم إياه ذلك النور ، فيه يطبقون للشاهدة والرؤية ... فيتجلى الحق تعالى ، فينفق عليهم نور يسرى فى ذواتهم ... (*) . ومن الوضع جداً أن هذا — وأمثاله — هو الذى أخذ عنه دانتى قوله فى النشيد الثلاثين من المطهر :

Par. XXX, 10 : "Lume è lassù, che visibile face
lo Creatore a quella creatura.
Fassi di raggio tutta sua parvenza
reflesso. . .
Sì, soprastando al lume intorno, intorno,
vidi specchiarsi in più di mille soglie. . .
E se l' infimo grado in sè raccoglie
sì grande lume. . . ,"

وقوله فى الأنشودة الثالثة والثلاثين من « المطهر » أيضاً :

Par. XXXIII, 76: "Io credo, per l'acume ch' io soffersi
del vivo raggio, ch' io sarei smarrito,
se gli occhi miei da lui fossero aversi.
O abbondante grazia, ond'io presunsi
ficcar lo viso per la luce eterna
tanto, che la veduta vi consunsi" (*)

هذا الحشد الحافل من الأفكار والتخيلات والرموز والأوصاف فى القصصين يدل بوضوح على أن دانتى نظر إلى الأصول الإسلامية وحكامها . ولكن ، هل أتيح له دانتى سبيل الاطلاع على ما كتبه المسلمون عن قيام الساعة وما يتلوه ؟ وجواباً على هذا السؤال نقول : إن مسلمى الأندلس تناولوا فيما بينهم — منذ أول أيامهم فى هذا البلد — أساطير دينية عما بعد الموت ، بل كان المستعربون الأندلسيون ، ومن بينهم القديس يولج القرطبي San Eulogio de Córdoba

(*) ابن عربى ، الفتوحات ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

Cf : ASIN, op. cit. p. 248.

(**) cf : ASIN, op. cit. pp. 199—200

يعرفون سيرة لمحمد (ص) تختلط فيها الحقائق بالأخبار الموضوعة ، ونحن نجد أطرافاً من هذه السيرة في كتاب يولوج المسمى «مدبح الشهداء» Apologeticus Martyrum . وقد استعمل الأسقف لادريكو الطليطلى (رودريجو خيمينيث دي رادا ١١٧٠ - ١٢٤٧) في كتابه للمسمى «تاريخ العرب» Historia arabum أصولاً عربية ، وأورد في هذا التاريخ ذكر «المراج» ، وعنه أخذ ألفونسو العالم وأدخله في «تاريخه العام» La Crónica General de Espana الذى كتب فيها بين سنتي ١٢٦٠ و ١٢٦٨ . وبعد سنوات قليلة نجده مذكوراً في كتاب «مكافحة طاغمة عمدة» La Impunación de la secta de Mahoma الذى ألفه أسقف جيان القديس بيدرو بيسكوال San Pedro Pascual أثناء أسره وحبه في غرناطة .

وليس من السبى أن تكون هذه الأسطورة الشائعة في إسبانيا قد انتقلت إلى إيطاليا وعرفها دانتى الذى فرغ من كتابه «الجميح» عام ١٣٠٦ م . ومن الواضح أننا لا نستطيع اليوم تعرف الطريق الذى وصلت هذه الأسطورة به إلى دانتى : لقد ذهب آسبن إلى أنه من الممكن أن يكون ذلك قد تم على يد «برونيتو لاليني» Brunetto Latini أستاذ دانتى ، إذ أن برونيتو هذا زار إسبانيا ، ومن الطبيعى أن يكون ذهنه اللثيف وعقله الملمة الظاهى إلى المعرفة قد اجتذبه بلاط طليطلة الذى غلب عليه الطابع الإسلامى وما حاطه من بهاء ، وقد اتصل برونيتو بالفعل بمتبرجى مدرسة طليطلة وقامت بينه وبينهم العلاقات ، وخالف كذلك أساتذة مدرسة إشبيلية ما بين مسلمين ونصارى ، الذين كانوا عاكفين على أعمالهم العلمية والأدبية ومن بينها ترجمة «تاريخ العرب» لادريكو الطليطلى .

ومن ناحية أخرى كان ذهن دانتى — كما يبدو في مؤلفاته — مفتوحاً منقبلاً لشئى التأثيرات العلمية والأدبية ، وهذا أمر يقرره الباحثون . ولا يخطر على البال أن يكون دانتى قد استمد الثقافة الإسلامية من محيط تطلعه الواسع ، مع ما كانت

عليه هذه الثقافة من الانتشار والذيع في أوروبا في القرن الثالث عشر . وإنما لنجد نقرأ من علماء المسلمين — ما بين فلاسفة وفلاسفة ، كالبطروجي والفارابي والنزالي وابن رشد — مذكورين في مؤلفين من آثار دانتى هما Convita والحياة الجديدة Vita Nuova . ولا يمكننا أن نطل ما أبداه دانتى من رأى جميل في صلاح الدين وابن رشد — وهو رأى ينكره اللاهوت الكاثوليكي — ووضعه إياهما على جبل الليمبو (الأعراف) على رغم أنهما ماتا على غير الكاثوليكية . . لا يمكننا تحليل ذلك إلا بمطف ظاهر وميل إلى ما هو إسلامي ، وهذا الميل الدانتى نحو علوم المسلمين — وخاصة نحو ابن رشد — هو الذى يفسر وضعه لسيجر البرابنتى في الفردوس ، وكان سيجر كما نعلم أستاذاً بجامعة باريس ، وقد صبت عليه الكنيسة اللعنة وطردته من رعاياها في سنة ١٢٦٦ إذ اعتبر زنديقا رشديا . وقد مات سيجر سنة ١٢٨٤ ، ولم يرض دانتى له موضعاً إلا مقام أهل الدين ، فوضعه إلى جانب القديس توما الأكوينى في « الفردوس » (١٥) .

(ب) العلوم

ف ١٥٣ — أفونسو العالم والثقافة العربية :

بلغ الاهتمام بنقل علوم العرب وآدابهم إلى إسبانيا النصرانية ذروته في عصر أفونسو العالم ، إذ أن الاهتمام بهذا النقل بلغ في ذلك العصر مداه . وقد أهان أفونسو على ذلك أن الحظ واتاه بالتفاف نهر من النصارى والمسلمين واليهود المتحقيقين بشقى العلوم حوله ، وقد أشرف بنفسه على توجيه أعمال الترجمة والتحرير أو التلخيص التى كان مساعده يقومون بها ، وأنشأ في مرسية معهداً للدراسات بمعاونة الرقراطى الفيلسوف المسلم ؛ ولم يوفق هذا المعهد المرسى كثيراً ، فقفله إلى

إشبيلية وأنشأ فيها مَدْرَساً^(*) ومدرسة عامة لللاتينية والعربية ، وجعل فيها أستاذة من المسلمين لتدريس الطب والعلوم ، وظلت طليطلة كذلك مركز الثقافة الإسبانية .

أمر ألفونسو بأن يترجم الإنجيل إلى الإسبانية ، وبأن ينقل القرآن إليها (وكان قد نقل إلى اللاتينية بأمر بيدرو الجليل Pedro el Venerable في منتصف القرن الثاني عشر) . وترجموا له كذلك « التلمود » ، و « القبالة » ، وبأمره تُرجم كتاب « كلية ودمنة » (ف ١٥٦) إلى الإسبانية . ولا بد أن له يدأ فيما أمر به أخوه الدون فادريك Don Fadrique من ترجمة قصة « السندباد » (ف ١٥٧) إلى الإسبانية . ولألفونسو هذا الفضل في ترجمة قصتي « بونيوم » Bonium و « سر الأسرار » إلى الإسبانية باسم Poridat de Poridades ، وقد أدخل في ثنايا تاريخه العالم لإسبانيا Crónica General de Espana مواد عربية تاريخية وأسطورية ، ومن بين هذه الأخيرة قصة زليخة ويوسف Zuleija y José ، وحكاية العالة دولوكا Doluca ، و « الفتاة ترموت » La infanta Termut ، والملكة مونيفي La Reina Munene وقصة تكريرا Tacrisa . وأمر ألفونسو كذلك بترجمة كتب في ألعاب شرقية ككتاب الشطرنج Juegos de Ajedrez (نشره آرناك شتايجر في زيوريخ عام ١٩٤١) واستخدم الموسيقى الأندلسية في وضع « أناشيده » الطائرة الميت : Las Cantigas (ف ١٧٢) .

أما في ميدان التوليف العلمية فقد كان جهد الملك العالم عظيماً لا يقدر ، فقد جمع في طليطلة نقرأ من أهل العلم ليصنعوا له « كتب علم الفلك » Libros del saber de Astronomía ، وقد تمكن هؤلاء العلماء من النهوض والتقدم بالدراسات

(*) ترجمت لفظ estudio بلفظ مَدْرَس أي مكان الدرس والبحث ؛ وهو يختلف عن المدرسة ، وهي مكان التدريس .

الفلكية بفضل مشاهداتهم وقولهم وما قاموا به من أعمال علمية أخرى . وكان الملك كثيراً ما يشرف بنفسه على الأعمال التي كانت تجري في مدرسته الطليطلية، وكان يأمر بترجمة ما يرى نقله من الكتب — المربية خاصة — ويقوم بترتيبها وتنظيمها بنفسه ، وخاصة ما يقول منها بنظريات جديدة تمدل مذهب بطليموس في الفلك والجغرافية . وأسر أفونسو كذلك بصنع آلات وأجهزة لم تكن معروفة إلى ذلك الحين ، وكان يراجع ما ينجز من الترجمات ويصلح من أسلوبها ، ويتجلى ذلك بوضوح من مقدمة ما يعرف « بالأوامر الخاصة بكتب النجوم الأربعة » .

Ordenamientos para los cuatro libros de las estrellas ، فقد جاء فيها : « هذا هو كتاب هيئات النجوم الناجية الكائنة في السماء الثامنة ، مما أسر بترجمته من السكلدانية والمربية إلى الإسبانية الملك دون أفونسو ... بعد أن رتبها الملك المذكور وأسر بتصنيفها ثم استبعد منها الآراء التي وجد أنه قد تقادم بها العهد أو تكررت في الكتاب ، والمبارات التي لم يكن أسلوبها فشقاليًا قويمًا ووضع محلها عبارات أخرى تقي بالمراد » .

أما كتب علم الفلك هذه (Libros del saber de la Astronomía) فتتألف من :

(أ) الكتب الأربعة في نجوم الفلك الثامن Los cuatro libros de las estrellas de la ochava esfera ، وقد أثبت تالجرن Tailgren أنها اقتباس ممدل أو ترجمة بتصرف عن كتاب « الصوفي » El Sufi قام بها يهودا الكوهن Jehudá el Cohen وجين أرْمُون د أسبا Guillen Arremon de Aspa.

(ب) الكتب الألفنسية في أجهزة علم الفلك وأدواته وكتبه Libros alfonsíes de los instrumentos et de las huebras del saber de Astronomía وتناول تركيب الأجهزة الفلكية وطرق استعمالها ، وتبحث في قبة

السماء وأنلاك الكواكب والاسطرلاب ، وتعمى رسماً للكون ووصفاً للصفيحة
(التي وضعها الزرقالي) وأوصافاً لساعات وما إلى ذلك .

(ح) كتاب الزيج الألفونسي Libro de las tablas alfonsies وهو
دراسة لتقاويم ، وقد ألف بناء على آلاف المشاهدات التي تمت في قلعة
سان ميغفاندو^(١٦) .

وقد عمل في تصنيف هذه الكتب علادة على من ذكرنا : الربان يهوذا
ابن موسى بن موسكا R. Yehudá Ben Moseh Ben Mosca ، والربان زاج
الطليطلي Rabi Zag de Toledo ، وخوان دِ آسبا Juan de Aspa ، وفرناندو
الطليطلي Fernando de Toledo ، وخيل دِ تيلادوس Gil de Teblados
وبندرو دِل ريال Pedro del Real ، والربان دون أبراهام بن ليفي
Rabi Don Abraham Halevi^(*) والمعلم برنالدو العربي Maestre Bernaldo
el arábigo وجورثي بيريز Garcí Pérez وهو من رجال الدين . وكثير من
الكتب التي استعملت في هذه التأليف كانت نقولا عن الزرقالي ومسللة
المجريطي وقسطا بن لوقا وعلى بن خلف فلبكي المأمون بن ذي النون صاحب
طليطة وغيرهم كثيرين .

وهناك كتابان مما أمر الملك بترجمته يهمان المعني بالتنجيم أكثر من المعنى
بالمعنى الصحيح ، هما كتاب الأحجار الكريمة Lapidarios الذي نُقل لأنفونسو
عن كتاب لأبي العيش ، وكتاب Libros de las Cruces الذي ربما كان
ترجمة لكتاب لمبيد الله محمد الاستمعي^(١٧) .

(*) كنفاتي الأصل ، وفي مقال اللياس ثاليكروسا ورد الاسم هكذا : el alfaqui Don

Abraham = ألفيه النون (السيد) أبراهام .

Cf : J. MILLAS VALLICROSA, *El literalismo de los traductores de la corte de Alfonso el Sabio*. Al-Andalus, vol. I, fasc. 1, 1988, p. 156.

(ح) التريسة

ف ١٥٤ — المواعظ السياسية المرفوعة :

المواعظ السياسية الأخلاقية فن أدبي يقتصر ذبوعه والعناية به (في إسبانيا) على أيام فرناندو الثالث وألفونسو العاشر عادة . والغالبية العظمى من آثار هذا الفن مجموعات من الحكم والأمثال عرفها الإسبان عن طريق ما صنفه العرب فيها أو نقلوه عن غيرهم منها . وأم هذه الكتب « كتاب المطاء الاثني عشر » Libro de los doce sabios أو « كتاب في التبل والإخلاص » De la nobleza y lealtad وهو مجموعة من الحكم ذات طابع سياسي ، وكتاب زهور الفلسفة Flores de filosofia وهو مجموع من الأقوال المأثورة تنسب إلى سنيكا وفلاسفة آخرين لم تذكر أسماءهم ، وبعض حكماء المأثورة (وهذه المجموعات توجد في ثنايا قصة الفارس السفار El Caballero Cifar) . ومن هذه الكتب أيضاً كتاب « بونيوم أو الأقوال الذهبية » Bonium o Bocados de Oro ، وهو مقتبس من « كتاب الأمثال » لأبي الوفا مباشر بن فائلك ، الذي جمع فيه طائفة من أقوال فلاسفة الهند واليونان واللاتين والعرب سمها الملك بونيوم . ملك فارس أثناء زيارته لقصر الملوك . وعن العربية أيضاً اقتبس الكتاب المسمى « بوريدات د بوريدات » Poridadat de Poridades أي « سر الأسرار » Secretum secretorum وهي مصانف أخلاقية دينية للملك . وقد كان كتابا « بونيوم » و « سر الأسرار » الأساس الذي أنشأ حوله خايمه الأول ملك أرغون مؤلفه للمسمى « كتاب الحكمة »

. Libro de la Saviesa

ولنذكر كذلك « كتاب الأمثال الطيبة » Libro de los buenos prover-
blos ، وهو مجموع من الأمثال ترجمت عن « حكم الفلاسفة » لحنين بن إسحاق (*) ،
وكتاب « تمائم الإسكندر ونصائحه » Ensenamientos y castigos
de Alixandre ، ونجد في ثنايا هذا الكتاب (كما نجد في « يونيوم ») خطابين
موضوعين يقال إن الإسكندر الأكبر وجه بهما إلى أمه .

أما كتاب « واسطة السلوك في سياسة الملوك » الذي ألفه أبو حو موسى
ابن يوسف ملك تلسان (١٣٥٢/٧٥٣ - ١٣٨٦/٧٨٨) (نشره جسيار ريمرو
سنة ١٨٩٣) (**) فهو من طراز كتاب « نصائح الملك سانشو ووثائقه »
Castigos y documentos del rey Sancho . وقد ألف أبو حو موسى بن
يوسف هذا الكتاب لابنه ليهدبه ويؤدبه به . ويقول في وصفه جسيار ريمرو
إنه « يضم قواعد أخلاقية سياسية تتخلها قطع كثيرة من النثر والفن السجوع
مع نصائح وأمثال تاريخية كثيرة » . ولا شك أنه ألف على منوال « كتاب
السلوان للطامع في عدوان الأتباع » لأبي علي - وأبي هاشم أيضاً - محمد بن علي
ابن ظفر الملقب بحجة الدين الصقلي للتوفى ١١٦٩/٥٦٥ . وهو يستخرج من
الحكايات والأمثال منرى أخلاقياً (١٨) .

(*) ورد عنوان هذا الكتاب بالإسبانية هكذا : Sentencias morales ، أي الحكم
الأخلاقية . ومراجعة مؤلفات حنين بن إسحاق مند بروكلان وجدت له مجموعاً من الحكم ضاع
أصله العربي ولم يبق إلا ترجمته العبرية : رسيفر موسيري هاييلوسوفيم (= حكم الفلاسفة)
وقد نقله من العبرية إلى العبرية يهوفا بن شالومو الحرزي ، ثم ترجمه من العبرية إلى الألمانية
A. Loewenthal . ونشره في فرانكفورت سنة ١٨٩٦ بعنوان Sinusprueche
der Philosophen ، ويطلب على ظني أن هذا هو المراد هنا .

Cf : BROCKELMANN, G. A. L. I, p. 206.

(**) طبع كتاب « واسطة السلوك في سياسة الملوك » في الجزائر سنة ١٨٧٤ ، وترجمه
جسيار ريمرو إلى الإسبانية بعنوان « مقاد الآلي » :

Cf : M. GASPARD REMIRO, *El Collar de Perlas* (Col. de Est. Ar. IV)
Zaragoza, 1899.

وانظر : بروكلان ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ وماحق ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(د) القصص

ف ١٥٥ — كتاب سلك الكتاب *Disciplina clericalis* (*) :

كان أول ما ذاع في بلاد النصارى أثناء العصور الوسطى من القصص المستقى من أصول عربية هو كتاب « تعليم رجال الدين » الذى ألفه يدرؤ القونسو، وأصله يهودى من أهل وشقة كان اسمه موسى سيفردى *Rabí Moses Sefardi*، ثم تنصر في سنة ١١٠٦ وتبناه القونسو الأول ملك أرغون الملقب بالثقاتل. وتدل الدلائل كلها على أنه كتب كتابه هذا أول الأمر باللغة العربية، ثم ترجمه بنفسه إلى اللاتينية. وهو في هذا الكتاب يورد ثلاثاً وثلاثين (*) أقصوصة شرقية، ويطبقها على نحو يناسب تعليم أهل الأدب (على اعتبار أنهم أهل الدرس والعلم). وقد نقل يدرؤ ألوزو هذه الحكايات عن حنين بن إسحاق

(*) انتهيت إلى ترجمة عنوان هذا الكتاب المعروف ليدرؤ ألوزو بعد محاولات كثيرة، وقد رجّحت عندي اختيار هذا العنوان التفسير الذى عثر عليه في تعليقات باسكوال دى جايانجوس على ترجمته لتاريخ الأدب الإسباني لجورج بيكنثور. وفيما يلي أورد كلام جايانجوس بنصه، أضفه تحت يدى المارفين بالإسبانية تأييداً لما ذهبت إليه :

...La obra se intitula *Proverbiorum, seu clericalis disciplinae libri tres*, y no es, como algunos han creído, un tratado de ciencias y de filosofía, sino un libro de entretenimiento, como había tantos en la edad media, lleno de apólogos y de cuentos. La palabra *clericus* no tenía entonces la acepción que se le dió mas tarde; por *clérigo*, en castellano antiguo *clerigo* y *crego*, en francés *clerc*, se entendía hombre de letras, letrado, en cuyo sentido usa a menudo dicha voz el autor del libro de Alejandro. . ."

Cf : M. G. TICKNOR, *Historia de la literatura española*, traducida por Pascual de Gayangos. (T. II, Madrid, 1851) pp. 556-557.

(*) ورد عدد الأساطير في مجامع أخرى أربعا وثلاثين أو تسعا وثلاثين انظر :

O. MENÉNDEZ PIDAL, *La Escuela de traductores de Toledo*; apud *Historia General de las literaturas hispánicas*. Tomo I (Barcelona, 1949, p. 285).

ومباشرة وكلية وحمنة والسندباد . وهو يقرر صراحة أنه صنف كتابه من أمثال فلاسفة العرب وحكمهم ، واستعمل فيه الخرافات والأشعار والأمثال والمثل من حكايات الحيوان والطير .

وهذه الحكايات الخرافية يقصها أب على ابنه ، ويضيف إليها طائفة من الأمثال والحكم ، وبعضها ذو مغزى أخلاقي كقصة اختبار الأصدقاء (وهي الحكاية الأولى في الكتاب) وهي مذكورة كذلك في كتاب « السكند لوكانور » للدون خوان ماثويل ، وحكاية مستودع دنان الزيت (رقم ١٤) ، وحكاية الطائر الصغير الذي احتال بعبارات عذبة حتى أفلت من يد الفلاح (رقم ٢٠) ، وحكاية المنزات التي قصها سانشو على الدون كيخوته ليلة الطواحين . وفي هذا المجموع قصص أخرى مريحة لاذعة بل جارحة للحشمة كحكاية خدعة غطاء السرير ، التي يرددها ترفانز في قصة المجوز النيور El viejo celoso ، وحكاية الشاب النيران الذي يحبس امرأته في برج ويفلق عليها الأبواب ، فتسندى إلى تركه في الطريق ، وتأبى أن تفتح له الباب ؛ وهو موضوع سيقردنيا بعد في الحكايات الخرافية الفرنسية المعروفة بـ « الفابليو » Fabliaux ، وفي « الليالى العشر » (الديكاميرون) لبوكاشيو ، وفي مشهد من مشاهد مسرحية « جورج دندان » Georges Dandin لموليير .

وقد لقي هذا الكتاب من إقبال الناس عليه ومن الذبوع في شتى البلاد ما يحسده عليه غوره من الكتب ، ولقد أعاد مقلدوه كتابة قصصه فيما بعد في صور أجمل من الناحية الأدبية ، وترجم الكتاب كله أو بعضه إلى المبرية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإنجليزية والأيسلاندية والقطلونية والبيارنية . أما في الإسبانية فقد أخذ مادته كلها مانشث دِ فرثيال Sánchez de Vercial وضمناها كتابه للسعى « كتاب الأمثال » Libro de los exemplos من تأليفه

مع تغيير في ترتيب الحكايات ، ونُقل الجانب الأكبر منها في كتاب « إزوييت
 المؤرخ » Isopete historiado الذي أمر بترجمته الأمير دون إريك الأرفغوني
 دوق شقرب El Infante don Enrique de Aragón, duque de Segorbe
 وكذلك عرف هذا الكتاب قنسان دِ بوفيه Vincent de Beauvais
 (وذكره في كتابه للسعي « مرآة التاريخ » Speculum historiale) واتفق
 به الدون خوان مانويل وبوكاشيو ونائب أسقف هيتا وخوان دِ تيمونيدا Juan
 de Timoneda وغيرهم كثيرون ^(١٩) .

ف ١٥٦ — كتاب كلية ودمنة :

يقرب كل مؤرخي أدبنا (الأدب الإسباني) — مع مقتلذ إى بلايو —
 أن أم كتب القصص الشرقى التى ذاعت فى أوروبا المسيحية عن طريق ترجماتها
 العربية ثلاثة : « كلية ودمنة » ، و « السندباد » ، و « برلام ويواصف » .
 أما كتاب كلية ودمنة فمجموعة من الحكايات الجغرافية المفيدة جمعها ورواها
 برزويه طيب أنوشروان أو كسرى الأول ملك فارس (٥٣١ — ٥٧٠ م .)
 ونقله إلى العربية عام ٧٥٠ م . عبد الله بن المقفع . وعن العربية نُقل الكتاب
 إلى السريانية واليونانية والفارسية والعبرية والإسبانية . وقد ترجمه من العبرية
 إلى اللاتينية يوحنا دِ كايوا وجعل عنوانه « مُرشد الحياة الإنسانية » Directortum
 vitae humanae . أما الترجمة الإسبانية فقد أمر بعملها ألفونسو العالم عندما كان
 أميراً عام ١٢٥١ م . على الأرجح . هذا ، والترجمة اللاتينية التى قام بها خوان
 دِ كابوا والترجمة الإسبانية التى نشرها أليمانى (Alemany Balufor) عام ١٩١٥
 ما أحسن ما يمثل نص عبد الله بن المقفع على الإطلاق .

ومن المعروف أن اسم هذه المجموعة من الحكايات مشتق من الحكاية

الأولى المنقولة عن كتاب پانشاتانتر Panchatantra ، وهي أطول حكايات الكتاب وأمتها . وهي تدور حول ما وقع لابني آوى ذكيين مما كلبية ودمنة في بلاط أسد حقل بالمكان الأرفع عنده ثور يسمى سينثبة Senceba (وهو اسم شترية في الأصل الهندي وفي الترجمات الأوروبية) . ويضم الكتاب إلى جانب ذلك فصولا أخرى تتصل بعضها ببعض ، ولكنها مستقلة عن قصة كلبية ودمنة حتى تستقيم فصول الكتاب أربعة عشر فصلا . وكل قصص الكتاب مرسلة على أسنة الحيوان ، وإن كان الكثير من حكاياته يقع لناس من البشر ، وبعض هذا الكثير من أحسن ما في الكتاب ، ويمكننا لهذا أن نعتبرها قصصا حقيقية ، كما نجد في « حكاية الطقة التي صارت فأرة » ، و « حكاية النامك الذي صلب العسل والزبد على رأسه » ، وهي الصورة الأولى لأسطورة « الألبانة » La Lechera ويمكننا تقدير ما أدركته قصص كلبية ودمنة من الذبوع والقبول إذا ذكرنا أنها ترجمت إلى أكثر من أربعين لغة . وقد كان لها في الأدب الإسباني أثر بعيد عميق ، كما يستدل من ترداد بعضها في « كتاب العجائب » Libro de les maravillas لرايموندو لوليو ، وفي كتاب الكند لوكانور للدوق خوان ما بويل و « كتاب القطط » Libro de los Gatos ، و « كتاب الأمثال » لسانثيث د فرثيال Sánchez de Vercial^(٣٠)

ف ١٥٧ — السندباد :

وقصة السندباد — ككتاب كلبية ودمنة — من أصل هندي ، وقد وصلت إلى أوروبا عن طريقين ، أولها غربي عرفت أوروبا بواسطته جزءا من أقاصيص السندباد بسميه دومينيكو كومباريتي Domenico Comparetti بالجموعة الترية ، أي التي وصلت إلى الغرب عن طريق ترجمة يونانية نقلت عن السريانية ، وهذه عن العربية ؛ وهي التي عرفت من أواخر القرن الحادي عشر الميلادي باسم

السِّينْتِيبَاس Sintipas - وعن هذا الأصل نقلت « قصة الوزراء المشرة » ، وقصة « الدولوفاتوس » Dolophatos أو « حكاية علماء رومة السبعة » ، ولدينا من هذه الأخيرة ترجمة شعرية قطلونية وترجمات قشتالية نثرية قام بها دييجو دِ كَانِيِيثَارِس Diego de Canizares في القرن الخامس عشر وماركوس بيريث Marcos Pérez (أنجزها عام ١٥٣٠ م .) وبيدرو هورتادو دِلَا فِيرا Pedro Hurtado de la Vera (بعنوان « حكاية الأمير إراسمو » Historia del Principe Erasto ، وقد ظهرت عام ١٥٧٣) .. والطريق الآخر شرق ، إذ تُرجمت مجموعة أخرى من حكايات الكتاب إلى اللغات الأوروبية من أصول فلولية وفارسية وعربية وإسبانية . وقد ضاعت هذه الأصول كلها عدا الإسباني ؛ ولهذا يعتبر هذا الأخير أقرب الترجمات إلى الأصل (*) . وقد كان الذي أسر بنقل هذه القصة من العربية إلى الإسبانية اللوق فادريك ألفو ألفونسو العالم ، فنجرت الترجمة عام ١٢٥٣ وجُعل عنوانها « مكاييد النساء وحيلهن » Libro de los enganos et los esayamientos de las mujeres وقد نشرها بونيليا Bonilla في مجموعة « المكتبة الإسبانية » Biblioteca Hispanica (المجلد الرابع عشر منها) .

والصورة الأصلية العربية للإسبانية لهذا الكتاب تضم ستاً وعشرين حكاية فحسب ، تربطها بعضها إلى بعض حكاية واحدة أساسية كما نرى في « ألف ليلة » ، وملخص هذه الحكاية الأساسية أن أميراً اتهمته زوجته أبيه بأنه أراد أن ينقصها ، ف قضى أبوه بموته . ولزم الأمير الصمت ، وأجل تنفيذ الحكم سبعة أيام دارت المناقشات خلالها بين زوج الأب وسبعة من العلماء . ومضى هؤلاء يقصون قصصاً تدور حول مكاييد المرأة وحيلها وشفوذ طبعها . وفي اليوم الثامن تنتهي

(*) MENENDEZ PELAYO, *Orígenes de la Novela*, tomo I (Madrid, 1943) pp. 42-43.

وقد عدلت عبارة اللواتي هنا ، استناداً إلى هذا الأصل الذي أخذ منه ، زيادة في الإيضاح .

الملة التي كان الطالع قد أُنذر الأميرَ بشرِ مستطير إذا هو تكلم خلالها . ويباح
للأمير الكلام ، فيخرج عن صمته للصطع ويظهر لأبيه الملك براءته ، فيعفو عنه
ويُلقى زوج الأب في النار . وهذه القصة في صميمها سطحية خفيفة لا تصل
إلى الخبث الخشن الذي نجده في « القابليو » الفرنسية أو إلى توقع أقاصيص
بوكاشيو . ولكنها ذاعت مع ذلك ذيوها عظيما ، يصوره لنا ما لقيته قصة منها
يسمى الباحثون في الآداب الشعبية بحكاية « أتر الأسد » ، والتي تسمى في الترجمة
اليونانية للسندباد « بسوار الملك » ، وموضوعها يرجع في أصله البعيد إلى قصة
داود مع بنسايه Betsabé امرأة أوريا (أورياس Urias)^(*) ، وقد رواها الجاحظ
ثم اندرجت في قصص ألف ليلة ، ورددتها بعد ذلك الدول خوان ماثويل في
« الكُند لوكاتور » . وهي تبدو في قصة « ميلو » Milo لـ ماثيو فندوم Mathieu
de Vendôme ، وفي كتاب « حياة السهترات » Vies des dames galantes
لـ براتوم Brantôme ، وتبدو كذلك فيما وضعه فيلبرو Viterbo من أدب شعبي ،
وفي كتابات الأبروزيين Los Abruzos وليفورنا Livorna . وهي تظهر أخيراً
عند الميدا جارت Almeida Garret مختلطة بقطع من أغنية رقص برتغالية من
الطراز المعروف بالجاكارا ، وانتهى بها الأمر إلى الاندراج في تيار الحركة
الرومانتيكية ، فضُمَّت في قصة « حذاء الملك » El Chapín del Rey ،
أو « الكرّم الأخضر » Parras Verdes ، التي ترجعها إلى الإسبانية ليزيديرو
خيل Isidoro Gil عام ١٨٤٠^(٢١) .

(*) هذه القصة معروفة رواها جنس القسرين في تفسير الآيات ٢١ — ٢٣ من
« سورة س » وقد جاء فيها : « إن هذا أثنى له تسع وتسعون نجاة ولي نجاة واحدة »
قال أكتفينا وعزني في الخطاب » فيقولون إن هذه « النجاة الواحدة » كناية عن امرأة
أوريا ، ولم يذكر القسرون اسمها ، ولكن مفسري العهد القديم يقولون إن اسمها بنشيا
أو بنسايه ، انظر : تفسير الطبري (يولاق ١٣٢٨) ج ٢٠ س ٩١ وما يليها . وانظر :
« ديوان المؤيد داعي الدعوة » بصطيق الدكتور محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) المقدمة ،
س ١٤٦ — ١٤٧ .

ف ١٥٨ — برعام ورواصف (بوسافات) :

لم نصل إلى الآن إلى تعرف الأصول العربية الإسبانية لقصة بوذا التي نشأت عنها فيما بعد « قصة برعام ورواصف (بوسافات) ». ويبدو أن واحداً من هذه الأصول هو القدي يظهر في كتاب الأحوال Libro de los Estados لدون خوان مانويل ، وربما كان هذا الأصل فارسياً . ويقترأ لنا أصل آخر لهذه القصة — مأخوذ عن اليونانية — في الكتاب المسمى « ابن الملك والحريش » El Hijo del Rey y el Derviche ، القدي كتبه اليهودي البرشلونى إبراهيم ابن حسداى في القرن الثالث عشر^(٢٢) .

ف ١٥٩ — الدرويه غوانه مانويل Don Juan Manuel :

لم يكن لمؤرخى أدبنا الإسباني بد من أن يُقرّوا بدين القون خوان مانويل للأدب العربية ، فقد قرر منذذ بلايو أن أول أديب صاحب أسلوب فنى من كتابنا في الصور الوسطى قد نهل ورّوى من موارد عربية ، ولكنه تناول مواضع طرقها غيره من الكتاب وعرف كيف يصوغها في قالب مبتكر . فالكثير من قصص الكند لوكانور El Conde Lucanor مقتبس من أصول عربية ، ومن أمثلة ذلك قصة حميد قسى كنيسة شفت ياقب مع الدون إلبان الشهيرة ؛ و « حكاية ساحر طليطلة » التي عرفت فيما بعد بقصة تحقيق الوعود La prueba de las promesas ، وهى حكاية نجد أصلها في القصة العربية المعروفة « أربون يوماً وأربون ليلة » ؛ وكذلك قصة « تروهانا » Truhana نجد أصلها في « خرافة اللبانة » للقبسة من قصص كليله ودمنة ؛ و « حكاية صلاح الدين مع السيدة » Saladino y la duena مستقاة من « السندباد » أو من « ألف ليلة » . أما ما يرد في هذا الكتاب من حديث بطلر اعتماد زوج المعتمد بن عباد ، ومن ذكر التحسين الذى أدخله الحكم المستنصر على الآلة

الموسيقية المعروفة بالبوق الصغير ، وقصة المرأة المغربية التي كانت تحرق أعناق الأموات ، فهذا كله مقتبس عن أصول عربية ولا ريب ، ومصدق ذلك دقة رسم الكلمات العربية الواردة في هذه الحكايات . أما أن الدون خوان مانويل كان يعرف العربية ويقرأ كتبها ، فيؤيده — زيادة على ما ذكرنا — « كتاب الأحوال » من تأليفه ، وذلك الكتاب إن هو إلا أسطورة برهام وبواصف — أو قصة بوذا — في قالب آخر ، عرفها خوان مانويل عن طريق أصل عربي نجهل إلى الآن ، لا عن طريق ترجمتها المعروفة التي قام بها يوحنا الدمشقي . ويقول منندو بلابو تقييما على ذلك : « بيد أن الدون خوان مانويل — كغيره من كبار القصاص — يضي على قصصه طابعا شخصيا خالصا ، ويصوغ موضوعاته ، ويأتي دائما باهيكارات موقفة فيها يضيفه من التفاصيل ، وهو يصوغ كلامه في أسلوب يبلغ من حيويته وجماله أن يصبح الموضوع الشائع بينه وبين غيره شيئا خاصا به ، يبره عنه تمييزا خاصا قائما على فهمه الشخصي لطباع النفوس ومعرفته بما يلزم المعاملات من خلق ، وروحه الفسحة الممتلئ الذي لا يجرح الشعور ولا يتبدل » (*) . وهذا هو السبب فيما قسم لأقاصيصه من حظ عظيم في ميدان الأدب العالي (٣٣) .

ف ١٦٠ — تورميديا Turmeda :

يحمل القرايلي (٣٢) أنسيلمو تورميديا Anselmo de Turmeda في تاريخ الأدب مكانا فذا ، قد ولد في ميورقة في منتصف القرن الرابع عشر ، ودرس في لاردة وبولونيا (في إيطاليا) ، ثم انضم إلى طائفة الرهبان المعروفة بالينوريس (Los Menores = الصغار) ، ثم رحل إلى تونس حيث ارتد عن المسيحية

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I, p. 147.

(٣٢) القرايلي في الصيغة العربية التي توردتها النصوص الأدبية للتأخرة فقط fraile الإسباني ، وسماه الأخ ؛ وهو لقب من ألقاب بعض طوائف رجال الدين مثل القدير .

واعتنق الإسلام وتسمى سيد الله على بن علي ، وصار يرتزق من عمله كترجمان .
 وولاه السلطان أبو العباس أحمد الحفصى ، ثم ابنه أبو فارس عبد العزيز الحفصى ،
 مكوس توس ؛ وتوفى عام ١٤٢٠ م . وقد جله أهل المغرب بهالة من القداسة
 ولقبوه بالترجمان الميرقى . وقد ذاع كتابه المسمى « تحفة الأريب في الرد على أهل
 الصليب » (*) بين المسلمين ذيوها عظيما . وقد اعتمد في تأليفه على ما أورده
 ابن حزم في « الفصل » من الحجج في مناقشته لأراء النصارى ومذاهبهم .
 أما ما ألّفه بالقطلوونية مثل كتاب « التعاليم الصالحة » Libre de bons
 ensenyaments وكتاب « ربايعات مملكة ميورقة » Cobles del Regne
 de Mallorca و « كتاب النبوات » Las Profecías فقد طار صيتها في قطلوونية
 كل مطار ، حتى أن الأول من هذه الكتب — وهو مجموع من الأمثال باللغة
 القطلوونية — ظل مستعملا ككتاب تعليمي في مدارس ذلك الصقع إلى زمن
 متأخر من القرن التاسع عشر . وقد تُرجم كتابه المسمى « مجادلة الحمار » Disputa
 del Asne (ألّفه عام ١٤١٧ م .) ، ونُشر مرة بالقطلوونية وأربما بالفرنسية
 وواحدة بالألمانية .

وهذا الكتاب — وعنوانه الكامل « مجادلة الحمار للأب أنسيلمود تورميذا »
 Disputa del asno contra fray Anselmo de Turmeda (نُشر في المجلة
 الإسبانية Revue Hispanique سنة ١٩١١ مجلد ٢٤) — خرافة شائعة جداً تدور
 حول الحيوانات ، وتوضع فيها مسألة امتياز الإنسان على العجاوات موضع
 المناقشة ، ويمرّ الجدال في مجلس يتولى الحمار الكلام فيه نيابة عن أصناف
 الحيوان ، ويدحض الحجج التي يدلي بها تورميذا متحدثاً باسم البشر . ويقول
 تورميذا بامتياز الإنسان على الحيوان ، مستنداً إلى جهله وانساق تركيبه وكال

(*) انظر :

M. ASIN PALACIOS, *Huellas del Islam* (Madrid, 1941) pp. 116 sqq.
 BROCKELMANN, *G.A.L.* II, pp. 322-323, S. II, 362.

حواده البدنية وقوة ذاكرته ، وملكاته البشرى فى الفنون والتجارة والحكومة ، وقدرته على الاستمتاع بالألعاب والموسيقى . ويؤيد قوله كذلك بما شرع الله للإنسان من شرائع ، وبإغتناء الإنسان بعلوم الحيوان ، وإنشائه الطوائف الدينية وما إلى ذلك . وتندرج فى ثنايا هذه الحجج أقاصيص « بوكاشية » يثبت أناسيلمو بها أن الرهبان يفترون الخطايا السبع الكبرى .

وهذا الكتاب المشهور إن هو إلا ترجمة حرفية — فى أحيان كثيرة — لفقرات من مجادة الحيوانات لبنى آدم^(*) الواردة فى « رسائل إخوان الصفاء » (ف ١٣٢ — ١٣٣) . وإخوان الصفاء جماعة فلسفية سياسية نشأت فى البصرة فى القرن العاشر لليلادى ، وجمعت بين حرية فكر للمتزعة واتجاه الشيعة نحو الجمع بين شقى الآراء وللذاهب . وقد وضعوا موسوعة حقيقية من واحد وخمسين مجلداً أو رسالة لينشروا آراءهم عن طريقتها ، وهذه الرسائل تتناول شتى فروع علوم الدين والدنيا من رياضة ومنطق وطبيعة وما وراء طبيعة وتصوف وما إلى ذلك . وقد صيغت الرسائل فى أسلوب وقالب أدبيين قريبين من أفهام العامة . وقد عمد إخوان الصفاء إلى التشبيهات وضرب الأمثلة لكي ييسروا على الناس فهم مصطلح العلوم ، وتمتخل كتاباتهم بين الحين والحين قصص طوال وخرافات وحكايات قصيرة . والرسالة الحادية والعشرون منها دراسة قصيرة فى علم الحيوان ،

(*) هذه المجادة واردة فى فصول كثيرة من « الرسالة الثامنة من الجسائيات الطبيعية » الواردة فى « رسائل إخوان الصفاء » (طبعة خير الدين الزركلى ، للكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٢٨) ، ج ٢ ، ص ١٦٩ وما يليها) وأولها فصل عنوانه « فى ذكر تصانيف أحوال الطيور وأوقات هجرتها وسفادها وكيفية اتخاذها أعفانها وإصلاح أوكارها وكيفية يعضها ومدى حضانتها وكيفية تربيتها لأولادها ... » وبمن الفصول التالية لا عنوان له . وقد اختار آسین پلاتيوس لها عنوان : *Disputa o reclamación de los animales contra al hombre* ، وهو عنوان أحد تلك الفصول فى الرسائل : « فصل فى بيان شكاية الحيوان من جور الإنسان » (الرسائل ، ج ٢ ، ص ١٨٢) . انظر :

MIGUEL ASIN PALACIOS, *El original Árabe de La disputa del asno contra fr. Anselmo Turmeda*; apud Huellas del Islam (Madrid, 1941) pp. 115 sqq.

وقد أضيف إلى هذه الرسالة ذيل طويل يقول عنه آسين : « تُعرض فيه أمام بيرات الحكيم — ملك الجن — شكاية تقدمت بها العجارات تشكو فيها استعباد البشر لها وإذلالهم لها بحجة أنهم ممتازون عليها . وأمام هذا الاتهام تتقدم كل أمة من الناس وكل شعب وكل ملة فتدلي بما تؤيد به امتيازها على الحيوانات . وتقوم أصناف العجارات ، بنقض هذه الحجج واحدة فواحدة . [ويفهم من هذا دون أى عناء ، ودون حاجة إلى مزيد من الشرح والبيان ، أن فكرة هذه الخرافة وقالبها تكادان تطابقان ما نجده في « مجادلة » تورميда . بل إننا نثبت أن الحجج التي يدلي بها تورميда وينقضها الخراف في سياق هذا الجدل هي بالذات نفس الحجج التي نصادفها في الأسطورة العربية مع خلاف يسير اقتضاء تحويلها لتطابق القالب الجديد » [٢٢] .

[وإليك بعض فقرات من الرسالة المشار إليها من رسائل إخوان الصفاء وما يقابلها من كلام تورميда ، ننقلها من الدراسة للمعتمد التي قام بها آسين بلاثيوس ، وقد سبق أن ذكرناها :

جاء في « فصل بيان عدة اختلاف صور الحيوانات » من رسائل إخوان الصفاء (٢٠ ، ص ١٨٠) : « قال الإنسي لزعيم البهائم : من أين لكم اعتدال القامة واستواء البنية وتناسب الصورة ؟ قد رى الجمل عظيم الجثة طويل الرقبة صغير الأذنين قصير الذنب ، ورنى الثعلب عظيم الخلفة طويل النابيين واسع الأذنين صغير العينين ، ورنى البقر والجاموس طويل الذنب خفيف القرون ليس له أنياب من فوق ، ورنى الكلب عظيم القرنين كبير الإلية ليس له لحية ، والنيس طويل النحية ليس له إلية مكشوف العمود ، ورنى الأرنب صغير الجثة كبير الأذنين . وعلى هذا المثال والقياس نجد الحيوانات والسباع والوحوش والطيور والمهرام

(*) ASIN PALACIOS, op. cit. p. 124-125.

وقد استلزمت مع كلام آسين زيادة على ما أورد المؤلف استكمالاً للمعنى المقصود ، ووصفت الزيادة بين حاصرتين .

مضطربات البنية غير متناسبات الأعضاء . ويقابل ذلك ما جاء في « مجادلة »
تورميда ، ص ٣٧٨ :

TEXTO DE TURMEDA (Prueba 1.3, pág. 378)

L'Elephant, ainsi que pouez veoir clairement, a le corps fort grand, les aureilles grandes et larges, et les yeuls petitiz. Le Chameau grand corps, long col, longues iambes, petites oreilles et la queuë courte. Les Boeufz et Thoreaulx grand poil, longues queuës : et n'ont point de dents aux machoires deuant. Les Moulons grand poil, longue queuë et sans barbe. Les Connilz, combien qu'ilz soient petitiz animaux, ilz ont les aureilles plus grandes que le Chameau, et ainsi, trouuerez plusieurs, et quasi infiniz animaux tous variables, selon (léase *sans*) la iuste proportion en leurs membres.

وجاء في « الرسائل » ، (٢٠ ، ص ١٨٠) :

« . . ذهب عليك أيها الإنسى أحسنها وخفى عليك أحكمها ، أما علمت أنك لما عبت للصنوع فقد عبت الصانع ، أولا ترى وتعلم بأن هذه كلها مصنوعات الباري الحكيم . . . » . وهذا يقابل في كلام تورميда ، ص ٣٧٨ :

(Ibidem, línea 4^a infra)

“Frère Anselme, . . . ne sçachiez que qui meprise aucune oeuvre, ou en dici mal, le mesprisement, ou mal, redunde sur le maistre et autheur de l'oeuvre. Vous dictez donc mal du Createur, qui les ha créées?”

وجاء في « الرسائل » ، (٢٠ ، ص ١٨٠) :

« . . ما الملة في طول رقبة الجمل ؟ قال : ليكون مناسباً لطول قوائمه ، لينال الحشيش من الأرض ، ويستعين به على النهوض بحمله ، وليبلغ مشفره إلى سائر أطراف بدنه فيحكها . . . » . وهذا يقابل ما يقوله تورميда في ص ٣٧٩ من « المجادلة » :

(Pág. 379, línea 8^a.)

Le Chameau pour ce qu'il a longues iambes, et fault qu'il viue des herbes de la terre, Dieu tout puissant luy a créé le col long, affin qu'il le puisse baisser iusques à terre, et qu'il puisse gratter avecq les dents les extremes parties de son corps.”

وجاء في « فصل في بيان شكاية الحيوان من جور الإنس » ، (رسائل ، ٢ ، ص ١٨٢) :

« قال الملك للإنسى : قد سمعت الجواب ، فهل عندك شيء غير ما ذكرت ؟ قال : نعم أيها الملك ، هنالك مسائل أخرى ومناقب غير ما ذكرت تدل على أننا أرباب وهم عبيد لنا : فمن ذلك بيعنا وشرائنا لها ، وإطعامنا وسقيانا لها إذا مرضت ، ونكسوها ونكفيها من الحر والبرد ، وتدفع عنها السباع أن تقتربها ، وندأويها إذا مرضت ، وننقى عليها إذا اعتلت ، ونعلمها إذا جهلت ، ونغليها إذا أصبت ، ونعرض عنها إذا جفت . كل ذلك إشفافاً عليها ورحمة لها ونحننا عليها ، وكل هذا من أفعال الأرباب بعبدها واللوالى بنحوها » .. وهذا يقابل قول تورميذا في ص ٤٠٧ من « المجادة » :

(Prueba 10ª pág. 407.)

“Reverendissime Asne, la raison pour prouver que nous sommes de plus grande noblesse et dignité que vous autres animaux, et que par juste raison nous devons estre vos Seigneurs, est que nous vous vendons et achaptons, nous vous donnons a manger et a boyre, et vous gardons de chault et de froit, des Lyons, et des loups, et vous faisons de medecines quand vous estes malades. Faisans tout cela pour la pitié et misericorde que nous auons de vous. Et nul communement exerce telles oeuvres de pytié, sinon les Seigneurs a leurs subiectz et esclaves.”(*)

و « مجادة » تورميذا هذه تعطينا صورة ناطقة عن معنى « الملكية الأدبية »

في المصور الوسطى ، وعن السهولة التي كان الناس يدركون بها شهرة أدبية في تلك المصور ، إذ كان يكفي أن يترجها شيئاً عن العربية ترجمة حرفية^(٢١) .

(*) انظر الناقلة الكاملة لهذا الموضوع في بحث آسبن بلايوس للشار إليه ، ص ١٤٨

وما يلها .

ف ١٦١ — ألف ليلة وليلة في الأدب الإسباني ، قبل القرن

الثامن عشر :

ذكرنا فيما سلف (ف ٥٩) كيف تقيت مقامات الحريري في الأندلس ذبوعاً عظيماً ، وكيف انصرف إلى شرحها والتعليق عليها نفر من أهل الأدب الأندلسيين ، وقلنا كذلك باحتمال وجود علاقة بين هذه « المقامات » وقصص الصماليك La Novela picaresca المعروفة في الأدب الإسباني . ونذكر الآن أن الناس تناقلوا فيما بينهم — إلى جانب المقامات التي تصور الميل الأدبي والذوق البلاغي للمثقفين من المسلمين — مجموعة أخرى من أقاصيص كتبت للعوام وغير المسلمين ، وهي « ألف ليلة وليلة » . ويرجع عهد المسلمين بهذا الكتاب إلى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي على الأقل ، فقد ذكره السعدي في سروج الذهب وقال في سياق الكلام عن هيكل جيرون — وهو هيكل عظيم البنيان في مدينة دمشق ، ويقال إنه إرم ذات الماد للذكورة في القرآن — قال : « وقد تنازع الناس في هذه المدينة ، وأين هي ، ولم يصح عند كثير من الإخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدابة بأخبار الماضين وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين فيها إلا خبر عبيد بن شربة ، وإخباره إياه مما ساف من الأيام وما كان فيها من الكوائن والأحداث وتشعب الأنساب ، وكتاب عبيد بن شربة في أيدي الناس مشهور . وقد ذكر كثير من الناس ، ممن له معرفة بأخبارهم ، أن هذه الأخبار موضوعة مزخرفة مصنوعة ، نظماً من تنرب إلى الملوك روايتها ، وصال (*) على أهل عصره بحفظها والذاكرة بها ، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والمندية والرومية ، [و] سبيل تأليفها ما ذكرنا ، مثل كتاب « هزار افسانه » وتفسير ذلك من

(*) في الأصل المطبوع حال ، والأصح ما اجتناه نقلاً عن الطبعة المصرية .

الفارسية إلى العربية « ألف خرافة » ، والخرافة بالفارسية يقال لها « افسانه » ، والناس يسمون هذا الكتاب « ألف ليلة وليلة » وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتهما (*) وهما شيرازاد ودينازاد ، ومثل كتاب فرزه وسباس (**) وما فيها من أخبار ملوك الهند والوزراء ، ومثل كتاب السندباد ، وغيرها من الكتب في هذا المعنى « (†) » .

ويبدو أن هذه المجموعة من القصص وصلت إلى العرب عن طريق الفرس ، وأخذت صورتها الحالية في أواخر القرن الخامس عشر ، بل بين سنتي ١٤٧٥ و ١٥٢٥ على وجه التحديد كما يقول المستشرق الإنجليزى إدوارد وليام لين .

وقد درج الناس على القول بأن أهل الغرب لم يعرفوا قصص « ألف ليلة » إلا بعد أن ترجمها جالان Galland إلى الفرنسية في أوائل القرن الثامن عشر الميلادى ، وكان كبار الثقاة في التاريخ الأدبى يأخذون بهذا الرأى ، وكانوا يقولون بأن ما نجده في الآداب الشعبية الأوروبية من حكايات ألف ليلة قبل ترجمة جالان قد وصل إلى الغرب عن طريق مجموعات أخرى من القصص الشرقى تشبه ألف ليلة ، ونعم هذه القصص (مثل ذلك « كليلة ودمنة » وكتاب « سلك الكتاب » و « السندباد ») . وقرر منذذ بلايو أن قصة واحدة من هذه يمكن القول عن يقين بأنها أخذت عن « ألف ليلة » ، وهى حكاية

(*) في الطبعة المصرية : وحائتها .

(**) في الطبعة المصرية : سباس .

(†) للسعودى ، صروح الذهب (طبعة بلوييه دزمينار ، باريس ١٩١٤) ج ٤ ص ٨٩ — ٩٠ . وقد راجعت ذلك النص على طبعة عبي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٣٨) ، ج ٢ ص ١٥٣ . وهذه الطبعة كثيرة الأخطاء والسطط ، وقد نقل بالتأيا ترجمة هذه الفقرة — دون أن يذكر — عن :

MENÉNDEZ Y PELAYO, *Origenes de la Novela*, vol I, p. 93

ونقل منها بدوره عن :

PASCUAL DE GAYANGOS, *Antología Española*, núm - 3 (1848).

الفتاة تيودور Doncella Teodor (*) . أما اليوم فلدينا البرهان التاريخي على أن إسبانيا الإسلامية عرفت بعض مجموعات هذه القصص المشهورة ، فالتقى يذكر هذه القصص باسمها الذي نعرفها به (ألف ليلة) . وعلاوة على ذلك فإننا نجد في الأدب الإسباني — قبل نهاية القرن السابع عشر — قصصاً كثيرة لا شك في أن هناك علاقة أكيدة بينها وبين صورة من الصور التي عني عليها الزمن من صور « ألف ليلة » . قصة « الفتاة تيودور » (٢٥) تذكرنا « بإجابات الفيلسوف سيغندو » Respuestas del filósofo Segundo التي نجدتها في « التاريخ العام » التي صنفه للملك العالم ، ونجدتها كذلك في كتاب « سرآة التاريخ » Speculum Historiale لبوفيه Vicente Beauvais ؛ ولا بد أنها كتبت في نفس الوقت التي كتبت فيه كتاب « بونيوم » . وقد توارثت هذه القصص في سلسلة من الكتب الشعبية الرخيصة ، ومنها أخذها لوب د فيجا Lope de Vega وبنى عليها كوميديا « الفتاة تيودور » ، وكذلك أخذها كاليريون ميكل تمثيلته « إنما الحياة حلم » La vida es sueño من حكاية « النائم الذي صا » ، وهي تحكي كيف أن ملكاً سمع شعاعاً يشكو سوء حاله ، فأمر بأن يُعطى مخدراً ، فلما أفاق منه وجد نفسه في حال من الأبهة جعلته يتصور أنه ملك ، ودام له ذلك الحال بضع ساعات ثم غلبه النوم ، فلما استيقظ وجد نفسه شعاعاً كما كان أول الأمر (٢٥) .

وقد أشار مبنذ يلايو إلى أوجه الشبه العظيم بين حكاية « الحصان للسحور »

وقصة الفروسية المروقة « كلياديس وكلاموندا » Clemades y Claramunda

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. p. 95 sqq.

(٢٥) « الفتاة تيودور » قصة ألف ليلة لوب د فيجا على أساس « حكاية الجارية تودد » المروقة في ألف ليلة ، بل هو يسائر الحكاية العربية جزءاً جزءاً ؛ والاسم نفسه هو « تودد » سُحرة ، لأن اسم الفتاة تيودور Teodor كان يكتب أولاً هكذا Tudor ، ولو كتبنا هذه الصورة بالعربية لكانت : تودر .

وأظهر كذلك كيف أن قطعا من « حكاية قر الزمان والأميرة بلدر البدور » (في الإسبانية Badura) دخلت في تأليف قصة « بيبير البروقنسى ومجلونة الرقيقة » (Pierres de Provenza y la linda Magalona) وكلاهما يدور حول حكاية الحزام المرصع بالماس الذي اختطفه صقر فيؤذن ذلك بفراق طويل بين الحبيبين) .
يبد أن مننذ بلايو صاحب « أصول القصة » Orígenes de la novela يقرر أن هاتين القصتين قد دخلتا إسبانيا عن طريق السماع والرواية الشفوية أثناء الحروب الصليبية^(*) ، ونضيف نحن اليوم أننا وجدنا في مخطوط عربي يرجع إلى القرن السابع عشر في « معهد بلنسية د دون خوان بملريد » Instituto de Valencia de Don Juan قصة اسمها « حكاية الشاب الذي كان يعيش في قرطبة » تردد « حكاية قر الزمان » على نحو يفاير المؤلف^(*) ، ووجدنا كذلك « حكاية الشرك والطائر والصيد » في مخطوط عربي من « مجموعة مخطوطات خيل » كُتِب في الأندلس سنة ١٤٤٧ ؛ هذا و « كتاب الحيوانات » فوليو إن هو إلا صياغة لحكاية « المرأة الفضولية والهديك »⁽⁺⁾ التي نجدها في مقدمة « ألف ليلة » .
ثم إننا نجد في الكتابات المستعجبة التي خلفها اللوريسكيون حكايات مثل « قصر الذهب » و « مدينة النحاس » و « نعيم الهاري » مما نجده أيضا في « ألف ليلة » وفي ذلك دليل على أن هذه الأقاصيص كانت متداولة — كلها أو بعضها — بين الناس في إسبانيا بعيد انقضاء عصور المسلمين .

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I. p. 94-95.

(*) هذه القصة موجودة في مخطوط يضم مجموعة من القصص والأساطير مع بعض أوراق في علم الحديث ، وهو محفوظ في مكتبة معهد بلنسية د دون خوان في مدريد . والمخطوط لا يحمل عنوانا ، وهو مكتوب بخط مغربي ويألف من ٢٣٣ ورقة مرققة بقلم الرصاص ، وأصله من تطوان . وقصة « الشاب الذي كان يعيش في قرطبة » قصة قصيرة تقع في ست صفحات من ذلك المخطوط ، أي من ص ١١٨ إلى ١٢٣ .

(+) هذه الحكاية لا عنوان لها في فصول ألف ليلة ، لأنها حكاية فرعية صغيرة . وإذا كان ولا بد أن يكون لها عنوان فهو « صاحب الزرع وامرأته والهديك » .
انظر : « ألف ليلة وليلة » طبعة صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ج ١ ، ص ٦ .

ومن اليسور — علاوة على ذلك — أن نذكر حكايات أخرى من ذلك الكتاب المشهور يتردد صداها في الأدب الإسباني : ومثال ذلك أن موضوع الماشقين المحرومين الذين يقتلها الكد ، الذي نجده في « قصة عاشق مدينة ترويل » بتوارد سمراراً في ألف ليلة . ومن ذلك أيضاً أن المعجزة الثالثة والعشرين من ديوان « المعجزات » Los Milagros للشاعر جنتالو د برثيو Gonzalo de Berceo (*) نجدها في حكاية التاجر البغدادي الذي سرقة اللصوص في الهند ، فاستدان من صاحب له ألف مثقال ، وأشهد الله على أن يردها بعد مهلة معينة ، ثم رحل إلى هرمز حيث رزقه الله واتسع حاله . وحل موعد أداء الدين ، واستحال على التاجر أن يكون في موضع معين كان قد وعد بأن يرد الدين فيه ، فوضع المال في قطعة من الخشب وألقى بها في اتجاه الموضع الذي فيه دأته ، فعثر عليها هذا الأخير إذ كان في قارب على مقربة من الشاطئ . ثم أقبل التاجر المدين بعد ذلك ، وطرب وهو يرى حسن صنيع الله معه . وتقص علينا « حكاية ملك اليمن وأولاده » قصة رجل يدعي لنفسه أعمالاً لم يقم بها ، وقد اقتبست هذه الشخصية ، فنراها في صورة « الفارس الكذاب » في قصة « لاشوريت والفزال ذي الساق البيضاء » Lanzorete y el ciervo del pie blanco ، وهي قصيدة هولندية نجد صداها في الأنشودة الشعبية المعروفة :

(*) جنتالو دى برثيو شاعر إسباني عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وأشعاره كلها دينية تتحدث عن حيوات القديسين ومعجزات المنواء وما إلى ذلك . ومن بين أشعاره مجموعة تسمى مجموعة المعجزات ، يقس في كل قصيدة منها معجزة لواحد من القديسين . والإشارة هنا إلى القصيدة الثالثة والعشرين من ذلك المجموع . وعنوانها « الدين المؤدى » La deuda pagada .

CI. LUIS GONZALEZ SIMON, *Poesía Medieval* (Madrid, 1947) pp.

5-16

MANUEL DE MONTOLIU, *La poesía heroicopopular Castellana y el Mester de la Clerería* apud *Historia General de las Literaturas españolas*, tomo I (Barcelona, 1949) pp. 379-380.

Tres hijuelos habla el rey

كان للملك ثلاثة بنين

Tres hijuelos y no más

ثلاثة بنين لحسب

وفي قصة المعجوز الفيور El viejo celoso يحكى ثرثانيز كيف أن ذلك المعجوز — عندما وصل إلى كانينثارس Canizares — قصد الموضع الذى كانت زوجته تمثونه فيه ، فألقت المرأة وصاحبها في وجهه ماء من إناء حلاق ؛ وهذا المنظر بالذات نجده في « حكاية القاضى وبنت التاجر » . والحيلة الأساسية التى تدور حولها قصة الدون خوان مانويل المسماة « بيان العجائب » Retablo de las Maravillas — والتى يستعملها ثرثانيز وكنهونيس دى ينافتى Quinones de Benavente — نجدها في حكاية من « ألف ليلة » ، هى « حكاية شجرة التين المسحورة » وأصلها البعيد في « قصة السندباد » ؛ وملخصها أن بدوية حفرت حفرة في خبيتها لتخفى فيها عاشقها ، ثم طلبت إلى بعلها أن يصعد شجرة التين ليأتيها بشيء منه ، فلما علا الشجرة بصر بالحجين ، فماد إلى الغباء وبحث عن الرجل فلم يجده ، إذ أن المرأة خبأته في الحفرة . ثم ذهبت فصعدت شجرة التين وزعمت أنها ترى زوجها مع امرأة ، فوقع في ظن الرجل أن تلك الشجرة لا بد أن تكون مسحورة .

وفي الأسطورة المعروفة التى أوحى إلى ثوريلى Alonso de Zorrilla

(١٥٠٨ — ١٥٧٠) شيئاً كثيراً في كتابه « ذكريات بلد الوليد » Recuerdos

de Valladolid مشابهة ظاهرة من « حكاية تدل على عدل الله سبحانه وتعالى »

التي نجدها في ألف ليلة ، وملخصها أن نبياً كان متكفماً في جبل يجرى أسفله نهر ، فبصر بفارس يسقى حصانه ثم يمضى تاسياً كيسه ، فيقبل رجل فيأخذ الكيس ويمضى به ، فإذا عاد الفارس ليلتمس الكيس وجد في الموضع خطاباً فيطالبه به ويقتله ، فيقع للشك في عدالة الله في قلب النبي — كما نرى عند الراهب في كتاب ثوريلى — ولكن الله يوحى إليه بحقيقة الأمر ، وهى أن أبا الفارس

سرق من أبي القيس نفس المبلغ ، وأن الخطاب كان قد قتل أبا القيس .
وكذلك لا تخلو قصص ألف ليلة من بعض القصص الإسبانية [الإسلامية] الشعبي
كأسطورة « كنز طليطلة » El tesoro de Toledo التي نجدها في الأساطير التي
ذاعت في المشرق عن فتح العرب للأندلس وما وجدوه في خزائن ملوك القوط
من الكنوز ، وهي أساطير اندرجت فيما بعد في مادة مدوناتنا التاريخية^(*) .
وقد أرجأت إلى آخر هذا الكلام « حكاية الملك الذي قد كل شيء »
El rey que todo lo perdió ، إذ من الممكن أن يكون هيكلها قد قُبِسَ
من الأصل الذي نشأت عنه « قصة القارس السفار »^(*) Historia del caballero
Cifar (حوالي ١٣٠٠ م .) ويقول فرناند مارتينيث Ferrand Martinez —
مصنف هذا الكتاب ، وكان أسقفًا مثلًا لكنيسة مدريد في كنيسة طليطلة
الجامعة^(٢) — في مقدمته إن هذا الكتاب تُرجم من السكلدانية ، ومن هذه
الأخيرة إلى مجمية أهل الأندلس . وكان الناس في المصور الوسطى يمتنون
بالسكلدانية العربية . ثم إن الأستاذ س . ف . فاجنر C. F. Wagner أشار ،
في بحثه عن مصادر ذلك الكتاب^(٣) ، إلى أن الجزء التهذيبي من القصيدة —

(*) انظر : ألف ليلة ، ج ٢ ، ص ١٨٧ ، حكاية تتعلق ببعض مدائن الأندلس التي
لصها طارق بن زياد .

(٢) ذهب جنفلة بالنسبة — كما سمي القاري فيها بعد — إلى أن الأصل العربي لفظ
Cifar هو سِفَار أي جوال . وقد أخذت برأيه وجعلت اسم هذه القصة على هذا النحو مع
إضافة أداة الصريف التي يهضمها المقام .

(٣) لكل بلد من بلاد إسبانيا الكبيرة كنيسة جامعة « كاتيدرال » ، وفي كل كنيسة
جامعة عدد من كبار القساوسة يتخبطون . واحداً منهم يسمى السيد الكبير arcediano يمثل
كنيستهم في مجلس الأساقفة في طليطلة ، العاصمة الدينية لإسبانيا . وكان الأندلسيون يسمونه
في مدينتهم الأرجنديان (راجع معجم سيمونت) ، وكان Ferrand Martinez يتولى هذه
الوظيفة حوالي سنة ١٣٠٧ . ومؤلف الكتاب هنا يقطع بأن مصنف « القارس سفر »
هو فرنان مارتينيث ، بينما متتبع بلايو يرجع فقط أن يكون هو المؤلف .

Cf : MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I, pp. 293 sqq.

(٤) CHARLES PHILIP WAGNER, *The Sources of el Caballero Cifar*
(Revue Hispanique, X, 1903).

وهو الذى يدور حول ما يقدمه الملك مِنتون Menton إلى ولديه جَزْفِين وروَبَوَان Roboán من النصائح والأمثال الأخلاقية — منقول بحذافيره عن « كتاب زهور الفلسفة » (أى عن أصل عربى) . وفى الكتاب ، إلى جانب ذلك ، فصول — كفصل الصيد والمُتَبَرَّة المَوْقِية ، و « اختبار الإخوان » — مقتبسة من كتاب « سلك الكتاب » .

وإلى جانب هذا الجزء الثانوى من القصة المستقى من أصول عربية ، لا نشك فى أن هكل القصة مأخوذ من « ألف ليلة » — وأرجو أن آنى بالدلائل على ذلك فى القريب — لا من أسطورة بلانيداس Placidus أو حكاية القديس يوستاكيو San Eustaquio . وأسماء أبطال القصة نفسها عربية ، فسيفار Cifar مشتق من اسم عربى هو « السفار » ومعناه الرحلة ، والرحلة هى الطابع الغالب على ذلك القمارس . واسم زوجته جَرِيما Orima لا يمكن أن يكون إلا تحريفاً لـ « كريمة » ، وهو اسم ذائع للنساء عند المسلمين . وآنك Palac لفظ عربى يدل على موضع . وتفكير جريما فى أن تنشئ فى مِنتون ملجأ لعابري السبيل من أولاد الناس Fijosdalgo viandantes (*) يبدو وكأنه إشارة إلى الصوفيين الجوالين ، وهى جماعات صوفية إسلامية تشبه جماعات الرهبان المتسولين عند النصارى (٣٣) .

ف ١٦٢ — قصص الفروسية ، قصة زياد الكنانى :

كتب هذه القصة مؤلف أندلسى مجهول اسمه ، ولكننا نستطيع القطع بأنها

(*) « أولاد الناس » مصطلح معروف فى كتب التاريخ الإسلامى ابتداء من العصر الأيوبي . ويبدو أنه اختصار لعبارة مثل : أولاد الناس المحترمين أو ذوى المكانة ، ويراد به أبناء السائير أو من نسبهم نحن « أبناء البيوت » ؛ وهو يقابل فى المصطلح الإسلامى لفظ hidalgo لأن أصله أى إنسان معروف أو ذى مكانة . وقد أشار إلى هذه العلاقة بين المصطلحين العربى والإسبانى أميركو كاسترو Americo Castro .

كُتبت بعد عصر المرابطين . وقد نشرها فرائشكو فرناندز إى جنثالث Francisco Fernández y González عام ١٨٨٢ ، اعتماداً على مخطوطها في مكتبة الإسكوريال ، وعنوانه الكامل « كتاب فيه حديث زياد بن عامر الكنانى ، وما جرى عليه من العجائب والخرائب بقصر القوالب وبحيرة العجب » .
وهى قصة فروسية تضاهى قصص ألف ليلة^(*) ، ويقول فيها متنذ يلايو : « إن ميلاد زياد ونريته ، ورياضات الفروسية التى يمارسها فى شبابه ، وولعه بالأميرة الحاربة « سمنة » وفوزه بها بعد غلبه إياها فى معركة فى الميدان ، ورحلاته وتجهوله فى شتى البقاع ، ووصوله إلى رياض الأميرة التى تسمى « قوس الحسن » ، وهجائب البحيرة المسحورة وقصر اللآلى ، وإتقاده الأميرات الثلاث الأسيرات ، ثم الرحلة المليئة بالمخاطر التى تقوم بها النزلة الجيلة (وهى رحلة تذكرنا بقاء السيد ديجو لوبيث دى هارو Don Diego López de Haro مع السيدة ذات ساق العنزة La dama pie de cabra فى « كتاب نبلاء البرتغال » El Nobiliario português) وفتح مدينة الجوس عباد النار ، ثم اعتناقه الإسلام ، وأعماله الأخرى التى تفوق ذلك كله مبالغة وإغراقاً فى الخيال ، وأخيراً عقاب الله إياه لإقدامه على الزواج بأكثر من أربع نساء مخالفاً بذلك شريعة الإسلام ، كل ذلك يكون سلسلة من الحوادث البالغة الغرابة ، التى يمد الإنسان فى مطالعتها رياضة ومثمة ، والتى تمتاز بميزات كثيرة أهمها أن مداها محصور فى حدود مقولة جداً ، إذا قورنت بما نجده فى قصص « هنتر » و « أماديس دى جاولا » Amadis de Gaula من المبالغات المفرطة وانعدام الانسجام^(*) (٧٨) .

(*) المؤلف يأخذ هنا من متنذ يلايو ، وعبارة هذا الأخير تقول إن قصة زياد الكنانى تضاهى « الجيئد » من قصص ألف ليلة .

Cf : MENÉNDEZ Y PELAYO, op. cit. I. p. 71.

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I. p. 71

ف ١٦٣ — جراثيان وابن طفيل :

من القصص العربية التي استلقت انتباه دارسي الأدب القارئ « قصة الصنم والملك وابنته » التي نجدتها في مخطوط مورييسكي بمكتبة الإسكوريال ، وقد تولى نشرها الأستاذ غرسية غومس ، وقام بدراساتها وتحليلها وانتهى إلى أن هذه القصة هي المصدر المشترك الذي قبس منه ابن طفيل القالب القصصي لـ « حي بن يقظان » ، وجراثيان يلتأزر الفصول الأولى من « الكرويتيكون » El Criticón .

والواقع أن « قصة الصنم » تتفق مع الرواية الثانية التي يوردها ابن طفيل عن أصل حي بن يقظان ، وهي التي تقول إنه لم يتولد من الطين بل إنه ثمرة علاقة غير مشروعة بين أخت الملك وأحد رجاله ، وهي رواية لا يذكرها الناس كثيراً . ذلك أن قصة الصنم تقول إن الأميرة حُجرت عن الناس في محبس لتنجو من طالع سيئ تنبأ لها به المرافون ، فاستسلمت في محبسها لابن الوزير . وكلتا الأمهاتين — في « قصة الصنم » وقصة « حي » — تضع وليدها في صندوق من الخشب وتلقي به في اليم دون أن يشعر بها أحد ، فتعده الأمواج إلى الشاطئ ويستقر على الأرض وقد تصدعت جوانبه ، ويتحرك الطفل فتعطف عليه غزالة وتبنيه . وتذهب « قصة الصنم » إلى أن الصبي نما واهتدى ببصيرته إلى بدائع خلق الله . وقد استخدم ابن طفيل هذا القسم من القصة ليحشد فيه مذهبه الفلسفي ، ولكي يدلل فيه على ما بين العقيدة والأفلاطونية الحديثة من انسجام . وتلك هي الناية التي استهدفها من تأليف قصته ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سلف (ف ١٠٧) ؛ فهو يريدنا كيف ينتقل « حي » من مجرد تأمل المظاهر الطبيعية إلى إدراك نشوة الاتصال بالله .

وكذلك تتفق الحكايتان في حلقاتها الأخيرة : فبعد قصة الصنم تقول إن الفيلسوف المعلم نفسه لقي أباه الذي كان قد خلع عن عرشه ونفى عن بلاده ، وفي قصة ابن طفيل يلتقي « حي » بـ « أسال » العالم المتدين . وفي كلتا القصتين

نرى الواصل إلى الجزيرة — بعد « حى » (والمعلم نفسه) — يقطن أن كلا منهما شخص آخر مثله ، في حين أن حياً (والمعلم نفسه) يهربان ويروعان الرجلين روعاً شديداً فيمكثان على الصلاة . وفي كلتا القصتين كذلك نجد « حياً » و « للمعلم نفسه » يقترب من ذلك الشخص المجهول له في حذر ، ويتعجب من الصوت الإنسانى أول سماعه . وفي قصة « حى بن يقظان » نجد « أسال » يلقي « حياً » اللثة ويحدثه عن الناس ، فيرغب في معرفتهم والذهاب إليهم . وتنتهى القصة بأن يعود مع صاحبه الناسك إلى الجزيرة ، بعد أن يتأسا من متابعة الناس لها في مذهبها الدينى . أما « قصة الصنم » فتنتهى بتعرف الابن وأمه الأميرة أحدهما للآخر .

وقد كان اليسوعى بارتولوميو Bartolome Pou قد أشار في القرن الثامن عشر إلى هذا التشابه الجلى بين قصة حى بن يقظان والنصوص الأولى من السكرتيكون ، ثم قام منذ ذلك بلاءو بتحليل أوجه الشبه بينهما في المقدمة التى كتبها لترجمة بونيس بونيجيس لقصة « حى » (نشرت عام ١٩٠٠) . ولكن ، لما كانت رسالة حى ابن يقظان قد نشرت للمرة الأولى مع ترجمتها اللاتينية سنة ١٦٧١ على يد بوكوك — أى بعد ظهور الجزء الأول من « السكرتيكون » بشهرين سنة — فقد ظلت مسألة انتقال الفكرة من الكتاب العربى إلى كتاب جراسيان موضع شك ، لأن التشابه بين الكتابين أظهر من أن يُمارى فيه . فلما عثر غريسيه غومس على « قصة الصنم » أسفر السر بعض الشيء ، إذ أنه بين فى بحثه أنه من الممكن جداً أن يكون جراثيان قد عرف هذه القصة ، إذ كانت شائعة متواترة بين اللوريسكيين ، وأيده فيما ذهب إليه أن التشابه بين « قصة الصنم » و « السكرتيكون » أقوى من تشابه هذا الأخير وقصة ابن طفيل . وإذن ، فهذان الأثران الجليلان من آثار الأدب الإسبانى قد نهلا من مورد واحد : قصة واحدة تناولها كل من المؤلفين ، وصاغها فى قالب أدبى بديع ، وحملها ما أراد عرضه من الآراء الفلسفية أو الرمزية^(٣٩) .

(٥) الشعر القصصى فى إسبانيا الإسلامية

ف ١٦٤ — نظرية ريبيرا :

دلل الأستاذ ريبيرا Julián Ribera y Tarrago — فى بحث نشره عام ١٩١٥ — على أننا نجد عند أوائل مؤرخى الأندلس من المسلمين « آثاراً من شعر قصصى لا بد أنه كان مزجها فى الأندلس خلال القرنين التاسع والعاشر » .

وقد بينا فيما سلف أن أهل الأندلس استعملوا — إلى جانب العربية — لهجة أجنبية دارجة . وقد قال دوزى إن الشعر العربى النصيب لم يعرف شعر الملاحم القصصى أو مجرد الشعر القصصى ، إذ الشعر العربى كله كان غنائياً أو وصفياً (*) ، فوى ريبيرا ذلك [وانصرف عن البحث عن القصص العربى فى الشعر] ، ومضى ياتمس ما فى كتب التاريخ الأندلسى من بقايا أسطورية ذات أصول محلية ؛ إذ غلب على ظنه أن هذه العناصر الأسطورية قد اندرجت فى كتب التاريخ الإسلامى الأندلسى ، بالضبط كما حدث لأشعار الملاحم القتالية من انتشار نظمها واندراجها فى للدونات النصرانية فى زمن متأخر . ذلك أنه ، علاوة على ما تحدثنا به للراجع من أن قرا من الأندلسيين وصف أحداث فتح الأندلس وما تلاه من حروب فى قصائد طوال — كهيمى النزال الذى لا يبعد أن يكون من أصل إسباني ، ونعام بن علقمة الذى تزوج ابنة رومانوس قوس أندلوسيا (جنوب إسبانيا) على أيام القوط — فإننا نجد للتورخين المسلمين يوردون فى ثنايا أخبارهم حشداً من الأساطير ، بعضها من أصول مشرقية وبعضها الآخر إسباني أصيل ، بعضها رفيع نصيب وبعضها شعبي دارج . ولا يبعد أن هذه الأساطير كانت قد كتبت فى الأصل باللاتينية ، ومنها كذلك ما هو موضوع

(*) DOZY, *Hist. des Musulmans d'Espagne*, vol. I (Leiden, 1861) p. 18.

ابتكره الإسبان المسلمون الذين بقى عرق قوميتهم الأولى ينبض فيهم . ونكاد نقطع بأن هذه الأساطير كانت جارية على ألسن الناس بالسجمية الدارجة . ومن أمثلة تلك الأساطير ذات الطابع القوي ما يدور حول « كرم أرطباس » القوطي الذي لجأ إليه نفر من رؤوس العرب يطلبون ضياعا ، فخط من شأنهم ثم وهبهم من أراضيه شيئا كثيرا^(*) . ومنها ما يقول إنه كان « أول قومس بالأندلس » وما يحكى كيف غصبه عبد الرحمن الداخل ضياعه ، فذهب إليه وحديثه حديث الند ، فأعجب عبد الرحمن بقله وسمته ورد إليه جانباً من ضياعه وأقامه « قومساً »^(*) . [ويقول خليان ريبيرا تعليقا على هذا الخبر الأخير : « . . وهذه الحكاية تحمل كل اللامح التي تدل على أنها قد بنيت على أساس من أنصوصة شعبية منظومة : فذلك السبب الذي توردته القصة تعليلا لقبض عبد الرحمن لضياع أرطباس ، وتولما إن هذا السبب هو أن عبد الرحمن « نظر إلى قبته (قبة أرطباس) يوما في بعض غزواته معه ، وحوّلها من الهدايا غير قليل — إذ كانت الهدايا تتلقاها في كل محلة من ضياعه — ففس ذلك عليه ، فقبضت منه » لا يمكن أن يصدر إلا عن خيال شعبي ، وكذلك تصوير أرطباس مقبلا إلى القصر « في هيئة رثة » ، وسباق المحاورة بين الاثنين واعتبارهما متساويين في الجلالة ؛ هذا كله خيال شعبي خالص . بل إن الأسلوب الثرى المربى الذى صيغت فيه ليبدو شفاها ينم عن قالبه الشعرى الأول ، فهو فياض بهذه التشبيهات والأفكار والبارات التي يمتاز الشعر بها . ولا يمكن القول بأن هذه الرواية قد تصورها وكتبها عربى ، ولا بد أن يكون الراوية هنا إسبانيا ومسيحيا أندلسيا من أنصار أشراف القوط ، أنشأ ذلك الخبر ، ورمى من وراء إنشائه أن يفسر واقعة سياسية ذات أهمية عليا للشعب المسيحي

(*) سبق أن أوردنا هنا الخبر بنس ابن القوطية ؛ انظر ص ٢٠٥ من هذا الكتاب .

(**) سبق أن أوردنا هنا الخبر بنس ، انظر ص ٢٠٤ من هذا الكتاب .

الأندلسي : هي إنشاء قاسم الأندلس ، إذ من الواضح أن هذا هو هدف الأقصوصة » (*) .

يبد أن الأسطورة التي يرى ريبيرا فيها مشهداً كاملاً من مشاهد القروسية ، ودرة من الشعر الأندلسي القصصى فى مراحل الأولى ، فعلى هذه التى يرويها ابن القوطية ، ونسوتها بنصها نقلاً عنه :

« فلنرجع إلى ما بقى من خبر موسى بن موسى : حشد [رجاله] فأتى إزراق ابن منبيل ، صاحب وادى الحجارة وثرها ، وكان على طاعة موروثه للخلفاء ، وكان من أجل الناس . فلما نازله موسى بن موسى وتحرك إليه إزراق لحاربته ، فقال له موسى مشافهة :

— يا إزراق ، لم آت لحاربتك ، إنما أتيت لمصاهرتك ! نشأت لى ابنة جميلة ، ليس بأندلس أجل منها ، فأردت أن لا أنكحها إلا من أجل أحداث الأندلس ، وأنت هو !

فأجابته إزراق إلى ذلك ، وعقد النكاح ، وتوجه موسى بن موسى راجعاً إلى ثمره ، وبعث إليه زوجته . فلما بلغ الخير [الأمير] محمداً أقامه وأقده ، وعلم أنه سيخسر الثغر الأدنى كما خسر الثغر الأعلى . فوجه إليه أميناً يمتحن طاعته وما هو عليه ، فصرف الأمين وقال :

— سيظهر ما أنا عليه من الطاعة أو [ال]محبة . .

فلما نشئ من زوجته خرج فى نفر يسير من أتباعه ، فلم يسلك محبة ، ولا وقعت عليه عين أحد يعرفه ، حتى وقف على « باب الجنان » ، فقامت فى القصر رجة ، وتبادر الفتيان إلى الأمير محمد يبشرونه ، فأمر بإبعاده ، وعنفه على مصاهرة عدوه . فأعلمه إزراق بالامر كيف كان ، ثم قال له :

— ما يضرك أن يكون وليك يظاً ابنة عدوك ؟ إن أمكننى أن أسأله

بهذه المصاهرة إلى الطاعة فملت ، وإلا فأنا في جنة من يقاته في طاعتك !
 فاستندمه أياماً ، ثم حباه وكساه وصرفه . فلما بلغ ذلك موسى بن موسى
 حشد إليه وحصره برادى الحجارة . فإن إزراقاً راقد في القنصة المعلقة على نهر
 وادى الحجارة ورأسه في حجر زوجته ، وقد انتشر أهل وادى الحجارة إلى
 كرومهم وبساتينهم ، فدفع عليهم موسى بن موسى من معه ، فألقاهم في الوادى .
 فسُرت الجارية بوالدها ، فنبهت إزراقاً وقالت له :

— انظر ذلك السبع ما يعمل !

فقال لها :

— وكأنك تفخرين على بآبيك .. أو هو أشجع مني أو لا كرامة له !^(*)
 ثم أخذ درعه فألقاها على نفسه ، ثم خرج فلاحق بموسى . وكان إزراق
 من أرى الناس برمح ، فأنزعه بزرقة لم تعد قدمه ، فأحس منها ما أحس ،
 فقوض (كذا) راجعاً فات قبل أن يبلغ تطيلة^(**) .

فهذه الرواية قد سرت في الطريق المادى الذى تمر به الأساطير كلها ، فإن
 لللاحم الشعرية الأسطورية تنشأ حول حقيقة تاريخية ، ثم تُنثر بعد ذلك
 ويدرجها للزورخون في مدوناتهم بعد أن يجردوها من كثير أو قليل من قالبها
 الشعرى الأول . وفي هذا الخبر الذى سقناه تتجلى معالم الشر الشعبى والخيال
 الشاعرى الساذج : فهى تبدو فى ذلك الجيش الذى يظهر على حين غرة أمام
 مدينة نام صاحبها وألقى برأسه في حجر زوجته ؛ وفى ما يزعمه قائد هذا الجيش
 من أنه رسول أنى ليعرض زيجته على صاحب الحصن ؛ ونراها فى ذلك الجواب
 النامض الذى يرد به إزراق على رسول الملك ، وقد تمعد القصاص أن يجمعه
 غامضاً ليحفظ على الرواية طلاوتها ؛ ونراه فى رحيل إزراق سرا إلى قرطبة ؛ وفى

(*) أى : إما أن يثبت أنه أشجع مني أو لا أدع له كرامة .

(**) أبو بكر بن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، طبعة ربيبا (مدريد ١٨٦٨)
 ص ٩٨ — ١٠٠ . وقد تركت النص كما أورده الناشر ، إذ ليس لدى الأصل المخطوط .

الرجة التي شملت القصر واضطراب الأمير ومبادرة الفتيان إليه يشرونه ؛ ونراه في تلك المحاورة التي دارت بين إزراق والأمير ، وهي محاورة يتحدث فيها إزراق في أسلوب لا يصدر إلا عن أبسط العوام ؛ وفي سرود زوج موسى وغررها بما فعله أبوها بزوجها ، وهو غريزة في النفس أبرأ بعيداً وإن لم يكن محتمل الوقوع ؛ [فهذه كلها عناصر لا تصدر إلا عن الشعب الشعراء الجاهل وغير الناطق باللازم] .

وقد استنتج ريبيرا من هذه النتائج أنه كان لأهل الأندلس شعر قصصي شعبي ، وإن كان ضامع ضياعاً يكاد يكون تاماً لنبوءة الخط ، ومن الممكن أن تكون هذه الشعر القصصي قد عاش طائفة واسعة بين طليان أهل الأندلس جماعة يصنف قلوبهم أغرام الحب لهذا الشعر وتوسلوا به ، ومن الممكن أن تكون هذه الجماعة قد وصلت بين الطائفة الأوروزية التي عاشت بين مساني الأندلس ، وبين أوليئنا العبقالية الذين كان لهم أثر عظيم خلال فترة محبة من المصنوع الإسلامية من تاريخ إسبانيا ، ثم يقول ريبيرا : « وما دينا في هذا اتصال أحيال القصر الأوروزي في الأندلس ، فليقل بغير شبهة بل ذلك أن تكون هذه الأحيال هي الخط الذي يمثل تلاحم الشعر القصصي الإسباني في القرن التاسع الميلادي ، بل ظهر منه فيما بعد في الآداب الأوروبية » (٢٠) .

ف ١٦٥ — ما يمكن أن يكون لهذا الشعر القصصي هو رئيسي من أثره

في الشعر القصصي الفرنسي والإسباني :

١. وبعد أن أثبت ريبيرا وجود أدب قصصي شعبي في الأندلس في القرن التاسع الميلادي ، مضى يتساءل : هل من الممكن أن يكون لهذا الأدب أثر في الشعر القصصي الإسباني والفرنسي الذي ظهر بعد ذلك ؟ ثم أقبل يقارن أسطورة إزراق بالشعر القصصي الإسباني والفرنسي ، فوجد أن الشعر القصصي الأندلسي البدائي لا يبدو لنا مجرد محاكاة جامدة لأدب أجنبي ، فهو يروي أخباراً

كانت ذكرياتها غضة ماثلة فى الأخلاق ، إذا ذكرنا أن اللذة بين وقوع الحادث الذى تدور الأسطورة حوله وبين اندراجها فى مدونة تاريخية لا تكاد تمدو قرناً من الزمان تنشأ خلاله الأسطورة التى تدرج فى ثنايا المدونة ، وتلك الأساطير الأندلسية تتفق فى هذا مع الأساطير الإسبانية ، ومن بعض النواحي مع الأساطير الفرنسية ، التين ظهرتا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر . وتتفق تلك الأساطير الأندلسية كذلك مع الإسبانية فى أنها نشأت فى النواحي والأعصر التى حفلت بالصراع والحروب ، وتتفق مع الإسبانية والفرنسية فى أن شخصياتها تاريخية .

ثم إن هناك فكرة سياسية تتخلل هذا القصص الأندلسى ، فكرة نشأت عن شعور من السخط العام على استبداد السادة الإقطاعيين ، وهو يريدنا كيف أنه فى غمار القوضى والاضطراب الذين شملوا تلك المصور بمقد النصر الباهر بلواء المخلصين للسلطان المركزى ، وهو — أى القصص الأندلسى — يتفق فى هذا مع الشعر القصصى الإشباني والفرنسى . ثم إن الوقائع البارزة فى القصة ذات طابع فرؤسى : مبارزات بين أبطال ، بالضبط كما نرى فى القصصين الإشباني والفرنسى . وإذا تدخلت المرأة فى سيرالحوادث فإنما لتجلب حمية الفرسان ولتستثير النخوة فى نفوسهم ، أما وشائج القرابة وعواطف الحب فتجىء فى اللوضع الثانى . وإذا تحدث هذا القصص الأندلسى عن الحب كان حديثه ساذجاً بعيداً عن تزويقات أهل الظرف أو أهل الخيال والمأطفة الجموح ؛ وهو يتفق فى هذا مع القصص الإشباني وفيه مشابهة من الشعر القصصى الفرنسى الذى سبق إلى الظهور . ومدار الحوادث فى هذا القصص عمل حروبى عادة ، والقصص يصد إلى رواية الوقائع مباشرة فى أسلوب طبيعى صادق ودون مقدمات ، بل يبلغ من صدقه وسذاجته أن يحتفظ بالطابع الحلى . ويحرص القصص على رواية أخبار الرسل (*) وما يحملون من رسالات بضير المتكلم ، كما هو الحال فى فقرات المحاورات ، وهو يتفق فى هذا

(*) لا يقصد بالرسائل هنا الأنباء ، بل حجة الرسائل والفراء وما إلى ذلك .

مع القصص الإسبانى تماماً ، ومع الفرنسى من بعض الوجوه .

وخلاصة هذا كله أن قصص البطولة الأندلسى إنما هو قصص إنسانى (*) ، لا يلجأ إلى الخوارق أو العناصر غير الطبيعية كالشياطين والجن ، وهو لا يتكلف التعبيرات المعنوية المجردة ، ولا يتصنع التفتيح لى يروق قصته ويشوق القارئ إلى تعقبها بذلك كله . وهو يختار حادثاً ذا معانٍ وسمامٍ سامية ، ثم يصوغ حديثه عنه فى تسلسل طبيعى إنسانى ؛ وهو يتفق فى هذا أيضاً مع القصصين الإسبانى والفرنسى القديم .

وإلى جانب هذه الخصائص العامة ، هناك علامات تدل على وجود هذا الشعر القصصى الأندلسى ، وهى علامات محدودة جدية جداً بأن يشار إليها . « فكثيراً ما ينسب الشعر القصصى الفرنسى إلى شخصية فرنسية أعمالاً قامت بها شخصية أخرى . ومن ذلك أن ينسب إلى شرلمان — وهو الشخصية الرئيسية لشعر الملحم الفرنسى — القيام بمغامرات ليس من الممكن أن يكون قد قام بها ، ولا بد أنها كانت تُروى منسوبة إلى غيره ، وتعتينا هنا فى مطلبنا هذا مغامرة منها بالذات ، لأن لما مفزى خاصاً هنا : فهى تحكى أن شرلمان خرج من بلاده منفياً ، وقصد بلاط ملك مسلم فى إسبانيا ، وعاش فى هذا البلاط فارساً مجهولاً ، ولكنه بلغ من التقدم والظهور ما جعله آخر الأمر يتزوج الأميرة ابنة هذا الملك .

« وهذه الحلقة من مغامرات شرلمان — كما يرويها القصص الفرنسى — تحصل كل العالم التى تدل على أنها مقتبسة من حكاية أخرى ألها راجل فرنسى على علم بما كان يجرى فى إسبانيا من الأمور . إذ الواقع أنه كثيراً ما كان يحدث

(*) « الإنسان » هنا نسبة إلى الإنسان ، لا إلى الإنسانية ، وربما جاز استبداله بـ « بشرى » .

فى إسبانيا المسلمة أن يصل الحاربون المقلوبون من أوروبا إلى مراكز اجتماعية ممتازة كما رأينا قبلاً^(*).

« ومن بين هذه للعالم اثنان استقلتا من انتباهى أكثر مما استقلت غيرهما : أولهما أن الملك للسلم الذى يتوارد ذكره أكثر من غيره فى اللامح الفرنسية — كأنشودة « رولان » مثلا — هو ملك سرقسطة بالذات ، أى ذلك الملك الذى يرد ذكره فى حديث إزراق صاحب وادى الحجارة .

« والثانى أن القب الذى يطلق فى الروايات العربية على إزراق صاحب وادى الحجارة — ذلك البطل للسلم الجرىء الشهم ، وهو ، كما يورده ابن القوطية هكذا : مُنت Mont (ومُنْتِيل Montell فى صورة التصغير) — يُطلق فى الشعر القصصى الفرنسى على فارس عربى شجاع حارب إلى جانب شرلمان فى إسبانيا ، وهو أومنت Omont و Eaumot و Almonte .

[« وخلاصة هذا : أننا نجد فى الشعر القصصى شخصيتين تاريخيتين يذكرهما القصص الأندلسى القديم .

« وذلك التوافق كله أكثر من أن نستطيع نسبته إلى مجرد المصادفة ، وخاصة إذا ذكرنا أنه لا يقع فى ظواهر ثانوية بل فى ظواهر أصيلة . ذلك أن مقدار الآثار الشرقية فى الأدب الفرنسى كثير لا يمكن النقص من شأنه ، ولقد اعترف جاورا بذلك فقال : « إن القصص الأصلية التى بنيت عليها الأفاصيص المعروفة بالفابليو (fabliaux = خرافات) يكاد يكون معظمها من أصل مشرقى^(*) .

(*) الإشارة هنا إلى ما ذكره المؤلف فيما تقدم من كلامه عن الصقالة وما كانوا يحلون إليه من للسكاة فى المجتمع .

Cf : JULIAN RIBERA, *Disertaciones y Opusculos*. I, pp. 133 sqq.

(†) JEANROY, *Les origines de la poesie lyrique en France au moyen-âge*, p. 11.

« أجل ، والأمر الذى مردود أن ينبه عليه أحد هو أن هذه التأثيرات كلها أقبلت من إسبانيا ؛ والسبب فى عدم التنبيه إلى ذلك هو الرغبة فى نسبة هذه التأثيرات إلى علاقات مباشرة ، أو إلى عوامل أخف على النفس ، كالعلاقات بالإمبراطورية البيزنطية ^(*) . فكثير من القصص الشرقية أقبلت إلى إسبانيا ، قبل وصولها إلى فرنسا ، ومن إسبانيا انتقلت إلى غيرها من الأمم حاملة طوابع ظاهرة لا يشك فيها تنبؤ من سرورها بشبه الجزيرة » [^(**)] .

ويضيف ريبيرا أن هناك نقراً من نقاد الأدب الفرنسيين — مثل بواسوناد BOISSONADE : *De nouveau sur la Chanson de Roland* — يذهبون إلى أن هذه للأدب العظيمة أنشئت فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى ، ويرون أنها صدى لاشتراك فر من الفرنسيين فى الحروب بين المسلمين والنصارى فى ناحية أرغون ^(***) .

وكان منذذ بيدال قد قال قبل أن تظهر بحوث ريبيرا : « إنه لمن العبث أن نلتبس فى أشعار الملحم الإسبانية الأولى مؤثرات عربية » ، وذهب إلى أن كل ما نجمه هو بعض ألفاظ عربية (مثل *algara* = الغارة و *adalides* = الدليل ، وما إلى ذلك) ، وبعض التقاليد الإسلامية كأداء خمس القيمة للملك اتباعاً لشرع الإسلامى ، ولا شئ بعد ذلك . وقال : « إننا لا نجد آثاراً عربية

(*) يشير ريبيرا هنا إلى تماثل الفرنسيين على الإسبان فى العصر اللاتنى ، وأنتمهم من أن يعترفوا بأن إسبانيا عليهم أى فضل أو سبق . وقد كان أعلام الباحثين فى الأدب الفرنسى الوسيط فى القرن اللاتنى ، من أمثال جاستون بارى وچانزوا وبواسوناد ، لا يعرفون أن إسبانيا شعراً قصصياً على الإطلاق . وقد كان من المزامير التى دفنته إلى هذا البحث الذى نحن بصدد الرغبة فى الاتصاف بلبله من دعاوى الفرنسيين . وهو هنا يقول إن الفرنسيين يفضلون أن يقولوا إن الآثار الشرقية فى أدبهم قد أتت من طريق الاتصال بالدولة البيزنطية ، على أن يعترفوا بأنهم أتت من طريق إسبانيا .

(**) لم يورد للؤلف هذه الفقرة التى أوردتها بين حاصرتين ، ولكى رأيت ضرورة إبرادها استكمالاً للكلام وتيسيراً على القارئ العربى ، حتى يلم بأطراف هذه النظرية الجلية التى قال بها حليان ريبيرا .

ظاهرة إلا فى الأغاني المدارجة المسماة « الأغاني الموريسكية » ، وأناشيد الحدود
 Romances moriscos y fronterizos ؛ فهناك نلقى فى الشعر القصصى
 القشتالى آثاراً يَبِينُ قِدْقُ المسلمين الأندلسيين فى العصر النصرى وعاداتهم .

نم إننا لا نستطيع تجاهل الأثر الإسلامى . وإذا كنا نسلم دون نزاع بأن
 الجرمان كانت لهم أُنْثَانُ ذاعت بين القوط الغربيين ، فينبغى أن نسلم — من باب
 أولى — بوجود شعر قصصى عند الأندلسيين المسلمين . نم إن خصائص المجتمع
 الذى يصفه الشعر القصصى الأسبانى تتفق مع ما يذكره « تاكيوتوس » من
 أوصاف المجتمع الجرمانى القديم ، ولكن هذا الاتفاق لا يمنع من القول بأن
 الكثير من هذه الخصائص عربى فى نفس الوقت ، [إذ أن المجتمع الجرمانى
 البدائى يشبه المجتمع العربى البدوى ، وهما يشتركان معاً فى خصائص كثيرة]
 كالسكرم ، وتنظيم الجيوش (نظام الولاء العربى)^(*) ، وروح الثأر ، وأداء دية
 القاتل ، وشعور الشرف . . ويضاف إلى ذلك أن السيد القميططور قضى ردها
 طويلاً من عمره فى خدمة ملوك الطوائف المسلمين ، عاملاً فى جيوشهم ، (بل إن
 اسمه تحريف من اللفظ العربى « سَيِّدَى ») . ونتيجة لهذا أننا نراه فى « ملحمة
 السيد » يسلك مسلحاً حسناً مع من غلبه من المسلمين ، كما يقرر الأستاذ بيدال
 نفسه . وإذا ذكرنا إلى جانب ذلك أن « اللُويْما » (أى ملحمة السيد) ذات
 طابع ثمرى (ونحن نكتفى هنا بالإشارة إلى أقدم ما وصلنا من صور هذه
 الملحمة) ، إذا ذكرنا ذلك كله لم ندهش لما نجد فى الشعر الأسبانى من آثار

(*) يشير المؤلف هنا إلى ما قرره كثير من المؤرخين من وجوه التشابه بين نظم الحرب
 عند القبائل الجرمانية وجيوش العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، فقد كانت جيوش الجرمان
 تتكون من فرق تسمى الكوميتاتوس comitatus ، أى الرُدَقَاتُ وفردوها الرُدَقُ وهى الجماعة
 من المحاربين تلتف حول زعيم ظاهر ، ويسمى كل فرد من أفرادها كوميس comes أى
 رديف ، وكانت تربط أفراد الردقة بالزعيم صلة ولاء شخصى قريه الشبه من ولاء الرى ، وهى
 التى يشير إليها المؤلف هنا .

إسلامية واضحة . وهل يعقل أن لا يكون للمسلمين أثر في هذا الشعر حتى القرن الخامس ، مع ما نعرفه من وجود فئتي الشعر الإسباني المعروفين بالثغري *fronterizos* والمورييسكي *moriscos* نتيجة لوجود الثغور والمسلمين إلى جوار الإسبان طوال قرون كثيرة قبل ذلك ؟

ومها نذهب في بحث هذا الموضوع ، فإننا نجد أنفسنا آخر الأمر أمام أصليين اثنين يمثل أن يكون الشعر القصصي الإسباني قد صيغ على مثال أحدهما : هما الجرمانى والأندلسى . فأما عن الجرمانى فهو بعيد سميق ، حله القوط الغربيون إلى إسبانيا بعد أن تميزت خصائصه بسبب اتصال الجرمان بالإمبراطورية الرومانية قرونًا طويلة . وأما الأندلسى الإسلامى فأقرب صلة ، وإن كنا لا نجد حلقة الوصل بينه وبين الشعر القصصي الإسباني . نعم إنه إسلامى الطابع ، ولكنه إسبانى الروح . لأى هذين الأصلين نميل ؟^(٣٣)

(و) الشعر

ف ١٦٦ — الزجل في الأدب الأوروبي :

يعتبر الفن الشعرى الذى ابتكره مقدم بن معافى القبرى ، والذى نجد أظهر نماذجه في ديوان ابن قزمان (ف ٥١) « المفتاح المصيب الذى يكشف لنا عن سر تكوين القوالب التى صُنِّت فيها الطرز الشعرية التى ظهرت في العالم المتحضر أثناء العصر الوسيط » ، كما قال خليان ريبيرا وأيلده باليراهين . وقد تجلت الدراسات التى قام بها ذلك الأستاذ حول موسيقى « السكتيجات » (Las Cantigas أى الأغاني) ودواوين التروبادور (Troubadores أى المغنين الجوالين) والتروفير (Troveros فريق آخر من المغنين المتجولين) والمينيزينجرز

(*die Minnesaenger* = منشدو اللِّين Minne وهي مقطعات الأغاني القصيرة)
 عن إثبات انتقال محور الشعر الأندلسي إلى جانب للموسيقى العربية إلى أوروبا
 « عن نفس الطريق الذي انتقل به الكثير من علوم القدماء وفنونهم — لا ندري
 كيف — من بلاد الإغريق إلى روما ، ومن روما إلى بيزنطة ، ومن هذه إلى
 فارس وبغداد والأندلس ، ومن ثم إلى بقية أوروبا » .

هذا ولم تنتقل إلى أوروبا أنغام الموسيقى وحدها ، بل صاحبها الأغنيات
 التي تُنغنى بها ، وكان من الطبيعي أن يكون لها آثار في الطرز الشعرية التي
 وجدت هناك .

ف ١٦٧ — (١) فرنسا :

أضاعت دراسة ديوان ابن قزمان التي قام بها ريبيرا — شيخ المستشرقين
 الإسبان — جوانب مشكلة كبرى ، هي مشكلة أصول الشعر الأوروبي . فقد
 كان الناس يحسبون أن طراز الشعر البروقنسي قديم جداً ، وفي ذلك يقول منندز
 بلايو : « إن لغة « أوك » La Langue d'Oc قد فرضت طريقتها في النظم ،
 وأوزانها وقوالبها الشعرية ، وخصائص أساليبها الأدبية ، على فنون الشعر
 الناشئة : الإيطالية والجليقية البرتغالية *la galaico-portuguesa* والتطلونية
 الإسبانية ، بل على مدرسة « اللينسجر » الألمانية » . ويقول في موضع آخر :
 « إن جميع مذاهب الشعر الرفيع للهند الحواشي ، التي ظهرت قبل القرن
 السادس عشر ، إنما نشأت — مباشرة أو غير مباشرة — عن ذلك الإزهار العابر
 القصير الذي أزهره الشعر اللتجدوكني » (*) . بيد أن هذه السيادة —
 التي أدركها الشعر البروقنسي خلال النصف الثاني من العصور الوسطى ، من غير

(*) Cf : MENÉNDEZ Y PELAYO, *Antología de poesa lírica Castellana*, tomo I (Madrid, 1944) pp. 103-104.

شك — لا يمكن أن تشمل الطراز الشرقي الأندلسي (يقصد الزجل) ، إذ أن هذا الأخير أقدم من ذلك الشعر البروقنسي بزمان طويل .

والواقع أن أوائل التروبادور البروقنسيين استمضوا أقدم القوالب الزجلية الأندلسية ، وتغنوا بغرامياتهم الجارحة للحشمة بنفس الحرية وعدم التعرج الذين نراهما عند ابن قزمان . وفي العصر الذي عاش فيه الشاعر ميركامون Cercamon — أي قبل عصر الكونت دي بواتيه Le Comte de Poitiers — جد على الشعر البروقنسي « تقليد جديد » لم يبق لثابته نماذج ، ولكن الأغلب أنه هو نفسه الذي سار عليه من أتوا بعده مباشرة . ومن بين المنظومات التي تصح نسبتها إلى « كونت بواتيه » قطعة تاريخها ١١٠١ نظمت على النحو التالي :

Pois de chantar m'es pres talenz
farai un vers don sui dolenz
non serai mais obedienz
de Peitau ni de Lemozi

إن لي شوقاً إلى الفناء
ولهذا سأنظم أنشودة أتنى فيها بآلامي
ولكنني لن أكون عاشقاً
في بواتو أو في ليموزين (*)

والتميز الذي أدخله « الكونت دي بواتيه » على الطريقة الأندلسية يخلص في وضع « الخرجة » في نهاية الفصحى لا في أوله ، واعتباره إيها « قُفْلاً » أو نهاية finida ، وجعله قافية أول بيت من هذه « القفلة » يرد في القطعة ، على نفس قافية البيت الذي قبل البيت السابق عليها . خذ مثلاً :

(*) ترجعت هذه القطوعة بحسب ما أورده منتدز بيدال في المرجع الذي سأذكره هنا . ولا بد أن أشير إلى أن منتدز بيدال يحيل السطر الثالث من هذه القطعة هكذا :

non serai mais obidienz

Cf : R. MENÉNDEZ PIDAL, *Poesia arabe y poesia europea* (coll. Austral, 3 a ed. Buenos Aires, 1946) p. 28.

Toz mos amics prec a la mort
que vengan tut e m'onren fort,
qu' eu ai avut joi e deport
loing e pres et en mon aizi.

Aissi guerplisc joi e deport
e vair e gris e sembelli.

إنني أرجو كل أصدقائي أنهم عند موتي
يقبلون جميعاً ويحتفلون في تكريمي
لأنني كنت دائماً محتفظاً بنبطي ومرحى
سواء أ كنت قريباً أم بعيداً أم في بيتي

وهكذا أترك السرور والراح
وأترك شارات القروسية والقرو الأسم والأبيض (*)

وعلة هذا التعميل الذي أدخله الكونت جيم دي بينيو (*) واضحة تماماً ، إذا
ذكرنا أنه أخذ قالب الشعر الذي كان يتغنى به الجمهور جماعة واستعمله في نظم
مغني " ينشد للسادة والسروات ، وهو شعر لا يحتاج إلى « خرجة » ، ومن هنا
جعلها قفلاً أو نهاية finida . وشعر جيم دي بينيو هذا لا ينحرف عن الطريقة
الأندلسية إلا قليلاً ، ولا سياً عن الطريقة المحسنة التي اتبناها الوشاحون . وأما
من أتى بعد ذلك من الشعراء البروقنسيين فقد زاد انحرافهم عن الطريقة

(*) أسقط المؤلف هذه القطعة من الطبعة الثانية من الكتاب رغبة في الاختصار ،
فرايت أن آتي بها إذ أنها توضح الفترة السابقة عليها . وقد راجعت نصها في المراجع التي
سأذكره واخترت الصورة الثانية ، وأخذت من هذا الكتاب الأخير ترجمة القطعة . انظر :
MARTIN DE RIQUER, *La Lirica de Las Trovadores. Antologia comentada*, tomo I (Barcelona, 1948) p. 32.

(**) ممكننا كان يكتب اسم هذا الأمير الشاعر في عصره Guilhem de Peitieu (١٠٧١ - ١١٢٧) ، وكان كنيشاً لبواتيه ودوقاً على أ كوتانيا ؛ واسمه يكتب الآن
بحسب صورة هذا الاسم في الفرنسية الحالية Guillaume وفي الإسبانية Guillermo .

الأندلسية ، وظهرت مخالفتهم لها ظهوراً واضحاً ، حتى وصلوا إلى ما نعرفه عندهم من تشابك التوافق على نحو متعاكس متكلف لا تستلزمه ضرورات موسيقى الشعر أو إيقاعه ، ولكنه ناتج عن نسيانهم طريقة الزجل ؛ وقد أدى هذا النسيان إلى أن أصبح اعتنائهم هذا ابتكاراً جاء عفواً . ورغم ذلك كله فإننا نجد قوالب زجلية صرفة في شعر موان د مونتودون (Moine de Montaudon) = راهب مونتودون) ، وج . رينولد G. Raynold ، وج . ماجريت G. Magret ؛ وبجد كذلك في سداسيات ماركبرو Marcabru قوالب تشبه ما نعرفه عند كونت بواتيه .

وقد ظل نظام هذا الطراز الشعرى الأندلسى ذى الأغصان (أى الزجل) باقياً في صناعة الألحان للموسيقية خلال المصور الوسطى ، ولا سيما في هذا النوع من الألحان المعروف بالرونديو (rondó) وهى ترجمة لفظ العربى «نوبة» أى نظام تعاقب فريق من المازفين على عزف قطعة موسيقية) ، فيعزف عازف لحناً موسيقياً يقابل الخرجة نمزله بالحرفين ا ب (ab) ، ثم يل ذلك غصن موسيقى من ثلاثة ألحان متشابهة ، يليها لحن في نفس نظم الخرجة ، فيصبح وزن الغصن ا ا ا ب aaab ، ويحىء بعد ذلك لحن في وزن الخرجة الأولى ا ب (ab) . وهناك أغان فرنسية شعبية مثل أغنيتى « الشقية فى زواجها » (La Mau Marieé) ووردة دنكرك La Reuse de Dunkerk مصبغة فى قالب الزجل ، بل إن هناك مقطعات فرنسية قصيرة شاعت بين الناس فى القرن السابع عشر سارت كلها على طريقة عرفت بالرونديه le rondet أى النوبة ، وهى تذكرنا بمحور الزجل الأندلسى :

"Main se leva bele Aeliz;
dormez, jalous, je vos en pri;
blau se para, mieus se vesti
desoz le raim.
Mignolement la voi venir
cele que j'aim."

إن أليس الجميلة تصبح في الصباح
فناموا أيها الحساد ، أرجوكم
وهي تزين زينة حسنة ، وتلبس ملابس أحسن
تحت أغصان الكرم
وإنني لأراها مقبلة في رقة
تلك التي أحبا ...

ف ١٦٨ — (ب) إنجلترا :

وكان الزجل الأندلسي شائعاً في إنجلترا كذلك ، إذ يبدو أنه كان القالب الشعري ذا الأغصان الذي صُبَّت فيه بعض الأغاني الشعبية القديمة التي كانت تقال في العذراء وبعض أناشيد عيد الميلاد ، كتلك التي نَجدها في شعر دوميريل Du Meril ، وهي أزجال أغصانها في اللغة الإنجليزية الدارجة والبيت الرابع من كل غصن باللاتينية . بل لازالت قوالب الأزجال باقية إلى الآن في الأغاني الشعبية الإيرلندية والأسكتلندية (وخاصة في هذه الأخيرة) ، حيث نجد رباعيات من الطراز الذي كان يصوغه مسلمو الأندلس ، ونظامها : ااااب (aaab) .

ف ١٦٩ (ح) ألمانيا :

تضم أغاني المييزنجر Minnesaenger قطعاً نجسد نظام القوافي فيها شبيهاً بنظامها في الزجل الأندلسي . ومثال ذلك القطعة التالية للنشد هِرمان دِر دامن : Herman der Damen

Got hat wunders vil gewundert
Manich tusent manich hundred
Eynez han ich uz gesundert
Das ist wunderbere.

إن لله عجائب مُعجَّب الناس بها كثيراً
وهي آلاف كثيرة ومئات كثيرة
وقد تبينت أنا واحدة منها
وهذا أمر عجيب ..

ف ١٧٠ - (ء) إيطاليا :

تأثرت إيطاليا بالثقافة العربية تأثراً بعيداً ، مثلها في ذلك مثل إسبانيا ،
إذ أن المسلمين احتلوا جزءاً من أراضيها ردسا من الزمن . وقد بلغ اتصال صقلية
بالثقافة الإسلامية أوجّه في عصور ملوك النورمانيين (رُبَّار الثاني وغُليوم
الطيب) ، وملوك دولة الموهنتاونين (فردريك الثاني ملك صقلية وإمبراطور
المانيا وابنه مانفريد) ؛ وقد أثبت ذلك أماري Michele Amari وشاك
Adolf Frederik von Schack وغيرهما .

وأما فيما يتصل بما كان للشعر النضائي الأندلسي من التأثير في الشعر الإيطالي
فيمكننا أن نذكر على وجه التحديد - مهتدين بالدراسة التي قام بها الأستاذ ملياس
فاليكروسا - أننا نجد في الشعر الإيطالي موضوعات مما يختص به الشعر الشعبي
الأندلسي ، مثل موضوعي « الشقية في زواجها » أو الفَجَرِيَّات (la albada)
وما يشبهها ، وكذلك القالب الشعري لطراز المسمى بالكُونْتَراسْتو *contrasto*
ومعناه الخضم - وقد أثبت الأستاذ بينزي Pizzi أنه يرجع إلى أصول فارسية ،
وكان يصاغ في قالب الزجل الأندلسي - ومن أمثلة ذلك قصائد الكُونْتَراسْتو
التي نظمها شيولودال كامو *Ciullo dal Camo* .

أما ذلك الضرب من الشعر الديني الإيطالي الوسيط المسمى باللاوديس
- (*laudes* = مدائح) وكان يتظم في اللهجة الدارجة (بخلاف الترتيلات

اللاتينية التي لم يكن الجمهور يفهما) — فإننا نجد أحسن نماذجه في شعر
جاكوبون دي تودي Jacopone di Todi ؛ وقالب « مدائح » هو الزجل
الأندلسي ، صافيا أحيانا ومحورا بعض التحوير أحيانا أخرى .

*Dolce amor di povertade
quanto ti degiamo amare
Povertade poverella
umildade é tua sorella
ben ti basta la scodella
e ai bere e ai mangiare*

أيها الحب الرقيق الفقير
كم ينبغي أن نحبك
أيها الفقر للسكين
إن القلة أختك
إنه ليكنيك ممن صغير
للشراب والطعام

وكذلك تبدو أوزان الأزجال واللوحات في الطراز الشعري الإيطالي المعروف
بالبالاتا la ballata ، أي « المرقصات » ؛ وهو يمثل الشعر في أحسن صوره ،
وقد بلغ أقصى درجات تطوره ونموه عند لورنزو دي مديشي Lorenzo di Medicis
والبوليزيانو El Poliziano ، وظلت طريقته مستعملة ، فنظمت فيها الأغاني
السكرنفالية cantos carnavalescos ، وهو طراز شعبي عني بنظمه الأدباء ،
وإن كانت موضوعاته مما لا يوجه إلا إلى العوام ، مثله في ذلك مثل أزجال
ابن قزمان . ويظهر طراز الزجل كذلك في « المدائح المقدسة » Laudes sacras
التي تشبه النظمات الإسبانية المعروفة باسم « المديح الإلهي » a lo divino ؛
وكانت تستعمل في تلحين تلك المدائح المقدسة أنغام غير كنائسية ، كما كان الحال

مع « اللديح الإلمى » . وكانت أوزان الأزجال تستخدم كذلك في بعض الأغاني الشعبية .

وإليك نموذجاً من شعر لورنزو دي مديتشى :

*Porgete orecchi al canto d'romiti,
oggi per vostro ben dell' ermo uscite.
Moi fummo al mondo giovani galanti,
ricchi de possessione e di contanti,
ma sottoposti agli amorosi pianti
sempre d'amore sbeffati e scherniti*

أرهنوا أسماعكم إلى غناء الرماة
الذى ينطلق اليوم لمتعتكم
لقد كنا في عالم الشباب للظرفاء
وكنا أغنياء بما نملك وبالمال
ولكن ، لما كنا تحت رحمة حشرات الهوى
فقد كنا دائماً موضع سخريه الحب وغلظه .. (٣٣)

ف ١٧١ — (هـ) البرتغال :

توجد في الأغاني الجليلقية — البرتغالية منظومات من طراز الزجل ، شأنها في ذلك شأن الكنتيجات (انظر الفقرة التالية) ، وإن كنا نلاحظ في خرجات تلك المنظومات الزجلية البرتغالية بعض الاختلاف عن المعروف في خرجات الأزجال ؛ ومثال ذلك الأغنية التالية ، وهى من الطراز المعروف « بأغنية الصديق »

La cantiga d'amigo من شعر ديونيس :

*Amigo, pois vos non vi
nunca folguei non dormi,
mais ora ja, des aqui*

que vos vejo, folgarei
e veerei prazer de mi.
pois vejo quanto ben ei.

يا صديقي ، لأنني لم أراك
لم تطرب نفسي ولم تذق عيني النوم
أما الساعة ... وحيث أنني من الآن فصاعدا
أراك ، فإني سأطرب
وسأجد في نفسي سرورا
عندما أرى أيّ خير بين يدي

ومن أمثله كذلك أغنية الأفيلا نيراس Las Avelaneiras وهي أغنية
تقليدية مرقصة للشاعر جوان زورو Juan Zorro :

Bailemos agora, por Deus, ay velidas,
so aquestas avelaneiras frolidas,
e quem for velida como nos, velidas,
se amigo amar
so aquestas avelaneiras granadas
verrá ballar.

فلنرقص الساعة ، بالله عليكم أيتها الأنسات
تحت هذه الأشجار للزهرة
وإن من كن آنسات مثلنا أيتها الفتيات
لني حاجة إلى صديق حبيب
وتحت هذه الأشجار الزاهرات
يرقصن معه . .

ف ١٧٢ — (و) إسبانيا : كنتيجات (*) ألفونسو العاشر Las Cantigas

: de Alfonso X

يكشف لنا تركيب الأزجال عن أوزان كثير من النظميات التي كان مؤرخو
الأدب الإسباني في حيرة من أمرها . ومثال ذلك « كنتيجات » (= أغاني)
ألفونسو العاشر ، فقد أظهر ريبييرا أن معظمها من طراز الأزجال ، وإن كانت
الخرجة تُغفم في بعضها على قافية سابقة مثل :

"Omildades con pobreza quer a Virgen coroadá"
mas d'orgullo con riqueza e ela muy despagada
E desta razon vos dierei un miragle muy fremoso
que mostrou Santa Maria Madre do Rey grorioso
a un crerigo que era de a servir deseloso
e por en gran maravilla le foi per ela mostrada.

إن السيدة المذراء المتوجة لتفضل التواضع مع الفقر
على الثروة والنفى ، لأنها تحترقها احتقاراً شديداً
ولهذا السبب فإنني سأقص عليكم معجزة بالغة الجمال
صنعتها القديسة مارية أم الرب الجيد
لرجل دين كان رافقاً في خدمتها
وقد صنعت المذراء هذه للمعجزة لتريه إياها

(*) كنتيجة Cantiga معناه أغنية ، وهو يطلق بصيغة الجمع Cantigas بصورة خاصة
على مجموعة من ٤٧٠ قطعة شعرية في مدح المذراء تنسب إلى ألفونسو العاشر ، الملك العالم .
واللفظ يستعمل اصطلاحاً في هذا المقام ، ولهذا رأيت أن أرسمه كما هو بالحروف العربية ، مع
إضافة هذا التوضيح .

هذا ، ونحو خمس أغان فقط من هذا الكتاب منظومة على الطريقة الجليقية الشمسية (المشتقة بدورها من الزجل) ، وتسع أخرى مرسلة على الطريقة البروفنسية ؛ أما الباقي فنظوم في قوالب الأزجال .

ويبدو أن الملك العالم نظم هذه الكنتيجات لتتمشي مع ألحان موسيقية كانت موجودة بالفعل في ذلك الحين . ويتضح هذا إذا لاحظنا أن القالب الذي اتخذ لنظم حديث معجزات العذراء هو قالب النصف للفناني *La estrofa lírica* وهو أكثر تعقيداً وأعسر على التأليف من الأغصان التي تُستعمل في الشعر القصصي ، وأن طريقة الإنشاد الجماعي قد اتسع استعمالها ، مما كان يقتضى قطع سياق القصيد بين الحين والحين ليردد للنشدون لحنهم .

ويقول خليان ريبيرا : « إن هذا هو الذى اضطر الشاعر إلى تجزئة أبياته على أساس عروضي يقوم على جعلها أشطاراً غير مقفاة ، وذلك حتى يوائم بين ألفاظه وموسيقى ذات تركيب أشد منها تعقيداً . وهذا هو السبب في أننا نجد في الكنتيجات أبياتاً يتألف الواحد منها من أربعة وعشرين مقطعاً ، مما لا نجد مثله في أدب أى لغة أخرى » . ثم يقول ريبيرا بعد ذلك : « وقد تغلب ألفونسو العالم على هذه الصعوبة بأحسن ما يمكن عمله في هذه الحالة ، فإن نظم شعر يأتلف مع ألحان موجودة هو أيسر دائماً من صنع ألحان لشعر موجود » .

وإلى هذه النتيجة نفسها وصل ريبيرا عندما درس تركيب موسيقى « الكنتيجات » ، إذ أنها هي الأخرى قامت على أساس من للموسيقى الأندلسية الإسلامية^(٢٤) .

ف ١٧٣ — نائب الأسقف في هيتا ، خوان رويث *El Arcipreste*

: de Hita, Juan Ruiz

يتجلى الأثر العربي عند خوان رويث *Juán Ruiz* — المعروف

بَارْتِيرِشْتِ دِهِيَا ، أى نائب الأسقف بناحية هيتا — على صورة لا يرق إليها الشك . ونرى ذلك بوضوح في مواضع شتى من كتابه المسمى « كتاب الحب الطيب » El Libro del Buen Amor ، ومن أمثلة ذلك الرسالة التي تحملها ترونا كوفنتوس Trotaconventos إلى المرأة المغربية ، وكلامه عن الآلات الموسيقية التي لا توافق الأغاني العربية . ويتجلى ذلك الأثر العربي كذلك في اعترافه بأنه صنع ألحاناً مرفقة للتبخيرات والراقصات الموريسكيات las troteras y las danzadoras Moriscas ، وفي استعماله للألفاظ العربية في مواضعها ، كما أشار إلى ذلك دوزى وإنجلمان Engelmann وإيجيلاز Egulaz في جوامع مفرداتهم (*) . ويقرر منذذ بلايو ذلك ، وإن كان يميل إلى القول بأن خوان رويث كان يعرف من العربية ما يصلح للاستعمال الدارج ، لا ما يمكنه من دراسة الفنون الأدبية .

ومهما يكن من الأمر فلا شك في أن كتابه « كتاب الحب الطيب » يضم مظلومات من طراز الزجل مثل :

*Santa Maria, luz del día
tu me guía todavía
Gáname gracia e bendición
et de Jesus consolacion
que pueda con devoción
cantar de tu alegría.*

أيتها القديسة مارية يا ضوء النهار
أنت ، يا من تهدينى أبدا
امنحيني الرحمة والبركة
وأيُّوسفى يسوع
حتى أستطيع ، عن إخلاص وتقى

(*) ترجمت لفظ glosario (glossary, glossaire) بمجاعة جامع مفردات ، ومى أسج

ما يقابل هذا المصطلح الفرنى من مصطلح مؤلفى العرب .

أن أتقى بما تفيضه في قلبي من السرة

ومثل :

Mis ojos no verán luz
pues perdido he a Cruz
Cruz cruzada panadera
tomé por entendadera ;
tomé senda por carrera
como (taz el) andaluz.

إن عيني لن تريا النور
لأتقى لم أعد أرى كروث
كروث ، تلك المذبذبة الخبازة
التي اتخذتها حبيبة

[وقد بالنت في تقديري] إذ حسبت الطريق الضيق طريقاً واسماً
كما يفعل الأندلسيون [إذ يبالغون في تقدير كل شيء] (*) .

ويضم « كتاب الحب الطيب » كذلك حكايات من الممكن أن تكون
مستقاة — بطريقة غير مباشرة — عن كتب « سلك الكتاب » ليدرو ألفونسو
و « كلية ودمنة » و « السندباد » ، ومن الممكن أن يكون قد أخذ بعضها عن
رايموندو لوليو ، أو عن الفنون خوان مانويل (٢٥) .

هذا ، وكان حظ فن الزجل في شتى الآداب عظيماً ، بسبب اقترانه بالموسيقى
وما كان لهذه من الذبوع والانتشار .

(*) من السمر جدا ترجمة أمثال هذه الأغنية ، لأنها كلام شعبي دارج لا يبدو جماله
إلا في لنته ومصحوباً بموسيقاه ، ومن هنا فقدت معظم النظم التي ترجمتها هنا أكبر جانب من
قيمتها كشمع موسيقى عذب خفيف . وفي هذه النظمه بالذات لسبب بالألفاظ كان من المستحيل
أداؤه باللغة العربية ، فالشاعر يتحدث عن امرأة اسمها كروث أي صليب ؛ وهو يدلها بقوله :
كروث كروثا ، كما نجد في أغنية شمية مصرية تقول : « حج حجيج بيت الله ... » ؛ وقد
اجتهدت في أدائها على أحسن صورة ممكنة .

Cf : ARCIPRESTE DE HITA, *Libro de Buen Amor* (ed. Cejador y Frauca,
Madrid 1951) 1 p. 53.

ف ١٧٤ — أغنية العريبات الثلاث . الرواوين . آخر مظاهر الزجل :

من المقطعات الثنائية الصغيرة التي استند إليها ربيرا في دراسته للموسيقى في
العصور الوسطى « أنشودة العريبات الثلاث » التي نجدها في « ديوان بلاثيو »
El cancionero de Palacio (*) (طبعة باربييري) وهذا مطلعها :

Tres morillas me enamoran

en Jaén :

Axa, Fatima y Marién.

Tres morillas tan garridas
iban a coger olivas
y fallabanlas cogidas *en Jaén ;*
Axa, Fatima y Marién.

Tres morillas tan lozanas
iban a coger manzanas
[y cogidas las fallaban] *en Jaén*
Axa, Fatima, y Marién

Dijeles : quien sola, señoras,
de mi vida robadoras ?

—Cristianas, que éramos moras *en Jaén :*

Axa, Fatima y Marién . . . etc.

وترجمتها :

عشت ثلاث فتيات عريبات

في جيان

عائشة وقاطمة ومريم . .

ثلاث عريبات بالنات الجمال

(*) لم أجد هذه القطعة في ديوان بلاثيو El Cancionero de Palacio طبعها فراتيسكا
فندريل دي ملياس Francisca Vendrell de Millas (برشلونة ١٩٤٠) . وقد ذكر
متنذ بيدال أنها توجد في السكاتيونيو موسيكال (El Cancionero Musical = الديوان
الموسيقى) . انظر :

R. MENÉNDEZ PIDAL, *Poesía árabe y poesía europea* (3a ed. Buenos
Aires-Mexico, 1946) p. 40

ذهب يجمع الزيتون
فوجدته قد جمع ، في جيان
عائشة وفاطمة وسريم . .

ثلاث عربيات فياضات بالحوية
ذهب يجمع التفاح
فوجدنه قد جمع ، في جيان
عائشة وفاطمة وسريم ...

قلت لمن : من أين أينها الفتيات
اللاتى سلبن حياتى ؟
[قلان :] مسيحيات ، وكنا عربيات ، في جيان
عائشة وفاطمة وسريم ... الخ (*)

وموضوع هذه الأغنية وموسيقاها يرجعان إلى عصر هارون الرشيد ، ومع
هذا فقد كان يُتغنى بها في إسبانيا في القرن السادس عشر ، ونقلتها إلى البرتغال
في القرن التاسع عشر السيدة ميخائيليس فاسكوثلوس Michaelis de
Vasconcellos (٣٦) .

ويطول بنا الأمر لو مضينا نمدد شعراء الإسبان الذين استعملوا فن الزجل
في نظمهم ، ويكفى أن نذكر « ديوان باينا » El Cancionero de Baena
وديوانى الشاعرين ألفاريد جاتو Alvarez Gato وخيمينيث د'أوريا Jiménez
de Urrea وديوان شتونيغا Stúniga ، و « الديوان العام » لمرناندو دل كستياليو

(*) رأيت أن آخذ من هذه الفقرات من تلك القصيدة كما أورده متتد بيدال في
الرجع المذكور في المامش السابق ، ص ٤٠ و ٤١ .

وغيرها كثير ؛ El Cancionero General de Hernando del Castillo وكلها تنضم قطعاً منظومة على هذا الطراز . ونذكر من الشعراء الذين نظموا أزجالاً أثار يذ د فيلياً ساندينو Alvarez de Villasandino ، والراهب دييجو البلسي Fray Diego de Valencia ، وغرسية فرننذ د خيرينا Garcia Fernández de Jerena ، ومونتورو Montoro ، ومُنْتِيسِنُوس Montesinos ، وكَرَاخَالِس Carvajales ؛ وغيرهم كثيرون . وقد نظم خوان دل إشبنا Juan del Encina وخيل فيشت Gil Vicente أزجالاً كثيرة ، وهناك أزجال إسبانية أخرى في « أغاني اليهود » التي تهدد الأمهات بها أطفالهن ، وفي ترتيلات دينية تنشد في أنغام غير كنسية (أى أن موسيقاها مقبسة من موسيقى الأزجال) . وإليك على سبيل المثال هذه القطعة الطائرة الصيت ، أغنية شهر مايو :

*Entra Mayo y sale Abril,
tan garridico le vi venir,
Entra mayo con sus flores,
Sale Abril con sus amores,
y los dulces amadores,
Comienzan a bien servir.*

أقبل مايو وولى أبريل
لقد رأيته مقبلاً بالغ الحسن والظرف

أقبل مايو بزهوره
وولى أبريل بفراشيته
وبدا المهبون ذوو الرقة
يستمتعون بفراشهم ---

وقد ظلت أوزان الزجل مستعملة في الشعر الإسباني حتى القرن السابع عشر ،
فنجدهم كاللرون في مأساة « حب بعد الموت » Amor después de la muerte

يرسل على أسنة المورييسكين الأنشودة التالية ذات الطابع الزجلي الخالص :

Aunque en triste cautiverio
de Alá por justo misterio,
llore el africano imperio
Su misera ley esquiva . . .
Su ley viva !
Viva la memoria extrana
de aquella gloriosa hazana
que en la libertad de Espana
a Espana tuvo cautiva.
Su ley viva !

على الرغم من الأسر التبعس
الذي أراد الله لنا بتقدير خفي عادل
فإننا نبكي عز الدولة الإفريقية
وما نُدر عليها من شقاء
وليحي دين الله أ
ولنحي الذكرى العجيبة
لذلك الممل المجيد (يريد فتح إسبانيا على يد المسلمين)
التي جعلت إسبانيا
أسيرة حريتها ...
وليحي دين الله ! (٣٧)

مراجع الكتاب

— نورد في الصفحات التالية المراجع التي اعتمد المؤلف عليها في تصنيف كتابه كما وردت في الثبوت القائم بآخر الأصل ، دون تعديل إلا في الترتيب .

— المراجع التي رجعنا إليها في الترجمة أشرنا إلى كل منها في موضعه من الكتاب ، وأوردنا معظمها في فهرس الكتب والمؤلفين الذين سيردان فيما بعد .

— نرجو القارئ أن يرجع إلى ثبوت المراجع الأندلسية الذي ذيلنا به كتاب « الشمر الأندلسي » لغربية غومس ، الذي نشرناه سنة ١٩٥٢ بالقاهرة ، فقد أوردنا هناك الكتب وأصحابها بصورة أوفى مما وردت في ثبوت المؤلف هنا .

— نحيل القارئ كذلك على ثبوت المراجع الأندلسية الذي أوردناه في

كتابنا : *Essai sur la chute du califat umayyade de Cordoue*

(. القاهرة ١٩٤٨ ، بالفرنسية) .

(١) مراجع عربية

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله : التذكرة لكتاب الصلاة . نشر جزءاً منه كوديرا في المكتبة الأندلسية (ج ٥ - ٦ ، مدريد ١٨٨٧ - ٩٠) ، ونشر قطعة أخرى الأركون وجنثالث بالنيا في كتاب Miscelanea (مدريد ١٩١٥) ، ونشر قطعة أخرى عن مخطوط قاسي ألفريد بل ومحمد بن شنب في الجزائر ١٩٢٠ .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، طبعة نودنبرج ، لايدن ١٨٦٧ - ٧٦ .
أحمد الإسكندراني : ابن زيدون ، في مجلة المجمع العربي بدمشق سنة ١٩٣١ ، ٥١٣ .

أخبار مجموعة في تاريخ الأندلس : نشره وترجمه وعلق عليه لافوياني إي ألكنترا ، مدريد ١٨٦٧ .

الإدريسي ، أبو عبد الله محمد : وصف إفريقية وإسبانيا . نص عربي وترجمة فرنسية ، نشرهما دوزي ودي خويه ، ليدن ١٨٦٦ .

— دراسة لإدواردو سافندرا ، مذيلة بجزء من جغرافية الإدريسي لم ينشره دوزي ودي خويه ، مدريد ١٨٨١ .

— ترجمة إسبانية لبلاسكت ، مدريد ١٩٠١ .

أبو إسحاق الإلييري : ديوان شعره . نشره غرسية غومس مع ترجمة إسبانية وتعليقات ، مدريد — غرناطة ١٩٤٤ .

ابن بدر ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد : اختصار الجبر والمقابلة ..

نشره وترجمه إلى الإسبانية خوسيه سانشيث بيريث ، في مدريد ١٩١٦ .
الأصبهاني ، أبو الفرج : كتاب الأغاني ، طبعة كوسجارتن . جريفسفالد
سنة ١٨٤٠ .

ابن أبي أصيبعة : ميون الأنباء في طبقات الأطباء . القاهرة ١٢٩٩/١٨٨٢
ألف ليلة وليلة : طبعة بولاق ١٢٥٩ هـ .

— ترجمة إنجليزية بقلم وليام لين ، لندن ١٩١٩ .

ابن بسام ، أبو الحسن علي : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . نشرت
منه كلية الآداب بجامعة القاهرة ثلاثة مجلدات : القسم الأول في مجلدين ، ثم
المجلد الأول من القسم الرابع . القاهرة ١٩٣٩ — ٤٥ .

ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد : رحلته ، طبعة ديفريري وسانجويني ،
باريس ١٨٥٣ .

البكري ، أبو عبيد عبد العزيز : صفة إفريقية ، مستخرجة من كتاب
المسالك والممالك . نشرها وترجمها للفرنسية البارون دي سلان سنة ١٨٥٧ .
— طبعة الجزائر سنة ١٩١٠ .

ابن البيطار ، ضياء الدين أبو محمد : جامع مفردات الأدوية والأغذية .
طبعة بولاق سنة ١٢٩١ / ١٨٧٤ .

— ترجمة ألمانية نشرها سودمر ، ستوتجارت سنة ١٨٤٠ .

— ترجمه للفرنسية لوسيان لكرك ، باريس ١٨٧٨ — ٨٣ .

ابن جبير ، أبو الحسين محمد : الرحلة . طبعة رايت ، لايدن ١٨٥٢ .

- الطبعة الثانية نشرها دي خويه ، لايدن ١٩٠٧ .
- حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . طبعة فلوجل ،
ليبرزج ولندن ١٨٣٥ — ٥٨ .
- الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي : المقامات . طبعة دي ساسي ، باريس
١٨٤٧ — ٥٣ .
- مقامات الحريري بشرح الشريشي . بولاق ١٣٠٠ هـ .
- ترجمة إنجليزية بقلم ث . شينيري . لندن ١٨٧٠ .
- أعيد طبع الترجمة بإشراف Roedger ، ليبرزج ١٩٢٦ .
- ابن حزم القرطبي : الأخلاق والسير في مداواة النفوس . القاهرة ١٩٢١
- ترجمة إسبانية للأخلاق بقلم آسين . مدريد ١٩١٦ .
- طوق الحماة . طبعة د . پتروف . لايدن ١٩١٤ .
- ترجمته الإنجليزية ، لنيكل . باريس ١٩٣١ .
- ترجمة روسية بقلم ا . ساليه . لننجراد ١٩٣٣ .
- ترجمة إسبانية بقلم غرسية غومس . مدريد ١٩٥٣ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل . القاهرة ١٣٢١ هـ .
- ترجمة إسبانية لها لآسين . مدريد ١٩٢٨ — ٣٢ .
- فقط العروس . نشره سيكو دي لوثينا في مجلة جامعة غرناطة ١٩٤١ .
- ابن حيان ، حيان بن خلف : للقبس في تاريخ رجال الأندلس . طبعة
أنتونيا ، باريس ١٩٣٧ .
- ابن خاقان ، أبو نصر الفتح : قلاند المقيان . طبعة باريس ١٨٦٠ ،
وبولاق ١٨٦٧ وهي أفضل وأكمل .

— مطبخ الأندلس ومسرح التاناس في ملحق أهل الأندلس ، القسطنطينية
١٣٠٢ هـ .

الحشنى ، الحارث بن أسد : تاريخ قضاة قرطبة ، نشر مع ترجمة إسبانية
لرييرا . مدريد ١٩١٤ .

ابن الخطيب ، لسان الدين : أعمال الأعلام فيمن بويج قبل الاحتلال
من ملوك الإسلام وما يمر ذلك من شجون الكلام . نشره ليثى بروفنسال ،
رباط ١٩٣٤ .

— الإحاطة في تاريخ غرناطة ، مخطوط رقم ١٦٧٣ بمكتبة الإسكندرية
(١٦٦٨ في فهرس الفزيرى) ، و ٢٧٣٣ في المكتبة الأهلية بمطبعة ، ورقم ٣٤
بالأكاديمية للكتابة للتاريخ بمطبعة .

— طبعة القاهرة ١٣١٩ / ١٩٠١ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة ، طبعة كاترمير . باريس ١٨٥٨ .

— ترجمة فرنسية بقلم البارون دى سلان . باريس ١٨٦٨ .

— أخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر أوليتهم وأجيالهم ، وما كان
بدار المغرب خاصة من الملوك والدول ، وهو الكتاب الثالث من « العبر وديوان
المبتدا والخبر » وقد نشره دى سلان وطبعه في الجزائر ١٢٦٧ / ١٨٥١ بعنوان
« تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب » ثم ترجمه إلى الفرنسية ونشر الترجمة باسم
« تاريخ البربر » سنة ١٨٦٠ ، وأعيد نشره حديثاً بإشراف كازا نوقا .

— كتاب العبر ، بولاق ١٢٨٤ / ١٨٦٧ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان . طبعة فسيفلاد ، جوتنجن ١٨٣٥ — ٤٣ .

— طبعة دى سلان ، باريس ١٨٣٨ — ٤٢ (غير كاملة) .

- ترجمة إنجليزية لما بقلم دى سنان ، باريس — لندن ١٨٤٣ — ٧١ .
- ابن دحية ، أبو الخطاب : للطرب من أثمار أهل المغرب ، مخطوط رقم ٧٧ بالمتحف البريطاني الشرق . [نشره الأستاذ إبراهيم الإيباري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي بالقاهرة ١٩٥٤] .
- ابن رشد : شروح مؤلفات أرسطو ، ١٢ جزءاً . البندقية ١٥٦٠ .
- ما وراء الطبيعة . نص عربي مع ترجمة إسبانية وتعليق بقلم كارلوس كيروس ، مدريد ١٩١٩ .
- اتصال العقل الفعّال بالإنسان ، نشره الأب مورانا مع ترجمة إسبانية ، سنة ١٩٢٣ .
- فصل المقال ، الطبعة الثانية مع ترجمة فرنسية بقلم ل . جونييه ، الجزائر ١٩٤٢ .
- تهافت التهافت ، نشره الأب بويج . بيروت ١٩٣٠ .
- تلخيص كتاب اللغات ، نشره الأب بويج . بيروت ١٩٣٢ .
- ابن أبي زرع : الأنيس للطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب ومدينة فاس ، طبعة تورنبرج ، أبسالا .
- ترجمة فرنسية بقلم بومبييه ، باريس ١٨٦٠ .
- ترجمة إسبانية بقلم هويني ، بلنسية ١٩١٨ .
- الزركشي : تاريخ الدولتين . قسطنطينة ١٨٩٥ .
- ابن زهر ، أبو العلا : التذكرة ، طبعة كولان ، باريس ١٩١١ .
- الزهراوي ، أبو القاسم : التصريف لمن عجز عن التأليف ، الجزء الخاص بالجراحة ، طبعة شانتج . أ كسفورد ١٧٧٨ .

ابن سبعين ، عبد الحق : الأجوبة على السائل الصقلية ، باريس ١٨٨٠
(مستخرجة من المجلة الآسيوية رقم ١٣ سنة ١٨٧٩)

السبكي : طبقات الشافعية . القاهرة ١٣٢٤ / ١٩٠٦ - ٧ .

ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي : رايات المبرزين وشارات المبرزين ،
نشره مع ترجمة إسبانية غرسية غومس في مدريد ١٩٤٢ .

الشافعي ، محمد : فهارس تحايلية لكتاب العقد الفريد . كالكتا ١٩٣٥
و ١٩٣٧ . انظر : مجلة الأندلس ، مجلد ٧ ص ٥٠٠ .

ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، بولاق ١٢٩٩ .

الشفندي ، أبو الوليد : رسالة في فضل الأندلس ، في نفح الطيب المقرئ ،
ج ٢ ص ١٢٦ - ١٥٠ .

— ترجها غرسية غومس ونشر الترجمة في مدريد ١٩٣٣ .

الشهرستاني : كتاب الملل والنحل ، طبعة و . كيورنون . لندن ١٨٤٢ .

ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة
وجعلهم الوارثين ، وظهور الإمام المهدي وتاريخ الموحدين . مخطوط في أكسفورد
رقم ٤٣٣ .

ساعد الطليطلي : طبقات الأم ، نشره شيمخو في بيروت سنة ١٩١٢ وترجمه
إلى الفرنسية بلاشير سنة ١٩٣٥ .

صحيح البخاري : طبعة كريل ، لايدن ١٨٦٢ - ٦٨ .

— ترجمة فرنسية بقلم هوداس ومارسياس ١٩٠٣ - ٨ .

- صفوان بن إدريس : زاد المسافر ، نشره ا . محداد . بيروت ١٩٣٩ .
- ابن دافيل ، أبو بكر : رسالة حي بن يقظان ، ترجمها بوكوك إلى الإنجليزية ودلجها في أكسفورد سنة ١٦٧١ و ١٧٠٠ .
- نشرت في القاهرة والقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .
- نشرها ليون جوتييه في الجزائر سنة ١٩٠٠ و ١٩٣٧ .
- ترجمها بنس بوجيس إلى الإسبانية ونشرها في مرسطة سنة ١٩٠٠ .
- ترجمها بالثيا سره أخرى ونشر الترجمة في مدريد سنة ١٩٣٤ .
- ابن طملوس الجزري : الدخول إلى المنطق ، نص عربي وترجمة إسبانية لميجيل آسين ، الجزء الأول ، مدريد ١٩١٦ .
- ابن عبد الحكم : فتح مصر والأندلس ، طبعة ج . هـ . جوز ، لندن ١٨٥٨ .
- ترجمة إسبانية في الجزء الأول من مجموعة للدونات العربية ، ص ٢٨ وما يليها .
- عبد الله بن عبد الواحد الفهري : كتاب الوثائق المستعملة ، مخطوط رقم ١١ بمكتبة الدراسات العربية بمدريد .
- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، القاهرة ١٣٢١ . فهارس تحليلية لمحمد الشافعي ، جزءان ، طسكتا ١٩٣٥ و ١٩٣٧ .
- ابن عذارى المراكشي ، أبو العباس : البيان للغرب في أخبار ملوك الأندلس والغرب ، طبعة دوزي ، لايدن ١٨٤٨ — ٥١ .
- ترجمه إلى الفرنسية فانيان ونشره في الجزائر ١٩٠١ .
- الجزء الثالث طبعة إيبي بروفنسال ١٩٣٠ .

- تصويبات لنص البيان المغرب ، بقلم دوزي ، لايدن ١٨٨٣ .
- ترجمة إسبانية قام بها فرناندز إى جنثالث ، غرناطة ١٨٦٢ .
- أبو علي القالي : كتاب الأمالي ، بولاق ١٣٢٤ .
- علي بن يحيى بن القاسم : كتاب الوثائق (مخطوط رقم ٥ في مكتبة مدرسة الدراسات العربية بمدريد) .
- الغافقي ، أبو جعفر أحمد : الرشيد في السكك ، ترجمه ماكس مايرهوف ونشره في برشلونة ١٩٣٣ .
- فتح الأندلس : مؤلف مجهول ، نشره مع ترجمة إسبانية خواكيم دجنثالث في الجزائر ١٨٨٩ .
- ابن قزمان : ديوانه ، طبعة نيكل (بحروف لاتينية) ، مدريد ١٩٣٣ .
- ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، طبعة ليبرت ، ليبزج ١٩٠٣ .
- ابن القوطية ، أبو بكر : تاريخ افتتاح الأندلس ، نشره جايانجوس ١٨٦٨ — ترجمه إلى الإسبانية ريبيرا مع مقدمة في مدريد ١٩٢٦ .
- ابن مفيث : كتاب الوثائق (مخطوط بمدرسة الدراسات العربية في مدريد) — ترجمة إسبانية جزئية بقلم س. فيلا . مدريد ١٩٣١ في Anuario de Historia de Derecho español .
- المقري ، أبو العباس أحمد : فتح الطبيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، طبعة دوزي ودوجا وكريل ورايت . جزاءن ، لايدن ١٨٥٥ — ٦١ .
- تاريخ الدول الإسلامية في إسبانيا ، ترجمة إنجليزية جزئية لفتح الطبيب

مع تعليقات بقلم ب. دجايانجوس . لندن ١٨٤٠ — ٤٣ .

— خطاب إلى السيوفليشر عن الطبعة العربية لنفع الطيب بقلم دوزي .

لايدن ١٨٧١ .

المكتبة الأندلسية : نشر كوديرا وريبيرا في مدريد وسرقسطة من سنة ١٨٨٣ إلى ١٨٩٥ ، عشرة أجزاء هي : ج ١ ، ٢ : الصلة لابن بشكوال ١٨٨٣ ؛ ج ٣ : بنية اللتمس في تاريخ رجال الأندلس للضي ؛ ج ٤ : للمعجم لابن الأبار ١٨٨٦ ؛ ج ٥ ، ٦ : لتسكة لكتاب الصلة لابن الأبار ١٨٨٧ — ٩ ؛ ج ٧ ، ٨ : تاريخ علماء الأندلس ١٨٩١ ؛ ج ٩ ، ١٠ : فهرست أبي بكر بن خير ١٨٩٥ .

موسى بن ميمون : دلالة الحائرين . طبعة سلومون مونك ، باريس

١٨٥٠ — ٦٦ .

— ترجمة فرنسية بقلم مونك ، باريس ١٨٥٢ — ٦٦ .

ابن النديم : كتاب الفهرست ، طبعة فلوجل ، ليزج ١٨٧١ — ٧٢ .

النويري ، شهاب الدين أحمد : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثاني والعشرون ، وهو يتناول تاريخ المغرب والأندلس . نشره في مجلدين ماريانو جيسار ريمبرو ، مدريد ١٩١٧ ؛ وكل منها مذيّل بترجمة إسبانية له .

أبو الوليد الحليزي : البديع في وصف الربيع . نشره هنري بريس ،

رباط ١٩٤٠ .

ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، طبعة مارجليوث . ليزج — لندن ١٩٠٧

(ب) مراجع غير عربية

ALONSO, M., *El "Tawil" y la hermenéutica sacra de Averroes*, en *Al-Andalus*, 1942, VII, 127—151.

— *Averroes, observador de la Naturaleza*, en *Al-Andalus*, 1940, V, 215-230.

ALFONSO X, *Libros del saber de Astronomia*. Ed. Rico y Sinobas. Madrid, 1863.

"*Aljamiado*", *Leyendas moriscas*, por GUILLÉN ROBLES, 3 vols. Madrid, 1886.

— *La literatura aljamiada*, Discurso por E. SAAVEDRA, Mem. Ac. Española, vol. VI.

ALVARO DE CÓRDOBA, *Opera*, en *Patrologia latina de Migne*, vol. 121.

AMADOR DE LOS RIOS, J., *Historia crítica de la Literatura española*. Madrid, 1861-65.

— *Estudios históricos, políticos y literarios sobre los judíos de España*. Madrid, 1848.

AMARI, M., *Bibliotheca Arabo-Sicula*, Leipzig, 1857. Apéndice, 1875.

ANDRÉS, JUAN, *Origen, progresos y estado actual de toda la literatura*. Ed. italiana, 1782-98; trad. castellana, 1784-806. 7 vols.

"*Anónimo de Copenhague y de Madrid*". Ed. Huici, Valencia, 1917.

ANTUNA, P., MELCHOR M., *Ben Hayán de Cordoba y su obra histórica*. Escorial, 1924.

— *El polígrafo granadino Ben al-Játib en la Real Biblioteca del Escorial*, 1926.

— *Una versión árabe compendiada de la "Estoria de España, de Alfonso el Sabio"* en *Al-Andalus*, 1933, 105.

ASIN PALACIOS, M., *El filósofo zaragozano Avempace*, en *Rev. de Aragón*, 1901.

— *El averroísmo teológico de Sto. Tomás de Aquino*, en "Homenaje a Codera". Zaragoza, 1904.

— *El original árabe de la "Disputa del asno contra Fr. Anselmo de Turmeda"*. Madrid, 1914.

— *Aben-Masarra y su escuela*. Madrid, 1914.

— *La escatología musulmana en la Divina Comedia*. Madrid, 1919. 2ª ed. Madrid, 1943. En ella, Historia y crítica de una polémica, la trad. inglesa de Sunderland. Londres, 1926.

— *El místico murciano Ben Arabí* (monografías y documentos). I, Autobiografía cronológica. Madrid, 1925.

II, Noticias autobiográficas de su "Risalat alcods", 1926.

III, Caracteres generales de su sistema, 1926.

— *Abenházam 'de Córdoba y su Historia de las ideas religiosas*. Madrid, 1927-1932, 5 vols.

— *El Islam cristianizado*. Madrid, 1931.

— *Huellas del Islam*. (Sto. Tomás de Aquino, Turmeda, Pascal, San Juan de la Cruz), Madrid, 1941.

— *Ibn al-Sid de Badojox y su "Libro de los cercos"*, en *Al-Andalus*, 1940, V. 45-154.

— *Avempace botánico*, en *Al-Andalus*, 1940, V. 255-299.

— *El "Abecedario de Yúsuf Benasalj el Malagueño"*, en *Bol. Acad. Historia*, Madrid, 1932, C, 195-228.

— *Glosario de voces romances registradas por un botánico anónimo hispanomusulmán* (siglos XI—XII). Madrid, 1943.

BACHER, *Moses ben Maimon*. Herausgegeben von Bacher, Brann, Simonsen und Guttman, vol. I. Leipzig, 1908; vol. II, 1914.

BASSET, RENÉ, *La poésie arabe anteislamique*. Paris, 1880.

BLACHÈRE, R., *La vie et l'oeuvre du poète-épistolier andalou Ibn Darrag al-Kastallí*, en *Hesperis*, 1933.

BOER, T. J. DE, *The history of Philosophy in Islam*. Trad. inglesa de E.R. Jones. Londres, 1903.

(ترجمه إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده . الطبعة الثانية ،

القاهرة ١٩٤٨)

BONILLA Y SANMARTIN, A., *Historia de la Filosofía española*. Tomo II : Los judíos. Madrid, 1911.

BROCKELMANN, C., *Geschichte der arabischen Literatur* Weimar, 1898. Suplemento, Leiden, 1937-1938. 4 vols.

CAETANI, L., *Anali dell'Islam*. Milán, 1905.

CANTOR, MORITZ, *Vorlesungen über Geschichte der Mathematiker*, 3.^a ed., 4 vols. Leipzig, 1907-908.

CARRA DE VAUX, BARON, *Les penseurs de l'Islam*. Paris, 1921-26.

CASIRI, M., *Bibliotheca arabico-hispana Escorialensis*. Madrid, 1760.

CHAUVIN, V., *Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes, publiées dans l'Europe chrétienne de 1810 à 1885*, 12 vols. Lieja-Leipzig, 1892-1922.

CODERA Y ZAIDIN, F., *Decadencia y desaparición de los almorávidas en España*. Zaragoza, 1899.

COLIN, Dr. GABRIEL, *Avenzoar, sa vie et ses oeuvres*. Paris, 1911.

COUR, A., *Ibn Zaidoun*. Constantine, 1920.

DERENBOURG, H., *Les manuscrits arabes de l'Escorial*. Paris, 1884.

DOZY, *Histoire des Musulmans d'Espagne*. Leyde, 1861. Ed. Levi-Provençal, Leyde, 1932. Trad. esp. de M. Santiago Fuenles. Madrid, Calpe, 1920.

— *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*. 1.^a ed. 1 vol. Leyde, 1849 ; 2.^a ed., 2vols. Leyde, 1881.

— *Scriptorum arabum loci de Abbadidis*. Leyde, 1846-1863.

— *Notice sur quelques manuscrits arabes*. Leyden, 1847.

— *Commentaire historique sur le poème d'Ibn Abdoun, par Ibn Badroun*. Leyde, 1846.

— *Poème d'Abou-Ishac d'Elvira contre les juifs de Grenade*. Recherches, 2.^a ed. I, 292.

— *Essai sur l'histoire des Todjibides, les Beni-Hâchim de Saragosse et les Beni-Çomaïth d'Almérie*. Recherches, 2.^e ed 1, 221.

— *Le calendrier de Cordoue de l'année 961*. Leyde, 1873.

DUBLER, CÉSAR E., *Posibles fuentes árabes de la "Agricultura general"*, de Gabriel Alonso de Herrera, en *Al-Andalus*, 1941, VI, 135-156.

DUGAT, *Histoire des Philosophes et des Théologiens musulmans* (de 632 a 1258). Paris, 1878.

DUMAS, C., *Le héros des Makâmât de Hariri. Abou-Zéïd de Saroudj*. Alger, 1917.

EQUILAZ, L., *Poesía histórica, lírica y descriptiva de los árabes andaluces*. Tesis doctoral. Madrid, 1864.

Encyclopédie de l'Islam. Dictionnaire géographique, ethnographique et biographique des peuples musulmans, publié avec le concours des principaux orientalistes par M. Th. Houtsma. Leyde, Paris, 1908.

FERNANDEZ Y GONZALEZ, FRANCISCO, *Historia de Zeyad el de Quineza* (Museo Espanol de Antigüedades, tomo XI, 1882)

GARCIA GOMEZ, E. *Quasidas de Andalucía*. Madrid, 1940.

— *Un texto árabe occidental de la leyenda de Alejandro*, Madrid, 1929.

— *Un cuento árabe, fuente común de Ben Tofáil y de Gracian*. Madrid, Rev. Archivos, 1926

— *El "Parangón entre Málaga y Salé"*, de Ibn al-Jâtib. En *Al-Andalus*, 1934, II, 183.

— *Ibn Mammatî, compendiador de la "Dajira"* en *Al-Andalus*, 1934, 329.

— *Observaciones sobre la qasida maqsura del Qartachanni*, en *Al-Andalus*, 1933, I, 81.

— *Poemas arábigo-andaluces*. Madrid, 1930; 2.^a ed. 1940.

— *Bagdad y los reinos de Taifas*, en *Rev Occidente*, 1934, XII, 1-22.

— *El "Diwan" del Príncipe Amnistiado*, en *Escorial*, 1942.

GAUTHIER, LEON, *Ibn Thofail, sa vie, ses oeuvres*. Paris, 1909.

GAYANGOS, P., *Memoria sobre la autenticidad de la Crónica llamada del Moro Rasis*. (Memorias Acad. Hist. VIII, 1850.)

GOEJE, M. J. DE, *Die arabische Litteratur*, en P. Hinneberg, *Die Kultur der Gegenwart*, 1.^a parte, cap. VII. Berlin-Leipzig, 1906.

GOLDZIEHER, I., *Le dogme et la loi de l'Islam*. Trad. francesa de Arin. Paris, 1920.

GONZALBO, L., *Poetisas musulmanas*. Rev. Archivos. Madrid, 1905.

GONZALEZ PALENCIA, A., *Historia de la Espana musulmana*. 4.^a ed. Editorial Labor, Barcelona, 1945.

GRAETZ, *Les juifs d'Espagne*. Trad. Stienne. Paris, 1872.

GUILLÉN ROBLES, F., *Catálogo de los manuscritos árabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid*, 1889.

GUNDISALVI, DOMINICUS, *De Divisione philosophiae*. Ed. Baur. Münster, 1903.

"HADIZ", *Les traditions islamiques traduits par Houdas, O. et Marçias, W.*, 4 vols. Paris, 1903-14.

HORTEN, M., *Die philosophischen Systeme der Speculativen Theologen in Islam*. Bonn, 1912.

HUART. CL., *Littérature arabe*, 4.^a ed. Paris, 1923. Trad. inglesa de Lady M. Loyd.

HURTADO, J., Y GONZALEZ PALENCIA, A., *Historia de la Literatura española*, 5.^a ed. Madrid. 1943.

Jewish Encyclopedia, The. Nueva York-Londres, 1906.

JOURDAIN, A., *Recherches sur les traductions latines d'Aristote*. Paris, 1843.

JUYNBOLL, TH. W., *Handbuch des islamischen Oesetzes*. Leyde, 1910.

KAUFMANN, D., *Studien über Salomon ibn Gabirol*. Budapest, 1899.

LAFUENTE ALCANTARA, *Catálogo de los códices adquiridos por el Gobierno de Su Majestad en Tetuán*. Madrid, 1862.

LECLERC, L., *Histoire de la Médecine arabe*. Paris, 1876.

LEVI-PROVENÇAL, E., *La civilisation arabe en Espagne*. Vue générale. El Cairo, 1938.

— *L'Espagne musulmane au x.^e siècle*. Institutions et vie sociale. Paris, Larose, 1932.

— *Les "Mémoires" de Abd Allah*, dernier roi ziride de Grenade, en *Al-Andalus*, 1935, III, 233-344 ; 1936, IV, 29-143.

LEVY, L., *Maïmonides*. Paris, 1911.

LOPEZ ORTIZ, J., *La recepción de la escuela malequí en España*. Madrid, 1931, en *Anuario de Hist. del Derecho Español*.

MEHREN, A. F., *Etudes sur la philosophie d'Averroès*, concernant ses rapports avec celle d'Avicenne et de Gazzâlî, en le *Muséon*, vol. VII.

MENÉNDEZ Y PELAYO, M., *Heterodoxos españoles*, vol. I, 1.^a ed. Madrid, 1880. *Orígenes de la Novela I*, Madrid, 1943.

— *De las influencias semíticas en la literatura española*, en *Estudios de crítica literaria*, Madrid, 1941, I, 193.

— *La doncella Teodor*, *id.*, I, 219.

MENÉNDEZ PIDAL, JUAN, *Leyendas del último rey godo*. Madrid, 1906.

MENÉNDEZ PIDAL, R., *Sobre Aluacaxi y la elegía árabe de Valencia*, en "Homenaje a Codera", 393-409. J. Ribera. *El Archivo*, rev. Denia, I, págs. 380, 388, 393, 1887.

— *Rodrigo, el último godo*. Madrid. La Lectura, 1926.

— *Poesía árabe y poesía europea*, en *Bull. Hisp.*, 1938, y en *Col. Austral*, 1941.

MEYERHOF, M., *Esquisse d'histoire de la Pharmacologie et botanique chez les musulmans d'Espagne*, en *Al-Andalus*, 1935, III, 1-41.

— *Du nouveau sur Ibn Quzmân*, en *Al-Andalus*, 1944, fasc. 2.

— *Ueber die Pharmakologie und Botanik der arabischen Geographen Edrisi*, en *Archiv. f. Gesch. d. Natur. d. Naturwiss. u.d. Technik* (Leipzig, 1930), XII, 45-53 y 226-36.

— y SOBHY, G. P., *The abridged version of "The book of simple drugs" of Ahmad ibn M. al Ghafiqi*, by Gregorius Abu-l-Farag (Barhebraeus), Cairo, 1932. Res. en *Al-Andalus*, 1, 220.

MIELI, A., *La science arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale*. Avec quelques additions de H. P. J. Renaud. M. Meyerhof, J., Ruska. Leiden, 1939.

MILLÀS VALLICROSA, J. M., *Assaig d'història de les idees físiques i matemàtiques a la Catalunya medieval*. Vol. 1. Barcelona, 1931.

— *Influencia de la poesia popular hispano-musulmana en la poesia italiana*. Madrid, Revista Archivos, 1921.

— *La poesia sagrada hebraico-espanola*. Madrid, 1940.

— *Sobre el autor del Libro de las Cruces*, en *Al-Andalus*, 1940, V, 230.

MORATA, P. N., *Avempace*, en *Ciudad de Dios*, 1926. .

MORENO NIETO, J., *Estudio critico sobre los historiadores árabe-espanoles*. Disc. en la Acad. Historia, 1864.

"Moriscos" : *Aljamiado* : *اقل*

MÜLLER, M. J., *Philosophie und Theologie von Averroës*, texto. Munich, 1859. Trad. Alemana, 1875.

MUNK, S., *Mélanges de philosophie juive et arabe*. Paris, 1857. (Reimpresión en 1927).

— *Essai d'une trad. des Séances de Hariri*, précédé de quelques observations sur la poésie arabe. "Journal Asiatique", II, 540-66, 1834.

MÜNZ, J., *Moses ben Maimoun (Maimonides) sein Leben und seine Werke*. Frankfurt a. M., 1912.

NALLINO, C. A., *Intorno al Kitab al-bayân del giurista Ibn Rushd*, en "Homenaje a Codera", pág. 67. Zaragoza, 1904.

NICHOLSON, *Literary History of the Arabs*. Londres, 1907.

— *Studies in Islamic Mysticism*. Cambridge, 1921.

NYKL, A. R., *La poesia de ambos lados del Pirineo hacia el año 1100*, en *Al-Andalus*, 1933, I, 357.

OLIVER ASÍN, J., *Un morisco de Túnez, admirador de Lope*, en *Al-Andalus*, 1933, I, 409.

PANO, MARIANO DE, *Coplas del Alhichante de Puey Monzón*. Zaragoza, 1897.

— *El recontamiento de Almicded y Almayesa*, en "Homenaje a Codera", 1904, pág. 35.

PÉRÈS, H., *La poésie andalouse en arabe classique au XI.^e siècle. Ses aspects généraux et sa valeur documentaire*. Paris, 1937. Resena de E. O. O., en *Al-Andalus*, IV, 283-316.

PIZZI, I., *Litteratura araba*. Milán, Hoepli, 1903.

PONS BOIGUES, F., *Ensayo biobibliográfico sobre los historiadores y geógrafos árabe-españoles*. Madrid, 1898.

PRIETO, V VIVES, A., *Los Reyes de Tāfās*. Estudio histórico y numismático de los musulmanes españoles en el siglo V de la hégira (XI de J.C.). Madrid, 1926.

RAZI, AL-, *La crónica del moro Rasis*. Ed. Gayangos, 1850. (Completada por R. Menéndez Pidal, en Catálogo de Crónicas de la Real Biblioteca)

RENAN, E., *Averroès et l'Averroïsme*, 3.^e ed. Paris, 1861.

RENAUD, H.P. J., *La prétendue "Hygiène d'Abulcasis" et sa véritable origine*. Lisboa, 1941 (Extr. de Petrus Nonius, III).

— *Trois études d'histoire de la Médecine arabe en Occident. Nouveaux manuscrits d'Avenzoar*, en *Hespéris*, 1931, XII, 91-105.

REVISTAS : *Al-Andalus*. *Le Journal Asiatique*. *Rev. du Monde Musulman*. *Rev. des études islamiques*. *Der Islam*. *Riv. d. studi orientali*. *Isis*. etc.

RIBERA, J., y ASÍN, M., *Manuscritos árabes y aljamiados de la Biblioteca de la Junta para ampliación de estudios*. Madrid, 1912.

RIBERA Y TARRAGÓ, J., *Disertaciones y opúsculos*. Madrid, 1928, 2 vols. Contiene : El Cancionero de Ben Guzmán. —

Epica andaluza romanceada. — Orígenes de la filosofía de Raimundo Lulio. — Bibliófilos y bibliotecas en la España musulmana. — La enseñanza entre los musulmanes españoles. — La Crónica de al-Joxani. — Ben al-Qutiyya y su crónica. — Y otros estudios sobre Historia de la Música, historia árabe de Valencia, etc.

— *La música de las Cantigas*. Madrid, Real Acad. Española, 1922.

— *La música andaluza medieval en las canciones de trovadores, troveros y minnesinger*. Madrid, 1923-25.

— *La música árabe y su influencia en la española*. Madrid, Edit. Voluntad, 1927.

ROSENTHAL, E., *Ibn Khalduns Gedanken über den Staat*. Munich, 1932.

SAAVEDRA, F., *Discurso sobre la Literatura aljamiada*, en *Memorias de la Real Acad. Española*, VI, 155 y 304.

SANCHEZ PÉREZ, J. A., *Biografías de matemáticos árabes que florecieron en España*. Madrid, Acad. de Ciencias exactas, 1921.

SARTON, GEORGE, *Introduction to the History of Science*, vol. I. Baltimore, 1927; II, 1931.

SCHACK, A. F. DE, *Poesía y arte de los árabes en España y Sicilia*. Trad. del alemán por Valera, 3 vols., 3.ª ed. Sevilla, 1881.

SIMONET, F., *El siglo de oro de la literatura arabigo-española*. Tesis doctoral. Granada, 1867.

— *Historia de los mozárabes de España*. Madrid, 1897-1903.

SORIANO VIGUERA, JOSÉ, *Contribución al conocimiento de los trabajos astronómicos desarrollados en la escuela de Alfonso X el Sabio*. Madrid, 1916.

SPRENGER, A., MOHÁMED ALA, *A Dictionary of the technical terms used in the sciences of the muslimans*. Bengal, 1854.

STEINSCHNEIDER, *Die arabische Litteratur der Juden*. Frankfurt, 1902.

SUTER, H., *Die Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke*. Leipzig, 1900.

TÁLLOREN, O. J., *Los nombres árabes de las estrellas a la transcripción alfonsina*, en "Homenaje a Menéndez Pidal", II, 633. Madrid, 1925.

WULF, M. De, *Histoire de la philosophie Médiévale*. Lovaina, 1912.

WUESTENFELD, F., *Die Geschichtsschreiber der Araber und ihre Werke*. Göttingen, 1882.

— *Geschichte der arabischen Aertze und Naturforscher*. Göttingen, 1840.

— *Die Uebersetzungen arabischer Werke in das Lateinische seit dem XI. Jahrhundert*. Göttingen, 1877.

١ - فهرست الأعلام

١ - أعلام عربية أو وردت بالعربية

(١)

أحمد بن بق الغاضي : ٢٧٠
أحمد بن جفاف ، أبو جعفر (غاضق بنسبة) :

١١٧

أحمد بن حنبل : ٤٠٧ ، ٤١٥

أبو أحمد بن حيون : ١٧٩

أحمد بن خالد اللعوف بالجاب : ٣٢٧

أحمد بن سعيد المدائني : ٧١

أحمد بن سعيد بن أبي القياض : ٢١٧

أحمد بن الصفار : ٤٥٠

أحمد بن عباس (الوزير الكاتب) : ١٥٠

١٠٩ - ١١٠

أحمد بن عبد الله الحبيبي : ٣٢٥

أحمد بن عبد الوهاب بن يونس = ابن

صلاح القرطبي : ٤٣٥ ، ٤١١

أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري

للغروف بآين الباذن : ١٨٦ ، ٢٢٢

أحمد بن فرج بن منقيل : ٢٦٨ ، ٢٧٨

أحمد بن محمد بن إسماعيل التماس : ٣٣

أحمد بن محمد بن الجصور : ١٧٣ ، ٢١٣

أحمد بن محمد بن موسى الرازي (المؤرخ) :

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٠

أحمد بن محمد بن عيسى بن وكيل التجبي

الزاهد = ابن الأتليبي : ٢٣ ،

١٦٥ ، ١٦٦ ، ٣٩٩

أحمد القريني (الشاعر للغروف بالكساد) :

١٦٥ ، ١٦٦

أحمد بن حارون الفزى : ٢٨٠

أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة

الأنصاري = ابن أخت عيدون :

٣٣٠

أرنال شتايجر : ٥٧٤

آسوين بلايوس : ١٤٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ،

٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٣٢٥ ،

٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٤٣٠ ، ٥٥١

آليو القرطبي : ٤٨٥ ، ٥٣٥

آياسوفيا : ٤٧٤

ابن الأبار : انظر : أبو عبد الله بن عبد

ابن عبد الرحمن بن الأبار القاضي

أبان بن عثمان اللبشر : ٣٣٠

أبراهيم بن سمير بن حناني : ٥٠١

أبراهيم بن عزرا بن مير : ٧٦ ، ٥٠٠

أبراهيم بن ليثي : ٥٧٦

أبراهيم بن إدريس الحسي : ٦٥

أبراهيم البقادي : ٥١٨

أبراهيم تيبلي = خوان بيروت : ٥١٣

أبراهيم بن داود الطاطلي : ٢٦

أبراهيم بن سهل الإشبيلي (الشاعر) :

٢٢ ، ١٣٠ ، ١٦٥

أبراهيم بن قرقل (أو قرقول) : انظر :

أبو إسحاق إبراهيم بن قرقل (أو قرقول)

أبراهيم النظام : ٣٢٥

أبو إبراهيم بن يحيى الزرقالي : ٤٥١ ، ١٦ -

٤٥٣ ، ٥٧٦

أبره (نهر) : ٤٤

سالا : ٢٥١

أفراط : ٤٦٦

أنيد الدين أبو حيان : ٢٤ ، ٢٥ ، ١٦٦ ،

١٨٧ ، ٢٣٨

أوريولة : ٢٨٠
 أوغطين (القديس) : ٢١٧
 أو كنفورد : انظر : مكتبة أو كنفورد
 إيزودور الإشبيلي :
 إيزيدور الباجي ، القديس : ٣٨٠
 إيزيدورو خيل : ٨٤٠
 ابن آيمن : انظر : محمد بن عبد الله بن آيمن
 أبو أيوب سليمان بن يحيى : انظر ابن جبيرول

(ب)

باب الصباغين : ١٠٠
 باب الطالرين : ٦٨
 ابن مائة التجبي ، أبو بكر محمد : ١٧ ،
 ٢٦ ، ١٢٢ ، ١٦٥ ، ٢٩٧ ،
 ٣٣٥ — ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٤٦٩ ،
 ٥٠٢
 الباجي ، أبو الوليد : انظر : أبو الوليد
 سليمان الباجي
 باديس بن حبوس : ١٠٨ ، ١١٠
 باديس بن زيري : ٢٤٠
 ابن البلاش : انظر : أحمد بن علي بن أحمد
 ابن خلف
 البارون قوث شاك : انظر : شاك ،
 البارون قوث
 باسكوال دي جالمانجوس : ٥٧٩
 بالثيا ، جثالث : ٢٧٩ ، ٣٣٤
 بيشتر (حصن) : ٦ ، ٥٩
 بينة بنت للمعد : ٩٧
 البجاني ، أبو سروان : ٤٦٧
 بجاية : ٣٣١
 بجاية : ١١٥
 بينت (البرشتر) : انظر بينجنيس
 البحري : ٤٠
 أبو بحر صفوان بن إدريس : ٤٣ ، ٢٧٩
 أبو بحر عبد الصمد : ١٠٥
 بجيا بن طوقذا : ٢٦ ، ٤٩٤ — ٤٩٧

إقليدس الأندلس : انظر : عبد الرحمن بن
 إسماعيل بن زيد
 ابن الأفايقي : انظر : أحمد بن محمد بن عيسى
 الأركن (المستشرق) : ١٧٦ ، ٢٧٩
 البيرة : ٥٧ ، ١٩٣
 القريد بل (المستشرق الفرنسي) : ٢٧٩
 الفواسي الأول ، المقاتل : ٣٣٥ ، ٤٩٨ ،
 ٥٧٩
 ألفونسو السابع : ٢٧٦ ، ٥٣٦
 ألفونسو السادس : ١٨ ، ٢٣ ، ٩١ ،
 ٩٤ ، ٢٧٢ ، ٥٣٦
 ألفونسو العاشر : ٢٤ ، ٧٨ ، ٢٥٨ ،
 ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٥٣٤ ،
 ٥٣٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ — ٥٧٦ ،
 ٥٧٧ ، ٥٨١ ، ٦٢٣
 القاريد جانو : ٦٢٨
 القاريد د فيليبا ساندنو : ١٥١ ، ٦٢٩
 ألمانيا : ٢٩ ، ٤٨٧
 للرية : ١٥ ، ٢٣ ، ١٠٩ — ١١٦ ،
 ١٢٩
 أليدا جارت : ٥٨٤
 البساسة : ٣٥٥
 أماري ، بيكيل (المستشرق) : ٩٨
 ابن الإمام ، محمد بن أحمد الخولاني : ٣٣٠
 أمبروزيو هوش : ٢٤٩ ، ٢٥١
 اسرق القيس : ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧
 أبو أمية الحجازي : ٩
 بنو أمية : ١١ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٨٦ ،
 ١٦٩ ، ١٩٣
 أبناذقليس : ٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
 ٤٩٣ ، ٥٤٦
 أبلترا : ٢٩
 إريك الأرغوني : ٥٨١
 أنس القلوب (جارة) : ٦٩
 أنسيلمو توريندا (القديس) : ٢٨ ،
 ٥٨٦ — ٥٩١
 أقرعة : ٣٤
 أوجست كور (المستشرق) : ٨٦

بطليموس : ١١٧ ، ٨٥ ، ١٨ ، ١٦ ، ٥٥

١٧٢ —

ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي

الطنجي : ٣١٨ — ٣١٩

بشار : ٤ ، ٥ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ١٠ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٥٣ ، ٦٠ ، ٨٧ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ،

١٧٢ ، ١٩٧

ابن البخونس : انظر : أبو عثمان سميد
ابن عبد

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي : ٢٣ ،

١٣١

نق بن محمد : ٧ ، ٩ ، ٣٢٤ ، ٤٠٧ ،

٤٣٠ ، ٤٣٣

ابن نقي ، أبو بكر (الشاعر) : ١٢٥ ، ١٥٧

بكر الكتاني : ٥٨

البكري : انظر : أبو عبيد الله عبد الله بن

عبد العزيز بن محمد البكري

أبو بكر إبراهيم بن تفلوت : ٣٣٥

أبو بكر الأبهري : ١١

أبو بكر الأبيش : ١٥٧

أبو بكر بن أحمد الصنوبري : ٣٩

أبو بكر أحمد بن مالك الشامي : ١٦٥

أبو بكر الحافظ = ابن سيد الناس :

٢٣٨ ، ٢٥

أبو بكر حسن بن مفرج المافري = القبيسي

القرطبي : ٧٧٥

أبو بكر الرازي (الطبيب الفارسي) : ٣٢٥

أبو بكر بن سميد : ١٢٥

أبو بكر الصابوني : ١٣٣ ، ١٦٥

أبو بكر بن صارم : ١٦٥

أبو بكر بن عبادة بن - السماء : ١٥٣ ،

١٥٦

أبو بكر عبد العزيز بن القبطونية : ١٢٥

أبو بكر بن العربي : ٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٧٣

أبو بكر القبيسي : انظر : أبو بكر حسن

ابن مفرج المافري

البخاري : ٩

يدرو بشكوال : ٢٧

يدرو الجليل : ٥٣٩ ، ٥٧٤

يدرو دل ريال : ٥٢٦

يدرو الطليطلي : ٥٠٢

يدرو القاسي : ٢٥٩

ابن يراخان ، عبد السلام بن عبد الرحمن :

٣٣٢

البراق : ١٢٨

ابن البراق الرازي آشي ، أبو القاسم : ٢٤٢

ابن برقي ، عمر بن حفص : ٤٦١

ابن برد ، بشار : ٣٩ ، ٦١

ابن أبي بردة : انظر : أبو الطيب محمد بن

أحمد بن أبي بردة

البرزالي ، أبو محمد قاسم : ٢٨٤

البرشبر بخت : انظر : بنجلين

برشلونة : ١٢ ، ٩١ ، ١٣٣ ، ١٧٦

ابن برفوط ، محمد بن عمر : ٤٥١

برقة : ٦٣ ، ٦٤

برلين : انظر : مكتبة برلين

برنالدو العربي : ٥٧٦

بروقاسي : ٥٠٣

بروقلس : ٣٢٩

برونيتو لانيي : ٥٧٢

بريتو بيس : ٧

ابن بسام : انظر : أبو الحسن علي بن بسلام

الشنقي

بسنهورن (السنهورن) : ٢٤٩

بسطة : ١٣٢ ، ٢٨٣

ابن بشكوال : انظر : أبو القاسم خلف بن

عبد الملك

البصرة : ٣٧ ، ١٨٠

بطرس الجليل : انظر : يدرو الجليل

البطروحي ، أبو إسحاق نور الدين : ٢٣ ،

٣٤٨ ، ٤٥٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٩

بطليموس : ٤٥٦ ، ٥٧٥

يلنسية : ١٧ ، ١٨ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٩٣ ،
١١٦ ، ١٧٨ ، ١٣٣ ، ١٦٥ ،
٢٧٣ ، ٢٧٧

البلوطي : انظر : منفرد بن سعيد البلوطي
بلى (حصن) : ٤٣٣
اليليار : ١٣٥
ابن يليطة ، الأسد بن إبراهيم (الشاعر) :
١١٧

البليئة : انظر : أبو عثمان سعيد
ابن البناء (الرياضي) : انظر : أبو العباس
أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى
ينتو : ١٨٧

بنجلنس (الأسقف) : ٤٨٦ ، ٥٠
ابن بهرام السجستاني : ٤٦١
بجيا بن باقوتا : انظر : بجيا
بو ، بلزوم : ٣٥١ ، ٦٠٢

البودية : انظر : للكتبة البودية
يوكاشيو : ٥٨١

يوكوك (المستغرق) : ٣٥١ ، ٣٣
يوميه (المستغرق) : ٢٥١
يونس بن يحيى (المستغرق) : ٥٠ ،
١١٩

يياصة : ٤٥٦
الياسي : انظر : يحيى بن إسماعيل الياسي
ميرس ، الظاهر (سلطان مصر) : ١٣٥
ينزلة : ٦٠ ، ٤٤٠

ابن البيطار : انظر : حياء الدين أبو محمد
عبد الله بن أحمد
ميمية صبت أبلخ : انظر : صبت أبلخ
ابن الين ، أبو عبد الله (الشاعر) : ١٢١
يبر دانييل (هويا الفيلسوف) : ٥٣٤

(ت)

تاكيتوس : ٦١٢
التجبي ، محمد بن عبد الرحمن بن علي : ٢٨٠
(٤٢٢)

أبو بكر بن حمار (الشاعر الوزير) : ١٥ ،
٣٠ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٧ ،
١١٦

أبو بكر بن غازي : ٢٥٦
أبو بكر محمد بن أحمد الرقوتي : ٧٥ ،
٤٥٧ ، ٥٧٣

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي : ٦١ ، ٨ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ٢٨٧ ،
٣٣٠

أبو بكر محمد بن زهير : ١٧٩ ، ١٥٧
أبو بكر محمد بن حاصم : ٢٥ ، ٤٢٩
أبو بكر محمد بن عبد الله بن طهليل : ٢٤ ،
٣٣٧ ، ٤٢٧ ، ٣٤٨ — ٣٥٣ ،
٣٥٤

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زمان (الأصغر ،
الزجال) : ٢٠ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ،
١٥٨ — ١٦٦ ، ٦١٥ ، ٦٢٠

أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن
القوطية : ٣ ، ٨ ، ٩ ، ٨٨ ، ١٨٥ ،
١٩٣ ، ٢٠٢ — ٢٠٦ ، ٢٦٩ ،
٤٢٩

أبو بصكر محمد بن عيسى بن محمد الغضني
الثاني = ابن البانة : ١٥ ، ٩٧ ،
١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٥ ،
١٥٧ ، ٢٤٠

أبو بكر محمد بن لقون الأوربلي : ٣٩٧
أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف
الطرطوشي للقب بابن أبي رندة :
١٧ ، ١٢٥ ، ١٧٤

أبو بكر الخزومي : ١٢٥ ، ١٦٥
أبو بكر يحيى بن الصيرى : ١٢٣ ، ٢٤١
أبو بكر يحيى بن يحيى = ابن السمينة :
٣٢٥

بلايو ، منتدذ : ٣٥١ ، ٤٥٦ ، ٥٨٥
بلج بن بصر : ١٩٩
بلش : ٩٢ ، ٢٧٦

جامعة الجزائر : ٣١
جامعة الدول العربية : ٢٤٥
جايانجوس : ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٧٠ ،
٤٤٣ ، ٢٤٠
جبريل سيونيتا : ٣١٣
جبل تاسيون : انظر : تاسيون (جبل)
ابن جبير ، أبو الحسين محمد : ١٢٩ ، ٢٣ ،
١٣٣ ، ٣١٦ — ٣١٨
ابن جبيرول ، سلمون بن يهوذا : ١٧ ، ٨ ،
٢٦ ، ١٢٢ ، ٣٣٢ ، ٤٩٣ ،
٤٩٦
ابن جعفر ، أبو الحسن علي : ١٦٥
ابن أبي جراحة : ٢٤٤
جرير توس : ٥٣٤
جرير تر : ٤٨٧
جرير بيرز : ٥٧٦
الجرجاني ، أبو الفتح : ١٥ ، ١٠٧
جرسون بن سلومون : ٥٣٨
ابن الجزار ، أبو جعفر أحمد : ٤٦١
جزائر فرطناطش : ٣١١
الجزيرة الخضراء : ١٠٤ ، ١٠٩ ، ٤٤٣
جزيرة شقر : ٢٩٦
ابن جزى ، أبو عبد الله محمد : ٣١٩
جسار ريمو : ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٥٧٨
ابن الجسور : انظر : أحمد بن محمد بن الجسور
أبو جعفر أحمد الصفي : ٢٢ ، ٢٦٦ ،
٢٧٦
أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد النافق :
٤٧٢ — ٤٧٤
أبو جعفر بن سعيد : ٢٣
أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي =
ابن النصير : ١٨١
أبو جعفر بن سليمان الصفي : ٤٥ ، ٦١ ،
٦٥ ، ٦٢
أبو جعفر بن القزاز : ١١٢

الترية الصالحية : ٣٧٦
الطبل ، الأعمى : ١٢٥ ، ١٥٧
تعليق : ١٣٥ ، ٤٢٣
تمام بن علامة : ٥٦ ، ٦٠٣
أبو تمام : ٤٠
أبو تميم مد بن النصور ، المزلقاطي : ٦٣
تفس : ٤٢٢
تود ، الملك : ٥٥
توران شاه : ١٣٥
توران الزائف : ٣٥٦
تورمينا : انظر : أنيلود تورمينا
توربورج (المستشرق) : ٢٥١
توما الأكويني : ٣٦١ ، ٥٣٥ ، ٥٧٣
تواس : ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ٧٥٩ ،
٢٧٧
ابن التيباني : انظر : أبو غالب تمام بن غالب
تبولوس : ٨٦
تيرسو دي مولينا : ٥٧٤
ابن تيفلويت : انظر : أبو بكر إبراهيم بن
تيفلويت
تيكنور : انظر : جورج تيكنور
تيمورلك : ٢٦٠

(ث)

ثرفانتز : ٥٩٧
ثيوفراست : ٢١٧

(ج)

جابر بن أظع الإشبيل : ٢٢ ، ٤٥٦
ابن جابر ، أبو عبد الله محمد : ٣١٩
الجاحظ : ٣٢٤ ، ٥٨٤
الجارية الصادية : ٩٧
حافة (كوند برشلونة) : ١٣١ ، ٢٧٧
چاكارون دودى : ٦٢٠
جالان (مترجم ألب ليل) : ٥٩٣
جالينوس : ٤٦٤ ، ٤٦٦
ابن جامع ، علي : ٣٧٤

جيراردو الكرعوني : ٤٦٦ ، ٤٣٩
جيرمو الأوثري : ٣٦١
جيرمو ، كوت يواتيه : انظر : جيم
ديتيو
جيل الروماني : ٣٦٨
جيم ديتيو : ٦١٥ ، ٦١٦
جين أرمون دآسيا : ٥٧٥
جيوم ، كوت يواتيه : انظر : جيم
جيورحانو برونو : ٤٩٣

(ح)

حام طي : ٣٤٠
ابن الحاج ، أبو عبد الله (مدغليس
الزجل) : ١٦٥
الحارث بن أسد الحنفي : ٨
الحارث بن حرة : ٣٢ ، ٣٣
حارة القناديل (بالقاهرة) : ٣٧٤
حامد بن سمجون : ٤٦٧
أبو حامد الفرائضي : ٣١٧ ، ٣٢٢
أبو حامد التزالي : ٢٢ ، ٢٣٧ ، ٤٩٤ ،
٥٤١
ابن حانوك : انظر : موسى بن حانوك
الحباب : انظر : أحمد بن خالد
ابن الحباب : أحمد بن عبد العزيز : ٢٠٨
ابن حبان البقي : ٢٠٨
حبوس بن ماكسن : ٤٤٩
ابن أبي حبيب الجزري : ١٦٥
حبيب الصقلي : ٧٢
ابن حبيب ، عبد الملك : انظر : عبد الملك
ابن حبيب
ابن حبيب ، أبو الوليد : انظر : أبو الوليد
ابن حبيب
ابن حبيش : انظر : أبو القاسم بن حبيش
ابن الحجاج : انظر : أبو عبد الله بن الحسين
ابن أحمد بن الحجاج

أبو جعفر النصور : ١٩٧
أبو جعفر بن حريرة : ١٥٧
أبو جعفر الرقسي : ٥٥
جلال الدين السيوطي : ٣٢ ، ٧٣ ، ١٨٠
ابن جلجل : انظر سليمان بن جلجل
ابن جماعة الكنتاني : ٢٨٧
جمال الدين محمد بن عبد الله بن ملك :
١٨٧ — ١٨٧
ابن جناح ، أبو الوليد صنوان : ٤٨٩
٤٩٧ —

جنتاك ، دومتجو : ٣٣٧
جنتالو سانشد أوتيدا : ٥٥٠
جنتالو دبريو : ٥٩٦
جندرة : ٦١ ، ٦٦ ، ١٢٤
ابن جنون ، أحمد : ١٦٥
أبو جنيس : انظر : يوسف بن هارون
الرمادي
بنو جهور : ١٢٧
ابن جهور ، أبو الحزم : انظر : أبو الحزم
ابن جهور
ابن جهور ، عبد الملك : انظر عبد الملك
ابن جهور
ابن جهور ، أبو الوليد : انظر : أبو الوليد
ابن جهور
جوتا : انظر : مكتبة جوتا
جوجويه : ١٨٧
جودا بن فيس : ٣٣٧
جودي بن هبان النعوى : ١٨٥
جورج ميكنور : ٥٧٩
الجورف (قرب الأندلس) : ٣٣٢
جولدتسيهر : ٤٩٦
ابن الجباب الأسماري : انظر : أبو الحسن
علي بن محمد بن الجباب
جيان : ٩١ ، ١٦٦ ، ١٧٧
الجياي ، ابن فرج : انظر : ابن فرج الجياي
جيجان (مغبة) : ٦ ، ٥٨

أبو الحسن الشافعي الوادي أكنى : ١٣٣ ،
١٦٥

أبو الحسن بن عصفور الإشبيلي : ١٨٦
أبو الحسن علي بن إسماعيل = ابن سيده :
١٧ ، ١٨٥ ، ١٩٠

أبو الحسن علي بن بام الشنترقي : ٧٧ ،
٣٧ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ،
٩٨ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ٢١٠ ،
٢٥٧ ، ٢٨٨ — ٢٩٦

أبو الحسن علي بن محمد بن الجباب الأنصاري
القرطبي : ٢٥٧

أبو الحسن علي بن محمد الحضرمي المعروف
بأبن خروف الإشبيلي : ١٨٦

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي
القرطبي = الفصاحي : ٤٥٧
أبو الحسن النباهي : ٢٥٥ ، ٢٥٦

حصين بن حاتم : ٢٤٠
الحضرمي (الشاعر) : ٩٧ ، ١٠١
أبن حصن : انظر : علي بن حصن

حصن بن علي : انظر : علي بن حصن
أبن أبي حصن : انظر : أبو زكريا بن
أبي حصن

حسن واط : انظر : واط (حصن)
الحفرة (وقعة) : ٣
أبن حصون : انظر : عمر بن حصون

حفصة المجارية : ٧٣
حفصة الركونية : ٢٣ ، ١٢٧ — ١٢٨ ،
٧٤٧

الحكم الثاني للسنصر : ٩ ، ١٠ ، ٦٠ ،
٦٣ ، ١٧٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ،
٢٠٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
٢٤١ ، ٢٤٨

الحكم بن معاذ (الرضى) : ٣ ، ٤ ،
٥٧ ، ٥٢ ، ٥٧

أبن الحكم ، عبد العزيز بن حكم بن أحمد :
٣٣٠

أبن الحاجب النعماني : ١٤٧
أبو الحاجب بن الأحمر : انظر يوسف بن
الأحمر

أبو الحاجب الياسي : ١٣٣
أبو الحاجب الشيرازي : انظر يوسف الشيرازي
أبو الحاجب بن عيسى : انظر : يوسف
أبن عيسى

أبو الحاجب يوسف بن طلاس : ٣٦٢
الحجاري : انظر أبو عبد الله محمد بن
إبراهيم الحجاري

أبن الحاجب : انظر : يونس بن سيده
أبن حجر : انظر : اسود القيس

أبن الحنظل الوادي أكنى : انظر : أبو عبد الله
أبن محمد بن الحنظل

أبن الحنظل : انظر : محمد بن يحيى بن أحمد
الحراني : انظر : يونس بن أحمد الحراني

أبن حرب : انظر : محمد بن أحمد بن حرب
حرقوس : انظر : عثمان بن سعيد السكتاني
الحريري : انظر : أبو محمد القاسم بن علي بن
محمد بن عثمان الحريري

أبن حريق : انظر : علي بن حريق
أبو الحزم بن جهور : ١٤ ، ٨٠ ، ٨٧ ،
٨٤

أبن حزم القرطبي : انظر : أبو محمد علي
أبن حزم
أبن حزم ، أبو الفيرة : انظر : أبو الفيرة
أبن حزم

حالة التيمية : ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٩
حصاني بن هبوط : ٩ ، ٢٦ ، ١٢٢ ،
٢٦٣ ، ٢٨٨

الحسن البصري : ٥٢٠
الحسن بن حاتم : ٥
الحسن بن الميثم : ٥٣٤

أبو الحسن البجلي : ٣٧٤
أبو الحسن بن سراج : ١٢١
أبو الحسن بن سعيد بن القبطونية : ١٢١

ابن الحرام : انظر : عبد الحق بن عبد الرحمن
ابن الحرام

ابن خروف : انظر : أبو الحسن علي بن
محمد الحضري اللزوف بابن خروف

الإعيل

الحشي : انظر الحارث بن أسد الحنفي
ابن أبي الحصال : انظر أبو عبد الله محمد

ابن أبي الحصال

الحضر : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤

أبو الخطاب بن دحية : ٧٨٣

ابن الخطيب : انظر : لسان الدين بن الخطيب
ابن خفاجة الشقري (الشاعر) : ١٧ ،

١٢٣ — ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٤٠

ابن خلمون ، عبد الرحمن : ٢٥ ، ٣٣ ،

١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ،

٢١١ ، ٢٥٩ — ٢٦٦ ، ٤١٥

خلف الأحمر : ٣٧

خلف بن عبد الله بن طارق : ٤٣٤

ابن خلصكان : ٦٤ ، ١٣٣

خلوة (جارية) : ٦٩

خليان ربيبا : ٧٠ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٥٠ ،

٦٥ ، ١١٧ ، ١٤٢ — ١٥٢ ،

١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٨٦ ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٦٨ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٦٠٣

— ٦٠٧ —

خليل بن أسد الملك القرطبي : ٣٢٨

خليل النفاة : ٣٢٥ ، ٣٢٦

خوارزم : ٣١٢

خوان القونسو : ٥١٩

خوان أندريس : ٥٣٣ — ٥٣٦

خوان بيرث = إبراهيم تيبلي : ٥١٢

خوان ديموتيدا : ٥٨١

خوان دل إتيينا : ٦٢٩

خوان ، الدون (الملك) : انظر : الدون

خوان (الملك)

أبو الحكم عمرو الكرماني : ١٧ ، ٤٥٥ ،
٤٦١

حامد الراوية : ٣١ ، ٣٤

حمدة بنت زياد : ١٢٨

ابن حديس الصقلي : ١٥ ، ٩٧

حدين بن أبان : ٤٦١

ابن حدين ، محمد بن علي : ١٦٧ ، ٢٧٧

الحراء (قصور) : ١٤٠ — ١٤١

ابن حيد : انظر : أبو عبد الله بن حيد

الحيدى : انظر : أبو عبد الله محمد بن فتوح

الأزدى الحيدى

الحيمري : انظر : أبو عبد الله محمد بن عبد الله

ابن عبد الله الحيمري

ابن حنبل : انظر : أحمد بن حنبل

حنش بن عبد الله الصناني : ٤٢٣

أبو حنيفة النعمان : ٤١٣

حيان بن خلف بن حسين بن حيان ،

أبو صهوان : ٤٤ ، ١٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٢٠٧ ، ٢٠٨ — ٢١١ ، ٢١٦

حور مؤمل : ٤٤ ، ١٢٧

ابن حوط الله : انظر : عبد الله بن سليمان ...

ابن حوط الله البلنسي

ابن حيان : انظر : حيان بن خلف

ابن حسين

أبو حيان : انظر : أحمد الدين أبو حيان

حيوج : انظر : أبو زكريا بن داود

ابن حيون : انظر : أبو أحمد بن حيون

حي بن عبد الملك : ٣٢٨

(خ)

ابن خان : انظر : أبو نصر القتيبي بن خان

الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سميد ،

ابنا هاشم) : ٣٩

ابن الخبازة : انظر : ميمون بن الخبازة

ابن الخراز : انظر : يحيى بن عبد العزيز

ابن الخراز

الدجاج : انظر : رشيد بن محمد بن فتح
الدجاج
ابن دحية : انظر : أبو الخطاب بن دحية
ابن دراج : انظر : ٦١ ، ٦٥ ، ٦٤٠
ابن دهان : انظر : عبد الغفار بن دهان
دمشق : ٤ ، ١٠ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٦٠
دنش بن ليرط : ٤٨٩
دلس سكوتوس : ٤٩٣
دوبا ، جوستاف (المستشرق) : ٣٠٤
دوزي ، راينهارد بيتز : ١٠ ، ١٩
٧٠ ، ٥٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧
١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠
١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧
٢١١ ، ٢٤٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩
٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٤٨٧
دومنجو جنزال : ٤٩٣ ، ٥٣٧
دوميلكو كومباري : ٥٨٢
دومينيكوس جنديسالتي : انظر : دومنجو
جنزال
الدون خوان (الملك) : ٩٩
دون خوان مانيول : ٢٨ ، ٥٨١ ، ٥٨٥
٦٢٦
دوره (نهر) : ١١
ديار بكر : ١٧٢
ديجو أورتادو دي مندوتا : ١٨٠
دي خويه (المستشرق) : ٣١٧
دي ساسي : انظر : سلسن دي ساسي
دي سلان (البارون المستشرق) : ٢٦٠ ،
٣١٠
ديكارت : ٥٣٤
ديغوريط : ٢١٧
ديوسقوريدس : ٩ ، ٦٠ ، ٤٦٢
٤٦٥ ، ٤٧٤
(ذ)
ذيان (قبيلة) : ٣٤

خوان رويث (نائب الأسقف في ميثا) :
٦٢٤ - ٦٢٦
خوان قاليرا : ١٣٢ ، ١٣٦ ،
١٧٤
خوان مانيول ، الدون : انظر : الدون
خوان مانيول
خورخه ماريك : ١٣٢
أبو الحبار مسعود بن مفلح : ٢١٥ ، ٤٤١
أبو الحبار ، هارون : انظر : هارون بن
نصر القرطبي
ابن خير ، أبو بكر : انظر : محمد بن خير
ابن خير القيسي : انظر : محمد بن عبد الله
ابن عمر
الخبر الله : ١٢٦
خبران الصقلي : ١٠٩
ابن خيرة : انظر : أبو القاسم محمد بن إبراهيم
ابن خيرة
خيل بيرد : ١٩٧ ، ١٩٨
خيل د بلادوس : ٥٧٦
خيل ثيلت : ٦٢٩
خمينيت د أوربا : ٦٢٨
(د)
الماخل : انظر : عبد الرحمن بن مطوية
دار الكتب المصرية : ٢١٩ ، ٢٤٤ ،
٢٥١
دارا (ملك الفرس) : ١٢٠
دال كامو : انظر : شيلو دال كامو
داني المجيري : ٢٤ ، ٢٧ ، ٧٣ ، ٥٥١
٥٧٣ -
الدهاني : انظر : أبو الصلت أمية الدهاني
دانية : ١٣٥ ، ٢٨٤
داود الأسفهان : انظر : أبو سليمان داود
ابن علي
أبو داود : ٢١٥

رشيد البوق : بن عبد الله بن صادق : ١٥١
 رشيد بن محمد بن فتح الدباج : ٢٣٠
 الرشيد بن المعتد : ٩١ ، ١٥٧
 الرشيد ، هارون : انظر : هارون الرشيد
 ابن رشيد السبي : انظر : أبو عبد الله
 محمد بن عمر بن رشيد السبي
 ابن رشيد القيرواني : ٨٦ ، ٩٢
 الرصافة : ٥١
 الرصافي : انظر : محمد بن غالب الرصافي
 (الشاعر)
 الرعي ، إسماعيل : انظر : إسماعيل بن
 عبد الله الرعي
 الرعيني ، شرح : انظر : شرح بن محمد بن
 شرح الرعيني
 ابن الرقاء (الشاعر) : ١٢٩
 ربيع البوق : بن للمصم بن صادق : ١١٥
 ابن أبي الرغام : ١٩٥
 الرقوطي : انظر : أبو بكر محمد بن أحمد
 الرقوطي
 الركوبة ، حفصة : انظر : حفصة الركوبة
 رماة (قرية) : ٦٨
 الرمادي : انظر : يوسف بن هارون
 الرمادي
 رمضان ، شهر : ٣٢٦
 رمة بنت عثمان بن عفان : ٤١٩
 رميك (التاجر الإشبيلي) : ١٦ ، ٩٥
 رنة : ٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٩
 الرندي ، أبو البقاء : انظر : أبو البقاء صالح
 ابن شريف الرندي
 الرندي ابن عباد : انظر : ابن عباد
 الرندي
 روبرت دي رينس : ٥٣٩
 روجر يكون : ٥٣٤
 روجر الثاني : انظر : رجار الثاني
 روجريجو : ١٩٨
 ابن الرومية : انظر : أبو العباس أحمد
 ابن الرومية

ابن ذكوان ، أبو العباس القاضي : ٦٥ ،
 ٨٠

(ر)

الرازي (الطبيب الفارسي) : انظر : أبو بكر
 الرازي
 الرازي (المؤرخ) : انظر : محمد بن موسى
 وابنه أحمد بن محمد بن موسى وحفيده
 عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى
 رأس الأسطبل : انظر : رامن بن
 الثاني
 الراضي بن المعتد : ٨٩ ، ٩٢
 رامن بن محمود الثاني : ٩١
 رامن ل : انظر : رايغوندو لوليو
 رامون منندو پيدال : ١٥٥ ، ١٩٧
 رايت ، وليام (المستشرق) : ٣١٧
 رايشك (المستشرق) : ٣٣
 رايغوندو لوليو (الأسقف) : ٢٤ ، ٢٧ ،
 ٢٨ ، ٣٢٢ ، ٣٦٨ ، ٥٣٤ ،
 ٣٥٧ ، ٤٤٣ — ٥٥٠ ، ٦٢٦
 رايغوندو مارين : ٢٧ ، ٥٤٠ — ٥٤٢
 الرهبي (هيج) : ٦٩
 رهش قرطبة : ٥٢
 ربيع بن زيد (الأسقف) : ٤٨٧
 ابن ربيعة : انظر : لييد بن ربيعة
 أبو الربيع بن سالم : ١٣١
 رجار الثاني (ملك صقلية) : ٣١٣ ،
 ٦١٩
 رذمير الأول : ١٧٦
 رزين بن سارية الصبري : ٢٥ ، ٣٩٦
 ابن رزين : انظر : عبد الملك بن رزين
 الرضاطي : ٢٢
 ابن رشد ، أبو الوليد محمد : ٢٤ ، ٢٧٣ ،
 ٣٤٧ ، ٣٥٣ — ٣٦٩ ، ٤٢٧ ،
 ٤٦٩ ، ٥٠٣

ابن زهرى ، أبو الملا : انظر : أبو الملا
ابن زهرى
ابن زهرى ، أبو مهوان عبد الملك : انظر :
أبو مهوان عبد الملك بن زهر
الزهراء (مدينة) : ٦٠ ، ٤٤٠
الزهرأوى ، أبو القاسم خلف : انظر :
أبو القاسم خلف الزهرأوى
زهر بن أبي سلس : ٣١
زيد بن عبد الرحمن اللعوف ببطون : ٤٢١
زيان بن أبي الحلات : ١٣٣
زيان بن مهديش : ٢٧٧
زيد بن ثابت : ٤١٣
أبو زيد السروسي : ١٨٠
أبو زيد عبد الرحمن السبيل : ٢٣ ، ٣٩٨
أبو زيد محمد بن طي الكرخي : ٣٢
ابن زهدون ، أبو الوليد : انظر : أبو الوليد
أحمد بن زهدون الخزوي
بنو زهرى : ١٠٨

(س)

سابور (مذهب دولة بن الألفس) : ١١٧
سارة القوطية : ٢٠٢ ، ٢٠٤
ابن سارة الشنقي : انظر : أبو محمد عبادة
ابن سارة الشنقي
سافدرا ، إدواردو : ٣١٣ ، ٤٨٨ ،
٥٠٨
سالمون يهوذا : انظر : ابن جبرول
سان سرفاندو : ٥٧٦
سانشد بيريد : ٤٤٣ ، ٤٥١
سبت أبلخ (بيعة) : ٤٦٢
سبته : ٢٨٣
ابن سبعين : انظر : أبو محمد عبد الحق
ابن سبعين
سجوخو : ١١٦
سحنون بن سعيد : ١٩٤ ، ٤١٩

رياض بن مهوان : ٦٩
رياض قرطبة : ٧٤
رييرا ، خليان : انظر : خليان رييرا
ريكيونديو (الأسقف) : انظر : ربيع
ابن زيد

(ز)

الزاب : ٦٣
زاج الملبطلي : ٥٧٦
الزاهمة (مدينة) : ٦٧ ، ٦٩
زاينود (المستشرق) : ٢٢٠
الزبيدي : انظر : أبو بكر محمد بن الحسن
الزبيدي
الزرقالي : انظر : أبو إبراهيم بن يحيى الزرقالي
ابن زرقون (الفاني) : انظر : أبو عبادة
محمد بن زرقون
ابن زروقة : انظر : أبو عبادة محمد بن
إبراهيم بن زروقة
زريب : انظر : علي بن نافع
الزقاق : ٧٧
ابن الزقاق : انظر : علي بن عطية الزقاق
ابن الزكأن الأوسي : ٤٥٧
أبو زكريا بن أبي حنيس : ١٣٣ ، ٢٧٧
أبو زكريا بن داود الفارسي للنبوزميج :
٤٨٩ ، ٢٦
أبو زكريا السراج : ٣٩٠
الزلاقة : ١٧ ، ١١٦
الزخمري : ٣٤
ابن زمر : انظر : أبو عبادة محمد بن
يوسف بن زمر
ابن أبي زنين : انظر : أبو عبادة محمد
ابن أبي زنين
بنو زهر : ٢٣ ، ٤٧١
ابن زهر ، أبو بكر : انظر : أبو بكر
محمد بن زهر

سليان السنين : ٦٥ ، ٧٣
 ابن سمجون ، حامد : انظر : حامد بن
 سمجون
 ابن السج : انظر : أبو القاسم أصم بن
 محمد للهري
 ابن سمرة : ٥٨
 السموأل بن عادي : ٣٥
 السيسر الإليزي : انظر : أبو القاسم خلف
 ابن أفرج الإليزي
 ابن السمينة : انظر : أبو بكر يحيى بن يحيى
 ابن سناء الملك : ١٥٩ ، ١٦٠
 سنيكا : ٢١٧ ، ٣٢٣
 السهروردي ، شهاب الدين : ٣٧٥
 سهل بن إبراهيم الاستنجي = ابن الططار :
 ٤٤٢
 ابن سهل : انظر : إبراهيم بن سهل الإشبيلي
 (الشاعر)
 ابن سهل الضرير : ٤٥٦
 السهلا : ٣٣٤
 السهيل : انظر : أبو زيد عبد الرحمن
 السهيل
 السوس : ١٩
 سوسة : ٢٨٢
 سوق عكاظ : ٣٢
 ابن سيار : انظر : قاسم بن محمد بن سيار
 سبويه : ١٨٥
 سبجر البرامقي : ٣٦١ ، ٣٦٩ ، ٥٧٣
 السيد القمييطور : انظر : القمييطور ، السيد
 ابن السيد البطليوسي : انظر : أبو عبد الله
 ابن محمد بن السيد البطليوسي
 ابن سيد الناس : انظر : أبو بكر الحافظ
 ابن سبده : انظر : أبو الحسن علي بن إسماعيل
 سير بن أبي بكر بن تاشفين : ١٢٠
 سيف الدولة بن هود : ٢٣
 سيكو د لوتيا : ٢٢٠

ابن السراج : انظر : محمد بن السراج
 ابن أبي سرج ، عبد الله بن سعد : ٤١٣
 سرقطة : ١٧ ، ٦٥ ، ٩٠ ، ٩٤ ،
 ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ٤٦٦ ، ٣٣٣ ، ١٦٥
 سرقوسة : ٩٧
 سركامون (الشاعر) : ٦١٥
 ابن سعد الحارثي ، أبو الحسن علي : ١٣٤
 سعيد بن جودي : ٥٧ ، ٥٨ ،
 ٢٠٩
 سعيد بن عبد ربه : ١٥٦ ، ٤٦٣
 أبو سعيد بن الأعرابي : ٣٢٧
 ابن سعيد المنسي ، أبو جعفر أحمد (الشاعر) :
 ١٢٧
 ابن سعيد الفر ناطلي : انظر : علي بن سعيد
 الفرقي
 ابن سعيد الفرقي : انظر : علي بن سعيد
 الفرقي
 بنو سعيد (المنسيون ، أصحاب الغرب) :
 ٢٤٢ — ٢٤٨ ، ٢٧٣
 سفيان الأندلسي : ٢٢
 ابن سقيل : انظر : سليمان بن زقيل
 سكن بن إبراهيم : ٢١٠
 سكيا ياريلي (المسترق) : ٥٤١
 سلفتردي ساسي : ٣٣ ، ١٨٢ ، ١٨٧
 سلمة بن سعيد : ٤٣٨
 سليم بن منصور (قبيلة) : ١٩٣
 سليمان بن جبعل : ١١ ، ٤٦٥
 سليمان بن داود (وزير بني الأحمر) :
 ٢٥٧
 أبو سليمان داود بن علي الأسفهان
 الناهري : ٤١٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠
 سلمان بن زقيل (أو سقيل) : ٤٩٨ ،
 ٥٠١
 سليمان بن عبد الرحمن (الأمير) : ٥١
 سليمان بن عبد الملك : ٢٠٢

سيمونيت ، فراشكو خافير : انظر :
فراشكو حافير سيمونيت

ابن سينا : ٥٠٠

السيوطي : انظر : جلال الدين السيوطي

(ش)

ابن : انظر : أبو بكر أحمد بن مالك

الشاقي

الشاقي : ٣٩

شاد : ٨٨

الشاطبي : انظر : ابن محمد الشاطبي

الشافعي ، محمد بن إدريس : ٢١٥ ،

٣٢٤ ، ٤١٤

شاك ، البارون فون : ٤٦ ، ١٧٤

ابن أبي شاعر (الملكي للهندس) :

٤٥٧

الشام : ١٠

شبطون بن عبد الله : ٣

شهاب الدين ، موريس : ٤٨٩

ابن شخيم : انظر : محمد بن شخيم

الشرابي (قصر) : ٩٠

الشرطوسي : انظر : محمد الشرطوسي

الشرف (ناحية) : ١٠٢

ابن شرف البرجي : انظر : أبو الفضل

جفر . . . بن شرف البرجي

شلمان : ٦٠٩

شرح بن محمد بن شرح الرعيني : ٢٣٧

شريس : ١٠٩

الشمري : انظر : أبو المباس أحمد الشمري

الشمري الطائي : انظر : مهوان بن

عبد الرحمن بن مهوان بن الناصر

الشمري الترمذي (شراح مقصورة لحزم) :

١٣٣

شمرين : ٢٧٣

الشتري : انظر : أبو الحسن الششتري

الروادي آشي

الشراني ، عبد الوهاب : ٢٣٨
الشتدي : انظر : أبو الوليد إسماعيل بن محمد

الشتدي

شقوية : ٣٣٢ ، ٥٠٨

شقورة : ٩٤ ، ١٧٧

شقا بن شيا : ٣ ، ٣٢٣

شلب : ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣

الثاويين : انظر : أبو علي عمر الأزدي

الثاويين

ابن الصباط السرسطي : ٤٥٧

ابن الصمر : انظر : عبد الملك بن الصمر

ابن صنب ، محمد : ١٦١ ، ٢٧٩

شفت قالب : ١٧ ، ٣١٤

شفتري : ٣٢٣

شترين : ١٢٠ ، ٢٨٨

شنجول : انظر : عبد الرحمن بن أبي ماسر

الشفتري : ٣٤

شليل (قصر) : ٤٨ ، ١٤٠

المهرستاني : ٣٢٩

المهرزوري : ٣٢٩

ابن شهيد : انظر : أبو عامر بن شهيد

شوق صيف : ٢٢٠ ، ٢٤٥

ابن الشيخ : انظر يوسف بن الشيخ البلوي

للسائق

شيلو دال كامو : ٦١٩

(ص)

الصابوني : انظر : أبو بكر الصابوني

ابن صاحب الصلاة : ٢٤٢

ابن صادم : انظر : أبو بكر بن صادم

ابن صاوة الشنتري : انظر : أبو محمد صباغة

ابن صار

صاعد البغدادي : ١٢ ، ٦٠ ، ٦٦

— ٦٨ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ ،

٢١٠

ابن طماوس : انظر : أبو الحجاج يوسف
ابن طماوس

طنجة : ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١

أبو الطيب محمد بن أحمد بن أبي بردة : ٤٣٦

ابن طيرون ، موسى : ٤٥٦

بنو طيرون : ٢٦

ابن الطليسان : انظر : أبو القاسم قاسم بن
الطليسان

(ع)

ابن عابد : انظر : أبو عبد الله محمد بن عابد

عاصم بن زيد التميمي ، أبو القاسم : ٣ ،

٥٨ ، ٥١

عاصم بن محمد (الأفتين) : انظر :

أبو عبد الله محمد بن موسى بن زيد

ابن عاصم : انظر : أبو بكر محمد بن عاصم

أبو عاصم بن شهيد : ٧٣ ، ١٩٣ ، ٢٠٧

أبو عاصم بن عبدوس : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤

١١٩

أبو عاصم بن مسلمة : ١١٧ ، ٢١٢

ابن أبي عاصم : انظر : للتصور محمد بن

أبي عاصم

عائقة بنت أحمد : ٧٣

بنو عباد : ١٥ ، ١٩ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٥

١٠٤

ابن عباد الرندي : ٣٦٩ ، ٣٩٠

ابن عباد القاضي : انظر : أبو القاسم محمد

ابن عباد (القاضي ، صاحب إشييلة)

ابن عبادة القزاز : انظر : أبو عبد الله محمد

ابن عبادة القزاز

عباس بن فراس : ٥٨

عباس بن ناصح : ٥٨

أبو العباس أحمد الترمذي : ٧٣ ، ١٨١

أبو العباس أحمد بن الرومية : ٢٣٨

أبو العباس أحمد بن عيشون : ٢٨٠

أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى

(ابن البناء) : ٢٥٠ ، ٤٥٧

أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى : انظر :

أحمد بن محمد بن عيسى

أبو العباس أحمد الزباني : ٤٧٨

أبو العباس الرياني : ٣٧٢

أبو العباس بن الشريف : ٢٣ ، ٢٧٣ ،

٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

عبد البر بن فرسان : ١٢٩

ابن عبد البر : انظر : يوسف بن عبد البر بن

عاصم التمرى القرطبي

عبد الجبار بن المنعم : ١٠٤

عبد الجليل بن وهيبون الرسي : ١٧ ، ٩٧

١١٦

عبد الحق بن عبد الرحمن ، يعرف بابن

الحراط : ٤٧٨

ابن عبد الحكم المصري : انظر : عبد الرحمن

ابن عبد الحكم المصري

عبد الحميد بن بسيل : ٢٠١

ابن عبد ربه : انظر : أبو عمر أحمد بن محمد

ابن عبد ربه

عبد الرحمن الأزدي : انظر : أبو القاسم

عبد الرحمن بن يزيد الأزدي

عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المهندس

(يلقب بإقليدس الأندلس أو بإقليدس) :

١٢ ، ٣٣١ ، ٤٥٠

عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (الأمير) :

٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٧ ، ٢٠٨ ، ٣٢٥ ، ٥٢٧

عبد الرحمن الناخل : انظر عبد الرحمن

ابن معاوية

عبد الرحمن السهيلي : انظر : أبو زيد

عبد الرحمن السهيلي

عبد الرحمن بن أبي طاهر (شنجول) :

٦٥ ، ٧١٤

عبد الرحمن بن عبد الحكم المصري : ١٩٦

عبد الرحمن بن محمد (للرغبي) الرابع : ٢١٤

- ١٠٠، ٥٧، ١١٤، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٧٧، ٢٠٨
 عبد الله بن محمد بن تميم بن حلال : ٤٣٩
 عبد الله بن محمد بن موسى بن يزيد (الأكفيني) :
 ٢٨٢
 عبد الله بن محمد بن يحيى التميمي : ٤٣٨
 عبد الله بن المقفع : ٥٨١
 عبد الله بن يحيى بن دحون : ٢١٥
 أبو عبد الله بن الحسين بن أحمد بن الحجاج :
 ٣٩
 أبو عبد الله بن حيد (باضي بلنسية) : ٣٦٢
 أبو عبد الله الرضي : ٢٠٨
 أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد
 ابن غليون الحولاني : ٣٩٦
 أبو عبد الله قسوم : ٣٧٢
 أبو عبد الله بن الجهاد : ٣٧٢
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الجبوري : ١٧٠
 ١٠٤، ١٩٠، ٢٦٦
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زروقة :
 ٢٧٥
 أبو عبد الله محمد الإدريسي : ٢٧٠
 ٣١٢ — ٣١٦
 أبو عبد الله محمد بن الحداد الرازي آشي :
 ١١٢، ١٠٠
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحصال الفائق :
 ١٧٧، ١٢٣، ١٢٠، ٧٢
 أبو عبد الله محمد بن زرقون (القاضي) :
 ١٨١
 أبو عبد الله محمد بن أبي زنين : ١٢، ٩٠
 ٦١، ٧١، ٤٤٢
 أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علي الأنصاري =
 الطراز الترمالي : ٢٨٠
 أبو عبد الله بن محمد بن السيد البطليوس :
 ٢٣٦، ٢٣٤، ١٨٧، ٧٣
 أبو عبد الله محمد بن الطيبي : ٢١٣
 أبو عبد الله محمد بن عابد : ٢٧٥
- أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر : ٧٨، ٩١، ٩٢
 عبد الرحمن محمد بن عيسى بن قطيس ،
 أبو العارف : ٣٩٥
 عبد الرحمن محمد بن مسر : ٢٤٠
 عبد الرحمن بن مهدي بن الجليقي : ٥٠
 عبد الرحمن السطاهر بالله : انظر : عبد الرحمن
 ابن هشام الخامس
 عبد الرحمن بن معاوية الماخول : ٢، ٣، ٤٠١
 ١٩٩، ٥٢، ٢٢٣
 عبد الرحمن بن مقان الأسبوني : ١٢٢
 عبد الرحمن المهندس : انظر : عبد الرحمن
 ابن إسماعيل بن زيد
 عبد الرحمن الناصر : ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٦٣، ١٧٢، ١٦٩، ١٧٣، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٦٢، ٤٨٧
 عبد الرحمن بن هشام الخامس (السطاهر
 بالله) : ٦١، ٧٣، ٢١٤
 عبد السلام بن السمع بن نابل : ٤٣٧
 ابن عبد الشهيد ، عمر : ١١٢
 عبد العزيز الريني (السلطان) : ٢٥٦
 عبد العزيز بن الطراوة : ١٨٧
 ابن عبد العزيز ، أبو بكر (الكاتب) :
 ٩٤، ٩٣
 ابن عبد العظيم الرازي آشي : ١٦٦
 عبد الغفار بن دشلون : ١٦٦
 عبد الله بن إبراهيم الأصيل : ٤٣٨
 عبد الله بن بلسكين : ٢٤٠
 عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن
 ابن حوط الله البلنسي : ٢٣٨، ٢٩٩
 عبد الله بن عبد الرحمن الناصر : ٩٠
 ٤٣٤ — ٤٣٥
 عبد الله علي بن عبد الله : انظر : انيلمود
 تورميدا
 عبد الله بن محمد الرواني (الأمير) : ٤، ٦، ٤٠

ابن عيود : انظر : أبو عامر بن عيود
ابن عيود : انظر : أبو محمد عبد الحميد
ابن عيود الجلي
ابن أخت عيود : انظر : أحمد بن وليد
ابن عبد الحميد بن عوسجة الأنصاري

عيس : ٣٤

عبيد الله بن عمر . . . بن جعفر القيسي
الثاني : ٤٣٧

عبيد الله محمد الاستحي : ٥٧٦

عبيد بن محمود : ٥٨٠

أبو عبيدة : ٣٢

أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن عبد البكري :

٣١١ — ٣٠٩ ، ١١٣ ، ١٥

ابن عتاب : انظر : أبو عبد الله محمد بن

عتاب بن محسن

أبو العتاهية : ٣٩

عثمان بن ربيع : ٢٨٥

عثمان بن سعيد الكتاني ويصرف هرقوس :

٤٣٣

عثمان بن عثمان : ٤٣٣

عثمان بن محمد بن حامس : ٤٠٩

عثمان بن وكيل : ٤٣٣

أبو عثمان بن سعيد المعروف بالبلينة : ١٥٦

أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغوش : ٤٥٣

ابن العديم : انظر : ابن أبي جراحة

بنو عذرة : ٤٣

المراق : ١٠ ، ١١ ، ٥٣ ، ٥٦

ابن عربي : انظر : يحيى الدين بن عربي

ابن العربي : انظر : أبو بكر بن العربي

ابن الرحاء ، أبو علي : ٣٦٢

عريب بن سعد : ١٩٣ ، ٢٠٦ — ٢٠٧ ،

٤٨٧

ابن العريف : انظر : أبو العباس بن العريف

عصا الأعمى : انظر : أبو القاسم الحضري

ابن عصفور الإشبيلي : انظر : أبو الحسن

ابن عصفور الإشبيلي

أبو عبد الله محمد بن عباد الغزاز : ١١٤ ،

١٥٤ ، ١٥٧

أبو عباد الله محمد بن عبد الرحمن بن الأبار

القضاعي : ٧٣ ، ١٠٠ ،

١٣٣ — ١٣٤ ، ١٩٧ ، ٢٦٦ ،

٢٧٣ ، ٢٧٧ — ٢٨٠

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النعم

الجزري : ٣١١

أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن : ٢٧٣ ،

٢٨٣ ، ٤٢٤

أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد

السبي : ٧٥ ، ٣١٨

أبو عبد الله محمد بن فوخ الأزدي الحميري :

١٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٣٧

أبو عبد الله محمد بن الكنان : ٤٦٦

أبو عبد الله محمد بن مسر المالكي = ابن

أخت فاتم : ١٥ ، ١١١ ، ١١٢

أبو عبد الله محمد بن تاجية الوري : ١٦٥

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زريك :

٣١ ، ١٣٩ — ١٤٢ ، ١٦٦ ،

٢٥٦

عبد الملك الأسقف : ٤٨٦ ، ٥٠

عبد الملك بن جهور : ٦٣ ، ٢٠١

عبد الملك بن حبيب : ١٩٣ — ١٩٦ ،

٤١٩

عبد الملك بن رزين : ٧٨ ، ١١٦ ، ٣٣٤

عبد الملك بن سعيد : ٢٤٣

عبد الملك بن الشس : ٥٢

عبد الملك بن مروان الجزري : ٢٤٠

عبد المنعم بن عمر : ١٦٦

عبد الواحد المراكشي : ١٩ ، ٩١ ، ١١٨ ،

٢٤٨ — ٢٥١ ، ٣٥٤

عبد المؤمن بن علي : ٢٣ ، ٥٣٦

عبد الوهاب بن الحسين بن حفر : ٥٥

البديري : انظر : رزين بن معاوية البديري

أبو علي التتائي : ٢١٠
 أبو علي القالي : ١١ ، ٦٠ ، ١٧٢ ،
 ٤٤٠ ، ١٨٥
 ابن عمار : اظفر : أبو بكر بن عمار
 عمر بن حصون : ٥٥ ، ٦ ، ٧ ، ٥٧ ،
 ١٦٧ ، ٢٢٧ ، ٢٠٩ ، ٥٩ ، ٥٨
 عمر بن عبد العزيز : ٢٠٣
 عمر بن قاتل : ٢٠٨
 عمر بن نور الدين الأنصاري : ٢٥
 أبو عمر أحمد بن عفيف : ٢٠٨ ، ٢٢٣
 أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : ٦ ، ٨ ،
 ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٥٤
 ١٦٩ — ١٧٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
 أبو عمر الطائفي : ١٩٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
 ٣٣٠
 أبو عمر عبد الله بن رشيد بن النوشري :
 ٣١٨
 أبو عمر بن عباد : ٢٢٦
 أبو عمر محمد بن عفيون الشاطي : ١٦٥ ،
 ٢٨٢
 أبو عمر يوسف بن حديق : ٢٦ ، ٤٩٨
 عمرو بن كلثوم : ٣٢ ، ٣٤
 أبو عمرو بن محمد بن عيشون : ٢٨٢
 عنقرة : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤
 عياف بن موسى الجعفي : ٢٢ ، ٢٧٤ ،
 ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٣٩٧
 عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي :
 ١٩٨
 عيسى بن جابر (عيسى د جابر) : ٥٠٨
 عيسى بن قطيس : ٢٢٠
 ابن أبي عيسى الباقلي : ٢٠١
 أبو عيسى بن ليون : ١٧ ، ١١٦
 أبو العيش : ٥٧٦

ابن المطار : اظفر : سهل بن إبراهيم
 الاستجى
 ابن عفيف : اظفر : أبو عمر أحمد بن عفيف
 ابن عفيون الشاطي : اظفر : أبو عمر محمد
 ابن عفيون الشاطي
 عقيل بن عطية : ٢٣
 أبو العلاء بن زهر : ٢٢ ، ٢٣٦
 أبو العلاء للمري : ٤٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٣
 أم العلاء الحجازية : ٧٣
 ابن هلاف (الشاعر) : ٣٩
 ابن هلفة : اظفر : محمد بن هلفة
 علي بن الإمام السرقسطي : ٣٣٨
 علي بن حريق : ١٦٥
 علي بن حصن : ١٥ ، ٤٤ ، ٨٨
 علي بن حمود الحسني : ٦٥
 علي بن خلف (الفيلسفي) : ٥٧٦
 علي بن سميد الغري : ٢٤ ، ١٢٣ ،
 ١٣٥ — ١٣٧ ، ١٦٦ ، ٢١١
 ٢٧١ ، ٣١٨
 علي بن أبي طالب : ٥٢٥
 علي بن عطية ، بن الزقاق (الشاعر) :
 ١٢٣ ، ١٢٤
 علي بن القاسم الصنهاجي : ٤٤٣
 علي بن نافع ، زرواب : ٤٤ ، ٥٢ — ٥٤ ،
 ٥٢٧
 علي بن يوسف بن تاشفين : ١٩ ، ١٢٠ ،
 ١٧٧ ، ٢٩٧
 أبو علي بن الحسين بن علي القاسي : ٢١٣
 أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن جيون
 ابن سكره الصدق ، يعرف بابن
 المدراج : ٢٧٤ ، ٢٧٩
 أبو علي بن سكره الصدق : اظفر : أبو علي
 الحسين ... بن سكره الصدق
 أبو علي عمر الأزدي النابلي : ٧٣ ، ١٦٦ ،
 ١٨٦ ، ٢٤٤

(ف)

القاع : انظر : مكتبة القاع باستانبول
 فادريك : ٥٧٤
 القارابي : ٥٠٠
 فارس : ١٠
 فاس : ٢٥
 قاليرا ، خوان : انظر : خوان قاليرا
 فايان : ١١٩ ، ٢٤٨
 فبريزي أكوپندقي : ٥٣٤
 الفصح بن خاتن : انظر : أبو نصر الفصح
 ابن خاتن
 ابن قصون : انظر : أبو بكر محمد بن قصون
 الأورولي
 لحس البلوط : ٤٣٩
 أبو القدا : ٢٤٨
 فرائسكو خافير سموليت : ٣١١ ، ٤٨٨
 فرائسكو فرناندز إبي جشالت : ٦٠٠
 ابن فرج الإلبيري : انظر : أبو القاسم خلف
 ابن فرج الإلبيري = السمسير
 ابن فرج الجبائي : ٤٣ ، ٦١ — ٦٢
 ابن فرحون : ٢٦٦
 فهدريك الثاني : ٣٨٨ ، ٦١٩
 ابن فرسان : انظر : عبد البر بن فرسان
 ابن الفرغى : انظر : أبو الوليد عبدة ...
 المعروف بابن الفرغى
 فرغيط : ١٧٧
 فرغوريوس الصوري : ٣٢٩
 ابن فرقد : انظر : أبو القاسم إبراهيم
 ابن فرقد
 فرناندو الثالث : ١٣١ ، ٥٧٧
 قرنا : ٢٩
 قسنط (للتعرق) : ٣١٠
 فضل (مقية) : ٥٤

ابن عيشون ، أبو العباس أحمد : انظر :
 أبو العباس بن عيشون
 ابن عيشون ، أبو عمرو محمد : انظر : أبو عمرو
 محمد بن عيشون

(غ)

الغازي بن فريس : ٤١٨ ، ٣
 الغافقي ، أبو جعفر أحمد : انظر : أبو جعفر
 أحمد بن محمد بن السيد الغافقي
 أبو غالب تمام بن غالب التلياني : ١٨٩
 ابن أخت تام : انظر : أبو عبد الله محمد
 ابن مصر المالكي
 ابن غانية : انظر : يحيى بن غانية للبورقي
 غريب بن عبد الله : ٥٨ ، ٤
 غرسية فوس : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٨ ،
 ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ،
 ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ،
 ٨٣ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٢٣ ،
 ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،
 ١٤٠ ، ٢٠٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ،
 ٣٠٢ ، ٣٥١ ، ٦٦١
 غرناطة : ١٥ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ،
 ٤٤ ، ٩٩ ، ١٠٧ — ١٠٩ ،
 ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ،
 ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ — ١٤٢ ،
 ١٦٦ ، ١٩٦ ، ٢٥١ — ٢٦٦ ،
 ٥٠٧
 الغزال : انظر : يحيى بن حكم الغزال
 الغزالي : انظر : أبو حامد الغزالي
 غزلان (جارية) : ٥٣
 ابن غلبون : انظر : أبو عبد الله ...
 ابن غلبون الخولاني
 غلبوم الطيب : ٦١٩
 النقي بالله : انظر : محمد النقي بالله (سلطان
 غرناطة)
 غيطلة : ١٩٣ ، ٢٠٢

أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي:

٢١٣

أبو القاسم قيد بن نجم: ٤٦٧

أبو القاسم قاسم بن الطليسان: ٢٨٠

أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة = ابن

للواصي: ١٧٨، ١٦٥

أبو القاسم محمد بن عباد (الفاخي، صاحب

إشبيلية): ٨٦

أبو القاسم محمد بن فخر الدين الشافعي: ٤٠٦

أبو القاسم بن وضاح: ٣٦٢

تاسيون (جبل): ٣٧٦

العالى: اظفر: أبو علي الفأل

فأل فلا: ١٧٢

القاهرة: ٢٦٠، ٢٥٠، ١٠

القبلى القرطبي: اظفر: أبو بكر حسن بن

مفرج الشافعي

ابن القبطونة: اظفر: أبو بكر عبد العزيز

ابن القبطونة

ابن القبطونة: اظفر: أبو الحسن بن سعيد

ابن القبطونة

بنو القبطونة: ١٢٣

ابن قتيبة: ٣٦

ابن الفرائز: اظفر: أبو جعفر بن الفرائز

قرطاجنة: ١٢٣

قرطبة: ١٨، ١٤، ١٣، ٨، ٦، ٣، ١٨، ١٤، ١٣، ٨، ٦، ٣

٨٠، ٧٧، ٨٦، ٩٣، ٩٨، ٩٥، ١٣٥، ١٣١، ١٢٧، ٩٨، ٩٥

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٩٣، ١٩٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٨

٤٨٨

ابن قرقل (أو قرقول): اظفر: أبو إسحق

إبراهيم بن قرقل (أو قرقول)

قرمان: ٥٨، ٥١

قرونة: ١٠٩

قريش: ٣٢

أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله محمد بن

شرف البرجي: ١١٠، ١١١

ابن فطيس: اظفر: عبد الرحمن بن محمد بن

عيسى بن فطيس، أبو للطرف

الفتنجدي: ١٨١

القولجا: ٣١٢

ابن أبي القياض: اظفر: أحمد بن سعيد بن

أبي القياض

فخر بن: ٥٨٤

فهد بن نجم: اظفر: أبو القاسم قيد بن نجم

ابن فخر الدين: اظفر: أبو القاسم محمد بن

فخر الدين الشافعي

فلون الإسكندري: ٣٢٩

(ق)

قاسم بن أصبغ: ٢٠٧، ١٧٤، ١٩

٣٩٤

قاسم بن محمد بن سيار: ٤٣١ — ٤٣٢

أبو القاسم إبراهيم بن فرقد: ١٣١، ٢٨٠

أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي للزمل:

٣٧٣، ٣٧١، ٣٣٢، ٢٣

أبو القاسم أصبغ بن محمد للهري، ابن السمح:

٤٤٩

أبو القاسم بن حبش: ٧٧٦

أبو القاسم الحضري (عصا الأعمى): ١٥٧

أبو القاسم خلف الزهراوى: ١١، ٤٦٥

٥٣٩، ٥٣٤

أبو القاسم خلف بن عبد الملك = ابن

بشكوال: ٢٢، ١٨١، ٢٦٦

٢٧٣ — ٢٧٧

أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري =

السميسر: ١١٢، ١١٣

أبو القاسم ساعد بن عبد الرحمن الطليطلي:

١٧، ٢٠٧، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠

٣٢٩، ٣٢٣

(ك)

- القزاز : انظر : أبو عبد الله محمد بن عبادة
القزاز
ابن قزمان (الزحال) : انظر : أبو بكر محمد
ابن عبد الملك بن قزمان
القزويني : ٧٨
قسطل بن لوفا : ٥٧٦
قسطله دراج : ٦٥
قسطنطين الهامج : ٤٦٢
القسطنطينية : ٢٩٨ ، ٣٠ ، ٣٤
قسوم : انظر : أبو عبد الله قسوم
ابن قسي : انظر : أبو القاسم أحمد بن الحسين
بن قسي الرزلي
بنو قسي : ٥
قشالة : ٢٣ ، ٢٧ ، ١٣٧ ، ٢٥٩
القصر الكبير : ٢٣٩
ابن القصور : انظر : أبو جعفر عبد الرحمن
ابن أحمد الأزدي
قطلوية : ٥٠٣
القطلبي : ٣٢٩
القنصاضي : انظر : أبو الحسن علي بن محمد
ابن علي القرشي
قلعة أيوب : ٢٧٧
قلعة رباح : ٤٣٩
قلعة محصب : ٢٩٦
القنقاط : انظر : محمد بن يحيى القنقاط
قلم (مثنية) : ٥٤
القيطور ، السيد : ١٧ ، ٧٧ ، ١١٦ —
١١٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ٦١٢

(ل)

- لابرويير : ٢١٧
لافونتي الكاتلوا : ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٥٢
لايسيك : ٥٠٠
لايدن : انظر : مكتبة لايدن
ابن اللبابة : انظر : أبو بكر محمد بن عيسى
ابن عبد الغني الهادي

- لنتورية : ٣١٩
القطرة : ٦٩
ابن القوطية : انظر : أبو بكر محمد بن
عمر بن عبد العزيز بن القوطية
قونة : ٢٧٥
القيروان : ٣٢٧

مالقة : ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٨
 مالك بن أنس : ٣ ، ١٩٢ ، ٤١٤
 ابن مالك : انظر : جمال الدين محمد بن عباد
 ابن مالك
 المؤمن بن ذي النون : ١٥٧ ، ١٧٥ ،
 ٧١٢ ، ٥٧٦
 النصف البريطاني : ٧٨٤
 منة (جارية) : ٥٤
 النطس (الشاعر) : ٢٤
 النقي ، أبو الطيب : ٤٠ — ٤٩ ، ٤٢ ،
 ١٠٥ ، ٨٦ ، ٨١ ، ٦٤
 النوكل بن الأنطس : ١١٧ ، ٧٨ — ١١٨ ،
 ١٥٨ ، ١٢٠
 أبو النوكل : ١٦٥
 عاهد الصقلي : ٩٧ ، ١٠٧
 ابن المجاهد : انظر : أبو عبد الله بن المجاهد
 ابن مجيد : انظر : يحيى بن مجير
 ابن علس : انظر : عثمان بن محمد بن علس
 محمد بن أحمد بن حرب : ٢٥ ، ٢٩ ،
 محمد التميمي : ١٦
 محمد بن تومنت : ٢٣ ، ٢٣٨ ، ٣٦٢
 محمد بن أبي الخطاب القرشي : ٣٢
 محمد بن خير بن عمر بن خليفة : ٢٢ ،
 ٢٨١
 محمد بن رمضان : ٥٢٠
 محمد بن السراج : ٤٨٢
 محمد بن سليمان المكي = ابن الوروري :
 ٣٢٨
 محمد بن شخيم (الشاعر) : ٦١
 محمد الفرطوسي : ١٨
 محمد بن صقر : ١٢٩
 محمد بن عبد الجبار الهدي : ٦٥
 محمد بن عبد الرحمن (الأمير) : ٦١ ، ٥٧ ،
 ١٠٩ ، ٢٢٤ ، ٤٠٧ ، ٤٣١ ،
 ٤٦١
 محمد بن عبد الرحمن النساني : ١٣١

ابن لبراط : انظر : دناش بن لبراط
 لبلة : ٢٠٩
 ابن ليون : انظر : أبو عيسى بن ليون
 لييد بن ربيعة : ٣٢
 لحم (قبيلة) : ١٠٦
 لدرين : ١٩٨ ، ١٩٩
 لسان الدين بن الخطيب : ٢٥ ، ١٠٥ ، ٦٤ ،
 ١١٩ ، ١٣٧ — ١٣٩ ، ١٦٦ ،
 ٢١٠ ، ٢٥٢ — ٢٥٩ ، ٣٠٢ ،
 ٣٣١ ، ٤٨٢
 لغت : ٢٨٠
 لحنوة (قبيلة) : ١٩
 لوب دقيجا : ٥٩٣ ، ٥٩٤
 لورقة : ١١٦ ، ٢٧٦
 لورنودي مدني : ٦٢٠
 لول : ٢٦ ، ٥٠٩
 لويس شيخو : ٢٣٩
 لينتز : ٣٥٩
 ليرة : ٢٧٦
 ليفي بروفسال : ١٥٨ ، ٢٠٨ ، ٢٢٠ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٩٠ ،
 ٣١١
 ليفي بن التبان : ٤٩٨
 ليفي بن جرسون : ٥٠٣
 ليون : ١٢
 ليوناردو اليزي : ٥٣٤

(م)

ابن ماء السماء : انظر : أبو بكر عبادة بن
 ماء السماء
 ابن الماحشون : ٥
 ماردة : ٥
 ماركوس بيرث : ٨٣٠
 ماركوس يوسف مولر : ٢٧٩ ، ٣٥٧
 مارية القبطية : ٢٧٨
 ماسينون : ٤٣

أبو محمد عبد الله بن ساره (أو ساره)
الشتري: ٨٦، ١٢١

أبو محمد عبد الحميد بن عبدون الجبلي: ١٦،
١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ٤٦١،
٤٦٧

أبو محمد علي بن حزم القرطبي: ٩، ١٤،
٤٣، ٥٨، ٦١، ٦٨، ٧٤،
٧٧، ١٧٤، ١٨٩، ٢٠٧،
٢١٣ — ٢٣٩، ٢٣٣، ٢٣٩،
٣٣١، ٤٢٦، ٥٠٣

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن هنان
الحري: ١٨٠

عبي الدين بن عري: ٨، ٢٤، ١٣٣،
١٦٥، ١٦٦، ٢٣٨، ٣٣٢،
٣٣٣، ٣٦٩، ٣٧١،
٣٨٦، ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٤٥،
٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩،
٥٦٤

ابن غارق: انظر: خلف بن عبد الله
ابن غارق

الحزوي: انظر: أبو بكر الحزوي
أبو الخفي: انظر: حاتم بن زيد التميمي
مفوسه الحديث الكمالية: ٢٨٤
مدرسة الدراسات العليا بمصر: ٢٨
مفوسه للتزويج جليلية: ٧٧، ٣٦٧،
٥٧٢

للمدرسة للتصوير: ١٨٨
مدريد: ١١، ٣٣٤، ٥٩٨
مدغليس: انظر: ابن الحاج
للدور: ١٠٩
ابن مدير: ٢٧٥
ابن المديني، محمد بن حزم بن سكر:
٣٢٧
مدينة سالم: ٧٠، ٤٢٣
مرار القصص: ٣٤

محمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسي:
٣٢٠

محمد بن عبد الله بن مسرة: ٨، ٢٦٨،
٣٢٦ — ٣٣٢، ٤٩٣

محمد بن عبد الملك بن أمين: ٩، ٣٩٥
محمد بن عتاب: انظر: أبو عبد الله
محمد بن عتاب بن حسن
محمد بن علقمة: ١١٦

محمد بن علي بن هاني: ٣٠٢
محمد بن عيسى الإلبيري: ٣٣٢
محمد بن غالب الرصاصي (القاهر): ١٣٠
محمد الثاني باقة (سلطان قرطبة): ١٣٨،
١٤٠، ١٤١

محمد بن فرج بن الطلائع: ١٤، ٤٢٧
محمد بن مزين: ٥، ٢١٢
محمد بن من: انظر: ابن صادق، القصم
محمد بن فرج الماغري (عرف بالثقي):
٣٣٠

محمد بن للنذر النمساوي: ٤٣٩
محمد بن موسى الرازي: ٨، ١٩٣، ١٩٦،
٢١٠

محمد بن النحاس: ١٨٨
محمد بن هاني الإلبيري الإشبيلي: ٨، ٦١،
٦٣ — ٦٤، ١٥٧

محمد بن وضاح بن بزيغ: ٣٩٤
محمد بن وهب بن ميقيل: ٣٧٧
محمد بن يقي: ٣٣٠
محمد بن يحيى بن أحمد بن الحنا: ١٢،
٤٢٢

محمد بن يحيى القفاط: ٦، ٥٨
محمد بن يوسف الشلي: ٢٤٠
محمد بن يوسف الوراق: ٣٠٩
ابن محمد الشاطبي: ١٦٥
أبو محمد عبد الحق بن سبعين: ٢٤،
٣٨٦ — ٣٩٠

٥٧٦ ، ٤٧٦
 ابن مسلمة : انظر : أبو طاهر بن مسلمة
 مسوفة (قبيلة) : ١٩
 مشاق البصرة : ١٨٠
 المشرق (مجلة) : ٢٧٩
 مسلم بن يقوب : ٥٠١
 مصاييح (جارية) : ٥٤
 المصنف : انظر : أبو جعفر بن عثمان المصنف
 مصر : ٣٣ ، ١٢٥
 أبو الطرف عبد الرحمن بن واند القاضي
 الأندلسي : ١٦ ، ٣٣٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧
 ٤٦٨ — ٤٦٧
 الظفرين الأفلس : ١٦ ، ١١٧ — ١١٨ ، ٣٩٧
 ابن للقر : ٣٩
 المصم بن صلاح : ١٥ ، ١١٠ — ١١٣ ، ١٥٤
 آل المصم بن صلاح (صاحب المربة) :
 ١١٦ — ١١٣
 المصنف بن عباد : ١٥ ، ٨٥ ، ٨٦ — ٨٩ ، ١٠٠ ، ٩٨ ، ٩٠
 المتضد المياني : ٨٧
 المتضد بن عباد : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٨٨ ، ٨٥ — ١٠٧ ، ١٢٠ ، ٣١٢ ، ٢١٦ ، ١٣٩
 للمري : انظر : أبو العلاء المري
 للمزقاتلي : انظر : أبو عيم معد بن النصور
 أبو معسر : ٥٣٨
 ابن العلم الطنجي : انظر : أبو يحيى بن العلم الطنجي
 ابن معسر ، عبد الرحمن : انظر : عبد الرحمن ابن محمد بن معسر
 ابن معسر المالكي : انظر : أبو عبد الله محمد بن معسر المالكي

مراكش : ٧٣ ، ٧٤ ، ١٣٥
 مريطر : ١٧ ، ١١٦
 للررضي : ٦٥
 ابن مرتليل : ٤٠٨
 ابن مرتين : ٨٥
 ابن مهديش ، محمد : ١٢٨ ، ١٦٥ ، ٢٤٢
 مهسية : ١٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٣٣ ، ٢٧٦ ، ١٦٥ ، ٥٧٣
 ابن المرعزي : ١٦٥
 مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن الناصر (يكنى أبا عبد الله) ويلقب بالعرف الطليق : ٧٢ ، ٧٣
 أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ابن حيان : انظر : حيان بن خلف ابن حسين
 مريانو دي پانو لي رواتا : ٥٧٢
 مريم بنت أبي يقوب القيصولي : ٧٣
 المربة : ٣٣٧
 أبو مروان عبد الملك بن زهر : ٧٢ ، ١١٨
 ابن مزين ، محمد : انظر : محمد بن مزين ابن مزين ، يحيى : انظر : يحيى بن إبراهيم ابن مزين القرطبي
 المستظهر : انظر : عبد الرحمن بن هشام الخامس
 السمين بن هود : ١٧٦
 المشككي بالله : ٨٠
 المستنصر : انظر : الحكم الثاني المستنصر المسجد الجامع بقرطبة : ٦٥ ، ١٩٤
 ابن مسرة : انظر : محمد بن عبد الله ابن مسرة
 ابن مسعود (الشاعر) : ٢٢ ، ٧٢
 مسلمة بن القاسم : ٨
 مسلمة الجرجاني : ١١ ، ٣٣٣ ، ٤٤٨ ،

- معبد بنسية د دون خوان بنديد : ٥٩٥
 ابن ميث : ١٧
 أبو النيرة بن حرم (الوزير) : ١٧ ،
 ٧١-٦٩
 للفضل : ٣٣ ، ٣٢
 ابن مفلت ، أبو الحيار سمود : انظر :
 أبو الحيار سمود بن سليمان بن مفلت
 ابن مقانا الأصبوني : انظر : عبد الرحمن
 ابن مقانا الأصبوني
 مقبرة باب مغزوت : ٣٥٦
 مقبرة الخير : ٧٤
 مقبرة الرض : ٦٩
 مقبرة مومرة : ٢٧١
 المقدر بن هود : ١٧ ، ٧٨
 مقدم بن ممالي القري : ٦ ، ٢٩ ،
 ١٥٣-١٥٦ ، ١١٣
 للقري ، أبو العباس أحمد : ٨١ ، ٨٦ ،
 ١١٨ ، ١٣٢ ، ٣٠٢
 القريزي ، تق الدين : ٢٣٨ ، ٣١١
 مكتبة الإسكريال : ٢٠٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٧ ، ٣٥١ ،
 ٣٥٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٥٣٣ ،
 ٦٠١ ، ٦٠٠
 المكتبة الأهلية ياروس : ٢٨٩ ، ٣١٣
 المكتبة الأهلية بنديد : ٣٥٧ ، ٣٨٦
 مكتبة أ كسفورد : ٧٨٩ ، ٣٣٧ ، ٤٩٩
 مكتبة برلين : ١٨١ ، ٣٣٧
 للمكتبة البودلية : ١٩٤
 مكتبة جوتا : ٢٨٩
 للمكتبة العربية الإسبانية : ٢٧١
 مكتبة الفاع باستمبول : ٤٧٤
 مكتبة لاهن : ١٨٨ ، ٤٥٨
 مكتبة الحشم للملك الإسباني قنارخ : ٣١ ،
 ١٧٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
 ٢٨٩ ، ٤٤٣
 أبو مكنوم ميسى المروي : ٣٩٦
- مكرم بن سعيد : ١٥٤
 مكناسة : ١١٧
 مكا : ٣٢ ، ٢
 مكي بن أبي طالب : ٩
 مشور أطلونيا : ٢٠٨ ، ٢٥٨
 للملك الصالح : ١٣٥
 ابن ممان : ٢٩٣
 مناجم بن سروق الطرطوشي : ٤٨٩
 منازجرد : ١٧٢
 منت لشم = كازا مونتينا : ٢١٦
 ابن منليل : انظر : أحمد بن فرج بن منليل
 منفر بن سعيد البلوطي : ٩ ، ٢٠١ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤٠
 المنذر بن هود : ١٠٧
 المنصور محمد بن أبي عامر : ١١ ، ١٢ ،
 ١٣ ، ٤٥٥ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٠٧ ،
 ٢٠٨ ، ٧٣٦ ، ٧٤٠ ، ٣٣٢ ،
 ٣٣٣ ، ٤٠٥ ، ٤٥٠ ، ٤٦٣ ،
 ٤٦٦
 أبو منصور بن جبر : ١٨١
 منتدق بيدال : انظر : رامون منتدق بيدال
 للهدية : ٩٨
 ابن اللوامني : انظر : أبو القاسم محمد بن
 إبراهيم بن خيرة
 موان د مونتودون : ٦١٧
 للؤمن بن هود : ١٧ ، ١٧٢
 مورانا ، الأب : ٣٥٧
 مورلي : ٥٣٤
 مورور : ١٠٩ ، ١٣١ ، ٤٣٧
 ابن للوروري : انظر : محمد بن سليمان العكي
 موريس الإسباني : ٣٦٨
 موسى بن جدير الحاجب : ٢٠١
 موسى بن سائوك : ٤٨٩
 موسى سقرعي : ٥٧٩
 موسى بن عزرا : ٤٩٨
 موسى بن عمران الليرقي : ٣٧٢

النفري : انظر : أحمد بن حارون النفري
 تقفور فوكاس : ٢٣٧
 النهرجوري : ٣٧٨
 أبو نواس : ٥٦ ، ٣٩ ، ٥
 ابن النوشري : انظر : أبو هر عبد الله
 ابن رشيد
 ذو النون المصري الإخيمى : ٢٧٨
 بنو قى التون : ١٦
 نونة طلبة بنت ابن اللقي : ٣٧٧ ، ٣٨٦
 النيسابورى : انظر : عبد بن النضر النيسابورى

(ه)

هارون الرشيد : ٥٦ ، ٤١٣
 هارون بن نصر القرطبي ، يكنى أبا الخير :
 ٤٣٣
 هارون بن عبد شفيق : ٥٠٠
 ابن هاني : انظر : محمد بن علي بن هاني
 ابن هاني : انظر : محمد بن هاني الإلييري
 الإشبيل
 ابن هاني الإشبيل : انظر : عبد بن هاني
 الإلييري الإشبيل
 ابن هاني الإلييري : انظر : محمد بن هاني
 الإلييري الإشبيل
 هرمان الأمانى : ٣٦٧
 هرمان حر حاتم : ٦١٨
 هرمان الجمالنى : ٥٣٩
 الحروى : انظر : أبو مكتوم عيسى
 هشام بن أحمد السكتاني الرقشى : ١١٦ —
 ١١٧
 هشام بن الحسك اللؤمى : ١١ ، ٦٢ ، ٦٤ ،
 ٤٣٦ ، ١٨٥ ، ٦٥
 هشام الرضى بن عبد الرحمن : ٤ ، ٢٠٠
 الحمداني : انظر : أحمد بن سعيد الحمداني
 ابن هند ، عمرو : ٣٤
 ابن الهندى القرطبي : ٤٤١
 هنرى پيرس : ٣١ ، ٢٨٧

موسى بن ميمون : ١٧ ، ٢٤ ، ٣٦١ ،
 ٤٥٤ ، ٥٠٧
 موسى القزوينى (أو الأربونى) : ٣٣٧ ،
 ٣٤١ ، ٣٥١ ، ٥٠٣
 مولر : انظر ماركوس يوسف مولر
 مونك : ٢٣٧
 ميخائيل فاسكو فليوس : ٦٢٨
 ميخائيل الأسكتندى : انظر : ميكل سكوت
 ميخائيل القزيرى : ٧١٧
 ميكل سكوت = ميخائيل الأسكتندى :
 ٣٦٧ ، ٥٣٩
 ميلياس فاليكروسا : ١٥٥ ، ٤٥١ ،
 ٤٩٨ ، ٤٩٩
 ميمون بن الحجازة : ١٢٩
 ابن ميمون : انظر : موسى بن ميمون

(ن)

الناطقة الدياني : ٣٢ ، ٣٣
 ابن نابل ، عمر : انظر : عمر بن نابل
 ابن ناجية : انظر : أبو عبد الله محمد بن ناجية
 الناصر : انظر : عبد الرحمن الناصر
 النباى : انظر أبو الباس أحد النباى
 النباهى : انظر : أبو الحسن النباهى
 نجدة الحيرى : ٢٠١
 النحاس : انظر : أحمد بن محمد بن إسماعيل
 النحاس
 النحلي (الشاعر) : ١١٧
 نزهون بنت الفلامى : ١٢٥ ، ١٦٥
 نسطاس بن جريج : ٤٦٢
 أبو نصر الفتح بن خلطان : ٢٢ ، ٨٤ ،
 ٩٦ ، ١١٩ ، ٢١١ ، ٢٥٧
 ٢٩٦ ، ٢٩٩ — ٣٣٦ ، ٧٨٩
 بنو نصر (أصحاب غرناطة) : ١٣٧
 ابن النفرلة : انظر : إسماعيل (سمويل)
 ابن النفرلة ويوسف بن إسماعيل بن
 النفرلة

الوليد بن عبد الملك : ١٧٦
 أبو الوليد أحمد بن زيدون الخزوي : ١٤
 ١٥ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٨٠ — ٨٦
 ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١١٩
 أبو الوليد إسماعيل بن عبد القندي : ٧٨
 ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٦٦ ، ٢٩٩ —
 ٣٠٧

أبو الوليد بن جهور : ٨٣ ، ٨٤
 أبو الوليد بن حبيب : ٨٨
 أبو الوليد سليمان الباجي : ١٤ ، ١٧٤
 ٢١٥ ، ٢٢٤ — ٢٢٦
 أبو الوليد عبد الله بن نصر الأزدي القرطبي
 المعروف بابن القرظي : ١٢ ، ٧١
 ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ —

٢٧٢
 أبو الوليد الوقفي الطليطل : ١٦ ، ١٧
 ١٨٦
 أبو الوليد يونس بن الصفار : ٢١٥
 وهب بن ممرة : ٢٠٧
 أبو وهب عبد العل بن وهب : ٣٢٥
 ابن وهبون : انظر : عبد الجليل بن وهبون
 للرسي

(٥)

يبرة : ١١٨
 يابسة : ١٣٥
 ياقوت الخوي : ٢٣٧
 يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي : ٤١٩
 يحيى بن إسماعيل الياسي : ٤٥٧
 يحيى الجزار (الشاعر) : ١٢٧
 يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز :
 ٤٣٤
 يحيى بن غايه البورقي : ١٢٩
 يحيى بن حكم التزالي : ٥٤ ، ٥٥ — ٥٦
 ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٦٠٣

حنيفة (جارية) : ٥٣
 هوتو : ٤٨٧
 بنو هود : ١٧ ، ٢٣ ، ١١٢ ، ١٢٢ ،
 ٤٥٤
 هونشتاوغن : ٦١٩
 هويه ، پير دانييل : انظر : پير دانييل هويه
 الهيم بن أحمد بن أبي غالب : ١٦٥
 ابن الهيم ، عبد الرحمن بن إسحاق : ٤٦٣

(و)

وادي آشي : ١٤٢ ، ٣١٩ ، ٣٤٨
 وادي الحجارة : ٣٠٩
 الوادي الكبير : ٤٤ ، ١٧٥ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠
 وادي لك : ١٧٥
 ابن واضح ، محمد : ٩
 واط (حصن) : ١٩٣
 ابن وائد : انظر : أبو للمرف عبد الرحمن
 ابن وائد الغني الأندلسي
 الوراق : انظر : محمد بن يوسف الوراق
 وشقة : ٥٧٩
 ابن وضاح : انظر : أبو القاسم بن وضاح
 وقتس : ١١٦
 الوقفي ، أبو جعفر : انظر : أبو جعفر
 الوقفي
 الوقفي الطليطل : انظر : أبو الوليد الوقفي
 الطليطل
 الوقفي ، هشام : انظر : هشام بن أحمد
 الكتاني الوقفي
 ابن وكيل الزاهد : انظر : أحمد بن وكيل
 الزاهد
 ابن وكيل ، مهان : انظر : مهان بن وكيل
 ولادة بنت للسكني : ١٤ ، ٨٠ — ٨٤
 ١٢٧
 ولة : ٨٩

يحيى بن ذى النون : ٢٣٩
 يحيى بن مجير : ١٢٩
 أبو يحيى بن العلم الطنجي : ٢٩٩
 يحيى بن هذيل : ٢٥٢
 يحيى بن يحيى اللبني : ٤
 يعرب : ١٠٦
 يعقوب بن أبا ملوى : ٥٠٣
 يعقوب بن دانا : ٥٠٠
 يعقوب الفيروزي : ٥٠٢
 يعقوب النصور الموحدي : ١٢٦ ، ٢٣
 يعقوب بن سعيد بن محمد بن عبد الله اللخروي
 بابن الحجاج : ٣٩٥
 ابن يسور ، أبو الفتح جمال الدين موسى :
 ١٣٥
 يهودا الجزيري بن شلومون : ٥٠٩
 يهودا بن طيبون : ٤٩٩
 يهودا بن ليثي (حاليقي) : ٢٤ ، ٤٩٩
 يهوذا بن داود : انظر : أبو زكريا
 ابن داود
 يهوذا الكوهن : ٥٧٥
 يهوذا بن موسى بن موسكا : ٥٧٦
 يوحنا الجلودستي : ٥٣٤
 يوحنا بن داود الإسباني : ٥٣٧ ، ٥٣٨
 يوحنا القمشنق : ٥٨٦
 يوحنا الصليبي : ٣٩٠
 يوحنا كبلر : ٥٣٥
 يوحنا هنريوتينا : ٣١٣
 يوسف بن الأحمر ، أبو الحجاج (صاحب
 غرناطة) : ٣١٩
 يوسف بن تاشفين : ١٨ ، ١١٤ ، ١٢٠ ،
 ١٢٣
 يوسف القبرلي ، أبو الحجاج : ٣٧٧
 يوسف بن الشيخ البلوي اللاتي : ١٧٩
 يوسف بن إسماعيل بن النخلة : ١٠٨
 يوسف بن عبد البر بن حاتم النخري القرطبي :
 ١٦ ، ١١٨ ، ٢١٠ ، ٣٩٦
 يوسف بن عيسى ، أبو الحجاج : ١٨٦
 يوسف القهري : ١٩٩
 يوسف بن محمد الحماني : ٤٣٧
 يوسف بن هارون الرمادي (أبو عمر) :
 ١٢ ، ٦١ ، ٦٨ — ٦٩ ، ١٥٣ ،
 ١٥٦
 يولجبيوس : ٥٠٩ ، ٥٧١
 يونس بن أحمد الحرائي : ٩ ، ٤٦١ ،
 ٤٦٧
 يوحنا بوكنتورف : ٥٠٠

يحيى بن ذى النون : ٢٣٩
 يحيى بن مجير : ١٢٩
 أبو يحيى بن العلم الطنجي : ٢٩٩
 يحيى بن هذيل : ٢٥٢
 يحيى بن يحيى اللبني : ٤
 يعرب : ١٠٦
 يعقوب بن أبا ملوى : ٥٠٣
 يعقوب بن دانا : ٥٠٠
 يعقوب الفيروزي : ٥٠٢
 يعقوب النصور الموحدي : ١٢٦ ، ٢٣
 يعقوب بن سعيد بن محمد بن عبد الله اللخروي
 بابن الحجاج : ٣٩٥
 ابن يسور ، أبو الفتح جمال الدين موسى :
 ١٣٥
 يهودا الجزيري بن شلومون : ٥٠٩
 يهودا بن طيبون : ٤٩٩
 يهودا بن ليثي (حاليقي) : ٢٤ ، ٤٩٩
 يهوذا بن داود : انظر : أبو زكريا
 ابن داود
 يهوذا الكوهن : ٥٧٥
 يهوذا بن موسى بن موسكا : ٥٧٦
 يوحنا الجلودستي : ٥٣٤
 يوحنا بن داود الإسباني : ٥٣٧ ، ٥٣٨

ب - أعلام إفريقية أو وردت بغير العربية

- | | |
|------------------------------------|---|
| Alcántara, Lafuente : ٢٠٢، ١٩٨ | Diego Hurtado de Mendoza : ٥١٨ |
| Abraham Halevi : ٥٧٦ | Domenico Comparetti : ٥٨٢ |
| Adelardus Balense : ٥٢٤ | Dozy, R. : ٢٠٢ |
| Alejandro de Hales : ٢٦٦ | Dugat, G. : ٢٠٢ |
| Almeida Garret : ٥٨٤ | Duns Scotius : ٤٩٢ |
| Alpetragius : ٢٢ | |
| Alvarez Gato : ٦٢٨ | Eben Guefet = ابن واند : ١٦ |
| Alvarez de Villasandino : ٦٢٩، ١٥١ | Esterneuf : ١٨١ |
| Ambrosio Huici : ٢٥١ | Fabrizi Gerolamo da Acquapendente : ٥٢٤ |
| Anselmo de Turmeda : ٥٩١-٥٨٦ | Fadrique : ٥٧٤ |
| Arnaldo de Villanova : ٥٢٤ | Faux Turpin : ٥٢٦ |
| Avicbrón : ١٧٢ | Francisco Fernández y Gonzalez : ٦٠٠ |
| | |
| Bacon, Roger : ٥٢٤ | Fortunatas, Islas : ٢١١ |
| Banqueri, J.A. : ٤٧٥ | |
| Bartolome Pom : ٦٠٢ | Gabriel Slometa : ٢١٢ |
| Baza : ٧٨٢ | Galland : ٥٩٢ |
| Beaunier : ٢٥١ | Garcí Pérez : ٥٧٦ |
| Bernaldo el arábigo : ٥٧٦ | Gerardo di Cremona : ٥٢٩ |
| Brunetto Latini : ٥٧٢ | Gil de Teblados : ٥٧٦ |
| Bibliotheca Arabico Hispana : ٢٧١ | Gil Vicente : ٦٢٩ |
| | Giralda, La : ١٢٦ |
| Campo de Calatrava : ٤٢٩ | Goguyer : ١٨٧ |
| Capeza de Estopa : ٩١ | Quillen Arremón de Aspa : ٥٧٥ |
| Casa Montija : ٢١٦ | Quillermo de Auvernia : ٢٦١ |
| Cercamón : ٦١٥ | Gonzalo Sánchez de Uceda : ٥٥٠ |
| Compano di Novara : ٥٢٤ | |
| Le comte de Poitiers : ٦١٥ | Herman der Damen : ٦١٨ |
| Ciullo dal Como : ٦١٩ | Herman di Dalmatia : ٥٢٩ |
| | Hermannus Alemanen : ٢٦٧ |
| Diego de Canizares : ٥٨٢ | |

- de Herrera, O.A. : ٤٧٥
 Huecas = وئش، بلد : ١١٦
 Huet, Pierre Daniel : ٥٢٤
 Huetor Vega = ویده، بلد : ١١٢
 Instituto de Valencia de don Juan : ٥٩٥
 Isidoro Gil : ٥٨٤
 Jaime el Conquistador : ٢٧٧
 Jacopone di Todì : ٦٢٠
 Jehudá el Cohen : ٥٧٥
 Jil Pérez : ١٩٧
 Jiménez de Urrea : ٦٢٨
 Johannes Buxtorf : ٥٠٠
 Johannes von Ooddesden : ٥٢٤
 Johannes Hispanus Abendand : ٥٢٧
 Jorge Manrique : ١٢٢
 Juan del Encina : ٦٢٩
 Juan Hesronita : ٣١٢
 Juan Pérezy : ٥١٢
 Juan de Timoneda : ٥٨١
 Krehl, L. : ٣٠٢
 Latuente Alcántara : ٧٥٢، ١٩٨
 Leonardo Pisano : ٥٢٤
 Lope de Vega : ٥٩٤، ٥١٣
 Lorenzo di Medicis : ٦٢٠
 Lunel : ٢٦
 Marcos Pérez : ٥٨٢
 Mariano Gaspar Rincero : ٢٥١
 Mariano de Pano y Ruata : ٥٢٢
 Maurilins Hispanus : ٣٦٨
 Michael Scottus : ٥٣٩، ٣٦٧
 Michaelis de Vasconcellos : ٦٢٨
 Millas Vallcrossa : ١٥٥
 Moine de Montandon : ٦١٧
 Morlay : ٥٣٤
 Moses Sefardi : ٥٧٩
 Otto I : ٤٨٧
 Pedro del Real : ٥٧٦
 Pedro el Venerable : ٥٧٤، ٥٢٩
 Pierre Daniel Huet : ٥٢٤
 Pinto : ١٨٧
 Pococke : ٢٢
 de Poitiers, le comte : ٦١٥
 Pou : ٣٥١
 Reiske : ٢٢
 Robert de Retines : ٥٢٩
 Saint Jean de la Croix = San Juan de la Cruz : ٢٩٠
 San Eulogio de Córdoba : ٥٧١
 Schiaparelli : ٥٤١
 Seco de Lucena : ٢٢٠، ٤
 Sorbion : ٢٧٢
 Sylvestre de Sacy : ٢٢
 Tirso de Molina : ٢٢٥
 Turmeda, Anselmo de : ٥٩١-٥٨٦
 Vélez = بلش، بلد : ٩٢
 Véleza : ٢٧٦
 Villasandino, Alvarez de : ٢٢٩، ١٥١
 Viterbo : ٥٨٤
 Wright, W. : ٣٠٤
 Yehudá Ben Mosch : ٥٧٦
 Zag de Toledo : ٥٧٦

٢ - فهرست الكتب

(١) كتب عربية أو وردت بالعربية

أخبار شعراء الأندلس ، لابن ماء السماء :
٢٨٧

أخبار الشعراء بالأندلس ، لـ محمد بن هشام
ابن سعيد الخير الرواقى : ٢٨٦
أخبار الفتنة الثانية بالأندلس ، لأبى الحسن
السالى : ٢٤١

أخبار القرطيين ، لابن الطليسان : ٢٨٧
أخبار القرطيين ، لـ لياض بن موسى : ٢٨٣
أخبار قضاة قرطبة ، لابن بفسكوال : ٢٧٤
أخبار القضاة والقضاة قرطبة ، لابن عفيف :
٤٧٣

أخبار مكة وللدنية وفضلها ، للهروى :
٣٩٦

الأخبار المجموعة : ٨ ، ١٩٨ - ٢٠٧
أخبار ملوك الأندلس ، لأحمد بن محمد الرازى :
١٩٧

اختصار البسطة ، لابن رشد (الجد) :
٤٢٧

اختصار مشكل الآثار ، لابن رشد (الجد) :
٤٢٧

اختلاف الموطآت ، لأبى الوليد الباجى :
٤٢٦

الأخلاق والسير ، لابن حزم : ٢١٦ ،
٢١٧ - ٢١٨

أدب الكتاب ، لـ يدرو أقرنوسو : ٢٨ ،
٦٢٦ . وانظر : سلك الكتاب

الأدوية للفرقة ، للإدريسي : ٣١٣

(١)

آداب الطبيب (الطبيب ٢) ، لابن عفيف :
٤٧٣

أبحاث دوزى : ٢٩٣

ابن الملك والهروش ، لأبراهيم بن حسدى :
٥٨٥

الإطالة ، لابن حزم : ٢١٨

إنصاف السادة ، للسيد صرخسى : ٥٦٦

انصاف النعل المصالح للإنسان ، لابن رشد :
٣٥٧

الإحاطة بتاريخ غرناطة ، لابن الخطيب :
٢٥٧ ، ١٣١

الاحتفال فى تاريخ أسلاف الرجال ، لابن
عفيف : ٢٧٥

إحصاء العلوم ، للنفارى : ٣٦٣ ، ٣٨٨

إحكام القصول فى أحكام الأصول ، لأبى الوليد

الباجى : ٤٢٥

أحكام القرآن ، لابن أمية المجارى : ٤٣٣

أحكام التهم ، لابن الطلاع : ٤٢٨

الأحكام ، لسيد الحق الإشبلى : ٣٩٦

الأحوال ، لـ قنون خوان مائول : ٥٠٠ ،
٥٨٥

أخبار أرطاس (فى تاريخ افتتاح الأندلس

لابن القوطية) : ٢٠٤ - ٢٠٦

أخبار دولة النوبة ، لأبى حامد بن تاشفين :
٢٤١

وضمنا هذه العلامة (•) إلى جانب الكتب غير العربية ، وهى تدل على أن الاسم الأمر
للكتاب ولرد فى فهرست الكتب الإنجىية .

السيد البطيوسي : ١٧٧ ، ٢٣٤
 أقوال كتاب الرب في بني عباد ، لموزي :

٢٩٣

الاكتفاء ، لابن الميم : ٤٦٣
 الإكمال المشتل على ذكر عبد الجليل ،
 لابن بسم : ٢٨٩

ألف ليلة وليلة : ٢٦ ، ٢٨ ، ٦٠ ، ١٩٥ ،
 ٥٢٥ ، ٥٨٣ ، ٥٩٢ ، ٥٩٩

الألفية ، لابن مالك : ١٨٧
 الإلحاح في أصول علم الحديث ومبادئه ،
 لقاضي عباس : ٣٩٨

الأمالي ، لأبي علي الغالي : ٦٧ ، ١٧٢ ،
 ٣١١

الإمامة والحلقة ، لابن حزم : ٢٢٠
 الأمثال ، لأبي الوفاء مياهر بن فاك : ٥٧٧
 الأمثال ، لسانت دغريال : ٥٨٠ ، ٥٨٢ ،
 الأم ، للشافعي : ١١

الأمير والدرويش ، لأبراهيم بن صمويل :
 ٥٠١

الإنباء ، لابن الحذا : ٤٢٢
 الإنجيل : ٢١٩

أنساب مشاهير أهل الأندلس ، لأحمد بن
 محمد الرازي : ١٩٧

الأنساب ، لسماني : ٣٩٨
 الأنساب ، لقاسم بن أصبغ : ٣٩٥ ، ٤٢٠

الإنصاف في التنبه على الأسباب للوجبة
 لاختلاف الأئمة ، لابن السيد البطيوسي :

٣٣٤

الأنوار السنية ، لابن حرب : ٤٢٩
 أنوار الأفكار ، للاتصاري الخزرجي :

٢٨١

الأوراق ، لصولي : ٢٨٦
 الإيسال إلى فهم كتاب الحصال ، لابن حزم :

٢١٨

الإيضاح ، لفارسي : ١٨١
 الإيعاء في الفقه لباجي : ٤٢٥

الأئمة من المصنفين ، لمارك بن مروان : ٤٠١

الأدوية المقررة ، للشافعي : ٤٧٢

الأدوية المقررة ، لابن وافد : ٤٦٩

أرجبات هابوشم ، لموسى بن عزرا : ٤٩٩

أرجوزة ابن سينا : ٥٤٢

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ،

للقري : ١٣٢ ، ٢٨٣

الاستذكار ، لابن عبد البر : ٣٩٧

الاستكمال ، للمؤمن بن هود : ٤٥٤

الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر :

٣٩٧

الاسم والمسمى ، لابن باجة : ٣٣٧
 أسماء رجال الكتب الستة ، لعمري بن

نور الدين : ٤٠٠

الأسباط ، لحمد الراوية : ٣٤

الإشارة في أصول الفقه ، لباجي : ٤٧٦

إصلاح الأخلاق ، لابن جبرول ، ٤٩٤ ،

٥٠١

الأصول الإسلامية للكميدبا الإسلامية ،

لميجيل آسين بلبوس : ٥٥١

أصول القصة ، لمندد بلايو : ٥٩٥

أصول السككيات ، لإيزودور الإشبيلي :

٣١١

اعتاب الكتاب ، لابن الأبار : ٢٧٨

الاعتقاد على ما صح من أشعار المعتد بن

عباد ، لابن بسم : ٢٨٩

الإعلام ، لرشاطي : ٣٩٨

إعلام الأعلام ، لابن الخطيب : ٢٥٨

الإعلام المبين في المناظرة بين أهل صفين ،

لابن دحية : ٢٨٤

الأغاني ، للأصفهاني : ١١٨

افتتاح الأندلس ، لابن القوطية : ٢٩ ،

٢٠٢ - ٢٠٦

الإنصاح ممن عرف بالأندلس من الصلاح ،

لابن الحاج البقي : ٣٠٦

أنق الدنيا ، للروماني : ٤٥٢

الانتصاب في شرح أدب الكتاب ، لابن

تاريخ الأندلس ، لعيسى بن أحمد بن محمد
الرازي : ١٩٨

تاريخ للربة ومجانة ، لابن الحاج البليني :
٣٠٥

تاريخ بني أمية في الأندلس ، لمأوية بن هشام
القبيلي : ٢١٠

تاريخ بني نصر ، لابن الفارق : ٢٥٢

تاريخ دمشق ، لابن عساكر : ٢٨٥

تاريخ شعراء الأندلس ، لابن القرمي :
٢٧١

تاريخ شعراء الأندلس ، لابن ماء السماء :
٢١٠

تاريخ صلحاء الأندلس ، لابن الطليسان :
٢٨٢

تاريخ الطبري : ٢١٣

* تاريخ العرب ، للذريق الطليطلي : ٥٧٢

تاريخ علماء الأندلس ، لابن القرمي :
٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٠٣

تاريخ علماء البصرة ، لابن مفرج : ٢٨٥

تاريخ فقهاء البصرة ، لأبي الأصمغ عيسى
ابن محمد : ٢٦٧

تاريخ فقهاء قرطبة ، لابن حيان : ٢٠٨

تاريخ قضاء قرطبة ، لخصف : ٢٦٦ ، ٢٦٧

تاريخ الكتاب الأندلسيين ، لأبي عمرو
ابن عيوش : ٢٨٧

تاريخ مائة ، لابن عسكر : ٣٠٥

تاريخ مكة ، للزقاق : ٢٣

التاريخ ، لأبي جعفر الخزرجي : ٢٤٠

التاريخ ، لعبد الملك بن حبيب : ١٩٤

* التاريخ العربي ، ليدود كل كمال : ١٩٨

التبصرة ، لابن مسرة : ٣٢٨ ، ٣٢٩

التبيان عن الحادثة السكانية على غرناطة ،
لابن البانة الهادي : ٢٤١

(ب)

الباهر ، لابن الحنبل البصري : ٤٠٦

بد المعارف ، لابن سبين : ٣٨٨

بداية المجتهد ، لابن رشد : ٣٥٨

البدیع فی وصف الریبع ، لأبي الوليد بن
حبيب الحميري الإشبيلي : ٢٨٧ ، ٢٨

برهام ورواصف (بوسلفات) : ٢٨ ،
٥٠٠ ، ٥٠١

البصري في تأويل الرؤيا ، لابن الحنا :
٤٢٢

بنية المتنس ، لضي : ٢٧٦

البلاغة والفهم ، لأرسطو : ٥٣٩

بهجة المجالس وأمس المجالس ، لابن عبد البر :
١٧٧

* بورجيات د بورجاس : ٢٨ . وانظر :
سر الأسرار

بوريوم : ٢٨

البيان والتحصيل ، لابن رشد (أجد) :
٤٢٧

البيان القرب ، لابن خناري : ٢٤٩

البيان الواضح في نظم الفلاح ، لابن معلقة :
١١٦ ، ٣٠٥

(ت)

تاج الفرق في تحفة علماء الشرق ، للبلوي :
٢١٩

تاج المحلى ، لابن الخطيب : ٢٥٨

* تاريخ إسبانيا العام ، لألفونسو الحكيم :
١١٦ ، ١١٧

تاريخ الأندلس ، لابن الحكيم الرندي :
٢٥٢

التبيين لمسائل المهندس ، قبايى . ٤٢٦
 * التفرى والتصران ، لرايموند لوليو :
 ٥٥٠

ثنية التوراة ، موسى من ميمون : ٥٠٢
 تيمريد المساح الستة ، الهروى : ٣٩٦
 تحصيل غرض القاصد فى تحصيل للرعى الوافد ،
 لآبى خاتمة : ٣٠٦ ، ٤٨١

تحفة الأديب ، لتورمينا : ٥٨٧
 تحفة الأصحاب وغبة الإعجاب ، لآبى حامد
 الترنطلى : ٣١٢

تحفة المحكام : لآبى عامم : ٤٢٩
 تحفة القادى ، لآبى الأيلر : ٢٧٩
 تحفة الكبار فى أسفار البحار ، لآبى حمد
 الترنطلى : ٣١٢

* تحكيمونى : ليهوفا الجزيرى : ٥٠٩
 التخليص على أساسيد الموطأ ، لآبى القريطى
 الماتنى : ٣٩٩

تدبير التوحيد ، لآبى باجة : ٣٤٧ ، ٣٤٩ -
 ٥٤٠ ، ٣٤٧

ترتيب المدارك فى معرفة أصحاب ملكه ،
 لعيان بن موسى : ٢٨٣ ، ٣٩٨
 ترجمان الأشواق ، لآبى عربى : ٣٧٤ ،
 ٥٤٩ ، ٥٤٤

التسديد إلى معرفة التوحيد ، لبايى : ٤٢٥
 تسمية الرجال المذكورين فى الموطأ ، لآبى
 مزين : ٤٢٠

التعاليم الصالحة ، لتورمينا : ٥٨٧
 تعديل الكواكب ، لسلطة الجريطى : ٤٤٨
 التعديل والتجريح ، لبايى : ٤٢٥
 التمرىف والإعلام ، لسهيل : ٣٩٩
 التمرىف بمن ذكر فى موطأ ملكه ، لآبى
 الحذا : ٤٢٢

التمريف لمن عجز عن التأليف ، لزهراوى :
 ٤٦٦

التفريع فى الفقه ، لآبى الجلاب : ٥١٣
 تفسير الخوفى لكتابات الكسانى : ١٨٥

تفسير الموطأ ، لآبى مزين : ٤٢٠
 التفسير ، لآبى جابر : ٥١٢
 تحريم الأسقف ويكولندو : *
 ترويم الذهب ، لآبى الصلت بن أمية الثاني .
 ٣٣٤

ترويم ربيع بن زيد : ٢٠٧
 الترويم القريطى ، لمريب بن سعد : ٤٦٥ ،
 ٤٨٧

تقيد المهمل وتغير المشكل ، للجبانى : ٤٠٢
 التكلفة لكتاب الصلاة ، لآبى الأيلر : ٢٧٤
 التلخيص فى أعمال الحساب لآبى البناء الترنطلى :
 ٤٥٧ ، ٢٥

الطود : ٢٨ ، ٥٧٤
 التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ،
 لآبى عبد البر : ٣٩٧

التنقيح ، لآبى جناح : ٤٨٩
 تهافت التهاوت ، لآبى رعد : ٣٥٧
 تهذيب صحيح مسلم ، لآبى حرب : ٤٢٩
 التوراة : ٢١٩

التوراة ، لشلوبينى : ١٨٦

(ث)

تجار علم الممدد ، لسلطة الجريطى : ٤٤٨

(ج)

جامع بيان العلم ، لآبى عبد البر : ٤٣٥
 * جامع المجمع فى جدال السكافرين ، لتوما
 الأكوينى : ٥٤١

الجامع لصفات الثبات ، للإدريسى : ٤٧٤
 الجامع لمفردات الأغذية والأدوية ، لآبى
 البطار : ٤٧٩ - ٤٨١

* جسيم دانتى : ٥٥٣
 حفة التنبس ، للصديدى : ٢٧٦
 الجزولية ، لآبى موسى بن عيسى الجزولى :
 ١٨٦

حياة الحيوان ، للمصري : ٣٩
 * حياة للمشهرات ، لبرانتوم : ٥٨٤
 * الحيوانات ، لوليو : ٥٩٥
 حى بن يقطان ، لابن طفيل : ٢٨ ،
 ٢٤٩ — ٣٥٣ ، ٥٤٠ ، ٦٠١

(خ)

الحاصل الجامعة ، لابن حزم : ١٤ ، ٢١٩
 الخطب وسير الخطباء ، لابن الحذا : ٢٢٢
 خلق الجنين وتغيير الحبال والولود ، لعرب
 ابن سعيد : ٢٠٧ ، ٤٦٥
 * خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود ،
 لرايموندو ميهين : ٣٦٨ ، ٤١٤

(د)

الدراج ، لابن سبعين : ٣٨٨
 دور الثور في شمراء الأندلس ، لرصيد
 الدين محمد بن إبراهيم الخطوط : ٧٧٢
 الدرة الفاضلة ، لابن عربي : ٣٧٤
 الدرة للفضة ، لابن سبعين : ٣٨٨
 دلائل الحائرين ، لموسى بن ميسون : ٣٦٧ ،
 ٥٠٢

الديارات ، للشافعي : ٣٩
 الديوان ، لابن عربي : ٣٧٦ و ٣٧٧
 الديوان ، لابن الهندي : ٧١
 * ديوان بايتا : ٦٢٨
 * ديوان بلاتير : ٦٢٧
 ديوان ابن حديس : ٩٨
 * الديوان العام ، لمرناقدول كاستيليو : ٦٢٨
 ديوان ابن قزمان : ٢٢ ، ١٥٧ ، ٦١٢ ،
 ٦١٤
 ديوان اللقي : ١٩٠

الجل ، للزجاجي : ١٨١
 جل النحو البراني ، لأبي زكريا جايوج :
 ٤٨٩
 جهرة أشعار العرب ، لقرشي : ٣٣ ، ٣٧
 جهرة أنساب العرب ، لابن حزم : ٢٢٠
 * جويج دندان ، لوليد : ٥٨٠

(ح)

* الحب الطيب ، لموان رويث : ٦٢٥ — ٦٢٦
 حجاب خفاء الأندلس ، ليعسى بن أحمد
 ابن عبد الرزقي : ١٩٨
 الحجة والدليل في حصرة الدين القليل ،
 ليهودا هالفي : ٤٩٩ . وانظر :
 الكتائب الحزري
 حدائق (أو حديقة) الأزاهري ، لابن
 حاتم : ٤٣٠
 الحدائق ، لابن السيد البطليوسي : ٣٣٤
 الحدائق ، لابن فرج البلياني : ٦١ ، ٢٨٧ ،
 ٢٩١
 حديقة الأرياح ، لابن مسلمة : ٢١٧
 الحديقة في سنى المجاز والحقيقة ، لموسى بن
 مزرا : ٤٩٩
 الحروف ، لابن مسرة : ٣٢٩
 حساب المثلاث ، لجابر بن أطلح : ٤٥٦
 الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، لأدم
 ميتز : ٣٩
 * حكاية الأمير إراستو ، ليدرو هورتادو دلا
 ثيرا : ٥٨٣
 حكم الفلاسفة ، لحنين بن إسحاق : ٥٧٨
 * الحكمة ، لحاييم الأول : ٥٧٧
 * الحكمة الإنشائية ، لابن عربي : ٣٧٦
 الحكمة في مخلوقات الله ، للزالي : ٤٩٦
 الحلل للرقعة ، لابن الخطيب : ٢٥٨
 الحلة السراء ، لابن الأثير : ٢٧٨
 الحاسة ، لأبي تمام : ٣٤
 * الحياة الجديدة : لداني : ٧٥ ، ٥٧٣

رسائل إخوان الصفاء : ١٧ ، ٣٢٣ ،
٤٥٥ ، ٤٩٨ ، ٥٨٨

روح الشعر ودوح الشعر ، لابن الجلاب
القهرى : ١٢٦

الروس الأتف ، لأبي القاسم السهيلي : ١٨٧ ،
٣٩٨

روض القرباس ، لابن أبي زرع : ٢٥١
الروس المطار في خبر الأقطار ، لعبد النعم
الطهرى : ٣١١

ريحان الأواب وريحان الشباب ، لابن المواهبى :
١٧٨

ريحانة الكتاب ، لابن الخطيب : ٢٥٩

(ز)

زاد المسافر ، لأبي جحر صفوان بن إدريس :
١٣٠ ، ٢٩٩

زهر البانين ، لابن الطليسان : ٢٨٧
الزهرة ، لابن داود الأصفهاني الطاهري :
٤٣ ، ٦١ ، ٢٨٧

زينة المجالس ، لابن عبد البر : ١١٨

(س)

سراج الأدب ، لابن أبي النصال : ١٧٧
سراج اللوك ، لطرطوش : ١٧ ، ١٧٤
— ١٧٦ —

السراج ، لموسى بن ميمون : ٥٠٢
السراج في الخلاف ، للباجي : ٤٢٦
سفرها خزر ، ليهوذا هاليقي : ٤٩٩
سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر ، لابن
بسام : ٢٨٩

سلك الكتاب ، ليدرو أوتزو : ٥٧٩
السلوان المطاع ، لابن عقر : ٥٧٨
السماء والعالم ، لابن رشد : ٥٣٩
السماح وإفادة التصحيح ، لابن رشيد السبتي :
٤٠٢

* ديوان المعرب ، لختاود رثيو : ٥٩٦
ديوان المعربات ، لابن عبد ربه : ٦٣

(ذ)

ذخائر الأعلاني ، لابن عربي : ٣٧٥
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن إسلم :
١٢٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩

* ذكريات بلد الوليد ، لتوريليا : ٥٩٧
الذيل المنديل ، لابن الجسور : ١٧٤

(ر)

رايات المرزوق وشارات المميزين ، لابن سعيد
الغريبي : ٣٠ ، ١٣٥ ، ٢٤٦
* ربايعات مملكة ميورقة ، لتورميدا :
٥٨٧

الرحلة المغربية ، للصبري : ٣١٨
الرد على جالينوس ، لشعر الدين الرازي :
٥٤٢

رسالة الأسطرلاب ، لمسلم الجبريلي : ٤٤٨
رسالة الأنوار ، لابن عربي : ٣٧٥
رسالة التاجين ، لابن حيان : ٢٠٨
رسالة التوايح والزوايح ، لابن شهيد : ٧٣
رسالة ابن حزم : ٢٤٧
رسالة السجن والمسجون ، لابن غصن :
٢١٢

رسالة الشقندي : ٣٠ ، ٢٩٩
رسالة الغزاة ، لموسى بن ميمون : ٥٠٢
رسالة النفران ، لأبي البلاد للمري : ٥٥٢
رسالة في الردة ، لموسى بن ميمون : ٥٠٢
رسالة في العمل بالصفيحة ، للزهري : ٤٥٢
الرسالة المصرية ، لأبي الصلت أمية الداني :
١٢٥

رسالة النفس ، لابن رشد : ٥٣٩
رسالة الوداع ، لابن باجة : ٣٣٧ ،
٢٢٨ — ٣٤١

(ص)

- صحيح البخاري : ٢٩٤
صحيح مسلم : ٢٩٤
المسند والمحبوب ، لرايموندو لوليو :
٥٤٣
صفة قرطبة وخطها ، لأحمد بن محمد
الرازي : ١٩٧
الصلة ، لابن بشكوال : ٧١ ، ٢٧٣
* الصلة الإسبانية : ١٩٨
صلة الصلة ، لابن الزبير : ٢٧٦

(ط)

- الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد ، لعل بن
سعيد : ٢٤٧
الطبقات ، لابن أبي دليم : ٤٢٠
طبقات الأمم ، لصاعد الطليطلي : ٢٣٩ ،
٣٣٢
طبقات الأولياء ، لعماد بن نور الدين : ٤٠٠
طبقات أئمة الفقهاء ، لابن فخر : ٤٠٢
طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي : ٢٣٧
طبقات كتاب الأندلس ، للأفندي : ٥٠
طبقات المحدثين ، لابن فخر : ٤٠٢
طبقات النحويين والقنوين ، لابن خزرج :
٢٧٥
الطبيعة ، لابن سينا : ٥٣٧
طبيعة العدد ، لمسلم الجبريطي : ٤٤٩
طرفة النصر في تلويح دولة بني نصر ، لابن
الحطيب : ٢٥٨
طريقة عمل الاسطرلاب ، لقرطبي : ٤٥٢
طوق الحماة لابن حزم : ١٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
٢١٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦

(ح)

- الحام ، لأبي علي الغالي : ١٧٣

- سمط الجمان وسقيط الرجن ، لابن الإمام :
٢٩٩
سمط الآتي ، البكري : ٣١١
السندباد : ٧٨ ، ٥٧٤ ، ٥٨٠ ،
٥٨٢ ، ٦٢٦
السفن الأيون والمورد الأمن ، لابن رشيد
السبي : ٤٠٢
السفن وأحكام الأركان ، لقاسم بن أصبغ :
٩٣٥
سنن الصالحين ، للباي : ٤٢٦
سنن المنهاج وترتيب المنهاج ، للباي :
٤٢٥
سيرة النبي ، لابن هشام : ٣٣

(ش)

- الشجرة ، لابن مفرج : ٢٨٥
شجرة الحكمة ، لصاعد بن فضون : ٣٣١
شرح آية الرصية ، للسبيل : ٣٩٩
شرح أساء الفخر ، لابن ميمون : ٤٧٤
شرح ابن بدرون للقصيدة المبدئية : ١١٩ ،
١٧٨
شرح في الجمل ، للسبيل : ٣٩٩
* شرح الرمز ، لرايموندو مريم : ٥٤١
شرح كتاب الحكم ، لابن عباد : ٣٩٠
شرح لرسالة الحيوان ، لابن رشيد : ٣٥٥
شرح التنهاج ، للباي : ٤٢٦
شرح اللوط ، للباي : ٤٢٥
شعر الخلفاء من بني أمية ، لعبد الله بن منيف
الأصاري : ٢٨٦
الشعر والشراء ، لابن فتيحة : ٣٥
* شعر حرب إسبانيا ومغربية وقصم ، لبارون
دي شاك : ٥٠
شفاء الأمراض في انتهاك الأعراض ، لابن
فرج الإليزي : ١١٣
الشفاء بتعريف حقوق الصلح ، للقرى :
٢٨٣

(ف)

فتح مصر والأندلس ، لابن عبد الحكم :

١٩٦

الفتوحات للسكية ، لابن مري : ٢٧٦ ،

٣٧٧-٣٧٩ ، ٤٤٧

القرائن ، لموسى بن ميمون : ٥٠٢

فرحة الأقس ، لابن غالب : ٢٤٠

فردوس داني : ٥٥٥

فصل الفال ، لابن رشد : ٣٥٧

الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم :

١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢١-٢٢٩

القصوس ، لصاعد البغدادي : ٦٧

قصوس الحكم ، لابن مري : ٣٧٦

فضائل أهل المغرب ، لابن حزم النافق :

٢٤٢

فضائل بني أمية ، لقاسم بن أصبغ : ٢٩٥

فضائل قرين ، لقاسم بن أصبغ : ٣٩٥

فضل النحر ، لأبي حيان الترنطلي : ١٨٩

فقهاء قرطبة ، لابن عبد البر القرني : ٢٦٧

الفلاحة ، لابن العوام : ٤٧٥-٤٧٨

فهرست ابن خير : ٢٦٦ ، ٢٨١

فهرست المدونات في السكتية بمدرد :

١٩٧

غرات الوفيات ، لابن شاکر السكتي :

٣٨٨

القوائد الفقهية ، لابن حرب : ٤٢٩

القوائد المنتخبة ، لابن الحكمي الغني :

٢٨٢

القوائد المنتخبة والحكايات المستفزة ، لابن

يشكوال : ٢٧٤

(ق)

القبلة : ٢٨ ، ٥٧٤

العلم ، لمحمد بن أبان بن سيد الغني :

١٨٩

العبر ودوران للتبنا والخبر ، لابن خلدون :

٢٦٠

عمالة النحر وبهاة المستوفز ، لصفوان بن

إدريس : ٢٩٩

* العجائب ، لرايموندو لوليو : ٥٨٢

عدة المستنجز وعلة المستوفز ، لعل بن

سميد : ٢٤٧

العقد القريد ، لابن عبد ربه : ٨ ، ١٥٣ ،

١٦٩-١٧٢

العلوم الأخيرة ، لابن مخلوف : ٥٦٦ ،

٥٧٠

المنحة ، لابن رشيق : ٣٩

هنوان للرقصات ، لعل بن سميد : ٢٤٦

* مود على ملحة رولان ، لبواسوناد :

٦١١

ميون الأثر ، لابن سيد الناس : ٤٠٠

ميون الإمامة ونواظر السياسة ، لأبي طالب

المرواني : ٢٧٥

ميون الأنباء ، لابن أبي أصيبعة : ٤٧٩

العيون (أو القنون) الستة في أخبار سبعة ،

لبيان بن موسى : ٢٨٣

(غ)

* غابة الطالمة للتنوعة ، ليروميشيا : ١٦٩

غابة الحكم ، لمسلم المرحلي : ٤٤٩

غرائب أخبار السنين ، لابن الطليسان :

٢٨٢

غرائب حديث مالك ، لقاسم بن أصبغ :

٤٢٠

الغرة الطالمة في شراء اللانة السابعة ، لعل

ابن سميد : ٢٤٧

الغوامض والمبهات ، لابن فيره : ٤٠٢

الكتاب، نظري، آله و ابن الأحمس :
١١٨ ، ١٧٨ . وادار : المنفردة
الكتبة الكامنة ، لابن الحبيب : ٢٥٨
* الكريتيكون ، لبلتازار حراتيان : ٢٨ ،
٦٠١ ، ٦٠٢
كشف الأسرار (الأسرار) عن علم وضع
حروف الجبار ، للفلمادي : ٤٥٨
كشف الحجاب عن علم الحساب ، للفلمادي :
٤٥٨
كشف الظنون ، لحاجي خليفة : ٢١٠
الكشف عن مناهج الأدلة ، لابن رشد :
٣٥٧
كلام في الأسطوانات ، لابن باجة : ٣٣٧
الكتابات في الطب ، لابن رشد : ٣٥٣ ،
٤٦٩ — ٤٧١
كلية ودنة : ٢٨ ، ٥٥٠ ، ٥٧٤ ،
٥٨٠ ، ٥٨١ — ٥٨٢ ، ٥٩٣ ،

٦٢٦

الكمال والتمام ، لابن الميثم : ٤٦٣
* الكند لوكانور ، لليون خوان مانويل :
٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥
* الكوميديا الإلهية ، لداقي : ٥٤٨ ، ٢٧ ،
٥٥١ — ٥٧٣
الكون الأصغر ، لابن صديق : ٤٩٨

(ل)

اللائي ، لبكري : ١٧٧
اللائي المنوعة في الأحاديث الموسوعة ،
للسيوطي : ٥٥٧
اللغة البديرة في القولة النصرية ، لابن
الخطيب : ٢٥٨
* الليل العشر ، لبوكاشيو : ٣٠٦ ، ٥٨٠

(م)

المآثر الصميرية ، لابن حيان : ٢٠٨

المدح المثل في التاريخ الجلي ، لعل بن سعيد :
٢٤٧

المرآة : ١٤٠ ، ٢ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ١٧٧ ،
٢١٩ ، ٣٢٥ ، ٥٣٩ ، ٥٤٢ ،
٥٧٤ ، ٥٦٦

قصص الأنبياء ، لآمال : ٥٥٣

قصة زياد الكتاني : ٥٩٩

* قصة المارس السفار ، لفراند مريتيت :
٥٩٨

القصيدة المبدئية ، لابن عديون : ١١٨

القصيدة المقصورة ، لحازم القرطاجي : ١٣٣

قلائد البيان وحسن الأعيان ، لابن خالان :
١٢٥ ، ٢٩٧ ، ٣٣٦

قول في اتصال العقل بالإنسان ، لابن باجة :
٣٣٨

(ك)

* الكافر والسلماء الثلاثة ، لرايموندو لوليو :
٥٥٠ ، ٥٥٠

الكافية الشافية ، لابن مالك : ١٨٧

الكمال ، لأبي العباس المبرد : ١٨٩

كائنة مبرورة وتقلب البدو عليها ، للمنزوي :
٣٠٥

الكتاب المخرى ، لمالقي : ٢٦ ، ٥٥٠ ،
٥٥٠ ، ٥٥١

الكتاب الرجاري ، للإدريسي : ٣١٣

* الكتاب المجد في عجائب الدنيا ، لرايموندو
لوليو : ٥٥٠

* الكتاب انشغوي ، لميسى بن حابر : ٥٠٨

كتاب العين ، للخليل بن أحمد : ١٨٩ ،
١٩٠

كتاب في جمع ما تضمنته كتاب مسلم والبخاري
والموطأ والسنن والنسائي والترمذي ،
لهروي : ٣٩٦

للرشد في الكمل ، لتانقي : ٤٧٢
مركز الإحاطة ، لبد الدين البشتكي المصري :
٢٥٧
مروج الذهب ، للسعودي : ٥٩٢ ، ٥٩٣
الزهر في علوم الفنة ، للسيوطي : ٣٣
الساحة المجهولة ، لأحمد بن نصر : ٤٤٧
مسالك إفريقية وممالكها ، للوراق : ٣٠٩
السلالك وللهاك ، للبكري : ٣١٠
للسجادة من فلات الأجواد ، للفنوشي :
٢٨٧
للمستقصية ، لابن مزين : ٤٢٠
للمتلحق ، لابن جناح : ٤٨٩
مسند ابن أبي شيبة : ٤٠٧
للمسهب في غرائب الغرب ، للحجاري :
٢٤٣ ، ٢٧٢
مشاهد الأسرار ، لابن عربي : ٣٧٥
المشتمل في الصروط ، لابن أبي زمنين :
٤٢١
المشرق في حل المشرق ، لعلي بن سعيد :
٢٤٥
المغرب من أثمار أهل المغرب ، لابن
عجبة : ٢٨٤
مطبخ الأهرس ومسرح القانس ، لابن
طاهر : ٢٩٧
المنظرة : ١٦
الملوك ، لابن قتيبة : ٣٢٤
المعارف في أخبار كورة البيرة ، لابن مطرف
الفساني : ٢٨٦
المعجب في تفضيل أخبار المغرب ، لعبد الواحد
المراكشي : ٢٤٨
معجم الأدياء ، لياقوت : ٣٣
المعجب أصحاب القاضى الإمام أبي علي الصديقي ،
لابن الأبار : ٢٧٤ ، ٢٧٩
معجم ما استعجم ، للبكري : ٣١٠
المغرب في علسن المغرب ، لابن حزم
التانقي : ٢٤٢

ما بعد الطبيعة ، لابن رشد : ٣٥٩
ما وراء الطبيعة ، لابن سينا : ٥٣٧
المباحث للشرقية ، لفخر الدين الرازي :
٥٤٢
المتب ، لابن حيان : ٢٠٩ — ٢١٠
معاداة الحمار للأب أنسيلمو تورميدا :
٥٨٧ — ٥٩١
مجموع في رجال الأندلس ، لابن سيدال :
٢٧٥
مجموعة عطلومات خيل : ٥٩٥
عاشق المجالس لابن العريف : ٣٩٦
عاشقات الأبرار ، لابن عربي : ٣٧٩
المجاورة وللناكرة ، لموسى بن عزرا :
٤٩٨
الحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده : ١٦٠
الحل في الخلاف المال في فروج الشافعية ،
لابن حزم : ٢١٩
مختار الآلي ، لابن جبرول : ٤٩٤ ، ٥٠١
مختصر ابن عبد الحكم : ١١
المختصر في فن العامة ، لابن حرب : ٤٢٩
مختصر كتاب الدين ، للزبيدي : ١٨٩
مختصر المختصر ، لباجي : ٤٢٦
المختصر في الفنة ، لابن سيده : ١٧ ،
١٩٠
مدارك الحقائق ، لابن الفري : ٤٢٨
المدخل إلى صناعة النطق ، لابن طماوس :
٣٦٣ — ٣٦٦
المدخل إلى الهندسة ، لسلمة المجرطي :
٤٤٩
الدونة ، لسجنون بن سعيد : ٤١٥
مدونة برهش : ٧٠
مدونة ابن أبي زمنين : ٧١
الدولة المستعزية : ١٩٨
مهشدة الحياة الإسلامية ، ليوحنا دكاويوا :
٥٨١

بطليقة ، لابن مظاهر : ٢٧٤
منع الدخ ، لابن سيد الناس : ٤٠٠
المن بالإمامة على المستنفيين ، لابن صاحب
الصلا ، البرقي : ٢٤٢
محتاج السداد ، لابن المقرئ : ٤٢٨
مواقع النجوم ، لابن عربي : ٣٧٣
موطأ مالك : ٣ ، ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢٧٦
ميران العدل ، لابن رشيق : ٢٨٢
ميزان العمل ، القزالي : ٥٠١
ميلو ، لاتيود فندوم : ٥٨٤

(ن)

الناسخ والمنسوخ ، لخاص بن أسبغ : ٣٩٥
النبات ، للبكري : ٣١١
النبراس في ذكر خلفاء بني العباس ، لابن
دحية : ٢٨٤
نبح الحياة ، لابن جبيرول : ٢٦ . واظفر :
يلبوع الحياة
النبوت ، لثورمينا : ٥٨٧
النجم من كلام سيد العرب والعجم ، لابن
الأقلبي : ٣٩٩
نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزراء
أبي بكر بن عمار ، لابن بسام : ٢٨٩
نزهة البصائر والأبصار ، لأبي الحسن
النبلي : ٢٥٢
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، للإدريسي :
٣١٣
نظام المربان في المسالك والممالك ، لابن
الدلال : ٣١٥
النظر والعمل ، قزهاوي : ٤٦٦
فتح الطيب ، للمقرئ : ٢٢٠ ، ٣٠٣
النفحة المسكية في الرحلة المسكية ، لعل بن
سعيد : ٢٤٧
النفس ، لابن سينا : ٥٣٧
النفس ، للإسكندر الأفروديسي : ٣٣٨

معيار الاختيار ، لابن الخطيب : ٢٥٨
المغرب عن عجائب المغرب ، لأبي حامد
الفرناطلي : ٣١٢
المغرب في اختصار الدعوة ، لابن أبي زهير :
٤٢١
المغرب في حلى المغرب ، لعل بن سعيد
المغربى : ١٣٥ ، ١٧٧ ، ٢٤٥
المغنى في الطب ، لابن البيطار : ٤٧٩
المفاضلة بين سائفة وسلا ، لابن الخطيب :
٢٥٩
المفتاح ، لقيس التبان : ٤٩٨
مقاصد الفلاسفة ، لقرائ : ٥٣٨
مقال في المرحان ، لابن بلجة : ٣٣٧
مقالات في الأخلاق والسياسة ، ليبيكون :
٢١٧
مقامات الحريري : ١٨٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠١ ،
٥٩٢
المقتبس ، لابن حيان : ٢٠٨ — ٢٠٩
المقتطف من أزهار الطرف ، لعل بن سعيد :
٢٤٦
المقدمات لأوائل كتب المدونة ، لابن رشد
(الجلد) : ٤٢٧
المقصودة (القصيدة) ، لحازم القرطاجي :
١٣٣
مسألة طائفة محمد ، ليدرو بسكال : ٥٧٧
المسكنة الإسكوريةالية العربية الإسبانية ،
لميخائيل القزيري : ٥٣٣
مسألة السيد : ٦١٢
ملك النحل ، ل محمد بن محمد الغضنى الفرناطلي :
١٧٩
ملوك الأندلس ، لابن يتيق : ٢٧٢
المالك ، للإدريسي : ٣١٣
منه الجبارة ، لجودي بن عثمان : ١٨٥
المنتخب ، لابن بلجة : ٤٠١
منتخب كتاب جامع القردات ، لغنائق :
٧٤٣ — ٧٤٤
المنتخب من تاريخ الرؤساء والقضاة والقضاة

١٧٧
واسطة السلوك ، لأبي هو موسى بن يوسف :
٥٧٨
الواحدة ، لعبد الملك بن حبيب : ١٩٤ ،
٤١٦
الوثائق المتصلة لابن حفيث : ٤٤٣

(ي)

يلبوع الحياة ، لابن جيبول : ٢٢٦ ،
٤٩٣ ، ٥٣٨
اليواقيت والجواهر ، للفراني : ٥٦٧
يتيمة الدهر ، لشمالي : ٣٩ ، ١٢٥

قطب العروس ، لابن حزم : ٢٢٠
النكت ، لأبي الفوت المصنعي : ٦٦
نهاية الأرب ، للنجاشي : ٢٥١
نواذر القعة ، لأبي علي الفاي : ١٨٩ ، ١٨٩
نية ابن زيدون : ٨٣

(هـ)

الهداية إلى فرائض القلوب ، لبيبا بن مخلوف :
٢٦ ، ٤٩٤ — ٤٩٧ ، ٥٠٩
هزار قصيدة : ٥٩٧

(و)

واجب الأدب ، لموسى بن محمد الطوسي :

ب — كتب إفريقية أو وردت بغير العربية

- An abridged version of the Book of Simple Drugs*; M. Meyerhof and G. Sobhy : ٤٧٢
- Antología Española*; Pascual de Gayangos : ٥٩٢
- Antología de poetas líricos Castellanos*; Menéndez Y Pelayo : ٦١٤
- Die arabische Literatur der Juden*; Moritz Steinschneider : ٤٨٩
- Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis*; Michaelis Castri : ٥٢٣ ، ٤٨١
- Blanquerna*; Raymundo Lullo : ٥٤٩ ، ٥٤٣
- Le Calendrier de Cordon de Pannée ٩61*; R. Dozy : ٤٨٨
- El Cancionero de Aben Cuzman*; Nykl, A.R. : ١٦٢
- El Cancionero de Baena* : ٦٢٨
- El Cancionero de Palacio* : ٦٢٧
- El Cancionero General de Hernando del Castillo* : ٦٢٩
- Catálogo de Crónicas de la Real Biblioteca* : ١٩٧
- Chronicon Durgense* : ٧١
- Cobles del Regne de Mallorca*; Turmeda : ٥٨٧
- El Collar de Perlas*; Gaspar Rimero : ٥٧٨
- Continuatio Hispana* : ١٩٨
- Convita*; Danti : ٥٧٢
- Coplas del Albicante de Puey Monzón* : ٣١٩
- Las Coplas del Peregrino de Puey Monzón*; Mariano de Pano Y Runta : ٥٢٤
- Die Cordovaner Arib ibn Sa'd der Sekretar und Rabbin Zaid der Bischof*; Dozy : ٤٨٨
- El Criticón*; Gracián : ٦٠١
- La Crónica General de España*; Alfonso X : ٥٧٤ ، ٥٧٢
- Crónica Mozdrabs* : ١٩٨
- La Crónica Sarracina*; Pedro del Corral : ١٩٨
- Disciplina Clericalis*; Pedro Alfonso : ٢٨
- Disertaciones y Opúsculos*; Juan Ribera : ٦١٠
- Disputa del asno contra fray Anselmo de Turmeda* : ٥٨٧
- La Escatología Musulmana en la Divina Comedia*; Asín Palacios : ٥٥٢
- La Escuela de traductores de Toledo*; G. Menéndez Pidal : ٥٧٩
- Esquisses d'histoire de la pharmacologie chez les musulmans d'Espagne*; Meyerhof : ٤٧٢
- Estudios sobre Azraqiel*; Millas Vallicrosa : ٤٥١
- Estudio sobre la invasión de los Arabes*; E. Saavedra : ٤٨٨
- Estudios y discursos de crítica histórica y literaria*; Menéndez Y Pelayo : ٥٥٠ ، ٥٥١
- Fons Vilae*; Dominicus Gundissalinus : ٤٩٢

- Georges Dandin*; Molière : ٥٨٠
Gesch der arabischen Aerzte; Wues-
 enfeld : ٤٧٢
- Die hebraische Uebersetzungen. . .*;
 Steinschneider : ٥٠١
Al-hidaja ila Fara-id al Qalub;
 A. S. Yahuda : ٤٩٦
*Histoire des sciences mathématiques
 en Italie*; Guillermo Libri : ٤٨٨
Historia de la literatura española;
 M. O. Ticknor : ٥٧١
Historia del caballero Cifar; Ferrand
 Martinez : ٥٩٨
*Historia de los heterodoxos Espano-
 les*; Menéndez Pelayo : ٥٤٠
Historia de los Mozárabes de España;
 Francisco Javier Simonet :
 ٤٨٨, ٤٨٦
Historia del Principe Erasto; Pedro
 Hurtado de la Vera : ٥٨٧
*A History of Medieval Jewish Philo-
 sophy*; Isaac Husik : ٥٥٥
Huellas del Islam; Asín Palacios :
 ٥٨٧, ٥٤٧
- Ibn al-Sid de Badajoz y su libro de
 los cercos*; Asín Palacios : ٣٣٥
Ibn Masarra y su Escuela; Asín
 Palacios : ٥٤٧, ٥٤٥
The Improvement of Moral Qualities;
 St. Wisc : ٤٩٤
*La Impunación de la secta de Ma-
 homa*; San Pedro Pascual : ٥٧٢
- Kitab Tabakat al Umam*; R. Bla-
 chère : ٤٤٦
- Leyendas de José hijo de Jacob y de
 Alejandro el Magna*; F. Gmíllén
 Robles : ٥٧٧
Libre de bons ensenyaments; Tur-
 meda : ٥٨٧
- Libre Felix de les meravelles del
 món*; Raymundo Lullo : ٥٥
El Libro de Buen Amor; El Arzip-
 reste de Hita, Juan Ruiz : ٦٢٥
El Libro del Amigo y del Amado;
 Raymundo Lullo : ٥٤٩
El Libro del Genitil y los Tres Savis;
 Raymundo Lullo : ٥٥٥
*Il Libro della Scala e la questione
 delle fonti árabe-espagnole della
 Divina Commedia*; Enrico Cerulli
 ٥٥١
Libro del Tártaro y del Cristiano;
 Raymundo Lullo : ٥٥٠
Libro de los Estados; Don Juan
 Manuel : ٥٠
Libro de los Exemplos; Sánchez de
 Vercial : ٥٨٠
La Lirica de Las Trovadores;
 Martín de Riquer : ٦٦٦
*El literalismo de los traductores
 de la corte de Alfonso el Sabio*;
 J. Millas Vallierosa : ٥٧٦
*Le livre de l'agriculture d'Ibn al-
 Awam, trad. Clement-Mullet*
 : ٤٧٥
- Manuscritos aljamiados de mi Coll-
 ección*; Pablo Oll : ٥٢٩
*Manuscritos Arabes y Aljamiados
 de la Biblioteca de la Junta*; J.
 Ribera y M. Asín : ٥١٣
*Mélanges de philosophie juive et
 arabe*; Salomon Munk : ٤٩٢
Memorial Histórico Español; Ed-
 uardo Saavedra : ٥٠٨
Los Milagros; Gonzalo de Berceo :
 ٥٦٦
Milo; Mathieu de Vendome : ٥٨٤
- Notas sobre los traductores toled-
 anos Domingo Gundisalvo y Juan
 Hispano*; P. Manuel Alonso : ٥٣٨

- De nouveau sur la Chanson de Roland*; Boissonade : ٦١١
- Opusculs et Traités d'Abou'lWalid Merwan ibn Djanah de Cordoue*; Joseph et Hartwig Derenbourg : ٤٩١, ٤٨٩
- Origenes de la novela*; Menéndez Pelayo : ٥٩٣, ٥٨٣, ٥٢٥
- El original Árabe de la disputa del asno contra fr. Anselmo Turmeda*; Miguel Asín Palacios : ٥٨٨
- Les origines de la poésie lyrique en France au moyen-âge*; Jeanroy: ٦١٠
- Partición de Herencias entre los Musulmanes del Rito Malequí*; José A. Sánchez Pérez : ٤٥٨
- Poemas Arabigo-Andaluces*; García Gomez : ٣٠
- Poesía árabe y poesía europea*; Menéndez Pidal : ٦٢٧, ٦١٥
- La poesía heroicopular Castellana y el Mester de la Clereca*; Manuel de Montoliu : ٥٩٦
- Poesía Medieval*; Luis González Simon : ٥٩٦
- La Poesía Sagrada Hebráico-española*; José M. Millas Vallicrosa : ٥٠١, ٤٩٩, ٤٩٨
- Poesía y arte de los Árabes de España y Sicilia*; Von Schack : ٥٠
- La poésie Andalousse en Árabe Classique au XI Siècle*; Heimi Pères : ٣١
- La poésie arabe anté-islamique*; René Basset : ٣٥
- Proemio*; El Marqués de Santillana : ٢٩٩
- Las Profecías*; Turmeda : ٥٨٧
- Prolegomena zu einer erstmaligen Herausgabe des Kitab al-Hidāya ilā Fara'id al Qalub*; A. S. Yahuda : ٤٩٧
- Proverbes arabes de l'Algérie et de Maghreb*; Mohammad Ben Che-neb : ١٦١
- Pugio fidei*; Raymundo Marlin : ٥٢٠
- Qasidas de Andaluza*; García Gomez : ٣٠
- El recuento de Al-Mi'ced y Al-Mayraa*; Mariano de Pano: ٥٢٨
- Recuerdos de Valladolid*; Alonso de Zorila : ٥٩٧
- Selected poems of Moses ibn Ezra*; H. Brody : ٤٩٨
- Selomo ibn Gabirol como poeta y filósofo*; Millas Vallicrosa : ٤٩٤
- Silva de varia leccion*; Pero Mexia : ١٦٩
- The Sources of el Cavallero Cifar*; Charles Philip Wagner : ٥٩٨
- Speculum Historiale*; Vincent de cauvais : ٥٨١
- La Théologie Ascétique de Bahya ben Paquda*; Georges Vajda : ٤٩٤
- Vies des dames galantes*; Brantôme : ٥٨٤
- Vita Nova*; Dante : ٥٧٣, ٧٥

٣ - فهرست المصطلحات

(١) مصطلحات عربية أو وردت بالعربية

<p>الإمبراطورية البيزنطية : ٦١١ الإمبراطورية الرومانية : ٦١٢ الأمويون : ٣٨ ، ٧ أنشودة رولان : ٦١٠ الأوزاعية : ١٩٣ * أوك (لغة) : ٦١٤ أولاد الناس : ٥٩٩ * ليدوم : ٤٩٤</p>	<p>(١) الآناس الثلاث (موضوع شعري) : ٧٣ الأناسية (فرقة من فرق الخوارج) : ٣٢٤ الأنباء الشبي الخارج (في الشعر الأندلسي) : ١٤٢ - ١٦٦ إخوان الصفاء : ١١ ، ٥٨٨ الأدب (فرع من فروع الثقافة العربية) : ١٥ ، ١٦٧ - ١٨٢ الأدب الحمادي = الأدب المستعجمي : ٢٥ الأدب العبري : ٤٨٩ أرجوزة : ٥٦ ، ٥ الأساطير الإسلامية : ٢٧ الإسراء : ٥٥١ الإسكولاستيون : ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ الأسلوب الخفاجي (في الشعر) : ١٢٤ الاعتزال : ١١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ الأمراف : ٥٦٦ الأغاني الإسبانية : ٢٨ * الأغاني الكرخالية : ٦٢٠ الإغريق : ٣٢ الأفصان : انظر ضمن الإنطاعيون : ٦٠٨ * ألباتا : ١٥٥ الألبادا : ١٦٣ الألباتا : (موضوع شعري) : ١٥٥</p>
(ب)	
<p>الباطنية : ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ * البالاتا (شرب من الشعر الأوروبي) : ٦٢٠ * البزموون (فن شعري عبري) : ١٥٥ البصريون : ١٧٢</p>	
(ت)	
<p>التاريخ (في الأندلس) : ٢٢ ، ٢٣ ، ١٩٣ - ٣٠٦ تاريخ الأدب : ٢٨٥ - ٣٠٤ التاريخ الطيبي : ٣١٩ التاسوعات : ٣٢٩ التأليف الملقى : ١٦ التأليف المرسومي : ٨ التجيبون (أصحاب سرسلطة والفر الأمل) : ١١٠</p>	

المصطلحات التي بجوارها هذه العلامة (*) موجودة أيضاً في فهرست المصطلحات
الإنجليزية .

(خ)

- الخرجة : ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
١٦١ ، ٦١٥
الخصوم : ٤٣٠
الخيادية : انظر أيضا : كتابات الستمجيين :
٥٠٧
الحوارج : ٣٧٤

(د)

- الدراسات الطلودية : ٩ ، ٢٦ ، ١٠٧
الدراسات العبرية : ٩ ، ١٥
الدولة الأموية : ٧
دولة طالية : ٧
الدولة المبادية : ١٠٦
ديوان الصفيق : ٥٠٧
ديوان التمساء : ٦٥

(ر)

- الرافضة : ٢٨٧
رمضان ، شهر : ١٦٢
روضيات ابن خنافة : ١٢٤
الرياضيات : ٨ ، ١٧ ، ٢٢

(ز)

- الزجل : ٨ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ،
١٦٦
زجل إسباني : ١٥١
الزجال والزهلون : ١٥٦ — ١٥٧ ،
١٥٨
الزرقالية : ٤٥١
الزئقة : ٢١
الزهرات : ٧٣

(س)

- السط والسموط : ٣٧ ، ١٤٣

تحرير العقود : ١٧

التنميس : ٨٦

التراجم : ٢٢

* التروبادور : ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٦١٣ ،

٦١٥

* التروثير : ٦١٣

* التسيحات اللاتينية : ١٥٥

التشريع : ٢

التصريق : ٣٣٠

التصوف : ٣٧١ — ٣٩٠

التصغير (في الأرجال وللوشحات) : ١٥٦

التغزل : ١٦٢

التفسر : ٩

تواريخ النواحي : ٣٠٤ — ٣٦٥

(ث)

التيوسوفية : ٤٦

(ج)

الجاكارا : ٥٨٤

* جامع مفردات : ٦٢٥

الجرمات : ٦١٣

الجفرالية : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٠٩ — ٣١٩

الجوارى الفلاميات : ٣٩

(ح)

الحب الأفلاطوني : ٤٣

الحب العذري : ٤٣

الحديث : ٩ ، ٢٢ ، ٣٩٣ — ٤٠٢

* حرب الاسترداد ، (لاريكوكليستا) : ٢٧

الحروب الصليبية : ٥٩٥

الحضرة والحضرات : ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧

حكومات اللدنيات : ١٣

حي الريم : ٤٦٥

(ط)

الطب : ١٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٤٦١
 الطوائف : ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ،
 ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٨٧ ، ٩٠٠ ،
 ١١٧ ، ٢٠٧ — ٢٣٢ ، ٢٤١
 ٤٢٦ ، ٤٥٠
 الطويلة (لباس الرأس) : ٩٧

(ظ)

الظاهرة (مذهب) : ٩ ، ١٤ ، ٧١٥ ،
 ٧٣٧

(ع)

العامة : ١٧
 العباسيون : ٧ ، ٣٨ ، ٥٩
 العجبية : ١٤٧
 عصر الإمارة : ٥٠ — ٥٨ ، ٦١
 عصر الخلافة : ٥٩ — ٧٩ ، ١٩٣ —
 ٢٠٧
 عصر الطوائف : ٧٩ — ١٧٣
 العصر القوطي : ٣٧٣
 عصر الولاة : ١
 المصور الوسطى : ٢٩ ، ٣١٤ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٨ ، ٣٥١ ، ٤٦٩ ، ٤٨٨ ،
 ٥٥٠ ، ٥٧٩ ، ٥٨٥ ، ٥٩١ ،
 ٥٩٨ ، ٦١٤ ، ٦٢٧
 العلوم الإغريقية : ٢٧
 العلوم الدينية : ٩ ، ٢٢
 عيد القديس يوحنا : ٢٩
 عيد يناير : ٣١

(غ)

الغنم والأغصان : ١٤٣ — ١٥٩

المنة : ٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨

سورة يوسف : ٥١٤

(ش)

الشاميون : ٦١
 الشافعية : ٤٣١ — ٤٣٩
 الشامية : ١
 الشرح : ٢٣
 الشروط : ٢٨٢
 الشعر : ٢ ، ١٩ ، ٣٠ — ١٦٦ ،
 ٦١٣ — ٦٣٠
 الشعر البروفنسي : ١٦٣ ، ٥٣٥ ، ٦١٤ ،
 ٦١٥
 الشعر الجاهلي : ٣١ — ٣٧ ، ٦٦
 الشعر العبري : ٢٦
 الشعر العبري الحديث : ٤٨٩
 الشعر الفنائي : ١٢ ، ٢٩
 الشعر القصبي : ٥٠ — ١٤٢
 الشعر القديم الحديث : ١٢٤
 الشعر القصبي : ٤١ ، ٦٠٣ — ٦١٣
 شعر الملاحم : ٢٨ ، ٤١
 الشعراء : ١٢ ، ١٧
 شعراء بلاط : ٦
 الشيعة : ٦

(ص)

الصالحات ، قصص : ١٨ ، ٥٩٢
 الصغرية : ٣٢٤
 الصغرية : ٤٥١ ، ٤٥٢ — ٤٥٣ ،
 ٥٧٦
 الصقالبة : ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣
 الصوفية : ٣٢٧ ، ٣٣٢
 الصيدي (نوع من النسيج) : ١٩٤

النورس : ٧٢٠

الفنوصية : ٣٧٩

(ف)

الفابيو : ٥٣٦ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٦٩٠

الفاطميون : ٧

فتح الأندلس : ١٩٥

الفتنة الكبرى : ١٣

فتنة النصاري : ٣

* الفجريات (موضوع شمرى) : ١٥٥ ،

٦١٩

* الفجر آمل : ٥٨٦

الفروسية العربية : ٦

الفرقات ، في الزجل واللوحة : ١٣٧

الفقه : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢١٨ ، ٤١٣ — ٤٤٣

الفقه الشافعي : ٩

الفقه المالكي : ٩

الفقهاء : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ،

١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٥٥ ، ٦٥ ،

٩٥ ، ١٠٠ ، ١٦٦ ، ٢٧٣ ،

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ،

٤٤٧ ، ٤٤٨

فدهاء مالكيون : ١٧

الفلسفة : ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٧ ، ٢٣ ،

٦٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ — ٣٩٠ ،

٤٥٠ ، ٥٣٦ — ٥٧٣

الفلوك : ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ ،

٣٤٨ ، ٤٤٧

(ق)

القرابات : ٩ ، ٤٠٥ — ٤٠٩

القتاليون : ٧

قصر الخلافة : ٨

القوائد الوثنية : ٣٣

قصر الإسماعلي : ٢٨

القصر الأندلسي : ٢٩

* قصص الصالحين : ١٨ ، ٥٩٧

القصة الفلسفية : ٢٨

القضاء في الأندلس : ٢٧٠

قضاء الأندلس : ١٩٥

القتل (في الزجل واللوحة) : ١٥٩

القتل (في الزجل واللوحة) : ٦١٥

القوط : ٥٩٨

القيبة : ١

(ك)

الكتا واكتا : ٤٦٤

* كدار (لغة) : ٤٩٤

* الكتليجات : ٢٨ ، ٦١٣ ، ٦٢٣

* الكوتراستو : ٦١٩

(ل)

اللغات الرومانية : ٢٩

اللغة البارجية : ٦

* اللاهجات الرومانية : ٦

الليونيون : ٧

(م)

مالكيون : ٥ ، ٣٢٣ ، ٣٧٤

مالكية : ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٤ ، ١٩٣

للتصوفة : ٢٣

للمناخ النفسية : ٦٢٠

للمدرسة الترنسكية : ٥٤٧

المدح : ١٢ ، ١٣٦

المنحجب الشافعي : ٧

المنحجات : ٣٢ ، ٣٣

المرايطون : ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩

٢١ ، ٢٣ ، ٥٥ ، ٩٧ ، ١٩ —

(ن)

النبات : ٧٣

التبرون : ٧

التحو : ٢٧ ، ٢٣ ، ١٨٥ — ١٨٨

التحو العبري : ٢٦

التصاري : ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٦ ، ٩١ ،

١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٢٢ ، ١٨١ ،

٢٧٧ ، ٣٣٢ ، ٤٥٧ ، ٤٨٥ ،

٥٠٧ ، ٥١٩ ، ٥٣٥ ، ٥٤٣ ،

٥٧٣ ، ٥١٩ ، ٦١١

نظرة الحفيتين : ٥٤٠

النقد الأدبي : ٢٢

نكاح للصحة : ٣٣١

للهفة الإفريقية : ٢٢

النورمان : ٨٩ ، ٩٧ ، ٦١٩

(أ)

حج الرض : ٣

(و)

وثائق : ١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٤١

(ي)

اليمنية : ١

اليهود : ٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ١٠٨ ،

١٨١ ، ٣٣٢ ، ٤٥٧ ، ٥٤٠ ،

٤٨٨ — ٥٠٣ ، ٥٧٣

اليهودي الثاني : ٣٧٧

١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،

١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ —

١٢٥ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ٢٣٢

المركز (في الزجل والمودعة) : ١٤٣

المروانيون : ٧٢ — ٧٤

المريطون : ٣٣٢

المستجمعون (كتابات) : ٥٠٥ — ٥٢٩

المستعمرون : ٦٠ ، ٦١ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٥٩ ،

١٢٦ ، ١٥٦ ، ٤٨٥ — ٤٨٨

معاجم الرجال : ١٢

معاجم الفقه : ١٨٩ — ١٩٠

المعتزلة : ٢٣٠ ، ٤٣٦

المعراج : ٥٥١ ، ٥٧٢

المعقاب : ٣١ — ٣٤

مكتبات قرطبة : ١٣

مكتبة القصر : ١٠ ، ١٢ ، ٦٥

الملسكية : ٣٣١

الملسكية الأدبية : ٥٩١

الملسكية القفارية : ٢١٢

* المن : ٦١٤

* المنيزنجر : ٦١٣

للهدى : ٧

للوالى : ٥٥ ، ٧

الوالي : ١٥٧

الموحدون : ١٩ ، ٢٣ ، ٥٥ ، ١١٥ ،

١٢٦ — ١٣٧ ، ١٦٥ ، ٢٧٧ ،

٥٣٦

* الموريسكيون : ٢٥ ، ١٦٦ ، ٣٩٩ ،

٥٠٧ ، ٥٩٥

الموسيقى الأندلسية : ٢٨ ، ٢٩

الموسيقى العربية : ٦١٤

للاوشة : ٦ ، ٢٩ ، ٧٨ ، ١٢٩ ، ١٤٣ ،

١٥٣ ، ١٥٥

(ب) مصطلحات إفرنجية

Albada : ٦١٩ ، ٦٥٥	Kedar : ٤٩٤
Albata : ٦٥٥	Laudes sacras : ٦٢٠
Ballata : ٦٢٠	Minne : ٦١٤
Cantigas : ٦١٣ ، ٥٧٤	Minnesaenger : ٦١٤
Cantos carnavalescos : ٦٢٠	Los Moriscos : ٥٠٧
Comitatus : ٦١٢	Novela picaresca : ٥٩٢ ، ١٨٠
Comes : ٦١٢	Oc : ٦١٤
Contrasto : ٦١٩	Pizmon : ١٥٥
Coplas : ١٣٢	La Reconquista : ٧٧
Dignitates : ٥٤٧ ، ٥٤٥	Responsorio latino : ١٥٥
Edom : ٤٩٤	Romance : ١٤٢
Estudio : ٥٧٤	Romances : ٥١٩
Fabliaux : ٦١٠ ، ٥٨٠ ، ٥٢٦	Troubadores : ٦١٣
Fraille : ٥٨٦	Troveros : ٦١٣
Glosario : ٦٢٥	

محتويات الكتاب

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

مقدمة

ف ١ ١

فصل الثاني

الشعر

- ف ٢ — الشعر في الجاهلية ٣١
ف ٣ — الشعر العربي بعد الإسلام ٣٨
ف ٤ — الخصائص الفنية للشعر الأندلسي ٤٢
ف ٥ — موضوعات الشعر الأندلسي ٤٣

(١) الشعر الفصيح

١ — عصر الإمارة

- ف ٦ — طلائع شعراء عصر الإمارة ٥٠
ف ٧ — زوايد وأجسكاره ٥٢
ف ٨ — يحيى النزالي وقام بن عتبة ٥٥
ف ٩ — الأمير عبد الله . سعيد بن جردى . شعراء البلاط ٥٧

٢ — عصر الخلافة

- ف ١٠ — طلائع شعراء عصر الخلافة ٥٩
ف ١١ — ابن عبد ربه . سعيد بن منقر البلوطي ٦٢
ف ١٢ — ابن حبان . الزبيدي ٦٢

٦٥	ف ١٣ — شعراء النصور ...
٦٦	ف ١٤ — صاعد البندادي ...
٦٨	ف ١٥ — الرمادي ...
٦٩	ف ١٦ — الوزير أبو الفيرة بن حزم ...
٧١	ف ١٧ — ابن أبي زمنين . ابن المدي . جيتي الصقلي ...
٧٢	ف ١٨ — شعراء الروائيين ...
٧٤	ف ١٩ — أبو محمد علي بن حزم القرطبي ، جابه النحوي ...
٧٧	ف ٢٠ — خصائص الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ...

٣ — عصر الطوائف

(١) قرطبة

٨٠	ف ٢١ — أبو الوليد أحمد بن زيدون ...
----	--------	-------------------------------------

(ب) إشبيلية

٨٦	ف ٢٢ — المعتضد بن عباد ...
٨٨	ف ٢٣ — المعتد ...
٨٩	ف ٢٤ — المعتد وابن عمار ...
٩٥	ف ٢٥ — اعتاد ...
٩٦	ف ٢٦ — شعراء بلاط المعتد . ابن حديس الصقلي ...
٩٨	ف ٢٧ — شعر المعتد في سموده ...
٩٩	ف ٢٨ — الراجلون في إشبيلية ...
١٠١	ف ٢٩ — شعر المعتد في منقاه ...
١٠٥	ف ٣٠ — شهرة الملك الناصر ...

(ج) غرناطة

١٠٧	ف ٣١ — أبو الفتح الجرجاني ، أبو إسحاق الإليزي ...
-----	--------	---

(د) للرية

١٠٩	ف ٣٢ — الوزير أحمد بن حديس ...
١١٠	ف ٣٣ — المتصم بن صادق صاحب الرية وشعراء بلاطه ...
١١٣	ف ٣٤ — آل المتصم ...

(هـ) يانسية ومرسية

ف ٣٥ — ابن وهيب . ابن جبر . الوقتي ١١٦

(و) بطليوس

ف ٣٦ — المنظر بن الأسير ١١٧

ف ٣٧ — ابن جبر . ابن جبر ١١٨

(ز) سرقطة

ف ٣٨ — ابن جبر ١٢٢

٤ — عصر المرابطين

ف ٣٩ — ابن خفاجة . ابن الزرق . أبو الصلت الثاني ١٢٣

٥ — عصر الموحدين

ف ٤٠ — أبو جعفر بن سعيد وحفصة الركوبة . مدة بخت زياد ١٢٦

ف ٤١ — أبو بكر محمد بن زهر ١٢٩

ف ٤٢ — أبو البقاء الرندي ١٣١

ف ٤٣ — ابن الأبار ١٣٣

ف ٤٤ — علي بن سعيد المقرئ ١٣٥

٦ — مملكة غرناطة

ف ٤٥ — ابن الخطيب (كناعر) ١٣٧

ف ٤٦ — ابن دمر ١٣٩

منحة

(ب) الاتجاه الشعبي الدارج

- ف ٤٧ — نظرية ربيعا الجديدة ١٤٢
 ف ٤٩ — مقدم بن سائق القبري ، بتكر الموشحة ١٥٣
 ف ٥٠ — أوائل الزجاليين ١٥٦
 ف ٥١ — ابن قزمان ودبواه ١٥٨
 ف ٥٢ — مدرسة ابن قزمان ١٦٤

الفصل الثالث

الأدب

- ف ٥٣ — « الألب » كفن من فنون الفكر العربي في الأندلس ١٦٩
 ف ٥٤ — ابن عبد ربه وكتابه « العقد الفريد » ١٦٩
 ف ٥٥ — أبو طي الغالي . ابن الجسور ١٧٢
 ف ٥٦ — أبو بكر الطرطوشي وكتابه « سراج للوك » ١٧٤
 ف ٥٧ — ابن أبي الحصال . ابن عبد البر . ابن الأضلس . ابن اللواعبي ١٧٧
 ف ٥٨ — يوسف بن الفخ البلوي للثاني ١٧٩
 ف ٥٩ — اللغزون لقائات الحريري والمقرون عليها ١٨٠

الفصل الرابع

النحو ومعاجم اللغة :

- ف ٦٠ — أوائل النحويين الأندلسيين . الزيدى . أبو طي الشاويش . ابن مالك
 أبو حيان ١٨٥
 ف ٦١ — معاجم اللغة ١٨٩

(١) كتب التاريخ العام

١ - عصر الخلافة

- ٦٢ - عبد الملك بن حبيب ١٩٣
 ٦٣ - آل الرزقي ١٩٦
 ٦٤ - الأخبار المجموعة ١٩٨
 ٦٥ (أ) - تاريخ افتتاح الأندلس ، لأبي بكر بن الفوطي ٢٠٢
 ٦٥ (ب) - هريب بن سحدي ٢٠٦

٢ - عصر الطوائف

- ٦٦ - أبو مروان جيان بن خلف بن حسين بن جيان ٢٠٨
 ٦٧ - محمد بن مزين ، ابن مسلمة ، ابن أبي الفياض ٢١٢
 ٦٨ - ابن حزم اللرطلي ٢١٣
 ٦٩ - آثار ابن حزم في الفلسفة والعقيدة وعلوم الدين والتاريخ ٢١٧
 ٧٠ - في اللغة والأصول ٢١٨
 ٧١ - في علوم الدين ٢١٩
 ٧٢ - في التاريخ ٢٢٠
 ٧٣ - كتاب التمثل ٢٢١
 ٧٤ - آثار ابن حزم الأدبية : « طوق الحمامة في الألفة والألاف » ٢٢٩
 ٧٥ - مدرسة ابن حزم ٢٣٧
 ٧٦ - أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد الطليطل ٢٣٩
 ٧٧ - تواريخ لندول ٢٤٠

٣ - عصر المرابطين والموحدين

- ٧٨ - ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد بن علي أبو مروان الباجي ٢٤١
 ٧٩ - بنو سعيد ٢٤٢
 ٨٠ - عبد الواحد المراكشي ٢٤٨

منه

٤ - مملكة غرناطة

- ف ٨٦ - ابن الخطيب ٢٥٢
 ف ٨٧ - عبد الرحمن بن خلدون ٢٥٩

(ب) التراجم وفهارس الكتب

- ف ٨٣ - ابن عبد البر والحفي ٢٦٧
 ف ٨٤ - ابن القزويني ، الحباري ٢٧٠
 ف ٨٥ - ابن بشكوال ومصادره ٢٧٣
 ف ٨٦ - ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القاضي) ٢٧٧
 ف ٨٧ - ابن خير ٢٨١
 ف ٨٨ - معجم التراجم الحاشية : القاضي هياض ، ابن دحية .. ٢٨١

(ج) تاريخ الأدب

- ف ٨٩ - ملاتيم للوفيات في تاريخ الأدب ٢٨٥
 ف ٩٠ - أبو الحسن علي بن إسحاق الفتنيني ٢٨٨
 ف ٩١ - ابن خالان (أبو نصر الفتح محمد بن هبة الله القيسي) ٢٩٦
 ف ٩٢ - الشنقي (أبو الوليد إسماعيل بن محمد) ٢٩٩
 ف ٩٣ - ابن الخطيب والقرى ٣٠٢

(د) تواريخ النواحي

- ف ٩٤ - أم المؤلفات في هذا الباب ٣٠٤

الفصل السادس

الجغرافية والرحلات

- ف ٩٥ - الورداني . البكري ٣٠٩
 ف ٩٦ - ابن عبد النعم المحمدي . أبو حامد الترنطلي ٣١١
 ف ٩٧ - الإدريسي ٣١٢
 ف ٩٨ - ابن جبير ٣١٦
 ف ٩٩ - الصديري ، الجغرافيون في العصر الترنطلي ٣١٨

التفصيل السابع

الفلسفة واللاهيات

ف ١٠٠ — أصول الفلسفة في الأندلس ٣٢٣

(أ) المدرسة الأفلاطونية الحديثة

ف ١٠١ — محمد بن عبد الله بن مسرة ٣٢٦

ف ١٠٢ — مدرسة ابن مسرة ٣٣٠

(ب) المدرسة المشائية

ف ١٠٣ — مودة الدراسات الفلسفية الى النشاط ٣٣٢

ف ١٠٤ — أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني ٣٣٤

ف ١٠٥ — ابن السيد البطليوسي (عبد الله بن محمد بن السيد النحوي) ٣٣٤

ف ١٠٦ — ابن بلجة ٣٣٥

ف ١٠٧ — ابن طليل ٣٤٨

ف ١٠٨ — ابن رشد : حياته ومؤلفاته ٣٥٣

ف ١٠٩ — آراء ابن رشد الفلسفية ٣٥٨

ف ١١٠ — تلاميذ ابن رشد ٣٦٢

ف ١١١ — الرشدية ٣٦٧

ف ١١٢ — ابن العريف (أبو البباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن

العريف الصنهاجي) ٣٦٩

(ج) التصوف

ف ١١٣ — يحيى الدين بن عربي ٣٧١

ف ١١٤ — مؤلفات ابن عربي ٣٧٦

ف ١١٥ — الخصائص العامة لمذهب ابن عربي القلبي اللاهوتي ٣٧٩

ف ١١٦ — ابن سبعين ٣٦٨

ف ١١٧ — ابن عباد الرندي ٣٩٠

صفحة

الفصل الثامن

علم الحديث

ب ١١٨ — الحديث والسنة	٣٩٣
ب ١١٩ — كبار المحدثين الأندلسيين	٣٩٤
ب ١٢٠ — ابن عبد البر	٣٩٦
ب ١٢١ — ملجأ رجال الحديث	٤٠١

الفصل التاسع

القراءات وتفسير القرآن

ب ١٢٢ — القراءات : أبو عمرو الباقى . وابن فيرة الشاطبى	٤٠٥
ب ١٢٣ — تفسير القرآن . بنى بن علف	٤٠٧

الفصل العاشر

علم أصول الفقه

ب ١٢٤ — المذاهب الفقهية	٤١٣
ب ١٢٥ — مذهب مالك ، دخوله الأندلس	٤١٧
ب ١٢٦ — كبار فقهاء المالكية فى الأندلس : أبو الوليد الباجى وأبو الوليد بن رشد	٤١٨
ب ١٢٧ — فقهاء المالكيون آخرون : ابن عامر	٤٢٧
ب ١٢٨ — فقهاء الشافعية	٤٣١
ب ١٢٩ — فقهاء المذهب الظاهرى	٤٣٩
ب ١٣٠ — تحرير الوثائق والشروط والقرائن (قسم الموارث)	٤٤١

الفصل الحادى عشر

الرياضيات والفلك

ب ١٣١ — أصول الدراسات الرياضية والفلكية فى الأندلس	٤٤٧
ب ١٣٢ — مسألة الجهرطى ، إقليدس الأندلس	٤٤٨

محتويات الكتاب

٧١٣

مقدمة

- ف ١٢٣ - الزرقاني ، نحو هود أصحبه سرقطة ٤٥٠
ف ١٢٤ - جابر بن أفلح . البطروجي الرقوتي القلصادي ٤٥٥

الفصل الثاني عشر

الطب والنبات

- ف ١٣٥ - أوائل الأطباء ٤٦١
ف ١٣٦ - كتب ديسقوريدوس في الأندلس ٤٦٢
ف ١٣٧ - أبو القاسم الزهراوي . ابن واند ٤٦٥
ف ١٣٨ - ابن رشد . بنو زهر . ابن الوليد ٤٦٩
ف ١٣٩ - أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الفائق ٤٧٢
ف ١٤٠ - ابن البيطار ٤٧٨

الفصل الثالث عشر

الآثار الأدبية لغير المسلمين

من الأندلسيين

(أ) المستعربون

- ف ١٤١ - إشارات آبرو القرطبي . القس بنجلميس . ديم بن زيد الأسقف ٤٨٥

(ب) اليهود

- ف ١٤٢ - أبو زكريا حيوج . ابن جبرول . يبا بن قافوفا . ابن صديق ٤٨٨
ف ١٤٣ - موسى بن عزرا . يهوذا هالبثي . أبراهام بن داود . الجزيري .
بنو طييون ٤٩٨
ف ١٤٤ - موسى بن ميسون . للترجون ٥٠٢

الفصل الرابع عشر

أدب المستعجمين

- ف ١٤٥ - مؤلفات ذات طابع تفرسي أو ديني ٥٠٧

صفحة

١٤٦	ف	الشعر الموريكي	٥١٤
١٤٧	ف	القصة الموريكية	٥٢٤

الفصل الخامس عشر

آثار الأدب الأندلسي

١٤٨	ف	آراء الأب خوان أندريس في القرن الثامن عشر	٥٣٣
-----	---	---	-----

(أ) الفلسفة

١٤٩	ف	مترجمو طباطبة . الرخديون . اليهود	٥٣٦
١٥٠	ف	رايموندو ميرمين	٥٤٠
١٥١	ف	رامن آل	٥٤٣
١٥٢	ف	داني والإسلام	٥٥١

(ب) المعلوم

١٥٣	ف	ألفونسو المالم والتقاليد العربية	٥٧٣
-----	---	----------------------------------	-----

(ج) التربية

١٥٤	ف	المواظف السياسية الأخلاقية	٥٧٧
-----	---	----------------------------	-----

(د) القصص

١٥٥	ف	كتاب سلك الكتاب	٥٧٩
١٥٦	ف	كتاب كلية وفتنة	٥٨١
١٥٧	ف	السندباد	٥٨٢
١٥٨	ف	برلمان وروايف (يوسافات)	٥٨٥
١٥٩	ف	الدون خوان مانويل	٥٨٥
١٦٠	ف	تورمينيا	٥٨٦
١٦١	ف	أب لية ولية في الأدب الإسباني ، قبل القرن الثامن عشر	٥٩٢
١٦٢	ف	قصص القروسية ، قصة زياد الكفاني	٥٩٩
١٦٣	ف	جرايان وابن طليل	٦٠١

(هـ) الشعر القصصى فى إسبانيا الإسلامية

- ب ١٦٤ — قلعة ريبيرا ٦٠٣
 ب ١٦٥ — ما يمكن أن يكون لهذا الشعر القصصى الأندلسى من أثر فى الشعر
 القصصى الفرنسى والإسباني ٦٠٧

(و) الشعر

- ب ١٦٦ — الزجل فى الأدب الأوروبى ٦١٣
 ب ١٦٧ — (أ) فرنسا ٦١٤
 ب ١٦٨ — (ب) إنجلترا ٦١٨
 ب ١٦٩ — (ج) ألمانيا ٦١٨
 ب ١٧٠ — (د) إيطاليا ٦١٩
 ب ١٧١ — (هـ) البرتغال ٦٢١
 ب ١٧٢ — (و) إسبانيا : كتيبات القوسى العاشر ٦٢٣
 ب ١٧٣ — نائب الأملق فى جيتا ، خوان روبث ٦٢٤
 ب ١٧٤ — أغنية المريات الثلاث . الدواوين . آخر مظاهر الزجل ٦٢٧

مراجع الكتاب

- أ — مراجع عربية ٦٣٣
 ب — مراجع غير عربية ٦٤٢

فهارس الكتاب

- ١ — فهرست الأعلام ٦٥٣
 أ — أعلام عربية أو وردت بالعربية ٦٥٣
 ب — أعلام إنجليزية أو وردت بغير العربية ٦٨٢
 ٢ — فهرست الكتب ٦٨٤
 أ — كتب عربية أو وردت بالعربية ٦٨٤
 ب — كتب إنجليزية أو وردت بغير العربية ٦٩٦
 ٣ — فهرست المصطلحات ٦٩٩
 أ — مصطلحات عربية أو وردت بالعربية ٦٩٩
 ب — مصطلحات إنجليزية ٧٠٤
 محتويات الكتاب ٧٠٥
 تصويبات ٧١٦

تصويبات

التر	سطر	صفحة
يحيى بن حكم النزال	٢١	٤
ابن النقرة	٥	١٥
أبا نصر الفتح بن خاقان	٧	٢٢
جابر بن أفلح الإشبيلي	١٤	٢٢
كتاب « ملك الكتاب »	١٢	٢٨
التي قام بها	٣	٥٠
ومتفق	١٢	٥١
يحيى بن حكم البكري المعروف بالنزال	١٨	٥٥
شعبول	٢٠	٦٥
علي بن حمود الحسني	٢١	٦٥
وقد أجل ابن بسام	٨	٦٦
« مقبرة الخير » في « رياض قرطبة »	٢	٧٤
(انظر فقرة ٧٤)	١٨	٧٤
وبرّ ابن طاهر	١٠	٧٨
أبو محمد بن صاره	١٤	٨٦
٤ (هامش) حول الناحية الأسطورية من شخصية ابن الأحمر		٩٩
ابن النقرة	١٦	١٠٧
وكان باقّة عصره	الأخير	١١٢
ابن زيدون في رسالته المزلية إلى ابن عبدوس	١٨	١١٩

مكتوبة	سطر	صفحة
ابن الصيرفي	١٤	١٢٣
أما عن الحب فقد عشقت	١٠	١٥٢
أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي	١٥	١٥٦
جمع بين الضربين الذين ذكرناهما	١٦	١٥٨
Verbena (= احتفال شعبي)	١٧	١٦٠
شرط الخلافة	١١	١٦١
أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني	٨	١٦٥
الأحاديث التي تُنسب إلى الرسول	٩	١٧٣
مقامات أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري	٢	١٨٠
وكان أبوه خلف	٣	٢٠٨
عمر بن نابل	٥	٢٠٨
معاوية بن هشام الشيباني	٦	٢١٠
وأعاد نشره سيكود لوثينا	١٢	٢٢٠
وبين الطل التي ينجم عنها الحب	٨	٢٣٣
وأخمن أن الملح حكم سييمه	٤	٢٣٤
ابن الصيرفي للتوفى سنة ١١٧٤/٥٧٠	١٧	٢٤١
وم بين صاحب في الأخذ عنه راغب	١٦	٢٧٤
ليستصرخ أبا زكريا بن أبي حمص	١٥	٢٧٧
محمد بن عتاب	١٠	٢٨٣
عثمان بن ربيع	١٨	٢٨٥
« نخبه الاختيار من أشعار ذى الوزارتين أبي بكر	١٠	٢٨٩
ابن عامر »		

صفحة	سطر	مؤلف
٣١١	١٢ و ١٠	ابن عبد النعم الحيرى
٣١٩	١٥	ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتى الطنجى)
٣٢٧	٢١	وسمع أبا سعيد بن الأعرابى
٣٥٦	٥	أبو الحسين محمد بن جبير
٣٦٢	٤	أبو القاسم بن وضاح
٣٦٣	٩	كتاب « إحصاء العلوم »
٣٦٨	١٥	فكتب راييموندو مارتين كتابه « خنجر الإيمان « Pugio Fidei »
٣٨٨	الأخير	السائل الصقلية
٤٢١	»	جمع فيه بين شرح الوطأ وتفسير القرآن
٤٦٦	٢	كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف »
٤٦٦	٥	ونقله إلى النبرية « ثم طب »
٥٠٣	٩	وكالونيوموس بن ماير
٥٧٩	٤	كتاب « ملك الكتاب » الذى ألقه بدرو أفونسو
٥٨٢	١٤	وفى كتاب الكند لوكانور للدون خوان مانويل
٦١٩	١٧ و ١٨	الطراز المسمى بالكونتراستو ومعناه « للنقابل »
٦٨٦	الأخير	التيبان عن الحادثة الكاشنة على غرناطة ، للأمير محمد الله الزيرى
٦٨٩	١٩ (عمود ١)	رسالة التابمين ، لابن حبان البسوة
٦٨٩	٣ (عمود ٢)	روح الشر ودوح الشر
٦٩٠	الأخير	الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، لقاضى هياض

تم والحمد لله

ser reconocidas y valoradas como conviene, y exigen para ello conocimientos suplementarios de nuestra lengua y de nuestra cultura no árabe con mayor desarrollo y perfección.

En todos sentidos estimo, por tanto, como un extraordinario acontecimiento la aparición en su versión árabe de este manual de González Palencia, mi llorado colega. Al felicitar por haberla llevado a cabo a mi amigo el profesor Hussain Monés, me permito hacer votos por que este esqueje que hoy planta con tan buena mano en el surco común sea pronto un gran árbol cuya sombra nos cobije a unos y a otros en la paz de la fraternidad y del trabajo.

Emilio García Gómez.

hace escribir estas líneas. La curiosidad, el interés y hasta la pasión que los orientales de hoy, y particularmente la nueva generación de eruditos egipcios, ponen en el estudio de la cultura arábigoandaluza es un fenómeno novísimo, y quien como yo ha trabajado por esta aproximación desde 1928, cuando las relaciones eran prácticamente nulas — con la excepción de los esfuerzos de Ahmad Zaki Bāṭi —, puede medir con exactitud el enorme progreso realizado. Buen jalón en este camino de acercamiento ha sido, entre tantos otros, la fundación en Madrid del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos, cuya labor es ya sumamente fecunda y al que auguramos y deseamos un espléndido porvenir. Cabalmente uno de sus mejores directores ha sido mi querido amigo el profesor Hussain Monés, ya hispanista desde hace muchos años y excelente conocedor de la lengua española, que es quien ha tomado a su cargo la benemérita y difícil empresa de traducir el manual de González Palencia, y quien ha tenido la amabilidad de pedirme que escribiera estas líneas de presentación.

Gracias a la labor del profesor Hussain Monés, el libro de mi eminente compatriota guarda en árabe las mismas ventajas que en castellano, acrecidas por el hecho evidente de que los textos citados van en su lengua original, y no en versiones fatalmente deformadoras, por buenas y bien intencionadas que sean. Pero su utilidad en árabe ha de ser mucho mayor. De un lado, informará a los egipcios y al mundo islámico en general de la manera con que enfocamos nuestro pasado árabe medieval y de cómo reivindicamos glorias que estimamos nuestras y pertenecientes a nuestro ancho y universal patrimonio. De otra parte, permitirá a los árabes rectificar esos métodos nuestros, en la amplia medida en que ha de consentírselo el mayor conocimiento de una lengua que no en vano sigue siendo la suya materna. Por último, espero que hará ver a los actuales eruditos del Próximo Oriente musulmán cómo, según dije al comienzo, al-Andalus y su cultura no son simples apéndices de la general civilización árabe, sino un mundo, no diré del todo aparte, pero sí con peculiaridades muy señaladas y reacciones espirituales y raciales muy singulares en muchos aspectos con frecuencia olvidados, que esperan

Es muy de agradecer, por tanto, el esfuerzo de quien se ha preocupado de este gran público y de poner en sus manos un balance, por provisional que sea, de la labor realizada hasta una determinada fecha. Y esto es justamente lo que se propuso hacer, y lo logró con buen éxito, aquel infatigable investigador, aquel trabajador incomparable que se llamó don Angel González Palencia, cuya vida cortó prematuramente la muerte, en octubre de 1949, con una trágica brusquedad de la que aún no nos hemos repuesto. Entre sus innumerables actividades, González Palencia fué profesor de Literatura arábigo-española en la Universidad de Madrid, sucediendo precisamente a don Julián Ribera, que en 1927 abandonó voluntariamente la cátedra para retirarse a Valencia. Como preparación para sus oposiciones, González Palencia hizo un útil resumen de cuanto se sabía hasta ese momento en el campo de la literatura arábigo-andaluza; resumen que publicó en 1928 en la acreditada serie de manuales que publica la Editorial Labor con el título de "Biblioteca de iniciación cultural" (núms. 164-165). La obra tuvo el éxito que merecía, y hubo de reeditarse, muy revisada y puesta al día, en 1945. En ella están tratados, de muy cómoda y exhaustiva manera, no sólo todos los aspectos de la literatura arábigo-española, sino incluso la literatura escrita en árabe por los no musulmanes (mozárabes y judíos), la literatura aljamiada, e incluso los influjos — comprobados, discutidos o posibles — de la cultura andaluza medieval sobre la española en particular y la europea en general. No hemos de engañarnos respecto al libro. En primer término, está escrito desde un punto de vista muy personal, reflejo en cierto modo de una escuela, a la sazón batalladora y polémica, e influido por tendencias y gustos individuales, aunque con la claridad, objetividad e imparcialidad que el autor gustaba de hacer resplandecer en toda su producción. Además, ya hemos dicho al principio el panorama en que vino a insertarse y que posteriormente se ha complicado mucho más. Ha de valorarse, pues, en su época y en su momento, con relación a dicho panorama, por lo mucho que da y por la excelente orientación que aporta, y no por lo que en él falta o por lo que desde su tiempo ha cambiado.

Una de estas muchas cosas que han cambiado desde su tiempo se relaciona precisamente con la oportunidad que me

lengua extraña a la nuestra actual, pero por hombres en cuyas venas corría una sangre ibérica que influía fatalmente en su sensibilidad y en sus gustos, dentro de una religión y de una civilización forasteras. Y entre esos eruditos hay que mencionar en primer término al gran don Julián Ribera, precursor clarividente de tantas investigaciones actuales y arquitecto genial de un edificio, por él planeado, aunque todavía no se haya terminado de construir.

En un terreno tan vasto y tan nuevo como son los estudios sobre la cultura árabe en general, y más particularmente sobre la cultura arábigo-andaluza; en un terreno, además, en que los especialistas son por fatales razones muy escasos, no sé si es un mal, pero en todo caso una realidad, que se prefiera lo nuevo a lo sabido, los análisis a las síntesis, conquistar nuevas tierras a administrar las ya conquistadas. Cada investigador se adentra en su mina, y cava su galería, desentendido, o poco menos, de lo que ocurre en la superficie. Un manuscrito nuevo vale, infinitamente más que todas las obras publicadas. Una edición de un texto recién descubrierlo (¡y los descubrimientos se multiplican!) hace olvidar cualquier intento de censo o crítica. Esta discontinuidad en el espacio se agrava con la anarquía en el tiempo. Cuando excepcionalmente tenemos una síntesis aceptable — como es el caso del *Ensayo* de Pons Boigues —, perdura, aunque anticuada, con una vigencia inverosímil. Cuando, debidos a autores españoles y extranjeros, empezamos a disponer de estudios sobre la poesía arábigo-andaluza, el sensacional descubrimiento de las jâryas romances en ^v*muwassahas* árabes y hebreas vuelve a poner todo en cuestión. ¡ Todo en cuestión ! : ésta sería la fórmula para resumir un estado de cosas, sumamente agradable para los investigadores, cuyo afán de novedad puede saciarse en cualquier momento, pero en extremo despiñante para el gran público.

Presentación

La historia política de la España musulmana ha sido, desde los comienzos del arabismo internacional, objeto de las más variadas curiosidades, hispánicas y forasteras, y la lista de sus cultivadores se honra con nombres ilustres de las más distintas nacionalidades. No así la historia de la literatura arábigo-andaluza, o mejor dicho, la historia de la cultura arábigo-andaluza en general. Cierlo es que algunas de las más relevantes figuras de su elenco fueron, y siguen siendo, estudiadas, de modo separado y monográfico, por eruditos españoles y europeos, occidentales y orientales; pero era más bien como apéndices, o, a lo más, como singularidades geográficas, dentro de una historia general del portentoso desarrollo de la cultura árabe medieval, concebida como un todo unitario. Un libro como el del Barón de Schack, *Poesía y arte de los árabes en España y Sicilia*, era excepción en la bibliografía europea del siglo XIX. No se tenía conciencia de que la cultura arábigo-andaluza era, dentro de la cultura árabe general, algo más que una provincia geográfica, remota y extrema, y que constituía, en muchos casos, un orbe propio, con leyes distintas, fenómenos peculiares y singularísimos problemas.

Sobre los antecedentes que se quieran y que puedan buscarse, con las concomitancias de detalle que se puedan añadir, esta conciencia sólo se creó en España, muy a fines del pasado siglo y comienzos de éste, gracias en especial a la escuela de arabistas españoles que fundó Codera, que han realizado los nombres gloriosos de Ribera y Asín y que sigue agrupando a los eruditos hispánicos de la actualidad. Todos ellos estuvieron y están deseosos de reivindicar y de añadir a los anales patrios—a la manera como otros ingenios lo habían hecho desde muy antiguo con la cultura hispanorromana y aún con otras anteriores—estas páginas insignes, escritas, sí, en una

Advertencias

No es ésta una mera versión árabe del texto de D. Ángel González Palencia, sino dicho texto original ampliado con el desarrollo textual de las citas del autor o con el mismo texto a que él se refiere. A veces he reproducido las citas de González Palencia tal como él mismo las presenta; otras, he creído conveniente ampliarlas, a fin de poner más de manifiesto su valor significativo.

Sabido es que el autor español se vió obligado, dadas las exiguas dimensiones concedidas a su libro por una colección de iniciación, a espigar los textos. Libre yo de esta traba, he podido desarrollar las citas en su integridad, creyendo servir con ello el interés del lector. De todos modos, estas ampliaciones van siempre entre paréntesis.

La letra ف , que acompaña los párrafos, es una abreviatura de la palabra árabe قرة .

Los números volados que aparecen en algunas palabras corresponden a las notas que serán publicadas en un libro aparte, especie de apéndice del original español.

Agradesco sinceramente a mi amigo D. Emilio García Gómez su amabilidad de prologar, con toda su autoridad y pluma sumamente expresiva y elegante — una de las mejores de la literatura española de hoy —, esta traducción.

El Traductor

A la memoria de mi amigo, el autor de este libro,

D. Ángel González Palencia,

*como símbolo de estima de la escuela egipcia de estudios
andaluces a la escuela de arabistas españoles.*

Á. GONZÁLEZ PALENCIA

Historia de la Literatura Árabe-Española

Traducción Árabe

Por

HUSSAIN MONÈS

Profesor en la Universidad del Cairo.

El Cairo, 1955